جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية
Mohmmad Bin Ali Assanosi University

كلية التأريخ والحضارة

المجلة العلمية
للدراسات التاريخية والحضارية

Scientific Journal of Historical and Civilizational Studies

العدد السادس

مارس / 2021 **م**

ت	المحتويات	رقم الصفحة
	شروط النشر- هيئة التحرير	4- 7
1.	1 - ليبيا في عصور ما قبل التاريخ Libyan role in prehistory . C.B.M.Mcburney ترجمة د. سعد بوحجر	8
2.	الأسطول الحربي في مصر القديمة "الدولة الحديثة أنموذجا 1570-1058ق.م. أ.بلعباس محفوظي	38
3.	الحرس البريتوري في روما نشأته ومهامه . أ- خالد آدم أحميدة / جامعة طبرق أ- رقية إسماعيل الأزرق/ جامعة الزيتونة	69
4.	الدلالات الرمزية في العملة الماسيسيلية The monetary iconography of the Massaesyles د. بنت النبي مقدم	84
5.	الفخار الكورنثي المبكر في حفريات حرم ديميتر وكوري (بيرسفوني) في توكرة 1963-1965 تقديم وترجمة د. خالد محمد عبد الله الهدار	102
6.	المرأة الرومانية بين الحياة السياسية والعامة في العهد الامبراطوري . باحثه صغور صونية	141
7.	من بنغازي إلى كيريني / رتشارد نورتون FROM BENGAZI TO CYRENE المجلد الثاني /1910-1911م ، ترجمة حسين حمد حسين الفقيه	155
8.	ابن عبدالحكم ومَنهَجه في الكتابةِ عن فتوحات إفريقية وبلادِ المَغرِب دراسة مقارنة مع المؤرخين القدامى ، د. إسماعيل حامد إسماعيل علي	186
9.	أفاويه الأندلس " دراسة وصفيه في القرنين الرابع والخامس الهجريين .للباحثين د.عبدالله علي نـــــوح ، د. كريمة أحمد عوض	209
10.	الاستشراق والاستِغرَابُ (مرحلة من الصراع بين الغرب والشرق) أ - عبدالسلام صالح يحيى الحجازي	231
11.	الأسواق في مدينة القيروان في عهد الفاطميين (297 – 361 هـ / 909 – 971 م) . د. دلال رزق الله عبدالله فضل الله	264
12.	الإدارة العسكرية ودورها في تثبيت الاستعمار الفرنسي بالجزائر خلال القرن 19. د. فاطمة حباش	284
13.	أصداء لجوء الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى مصر سنة 1947 في الصحافة المصرية " جريدة الأهرام أنموذجا " د. فاتح بوفروك	304
14.	مجمل عن الطعام والشراب في حاضرة تِنبُكتُ وباديتها خلال العصر الحديث وبداية المعاصر (دراسة في أنثروبولوجيا التغذية) . د. عادل بن محمد جاهل	329
15.	الصراع الإسباني العثماني على الجزائر في الحوض الغربي للبحر المتوسط 1500 1529 م د. مصطفى عبيد	368
16.	تقنيات البناء بمواد البناء الجيرية الملحية بالمنشآت الأثرية في واحة سيوة . د . محمود عبد الحافظ محمد ،د.علي علي عبد المطلب .د. ربيع راضي عبد القادر سيد	384
17.	حتمية الركود الحضاري العربي بين النظرة الفلسفية الغربية والحقيقة التاريخية. د: بن مصطفى أدريس	400
18.	خزانات المخطوط بزوايا جنوب غرب الجزائر في العصر الحديث Manuscript thanks at the corners of southwestern Algeria in the modern era د.مجدوب موساوي	418

ت	المحتويات	رقم الصفحة
.19	طلميثه إحدى المدن الخمسة (البنتابولس) Ptolemais city of the Libyan pentapolis تأليف: كارل كرايلنج - ترجمة د. سعد صالح الدلال	434
.20	كتب التراجم وأهميتها في تأريخ العلاقات الثقافية لبجاية مع أقطار العالم الإسلام كتاب عنوان الدراية للغبريني أنموذجا ، د/ بوبكر زاوي	465
.21	محنة الموريسيكيون في صيام شهر رمضان ، أ.د قاسم عبد سعدون الحسيني	481
.22	علي اسعد الجربي ودوره الوطني في ليبيا ، د/عاشور ونيس سليمان ونيس د/إدريس عبدالصادق رحيل محمود	497
.23	تطور نظام النقد والعملات في مصر في العصر المملوكى (648-922ه/1250-1517م) د. أحمد علي صالح الحسنوني	514

شروط كتابة البحث العلمي ونشره في المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية

1- ملخص البحث يكون باللغة العربية وباللغة الانجليزية في حدود (150كلمة)

2- المقدمة،وتشمل التالي:

- ملخص عن موضوع الدراسة (مدخل) يشمل أهمية الدراسة والمنهج العلمي المتبع.فيها.

3- الخاتمة. (أهم نتائج البحث – التوصيات)

4- قائمة المصادر والمراجع.

5-عدد صفحات البحث لا تزيد عن (30) صفحة ولا تقل عن (15) صفحة متضمنة الملاحق وقائمة المصادر والمراجع ،على أن تكون هوامش جانبي الصفحة (2.5) وأعلى وأسفل الصفحة (3).

القواعد العامة لقبول النشر

1- تقبل المجلة نشر البحوث باللغتين العربية و الإنجليزية والتي تتوافر فيها الشروط الآتية:

- ✓ أن يكون البحث أصيلاً،وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها من حيث الإحاطة والاستقصاء والإضافة المعرفية والمنهجية والتوثيق وسلامة اللغة ودقة التعبير .
- ✓ ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قُدم للنشر في أي جهة أخرى.
- ✓ أن يكون البحث مراعيا لقواعد الضبط ودقة الرسوم والأشكال – إن وجدت–ومطبوعاً على ملف وورد word،حجم الخط (13) وبخط (Simplified Arabic) للغة العربية. وحجم الخط (12) وبخط (Times New Roman) للغة الإنجليزية .
- ✓ أن تكون الجداول والأشكال مدرجة في أماكنها الصحيحة،وأن تشمل العناوين والبيانات الإيضاحية الضرورية.
- ✓ في حالة التوثيق وفق دليل جمعية علم النفس الأميركية (APA) تثبت هوامش البحث في نفس الصفحة والمراجع في نهاية البحث على النحو الآتي:
  - أن تُثبت المصادر أو المراجع بذكر اسم المؤلف كاملاً، ثم وضع تاريخ نشره بين حاصرتين،ويلي ذلك ذكر عنوان المصدر،متبوعا باسم المحقق أو المترجم،ودار النشر،ومكان النشر،ورقم الصفحة.

- عند استخدام الدوريات (المجلات،المؤتمرات العلمية،الندوات) بوصفها مراجع للبحث: ذكر اسم صاحب المقالة كاملاً، ثم تاريخ النشر بين حاصرتين،ثم عنوان المقالة، ثم ذكر اسم المجلة،ثم رقم المجلد،ثم رقم العدد،ودار النشر،ومكان النشر،ورقم الصفحة.

2- تحتفظ المجلة بحقها في أسلوب إخراج البحث النهائي عند النشر.

إجراءات النشر

ترسل جميع المواد عبر البريد الإلكتروني الخاص بالمجلة وهو كالتالي:

- يرسل البحث الكترونياً إلى عنوان المجلة وهو saeidgrida@gmail.comأوAglimohada@gmail.com
- أو(نسخة CD) بحيث يظهر في البحث اسم الباحث ومؤهله العلمي،ومكان عمله،ومجال تخصصه.
- يرفق مع البحث نموذج تقديم ورقة بحثية للنشر موجود على موقع المجلة، وكذلك إرفاق للسيرة الذاتية العلمية للباحث إلكترونياً .
- لايقبل استلام الورقة العلمية إلا بشروط المجلة.
- في حالة قبول البحث مبدئيا يتم عرضه على مُحكّمين من ذوي الاختصاص في مجال البحث،ويتم اختيارهم بسرية تامة،ولا يعرض عليهما سم الباحث أو بياناته، وذلك لإبداء آرائهم حول مدى أصالة البحث،وقيمته العلمية،ومدى التزام الباحث بالمنهجية المتعارف عليها،ويطلب من المحكم تحديد مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة من عدمها.
- يبلغ الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمها خلال خمسة عشرة يوماً من تاريخ الاستلام.
- في حالة ورود ملاحظات من المحكّمين،تُرسل تلك الملاحظات إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة بموجبها،على أن تعاد للمجلة خلال مدة أقصاها أسبوعين.
- الأبحاث التي لم تتم الموافقة على نشرها لا تعاد إلى الباحثين.
- الأفكار الواردة في ما نشر من دراسات وبحوث وعروض تعبر عن آراء أصحابها.
- لا يجوز إعادة نشر إي من المواد المنشورة في المجلة مرة أخرى.

رئيس هيئة تحرير المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية
د. سعيد محمد غريدة
saeidgrida@gmail.com

رابط المجلة : fhcj@jus.edu.ly أو موقع الجامعة الإلكتروني : ius.edu.ly

المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية

Sciertific Journal of Historical and Civilizational Studies

المشرف العام

د. سعد صالح الدلال

رئيس هيئة التحرير

د. سعيد محمد غريدة

00218926273414

المشرف اللغوي

د. حسين الحمري

الإشراف على الطباعة والتصميم

أ . أحمد بوزهرة

أسرة تحرير المجلة :

د. عبدالسلام سالم سعيد

أ . أحمد موسى

أ . حمدي علي سعد

أ . الفرجاني محمد الفرجاني

أ . حمدي خليفة الصادق

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 2018/225

ليبيا في عصور ما قبل التاريخ

Libyan role in prehistory . C.B.M.Mcburney

من كتاب مؤتمر ليبيا في التاريخ عقد بكلية الآداب الجامعة الليبية ، بنغازي عام 1968م

ترجمة د. سعد بوحجر

مقـــــــدمة

لا غرو أن دراسة التاريخ في أي مكان شهد حضارات سابقة، ستكشف أبعاداً جديدة لهذا المكان، ودراسة التاريخ من خلال آثار تلك الحضارات سيمثل قيمة مضافة في رصيده. وقد شهدت ليبيا بأقاليمها المختلفة حضارات خلدها التاريخ، وآثاراً باقية إلى يوم الناس هذا شاهدةً على من أقام ومرَّ من هنا.

قد انبرى ثلة من علماء التاريخ والآثار لدراسة التاريخ ليبيا وكان للمستشرقين سبق في ذلك، واهتمام تدعمه إمكانيات تؤهل العلماء للبحث والتنقيب، فكان من بين هؤلاء تشارلز ماكبيرني الذي كتب مقالة بعنوان: دور ليبيا فيما قبل التاريخ وشارك به في أعمال مؤتمر ليبيا في التاريخ المنعقد في مارس من عام 1968م، في كلية الآداب بالجامعة الليبية، في بنغازي تحت عنوان (Libyan role in prehistory) وقد قُمتُ بترجمة هذا العمل والتعليق عليه، متوخياً البحث عن نتائج حفريات موقع أفطيح الذي أنجزه تشارلز ماكبيرني في السنوات (1952–1955)، وقد أعيد حفر هذا الموقع سنة 2007 وانتهت عملية التنقيب فيه سنة 2017م، وهو الآن تحت الدراسة العلمية.

ولا يفوتني في هذا المقام إجزال الشكر للمرحوم الدكتور فيصل الشيخ عضو هيأة التدريس في قسم الآثار بكلية الآداب، جامعة بنغازي على ما أسداه لي من عون علمي في فهم كثير من المصطلحات، ومراجعة الترجمة لهذا العمل، وكان في ذلك كله متقناً ومخلصاً، فاسأل الله له الرحمة والرضوان وفسيح الجنات.

قد حاولت–جهدي– تقديم هذا العمل في الصورة التي تقربه من نصّه في لغته ، كما توخيت تفسير ما يحتاج تفسيراً في النص المترجم، وشرح ما استدعى الشرح، والتعليق على ما يحتاج إلى فضل إيضاحٍ ومزيد بيان.

وأسأل الله أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، فله الحمد على نعمة وعطاياه.

المترجم / د. سعيد بوحجر

إن أقدم الشواهد الاثرية المكتشفة للإنسان في ليبيا حتى الآن، هي تلك الأدوات التي وجدت في موقع بئر الدوفاني في وادي مردوم[1] في الجزء الشرقي لإقليم طرابلس خلال فترة الحرب العالمية الثانية (39-1946م)، وقد تم نشر[2] هذه الاكتشافات منذ حوالي عشرين سنة مضت (شكل1 ، 2) ويبدو أن هذه الأدوات قد جاءت من إحدى مصاطب وادي مردوم العالية، وعلى الرغم من أنها لا يمكن أن تنسب إلى موقع بئر الدوفاني إلا أنها بالتأكيد تمثل أهمية أثرية كبيرة يمكن الحكم عليها من خلال تلك الطبقة القديمة التي كانت تغطي هذه الشواهد وتوحي بأنها شواهد موغلة في القدم وعلى درجة كبيرة من التآكل والتهالك، حيث أن بعضها وصل إلى درجة التحطم[3]، وتنتمي هذه الشواهد إلى نوع بدائي (قديم) جدا من الأدوات يُعرف بإسم الأدوات الحصوية (Pebble culture) ، وهي عبارة عن حصاة جعل أحد طرفيها حاداً وترك الطرف الآخر على شكله الطبيعي ليستخدم كمقبض لليد عند الاستعمال[4] ، وتُعرف مثل هذه الأدوات الآن بأنها صنعت من قبل الإنسان القديم الأول في

---

[1]- بئر الدوفاني: يُعرف حالياً باسم (بير الدوفاني)، والبئر يقع جنوب مدينة زليتن وشمال منطقة بن وليد وعند الانتقال من بن وليد باتجاه الشمال عبر وادي مردوم فإن الزائر يصل إلى هذهالمنطقة قبل أن يصل إلى زليتن. أما وادي مردوم فإنه يخترق منطقة بن وليد ويتجه شمالاً ليصب في البحر المتوسط عبر منطقة تاورغاء غرب مصراته وإضافة إلى آثار إنسان ما قبل التاريخ التي عثر عليها فيه توجد آثار أخرى ترجع إلى الفترة التاريخية المتمثلة في القصور الأثرية أو ما يعرف بالقصبات وبعض الآثار الرومانية ، ويشتهر هذا الوادي بالغطاء النباتي خاصة أثناء فترة سقوط الأمطار، ويمكن القول إمكانية تتبع الآثارالليبية الخالصة في هذا الوادي والمناطق المحيطة به (المترجم). راجع

G. Barker, "Prehistoric settlement" Farming the desert, vol. one, u.k, whit stable, 1996,p.p.84-85, fig.4.2.

[2]- Ref.5. (المرجع الخامس في قائمة المراجع)

[3]-التآكل والتهالك الذي يصيب الأدوات الحجرية القديمة خاصة الموجودة على السطح راجع إلى عوامل التعرية المختلفة كالأنهار الجارية والرياح، وأهم ما يطرأ على هذه الادوات من تغير طبيعي هو ما يعرف الانصقال والتقشر والتلون، ويرجع السبب في ذلك إلى تدحرج الأدوات في مجاري المياه، وتأثير الرمال الصحراوية والإرسابات الجيولوجية التي تحتوي على تكوينات معدنية وكيماوية من أنواع مختلفة . (المترجم).

راجع: إبراهيم رزقانة، الآلات الحجرية صناعاتها وأشكالها، القاهرة، المطبعة النموذجية، 1952، ص ص 42-48؛ سعد عبدالله بوحجر ، الأدوات والآلات الحجرية في عصور ما قبل التاريخ، ص ص 7-8 (بحث غير منشور).

[4]-الأدوات الحصوية: تعرف أحياناً كثيرة بالأدوات البدائية أو الفجرية، وهي من الأدوات التي تنسب إلى صناعة النواة المشطوفة من جانب واحد مع ترك بقية الجوانب بقشرتها الأصلية لتستخدم كمقبض، وبسبب شكلها البدائي الفج، كان بعض العلماء في بداية الأمر يشكون في نسبتها إلى البشر، لكن بعد العثور عليهاضمن الطبقات الأثرية مع شواهد أخرى تأكد أنها من صنع الإنسان كما أن انتظام تهذيب حافتها بإزالة شظايا صغيرة من مواضع متقاربة على سطحها ووجود درجة من وحدة الشكل العام بين هذه النوعية من الأدوات يعد من أهم الأدلة على حقيقتها، وهي ترجع إلى الفترة الدفيئة جنز-مندل، ونعتها بالبدائية راجع إلى قلةتجارب الإنسان في صناعة الأدوات الحجرية، وأشهر أدوات هذا النوع عثر عليها في خانق أولدوائى بتنزانيا حتى أنها عرفت عالمياً بالأداة الأولدائية (Pebble culture). (المترجم). =

= راجع: سعد عبدالله بوحجر، مواقع ما قبل التاريخ في الجبل الأخضر، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة قاريونس، 2001، ص 36 (غير منشورة)؛ سعد عبدالله بوحجر ، الأدوات والآلات الحجرية في عصور ما قبل التاريخ، ص ص 8-10؛ أسامة عبدالرحمن النور وأبو بكر شلابي، تاريخ الإنسان حتى ظهور المدنيات، مالطا: منشورات ELGA، 1995، ص ص 511-513.

شرق أفريقيا منذ ما يقارب $1\frac{3}{4}$ إلى $\frac{1}{2}$ مليون سنة مضت[5]، وقد تم تأكيد هذه التواريخ المبينة على نتائج القراءات الإيسوتوبكية والمغناطيسية (Isotopic and Magnetic) عن طريق أعمال الفرنسيين بيبرسون(P. Biberson) في المغرب وارمبورج (C. Arambourg) في الجزائر[6]، اللذين اقتصرت أعمالهم على تاريخ الترسبات الأحفورية والجيولوجية ذات الطابع الأثري نفسه لتلك الأدوات[7]، وقد تم استبدال هذا النوع من الأدوات منذ حوالي $\frac{1}{2}$مليون سنة مضت بأدوات أخرى أكثر تطوراً تعرف باسم الفؤوس الحجرية (Hand axes)[8] ، وقد تم العثور على عينات من هذه الفؤوس في موقع بئر الدوفاني، وقد تأثرت بعوامل التعرية المختلفة بدرجة أقل من الأدوات

5-الإنسان القديم الأول: يعرف بالإنسان الأحفوري الأول، كذلك يسمى الإنسان الأحفوري أو إنسان أفريقيا، أو القرد الجنوبي، ولعل أفضل الأسماء التي يعرف بها هو إنسان الزنج، وهو يمثل أقدم طور للإنسانية ويعتقد بأنه هيأته وسط بين القردة والبشر، وهو قادر على السير بقدميه والقيام بأعمال ذهنية كصنع الأدوات الحجرية التي وجدت مع بقاياه والتي تعرف بالأدوات الحصوية، ونظراً لأنه بقاياه وجدت في جنوب أفريقيا وشرقها فقد أطلق على ما تمثله إنسان الزنج (Homo Habilits- Zinjanthropus) ، وأهم بقاياه العظيمة عثر عليها ليكي سنة 1959م في أولدافيا بشرق أفريقيا، أما عمر هذا الكائن فإنه يرجع إلى أكثر من مليوني عام تقريباً وفي هذا المجال يجدر بنا ذكر ريموندارت 1924 الذي كان أول من اكتشف جمجمة طفل في جنوب أفريقيا (روديسيا)، تنتمي إلى هذا النوع نفسه . (المترجم).

راجع: عبدالفتاح محمد وهيبة، مصر والعالم القديم، الاسكندرية، منشأة المعارف، ص ص 57-58؛ أسامة عبدالرحمن النور وأبو بكر شلابي، تاريخ الإنسان حتى ظهور المدنيات، ص ص 308-323.

6-أعمال Arambourg , Biberson يعد العالم بيبرسون من أهم الباحثين الفرنسيين الذين قاموا بدراسات في المغرب العربي، ومن أشهر ماكتبه حول صناعات العصر الحجري القديم الأسفل هذا الكتاب

Le Paleolithiqueinferieur du Marocatlantique, Public du service des Antiqe. Maroc, Fasc 17,1996.

أما العالم الآخر فهو أمبورج الذي اكتشف سنة 1962 بقايا الإنسان الواقف في ترنيفين بالجزائر بعد أن كان الأمل في العثور على بقايا هذا الإنسان صعباً في أفريقيا الشمالية . (المترجم).

راجع: حسن بكر الشريف، دراسة تاريخية لحضارة المغرب القديم أثناء العصر الحجري الحديث، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الإسكندرية، 1975، ص ص6-9، (غير منشورة).

7-4,11 ، 1,3 ، ref.5. (المرجع الخامس: ص ص1، 3-4 ، 11).

8-الفؤوس اليدوية: هي اشهر أدوات العصر الحجري القديم الأسفل على الإطلاق ، وتعد أهم الأدوات التي صنعت عن طريق النواة، حيث أن قلب القطعة الحجرية يصير أداة بعد إزالة الشظايا منه، وهي تعرف أيضا بذات الوجهين لأن كتلة الصخر شذبت من الظهر والبطن للعمل على جعل حوافها حادة باستثناء القاعدة لتستعمل كمقبض، وكثيرا ما كان الصانع يستعين بقارع صلب كالحجر، أو مرن كالخشب في إعدادها، وهي تنقسم إلى قسمين: مدبب وبيضاوي، أما أشهر أنواعها فهو الكمثرى واللوزي وشبه البيضاوي والبيضاوي وشبه المثلث، وذو القاعدة المستديرة ، وذو القاعدة الكروية وأشهر==الأسماء التي عرفت بها هذه الأداة هي: الشيلية والإبيفيلية، والأشولية، واستمر استخدام هذا النوع من الأدوات حتى العصر الحجري الحديث، لكنها صارت مصقولة بشكل مسماري مفلطح، وتعد المواقع الفرنسية من أشهر مواقعها حتى أن أسماءها أصبحت ذات طابع عالمي، فهي تطلق على صناعات ثقافات العصر الحجري القديم الأسفل، وقد عرفت أيضا باسم ثائية الوجه. (المترجم).

راجع: سعد بو حجر، مواقع ما قبل التاريخ في الجبل الأخضر، ص ص 36-37 ؛ سعد بوحجر، الأدوات والآلات الحجرية في عصور ما قبل التاريخ ، صص 10-11؛ أسامة عبد الرحمن وأبو بكر شلابي، تاريخ الإنسان ظهور المدنيات، ص ص 518-527؛ إبراهيم رزقانة، الآلات الحجرية صناعاتها وأشكالها، ص ص 67-68.

الحصوية السابق ذكرها، كما تم العثور على نماذج من هذه الفؤوس أيضاً في موقع توكرة بإقليم قورينائية[9] (شكل 3-4) ، ويتمثل التطور أو التغير الثالث في أشكال الأدوات التي استخدمت من قبل أجدادنا القدماء في حاجتهم الملحة لظهور طريقة جديدة ومتطورة في صناعة الأدوات من حجر الصوان[10]، حيث عرفت هذه الطريقة باسم الفلوزاية (Le vallois)، أو تقنية النواة الجاهزة[11]، وقد تم تحديد تاريخ لهذا الحدث أيضاً باستخدام طريقة جديدة مسماة بالـ يورانيوم، ثوريوم (Uranium thorium)[12] أما في شمال أفريقيا فيبدو أن هذا التطور في شكل الأدوات قد حدث عندما وصل مستوى سطح البحر إلى حوالي ثمانية عشر متراً فوق مستواه الحالي في مختلف

---

[9]-منطقة توكرة وأدوتها: تقع توكرة شمال شرق بنغازي بحوالي 70كم عند تقاطع خط طول ً17. َ34. 20^0 شرقاً مع دائرة عرض 14. 32. 32^0 شمالاً في سهل يضيق كلما اتجهنا صوب الشمال الشرقي باتجاه طلميثة، ومنها يتم الصعود إلى أول حافة من حواف الجبل الأخضر عند منطقة تعرف محلياً باسم الباكور ، وقد عثر القس زانون(vitoZanon) داخل أحد كهوفها على أدوات حجرية ، ثم عثر سكوت (N.L. Scott) سنة 1943م على أهم أدوات المنطقة وهي عبارة عن سبعة فؤوس حجرية، اثنان منها بحالة جيدة وواضحة المعالم واكثر تطوراً من الخمسة الأخرى، أما أكبر حصيلة فهي التي التقطها تشازلرماكبيرني(C.B.M.Mcburney)أثناء قيامه بعدة مسموح خاصة في الأجزاء المكتشفة حديثاً في جنوب وادي السلايب، وهي عبارة عن سبع وستين أداة منها سبعة عشر لباً، وخمسون شظية، ويشبه كثير من هذه الأدوات نظائره في وادي الحولة غرب سوسة، كذلك مواقع غرب درنة. (المترجم).

راجع Mcburnery and Hey, Prehistory and Pleistocene Geology in Cyrenaican Libya, Cambridge, 1955, PP. 167,170;

سعد بو حجر ، مواقع ما قبل التاريخ في الجبل الأخضر، ص ص 94-96.

قورينائية: تعني النصف الشرقي من ليبيا، وقد سُمي الإقليم بهذا الاسم نسبة إلى أكبر مدنه وهي قورينا شحات الحالية، وهي تلك المنطقة الممتدة من منطقة السلوم شرقاً إلى منطقة العقيلة غرباً، ويمكن تقسيم سطح قورينائية إلى ثلاثة اقسام: 1. السهل الساحلي 2.هضبة قورينائية (الجبل الأخضر)، وهضبة مارماريكا (هضبة البطنان والدفنة). 3. الصحراء .للمزيد من المعلومات راجع: رجب عبد الحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، ص 2، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، 1994، ص ص 12-22؛ سعد بو حجر ، مواقع ما قبل التاريخ في الجيل الأخضر، ص ص 2-6.

[10]-حجر الصوان: هو عبارة عن عنصر السليكا الصلبة (سأ2) أي أنه وحيد التركيب، وهو ينتشر بكثرة على سطح الأرض وفي مجاري الوديان، ومن مميزاته أنه عند طرقه بشدة ينشطر إلى شظايا ولا يتفتت، وغالباً ما تكون شظاياه حادة الأطراف أو مدببة، ويسهل تشقيقه في الاتجاه الذي يريده الصانع، وهو نوعان الأول أكثر دقة في حبيباته معروف باسم فلنت (Flint)، والثاني أقل دقة في حبيباته يعرف باسم شرت (Chert) ، وفي الفرنسية يعرف باسم سيلكس(Silex)، وعادةً ما يكون لونه بنياً أو مائلاً إلى الإصفرار أو رمادياً داكناً، أما عن تواجده فإنه يوجد في الحجر الجيري أو الطباشيري على هيأة عقد أو طبقات، وهو يوجد بكثرة في الجبل الأخضر بجميع أشكاله. (المترجم). =

= راجع: إبراهيم رزقانة، الآلات الحجرية صناعاتها وأشكالها، ص ص 10-13،11؛ علي علي السكري، الآلات الحجرية وعصور ما قبل التاريخ، الإسكندرية: منشأة المعارف ، 1986، ص ص 85، 90.

[11]-تقنية النواة الجاهزة: في هذه التقنية تشكل الشظية المراد تصنيعها على النواة (الكتلة الرئيسية للحجر) بحفر حدودها ثم بإعداد قاعدة تتلقى الضربة، وبهذه الطريقة يمكن التحكم إلى حد كبير في شكل الشظية التي ستصبح الآلة المطلوبة، وكثيراً ما تعرف هذه التقنية باسم الإعداد المسبق . (المترجم).

راجع: أسامة عبدالرحمن النور وأبو بكر شلابي، تاريخ الإنسان حتى ظهور المدنيات، ص ص 555-558؛ إبراهيم رزقانة، الآلات الحجرية صناعاتها وأشكالها، ص ص 56-58؛ سعد بو حجر، الأدوات والآلات الحجرية في عصور ما قبل التاريخ، ص ص 6-7.

[12]-Ref.11. (المرجع الحادي عشر).

أنحاء العالم، وقد أمكن تحديد تاريخ هذا الحدث بحوالي 125.000 سنة مضت ، وقد تم تمثيل مرحلتي الأدوات الحصوية والفؤوس الحجرية السابقتين بالكامل في إقليم طرابلس (Tripolitania)، أما مرحلة التطور الثالث فقد تم تحديدها بوضوح في إقليم قورينائية(Cyrenaica) حيث يعمل زميلي الدكتور هيي(R.W.Hey) الذي قام بتسجيل إطار جيولوجي ثابت ونهائي عن تلك المرحلة وما يليها من مراحل[13] ، وقد اشتملت أول المكتشفات المميزة للصناعة الفلوازية في ليبيا في شاطئ احفوري (Fossil beach) على دلائل استدل منها على الزمن الذي كان فيه مستوى البحر أعلى من مستواه الحالي بحوالي ثمانية أمتار، وتاريخ هذا الحدث العالمي عرف باستخدام طريقة يورانيوم/ ثوريوم في الفترة ما بين 95,000-65,000 سنة مضت.

---

[13]-لمزيد من المعلومات يراجع كتاب:

Mcburney and Hey,Prehisory and Pleistocene Geology in Cyrenaican (Libya), Part I.

A.Shorelines and Marine Deposits, PP. 19-68.

وقد تمت دراسة المنطقة المذكورة تحت عنوان الجولوجيا والجيومورفولوجيا وخاصة الشواطئ القديمة في سوسة ورأس عامر ودرنة ورأس التين في الكتاب المذكور أعلاه . (المترجم).

وقد أمدتنا نتائج أبحاث البعثة السويدية[14] لاختبار قاع البحر فيما بين الشواطئ الشمالية لإقليم قورينائية وجزيرة كريت ليس بمجرد تفاصيل حول التغيرات المناخية والبيولوجية فحسب بل أيضاً بتواريخ دقيقة بنيت على أسس وطريق ايستوبكية جديدة هي طريقة والبروكتونيوم/ توريوم(Protactinium Thorium) وطريقة الكربون المشع (الكربون 14–الكربون 12)[15] (شكل 7) ويتم تطبيق الطريقة الأخيرة على نطاق واسع في دراسة الترسبات الأرضية في الجبل الأخضر بالأخص تلك الترسبات التي يحتويها كهف هوى إفطيح الكبير[16] ،

14– Ref. 8. (المرجع الثامن).

15– Ref.5. 8,9,10(المرجع الخامس : ص ص 8، 9، 10).

طريقة الكربون المشع: تندرج هذه الطريقة تحت ما يعرف بالأساليب الكرونومترية للتأريخ التي تعطي نتائج أدق من الاساليب النسبية، لأن تواريخها شبه دقيقة ونسبة الخطأ فيها قليلة جداً، وتقوم طريقة الكربون المشع على أساس العمليات الطبيعية التالية: يدخل الإشعاع الكوني إلى الغلاف الجوي للأرض منتجاً نيوترونات تتفاعل مع النيتروجين لتعطي نظيراً إشعاعياً من الكربون 14، ويختلط هذا الأخير أثناء انتشاره حول الأرض ودوراتها مع الكربون 12 ويتم امتصاصه بواسطة النباتات ومن ثم ينتقل إلى الحيوانات آكلة العشب ومنها إلى آكلة اللحوم، وعليه فإن الكربونين 14–12 يوجدان في الاشكال الحية بنسبة ثابتة، وتتوقف عملية امتصاص الكربون 14 بعد موت هذه الكائنات، ثم يبدأ الكربون 14 في الاضمحلال بنسبة ثابتة إلى نيتروجين 14 ويستغرق هذا التحول من الكربون إلى النيتروجين 14 في مدة 5730 سنة ، حيث إن الكائن الميت يفقد نصف هذا الكربون خلال المدة المذكورة سابقاً، وتستمر عملية فقدان نصف الكربون المتبقي في جسم الكائن في هذه المدة نفسها حتى يصير الكربون قليلاً جداً وحينها يكون القياس صعباً . (المترجم).

راجع: أسامة عبدالرحمن النور وأبو بكر يوسف شلابي، تاريخ الإنسان حتى ظهور المدنيات، ص ص 278–279؛ رشيد الناضوري، المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا، الكتاب الأول، بيروت: دار النهضة العربية ، 1977، ص ص 89–91؛ فوزي عبد الرحمن الفخراني، الرائد في فن التنقيب عن الآثار ، منشورات جامعة بنغازي، 1978، ص ص 88–90.

16– هوى إفطيح: يقع على قدم منحدر جبلي من المنحدرات الشمالية الشرقية للجبل الأخضر في القسم الشرقي من الساحل الليبي، شرق مدينة سوسة بمسافة 8.700كم انطلاقاً من أمام محطة الوقود الرئيسية بها في منتصفها، وغرب قرية رأس الهلال بمسافة 11كم تقريباً، على يمين الطريق المعبد الرئيس سوسة – درنة بمسافة 500م عبر أسهل مسلك طيني يقود إليه ، ما بين واد حشلوف، ووادي الهيرة مبتعداً عن الشاطئ الصخري بمسافة 800م، أما فلكياً فإنه يقع ما بينخط طول َ 6 . 22 0 شرقاً، ودائرة عرض َ 29 . ً 54 . 32 شمالاً وهو عبارة عن تجويف طبيعي لحفرة انهيارية ، يرتفع عن سطح البحر بحوالي 60.96م بشكل بيضاوي طولاني ينقسم إلى قسمين ، الأول أمامي مكشوف ، أرضيته تحرث سنوياً تكثر بها الأدوات الحجرية، والثاني مسقوف، أقصى عمق له 47م وأرضيته غير محروثة، استعمله السكان المحليون حظيرة لحيواناتهم، وهو الجزء الذي أجريت فيه حفريات ماكبيرني، وتنتشر فيه مجموعة من الحجارة ، وارضية الكهف شبه مستوية تنحدر انحداراً تدريجياً نحو الداخل الأمر الذي يظهر واضحاً عند جدارة الداخلي، وتغطي أغلب جدرانه طبقة سوداء ناتجة عن التغيرات المناخية والطبيعة وعن آثار النيران التي كانت توقد فيه. وفي أوائل اللفية الثالثة تم إعادة حفر الموقع بواسطة فريق عمل عالمي اشترك فيه علماء أثار من انجلترا وبعض الدول الأوروبية الأخرى إضافة لمجموعة من المختصين الليبيين، وبداء العمل الأثري بإزالة ردميات ماكبيرني البالغ عمقها 13.5م واستمر التنقيب حتى الوصول==للأرضية العذراء (أرضية الكهف الأصلية) على عمق 1.5م باتباع الاسلوب المعروف بنظام المجسمات المختارة وبهذا أصبح العمق النهائي للموقع هو 15م وقد اسفرت الدراسات على وجود اضافات جديدة وتغير بعض النتائج التي توصل إليها المنقب الأول . (المترجم).

القريب من مرسى سوسة، الذي نحن الآن بصدد وصفه[17] ، كما أن هناك طريقة كيميائية باستخدام نظائر الأكسجين (Oxygen isotopes) قادرة على تزويدنا بارتباط مباشر بين الطبقات الموجودة في الكهف وتلك الموجودة في قاع البحر، وبذلك يمكننا استخدام طريقتي الكربون المشع والبروكتونيوم–توريوم معاً في آن واحد لمعرفة أطول تسلسل تاريخي مستمر للترسبات الأثرية والذي يمكن الوصول إليه في موقع من هذا النوع (شكل 7)، ودون شك أن كهفاً كهذا الكهف سوف يزودنا بتفاصيل أكثر وضوحاً من تلك الشواهد المبعثرة التي تم العثور عليها في المواقع المفتوحة، فميزة هذا الكهف أن الباحث فيه كثيراً ما يعثر على الأماكن الفعلية لمواقد النيران التي كان يقيم حولها الصيادون القدماء، كذلك بقايا الأطعمة التي كان هؤلاء الصيادون يأكلونها، كما يمكن الحصول على الكثير من المعلومات المفيدة حول كيفية تصنيع الأدوات الحجرية والعظيمة من قبل أولئك الصيادين واستخدامها ، إضافة إلى الأدوات المستخدمة نفسها، وكهف مثل هوى إفطيح هو كهف جدير بالملاحظة ولفت الانتباه منجوانب مختلفة ، فهو أكبرمواقع ما قبل التاريخ المعروفة في العالم ، وهو الأكبر بلا شك من نوعه في حوض المتوسط، حيث لا يقل قطر مساحته النصف دائرية عن 80م (شكل 5، لوحة 1) ويبعد موقعه بضع مئات من الأمتار عن شاطئ البحر الحالي، ويرتفع عن مستوى سطح البحر بدرجة تكفيه لتجنب أخطار كافة المؤثرات، بما في ذلك أقدم مستويات سطح البحر ارتفاعاً، وعلى الرغم من كبر حجمه فقد سهلت ترسباته الأفقية والمنتظمة عمليات الكشف والتنقيب فيه (شكل 6–7) ففي الكهف يمكن ملاحظة ترسبات كل عصر من العصور بوضوحتام[18]، حيث إنه يمكن (مثلاً) الإشارة بدقة إلى مستوى الترسبات الذي دخل فيه الإغريق أو من سبقهم من الليبيين القدماء في العهد الفرعوني أو العصر الحجري الحديث، ويمكن كذلك الإشارة إلى الترسبات التي تحتوي في تسلسلها الطبقي على ثقافات العصر الحجري القديم وما يميز كل ثقافة من أدوات أو أسلحة أو أماكن إقامة ومستوطنات، وعلى الرغم من أن العمق الحقيقي لهذه الترسبات لم يعرف حتى الآن إلا أن نتيجة الحفر وصلت إلى عمق 13.5م، وبناءً على أدلة التاريخ التي يشير إليها الكهف فإنه يمكن تأريخه بالفترة ما بين 80.000 – 90.000 سنة تقريباً، ولقد زار الكهف خلال هذه الفترة صيادون ورعاة تبعهم الإغريق (الذين بنوا مزاراً مقدساً صغيراً (Shrine)[19] ما زالت أساساته ترى حتى الآن)، وأخيراً ما زال هذا الكهف مزاراً للرعاة

راجع: سعد بو حجر، مواقع ما قبل التاريخ في الجبل الأخضر، ص ص 142–156؛ طه باقر، "عصور ما قبل التاريخ في ليبيا وعلاقتها بأصول الحضارات القديمة " ، ليبيا في التاريخ، 1968، ص ص 23–24؛

C.B.M Mcburney, The stone age of northern Africa, London 1960,PP.199–205.

17– Ref. 6. (المرجع السادس).

18–أسباب وضوح ترسبات كل عصر من العصور في هوى إفطيح: يرجع ذلك لكونه من المواقع المغلقة المتمثلة في الكهوف بحيث تكون الطبقات أو الترسبات محمية وبعيدة عن العوامل الطبيعية كالرياح والأمطار التي تعد من أهم أسباب عدم تكون تسلسل طبقي منظم ، كذلك ارتفاعه عن مستوى الشاطئ وبعده عنه، فأرض الكهف هي بمثابة سجل محفوظ غالباً ما يكون في منجاة من التقلبات الجوية، فأرضيته تحفظ مخلفات الإنسان في شكل منتظم ومتعاقب. (المترجم).

19–Shrine: المزار الديني أو الضريح المقدس أو الموضع المقدس أو الحرم المقدس قد يرجع إلى الفترة الإغريقية والباقي منه عبارة عن أساسات هي خير دليل على إعادة استعمال الموقع في الفترة التاريخية، وكثير من الآلهة الإغريقية لها مزارات على حواف

المحليين الذين اتخذوه مأوى لهم ولعائلاتهم في فصل الشتاء[20]، وقد يتوقع هؤلاء الذين ألفو الفترات الجليدية المتسلسلة في أوروبا والتي تتخللها فترات دفيئة أن هناك تغيرات مناخية صعبة التفسير قد أثرت على جنوب المتوسط وليبيا خلال تلك الفترة الزمنية الواسعة والمتمثلة في هوى إفطيح، والواقع أن مثل هذه الدلائل قد تمثلت بأشكال عدة ، لعل أكثرها جذباً للانتباه هي تلك التغيرات الحادثة في الحيوانات المختلفة[21]التي اعتاد الصيادون القدماء اصطيادها طعاماً لهم خلال الثمانين ألف سنة الأولى من عمر هذا الكهف، كما أن هناك دلائل أخرى زودتنا بها مركبات النظائر للقواقع البحرية التي وجدت مبعثرة حول أغلب أماكن الإقامة القديمة، كذلك ما زودتنا به الدراسات التفصيلية للترسبات الجيولوجية (شكل7)، والهدف من كل ذلك هو الإثبات التاريخي للتغير المناخي الذي يمكن تقسيمه إلى خمس مراحل رئيسية هي كما يلي:

المرحلة أ (A) :

تبدأ هذه المرحلة بفترة جافة وحارة شبه آخر فترة دفيئة أو مرحلة إمين(Emian Epoch) في أوروبا، وهي ليست قبل 80.000 أو ربما 90.000 سنة مضت (شكل 8) حيث كانت أرضية الكهف في ذلك الوقت تحت الأرضية الحالية بحوالي 14م[22]، وقد كان سكان هذا الموقع عبارة عن صيادين عاشوا على صيد القطعان

الوديان، وفي الملاجئ الصخرية والكهوف، وخير مثال على ذلك مزار ديميتر القرن 6 ق.م في وادي بلغدير بين المدينة الأثرية بشحات ومنطقة بقارة وكذلك كهف المقرنات في مدينة شحات الذي يبعد عنها بحوالي 4كم. (المترجم).

[20]–وضع هوى إفطيح قبل التنقيب والآن: وجد ماكبيرني قبل البدء في التنقيب مجموعة ثماني عائلات من قبيلة الحاسة تسكن هوى إفطيح، كما وجد مجموعة من القبور البسيطة الحديثة في القسم الأول المفتوح منه، مما يدل على أن فكرة الاستيطان فيه بدأت منذ أكثر من 90.000 سنة مضت واستمرت حتى منتصف القرن الماضي، لما يمتاز به الموقع من مقومات جذب تساعد على استعماله كمقر سكني، أما الآن فهو عبارة عن حظيرة للحيوانات وتحرث المنطقة المكشوفة أمامه سنوياً وأما بعد الحفريات الأخيرة فقد اهتم به وعمل له سياج لحمايته 2007–2017. (المترجم).

راجع: Mcburney,HauaFteah (Cyrenaica) and the stone age of the southeast Medieterranean, Cambridge, 1967,P.3;

سعد بو حجر، مواقع ما قبل التاريخ في الجبل الأخضر، ص ص 142–144.

[21]–نوعية حيوانات هوى إفطيح احتوت طبقات هذا الكهف على العديد منن البقايا العظيمة التي تنوعت بتنوع الحيوانات وأجناسها، وحسب الفترة المناخية السائدة فيه، فالقائمة الحيوانية فيه تبدأ بحيوانات كبيرة برية، منها الثور الأفريقي وحمار الوحش المخطط وغنم الشمال الأفريقي والماعز وآكل النمل والتيتل والكلاب، والخيل ، وعندما صار المناخ يتغير تدريجيا نحو الدفء أخذت الحيوانات الكبيرة تختفي من الساحة وتحل محلها حيوانات المناخ الجديد، وهي صغيرة الحجم باستثناء الابقار والغنم الشمال الأفريقي والغزلان والماعز والضأن، كذلك النعام الذي اعتمد الإنسان القديم على قشوره في الزخرفة وصناعة العقود. (المترجم).

راجع: Mcburney, HauaFteah (Cyrenaica) and the stone age....., PP. 17,313–323.

[22]–يقصد بأرضية الكهف في ذلك الوقت ما يقع تحت الأرضية الحالية أو ما يسمى بالأرض العذراء أو البكر، وهي التي وضع عليها أول إنسان قدميه عندما دخل إلى الكهف واستقر فيه، وهذا يدل على كثرة الاستيطان في هذا الموقع، وكل فترة تأتي فوق التي قبلها بحيث تردم الطبقة الجديدة طبقة قديمة حتى وصلت إلى الأرضية الحالية التي بدأ ما كبيرني التنقيب فيها . (المترجم).

الوحشية والغزلان، كما قاموا بجمع ما يؤكل من المحار والقواقع البحرية من شاطئ البحر القريب[23]، أما أدواتهم الرئيسية فكانت عبارة عن أدوات مصنوعة من حجر الصوان، وهي أكثر تقدماً من تلك الصناعات التي وجدت في أوروبا في ذلك الوقت، ولقد وجدت أدوات مماثلة ثم التعرف عليها في سوريا في كهف جبرود(Jabrud)[24]، وفي منطقة لبنان (حيث برهنت الأدوات على أنها أقدم قليلاً)، والأردن وفلسطين وحديثاً في مصر، وهذا النوع من الصناعة يعرف بمصطلح ما قبل الأورجناسية(PreAurignacian)[25] ، ومن بين الأدوات التي تم العثور عليها والتي كانت شائعة الاستعمال في ذلك الوقت، تلك الأنابيب العظيمة ذات الثقوب الشبيهة بثقوب آلة الفلوت الموسيقية (Flutes)، ويوجد تشابه مشترك بين هذه الأدوات وتلك الصناعات التي تميز بها العصر الحجري الأعلى المتأخر في أوروبا[26]، (شكل 9-12 ولوحة 11).

المرحلة ب (B) :

تمتد هذه المرحلة تقريباً من 60.000 إلى 40.000 سنة مضت ، وقد تم العثور بها على أجزاء لفك أسفل لإنسان (Fragments of Mandible) استدل به على أن الشعوب التي مارست هذا النوع من صناعة الصوان تنتمي إلى جنس بشري يختلف عن شعوب اليوم، لكنه يرتبط بعلاقة بيولوجية مع مجموعة النياندرتال الأوروبي والفلسطيني واللبناني المعاصر لتلك الفترة (Neanderthloid)[27]، وصناعة الصوان التي كانت تمارس

---

[23]-اعتمد إنسان هوى إفطيح على المحار والقواقع البحرية في قوته اليومي، لأن البحر لا يبعد عنه سوى 800م، ولم تظهر على هذه القواقع آثار تصنيع أو استخدام في الطقوس الدينية أو السحرية . (المترجم).

راجع: سعد بو حجر ، مواقع ما قبل التاريخ في الجبل الأخضر، ص 145؛ محمد مصطفى بازامة، ليبيا في عصور ما قبل التاريخ، بيروت : دار صادر، 1973، ص 141.

[24]-كهف جبرود: يعود هذا الكهف إلى عصور ما قبل التاريخ، وهو يقع على بعد 25كم شمال شرق دمشق وقد عثر داخله على جانب من مخلفات هذه العصور وعلى بقايا معبد وثني جعل بعد ذلك في العصر المسيحي مكاناً للصلاة. (المترجم).

المرجع: شبكة المعلومات (الانترنت)

راجع كهف اسكفتا مدينة يبرود Wikipedia 19. 4. 2020 الساعة التاسعة مساءاً.

[25]-(PreAurgnacian) قبل الأورنياسية (الأوريجانسية): ويقصد بها الحضارة الشاتلبيرونية أو البيريجودية السفلى 21.000-28.0000 سنة (Chatelperonian or Perigordia) ، أما الأورنياسية فهي تعد في الحقيقة أولى حضارات العصر الحجري القديم الأعلى وتنسب إلى كهف Oregnioc في مقاطعة الجارون الأعلى بفرنسا، وهي تمتاز بالآلات المصنوعة من العظام ، وقد وجدت أدواتها فوق الطبقة الشاتلبيرونية من النوع الموستيري ، وفي الكتب القديمة تأتي الأورنياسية ثانياً بعد الثقافة الجرافيتية. (المترجم).

راجع : عبدالفتاح محمد وهيبة ، مصر والعالم القديم،، ص ص 104-106؛ أسامة عبدالرحمن النور وأبو بكر شلابي، تاريخ الإنسان حتى ظهور المدنيات، ص ص 580-583.

[26]-Ref.6,chapeter IV. (المرجع السادس، الفصل الرابع).

[27]-عثر خلال موسم 1952 في كهف هوى إفطيح على عمق 7.5م من السطح على أول الفكين وهو أيسر ويمثل الجزء الخلفي لفك مع امتداد تظهر في أضراس خلفية عددها اثنان، وهو يخص انثى يتراوح عمرها بين 18-21 عاماً، أما الفك الثاني فقد عثر عليه في موسم 1955، وهو يمثل قطعة صغيرة من الجزء الخلفي مع امتداد بسيط لا يحوي أسناناً، وهو لشخص يتراوح عمره بين 11.5 –

في كهف هوى إفطيح في ذلك الوقت تعرف باسم الفلوازيةالموستيرية(Levalloiso – Mousterian)[28]، وقد كانت لهذه الصناعة صلات قوية بصناعات شبيهة في السودان ومصر وغرب آسيا، وقد تميزت صناعات هذا الكهف بنسبة عالية من المخارز (Burins)[29]، والمكاشط (Scrapers) ذات النهايات الحادة[30]، وقد اقترنت هذه الصورة بتقنية الشظايا الأولية التي امتاز بها لعصر الحجري القديم الأوسط (Middle Palaeolithic)[31] .

12.5 سنة، ولكن حتى وقت قريب كان يعتقد أنه ينتمي إلى سلالة النياندرتال، الأمر الذي تغير الآن وفق الدراسات الحديثة حيث تم تصنيفه تحت النوع العاقل الذي جاء بعد إنسان النياندرتال. (المترجم).

راجع: Mcvurney, HauaFtean[Cyrenaica] and the stone age ....., PP.336-34.

[28]–الموستيرية نسبة إلى كهف Moustier في حوض الدوردوني في فرنسا، واللفلوازية نسبة إلى بلدة Le Vallois بشمال فرنسا، وظهرت هاتان الصناعتان في العصر الحجري القديم الأوسط، وقوام الصناعة يعتمد على الشظايا وليس==النواة، واشهر أدواتها المقاشط والمدببات، أما الآن فإن الصناعة الموستيرية هي ثقافة العصر الحجري القديم الأوسط،ويمثلها إنسان النياندرتال، أما اللفلوازية فهي طريقة تصنيع كما ذكر سابقاً، يقال إنها ظهرت في أواخر العصر الحجري القديم الأسفل واستمرت خلال العصور الحجرية ولم يعد يطلق عليها ثقافة . (المترجم).

راجع: عبدالفتاح محمد وهيبة، مصر والعالم القديم، ص ص 94-95.

[29]–المخارز (Burins): تعرف أحياناً باسم المناقش أو المناحت Graver وهي تنتمي إلى العصر الحجري القديم الأعلى، وأية شظية يمكن صنع منقش منها، ولابد لأي منقش أن يتوفر فيه ضلع واحد ضيق قاطع يستخدم في الحفر في المواد الصلبة، ويمكن أن يصنع من النواة أيضاً. (المترجم).

راجع: إبراهيم رزقانة، الآلات الحجرية صناعاتها وأشكالها، ص ص 70-72، سعد بوحجر ، الأدوات والآلات الحجرية في عصور ما قبل التاريخ ، ص 14.

[30]–المقاشط (Scrapers) : ينسب هذا النوع من الأدوات إلى صناعة الشظايا، وهي عبارة عن شظية فصلت عن كتلة حجر، يكون جانب منها أو أغلب جوانبها حاداً، وتستعمل لكشط الجلود واللحوم، والمقاشط من أشهر أدواتالعصر الحجري القدم الأوسط، ومن أنواعها الجانبي والمستدير والطرفي. (المترجم).

راجع: إبراهيم رزقانة، الآلات الحجرية صناعاتها وأشكالها، ص ص 74-75؛ سعد بو حجر الأدوات والآلات الحجرية في عصور ما قبل التاريخ، ص ص 12-13.

[31]–العصر الحجري القديم الأوسط: هو ثاني عصور العصر الحجري القديم الثلاثة، وقد تميز بظهور إنسان النياندرتال على وجه البسيطة، واختفاء الإنسان منتصب القامة، كما اشتهر بالأدوات الموستيرية التي أزاح عصرها عصر الاشيلية، ويعتقد أنه يرجع إلىما بين 100.000 – 40.000 سنة مضت، وهو ينفرد بصناعة الشظايا على هيأة مقاشط مثلثة ومستطيلة خاصة ذات الجانب الواحد، كذلك وجود اختلافات ثقافية بين أقاليم العالم القديم ، وقد عرف هذا النوع من البشر المقابر ليدفن موتاه، كذلك ظهرت معه البوادر الأولى للحياة الفكرية والدينية والروحية. (المترجم).

راجع: أسامة عبدالرحمن وأبو بكر شلابي ، تاريخ الإنسان حتى ظهور المدنيات، ص ص 555-564.

لقد انتهت هذه الخصوصية أخيراً وتحولتكل الصناعة والتقنية إلى جنوب البحر المتوسط حيث تؤرخ إلى فترة العصر الحجري القديم الأوسط وفي مرحلة متقدمة تحولت هذه الصناعات إلى صناعات عاطرية (عاترية) (Aterian)[32] أهمها الحراب وما يشبهها من الأدوات[33] (شكل 13-16).

---

[32]-العاترية (العتيرية) ، هي إحدى صناعات العصر الحجري القديم الأوسط المغربية الأصل، وقد استمدت اسمها من بئر العاتر في وادي الجبانة على الحدود الجزائرية – التونسية، وكشف عنها الفرنسي ريجاس(Rejas)، وأهم ما يميز أدواتها هو وجود زوائد من أسفلها، لذا تعرف بالأدوات ذات الزوائد أو الأدوات الذنبية، وأخر ما قيل عنها هو أن أدواتها موستيرية التصنيع، لكنها اختصت بوجود نهايات لم تكن معروفة من قبل، ولم تظهر إلا في الشمال الأفريقي، وهذا أول==اختلاف اقليمي في العصر الحجري القديم الوسط في أفريقيا، وقد وصلت هذه الصناعة المغربية حتى المواقع الشرقية من ليبيا حتى الواحات الخارجة في مصر. (المترجم).

راجع: حسن بكر الشريف، دراسة تاريخية لحضارة المغرب القديم أثناء العصر الحجري الحديث، ص ص 55-57؛ رشيد الناضوري، المغرب الكبير: المجلد الأول، العصور القديمة ، بيروت : دار النهضة العربية ، 1981، ص ص 99-103.

[33]-Ref. 6, Chapter V (المرجع السادس، الفصل الخامس).

المرحلة جـ (C) :

تؤرخ هذه المرحلة فيما بين 40.000 – 14.500 سنة مضت، وقد تميزت بما يعرف بحضارة الضبعة (Dabban) نسبة إلى الموقع الذي يعرف باسم كهف الضبعة المكتشف سنة 1947م[34]، وتشبه هذه الحضارة حضارة العمرونية(Eemiran) في لبنان والأردن وفلسطين[35]. وتعد هذه الحضارة من أقدم حضارات العصر الحجري القديم الأعلى (Upper Palaeolithic) التي أُرخت بواسطة الكربون 14 المشع إلى حوالي 40.000 سنة مضت، وقد ظهرت أخيراً بعض الدلائل على هذا التأريخ، وذلك باستخدام قراءات طريقة نظائر الأوكسجين التي برهنت على أن هذا الحدث قد حدث في الفترة الدفيئة الثالثة*[36]، والأدوات الاساسية لهذه المرحلة هي صناعات صوانية لا تختلف عن صناعات العصر الحجري القديم الأعلى في أوروبا[37] (شكل 17–19).

المرحلة د (D) :

تؤرخ هذه المرحلة فيما بين 14,500 – 10,000 سنة مضت، وهي تواكب نهاية حضارة الضبعة، حيث أن تغيراً مفاجئاً وجذرياً حدث في الصناعة، وذلك بكل تأكيد نتيجة لقدوم شعوب جديدة إلى المنطقة، وقد

---

[34]–كهف أو حفقة الضبع: يقع شرق ليبيا على منحدر شديد بواد فرعي يعرف بين الاهالي باسم وادي جريّب، أحد أهم روافد وادي الكوف، ينتصب هذا الموقع عالياً مواجهاً الجنوب، غرب مدينة البيضاء بحوالي 20كم، ومسة بحوالي 11 كم، وغرب الجسر الحديدي القديم الموجود بالوادي بحوالي 700م، وأسفل الجسر المعلق الحديث (جسر الكوف)، وشرق زاوية العرقوب بحوالي 16كم، عثر عليه ماكبيرني أثناء تحرياته سنة 1947، واستمر في الحفر فيه خلال عامي 47–1948، وتحصل على تسع طبقات أثرية تنتمي إلى العصر الحجري القديم الأعلى، وأشهر أدواته النصال التي صنعها والإنسان العاقل الذي حل محل إنسان النياندرتال، وأول ما عثر عليه المنقب عندما باشر التنقيب فخار روماني أكد استقراراً تاريخياً حدث في الموقع . (المترجم).

راجع: Mcburney and Hey, Prehistory and Pleistocene Geology in Cyrenaican, PP. 191–218

[35]–العمرونية(Emiran): ظهرت هذه الثقافة في بلاد الشام أي سوريا وفلسطين ولبنان، وهي تنتمي إلى ثقافات العصر الحجري القديم الأعلى، وقد تميزت بصناعة النصال التي تشبه نظائرها في كهف (حفقة الضبع)، إلا أن هذه الأخيرة كانت أكثر تقدماً وتقنية منها، حتى أن البعض يعتقد بأن الضبعانية هي أصل العمرونية. (المترجم).

راجع: طه باقر، ليبيا في التاريخ ، 1968، ص 31.

*وقد أرخت بحوالي 37.600 – 45.000 سنة من الآن . (المترجم).

[36]–Ref. 5.2,9,10. (المرجع الخامس: ص ص2، 9، 10)، الفترة الدفيئة الثالثة: هذه الفترة في أوروبا هي الفترة ريس ورم أي تلك الفترة الواقعة بين فترة الجليد ريس الثالثة وفترة الجليد الرابعة والأخيرة ورم.

[37]–Ref.6, chapter VI. (المرجع السادس، الفصل السادس).

العصر الحجري القديم الأعلى في أوروبا، وأشهر ثقافاته خاصة في جنوب غرب فرنسا هي على النحو التالي:=

= الشاتلبيرونية (البيريجودية السفلى) 32,000 – 28,000 سنة

الأورنياسية 28,000 – 22,000 سنة

الجرافيتنية 22,000 – 18,000 سنة

المجدولية 15,000 – 8,000 سنة

ولقد تطور الفن الصخري في أواخر هذاالعصر بدرجة كبيرة . (المترجم).

راجع: عبد الفتاح محمد وهيبة، مصر والعالم القديم، ص ص 99–108.

عرفت الصناعة الجديدة باسم الأيبروموريزية أو الوهرانية[38](Ibero–Maurusien) (Oranian)، وقد اكتشفها الفرنسيون في المغرب[39]، وقد عرفت الصناعة الوهرانية في الجزائر منذ 13,000 سنة مضت حيث دلت الدراسات على أن المجموعة البشرية التي ارتبطت بهذه الصناعة بأصولها اللاأفريقية، وقد أثبتت أغلب النتائج التي تم الحصول عليها من مصر احتمالية أن يكون الجنس البشري صانع هذه الثقافة خليطاً من الوافدين من الجزيرة العربية أوالعراق والأردن وسكان أفريقيا الأصليين ، كما يمكن القول أيضاً بأن صانعي الحضارة الوهرانية الليبية[40] (الوهرانية الشرقية) هم نتائج الفرع المصري لحضارة الضبعة المتأخرة.

---

[38]–يرجع أصل تسمية الصناعة الأيبروموريزية إلى الباحث بالرى(Pallary) الذي أراد تمييز سمتها الصناعية الجديدة معتقداً وجود علاقات محددة بين هذه الصناعات الأفريقية وبعض الصناعات في جنوب أسابينا، علماً بأن هذه الصناعة قد ظهرت على الساحل المغربي بعد الحضارة القفصية التي ظهرت في مدينة قفصة التونسية، والصناعة الأيبروموريزيةالتي تفتقر ببصفة عامة للشكل النموذجي، أما آخر تسميات هذه الصناعة فهي الصناعة الوهرانية نسبة لمدينة وهران الشمالية التي عثر فيها على أهم أدوات هذه الصناعة، ويرجع الفضل في هذه التسمية إلى الباحث الفرنسي فوفري (Vaufrey) وإضافة لعدم وجود شكل نموذجي لأدواتها فإنها تتميز بصغر أحجامها، وتتراوح أطولها ما بين 3–7 سم . (المترجم).

راجع: طه باقر، ليبيا في التاريخ، 1968، ص ص 33–34.

[39]–Ref. 6, Chapter VII. (المرجع السادس، الفصل السابع).

[40]–الوهرانية الليبية (الوهرانية الشرقية): والمقصود هنا أن هناك حضارة وهرانية تحمل سمات مغربية عثر عليها في ليبيا، أي أنها خليط من الليبية والوهرانية ، أما مصطلح الوهرانية الشرقية فهو للتفريق بينها وبين الوهرانية الغربية الموجودة في الجزائر وتونس والمغرب. المترجم.

راجع: محمد مصطفى بازامه، ليبا في عصور ما قبل التاريخ ، ص ص 147–148.

المرحلة هـ (E) :

بدأت هذه المرحلة منذ 10,000 إلى 7,000 سنة قبل الآن[41] ، ويمكن استنتاجتغير في الجنس البشري في هذه الفترة من خلال تغير جذري في الثقافة المادية التي حددت ظهور النوع الليبي من الثقافات، والمعروفة باسم الثقافة القفصية[42]، وقد دلت الدراسات الحديثة التي أجريت على المقابر للنوع المغربي على انتمائها (باستثناء احتمال وحيد عن طريق المصادفة في موقع مشتى العربي في تونس)[43] إلى جنس البحر الابيض المتوسط، كما يمكن أن يشير كلا النوعين (الليبي والمغربي) إلى أن هناك هجرة قد تأصلت جذورها إما من الشواطئ الشمالية أو الجنوبية الغربية للبحر المتوسط، وقد تم تأييد النظرية سالفة الذكر من قبل البروفسور فوفري (Vafrey) من خلال نتائج أعماله العظيمة التي توصل إليها في المغرب ، كذلك ما توصلت إليه أنا شخصياً من نتائج في موقع هوى إفطيح تؤيد هذه النظرية ، ولا يدل ما توصلنا إليه عن ما أسميته (بالحضارة القفصية الليبية)[44] على أنه يمكن أن تكون هذه الحضارة متأخرة قليلاً عن الحضارة القفصية في المغرب فحسب ، بل

---

[41]–المقصود بمصطلح قبل الآن أي قبل تاريخ 1952م، وبذلك يكون هذا التأريخ مختلفاً كلياً عن قبل الميلاد والميلادي وقبل التاريخ، خاصة بعد استعمال طريقة الكربون المشع في هذا التاريخ. (المترجم).

[42]–القفصية: الحضارة القفصية(Capsien) نسبة إلى المدينة الرومانية القديمة (Capsa) في تونس ، وهي حالياً مدينة قفصة (Gafsa)، ويرجع الفضل في تحديد سمتها الصناعية إلى دومورغان(J. de Morgon) في كتابة "Les premeresCeiVili" 1909 معتمداً على المادة الأثرية من موقع المقطع (El mekta) قريباً من قفصة التي عاد وقسمها إلى مرحلتين: القفصية القديمة أو الصميمة والقفصة العليا، وعدها النظير الأفريقي للأوريناسية الأوربية، ويعد الموقع النموذجي للقفصية هو ما يعرف بحقل الحلزون (L'esca) وأخذ اسماً محلياً وهو الرماديات (Rammadyat) من الكلمة العربية رماد، وهي عبارة عن تراكمات من الرماد وقطع الحجارة التي عثر عليها من آثار احتراق شديد مع بقايا الأطعمة مختلطة ببقايا الصناعات، وأهم ما يميز هذا الخليط الكمية الكبيرة من أصداف الحلزون، ومن أهم أدوات هذه الصناعة الشفرات (Lames). (المترجم).

راجع: طه باقر، ليبيا في التاريخ، 1968، ص ص 32–33؛ حسن بكر الشريف، دراسة تاريخية لحضارة المغرب القديم أثناء العصر الحجري الحديث، ص ص 64–73.

[43]–موقع مشتى العربي: يوجد في تونس، وعُثر فيه على بقايا عظمية بشرية تنسب إلى الإنسان الحديث (العصر الحجري القديم الأعلى)، ويوجد في أوروبا من أمثلة هذا الإنسان الكرومنيون ويندرجون تحت ما يعرف (Homo Sapeins)، ولكن جمجمة مشتى العربي أكثر ارتفاعاً من الكرومانين ، وذات محيط خماسي وتجويف أنفي مستعرض وفك سفلي قوي، وقد تمت معرفة هذا جيداً بفضل أبحاث أرمبورج(Aramborg) . (المترجم).

راجع: حسن بكر الشريف، دراسة تاريخية لحضارة المغرب القديم أثناء العصر الحجري الحديث، ص ص 182–183؛

ـــــــــــــ، عصور ما قبل التاريخ، جـ 1، الإسكندرية، 1998، ص 312؛ رشيد الناضوري ، المغرب الكبير، المجلد الأول ، ص ص 62–63.

[44]–القفصية الليبية: المقصود بهذا المصطلح هو أن الحضارة الموجودة في ليبيا فيما بين 10,000–7,000 سنة قبل الآن إنما هي حضارة ليبية قفصية مشتركة، أو مزيج جاء نتيجة تفاعل الليبيين مع المهاجرين من قفصة، فتكون ما يعرف بالقصية الليبية . (المترجم).

وفي أخر حفريات أجريت في موقع أبو تمسة ما بين 2006–2007 في مدينة سوسة بالقرب كهف هوى افطيح من قبل البعثة الفرنسية، ثم نفي كثير من المعلومات القديمة التي أوردها ماكبيرني منخلال حفرياته في الموقع الأخير منها وجود الحضارة القفصية في الجبل الأخضر وتأثيرها على الصناعات الحجرية بالمنطقة المدروسة حيث أثبتت الأدلة الحديثة أن جماعات أبو تسمة وهوى

يدل أيضاً على تشابه كبير بينها وبين ما يسمى الجرافيتية المتأخرة (Epi-Gravettian)[45] في إيطاليا وصقلية وجزيرة ليفنزو، فإذا كان القفصيون قد أتوا من تلك البقعة من الأرض فمن المؤكد أنهم قد عبروا خليج سرت ووصلوا إلى إقليم قورينائية في الوقت الذي حدث فيه تطور ثقافي تأثر به أبناء عمومتهم في تونس ، وهذا احتمال واقعي (حسب رأيي)، وهو مدعم أيضاً بالعديد من الأدلة المتعلقة بتشابه الفن والرسم الهندسي الصخري الذي وجد في كلا المنطقتين[46]، والتطور الذي حدث في الأدوات الحجرية كان نتيجة مواد خاصة استخدمت في الصناعة خاصة في منطقة قفصة كما وضح البروفيسور فوفري(Vaufrey).

وتحديد الاستيطان الساحلي في المنطقة يصعب تمييزه عن الاستيطان الوهراني المتأخر، والدليل الآخر لهذه النظرية يتجسد في أن القفصيين قد تفرعوا من شعوب غرب آسيا حيث ظهرت حضارات كيباران (Kebaran)[47]، واسكيفتيان(Skiftian)[48]، وخلافهما ، وإلى أن تتوفر تواريخ أخرى بواسطة الكربون 14 يصعب اختيار الصواب من هذين الاحتمالين البديلين (شكل 19)، وفيما يخص أصول هذه الحضارة ظهر احتمال آخر يخص أهمية الثقافة القفصية في قورينائية والمغرب، كما أن هناك دليلاً يؤيد الاستمرارية بين هذه المجموعة التي امتهنت الصيد وتلك التي امتهنت مهنة الرعاة الأوائل ولم تؤثر هذه الاستمرارية في الصناعات الحجرية فحسب بل في الفن التمثيلي (Representational-rat)[49] لعادات وتقاليد الليبيين القدماء في الألف

افطيح قد نشأت وتطورت في بيئة معينة وقد كيفت أدواتها وفقاً لاحتياجاتها وبناء هويتها الثقافية، وأن العصر الحجري الحديث في الجبل الأخضر أقدم مما هو في المغرب الشرقي (تونس).

راجع: محمد مصطفى بازامة، ليبيا في عصور ما قبل التاريخ، 1973، ص ص 148-152؛ سعد بوحجر، مواقع ما قبل التاريخ في الجبل الأخضر، ص ص 147-148؛

Elodie de Faucamberge, lesitene'olithiqued'AbouTamsa (cyre'nauque, Libya), 75014 Paris, Riveneuvee'ditions, 2014, p.106.

[45]-Epi: إضافي – فوق- أمامي- تالٍ- خارجي: والمقصود بها هنا الفترة المتأخرة من الحضارات الجرافيتية، وقد تعني البدايات الأولى لحضارة جديدة تأتي بعد الجرافيتية، لكنها غير واضحة المعالم، أو أن الجرافيتية ما زالت ممتدة فيها ومسيطرة عليها، أو أن الجرافيتية امتدت كثيراً في الفترة الجديدة، والجرافيتية (البيرجوردية العليا)، ترجع إلى ما بين 22,000 – 18,000 سنة، وهي تأتي في الترتيب الثالث في قائمة حضارات العصر الحجري القديم الأعلى بعد الشاتلبرونية، والأورنياسية، وقد عاش أصحاب هذه الحضارة في نطاق يبدأ من جنوب روسيا إلى وسط أوروبا حتى أسبانيا وفرنسا ، ويقال إن هذه الحضارة والأوريناسية شعبتان متخصصتان ترجعان لأصل واحد، ومن أشهر أدوات الجرافيتية الشظايا والأزاميل والنصال المصنوعة من الشظايا وليس من النواة (اللب).المترجم .

راجع : عبد الفتاح محمد وهيبة، مصر والعالم القديم، ص ص 04-108؛ أسامة عبد الرحمن وأبو بكر شلابي، تاريخ الإنسان حتى ظهور المدنيات، ص ص 580-585.

[46]-Ref.6, chapter VII . (المرجع السادس، الفصل الثامن).

[47]-كيباران : نسبة إلى مغارة كبارة في فلسطين وقد انتشرت حتى شبه جزيرة سيناء وهذه الثقافة تنتمي إلى العصر الحجري القديم الأعلى المتأخر أو ما يعرف باسم (EpiPalaeolethic) وتنفرد بصناعة النصال.

[48]-اسكيفتيان: تشمل إحدى ثقافات منطقة الشام حيث تتركز في فلسطين، بشكل واضح وهي تنتمي إلى العصر الحجري القديم الأعلى أشهر أدواتها النصال المظهرة، ويقال بأن بعثة يابانية قامت بالكشف عن هذا الموقع وأطلقت هذه التسمية.

[49]-الفن التمثيلي: هو الفن التصويري أو فن صنع التماثيل، (قاموس المورد).

الثالث والثاني ق.م أيضاً، ومن المحتمل أن تكون المجموعة الأخيرة قد تحدثت بعض اللغات كالحامية أو البربرية[50] التي مازال يتحدث بها بعض سكان المغرب وواحة سيوة كذلك.

ومن هذه الدراسة يتضح أنه من المحتمل أن تكون المجموعة الليبية– القفصية، وأقاربهم من المغرب هم الأحفاد المباشرون لمجموعة سكانية هامة في شمال أفريقيا هم الليبيون الأوائل بكل ما يحمل هذا المصطلح من معنى.

المرحلة و(F) :

منذ 7,000 سنة مضت قبل الآن تغيرت حياة اللبيين القدماء، وتمت معرفة هذا التغير من خلال الأدلة الأثرية التي تم الحصول عليها في هوى إفطيح وفي مجموعة من الكهوف التي كشف عنها ف. موري(Mori)[51] في فزان حيث عثر على بقايا حيواناتٍ مستأنسة عندما أصبح البشر رعاة بعد أن كانوا صيادين، وقد تم العثور على بقايا الأغنام في قورينائية وعلى بقايا الأبقار في فزان[52]، وقد ظهرت الأدلة الأولى للأبقار في مصر في

50–اللغات البربرية: يقصد بها اللغات واللهجات الليبية القديمة التي كان سكان شمال أفريقيا القدماء يتكلمونها قبل مجيء الإغريق والفنيقيين ومن بعدهم الرومان وأخيراً العرب، وتكثر هذه اللغات في جنوب تونس وليبيا والجزائر والمغرب، مع وجود بعض الاختلافات بينها، لكنها في الأصل هي لغة الليبيين القدماء، وقد كتب عنها أوربك بتسBatesفصلاً رائعاً في كتابة (الليبيون الشرقيون)، وهي تعرف بلغات الأمازيغ (الأحرار). (المترجم).

راجع: Bates, Eastern Libyans (Macmillan, London, 1914)

ويعتبر هذا الكتاب من أهم ما كتب عن الليبيين فهو أساس أي دراسة حول هذا الموضوع وقد صدرت له ترجمة بالعربية عام 2015.

51–موري Mori: هو عالم آثار إيطالي الجنسية قدم إلى منطقة الأكاكوس في جنوب غرب ليبيا، شرق منطقة غات في حوالي 1955، ويعد مكتشف الفن الصخري فيها، واستمر يبحث وينقب حتى منتصف التسعينات من القرن الماضي، ويرجع له الفضل في تقسيم الفن الصخري إلى خمس مراحل معتمداً في ذلك على التقنيات الحديثة، إضافة إلى اكتشافهفي أواخر القرن الماضي مومياء لطفلة زنجية يرجع عمرها إلى أكثر من 5500 سنة مضت، وهي موجودة في متحف السرايا بطرابلس، كذلك عثر على بقايا لهيكل عظمي بشري آخر، ومازالت بعثته هناك تعمل في هذه المنطقة حتى هذا الوقت . (المترجم).

لمزيد من المعلومات راجع:

Mori, fabrizio, Tadrart Acacus, arte rupester del saharapresitorico, Enaudi, Torino,1965;

فابريتشيو موري، تادرارت أكاكوس،(ت).عمر الباروني، فؤاد الكعبازي، طرابلس: مركز الجهاد، 1988، ص ص 13–18؛

52–على الرغم من العثور على عظام الأبقار ضمن طبقات مواقع الجبل الأخضر المشهورة، كذلك نقوشها على جدران كهوفه إلا أنها لم تكون مستأنسة على العكس من منطقة فزان التي استؤنس فيها البقر وخلد الفنان فيها هذا الموضوع على جدران الكهوف والملاجئ وأسطح الصخور، حتى عرفت هذه المرحلة بمرحلة البقر المتميزة بقوة التعبير فيها وتنوع أساليبها الفنية وتطرقها إلى الحياة الاجتماعية بكافة جوانبها . (المترجم).

واعتماداً على التأريخ بالكربون المشع (C14) الذي طبق في كهف أبو تمسة تأكد على أقدمية تدجين الماعز والأغنام في الجبل الأخضر في النصف الأول من الألفية السادسة ق.م وهي أقدم من ذلك حيث تتزامن مع بداية انتاج الفخار في النصف الثاني من الألفية السابعة ق.م

للمزيد من المعلومات راجع: موري، تادرارت أكاكوس، ص ص 206–247؛

الوقت نفسه ، إلى جانب هذا ظهرت تغيرات واختراعات جديدة شملت صناعة الفخار ورؤوس السهام والفؤوس الحجرية المصقولة في المنطقتين[53]، كذلك ظهرت اختلافات إقليمية كجزء من الاختلافات في امتهان حرفة الرعي والفن الصخري وصناعة رؤوس السهام، وصناعة الفخار، ويمكن القول بأن استئناس الماعز ومعرفة الفخار وصلا إلى ليبيا من مصر، لكن أصل استئناس الأبقار ومسألة النمط الفني في منطقة فزان مسألة أخرى تحتاج إلى المزيد من البحث والدراسة، ولقد تم إجراء أعمال هامة في منطقة فزان –الأولى– قام بإجرائها البروفسور جرزيوزي (Graiosi)، والأخيرة أجراها موري (Mori) حيث قام هذان الباحثان بدراسات على مواقع الفن الصخري المنقوش والملون، وقد قام الباحث الأخير بمساهمات كبيرة في تأريخ أنماط الفن الصخري[54] في الكهوف ذا التوضعات الأثرية، وخير مثال على ذلك هو موقع يعرف باسم وان (موهجج) [55] بالقرب من غات، وفي هذه المواقع المؤرخة تم معرفة تاريخ وصول الرعاة الأوائل إلى هذه المنطقة، وكان حوالي 5,000 ق.م، ولكن قبل هذه الفترة كان الشق الأخير من الصيادين يمارس هذا الفن الصخري[56].

Eiodie de Faucamberge, Le sitenoe'olithique ……, p.p.106-108.

[53]–يعد الفخار من أهم اختراعات العصر الحجري الحديث لحاجة أصحابه لتخزين الفائض من الإنتاج الزراعي ، كذلك لعملية الطهي، أما رؤوس السهام فإنها تعني صغر حجم الحيوانات المصطادة من ناحية وسهولة نقلها من ناحية أخرى، وقد تعددت أشكالها وأحجامها وذلك حسب استعمالها، والفؤوس الحجرية المصقولة انفرد بها هذا العصر، لكنها جاءت بشكل مسماري مفلطح، وهي صغيرة الحجم نوعاً ما، لكي تناسب مع طبيعة المجتمع الجديد المعتمد على الزراعة والرعي. (المترجم).

وقد أرخ فخار أبو تمسة إلى النصف الثاني من الألفية السابعة ق.م مما يؤكد وجود انتاج منزلي قديم مستقل للفخار في الجبل الأخضر. =

= راجع: رشيد الناضوري، المغرب الكبير، مجلد ا، ص ص 125-133؛

E'lodie de Faucamberge, Le site ne'olithique……, p.p. 107-108.

[54]–حديث مع موري (Mori)أثناء مشاركتي (1988-1990) مع فريق العمل الذي يرأسه في منطقة الأكاكوس لمدة ثلاث سنوات أكد أن أجمل فن في الأكاكوس محلى النشأة والموضوعات، وخير دليل على ذلك هو وجود الفن الصخري في هذه المنطقة مكتملاً بداءاً من مرحلة الحيوانات الكبيرة (المفترسة والبرية) عندما كان المناخ غير مناخ اليوم، ثم مرحلة الرؤوس المستديرة مروراً بمرحلة البقر ومرحلة الأحصنة، وأخيراً مرحلة الجمال التي تعني التصحر والجفاف. (المترجم).

[55]–وأن موهجاج: (مكان الحجاج في لغة الطوارق يقع هذا الموقع المشهور في وادي تشوينت أحد أشهر مناطق الفن الصخري في الأكاكوس، ويقسمه موري حسب أعمال الفن الصخري فيه، خاصة الرسومات الملونة إلى ست مناطق، ووان موهجاج عبارة عن ملجأ صخري تكون بفعل عوامل التعرية عند نهاية وادي تشوينت في سهل واسع، وطول هذا الملجأ 60م، وعمقه 12م، وهو يوفر حماية ممتازة ضد الأمطار، وسطحه منخفض عن سطح الوادي المشرف عليه بحوالي 2,80م، وفي واجهة هذا الموقع يلاحظ وجود سلسلة من الكتل الحجرية المنهارة التي تشكل ما يشبه درابزين غير منتظم، وقد عثر فيه سنة 1959 على مومياء صغيرة ، كذلك على بقايا هيكل عظمي بشري مؤخراً، إضافة إلى الرسومات والصناعات الحجرية والبقايا الحيوانية المختلفة، كذلك الكسر الفخارية. (المترجم).

راجع: موري، تادرارت أكاكوس، ص ص 174-176، 196، 199، 213.

[56]–هو عبارة عن تلك النقوش والرسومات الملونة التي تزين جدران الكهوف والملاجئ الصخرية وأسطح الصخور المبعثرة في أرجاء الصحراء الكبرى، خاصة في الجزائر وليبيا، وتعد النقوش أقدم منالرسومات وذلك لسهولة تنفيذها وعدم احتياجها إلي معرفة الألوان

وعلى ضوء نتائج هذه الأعمال أرى أن معظم المواقع التي عثر فيها على فن تجريدي وغائر في فزان وفي الشمال وفي الموقع الذي اكتشف مؤخراً في وادي جراجا[57](Graa) يجوز تأريخها إلى الفترة القفصية وليس العصر الحجري الحديث ، كذلك لم تؤرخ بالتحديد الفترة الانتقالية من الجرافيتية المتأخرة إلى العصر الحجري الحديث في جنوب إيطاليا أو صقلية.

وقد اتضح أن استئناس البقر ومعرفة الفخار قد جاء إلى كريت والجزر اليونانية مبكراً قبل 8,000 سنة مضت، ومن المحتمل أن تكون هناك هجرات لهؤلاء المزارعين من إيطاليا عن طريق أسلاف القفصيين جنوباً إلى تونس، ومن ثم انتشروا إلى منطقة فزان[58]، وفي جميع الأحوال فإن كل الأدلة تشير إلى أن الضأن والأبقار لم يتماستهجانهما من حيوانات محلية في شمال أفريقيا[59]، وقد بدأ تشابه واضح في النصف الثاني من العصر

وتراكيبها، وتعد منطقة الأكاكوس ووادي متخندوش وأعمال جبال بن غنيمة والهروج وجبل العوينات من أشهر مناطق الفن الصخري في ليبيا. (المترجم).

راجع: عبد الكريم عبد الله، فنون الإنسان القديم، بغداد، 1973، ص ص 35–62.

[57]–الموقع الفني في وادي جراجا:على الأرجح أن الموقع المقصود هو حقفةالمقرنات (حقفة سعيد بوعاشور) كما هو معروف بين السكان المحليين وهو يقع شمال غرب شحات بحوالي 4كم على الضفة الغربية لوادي ملجة قبل التقائه بوادي جراجا (قراقة) بمسافة 250م تقريباً، والكهف عبارة عن تجويف كبير شبه دائري أبعاده 10.23م × 12.65م، واتساع فتحته 10.58م وارتفاعها 8.20م، وفي منتصف عام 1964م اكتشف هذا الموقع من قبل المواطنين الذين أبلغوا باراديس الإيطالي الذي زاره أكثر من مرة وأعد حوله دراسة ميدانية علق عليها ما كبيرني، خاصة ما يتعلق بتاريخ أعمال الفن المتمثلة في النقوش، واقتصرت أعمال الفن هذه على ثلاث مجموعات تمثل موضوعاً واحداً متجانساً يتمثل في مشهد لحيوانات مختلفة أنواعها، هي الابقار والودان والثيران، وكانت السيطرة فيها من حيث العدد للأبقار ، وتخلو الأعمال من أي مشاهد بشرية أو اجتماعية أو حيوانات مفترسة، ونظراً لاختفاء نقوش الحيوانات الكبيرة من أسود وفيلة وحمار وحش ونعام وزرف، التي كان بعضها يعيش في المنطقة في أعمال الكهف فيبدو أن أعماله الفنية قد تكون متأخرة زمنياً. (المترجم).

راجع: صالح ونيس عبدالنبي، "نقوش وادي الكوف"، النقائش والرسوم الصخرية في الوطن العربي، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة،1997م، ص ص 269–271؛ سعد عبدالله بوحجر، مواقع ما قبل التاريخ في الجبل الأخضر، ص ص 133–141؛ داود حلاق، أوشاز الأسلاف، بنغازي: مطابع الثورة، 1989، ص 21.

[58]–لماذا لا تكون عملية الانتشار قد بدأت من مناطق الصحراء نحو الشمال بعد أنجفت وأصبحت منطقة طرد لا جذب وكذلك نحو مصابات الوديان وقرب الواحات والعيون والبحيرات، خاصةً وقد اكتشفت فيها دلائل الاستيطان والاستقرار منذ فترات قديمة جدا ترجع إلى الثقافة الحصوية منذ أكثر من مليون سنة ؟. (المترجم).

[59]–الأبقار والماعز وعملية الاستئناس في شمال أفريقيا: إن العثور على بقايا عظيمة للأبقار البرية والماعز في العديد من المواقع الليبية خاصة في مواقع الجبل الأخضر (هوي إفطيح وحقفة الضبع وحقفة الطيرة)، كذلك العثور على نقوش لها، وهي برية في العوينات التي بدورها تمثل دور الصيد، وفي بعض المواقع الأثرية الأخرى، ثم الظهور الجديد لهذه الأبقار أيضاً في الفن الصخري وهي مستأنسة في الأكاكوس والعوينات وبزيمة، إضافة للعثور على عظامها التي دلت على أنها في حالة الاستئناس، من هذا نعتقد بوجود فترتين، الأولى كانت الأبقار فيها برية، والأخرى كانت الأبقار فيها مستأنسة، مع وجود تخصص كبير حتى الآن في كثير من الأقطار الأفريقية (خاصة السودان) في تربية الأبقار حيث==وجدت قبائل عرفت باسم البقارة وعلاقتها مع الأبقار مستمرة حتى الآن، كما أن منطقة شمال أفريقيا قد تكون إحدى مناطق استئناس الأبقار في العالم القديم.

الحجري الحديث (ما بين 5,000- 6,000 سنة مضت) بين حضارتي قورينائية والمغربوخاصة في الفن الصخري والصناعات الحجرية وأنماط الفخار، بالإضافة إلى ذلك كان هناك تشابه في تسريحة الشعر والملابس بين منطقتي فزان والمغرب[60].

خلاصة القول: يمكن القول بأن ليبيا شاركت بعض البلدان الأفريقية في العثور على أدلة لظهور الإنسان الأول[61]، كما أن قورينائية قد سكنتها منذ حوالي 90,000 سنة مضت أعداد كبيرة من مجموعات صيادي العصر الحجري القديم الذين امتازوا بتقنيات عالية في الصناعة الحجرية في ذلك الوقت، وقد استوطنت مجموعات بشرية جديدة هذه المنطقة قبل أن يحدث تطور مماثل في الثقافة في شرق وجنوب غرب أوروبا، ربما كانت هذه المجموعات التي استوطنت برقة ذات أصول مصرية أو سورية[62]، وربما عرفت التقنيات الجديدة من

وكذلك اهتمام سكان منطقة الجبل الأخضر بالأبقار حتى يومنا هذا وما تلعبه من دور مهم في ثقافتهم. (المترجم).

[60]-إن هذا التشابه راجع إلى وحدة الجنس والأصل، إضافة إلى كونهم يعيشون في بيئة واحدة ، وإن وجدت فيها اختلافات بسيطة، وهذا ربما يرجع إلى كبر مساحة المنطقة وعمليات التأثير والتأثر مع الجيران ، ووجود فوارق محلية بين أجزائها، فعدم وجود حواجز طبيعية كبيرة تقف حاجزاً في وجه عملية الانتقال جعل حركة السكان في أرجاء الصحراء الكبرى أمراً سهلاً، وما التشابه بين أعمال الفن الصخري في تاسيلي بالجزائر والأكاكوس في ذلك القرص بين قرون الأبقار والأغنام إلا دليل على ذلك ، وما التشابه في الأشكال البشرية بين منطقة تيبستي وواحة بزيمة وجبال العوينات إلا دليل آخر على هذه الوحدة. (المترجم).

راجع: Van Noten, Rock Art of Jebel Uweinat, Austria 1978, Anglo Pesce, "Prehistoric Carvings of the Jebel Bzema in southern Cyrenaica", Libya Antiqua, Vol. V, 1968;

Willam H., Geology, Archaeology and Prehistory of the southwestern Fezzan, Italy, 1969.

[61]-دلائل ظهور الإنسان الأول في ليبيا: وإن اختفت عظامه ولم يُعثر عليها حتى الآن، وهذا ربما يرجع لصعوبة الاحتفاظ بها في باطن الأرض، أو قلة الحفريات التي اقتصرت على مناطق معينة من ليبيا ولم تشملها كلها ، إلا أن هذا لم يحرم ليبيا من آثاره المتمثلة في مجموعة الأدوات الحصوية (Pebble Culture) الخاصة بمنطقة بئر الدوفاني، كذلك مجموعة الفؤوس الحجرية السبعة في توكرة وفي وادي الآجال وبئر الحرش قرب الكفرة وفؤوس جبل أركنو جنوب شرق الكفرة، وقد يأتي المستقبل بما هو أفضل من ذلك . (المترجم).

راجع: Mcburney, Prehistory and Pleistocene Geology....., PP.172-173;

محمد مصطفى بازامة، ليبيا في عصور ما قبل التاريخ، ص ص 129-142؛ سعد بو حجر مواقع ما قبل التاريخ في الجبل الأخضر ، ص ص 178-181.

[62]-إن استخدام كلمة ربما كانت ذات أصول مصرية أو سورية يجعل الموضوع مفتوحاً ومقروناً بنتائج حفريات جديدة قد تغير هذا الرأي خاصة وأن عملية الاستيطان في ليبيا بدأت منذ أكثر من مليون عام واستمرت حتى الآن، وما نتائج حفريات هوي إفطيح وحقفة الضبعة وحقفة الطيرة وسيدي كريم القرباع وقصة مراحل الفن الصخري في الأكاكوس،= =وأعمال الفن الصخري في العوينات وجبال بن غنيمة ، ووادي متخندوش إلا دليل كاف على ذلك، ولكن هذا لا يعني حدوث هجرات ونزوح منها في فترات معينة ثم الرجوع إليها كما حدث مع القبائل الليبية عندما استوطنت مصر قبل 631ق.م، وأصبحت مستعمرة إغريقية مزدهرة، كذلك ينطبق القول على الفنيقين في الغرب، ولا ننسى حضارة الجرامنت في الجنوب ومواقع الفن الصخري في بزيمة والكفرة وتيبستي والجبل الأخضر ومزدة وترهونة والهروج السود والبيض والجغبوب، ومناطق أمساك مرزق والجنوب وغدامس ودرج . (المترجم).

أوروبا عن طريق شرق المتوسط وهناك احتمال لنزوح وهجرة الصيادين من صقلية قبل حوالي 10,000 سنة مضت أيضاً[63]، وفي حوالي 7,000 ق.م تبع هؤلاء القوم الرعاة الأوائل خاصة رعاة البقر.

ويمكن القول بأن جميع سكان ليبيا منذ حوالي 100,000 سنة مضت كانوا صيادين، رعاة، فنانين طبيعيين، اشتركوا في العادات والدم مع سكان مصر والمغرب، وجزء قليل منهم اشترك في العادات والدم مع شعوب أواسط أفريقيا[64]، وقد دلت الدراسات على أن شعوب ليبيا القديمة كانت لهم صلات ثقافية مع الجزر التي تقع شمال البحر المتوسط[65] .

63–إن الرأي القائل بأن كل شيء قادم من أوروبا أصبح أمراً مشكوكاً فيه خاصةً فيما يتعلق برعاة البقر، لأن وجود مرحلة من أهم مراحل الفن الصخري الصحراوي عرفت باسم مرحلة البقر في الأكاكوس، كذلك وجود مرحلة الرعي المختلط بين البقر والماعز في العوينات ، ومرحلة البقر المتأخرة في بزيمة، وأبقار حقفة المقرنات ورأس الجمل، وأبقار وادي زازا في الجبل الأخضر، إضافةً إلى البقايا العظيمة التي تمثل هذه النوعية من الحيوانات في هوي إفطيح وحقفة الضبع وفي حفريات موري في جبال الأكاكوس ، كلها مؤشرات قد تعني أن أصحاب هذه الحضارة سكان محليون، ويجب التذكير هنا بأن البعثات الأوروبية عندما بدأت العمل في ليبيا كان من أهم أفكارها أن كل شيء انطلق من أوروبا واتجه جنوباً نحو القارة الأفريقية، لكن اكتشاف أقدم الهياكل البشرية في أفريقيا، والعثور على أقدم التقنيات الحجرية وصناعة الفخار فيها، كل ذلك جعل الآراء تتجه ألان إلى أن أفريقيا مهد الحضارات . (المترجم).
راجع: موري، تادرارت أكاكوس، ص 247، سعد بوحجر، مواقع ما قبل التاريخ في الجبل الأخضر، ص ص 164–169؛ محمد مصطفى بازمة، ليبيا في عصور ما قبل التاريخ، ص ص 164–177؛
F.V.Noten, Rock Art of Jebel Uweinat, PP. 20–22;
A Desio, "I L Tebesti Nord–Orientaie", IL Sahara Italiano,Roma.PP. 128–160.

64–هناك دلائل عثر عليها في ليبيا والمناطق المجاورة لها، كذلك في بعض الأقطار الأفريقية تؤكد اشتراك سكان هذاالقطر الأفريقي مع سكان بعض الأقطار الأفريقية الأخرى في كثير من العادات والتقاليد والتقنيات الحجرية منها على سبيل المثال:

- التشابه بين تقنية ما قبل الأوريجانسية في ليبيا (80,000–65,000) وتقنية أخرى وجدت في جنوب أفريقيا ترجع للفترة نفسها، كذلك أن نصالها متوازية الأضلاع المضروبة من مادة الصوان عثر على نظائر لها في مصر، وفي لبنان وسوريا وفلسطين أيضاً.
- العثور على الأدوات العترية في مواقع عديدة من ليبيا.
- وصول التأثيرات القفصية والوهرانية إلى الأجزاء الشرقية من ليبيا .
- العثور على ما يشير إلى وجود نوع من الاتصال بين الليبيين والمصريين في فترات ما قبل الأسرات والدولة القديمة.
- اتصال سكان هوى إفطيح بالحضارات المصرية خاصة مرميدة غرب الدلتا والفيوم.=

= – العثور في خور موسى في النوبة السفلي (السودان) على صناعات حجرية من نوع الأدوات الضبعانية المؤرخة بحوالي 35,000 سنة مضت في كهف الضبع في الجبل الأخضر.

- وصول الصناعة الوهرانية الشرقية في الجبل الأخضر إلى الواحات المصرية الغربية خاصةً الواحات الخارجة.
- وجود تأثيرات مغربية على فخار هوى إفطيح، كذلك التأثيرات المصرية التي يمكن تأريخها بحوالي سنة 5,000 ق.م.
- اشتراك بعض المواقع الليبية مع مواقع مغربية في العديد من الأساليب الفنية والمواضيع التي تحدث عنها الفنان الليبي عند تنفيذه لأعمال الفن الصخري على جدران الكهوف والملاجئ وأسطح الصخور.

ومما تقدم يتضح أن المواقع الليبية كانت محطة لانتقال كثير من التأثيرات من المغرب إلى المشرق، ومن الشرق إلى الغرب، وأنها استقبلت كثير من التأثيرات من فلسطين ولبنان وسوريا وأوروبا، وفي هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن ثقافة كهف الضبع قد وصلت حتى جنوب شرق الجزائر وتونس، واشتراك المواقع الليبية في حرفة الرعي مع نظارها في المغرب العربي، كذلك وجود وجه الشبه الكبير بين فخار الفيوم أ، وفخار هوى إفطيح، وبين رؤوس السهام أيضاً، وقد تكون هذه الأدلة كافية لتبرهن على الوحدة البشرية في الشمال الإفريقي. (المترجم).

ووفق ما قدمه موقع أبو تمسة من نتائج منها ارتباط منطقة الجبل الأخضر بالحضارة المصرية في كثير من الأمور منها طرق تصنيع الأدوات الحجرية وتدجين الحيوانات ، إضافة لكون مصر كانت بمثابة معبر لكثير من التأثيرات القادمة من المشرق نحو ليبيا (اقليم برقة).(المترجم)

راجع سعد بوحجر مواقع آثار ما قبل التاريخ في الجبل الأخضر، ص ص 100-106، 125-132، 143-156؛

E'lodie de Faucamberge, Lesite neolitique....., p.p.106-107.

[65]- حول هذا الموضوع يمكن العودة لمقالة : د. رجب عبد الحميد الأثرم، العلاقات الليبية اليونانية قبل تأسيس قوريني، التي احتوت على العديد من الأدلة الأثرية والملحمية واللغوية والأسطورية عن هذه العلاقات ، من أهمها المقابر الدائرية في كل من شرق ليبيا وسهل ميسارا في جزيرة كريت.

راجع: رجب عبد الحميد الأثرم، "العلاقات الليبية اليونانية قبل تأسيس قوريني عام 631ق.م"، مجلة البحوث التاريخية، ع.2، طرابلس : مركز جهاد الليبيين، 1992، ص ص 91-107.

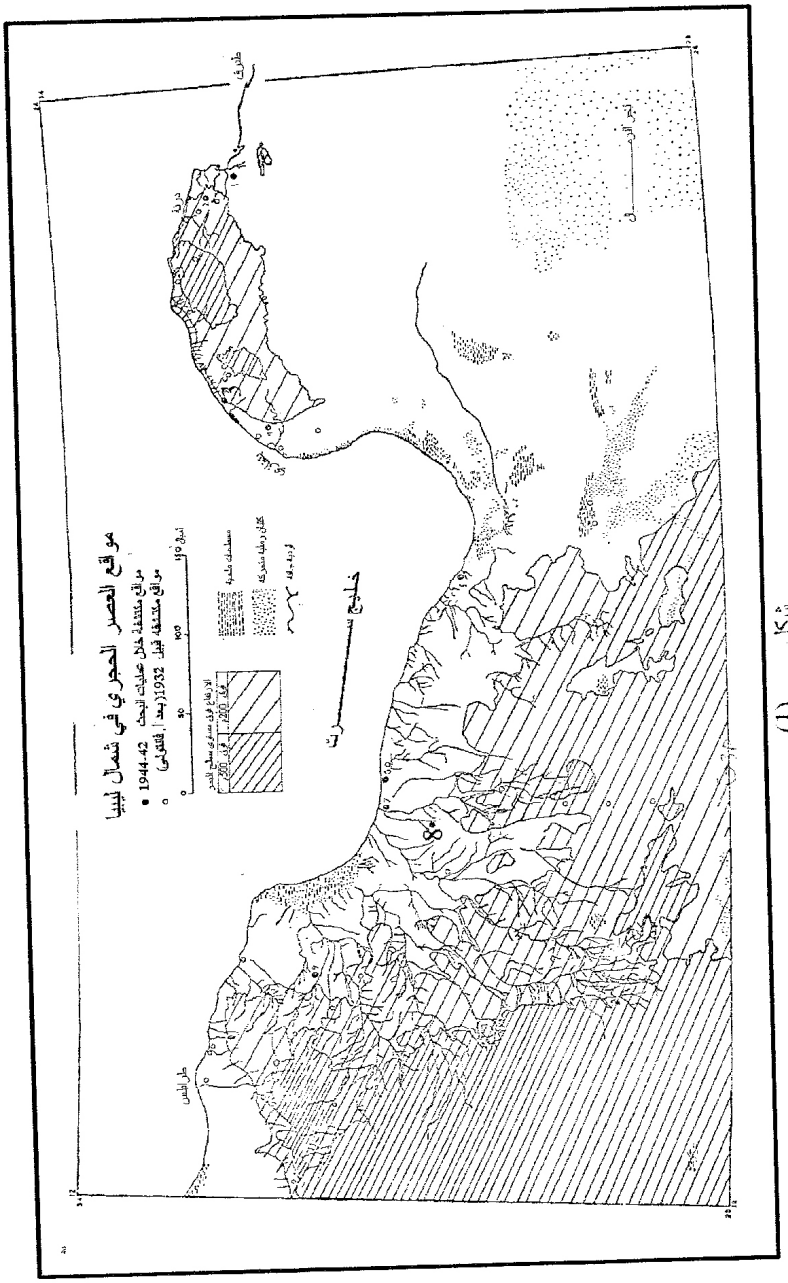

شكل (1)
خارطة شمال ليبيا تبين مواقع العصر الحجري التي حددت قبيل 1974، وكذلك مواقع العصر الحجري القديم الأسفل في وادي مردوم تحت رقم 8 موقع نوكرة حيث حصيلة الفؤوس الحجرية تحت رقم 3

LIBYAN ROLE IN PREHISTORY

BY

C.B.M. McBURNEY

The earliest traces of Man so far discovered in Libya, as far as I am aware, are those discovered at *Bir Dufan* in Eastern Tripolitania during the 1939-46 War and published[1] some twenty years ago (Figs. 1 and 2). They come from a high terrace of the Wadi Merduma. Although not directly datable at this site they are nonetheless of very great antiquity to judge from their astonishing state of patination which has reduced them in some cases almost to the point of destruction. They belong to a very primitive tool-type known as Pebble-Tools consisting of a pebble worked to a sharp jagged edge at one end, but left with a natural rounded hand-grip at the other. Such objects are now known to have been made and used in great numbers by the earliest human beings in East Africa from about 1 ¾ million to ½ a million years ago. These dates which are based on isotopic and magnetic readings have also been confirmed by the French workers P. Biberson in Morocco, and C. Arambourg in Algeria in geologically and palaeontologically datable deposits of clearly the same order of antiquity.[2]

This earliest type of tool was replaced about ½ a million years ago by a somewhat more advanced tool-form known as the Hand-axe; specimens of these were also obtained by me at Bir Dufan in a slightly less weathered state and also at Tocra in Cyrenaica (Figs. 3 and 4).

A third change or advance in the form of the tools of our earliest ancestors is represented by the emergence of a new and improved way of working flint tools by the so-called Levallois or Prepared-Core technique. Within the last two years we have been able to assign a date to this event also, by means of the newly devised Uranium/ Thorium method.[3] As far as Northern Africa is concerned this development seems to have started during a period when the sea-level stood at some 18 metres above the present throughout the world;

1. Ref. 5.
2. Refs. 1, 3, 4, 11.
3. Ref. 11.

an event which can be dated to around 125,000 years ago. The two earlier stages were represented solely in Tripolitania, but this third stage is also clearly recorded in Cyrenaica where the work of my colleague Dr. R.W. Hey has now provided a firm geological framework from this epoch onwards. The first well characterised finds of Levalloisian here are included in a fossil beach showing that the sea stood at the time some 8 metres above its present level. This world-wide event has been dated by Uranium/Thorium to the interval 65,000-95,000 years before the present. Here we are on still firmer ground as regards the dating. The remarkable researches of the Swedish Deep Sea Expedition[1] to examine the sea-bed between the north Cyrenaican shore and Crete have now supplied us not merely with a detailed account of climatic and biological changes, but also absolute dates based on two other isotopic methods — the Proactinium/Thorium and the Carbon 14/Carbon 12 or "Radiocarbon" ratios (Fig 7).[2]

The latter method has now been applied on a large scale to terrestrial deposits in the Gebel el Akhdar, most notably to those contained in the Great Cave of Haua Fteah near Marsa Sousa, about to be described.[3] But our good fortune does not stop here for a yet further chemical method based on oxygen isotopes enables a direct correlation to be made between the layers in the cave and on the sea floor, so that we can make simultaneous use of both C14 and Pa/Th methods to provide what is almost certainly the longest continuously dated sequence of archaeological deposits known in a site of this kind (Fig. 7). Of course a cave as such provides a far more detailed account than the scattered remains we have for most open sites. In a cave one often finds actual hearths round which ancient hunters camped, together with traces of the food they ate and much detailed information of how they *made* and *used* their flint and bone tools, in addition to the actual tools themselves.

The Haua Fteah is then a remarkable site from many different points of view. One of the largest prehistoric cave-sites known and certainly the largest in the Mediterranean basin, it offers a semi-circular habitable area no less than 80 metres diameter (Fig. 5, Plate I). It is set back a few hundred metres from the present sea shore, but high enough to escape the effects of all but the most ancient high-sea-levels. Owing to its great size the deposits are remarkably regular and horizontal thereby facilitating accurate excavation and interpretation (Figs. 6-7). The deposits of each age can be clearly recognised, and one can point precisely to the level at which for instance the Greeks first entered the cave, or their predecessors the Ancient Libyans of Pharaonic or Neolithic epoch, or the still earlier bearers of each successive Palaeolithic culture distinguished by their characteristic and distinctive tools, weapons or form of habitation. So far the deposits have been pene-

1. Ref. 8.
2. Refs. 8, 9, 10.
3. Ref. 6.

trated down to a depth of 13.5 metres, although their full depth is unknown. On the basis of the dating evidence just referred to this can be shown to represent a time-interval of approximately 80,000-90,000 years. Throughout this period the cave was regularly visited first by hunters, then shepherds, followed by Greeks (who built a small shrine whose foundations can still be seen), while finally at the present day the cave is still used by shepherds and their families as a shelter during winter.

Those who are familiar with the sequence of glacial periods interspersed with warmer interglacial periods in Europe, will expect that profound climatic changes affected the southern Mediterranean and Libya also during the immense period represented at the Haua Fteah. Such evidence is indeed represented in a number of forms. Of these the most striking is perhaps the changes in the different animals which the early hunters used for food during the first 80,000 years. Further evidence is supplied by the isotypic composition of the marine shells found scattered round most of the early habitations, and finally by a detailed study of the geology of the deposits (Fig. 7).

The upshot is to demonstrate a history of climatic change which can be divided into five broad phases as follows:

PHASE A.

Begins in a hot dry period corresponding to the Last Interglacial or Eemian epoch of Europe not *later* than 80,000 and probably about 90,000 years ago (Fig. 8). At that time the floor of the cave was nearly 14 ms below what it is today. The people who lived then were hunters living mainly off wild cattle and gazelle. They also collected large numbers of edible snails and marine molluscs from the nearby sea-shore. Their tools were mainly of flint as far as they have survived; made with remarkable skill they were far in advance of anything practised in Europe at the time. Similar tools have now been identified in Syria at the Cave of Jabrud, in the Lebanon (where they have proved to be a little earlier), in Palestine, Jordan and most recently in Egypt. This style of work is termed "Pre-Aurignacian". Among other devices in common use were limestone tablets scored with cutting bark or hide, and remarkable bone tubes like flutes with bored holes. All this equipment has much in common with the much later Upper Palaeolithic assemblages of Europe[1] (Figs. 9-12, Plate II).

PHASE B.

This second phase which extended from very approximately 60,000 to 40,000 years ago is associated with fragments of mandible which show that the people who practised this type of flint work belonged most probably to a race different from the present and allied

1. Ref. 6, Chapter IV.

to the contemporary Neanderthaloid groups of Europe, Palestine, and the Lebanon. The type of flint work, practised at this time in the Haua is known as Levalloiso-Mousterian, and clearly allied to similar traces in the Sudan, Egypt and Western Asia. In its earliest manifestations at the Haua, these industries show some unexpectedly advanced peculiarities such as a high percentage of burins and end-scrapers. Such pictures are however combined with typical Middle Palaeolithic primary flaking technique. The peculiarities disappear later and the whole assemblage takes on a very close approximation to the Middle Palaeolithic of other areas of the South-Mediterranean. During one substage a typical North African feature is provided by the presence of the well known attachment device for spears and other tools known as Aterian (Figs. 13-16).[1]

PHASE C.

40,000-14,500. This stage is characterised by what I have named the Dabban culture, after the site of ed Dabba where I first identified it in 1947. This industry finds a close parallel in the Emiran culture of the Lebanon, Jordan and Palestine. It is the first stage in Libya comparable in *all* respects to the Upper Palaeolithic of Europe; indeed it is the earliest manifestation of this cultural epoch so far directly dated by C14 anywhere. Two sets of dates are available — a direct date from ed Dabba itself and an interpolated reading between the underlying dated Mousterian levels and the overlying later Dabban levels from the Haua. Both yield the same figure of 40,000 B.P. Finally clear climatic evidence from the oxygen istopic readings shows that this event occurred in the warm "Episode 3" of the marine succession of C. Emiliani*.[2] The tools of this stage are mainly of flint, but show great mastery of technique and a wide variety of finished forms all quite comparable to those of the Upper Palaeolithic epoch of Europe, as already said[3] (Figs. 17-19).

PHASE D.

14,500-10,000. At the end of the Dabban culture-stage, a sudden and radical change of culture betokens almost certainly the arrival of a new ethnic group. The affinities of the new industrial complex can be readily recognised and belongs to the so-called Oranian or "Ibéro-Maurusien" group of the French authors long recognised in the Maghreb.[4] There it has recently been shown that the Oranian (in Algeria) dates from approximately 13,000 B.P. The ethnic type with which it is associated there is highly distinctive and clearly non-African in origin. The most recent results from Egypt suggest the possibility that it arose as a hybrid between intrusive Dabbans (perhaps stemming

1. Ref. 6, Chapter V.
2. Refs. 2, 9, 10.
3. Ref. 6, Chapter VI.
4. Ref. 6, Chapter VII.

* Dated by Pa/Th 45,000-37,600 B.P.

ultimately from Arabia, Jordan or Iraq) and an indigenous African strain, still belatedly practising a Middle Palaeolithic industry. This last possibility was one I was not able to consider in my most recent book since the carbon dates which lend it support from Upper Egypt were not yet available. If this reading is correct then the makers of the Libyan version of the Oranian — the Eastern Oranian as I have called it — would have sprung in the main from an Egyptian branch of the later Dabbans.

PHASE E.

10,000-7,000 B.P. A further ethnic change can be inferred from the radical change that occurs in material culture at this period marking the arrival of a Libyan variant of the well known Capsian culture. Recent work on the burials attributed to the Maghreb variant, have shown that all (with a single possible accidental exception at Mechta el Arabi in Tunisia) belong clearly to a Mediterranean strain. As such both the Libyan and Maghreb variants could indicate an immigration originating from either the North or the south western shores of the Mediterranean. The late Professor Vaufrey supported the former theory in his great work on the Maghreb, and I am bound to say that my own results at the Haua Fteah lend some support. Not only could our version of the culture (which I have named Libyco-Capsian) very well be a little later than the Typical Capsian of the Maghreb, but ours shows rather close resemblance to the so-called Epi-Gravettian of Italy and Sicily and the Island of Levanzo. If the earliest Capsians came from that quarter then they would have passed along the Gulf of Sirte and reached Cyrenaica at a time when further cultural evolution had affected their cousins in Tunisia. It is a real possibility in my opinion and supported by a number of details concerned with their naturalistic art, and geometric paintings of pebbles which are found in both areas.[1] Meantime the (perhaps later) developments I have in mind would have been those of the Gafsa area stimulated by special materials for tool manufacture as pointed out by Vaufrey. The less specialised initial coastal settlements would not always be easy to distinguish from the latter Oranian.

The alternative possibility is that the Capsian stemmed from Western Asia where prototypes might be conceived in such cultures as the Kebaran, Skiftian, etc. Until more carbon dates are available it is difficult to make a confident choice between these two possibilities (Fig. 19).

Quite apart from the question of origins however, another interesting possibility is raised concerning the significance of the Capsian complex as it now appears. Both in Cyrenaica and in the Maghreb there is evident continuity between this final hunting group and the earliest herdsmen about to be described. This continuity affects not merely

1. Ref. 6, Chapter VIII.

a wide gamut of industrial practices but also the representational art, and with its evidence for many of the customs and habits historically recorded as typical of the Ancient Libyans of the third and second millennia B.C. As far as is known these last were all speakers of the Hamitic or Berber group of languages, which still survives over much of the Maghreb and even in the Oasis of Siwa. Thus the possibility is raised that the Libyco Capsians and their relatives in the Maghreb were the direct ancestors of an important element in the existing population of North Africa and thus the first Libyans in the modern sense.

PHASE F.

Close to 7,000 B.P. a further profound change affects the life of the Ancient Libyans, which can be detected both in the Haua Fteah and in a series of caves studied by F. Mori in Fezzan. In both areas the first domestic animals appear and the people become herdsmen rather than hunters. In Cyrenaica they herd sheep however — as far as we can see exclusively and in Fezzan cattle. The earliest domestic animals in Egypt also appear at about the same time. Other changes and inventions include the first pottery, arrowheads and stone axes in both areas. Some regional differences are also apparent apart from the differences in herds, namely in the art, style or working arrowheads, and above all style of pottery.

In Cyrenaica the sheep and the pottery style could well be of immediately Egyptian derivation, but the origin of the cattle and for that matter of the art style in Fezzan poses a different problem.

Important work has been done in that area first by Graziosi and most recently by F. Mori, working on engraved and painted art sites. The latter has recently made a cardinal contribution by his dating of a sequence of art styles in a stratified cave (Oan Mohoggiag, near Ghat). In this dated sequence the earliest hardsmen can be clearly recognised and shown to have arrived close to 5,000 B.C. Before that the final hunting populations already practised a most versatile representational art. On the basis of this work I would now suggest that many of the engraved and carved art sites both in Fezzan and perhaps to the north as well, including the newly discovered site in the Wadi Graa, may be slightly earlier than was previously thought, and Capsian rather than Neolithic.

Now it so happens that as yet the transition of Epigravettian to Neolithic has not yet been absolutely dated in South Italy or Sicily. It has however been recently shown that cattle and pottery were introduced in Crete and the Greek Islands as early as just over 8,000 years ago by sea. It seems on the face of it not impossible that these early seafaring farmers might have made their way as far as Italy and thence along the route of the Capsian predecessors south to Tunisia, spreading thence overland to Fezzan. At all events neither the sheep nor the cattle are likely to have been developed from local wild stock in North Africa.

It is noticeable that during the second half of the Neolithic, say from about 6,000 to 5,000 years ago a much greater affinity develops between the Cyrenaicans and the Maghreb in practically all their arts and crafts and most notably in matters of pottery. At the latter date Predynastic monuments and the rock art of Fezzan and the Maghreb show that many other habits and customs were also shared, such as clothes and hairstyles.

From the foregoing brief account one may select a few salient conclusions. First it would appear that Libya in common with the rest of Africa shares the distinction of having seen some of the earliest human beings known to science. Secondly during the Last Interglacial period some 90,000 years ago Cyrenaica was occupied by an exceptionally inventive and advanced group of Palaeolithic hunters, among the most technologically progressive communities so far known to have existed at the time.

Subsequently after a short period of occupation by a more primitive group we have the sudden appearance of a still more advanced group shortly before a very similar development took place first in Eastern and finally in S.W. Europe. The next group, either of Egyptian or Syrian origin, seem to have obtained some of their inventions ultimately from Europe via the Eastern Mediterranean. Then there are signs of possible incursions of hunters from Sicily about 10,000 years ago, followed some 7,000 years ago by the earliest shepherds and cattle herds.

The people of Libya over the last 100,000 years broadly speaking were hunters, herdsmen, and natural artists, sharing their habits and their blood now with the peoples of Egypt and now those of the Maghreb, but forever cut off from direct contact with central Africa, though perhaps occasionally making contact across sea between islands with the North Mediterranean.

Acknowledgements. The author wishes to thank the Editor of the Prehistoric Society of Great Britain, the Syndics of the Cambridge University Press, and Pelicans Ltd for the re-use of material and figures from the following publications: *The Stone Age of the Libyan Littoral*, Proceedings of the Prehistoric Society, 1947; *The Stone Age of Northern Africa*, Pelicans Ltd, 1960; *The Haua Fteah (Cyrenaica) and the stone age of the SE Mediterranean*, Cambridge University Press, 1967.

BIBLIOGRAPHY

1. Cox. A. and others (1966), "Reversals of the earth's magnetic field", *Scientific American*, pp. 43-54.
2. Emiliani, C., "Palaeotemperature analysis" (1964), *Geol. Soc. Am. Bul.*, pp. 129-144.
3. Fleischer, R.L., "Fission-trach dating of Bed I Olduvai Gorge" (1965), *Science*, pp. 72-74.
4. Leakey, L.S.B. (1965), "Olduvai Gorge; fauna and background", Camb. Univ. Press.
5. McBurney, C.B.M. (1947), "The Stone Age of the Libyan littoral", *Proc. Prehist. Soc.*
5. ... *ibid.* (1960), "The Stone Age of Northern Africa", Pelicans.
6. ... *ibid.* (1967), "The Haua Fteah (Cyrenaica)", Cam. Univ. Press.
7. ... *ibid.* with Hey R.W. (1955), "Prehistory and Pleistocene geology in Cyrenaican Libya", Cam. Univ. Press.
8. Parker, F.L. (1957), "Eastern Mediterranean foraminifera". Reports of the Swedish Deep-sea Expedition VIII, 4.
9. Rosholt, J.N. and others (1961), "Absolute dating of Deep-sea cores by the Pa/Th method", *Jour. Geol.* (Chicago), pp. 162-185.
10. ... *ibid.* (1962), "Pa/Th dating", *Jour. Geophysic. Res.*, pp. 2907-2911.
11. Shotton, F.W. (1967), "The problems and contributions of methods of absolute dating", *Quart. Jour. Geol. Soc.* (London), pp. 356-383.

8

الأسطول الحربي في مصر القديمة "الدولة الحديثة أنموذجا 1570-1058ق.م"

أ.بلعباس محفوظي
جامعة أبو قاسم سعد الله –الجزائر2–

ملخص البحث:

اتخذ المصري القديم كل الوسائل الممكنة للدفاع عن نفسه وأملاكه ضد أي خطر يهدده، مما جعله يقوم ببناء أسطول حربي يستطيع بواسطته صد المخاطر التي تواجهه ويمكنه من حماية حدوده، بل ويدفعه الى التوسع وبناء امبراطورية مصرية مترامية الأطراف كما حدث في عهد الملك "تحتمس الثالث".

وكان للأسطول الحربي أهداف رئيسية خلال المرحلة الامبراطورية وهي نقل القوات والإمدادات الى بعض المناطق خاصة البعيدة، وهو مايعرف عسكريا بالدعم اللوجيستي للقوات المحاربة، وهذا ماحدث بالفعل في حروب المصريين ضد الهكسوس فقد استخدم الأسطول النهري كناقل للعتاد الحربي والجنود المتجهة الى شمال شرق الدلتا حيث عاصمة الهكسوس "أفاريس" وكانت هذه الطريقة أوفر للجهد والوقت خاصة في قطع كل هذه المسافات البعيدة، وكذلك خوض المعارك البحرية والاشتباك مع سفن العدو وقد ظهر هذا الدور بوضوح في معارك رمسيس الثالث مع شعوب البحر، كما كانت هناك مهام أخرى للأسطول الحربي لا تقل أهمية مثل تأمين الرحلات التجارية و تأمين أملاك مصر البحرية ومرافقة رحلات ومواكب الملوك المختلفة.

Abstract:

The ancient Egyptian took all possible means to defend himself and his properties against any threat to him, which led him to build a war fleet by which he can repel the risks Confrontation him and enable him to protect his borders, and even pushes him to expand and build a vast Egyptian empire, as happened during the reign of King Tuthmosis the Third.

The war fleet had major objectives during the imperial phase, namely the transfer of forces and supplies to some areas especially remote, which is known militarily as logistical support for the oyster forces, and this has already happened in the wars of the Egyptians against the Hyksos. "Avares" This method was more economical for effort and time,

especially in traveling all these far distances, as well as fighting naval battles and clashing with enemy ships. This role clearly appeared in the battles of Ramses III with the peoples of the sea, as there were other tasks of the war fleet of no less important such as securing Commercial trips and securing Egypt's marine properties and accompanying the trips and processions of different kings.

المقدمة:

وصفت العديد من الكتب التقنيات المختلفة المعتمدة عليها في مصر في بناء الأساطيل الحربية استخلصت من صور وفيرة لأنواع السفن المستخدمة في العصور الفرعونية مشاهد في مقابر ومعابد اصبحت مصدرا دقيقا للعديد من التفاصيل الفنية للسفن والتي اضافت دراستها الكثير من المعلومات في فهم تقنيات صناعة الأساطيل الحربية المصرية القديمة.

ومن خلال المصادر المادية والأدبية نلاحظ أن عصر الدولة الحديثة يعتبر قمة العصر الذهبي للبحرية ولصناعة السفن في مصر القديمة، حيث يتميز بصفة عامة بكثرة بناء واستخدام الأساطيل البحرية الضخمة، بحيث سجلت صناعة السفن خلال هذه الفترة درجة مرموقة من التطور والتقدم بسبب اتساع أرجاء الامبراطورية، وحرص ملوك هذا العصر خاصة ملوك الأسرة الثامنة عشرة على دعم نفوذ مصر العسكري في كافة أرجاءها وتأكيد سيطرتها على البحرين الأحمر والأبيض المتوسط، ولعل خير دليل حول ماحققته هذه الصناعة من تقدم ماأقدم عليه تحتمس الثالث خلال مرحلة الإعداد لحملته العسكرية التي كانت تهدف الى توسيع نطاق الامبراطورية المصرية الى غاية منطقة الفرات، والتي اهتم بمدينة "منف" واتخذها مركزا للأسطول المصري .

وحتى يمكن الوفاء بهذه الاحتياجات البحرية الضخمة وهذه الأعداد المتزايدة من الأساطيل الكبيرة توسعت الدولة في انشاء وتدعيم ترسنات بناء السفن التي كانت منتشرة ببعض مناطق مجرى النيل وسواحل البحرين، استعملت الأساطيل الحربية في العديد من النشاطات العسكرية منها ماذكر في سيرة أحمس بن أبانا الذي قضى جل حياته المهنية في خدمة الأسطول المصري، وصف فيها المعارك الحربية البحرية في النوبة وفي أفاريس كما استخدمت ضد شعوب البحر وعلى الرغم من التاريخ الطويل للأساطيل الحربية المصرة فإن أول تصوير واضح يعود الى عصر الدولة الحديثة وبالضبط الى فترة رعمسيس الثالث في مدينة ""هابو".

وهذه الورقة البحثية بعنوان الأسطول الحربي في مصر القديمة "الدولة الحديثة أنموذجا1085/1570ق.م" تناولت فيها: الى التعريف بالأسطول الحربي خلال مرحلة الدولة الحديثة بحكم مالقاه من اهتمام لدى ملوكها بعد طردهم للهكسوس وانتهاجهم لسياسة التوسع، ثم الحديث بعدها على طاقم الأسطول الحربي وكيفية التدريب عليه، أما في الأخير التطرق الى الحملات العسكرية التي تمت عن طريق الأسطول الحربي سواءا في الداخل وفي الخارج.

I-الأسطول الحربي:

عرف الأسطول الحربي اهتماما كبيرا لدى ملوك الدولة الحديثة خاصة بعد طردهم للهكسوس، وانتهاجهم لسياسة التوسع ، فكان الملك "تحتمس الثالث" هو أول من أدرك أهمية القوات البحرية في تذليل صعوبات التنقل وتحقيق انتصارات ساحقة على العدو، كما كان لموقع مصر المطل على البحرين الأبيض المتوسط والأحمر، وكذا وجود النيل دور مهم في تطور السفن وتكوين الأساطيل البحرية(1) ، خاصة في عصر الدولة الحديثة الذي اعتبر العصر الذهبي للبحرية المصرية وتميز هذا العصر بصفة عامة بكثرة بناء واستخدام الأساطيل الضخمة لمختلف أنواع السفن(2).

ويبدو أن تطور السفن المصرية قد نتج عن العلاقات الوثيقة بين مصر وغربي آسيا حيث كانت هناك الأخشاب اللازمة لصناعة السفن الكبيرة، التي استخدمها المصريون في نقل القوات الحربية إلى غربي آسيا عبر البحر ليتفادوا السير الطويل عبر طريق حورس الحربي، وذلك منذ فترة مبكرة من تاريخهم، وحتى في مرحلة الأسرات لنقل الجنود لبلاد النوبة عن طريق نهر النيل(3) ، وبذلك لعب الأسطول الحربي في هذه المرحلة أي الدولة الحديثة دور مهم في الحملات العسكرية خارج مصر(4).

هذا الدور الأساسي المتمثل في نقل القوات العسكرية (5) من سلاح المشاة وسلاح المركبات الحربية، والجدير بالذكر أن إحدى السفن المصرية التي بنيت في القاعدة البحرية المصرية "برو-نفر" قد حملت اسم "الاسطبل" وهو اسم يشير إلى نقل الخيول الخاصة بسلاح المركبات الحربية(6)، وكذا نقل المؤن والإمدادات لمسافات طويلة، ويقوم بالاشتباك مع العدو إن احتاجت الضرورة(7)، ويتكون الأسطول من أربع فئات تتمثل في: فئة لخوض المعارك وفئة لنقل الجنود والمعدات الحربية، وفئة لنقل الملك وحرسه وحاشيته، وفئة لنقل البضائع التجارية والصناعية، كما وجدت أحواض كبيرة في ميناء برو-نفر بمنف، شيدت بها مراكب الأسطول المصري وقد سجلت إحدى البرديات أنواع الخشب التي صرفت لرئيس بنائي المراكب لمدة ثمانية أشهر، كما أشير إلى معركة بحرية بين ، "تف.يب" أمير أسيوط الموالي للأهناسيين ضد الطيبيين في عرض نهر النيل(8).

II-طاقم الأسطول:

يعتبر طاقم الأسطول الحربي البحري من مكونات البحرية المصرية إذ يتكون من مسيرين يشرفون على الخدمة عليه، فنذكر منهم ربان الأسطول والضباط المساعدين وحاملي العلم، ضف لهم الجنود المجذفين وتشكيلة من الجيش المحاربة ، هذه التشكيلة المتكونة من طاقم الأسطول لم تكن منفصلة على القوات البرية، بل كانت على علاقة وثيقة حيث كان هناك نوع من التداخل بين أفراد هذين الفرعين الرئيسين في الجيش المصري خلال عصر الدولة الحديثة، إذ كان في إمكان ضباط وجنود القوات البحرية (الأسطول)أن ينتقلوا إلى سلاح المشاة وكان العكس كذلك (9)، ويتكون طاقم السفينة المقاتلة من بحارة عددهم في السفينة الكبيرة حوالي مائتي (200) جندي وعلى رأسهم حامل علم وضابط من رتبة قائد بحارة، وكان ترقية البحارة تتم بالانتقال من سفينة إلى أخرى أكثر شهرة من التي كان فيها(10)، فهناك في عهد

أمنحوتب الثالث اسم أحد حملة الأعلام عمل في السفن الأربعة التالية على التوالي "نجمة منف" و"واضح في العدل" و "والحاكم القوي" و"آتون" والسفينة الأخيرة هي بارجة الملك وتحمل علم الأميرالية كما تسمى في عصرنا هذا(11) ، وسنحاول عرض بعض من مجموعة طاقم الأسطول وفقا لمهامهم.

1-رئيس الأسطول:

كانت السفينة الحربية تخضع عادة لأحد كبار الضباط أي قائد طاقم السفينة، وهذه الرتبة البحرية الكبرى "رئيس أشرعة أسطول الفرعون" هي تضارع في عصرنا الحالي مرتبة الأميرال، ولكن الملك هو المشرف الأعلى على الأسطول برمته، ولذا فإن جميع كبار قادة البحرية كانوا ملزمين بالمثول أمامه لتقديم تقاريرهم(12).

وقد كانت كل سفينة "دبت" على ما يظهر تحت إمرة ضابط، أما لقب الضابط المدير العظيم، فيظهر أنه كان يمنح لضابط عالي الرتبة تحت إمرته كثير من الضباط، وهذا الضابط الكبير لابد أنه كان "رئيس الأسطول" على أننا نجد كذلك لقب "مدير الأسطول" و"رئيس الأسطول"، وهذه الألقاب كان يحملها ضباط ذو رتب عالية جدا، والواقع أن كبار رجال الأسطول الحربي كانوا يحملون لقب "مديري بحارة السفن العظيمة " وقد كان الأسطول مقسما الى طائفتين من السفن ومن أجل ذلك يطلق على الأسطول كله اسم الأسطولين البحريين(13) .

2-البحارة:

لقد شهد النيل والبحرين من نشاط العسكريين المصريين ما شهده البر، فقد تمرس المصريون على ركوبهم منذ فجر تاريخهم القديم ونقلوا عليه الجنود والعتاد(14)، كما كانت السباحة والتجذيف من أهم تدريباتهم البحرية، فقد صور البحارة والجنود على البحر في تنظيمات وتشكيلات تشبه تشكيلات الجيش البري(15)، والبحارة الموجودين في الأسطول الحربي يطلق عليهم اسم "عبر" ولم يلقبوا باسم "عبر نفرو" (كتيبة مجندة) ذلك أن البحارة ليسوا كجنود الجيش البري مجندين بل إنهم كانوا جنودا محترفين(16)، وكانت هناك سرية أو فصيلة لإعداد البحارة المصريين في عصر الدولة الحديثة يشرف على تدريبها ضابط بحري كبير(17)، كما يستخلص من لقب "حامل العلم" "من سو" الذي كان يطلق عليه لقب "مدرب فرق البحارة"(18)، وقد سميت هذه الفرقة باسم "سرية تربية البحارة"(19)، وهناك مهام أخرى للبحارة منها: مجدفون أولون، ملاحون، عمال شراع وغيرها، ولعل من الجدير بالإشارة إلى أن طاقم السفينة المقاتلة إنما كان يتكون من بحارة (خنيت)(20)، يبلغ عددهم في السفينة الكبيرة حوالي مائتي جنديا(21) ومدربا على رأسهم حامل علم وضابط من رتبة قائد بحارة "حرى خنيت"(22).

وقد تم تمييز البحارة الذين تدربوا تحت إشراف حملة الأعلام عن البحارة العاديين، بارتدائهم نقبة قصيرة شبكية الشكل كما وضعت قطعة جلدية مربعة الشكل فوق مقاعد التجديف لمنع الاحتكاك وتثبيت موضع المجدف أثناء

التجذيف وعثر على منظر في مقبرة "حوى" يظهر في مجموعة من البحارة يرتدون تلك النقب وتسير المجموعة خلف حامل العلم(23).

وعند الحديث عن التدريبات العسكرية البحرية نلاحظ أن تدريب أولاد جنود الجيش يكون في سن محددة، لكن لم تصلنا نصوص صريحة توضح ذلك، فنجد مثلا الملك أحمس عندما حل محل والده ، يذكر في بردية أهناسيا أنه تدرب وهو في سن العشرين(24)، وليس من الضرورة بطبيعة الحال إلا أن نفترض أن بحارة النيل العسكريين كلهم كانوا يتلقون تدريبا خاصا فربما تناقل أغلبهم حرفة الملاحة عن آبائهم وأهلهم، وكان من هؤلاء من تشجعهم صفحة النيل الهادئة على تنظيم معارك مفتعلة يتصادمون فيها بمراكبهم الصغيرة ويضاربون خلالها بأعمدة طويلة رغبة في التمرين واللهو والتسلية(25).(أنظر الشكل1).

الشكل رقم1: ممارسة مهارات القتال على قوارب البردي.

Gregory P.Gilbe,**Ancient Egyian Sea Power And The Origin Of Maritime Forces**,Ed Commonwealth, Astralia,2008,P42.

كما صور " أمنحوتب الثاني" ملك مصر وخليفته "تحتمس الثالث" تدريبات الضباط خلال روايته لقصة حياته، وكان أبوه قد تعمد أن يربيه تربية حازمة تؤهله للمحافظة على الزعامة العسكرية التي حققتها مصر في عهده، بعد هذه التدريبات استكمل "أمنحوتب" تدريباته مع البحارة العسكريين واعتاد أن يسابقهم ويتحداهم في التجذيف وبلغ من أمره فيما روى عن نفسه أنه خرج ذات مرة في قاربه "الصقر" مع مائتي بحار يجذفون ضد التيار، فرجعوا بعد نصف فرسخ

"حوالي ثلث ميل" في غاية الإجهاد بينما استمر يجدف وحده بمجداف طوله أكثر من عشرة أمتار نحو ثلاثة فراسخ كاملة "أي أربعة أميال"(26)، وكانت المراكب تبحر من ميناء في منف أحد الموانئ على الساحل الشمالي(27).

3-بعض ألقاب طاقم الأسطول:

هذه الألقاب المختلفة التي يحملها ضباط البحرية يظهر أنها كانت تمنح من بين درجاتها رتبة ضابط ممتاز للأسطول، ومن ذلك يتضح أنه كان لكل من الجيش والأسطول قيادته الخاصة(28)، ومن هذه المراتب نذكر بعضها:

- **مرتبة "وعو":** كان لقب "وعو" في اللغة المصرية القديمة يطلق على أولى مراتب العمل في الجندية أو في البحرية وهو ما يعادل لقب "نفر" في اللغة العربية(29)، يمثل حاليا أدنى المراتب في سلم الجندية، كما ينسب النفر أو "وعو" إلى السفينة التي يعمل بها، فيقال "وعو السفينة كذا" أو "عوخنيت" مضافا إليها اسم السفينة أو بغير ذكر لاسمها(30).

- **مرتبة "حامل اللّواء":** يعد هذا اللقب أحد الألقاب العسكرية التي ظهرت في عصر الدولة الحديثة، كان يحمله ضباط المشاة والمركبات الحربية والقوات البحرية، وقد كان حامل العلم يقود فرقة عسكرية قوامها مائتي رجل، حيث كانت كل فرقة في الجيش المصري لها علم خاص(31)، يلي مرتبة "وعو" وهو المشرف على تدريب البحارة، ويحمل عادة لقب "حامل لواء تدريب فرقة المجدفين" ، وكان يشرف على الفرقة أحيانا رجلان الواحد "حرى خنيت" والآخر "تاسريت" ولم يكن هناك من يحمل اللقبين معا في نفس الوقت ذلك لأن الترقية من "وعو" تكون لأحد المنصبين فقط(32).

هذا ولم يكن لقب حامل اللواء مقصورا على البحرية وإنما نراه في الجيش كذلك ومن ثم فهو يضاف إلى "سا" كما يضاف إلى "خنيت" ليميز الوحدة إن كانت برية أو بحرية، وفي الحالة الأخيرة يذكر غالبا اسم السفينة فيكون اللقب حامل لواء فرقة السفينة الملكية، وليس من شك في أن حامل اللواء لسفينة هامة كان له مركزه الاجتماعي الممتاز وبخاصة في عصر الرعامسة، حيث أصبح حامل اللواء لفرقة المجدفين يسبق في ترتيبه قائمة الموظفين طيبة نفسه(33).

- **قائد السفينة:** هناك اصطلاحان يعبر بهما عن قائد السفينة الحربية ، أولهما هو "نفو" وثانيهما هو "مر" أو "حرى" الذي يضاف إلى كلمة "سفينة" وأحيانا لم يكن لقائد السفينة أحد اللقبين بل كان يكتفي بذكر اسم السفينة الذي يردف إليه اسم الشخص(34).

- **ضباط البحرية:** كان من ضباط البحرية "المشرفين على السفن" يمثلون قسما من قادة الأسطول البحري، وكان من أهم ألقاب ضباط البحرية "لقب المشرف على كل سفن الملك"، ولعله كان يعني قائد الأسطول، ولم يكن هناك انفصال بين الضباط والجنود العاملين في القوات البحرية وبين أولئك العاملين في القوات البرية، بل كانوا يعملون في القوات

البحرية والبرية في آن واحد ومثال ذلك "سو امنوت" والذي كان يحمل رتبة حامل العلم في سرية المشاة ورئيس الاسطبل لفرقة من سلاح المركبات الحربية ثم عينه الملك "أمنحوتب الثاني" قائدا للأسطول(35).(أنظر الشكل2).

الشكل رقم2: مشاة البحرية للملكة حتشبسوت في عرض الدير البحري عن:
Gregory P.Gilbe,Op-Cit,P42.

- **أعلام ورايات الأسطول الحربي:**

لكل سفينة من سفن الأسطول المصري علم خاص بها وكان الطراز المعتاد لأعلام السفن عبارة عن مركب دي كابينة يعلوها علم صغير على هيئة مروحة، وهو منقول من الصورة القديمة للعلم الأصلي "سريت"، ويعد علم السفينة الملكية المسماة "محبوبة آمون" مثال جيدا لهذا النوع من الأعلام، وهي سفينة المدعو "نب آمون" صاحب القبر رقم90 في وادي الملوك بطيبة حامل علم عليها والجدير بالذكر أنه لم يوجد علمان متماثلان تماما وإنما كان لكل علم شكله الخاص، وكانت منطقة تل العمارنة من المراكز الهامة لعمل مثل هذه الأعلام في عصر الدولة الحديثة، وفي معركة قادش إشارة لوجود أعلام السفن في فيلق "بتاح " والذي ربما كان وحدة من القوات البحرية المشاركة في المعركة(36).

III-الأسطول والحملات العسكرية:

لم تذكر النصوص التاريخية الكثير من التفاصيل فيما يتصل بالمعارك التي دارت رحاها على صفحة الماء في النيل او البحرين الابيض المتوسط والاحمر (37) ومع ذلك نجد العديد من الرسومات والنقوش الموجودة على جدران المعابد والمقابر تخلد بعض هذه المعارك، ونذكر منها معركة التحرير التي قادها ملوك المصرين في النيل ضد الهكسوس في أوائل القرن السادس عشر قبل الميلاد، كما كانت أكبر معاركهم في البحر المتوسط هي معركتهم في عصر رمسيس

الثالث ضد شعوب البحر، وسوف نتكلم عليها بالتفصيل في الحملات العسكرية بالنيل والبحرين، حيث صور البحارة الجنود في معارك النيل والبحر على البر في تنظيمات وتشكيلات الجيش البري(38).

1-معارك جرت في النيل:

رغم استمرار سيادة الهكسوس في مصر لما يقرب من مائة سنة، إلا أن من المحتمل أن بعض الأمراء المصريين كانوا يحكمون أقاليمهم في بعض الجهات، ولكنهم دون شك خاضعين لملوك الهكسوس(39)، بمعنى أن مصر القديمة في عهدهم كانت مقسمة إلى ثلاث أقسام، ففي الدلتا ومصر الوسطى كان الهكسوس يحكمون حكما مباشرا، أما مصر العليا فكانت خاضعة لتبعية الهكسوس وإن ظلت مستقرة من الناحية العملية(40).

فبعد سنوات من حكم الهكسوس نرى هبة وطنية لتحرير مصر من حكم هؤلاء الأجانب، وعلى رأسها أمير طيبة "سقنن رع" ثم يأتي بعده "كامُس"من ملوك الأسرة السابعة عشر، وقد اعتمد في هذه المرحلة هاذين الملكين السفن النهرية الضخمة كناقلات للجيوش والمعدات الحربية التي كان يتم تجهيزها ونقلها عير النيل متوجهة من الوجه القبلي إلى الدلتا للقيام بالعمليات الحربية المستمرة التي أسفرت في النهاية إلى ضرب وطرد الهكسوس الغزاة خارج ديار مصر، وقد وجدت أدلة تاريخية تثبت أن الملك "كامُس" كان يبحر بسفنه من ناقلات الجنود وناقلات العتاد الحربي بطول النيل من طيبة حتى الفرع الشرقي للدلتا، وأنه كان يستخدم سفينته كقاعدة للعمليات الحربية(41)، فعلى نصب تذكاري أقامه "كامُس" بمعبد الكرنك نص يقول فيه:"...**أبحرت شمالا لضرب الآسيويين...وقضيت الليل في سفينتي وقلبي فرح... وضربت العدو ودمرت أسواره ... وكان جنودي كالأسود**"**(42)**، وقد تبعهم في ذلك الملوك الأوائل من عصر الأسرة الثامنة عشر الذين استخدموا نهر النيل في حملاتهم الحربية على بلاد النوبة لنقل القوات العسكرية (43).

ويلي بعد هذين الملكين، الملك أحمس "أخ كامُس" وهو ابن الملك (سقنن رع) من ملوك الأسرة السابعة عشر، إلا أن مانيتون وضعه (أي أحمس) على رأس الأسرة الثامنة عشر لأنه حرر مصر من الهكسوس(44)، وهو محور حديثنا لهذا العنصر حول الحروب الداخلية عن طريق نهر النيل خلال الدولة الحديثة، ومعركته ضد الهكسوس تعتبر من أكبر المعارك البحرية على نهر النيل في أوائل القرن السادس عشر قبل الميلاد(45).

يعتبر عصر هذا الملك "أحمس" قمة العصر الذهبي للبحرية ولصناعة بناء السفن في مصر القديمة، إذ يتميز بصفة عامة بكثرة بناء واستخدام الأساطيل الضخمة لمختلف أنواع السفن من حربية وغيرها(46)، أما عن تفاصيل الحملة فقد خرج الجيش من طيبة قاصدا شرق الدلتا حيث توجد مدينة أفاريس التي اتخذها الهكسوس عاصمة لهم، كان أغلب الجيش محمولا على ظهر أسطول ضخم من السفن النهرية المتخصصة في نقل الجنود ونقل الخيول والعتاد الحربي وغيرها، واتخذ الملك مقر قيادته على ظهر السفينة الحربية التي تتقدم السفن الأخرى، كما أن قادة الجيش من كبار الضباط كانوا يباشرون أعمالهم القيادية وهم على ظهر السفن المتجهة نحو الشمال وكان أهم هؤلاء القادة هما "أحمس بن أبانا (حوالي1560ق.م/1500ق.م) وأحمس بن نخبت (حوالي 1550ق م/1470ق م)(47).

فقد تسلم "أحمس الأول" راية الجهاد من كامُس باسم الإله " أمون رع"(48)، وأعلن حربا ضد الهكسوس فتم له النصر وأجلى العدو عن مصر ، وهذا ما أكدته المعلومات الموجودة في مقبرة أحد قادته المدعو "أحمس بن ابانا" الذي ذكرناه سابقا(49)، حيث ركب أحمس النهر ونزل إلى ممفيس ثم تقدم إلى عاصمة الرعاة وفتح أواريس مدينتهم الحصينة وطردهم من البلاد وسحق قوتهم حتى لم يستطيعوا القيام بعد، وجعل من بقي الرعاة في مصر عبيدا(50)، وقد اعتبرت هذه المعركة النهرية ضد الهكسوس من أكبر المعارك النيل في القرن السادس عشر قبل الميلاد(51)، وذلك بفضل مساعدة الجيش والأسطول النهري(52).

بعد تلك الحملة استكمل أحمس نشاطه التوحيدي(53)، في بلاد النوبة مستعينا بسفنه الحربية(54)، التي استخدمها في نقل البعثات العسكرية، وحتى البعثات التعميرية إلى مناطق الجنوب فيما وراء الشلال الأول وحتى الشلال الرابع، وكان لزاما على هذه السفن أن تشق قنوات وممرات مائية لتتجاوز صخور الشلالات التي تعترض مجرى النهر وتعوق الملاحة تماما، وكان من الضروري أيضا أن تكون تلك القنوات والممرات ذات اتساع مناسب، وذات عمق كاف ليتناسب مع أحجام حمولة السفن التي تبحر خلالها(55)، وهدفت هذه الغزوات إعادة السلطة المصرية لهذه المناطق(56).

وبانطلاق هذه الحملات الجنوبية كان "أحمس الأول" قد أصبح متمرسا على القتال، ويبدو أنه كان يقود أسطوله في حربه من قناة سنوسرت الثالث إلى أن يعبر طريقه إلى بلاد النوبة، ويروي قائده العسكري "أحمس بن أبانا" كيف أن الملك قام بمجزرة في صفوف النوبيين، حيث أبحر شمالا مسرور القلب في نشوة الانتصار لأنه قبض على الجنوبيين والشماليين(57) في قوله: "**بعد أن أباد جلالته بدو آسيا صعد النهر في اتجاه خنت-إن-نفر للقضاء على النوبيين...أما أنا فقد حملت معي من هنا مغنماً: رجلين على قيد الحياة وثلاث أياد ومنحت الذهب مكافأة...عندئذ هبط صاحب الجلالة النهر متجها ناحية الشمال وكان قلبه سعيدا..(58).**

لقد كانت فتنة الجنوب قصيرة الأمد ولكنها كانت كارثة على الثوار إذ يذكر:" **أتى عدو من الجنوب وكأنما كان يتعجل مصيره وهلاكه، إذ قبضت عليه آلهة الجنوب ووجده جلالته في (تينت-تو-عامو) الشلال الأول، ثم جاء ذلك التعس "تتي" الرشيق وكان قد جمع حوله الثوار وذبح جلالته كما ذبح بحارته وقضى عليه"(59).**

بعد هذه الإنجازات الحافلة بالانتصارات خلف أحمس على العرش ابنه "أمنحوتب الأول" وابن الملكة نفرتاري(60)، ولم يزل قاصر فحكم البلاد تحت وصاية أمه الملكة "أحمس نفرتاري"، ومع أنه تربع على العرش مدة عشرين سنة فإن عهده ظل غامضا، وهناك ما يشير إلى أنه وطد مركز مصر في فلسطين ونجح في إخماد ثورة بلاد النوبة(61)، السفلى وجعلها شخصية واضحة في صلب الأقاليم المصرية، فشكلها في وحدة إدارية واحدة تمتد من الشلال الثاني وتدخل في صلب الحدود المصرية متضمنة إقليم أسوان، ليثبت عمليا أنها جزء من مصر يجري عليها ما يجري على الأقاليم المصرية نفسها، وأصبح حاكمها يلقب بحاكم المناطق الجنوبية(62).

تتوالى الحملات على الجنوب وهذه المرة كانت في عهد الملك "تحتمس الأول"، اقتداء بخلفائه كل من "أحمس الأول" و"أمنحوتب الأول" بفتوحات الإمبراطورية في النوبة(63)، حيث جاءت أخبار هذا الملك بالنوبة على ما قاله القائد العسكري "أحمس بن أبانا" في نصوصه عن شجاعته في قيادة سفينة الملك تحتمس الأول أثناء نقل الفرعون وجنود جيشه إلى مدينة كرمة بالنوبة للهجوم عليها، وقد أثنى على براعته في قيادة السفينة عبر شلالات النوبة في حضرة الفرعون(64).(أنظر الخريطة رقم1).

فقد كان هذا الملك من أكبر الملوك القادة الحربيين في مصر، حيث كشفت سجلات حكمه عن سلسلة متصلة الحلقات من الانتصارات التي حققها ، وها هو القائد "أحمس بن أبانا" وقد أصبح شيخا لايزال في الميدان شارك معه في معركة نهرية مهمة استطاعت مصر خلالها النجاح في مد سلطاتها حتى الشلال الثالث(65)، إذ يروى هذا القائد أي أحمس بن أبانا ذلك قائلا: "**ثار جلالته كفهد جنوبي، وألقى جلالته برمحه فاستقر في جسد رئيس الأعداء ...وأبحر جلالته إلى الشمال وكل البلاد في قبضته، وهذا الرئيس التعس للنوبيين معلق ورأسه إلى أسفل على مقدمة سفينة جلالته**"(66).

الخريطة رقم 1: رحلة تحتمس الأول في الطريق النهري

Beal Spencer.Anna Stevens.Mechaela Binder,**Nubia In The New Kingdom**, Peeters leuven,paris2017,P96.

كما يشهد نقش " تومبوس" جنوبي الشلال الثالث أن هذا الملك توغل في وديان لم يعرفها أجداده الملوك، ولم يرها الذين يلبسون التيجان المزدوجة(67)، حيث يذكر هذا النقش إنجازات الملك تحتمس الأول كما يلي:" **لقد اخضع رئيس النوبيين وقبض بيده على الزنوج الخاسئين ... وربط حدوده على ضفتي نهر النيل ... وأصاب جثثهم العفن وانتشرت رائحة كريهة في كل وديانهم وعلى سهولهم وهم يشبهون الفيضان ...**"(68).

والحقيقة أن هناك أدلة قوية على وصول الجيوش المصرية إلى منطقة دنقلة لأن "تحتمس الأول" أقام لوحة حدود في " كورجوس" في المنطقة الجنوبية لطريق "أبو احمد"، وهو الطريق الموصل لكوبان في النوبة السفلى، ويجوز أن تكون هذه اللوحة قد أقامها المعتمدون القادمون من كوبان عبر الصحراء، وهي لا تثبت أن كل النهر جنوبا كان في أيدي المصريين ولاشك أن قوة كوش دمرت على يد "أحمس الكابي "أحمس بن أبانا " ذلك القائد العجوز الذي كان على رأس الأسطول الملكي(69).

وبعد تأمين وتوسيع حدود مصر الجنوبية عمل على أن تتشبع النوبة بالروح المصرية التي لازمتها عصورا طويلة فاهتم بتسهيل المواصلات البحرية(70)، إذ أنه قبل الإبحار أعاد حفر قناة سنوسرت الثالث وذلك في العام الثالث من حكمه التي كانت قد امتلأت بالحصى(71).

ثم انتقلت مقاليد الأمور في مصر إلى "تحتمس الرابع" (من خبرو رع) (72)، لم يكد هذا الملك يستقر به المقام في عاصمة ملكه حتى اضطر للقيام بثورة في بلاد "واوات " الذي وصل إليه خبر العصيان الذي اندلع بها، فقامت الحملة نحو الجنوب في سفن أعدت لها وكان الفرعون يضرب مرساه في طريقه عند كل معبد عظيم، حيث كان الآلهة يخرجون لاستقباله ويشدون أزره لملاقاة العدو في ساحة إله تلك البقاع الخاص، وقد التقى الفرعون بالعدو في مكان في بلاد واوات(73)، ويغلب الظن أنه استطاع أن يمد نفوذه إلى أبعد من الحدود التي وصل إليها أسلافه إذ عثر على آثار له في جبهات كثيرة(74).

ويعرف سبب الثورة والحملة من لوحة " كنوسو" قرب جزيرة فيلاي كان النص فيها يتكون من أربعين سطرا ولكن المقروء منها في الوقت الراهن 23 سطرا فقط(75)، وقد جاء فيها : " **السنة الثامنة ... كان جلالته والبلدة الجنوبية في بلد الكرنك ... وقد أدى الاحتفالات التي تسر والده آمون فحضر الإنسان ليقول له أن الأسود قد انقض من أعالي واوات وقد دبر العصيان على مصر وقد جمع لنفسه كل المتوحشين وعصاة الأقاليم الأخرى(76)، وبعد ذلك سار جلالته ليهزم السود في بلاد النوبة وهو قوي البأس في سفينته .... مثل" رع " عندما يشرق في سفينته السماوية ..... وجيشه الذي ينتصر به كأن معه على كل الشاطئين في حين كان المجندون الجدد على شاطئ واحد ، وكانت السفينة (أي السفينة الملكية) مجهزة بالجرس عندما كان الفرعون يسير نحو الجنوب مثل " نجم الجوزاء " وقد أضاء الجنوب بجماله وكان الرجال يهتفون لما رأوا من شفقته والنساء يرقصن للرسول"(77).**

- **القائد أحمس بن أبانا: (1560-1500ق.م):**

نظرا للإنجازات التي حققها الملوك وقادتهم، اخترنا عرض لمحة وجيزة حول ما حققه أحد أبرز قادة الأسطول الحربي بمصر في الدولة الحديثة وهو "أحمس بن أبانا"، هو أحد أهم المصادر الرئيسية التي ذكرت معلومات مهمة عن الحملات العسكرية، عاش هذا القائد في مدينة الكاب (أنظر الشكل3)، وهي تبعد حوالي 64 كلم جنوب طيبة إن جدران مقبرة "أحمس" مزخرفة بما يسمى سيرة المقبرة، وهي عبارة عن قصة حياته مدونة بالصور والكتابات الهيروغليفية على جدران مقبرته حتى تتمكن الآلهة من رؤية مدى نجاحه في حياته وعمله، والذي قام بزخرفة المقبرة هو حفيد أحمس ويدعى "باحرى" وكان يشغل منصب الكاتب، وعلى الجدار الشرقي للمقبرة توجد صورة صغيرة لـ"باحرى" واقفا بجوار جده(78)، لقد عاش أحمس بن أبانا فترة طويلة عاصر فيها عهد أربعة حكام (79).

الشكل رقم 3 : (أحمس بن أبانا) نقش في قبره في الكاب
عن: GregoryGilbert,op- cit,p52.

هو من أبرز القادة العسكريين، الذين قادوا العديد من الحملات، حيث يحدثنا هذا القائد عن تاريخ حياته وتنقله في الخدمة العسكرية كقائد لإحدى السفن، ويذكر كيف تبع سيده الملك أحمس في حربه مع الهكسوس، وكيف سقطت أورايس بعد حصارها، وكيف فر الهكسوس إلى مدينة شاروهين في جنوبي غزة، وأن المصريين حاصروها ثلاث سنوات حتى سقطت فتم لهم النصر على أعدائهم(80).

إذ يقول هذا القائد: "**لقد ترعرت في مدينة الكاب، كان والدي قائدا في الجيش "سقنن رع" صادق القول، ملك مصر العليا ومصر السفلى، كان اسمه "بابا بن رعنت"، وأخذت مكانه قائدا على متن السفينة المسماة "الثور المحارب" في زمن رب القطرين نب-بحتى-رع(أحمس).. كنت لا أزال حدثا ولم اتخذ لنفسي زوجة...وبعد أن أسست منزلا وألحق بالأسطول الشمالي نظرا لشجاعتي، كنت أرافق العاهل الملكي على اليابسة وألازمه في نزهاته...**"(81)

وقد شارك في حملة القضاء على الهكسوس، حيث يذكر عن حصار أورايس عاصمة الهكسوس(82) قائلا : "**عندما حاصر الملك أورايس أظهرت في العراك بسالة عظيمة، ويظهر بعد ذلك أن هذه المدينة هوجمت من شاطئ واقع على النيل بواسطة أسطول أي أن "أحمس بن أبانا" عين مرة ثانية ضابطا لسفينة اسمها " ضوء منف**"(83).

"ضرب الحصار على مدينة أورايس وأتيحت لي الفرصة لأبرهن على بسالتي على الأرض في حضرة صاحب الجلالة، ثم رقيت على السفينة تلك التي تتألق في منف، وعندئذ دارت المعركة على صفحة الماء في القناة با-جد-كو عند أورايس وحصلت على غنائم .."(84).

كما افتخر "احمس بن أبانا" بإشرافه على نقل الملك "أمنحوتب الأول" عن طريق نهر النيل، حين كان متجها جنوبا إلى بلاد كوش "النوبة" لتوسيع حدود مصر(85)، وكتب على أحد النصب التذكارية نصا يقول: **"لقد أظهرت تفوقا على المياه الرديئة باكراه السفن على المرور عبر الشلالات"(86).** وقال أيضا: **"قمت بقيادة سفينة "جسر كارع"(أمنحوتب الأول) ملك مصر العليا والسفلى بينما كان يصعد النهر متجها إلى بلاد كوش لتوسع حدود مصر وضرب صاحب الجلالة هذا النوبي الخسيس وسط جيشه ذاته واقتيد مكبلا بالأصفاد ومن الجيش لم يتبقى شيئا والذين ولو الأدبار حصدوا حصرا وطرحوا على جانبهم وكأنهم لم يوجدوا قط ...ثم ذهبنا لإحضار الشعب وقطعان العدو المهزوم وجئت بأسير وأهديته إلى صاحب الجلالة وبعد ذلك وفي خلال يومين اصطحبت الملك من بئر العليا (الشلال الثاني) إلى مصر(87)، وكوفئت بالذهب(88)، فضلا عما قدمته إلى صاحب الجلالة ومنحت لقب " محارب الأمير"(89).**

وقد جاء في مذكرات هذا القائد أيضا حول حملة "تحتمس الأول" إلى الجنوب: **"قدمت سفينة الملك " عاخبران رع " (تحتمس الأول) المبجل عند إبحاره جنوبا إلى "خنت – هن – نوفر" ليمد الثورة في المرتفعات وليوقف الاغارات في منطقة التلال، وأظهرت شجاعة أمامه في المياه الصعبة وفي قيادة السفينة عند المنحنى (دنقلة)، فكافأني (الملك) وعينني قائدا للأسطول ... وأبحر جلالته جنوبا وكل البلاد في قبضته...وعلق هذا النوبي من رجليه على مقدم سفينة جلالته ورسونا عند الكرنك"**وهكذا خدم أحمس بن أبانا هؤلاء الملوك إلى غاية وفاته(90).

2-حملات عسكرية عبر البحر:

على غرار الدور الذي لعبه البحر في الجانب الاقتصادي والتواصل الثقافي في نقل المؤثرات كان له أيضا دور عسكري (في بعض الأحيان ايجابا وبعض الأحيان سلبا) (91)، فقد ساعد وجود أسطول وجيوش بحرية لمصر دعم قدرته وسيطرته على امبراطورية واسعة مترامية الأطراف خاصة في عصر الدولة الحديثة(92).

وقد وضعت الأسرة الثامنة عشر دعائم امتداد النفوذ المصري إلى البلاد الشمالية في كل من الأقاليم التي تضم المناطق التي تشغلها الآن فلسطين والأردن ولبنان وسوريا والعراق حتى جنوب تركيا، ومن الثوابت التاريخية أن الأساطيل المصرية قد عرفت طريقها إلى سواحل تلك المناطق منذ عصر ما قبل التاريخ، ولكن في عصر الأسرة الثامنة عشر ازداد التركيز على الاهتمام بتلك المناطق وتحقيق امتداد النفوذ المصري وتوسيع حدود الإمبراطورية المصرية(93)، وقد لعبت السفن المصرية دورا حربيا حاسما في تدعيم أركانها ، فقد كانت خير عون للفراعنة المحاربين خلال عصر الدولة الحديثة(94)، وخصوصا في عهد "تحتمس الثالث" بالذات استخدمت السفن البحرية الضخمة بأعداد كبيرة لنقل الجيوش والعتاد والمؤن وكل متطلبات المجهود الحربي الذي كان يؤازر الجيوش الساعية لتحقيق النصر، وقد

تم تحويل معظم الموانئ الواقعة على السواحل الفلسطينية والسورية إلى قواعد حربية بحرية تابعة لنفوذ الامبراطورية المصرية(95).

أ-حملات تحوتمس الثالث العسكرية:

لقد ساهم الملك تحتمس الثالث في بناء إمبراطورية مصر(96)، بقيامه بعدة حملات حربية على الجهة الأسيوية إذ لا يمكن السيطرة على شرق البحر المتوسط دون وجود قوة بحرية تسيطر على تلك المنطقة (97)، وجه عنايته الخاصة إلى الموانئ الفينيقية(98) عندما اتجه نحو الشمال وجعل منها قواعد بحرية للعمليات التي يقوم بها الجيش المصري في سوريا وفلسطين فأمدها بحاجيات من الخبز والزيت الزيتون والبخور والنبيذ والعسل والفواكه، كما استولى على كثير من السفن لكي يسهل المواصلات من مصر وإليها، ولقد لعبت مدينة "بيبلوس" دورا مهما في إمداد الفرعون بالمراكب التي قد احتاجها عبر الطريق البري، ليعبر من خلالها بقواته نهر الفرات في إحدى حملاته الحربية المهمة ضد ميتاني، كما قام الفرعون باستخدام السفن خلال حملته الحربية السادسة على سوريا وفلسطين لنقل بعض قواته عبر الطريق الساحلي(99)، وهو طريق امبراطوري حقيقي لنقل القوات المسلحة من منف إلى موانئ ساحل فينقيا(100).

وعليه سنورد بعض تفاصيل هذه الحملات التي قادها الملك "تحتمس الثالث"، فبعدما تدهور الوضع العسكري المصري في فينيقية، خلال فترة حكم الملكة "حتشبسوت"- نظرا لاهتمامها بالأمور الداخلية-استغل الأمراء الفينيقيين هذا الوضع وأعلنوا تمردهم ضد السيطرة المصرية(101)، هذا التمرد الذي واجهه الملك "تحتمس الثالث" في بداية عهده خاصة بعد تحريض دولة ميثاني لتلك الدول المدن(102).

بعد هذا النصر الذي حققه "تحتمس الثالث" وجه عنايته لتنظيم البلاد التي فتحها، فقد أصبحت فلسطين ولبنان خاضعتين لسلطانه (103) وكذلك الجزء الأعظم من بلاد فينيقيا، وفي أعقاب ذلك لم يتحول نظر تحوتمس عن غايته الأولى، وهي بسط السيادة المصرية إلى نهر الفرات لكي يقضي على دولة الميتانيين، ولتحقيق هذه الغاية كان عليه أن يهزم بادئ ذي بدئ من كان يساعد هذه الدولة وهما أمير قادش الذي تمكن من الفرار في معركة مجدوا وأمير تونيب حليفه الجديد وكان هذا الأخير يحكم بلادا واقعة في شمال سورية تجاوز نهر العاصي والنهرين ولكي يصل تحتمس الثالث إلى شمال سورية التي كان طامعا فيها عن طريق فلسطين وقد فتحها من قبل، كان مضطرا لاجتياز مضيق فينيقية وإنشاء سفن التموين في مختلف موانئها تسهيلا لنقل الجنود على وجه السرعة ويقول المؤرخ دريتون" أن الملك أدرك أنه لا يستطيع مواصلة فتوحاته إلا إذا ضمن لنفسه قاعدة بحرية في فينيقية، لأن السفر بحرا من مصر إلى سورية كان أقل مشقة وأقل نفقة وأقصر شقة، ثم إن الأسلاب والغنائم التي كان الملك يجلبها سنويا كان نقلها بطريق البحر أيسر منه كثيرا بطريق البر(104)، لذلك بنى تحتمس الثالث أسطولا عظيما وجهزه بكل ما يلزم من عتاد ليتمكن بمساعدته من النزول في شمال ساحل فينيقية، وبخطته هذه يمكنه أن يتخذ الساحل قاعدة حربية لمهاجمة قادش وما

حولها من البلاد المعادية حتى إذا ما استولى عليها استطاع أن يسير بجيشه من الساحل موغلا في الداخل نحو بلاد المثنى وإقليم بلاد النهرين(105) .

ومن ثم في حملته الخامسة تم الاستيلاء على الثغور الفينيقية لتكون قاعدة لحملته على "قادش" ولتيسير المواصلات بين آسيا ومصر لأن الاتصال البحري أسرع وأصلح من الاتصال البري(106)، وقد استطاع هذا الملك أن يضع يده على الأسطول البحري الكائن عند الشاطئ وكذا على أسلاب وفيرة مما يسر له الاتجاه جنوبا إلى أرواد التي حاصرها واستولى عليها وتجنب بذلك السير المرهق في الصحراء(107)، إذ يقول الدكتور سليم حسن في هذا الشأن :"أنه في حملته الخامسة ذهب الملك ليطفئ نار ثورة محلية ...وربما كان "وارثت" على ساحل فينيقيا،... استولى على المدينة وأقلع بأسطوله وسار شمالا محاذيا للشاطئ حتى وصل إلى مدينة 'أرواد' التي تم ذكرها، ... وضمن الملك لنفسه منفذا بل منافذ على سواحل البحر في الشمال، ليربط بينه وبين مصر من جهة وبينه وبين جيوشه الموغلة في الداخل من جهة أخرى، ومن ذلك الوقت أصبحت مدن هذا الساحل قاعدة لأعماله الحربية في داخل هذه البلاد تنفيذا لخطته التي كان قد وضعها لمهاجمة ملك قادش"(108).

ومن الراجح أيضا أن "تحتمس الثالث" قد أنشأ قاعدة بحرية ثانية في مدينة جبيل التي كان لمصر فيها نفوذ عظيم منذ أجيال، وعليه كان ينزل جنوده تارة في سيمير وتارة أخرى في أوراتيت وأحيانا في بيبلوس ليواصل السير إلى هدفه الاكبر وهو اخضاع الميتانيين(109).

وفي العام الثلاثين من حكمه قام بحملته السادسة التي استطاع أن يدمر فيها مدينة قادش ويستولي عليها(110)، وكان استيلاؤه على موانئ فينيقيا ذا أثر فعال في هذه الحملة استطاع من خلالها أن يستقر بأسطوله عند احدى الموانئ القريبة من قادش التي كانت شديدة المراس، إذ تحتل موقعا منيعا، فقام هذا الملك بمحاصرتها وطال حصاره لها، مما أطمع أرواد فثارت عليه، ولكنه عند انتصاره على قادش قام بتأديب الأروادين في وجوب مراعاة العهود والتمسك بالمواثيق، وعاد أخيرا إلى مصر منتصرا(111).

وبعدها قام بحملته السابعة واخضع خلالها بلدة عاصية تدعى "أنراثو" (ألاوزا) وتقع على الساحل بالقرب من "سميرا" وقد كانت في حلف مع بلدة "تونب"، وكان في مقدور الفرعون وقتئذ أن يحشد قوة كبيرة في أسطوله ويسير بها مباشرة لإخضاع هذه البلدة وقد تم له ما أراد إذ زحف بجيشه وأخضعها(112)، بغض النظر عن هذا أنشأ بضع قواعد بحرية على شاطئ فينيقية خلال هذه الحملة (الحملة السابعة) لتكون مستودعا للجزية المفروضة على املاك مصر في آسيا(113).

وفي العام الرابع والثلاثين من حكمه قام بحملته الثامنة من الحملات العسكرية المشهورة استهدف فيها العدو بلاد ميتاني(114) الواقعة في الشمال ما بين دجلة والفرات كانت دولة قوية تسعى إلى بسط نفوذها على فينيقيا، الأمر الذي أدى إلى مواجهة حتمية مع المصريين، أخذ تحتمس الثالث في هذه الفترة يعد العدة للمواجهة فأمر ببناء السفن من

خشب الأرز في جبيل الأرض الإله على مقربة من ربة جبيل ونقلها إلى ضفاف الفرات على عربات تجرها الثيران(115)، ثم عبر بها نهر الفرات و يسجل نصرا عسكريا على عدوه الملك الميثاني(116)، والسفن المصرية التي استخدمت لتحقيق هذه الأغراض الحربية لم تكن سفنا حربية بالمعنى المفهوم لتلك التسمية ، أي أنها لم تصمم لكي تكون مؤهلة للقيام بعمليات ومعارك حربية بحرية وإنما كانت في الأصل سفنا لنقل المجهود الحربي من رجال وجنود وأسلحة وعتاد ومواد غذائية وخيول ومركبات حربية وغيرها(117).

وفي حملاته التي تلت العاشرة كان يخرج بين الحين والآخر لتأديب كل من فكر في الخروج على الحكم المصري(118) وواصل سياسته التوسعية في متابعة النجاحات(119) إلى غاية حملته السادسة عشر والأخيرة، حيث أن ملك قادش كان لايزال مصرا على عناده وتمسكه بقوميته واستقلاله، وكان يحين الفرص ليثير الأمراء المجاورين له، وقد أفلح في اجتذاب ملك (المتنى) وإقليم (تونب) إلى جانبه فأعلنوا العصيان على مصر، ولما علم تحتمس الثالث سار بأسطوله إلى شواطئ فينيقيا ونزل في ميناء (سميرا) وهاجم ميناء (عروقات) ثم زحف مباشرة على تونب على مقربة من قادش ونهر العاصي وبعد سقوط هذه الأخيرة بدأ الملك بحصار قادش إلى ان اخترق جدرانها (120)، ونلاحظ هنا أن الملك لم يتغلب على الأسيويين تماما إلا في أواخر أيام حكمه بعد أن أخضع غرب آسيا تماما وفي ذلك العهد اتسعت الامبراطورية المصرية اتساعا لم تصل إليه من قبل(121).

ب-حملات الرعامسة العسكرية:

لقد كان للملوك الرعامسة دور في تأمين وتوسيع مصر القديمة، وقبل الحديث عن منجزاتهم علينا معرفة الأوضاع العامة السائدة قبل فترة حكمهم، ففي عهد "تحتمس الثالث" وابنه "أمنحوتب الثالث" ظل الأسطول البحري المصري يسيطر على الشاطئ الفينيقي سيطرة تامة ، بل أن رسائل تل العمارنة ذكرت بأن مصر كانت ما تزال في عهد خليفتها تمر دون عائق إلى حلفائها، وبهذا أضحت مصر سيدة المنطقة بغير منافس في البحر المتوسط لفترة طويلة (122).

إلا أن الظروف التي آلت إليها مصر بعد تولي "أمنحوتب الرابع" المعروف بـ "أخناتون" والمتمثلة في الثورة الدينية وصراعه مع كهنة أمون، أدى إلى إهمال أخناتون لأحوال مصر الخارجية (123)، وبدأت الإمبراطورية التي شيدها "تحتمس الثالث" تؤول إلى التفكك والانفصال، إذ حدثت ثورات وقلاقل في الأقاليم الفينيقية واستقلت بعض هذه الأقاليم عن الحكم المصري، وبدأ ملوك الدولة الحيثية استغلال الوضع في المنطقة، والتطلع إلى الاستيلاء على أقاليم سوريا وفلسطين، وكافة الأقاليم الأسيوية الأخرى التي كانت تابعة إلى مناطق النفوذ السياسي المصري وتحت حماية الجيوش المصرية(124).

وخطابات العمارنة بينت أفضل الصور عن الجيش المصري عامة وحال البحرية المصرية خاصة في هذه المرحلة الضعيفة من تاريخ الإمبراطورية، وفي ظل المنافسة الشرسة بين البحرية المصرية والبحرية الفينيقية ولمن ستؤول زعامة المنطقة وخاصة موانئ البحر المتوسط، وتكشف عن قيام الفينقيين كشعب يجوب البحار وفي المقابل تكشف عن انهيار

السيادة المصرية في البحر نتيجة انهيار السيطرة المصرية على أملاكها في فينيقيا بسبب سلبية واهمال كلا من أمنحوتب الثاني وأمنحوتب الرابع "أخناتون"، ولحسن الحظ فقد صور على جانبي أحد الصناديق الخاصة بالملك توت عنخ آمون بعض مناظر الحربية التي تشير إلى أحد الحملات الملك إلى فينيقيا واستخدام السفن في نقل الجنود، والتي ربما تكون مجرد دعاية ملكية فقط، فعلى الجانب الأيمن للصندوق منظرا يمثل الملك وهو يهجم على عدد من الأعداء الفينيقيين(125) .

هذه الأوضاع واجهها الملك سيتي الأول(126)، منذ توليه السلطة، حيث اتجه إلى آسيا منذ السنة الأولى من حكمه، فانطلق واستولى على رفح وغزة في أرض كنعان وسار صوب "ينوعم"(127)، كما تقدم شمالا واستول على عكا وصور(128)، ووطد المواصلات مع سوريا، ثم احتل مجددا شمالا فلسطين ومنطقة لبنان وتوغل فيها(129)، وفي طريق عودته استول على "بلا"(130)، وكان هدف سيتي الأول من حروبه في آسيا هو السيطرة على موانئ الساحل الفينيقي وتوثيق الصلة البحرية بين موانئ هذه البلاد ومصر، وجعل هذه الموانئ قواعد حربية بحرية لتموين وإعداد الجيش.(131)، فنجده قد اخترق شمال فلسطين وأخضع لبنان وأخيرا أخضع شاطئ فينيقيا تمهيدا لمهاجمة قادش(132).

حيث عمل ابنه رمسيس الثاني على متابعة سياسة والده –بعد توليه الحكم– نحو استكمال استرجاع النفوذ المصرية في سوريا، فقام في عام حكمه الرابع بحملة إلى سوريا(133) وصل فيها حتى نهر الكلب "شمال بيروت"(134)، حيث أقام لوحة تذكارية هناك(135)، وبهذا استطاع أن يحتل شاطئ مملكة أمورو، وبالتالي التحكم في نهر الكلب الذي اعتبر في ذلك الوقت من أهم وسائل نقل المعدات المختلفة الآتية من البحر المتوسط إلى داخل البلاد(136)، إذ اتبع رمسيس الثاني طريقة تحتمس الثالث في اخضاع الشاطئ البحري، ليتخذه قاعدة حربية لتحركاته المقبلة، لأن المواصلات البحرية كانت أسهل وأسرع من البرية(137).

وبعد الحرب التي دارت بين الطرفين المصري والحيثي، اتفق الطرفان المتحاربان على أن يحترم كل منهما حدود الآخر ، وعاد رمسيس الثاني وجيوشه إلى مصر دون أن يضم مدينة قادش إلى أملاكه، واقتصرت إمبراطورية مصر في آسيا على فلسطين ولبنان وجزء صغير من سورية وعلى الأخص الموانئ التي كانت على الشاطئ(138)، وفي السنة الثامنة من حكمه سار بجيش جرار(139) نجح فيها بإعادة السيطرة المصرية(140) على بعض الإمارات العامورية خاصة "تونيب" و"دبور" المسجلتين بالنصوص والمناظر على جدران معبد الرامسيوم، ونجح رمسيس الثاني في استعادة مصر لسيادتها على تلك البلاد وعلى الشاطئ الفينيقي وربما على بعض جزر البحر المتوسط مما أعاد لمصر أمجادها القديمة وأصبح بذلك جدير بلقب "الملك المحارب"(141).

بلغ الجيش المصري في فترة الملك المصري رمسيس الثاني قمة مجدها العسكري، حيث في فترته بلغ عدد أفراد الجيش المصري حوالي 100.000 محارب بالإضافة إلى كمية الأسلحة والعتاد الكبيرة والعربات الحربية وكذلك العدد

الكبير من السفن الحربية التي كانت أقل حجما، وكذلك كبيرة الحجم المعدة خصيصا لنقل الجنود، فكانت قوة هائلة استخدمها لتعزيز النفوذ المصري في غرب آسيا وساحل البحر المتوسط والنوبة وصد أي خطر يهدد حدود مصر(142).

جـ-مصر و تهديدات شعوب البحر:

لقد هاجمت شعوب البحر شواطئ مصر الشمالية والشمالية الغربية في دفعات عديدة متكررة (143)، ونجح ملوك الدولة الحديثة في التصدي لهم في كثير من الأحيان(144)، وقد أطلق المصريون القدامى على هؤلاء تسميات عدة منها "أجانب الشمال الذين في جزرهم" أو "الأجانب الذين قدموا من بلدانهم ومن جزر متوسط الأخضر العظيم" أو ببساطة الذين من بلدان "البحر "أو "من البحر"، ومن الواضح أن المؤرخين والعلماء المصريين قد استوحوا من هذه التعابير المصرية التسمية الحديثة (145) التي أطلقوها على هذه الشعوب فيما بعد، وهي "شعوب البحر" أو "أقوام البحر"(146).

إذ بدأت هجرة هذه الأقوام بصورة جدية ومستمرة من الشمال الغربي في عهد الدولة الحديثة نحو وادي النيل، واضطر ملوك الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين إلى صدهم، وقد كان هجوم اللوبيون في هذا الوقت يسير جنبا إلى جنب مع هجرة شعوب البحر، التي كانت قائمة في ذلك الوقت في أصقاع شرق البحر الأبيض المتوسط(147).

ويبدو أن كل هذه الأفواج المتحركة سواءً من المغيرين أو من المهاجرين أمامهم، وسواء الذين وصلوا إلى سوريا أو الذين اتجهوا بسفنهم غربا، نزلت سواحل شمال افريقيا، وكانت كلها تتجه نحو نهر النيل الخصيب حيث حاولت الدخول إلى مصر من الناحية الشرقية، كما كان الحال من الناحية الغربية، ورغم أنّ منطقة شرق البحر المتوسط والمناطق المحيطة به كانت خلال القرن الثالث عشر قبل الميلاد تتمتع بنوع من التوازن السياسي والحضاري، وهذا نتيجة تواجد ثلاث قوى سياسية وحضارية كانت تسيطر على المنطقة وهي: الإمبراطورية المصرية من الجنوب والشرق، والحيثية من الشمال الشرقي والميسينية من الشمال الغربي، إلاأنه بمجرد اختلال هذا التوازن وقعت المنطقة في حالة من الفوضى والاضطرابات، ولم تستطيع الإمبراطورية الحيثية ولا الميسينية الوقوف في وجه أولئك المهاجرين(148).

عند تولي رمسيس ثاني أمور الحكم ازداد الخطر من الجهة الغربية لحدود مصر، فقد بدأت طلائع المهاجرين من شعوب البحر النزول إلى شواطئ افريقيا والاختلاط بالسكان الأصليين، ثم الاستعداد للهجوم على مصر قصد التوغل في الدلتا(149)، فقد اضطر هذا الملك قتال هؤلاء الذين عرفوا بـ "طوائف البحر"، وقد أطلق عليهم اسم الشراذانا(150)، وخرج إليهم للحد من أعمال القرصنة الموجودة على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط من خلال مهاجمة السفن المحملة بالبضائع والمنتجات المسافرة بالطرق البحرية إلى مصر، قام رمسيس الثاني بأحد التكتيكات الحربية المخادعة حيث نشر عدد من القوات والأساطيل في مناطق استراتيجية على طول ساحل البحر المتوسط وجعل بعض الأهداف

منها في مرمى الشردن للإيقاع بهم وما إن اقتربوا منها حتى هجم عليهم حين غرة في معركة بحرية وقضى عليهم مرة واحدة (151).

د-رمسيس الثالث وشعوب البحر:

لقد قام رمسيس الثالث بخوض المعارك عند مصبات نهر النيل ذاته، وكان البحارة يجندون في الغالب من بين أهالي الدلتا الذين اعتادوا منذ وقت مبكر جدا أن تجمعهم بالبحر ألفة، فكان أسطول الملك مراكب شراعية كبيرة يقودها صف من المجدفين أو صفان في بعض الأحيان، فيشدون بقوة على المجاديف عند ميسرة السفينة وميمنتها بينما تتعالى أغانيهم، كان أسطول الملك مصنوع في أغلب الأحوال من خشب صنوبريات لبنان وقد يصل طولها الى 60 مترا، وتنساب على صفحة نهر النيل أو تجري عبر الشديدة الإخضرار أو تبحر بمحاذاة الشاطئ مدفوعة بالرياح التي تنفخ في الشراع العريض، الذي يتخذ شكل المعين المنحرف والمثبت على عارضتين والمرفوع على سارية مزدوجة أو بسيطة، ويتحكم في السفينة من الخلف حبلا الرفع، ويعتمد توجيه السفينة إما على مجداف واحد في المؤخرة أو على مجدافين طويلين وعريضين واحد على كل جانب من جانبي كوثل السفينة، وقد وضعا فوق شوكة تتحرك كالرافعة، وكان الربان يرفع أحدهما بواسطة حبل، ولا يعرف شيء عن التجهيزات الداخلية للمراكب، فكل ما يعرف عنها جاءنا عن طريق التصاوير أو النماذج المصرية المصنوعة من الخشب، أو الفينيقية المصنوعة من الصلصال، ولكنها ليست "نماذج مصغرة" لأنها لا تبرز سوى الخطوط العامة لما تصوره(152).

إن كانت النقوش المصرية قد ذكرت المعركة البرية بإيجاز، فقد أفاضت سواء بالكلمة أو الصورة في تفاصيل المعركة البحرية المصورة على أحد جدران معبد مدينة هابو(153)، ولعل مناظر هذه المعركة تعتبر الأولى من نوعها التي تمثل المعارك المائية في تاريخ الحضارة المصرية(154)، إذ تعد هذه المعركة من أولى معارك البحرية في التاريخ، والتي دارت رحاها في البحر الأبيض المتوسط(155)، والتي كانت خلال عهد الفرعون "رمسيس الثالث" ضد شعوب البحر(156)، وانتصار أسطوله دليلٌ على قوة الأسطول الحربي المعد للقتال(157).

وتصور لنا نقوش معبد مدينة هابو بغربي طيبة منظرا خمسة سفن لشعوب البحر، تطاردها بشدة أربعة سفن مصرية ويرى "نلسون Nelson" أن المناظر تبين سفن العدو وتبدو كأنها لم تستعد للقيام بمناورة، وذلك من خلال أشرعتها، بينما تبدو السفن المصرية تهاجم بطريقة منظمة بمقدمتها المتجهة نحو العدو، بينما لا يوجد لدى السفن الأخرى مثل هذا التشكيل، وربما كان هدف الفنان من ذلك أن يظهر مدى اضطراب أسطول العدو حين يقارن ذلك بالتقدم المنتظم للأسطول المصري، والذي يبدو واضحا أنه قبض على عدوه بمهارة، ومن ثم فإن الفنان حين رسم هذا المنظر إنما قد صور في ذهنه ما كان يفكر فيه الكاتب المصري حين كتب يقول: "**شبكة كانت معدة لهم لاصطيادهم، وأما الذين دخلوا في مصبات النيل فقد كانوا كالطيور التي وقعت في أحبولة**"(158)، وحين كتب يقول

:"وأما الذين أتوا بجموعهم معا عن طريق البحر، فإن اللهب الشامل كان أمامهم عند مصبات النيل في حين أن سياجا من الحراب قد أحاط بهم من الشاطئ" (159).

ومن الواضح أن الفنان الذي أشرف على تصميم مناظر تلك المعركة البحرية قد التزم بالنص التقريري الذي ورد بـ"بردية هاريس"، حيث ذكرت قول الملك:

"...هؤلاء الذين وصلوا إلى حدودي أفنيت بذرتهم...أما الذين جاؤوا من البحر فإن "اللهب المشتعل"(وهو الاسم الذي يصف به الملك أسطوله الحربي) كان ينتظرهم عند مصبات النيل ..قد أحاط بهم على الشاطئ، وانتهى بهم الأمر بأن أصبحوا محاصرين ومطروحين أرضا وهم قتلى وأمتعتهم أسقطت في الماء"(160).(أنظر الشكل رقم4).

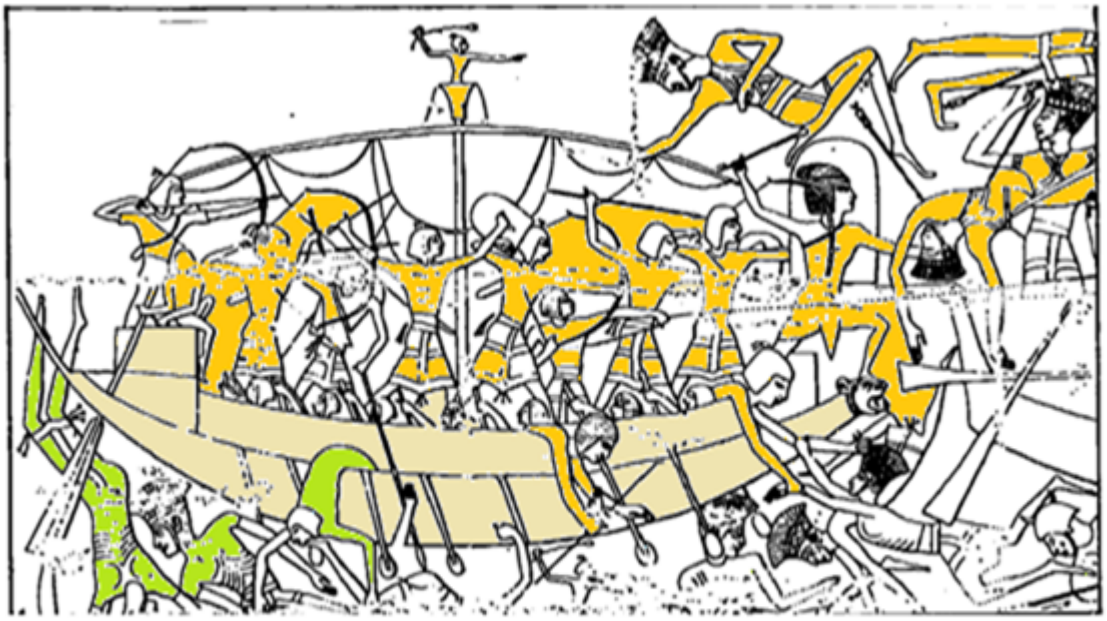

الشكل 4: المعركة البحرية التي خاضها الاسطول المصري بقيادة رمسيس الثالث ضد شعوب البحر.

Bruno Argemi.Pierre Tallet,Entre Nil Mers la Navigation En Egypt Ancienne,Arles Antique,2014,P11.

وبهذا يمكننا القول " الجيش أمامهم، واللهب المشتعل وراءهم"، بمعنى آخر فإن الأسطول المصري قد قطع انسحابهم عن طريق البحر، كما منع الجيش فرارهم عن طريق البر، وهكذا كانت الخطة كاملة لدرجة أن العدو قد وقع في المصيدة التي اعدت له، ومن هنا فقد دمروا تماما عندما التقى المصريون بهم في أماكنهم كما يقول النص، ويرى "نلسون" أن موقع المعركة البحرية على الأقل بقدر ما أراد الفنان أن يصوره، ربما يتفق مع تقرير النقش، بأن حدوث المعركة كان عند مصب النهر، ربما كان واحدا من فروع النيل بالدلتا، وأما "ادجرتون" و"ولسن" فيميلان إلى أن المعركة قد حدثت عند مصبات النيل، ويرى بعض الباحثين أن السفن المصرية التي استخدمت في عهد رمسيس الثالث لقتال

شعوب البحر قد شهدت بعض التطور في تصميمها من قبل المصريين، لتكون قادرة على القتال والاشتباك والمناورة (161).

وبهذا تمكن الملك في العام الثامن من حكمه(162) من الانتصار في معركتين كبيرتين، إحداهما كانت برية والأخرى بحرية أما الأولى فكانت مع هؤلاء المهاجرين الذين وصلوا عن طريق البر، وأما الثانية فكانت مع من اندفعوا بمراكبهم إلى شواطئ جنوب سوريا ووصلوا حتى مصبات نهر النيل عن طريق البحر(163)، تمكن الأسطول المصري فيها من هزيمتهم وتدمير سفنهم وبهذا تمكن رمسيس الثالث من انقاذ مصر من خطر مؤكد لم يقل عن خطر الهكسوس(164).

ليأمر الملك رمسيس الثالث بعدها بتحصين الحدود عند "زاهي"(165) كما أمر بتحصين مصبات النيل(166) بأنواع من السفن المختلفة(167)، وزعها على الموانئ الشمالية(168) في قوله: " **أمرت بأن يجهز مصب النهر كسور قوي بالسفن الحربية والزوارق التي كانت معدة اعدادا تاما** "**(169)**.

وهناك قول آخر: " **أعددت حدودي في زاهي وحصنتها ضدهم ..وقد حصنت مصاب النيل حتى صارت حوائط صلبة يحميها أسطول من السفن الحربية وسفن الشحن والقوارب...كما زودتها من مقدمة المركب(170) إلى مؤخرتها، بمحاربين شجعان مدججين بالسلاح وكذلك بالمشاة**"**(171)** .

وعلى هذا النحو أمتع كاتب الملك في وصف أطماع شعوب البحر، وأبدع الفنانون في تصوير هزيمتهم على جدران معابد طيبة، فصوروهم يفرون على البر بعربات وصوروا الأمهات من فرط جزعهن يهرعن إلى العربات قبل أطفالهن، وصوروا ساحة الحرب بعد الموقعة خرابا(172)، وعندما صور الفنانون قتال البحر صور سفن الفريقين(173) ورمى المصريون أعدائهم بالنبال ثم صادموهم بالمراكب وقاتلوهم وجها لوجه بالسيوف والخناجر حتى انتهت المعركة بانتصار المصريين(174).

أما مكان المعركة البحرية فإن النصوص مضطربة في ذلك لأنها تحدثنا عن تجمع العدو في بلاد الأموريون وأن رمسيس الثالث قد سار على رأس جيشه إلى زاهي ،حيث أوقع بشعوب البحر ومن ناحية أخرى فإن صور المعركة البحرية انما تشير الى انها وقعت عند مصبات نهر النيل، وربما يفسر ذلك التضارب بأن الفرعون قد حصن حدوده عند زاهي في حين انه قد حصن مصبات النيل كذلك وان العدو الذي كان معظم أسطوله البحري يرافق جيشه البري قد فصل بعض قطعه البحرية حتى تقوم بهجوم مفاجئ على مصبات النيل وبذلك تستطيع ان تحدث الذعر في صفوف الجيش البري الذي كان يتقدم في آسيا متجها نحو زاهي، وفي الوقت نفسه حتى اذا استطاع المصريون الانتصار عليهم في زاهي فإنهم على الأقل سيفرون من هزيمتهم بالاستيلاء على جزء من أرض الكنانة عن طريق مصبات النيل ويبدوا ان رمسيس الثالث قد فطن لهذه الخطة ومن ثم فقد أعد خطته الحربية على اساسها ويرى نلسون أن موقع المعركة البحرية على الأقل بقدر ما أراد الفنان أن يصوره ربما يتفق كذلك على تقرير نقش قد حدث عند مصب النهر ربما كان واحدا من فروع النيل بالدلتا(175)، لكن محمد بيومي مهران يرى أنها حدثت في مكان ما إلى الشرق من بورسعيد قريبا من مخرج

الفرع البيلوزى للنيل، وأن السفن المصرية التي اشتركت في المعركة خرجت من منف إلى الفرع البيلوزى ومنه إلى البحر الأبيض المتوسط حين اشتركت في المعركة مباشرة(176).

الخاتمة:

لاشك أن مرحلة الدولة الحديثة، بكل ماحملت من معطيات لازالت بحاجة إلى دراسات وأعمال تنقيب واسعة بالمواقع الأثرية المختلفة وعليه فمن خلال هذا العمل يمكن الوقوف على العديد من النقاط والنتائج التي تشكل قاعدة بحث مستقبلا لأي باحث مهتم بالدولة الحديثة بمصر القديمة وبمجال البحرية:

ارتبط بالأسطول الحربي عدد كبير من الألقاب الحربية والإدارية بالاضافة الى وجود أسماء لقوارب حربية مقاتلة أو قوارب تستخدم كناقلات للجنود وذلك اعتمادا على المناظر والنصوص والتي عرفت منذ عصر الدولة القديمة والوسطى وظلت تستخدم بعد ذلك خلال عصر الدولة الحديثة.

لعبت الأساطيل الحربية دورا حربيا مهما في تدعيم أركان الامبراطورية المصرية التي امتدت حدودها الى بلاد النهرين حتى حدود مناطق المملكة الحيثية وممتدة الى الجندل الرابع ببلاد النوبة بأقصى الجنوب، وكانت الأساطيل الحربية من ناقلات جنود وناقلات العتاد الحربي خير عون لملوك الدولة الحديثة أمثال تحتمس الثالث وأمنحوتب الثاني وحور محب من الأسرة الثامنة عشر وسيتي الأول ورمسيس الثاني، ومرنبتاح ورمسيس الثالث من الأسرة التاسعة عشر والعشرين.

عرف الأسطول الحربي اهتماما كبيرا لدى ملوك الدولة الحديثة، بحيث أدرك ملوك الدولة الحديثة أهميته في تذليل الصعوبات لتنقل وتحقيق انتصارات على الغزاة الطامعين.

الهوامش:

1) برهان الدين دلو، **حضارة مصر والعراق"التاريخ الإقتصادي الإجتماعي الثقافي والسياسي"**، الفارابي، ط1، بيروت، 1989م، ص83-84.

2) السويفي مختار، **أم الحضارات "ملامح عامة لأول حضارة صنعها الإنسان"**، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1999، ص91.

3) -محمد رأفت عباس، **الجيش في مصر القديمة "عصر الدولة الحديثة 1550-1069ق م"**، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2016م، ص91.

4) Amsstutz L.j. ,**Ancient Egypt**, united States of America, 2015, p89.

5) Norman Bancroft Hunt,**Living In Ancient Egypt**,Chelsea House , New York, 2009, p73.

6) محمد رأفت عباس، المرجع السابق، ص93.

(7 G.Joliver,R.Brock,T.J.cornell,S.Hodkinson,**The Sea Antiquity**, Biddles Ltd,England, 2000, p81.

(8 رمضان عبده علي، **حضارة مصر القديمة "منذ أقدم العصور حتى نهاية عصور الأسرات الوطنية"**، ج1، مطابع المجلس الأعلى للآثار، مصر، 2004 م ، ص378- 379.

(9 Togny.Save Sodebergh,**The Navy Of The Eighteenth Dynasty**, Uppsala, 1946., p82.

(10 Ibid, p83.

(11 محمد بيومي مهران، **الحضارة المصرية القديمة"الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية والقضائية والدينية"** ، ج2، دار المعرفة الجامعية، ط4، الإسكندرية، 1989م، ص229.

(12 جي راشيه، **الموسوعة الشاملة للحضارة الفرعونية**، تر: فاطمة عبد الله محمود، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة، 2006، ص100.

(13 سليم حسن، **مصر القديمة**،ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1992، ص465-466.

(14 محمد شفيق غربال وآخرون، **تاريخ الحضارة المصرية**، مج 1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.س) ، ص203.

(15 Nigel Stillman And Nigel Tallis,**Armies Of The Ancient Near -539Bc),** **east(3000bc** England , 1984, p9.

(16 M.R.Well,**la fin De Moyen Empire Egyptien**, Journal Asiatique , X VII - Paris, 1917, p274.

(17 رمضان عبده علي، المرجع السابق، ص 378-379.

(18 عبد الرحمان زكى، **الجيش في مصر القديمة**، (د م ط)، القاهرة، 1967م، ص44.

(19 رمضان عبده علي، المرجع السابق، ص378-379.

(20 محمد بيومي مهران، **الحضارة المصرية القديمة...**، ج2، المرجع السابق، ص229.

(21 Anne Mllard,**Armies Of The Past:Going To War In Ancient Egypt**, New York.2000,p26.

(22 محمد بيومي مهران، **الحضارة المصرية القديمة...**، ج2، المرجع السابق، ص229.

23) أسامة بسيوني الدمنهوري، **الأسطول الحربي في مصر القديمة "منذ عصر الانتقال الأول حتى نهاية العصر البطلمي**، مذكرة ماجيستير، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر، 2016م ، ص65.

24) عبد الرحمان زكي، المرجع السابق، ص44.

25) محمد شفيق غربال وآخرون، المرجع السابق، ص203.

26) محمد شفيق غربال وآخرون، المرجع السابق، ص204- 205.

27) رمضان عبد علي، المرجع السابق، ص378-379.

28) سليم حسن، **مصر القديمة...**، ج2، المرجع السابق، ص463.

29) مختار السويفي، **أم الحضارت...**، ج1، المرجع السابق، ص78.

30) محمد بيومي مهران، **الحضارة المصرية...**، ج2، المرجع السابق، ص229.

31) محمد رأفت عباس، المرجع السابق، ص97.

32) محمد بيومي مهران، **الحضارة المصرية...**، ج2، المرجع السابق، ص229.

33) محمد بيومي مهران، **الحضارة المصرية...**، ج2، المرجع السابق، ص229.

34) نفسه.

35) محمد رأفت عباس، المرجع السابق، ص97. ؛ .T-Save-Soderbergh,Op-Cit,p88-90.

36) أسامة بسيوني السيد الدمنهوري، المرجع السابق، ص63.

37) محمد بيومي مهران، **الحضارة المصرية القديمة...، ج2**، المرجع السابق، 217.

38) محمد شفيق غربال و آخرون، المرجع السابق، ص203- 204.

39) جيمس هنري برستيد، **إنتصار الحضارة**، تر: أحمد فخري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2001م، ص125.

40) جان قيركويتر، **مصر القديمة**، تر:ماهر جويجاتي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1992م، ص102.

41) مختار السويفي، السويفي مختار، **من تاريخ البحرية وصناعة بناء السفن في مصر القديمة**، ع90، مجلة المدير الناجح، مصر، 2000م، ص28.

42) -مختار السويفي، **أم الحضارات...**، ج1، المرجع السابق، ص87.

43) محمد رأفت عباس، المرجع السابق، ص91.

44) عبد الرحمان الرافعي، **تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة:** من فجر التاريخ الى الفتح العربي، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1989م، ص72.

45) رمضان عبده علي، المرجع السابق، ص379.

46) مختار السويفي، **من تاريخ البحرية..**، المرجع السابق، ص28.

47) مختار السويفي، **أم الحضارات...**، ج1، المرجع السابق، ص88.

48) رزقانة إبراهيم وآخرون، **حضارة مصر والشرق القديم**، دار مصر للطباعة، مصر، (د.س)، ص189.

49) صدقي ربيع، **المراكب في مصر القديمة**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1992م، ص15.

50) بورتر هارفي، **موسوعة مختصر التاريخ القديم**، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة ، 1991م، ص20.

51) رمضان عبده علي، المرجع السابق، ص379.

52) نعيم فرح، **موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم "السياسي والإجتماعي والإقتصادي والثقافي"**، دار الفكر، (د.ب)، (د.س)، ص79.

53) جان قير كوتير، المرجع السابق، ص108. ؛ أحمد فخري ، **دراسات في تاريخ الشرق القديم"مصر والعراق – سوريا –اليمن–إيران"**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، مصر، 1963م، 206.

54) صدقي ربيع، المرجع السابق، ص15.

55) مختار السويفي، **من تاريخ البحرية..**، المرجع السابق، ص28.

56) ف.دياكوف،س،كوفاليف، **الحضارات القديمة**، ج1، تر:نسيم واكيم اليازجي، دار علاء الدين، ط1، دمشق، 2000م، ص138.

57) صدقي ربيع، المرجع السابق، ص15.

58) كلير لالوليت، **طيبة أو نشأة امبراطورية**، تر:ماهر الجويجاتي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2005، ص157.

59) مرجريت مرى، **مصر ومجدها الغابر**، تر :محرم كمال، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م، ، ص54.

60) كلير لالوليت، **طيبة** ..،المرجع السابق، ص189– 190.

61) إليزابيث رايفشال، **طيبة في عهد أمنحوتب الثالث**، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، 1967م، ص47.

62) أحمد أمين سليم، **دراسات في تاريخ الشرق: مصر سورية القديمة**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1989م، ص144– 145.

63) **أطلس الحضارات العالم القديم**، تر: عماد الدين أفندي، دار الشرق العرب للنشر والطباعة والتوزيع ،ط2 لبنان، 2016م، ص45.؛ جان قير كوتير، المرجع السابق، ص109.؛ نعيم فرح ، المرجع السابق، ص80.

64) محمد رأفت عباس، المرجع السابق، ص92.

65) مرى مرجريت، **مصر ومجدها الغابر**، تر:محرم كمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م، ص56.

66) أسامة حسن، **مصر الفرعونية**، تر:إبراهيم رزق، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، 1967م، ص56.

67) صدقي ربيع، المرجع السابق، ص16.

68) رمضان عبده علي، **تاريخ مصر القديمة...**، ج2، المرجع السابق، ص86.

69) صدقي ربيع، المرجع السابق، ص16.

70) زكية يوسف طبوزادة، **تاريخ مصر القديم من أفول الدولة الوسطى الى نهاية الأسرات**، (د م ن)، القاهرة، 2008م، ص51.

71) عبد العزيز صالح وآخرون، **موسوعة تاريخ مصر عبر العصور** "**تاريخ مصر القديمة**"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1997م، ص190.

72) عبد العزيز صالح، **الشرق الأدنى القديم**"**مصر والعراق**"، ج1، مكتبة الأنجلو مصرية مصر، 2012م، ص319.

73) سليم حسن، **مصر القديمة**،ج5، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1992م، ص20.

74) رحماني بلقاسم وخرفوش مدني، **الدور المصري في جنوب شبه الجزيرة العربية والشرق الافريقي**، مكتبة زهراء الشرق، مصر، 1998م، ص36.

75) كلير لالوليت، **طيبة...**، المرجع السابق، ص482.

76) مجدي صادق، **التاريخ الحقيقي لمصر القديمة**، مكتبة نبراس الصفا التاريخية ،ط1، (د.ب)، 2002م، ص50.

77) سليم حسن، **مصر القديمة...** ،ج5، المرجع السابق، ص21.

78) سوزان مبارك، **قادة مصر الفرعونية** "**حتشبسوت**"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2008م، ص15-16.

79) Morris I.Bierbries,**Historical Dictionary of Ancient Egypt**,Second Edition, The – scarecrow press, inc, uk ,2008, p6.

80) Michael Rice,**Whos Who In Ancient Egypt**, ,london,1999,p4.

81) Mark Jan Nederhof, **Ahmos Son Of Abana**, Autobiography,2014, pp1-3.

82) James Henry Breasted,Ancient Records Of Egypt, volume2, university Chicago, 1906, p5.

83) عبد المنعم أبو بكر، **محاضرات في التاريخ المصري القديم**، كلية أصول الدين، مصر، 1949م، ص117.

84) كلير لالوليت، **طيبة...**، المرجع السابق، ص156.

(85 Laszlo Torok, **Between Two World:The Frontier Region Between Ancient Nubia And Egypt 3700 bc-500 ad**,brill, boston , 2009, p159.

(86 مختار السويفي، **من تاريخ البحرية..**، ع90، المرجع السابق، ص28.

(87 Miriam lichtheim,**Ancient Egyptian literature**,Vol:2 The New Kingdom, p13-14.

(88 Mark Jan Nederhof,op-cit, p9.

(89 كلير لالوليت، **طيبة...**، المرجع السابق، ص190.

(90 صدقي ربيع، المرجع السابق، ص16- 17.

(91 عبد الحليم نور الدين، **البحران الأبيض والأحمر في التاريخ المصر القديم** ، محاضرات مكتبة الإسكندرية، مصر، (د.س)، ص16-17.

(92 Anne Millard Anne Millard,**Armies Of The Past:**Going To War In Ancient Egypt, Grolier, New York, 2000, p26.

(93 مختار السويفي، **من تاريخ البحرية..**، ع90، المرجع السابق، ص29.

(94 نفسه، ص41.

(95 نفسه، ص29.

(96 سمير أديب، **موسوعة الحضارة المصرية**، العربي للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2000، ص130- 131.

(97 محمد رأفت عباس، المرجع السابق، ص92.

(98 Anthony j.Spalinger,**War in Ancient Egypt**,The New Kingdom Blackwell, 2005,p131.

(99 T.Save Soderbergh,Op-Cit,p34.

(100 كلير لالويت، **الفراعنة امبراطورية الرعامسة زمن الملوك الآلهة**، تر:ماهر جويجاتي، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، ط1، القاهرة ، 2010م، ص109.

(101 نعيم فرح، المرجع السابق، ص81.

(102 محمد على سعد الله، **في تاريخ مصر القديمة**، مركز الإسكندرية، الأزاربطة،2001 م، ص254.

(103 Kathryn A Bard,**An Introduction To The Archaeology Of:Ancient Egypt**, Blackwel ,2007, p211.

104) عبد الرحمان زكى، المرجع السابق، ص187- 188.

105) سليم حسن، **مصر القديمة**..، ج4، المرجع السابق، ص426.

106) إبراهيم رزقانه وآخرون، المرجع السابق، ص191.

107) عبد الحليم نور الدين، **سقنن رع-تحوتمس الثالث-سيتي الأوّل**، محاضرات مكتبة الاسكندرية، مصر، (د.س)، ص13.

108) سليم حسن، **مصر القديمة**، ج4، مكتبة الأسرة، مصر، 2004م، ص427.

109) عبد الرحمان زكى، المرجع السابق، ص188.

110) سمير أديب، **موسوعة** ..، المرجع السابق، ص259.

111) عبد الحليم نورالدين، **سقنن رع**..، المرجع السابق، ص13.

112) سليم حسن، **مصر القديمة**...،ج4، المرجع السابق، ص430.

113) إبراهيم رزقانه وآخرون، المرجع السابق، ص191.

114) Rosalie And Anthony E David,**Biographical Ancient Egypt** ,Seaby ,London, 1992, p160.

115) أمهز محمود، **في تاريخ الشرق الأدنى القديم**، دار النهضة العربية، (د.ب)، 2010م، ص230.

116) محمد بيومي مهران، **المدن الفينقية**..، المرجع السابق، ص220.

117) مختار السويفي، **من تاريخ البحرية**...، ع90، المرجع السابق، ص29.

118) عبد الحليم نورالدين، **سقنن رع**...، المرجع السابق، ص14.

119) دونالد ريد فورد، **مصر وكنعان واسرائيل في العصور القديمة**، تر: بيومي قنديل، مطبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط2، القاهرة، 2015م، ص241.

120) سليم حسن، **مصر القديمة**...، ج4، المرجع السابق، ص451-450.

121) عبد الرحمان زكى، المرجع السابق، ص189.

122) سمير أديب، **موسوعة**...، المرجع السابق، ص 131.

123) حسن محمد محي الدين السعدي، **في تاريخ الشرق الأدنى القديم**، ج2، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1995م، ص45.

124) مختار السويفي، **أم الحضارات**...، ج1، المرجع السابق، ص118.

125) أسامة بسيوني السيد الدمنهوري، المرجع السابق، ص54.

126) محمد مهران بيومي، **المدن الفينيقية** "**تاريخ لبنان القديم**"، دار النهضة العربية، بيروت، 1994م، ص225.

127) نيقولا جريمال، **تاريخ مصر القديمة**، تر: ماهر جويجاتي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 1993م، ص321.

128) زكية يوسف طبوزادة، المرجع السابق، ص118.

129) ف.دياكوف/س.كوفاليف، المرجع السابق، ص144.

130) نيقولا جريمال، المرجع السابق، ص321.

131) مختار السويفي، **أم الحضارات...**، ج1، المرجع السابق، ص121.

132) سليم حسن، **مصر القديمة: عصر رعمسيس الثاني وقيام الامبراطورية الثانية**، ج6، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م، ، ص31.

133) سمير أديب، **موسوعة..**، المرجع السابق، ص455.؛ أبو المحاسن عصفور، **المدن الفينيقية**، دار النهضة العربية، لبنان، 1981م، ص38.

134) عصام محمد شباروا، **تاريخ بيروت "منذ أقدم العصور حتى القرن العشرين"**، دار مصباح الفكر، بيروت، 1987م، ص19.

135) محمد بيومي مهران، **المدن الفينقية...**، المرجع السابق، ص226.

136) سمير أديب، **موسوعة...**، المرجع السابق، ص455.

137) جيمس هنري برستيد ، **تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي**، تر: حسن كمال، مكتبة مدبولي، ط2، القاهرة، 1996م، ص283.

138) أحمد فخري، المرجع السابق، ص276.

139) عمر الإسكندرى و أ.ج.سفدج، تاريخ مصر الى الفتح العثماني، مكتبة مدبولي، ط2، القاهرة، 1996م، ص53.

140) محمد بيومي مهران، **المدن الفينيقية...**، المرجع السابق، ص226.

141) زكية يوسف طبوزادة، المرجع السابق، ص128.

142) أسامة بسيوني السيد الدمنهوري، المرجع السابق، ص57.

143) عبد الحليم نورالدين، **البحران الأبيض والأحمر** ..، المرجع السابق، ص17.

144) نفسه.

145) محمد حرب فرزات وعيد مرعي، **دول وحضارات في الشرق العربي القديم**، دار طلاس، ط2، دمشق، 1994م، ص177.

146) بن السعدي سليمان، علاقات مصر بالمغرب القديم منذ فجر التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الانسانية، قسنطينة، 2009/2008، ص194.

147) سليم حسن، **مصر القديمة "عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث ولمحة في تاريخ لوبية"**، ج7، مكتبة الأسرة، مصر، 2000م، ص75.

148) بن السعدي سليمان، المرجع السابق، ص193-194.

149) جاردنز سير ألن، **مصر الفراعنة**، تر:نجيب ميخائيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1973م، ص298.

150) أنور محمود زناتي، **موسوعة تاريخ العالم "تاريخ مصر"** ،ج1،(د.د.ن)، (د.ب)، (د.س)، ص35- 36.

151) أسامة بسيوني السيد الدمنهوري، المرجع السابق، ص55.

152) كلير لالويت، **الفراعنة إمبراطورية الرعامسة...**، المرجع السابق، ص109.

153) Nigel Stillman And Nigel Tallis,Op-Cit,p9 .

154) سمير أديب، **موسوعة...**، المرجع السابق، ص457.

155) رمضان عبد علي، المرجع السابق، ص379.

156) Rosalie David, **Handbook To Life In Ancient Egypt**, United States Of america, 2003, p67.

157) رمضان عبد علي، المرجع السابق، ص379.

158) محمد رأفت عباس، المرجع السابق، ص94- 95.

159) آلن جاردنز، المرجع السابق، ص314.

160) مختار سويفي، **أم الحضارات..**، ج1، المرجع السابق، ص149.

161) محمد رأفت عباس، المرجع السابق، ص94- 95.

162) Eric H.Cline And David Oconnor, **Ramesses III**,The University Of Michigan Press, United States America, 2012, p151.

163) Alan B.Lioyd,Acompanion To Ancient Egypt,Vol:1,Wiley Black Well,2010, p118-119.

164) I.E.S.Edwareds,**The Combridge Ancient Hstory, History Of the Middle East And the Aegeon Region1380-1000B.c**,Third Editon,Vol:11, At The University Press, United Kingdom, 2006, p243.

165) عبد العزيز صالح وآخرون، المرجع السابق، ص350.

166) Eric H.Cline And David Oconnor,Op-Cit,p152.

167) أحمد أمين سليم، المرجع السابق، ص174.

168) محمد بيومي مهران، **المدن الفينيقية**...، المرجع السابق، ص227-228.

169) نزار مصطفى كحلة، **غزوات شعوب البحر**، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2017م، ص124.

170) دونالد ريدفورد، **مصر وكنعان**...، المرجع السابق، ص381.

171) كلير لالويت، **الفراعنة إمبراطورية الرعامسة**...، المرجع السابق، ص377.

172) عبد العزيز صالح، المرجع السابق، ص351.

173) زكريا رجب عبد المجيد، **في التاريخ المصري القديم**، ج2، دار المعرفة الجامعية، (د.ب)، 2009م، ص159.

174) عبد العزيز صالح وآخرون، المرجع السابق، ص294.

175) سمير أديب، **موسوعة**...، المرجع السابق، ص130.

176) محمد بيومي مهران، **تاريخ الحضارة المصرية** ..، المرجع السابق، ص226.

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية
Mohmmad Bin Ali Assanosi University
كلية التأريخ والحضارة
المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية
العدد السادس / 2021م

الحرس البريتوري في روما نشأته ومهامه

أ- خالد آدم أحميدة/ جامعة طبرق
أ- رقية إسماعيل الأزرق/ **جامعة الزيتونة**

ملخص الدراسة :

كان الحرس الإمبراطوري لاعبا اساسيا في العصر الإمبراطوري في روما. أصوله تعود إلى مجموعة من جنود النخبة كانت مهمتها أن تحمي الجنرالات خلال عهد الجمهورية الرومانية. ففي وقت مبكر من القرن الثاني قبل الميلاد، تم اختيار وحدات خاصة لقادة الظل الرومان المشهورين مثل مارك أنتوني، سكيبيو الإفريقي ووسيوس كورنيليوس سولا كلما غامروا في ساحات الحرب. يوليوس قيصر جند في وقت لاحق الفيلق العاشر كحراسة شخصية، ولكن الحرس الإمبراطوري كما نعرفه لم يظهر إلا بعد أن أصبح أوغسطس اول امبراطور لروما في عام 27 قبل الميلاد . وقد حوَّل الإمبراطور أوغسطس الحرس الإمبراطوري إلى جيش دائم، وقسّمه إلى تسع مجموعات (كتائب) بلغ عدد كل مجموعة ألف جندي. وكانت ثلاث كتائب تتمركز في روما، في حين كانت الكتائب الأخرى تتمركز في المدن المجاورة. وكان أفراد الحرس يحصلون على رواتب أعلى بكثير من رواتب باقي الجنود وكانوا يعسكرون في رومة وضواحيها لحماية الإمبراطور ولديهم قلعة خاصة بهم هي Castra Praetoria، وتقع على مشارف روما. أصبحت شبه أكاديمية عسكرية لتخريج كبار الضباط والقادة فيما بعد.

الكلمات المفتاحية

حرس، إمبراطورية، مؤامرات، روما، جيش

Abstract

Rome's Pretorian Guard Its origins and functions

The Imperial Guard was a fixture in the Imperial era in Rome. Its origins date back to a group of elite soldiers whose mission was to protect generals during the reign of the Roman Republic. Early in the second century B.C., special units were chosen for famous Roman shadow leaders such as Marc Anthony, Scipio of Africa and Lucius Cornelius Sulla whenever they ventured into the battlefields.

Julius Caesar later enlisted the 10th Legion as a bodyguard, but the Imperial Guard as we know it did not appear until after Augustus became the first emperor of Rome in 27 BC. Emperor Augustus transformed the imperial guard into a permanent army, dividing it into nine groups (battalions), each with a total of 1,000 soldiers. Three battalions were stationed in Rome, while the other battalions were stationed in neighboring cities. Guard personnel were paid much higher than the rest of the soldiers and were camped in and around Rome to protect the emperor and had their own castle, Castra Praetoria, located on the outskirts of Rome. It became a semi-military academy for graduating senior officers and commanders later.

key words

Guard, empire, plots, rome, army

مقدمة :

ظهر جهاز الحرس البريتوري منذ عهد الأمبراطور أغسطس، وتمثلت مهمته الرئيسية في حماية الأمبراطور، ومع مرور الزمن بدأ مهام هذا الجهاز تتطور حتى وصلت إلى عزل وتنصيب الأباطرة، كما ظلت سيطرتهم على القرار السياسي تزداد شيئاً فشيئاً إلى أن قضى عليهم الأمبراطور سبتيموس سيفيروس.

ويعدّ الحرس البريتوري الروماني من أكثر الوحدات العسكرية قوة ونفوذ في العالم القديم، هذه النخبة من الجنود المختارين كانوا الأكثر شهرة ليس لأنهم حرس الأباطرة الشخصيين وحسب، بل لأنهم استخدموا أيضا كقوة للمهام الصعبة في خدمة الإمبراطورية، فقد قاتلوا إلى جانب الجحافل في الحملات العسكرية، وفي اخماد الانتفاضات، وقمع مثيري الشغب، وضبط الأمن في استعراضات المصارعين وسباقات المركبات. ومع تنامي نفوذهم، لعبوا أيضا دورا محوريا في المؤامرات التي تحاك لضرب الإمبراطورية.

ولم يكن الحرس الإمبراطوري النخبة الوحيدة لحماية الحكام الرومان، بل اعتمد الأباطرة في وقت مبكر أيضا على الحرس الشخصي الإمبراطوري الألماني وهو فيلق خاص من رجال القبائل الجرمانية الأصل من منطقة نهر الراين، كما أن الأباطرة مثل نيرون وكاليجولا فضلوا الجرمان لمهاراتهم في المعارك، وربما أيضاً لأنهم جديرون بالثقة أكثر من الحرس البريتوري بسبب كونهم غرباء وأقل عرضة للفساد بتأثير السياسة الرومانية والصراع على السلطة.

تتمثل **مشكلة البحث** في حجم الدور الذي أداها جهاز الحرس اليريتوي في تاريخ الإمبراطورية الرومانية، أما **أهمية هذا البحث** فتتمثل في الكشف عن الدور الكبير لجهاز الحرس البريتوري في اتخاذ القرار السياسي عند الرومان أما **المنهج** الذي اتبع في هذا البحث فهو المنهج التاريخي التحليلي، أما بالنسبة **للهدف من البحث**، فهو التعريف بجهاز الحرس البريتوري وتطور دورهم عبر التاريخ من حماية الأباطرة، إلى التأثير على قراراتهم السياسية والعسكرية.

ولكي تتم دراسة الموضوع بشكل يليق بأهمية البحث تم تقسيمه إلى مقدمة وثلاثة محاور، تناول الأول تأسيس الحرس البريتوري، في حين تطرق الثاني إلى مهام الحرس البريتوري، أما الثالث فقد ركز على تفكيك جهاز الحرس البريتوري، كما تبعت تلك المحاور خاتمة تضمنت نتائج البحث ثم ملاحق وأخيراً قائمة بأهم المراجع التي ارتكزت عليها الدراسة.

المحور الأول: تأسيس الحرس البريتوري

يعود مصطلح برايتوري أساساً إلى الأسم الذي أطلقه الرومان على ثكنات مجموعة من ضباط الجيش التي كانت تقام في ميدان المعركة، فأطلقوا عليهم أسم البرايتيريوم (Praetorium) كان هؤلاء الضباط معروفين باسم البريتورات، وهم كوكبة من المواطنين الرومان واللاتين بالدولة، اعتاد قادة الجيش الروماني أن يختاروا منهم مجموعات للقيام بمهام خاصة أو كحراس شخصيين لإحدى الشخصيات البارزة.(شكل 1-2). [1]

مع أن الحرس البريتوري ظهر في بداية الأمر ليكون حرساً إمبراطورياً بحتاً، إلا أن دوره أخذ يتطور بمرور الزمن حتى أصبح قوة ذا ت نفوذ كبير في كيان الإمبراطورية الرومانية السياسي، كان ما أراده الإمبراطور (أغسطس) هو إيجاد قوة تحمي نفوذه في عهدٍ متقلِّب سياسياً وعسكرياً كانت تعيشه الدولة، فأسس عشر كتائب بريتورية فحسب، كانت تتألَّف كل منها من 500 رجلاً (وسعت لاحقاً لتشمل 1000 رجل)، كما شُكِّلت كتائب مماثلة من الخيالة ضمت كل منها 30 رجلاً، لم تترك إلا ثلاثٌ من الكتائب البريتورية العشر في العاصمة روما، حيث كانت لجنود هذه الكتائب الثلاث حرية التجول بالقصر الإمبراطوري ومرافق العاصمة المهمة، أما الكتائب الأخرى فقد تركت في البلدات الريفية المحيطة بروما[2].

في عام 23م، نجح قائد بريتوري يدعى لوسيوس سيجانوس (Lucius Aelius Sejanus) بإقناع الإمبراطور الروماني آنذاك تيبيريوس بنقل جميع كتائب الحرس البريتوري إلى حصن خاص يقع خارج أسوار روما مباشرة، سميCastra Praetoria ، بينما تركت قوة صغيرة يمكنها التجول داخل القصر الإمبراطورية (يتبادل الحراس الأدوار باستمرار بين النهار والليل، فيعود أصحاب الوردية الأولى إلى الحصن البريتوري بينما يأتي زملاؤهم إلى القصر)، رغم أن الحرس البريتوري أثبتَ ولاءه لاحقاً لتيبيريوس، إلا أن قوته ونفوذه السياسيين نميا بدرجة كبيرة جداً[3].

عرفت التشكيلات العسكرية التي كل عناصرها من جنود بريتوريين أسم الكتائب البريتورية (Cohors praetoria)، وقد كان يمتلك العديد من نبلاء وأعلام الرومان البارزين كتائب بريتورية تعمل على حراستهم وحمايتهم، ومن هؤلاء الأعلام يوليوس قيصر وماركوس أنطونيوس وأغسطس، عندما أصبح أغسطس إمبراطوراً لروما عام 31

---

[1] بشارة، عزمي، الجيش والسياسة إشكالية نظرية ونماذج عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2017، ص 56.

[2] Syme, Ronald, The Roman Revolution. Oxford: Oxford University, Press, 1939, 337–338.

[3] أندراوس، عزت، موسوعة أباطرة الإمبراطورية الرومانية والبيزنطية، القاهرة، 1994، ص 661

ق.م، رأى أن الكتائب البريتورية قد تكون فعالة لأغراض سياسية لا للأغراض العسكرية فحسب، ومن هنا تم تشكيل قوة الحرس البريتوري لحماية الإمبراطور شخصياً.[1]

وفي القرون الثلاثة التي تلت حكم أغسطس، تعاظم دور الحرس البريتوري فإضافة لمهمة حراسة الإمبراطور شغل أفراده مهام الشرطة السرية فأحاكوا الكثير من المؤامرات بالبلاط ونهبوا الممتلكات بالبلاد وتكفلوا بتنفيذ أحكام الإعدام، ليس هذا فحسب ولكن نفوذهم امتد ليشمل أهم سلطة بالبلاد فصاروا يعمدوا لقتل الأباطرة لتنصيب آخرين بدلاً منهم بما يخدم مصالحهم.[2](في عام 177م، تولى كومودوس (Commodus) زمام الأمور بالإمبراطورية الرومانية خلفاً لوالده ماركوس أوريليوس، وخلال مدة حكمه التي استمر قرابة 15 عاماً، عرفت روما السلام حيث قلت الحروب مقارنة بعهد والده الذي لازمت فترة حكمه الحروب والمناوشات، وبدلاً من ذلك عاشت الإمبراطورية على وقع العديد من المؤامرات التي سرعان ما دفعت بكومودوس للأستبداد بالسلطة[3].

في أواخر عام 192، نظم كوينتيوس أيمليوس ليتوس(Quintus Aemilius Laetus) ، قائد الحرس البريتوري، مؤامرة مع بعض مسؤولي القصر كانت نتيجتها غتيال الإمبراطور كومودوس وتنصيب القائد العسكري برتيناكس (Pertinax) على عرش روما، الذي قدم مكافآت مالية كبيرة بلغت حوالي 3000 دينار (جمع ديناريوس والتي كانت العملة الفضية لروما) لأفراد الحرس البريتوري في حال توليه الحكم.[4]

في تلك الأثناء، خابت آمال الحرس البريتوري في نيل المكافآت حيث تنكر لهم برتيناكس في فترة صعبة من تاريخ الإمبراطورية وبالإضافة إلى ذلك اتجه إلى إدخال إصلاحات جذرية على جهاز الحرس البريتوري، ونتيجة لتلك الإصلاحات، اجتاح ما يربو عن 200 عنصر من عناصر الحرس البريتوري القصر الإمبراطوري عام 193 وقتلوا الإمبراطور برتيناكس الذي لم يدم حكمه للبلاد أقل من ثلاثة أشهر.[1]

ونتيجة لشغور منصب الإمبراطور بعد اغتيال برتيناكس، عرضت قوات الحرس البريتوري عرش الإمبراطورية الرومانية بمزاد علني بالبلاد معلنة أن من يدفع أكثر يكون الأجدر بحكم الإمبراطورية.

---

[1] لورو، باترك،الإمبراطورية الرومانية ،ت جورج كتورة ،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2008، ص48.

[2] الحويري، محمود محمد، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية،ط 3 ، دار المعارف ،القاهرة ،1995، ص11.

[3] النوري، ميثم عبد الكاضم جواد،حملات الأباطرة تراجان، ماركوس أورليوس، سبتيموس سيفيروس، مجلة الأستاذ ,المؤتمر العلمي الثالث، جامعة بغداد، 2015.ص 197.

[4] Arnold, Thomas , The History Of The Roman Empire, Arkose Press, 2015. p 158.

[1] أندراوس، عزت، المرجع السابق، ص 662.

وفي ذلك المزاد، قدم السياسي الروماني الشهير ديديوس جوليانوس (Didius Julianus) مبلغا كبيراً ، تفوق بموجبه على كل المنافسين ليتوج بعد ذلك أمبراطوراً خلفاً لبرتيناكس.

تسببت حادثة بيع عرش الإمبراطورية بمزاد علني في غضب الأهالي، واصبح ديديوس جوليانوس إمبراطورا مكروها في روما وأينما حل استقبله السكان بصيحات الاستهجان وأطلقوا عليه لقب السارق والقاتل، وخلال إحدى المرات اتجه البعض لمنعه من العبور نحو هضبة كابيتولين وأغلقوا الطريق أمامه بالحجارة.

ونتيجة لانتشار خبر فضيحة عرض عرش روما بالمزاد، تمرد ثلاثة من كبار قادة الجيش معلنين أنفسهم أباطرة على البلاد، وقد كان من ضمن هؤلاء الجنرالات سيبتيموس سيفيروس (Septimius Severus) الذي دخل بجيشه العاصمة روما لإنهاء عهد ديديوس جوليانوس، وفي منتصف عام 193م، تم اغتيال ديديوس جوليانوس، كما حدث مع الأباطرة الذين سبقوه وذلك بعد مضي نحو 66 يوماً على توليه عرش البلاد، وذلك على يد أحد الجنود بالقصر، وقد كانت آخر كلماته "ما الشر الذي اقترفته؟ ومن قتلت ؟"[2]

المحور الثاني: مهام الحرس البريتوري

- **المشاركة بالحروب:**

شارك الحرس البريتوري في الحروب شأنه شأن أي تشكيل عسكري آخر من الجيش الروماني، وجه تيبيريوس بعد وفاة سلفه أغسطس عام 14م تمرُّداً علنياً من فيلقين رومانيين، هما فيلق الراين وفيلق مقاطعة بانونيا، تعامل دروسوس بن تيبيريوس مع تمرد فيلق بانونيا بعد أن دعم بكتيبتين بريتوريَّتين وبعض الفرسان البريتوريين، أما التمرد الآخر – ذلك في الراين – فقد قمعه ابن تيبيريوس الآخر جرمانيكوس مترأِّساً فيالق الحرس البريتوري، كماقاد هذه الفيالق ليغزو أراضي الجرمان لمدة عامين متتاليَين، شارك الحرس البريتوري خلال عهدي الإمبراطورين دوميتيانوس وتراجان بحروب في مناطق امتدت من داقية إلى بلاد النهرين، كما شارك في حروب عديدة لأباطرة كثيرين بالعصور اللاحقة.[1]

[2] Hekster, Olivier, Rome and its Empire, AD 193-284 Edinburgh University Press, 2008, p13.
[1] الشيخ، حسن، دراسات في تاريخ الحضارات القديمة الرومان ،دار المعرفة الجامعية، 2002. ص133.

- **العمل على إطفاء الحرائق:**

كانت الحرائق تشكل تهديداً كبيراً الإمبراطورية الرومانية، وعلى الرغم من وجود فرقة متخصصة في مكافحة الحرائق كانت تسمى Vigiles"، "فقد كان من الطبيعي أن يسارع الحرس البريتوري لتقديم يد العون في حال وقوع حريق كبير، لدرجة أنه في احدى الحرائق فقد جهاز الحرس البريتوري الكثير من أفراده وذلك في حريق معبد فستا، وهناك من يرى أنهم أدوا دوراً كبيراً في إشعال الحرائق التي التهمت الجزء الأكبر من روما في عهد نيرون، بطبيعة الحال فإن وجود أعداد كبيرة من الحرس للمساعدة في مكافحة حرائق كان فعالاً، ولكن وجودهم كان يستخدم أيضا كعنصر دعائي في العلاقات العامة، ذلك أن الإمبراطور من خلال إيفاد حرسه الشخصي للمساعدة في الاغاثة من الكوارث، كان يظهر للمواطنين أنه يشعر بالقلق ويريد مساعدتهم.[2]

- **شاركوا في دورات الألعاب الرومانية**

بالإضافة إلى ما سبق فقد أستُخدم الحرس البريتوري أحيان كثيرة في السيطرة على الحشود في الألعاب الرومانية، كما أنهم في بعض الأحيان نزلوا الى الساحة وشاركوا في سفك الدماء، وهناك من يرى أنهم شاركوا في مطاردة الوحوش لإظهار فنياتهم القتالية العالية، كما أنهم لعبوا دورا سيئ السمعة في"naumachia" ، أو ما يشبه مناورة معركة بحرية، استضافها الإمبراطور كلوديوس عام 52 م. كان هناك ما يقارب من 19000 من الرجال ونحو 100 قارب ودار الاشتباك في معركة بحرية وهمية على بحيرةFucine ، وكان معظم المشاركين من السجناء والعبيد، أما الحرس البريتوري الذي كان سلاحه بالمقاليع والمنجانيق فقد حاصر المعركة بمراكبه لمنع المحكومين من الهرب وإحداث فوضى كبيرة[1].

---

[2] Henry, Charles, ustinian I. (529) The Digest of Justinian. Book I, XV, Cambridge University Press,1904. p50-51.

[1] Acook, Litt. D,F,B,A, Adcok, C.A.H, "The Augusta empire,44B .C.-A" ,Vol.X,. Ctmbridge,1934, P677-679.

- **كان لهم دور كقوة شرطة سرية**

عرف عن البريتوريين أمتهانهم للترهيب والتجسس التجسس والاعتقالات والاغتيالات لمصلحة الإمبراطور الروماني، وفيما يخص العمليات السرية، استخدم جناح خاص من القوات أطلق عليه اسم "speculatores." هذه الوحدة كانت العصر الجمهوري تسمى فيلق الاستطلاع، وقد تغير دورها في العصر الإمبراطوري وأصبح أفرادها ناقلي وثائق وعملاء مخابرات في خدمة الإمبراطور، وكان ال Speculatores وأعضاء آخرون في الحرس البريتوري يتنكرون كمواطنين عاديين في مسابقات المصارعة، والعروض المسرحية والاحتجاجات لرصد واعتقال كل من ينتقد الامبراطور، أيضا وضعوا إشارات على أعداء الدولة المشتبه بهم، وفي كثير من الأحيان أعدموا سرا من اعتبروه بأنه يشكل تهديدا للإمبراطور أو سياساته.[2]

- **شارك الحرس الإمبراطوري دورا في اغتيال العديد من الأباطرة**

على الرغم من أن فرقة الحرس البريتوري كانت مكلفة بحماية الإمبراطور الروماني، إلا أنها كانت تشكل أكبر تهديد لحياته، فقد تحولت هذه الفرقة إلى لاعب رئيسي في التجاذبات السياسية التي سادت الإمبراطورية، وكان أفرادها على استعداد لقتل وتنصيب الأباطرة الجدد مقابل مكافأت ماليه أو مناصب في الدولة، فهم من خططوا لاغتيال الإمبراطور كاليجولا وتنصيب كلوديوس خلفا له في 41 م، كما كان لهم دور كبير في اغتيال كومودوس في192، وكركلا في217، وإيلا غابالوس في222 وبوبينوس وبالبينوس في 238، وفي بعض الحالات، كانوا ينصبون امبراطورا ثم يغتالونه كما حدث مع Galba الذي اعتلى العرش في 68 م بدعم من الحرس، ثم قتل على أيديهم في العام التالي بعد أن رفض دفع المكافأة، كذلك نصب الإمبراطور Pertinax من قبل الحرس في 193م ، ثم ذبح بعد ثلاثة أشهر فقط عندما حاول إجبارهم على قبول تدابير تأديبية جديدة. [1]

- **طرحوا علنا منصب الإمبراطور في المزاد**

استناداً إلى المؤرخ كاسيوس ديو، بعد قتل الإمبراطور Pertinax في 193 م ، حاول الحرس البريتوري الاستفادة من شغور عرش روما وذلك بوضعه للبيع في المزاد، وبعد مزايدة قصيرة في تقديم العطاءات بين القنصل السابق Didius Julianus وعم (والد زوجته) بيرتيناكس، تيتوس فلافيوس، بيع المنصب إلى Julianus بمبلغ

---

[2] أندراوس،عزت، المرجع السابق، ص 660.

[1] Brown, P., The World of Late Antiquity, London 1971, p.22.

كبير، كانت تلك الحادثة واحدة من أكثر الأحداث سيئة السمعة في تاريخ الحرس البريتوري، ولكن بعض المؤرخين يقولون أن رواية ديو عن وضع عرش روما في المزاد مبالغ فيها، ويقولون أن جوليانوس دفع بالفعل ثروة مقابل دعم الحرس له، ولكن دافعهم كان أيضا الخوف من أن Sulpicianus سيسعى للانتقام من مقتل صهره بعد اعتلائه العرش.[2]

- القتال فيما بينهم

وقعت واحدة من الحوادث الأكثر غرابة في تاريخ الحرس البريتوري عام 69 م، عندما هزم الجنرال فيتليوس الإمبراطور أوتو واستولى على العرش الروماني، خوفا من الاغتيال على يد الحرس الموالي لأوتو، قام فيتليوس باستبدال أعضاء من الحرس بغيرهم من الجحافل الخاصة، ولكن حكم فيتليوس لم يستمر إلا أيام، عندما أعلن فيسباسيان قائد القوات في يهودا نفسه إمبراطورا وزحف على روما، فانضم إليه من طردهم فيتليوس، واشتبكوا في وقت لاحق مع حرس فيتليوس، في سلسلة من المعارك الشرسة على مشارف العاصمة، انتصر فيسباسيان في نهاية المطاف، وأعيد الحرس المنفيين إلى مواقعهم السابقة[1].

الدور السياسي

في عام 31م، واجه الإمبراطور تيبيريوس خطراً كبيراً تمثل في التمرد الذي قاده أعوان مساعده المقرب سيجانوس، فاستعان عليهم بالحرس البريتوري، وأثبت الحرس البريتوري ولاءه في تلك الحادثة، فأمسك بسيجانوس وأعدمه، إلا أن الأمور تغيرت منذ مقتل سيجانوس، فقد باتت قوة الحرس البريتوري في تسيير الإمبراطورية واضحة للعيان، وبدأ الحرس دوراً مشبوهاً في سياسة روما، فقد ارتكب الحرس البريتوري على مدى القرون التالية جرائم تراوحت من إعدام الأباطرة الرومان إلى التمرد على سبتيموس سيفيروس والاعتداء على سكان روما أنفسهم، على سبيل المثال، قتل الإمبراطور كاليغولا عام 41م بمؤامرة شارك فيها الحرس البريتوري بتعاون مع مجلس الشيوخ

---

[2] أندراوس،عزت، المرجع السابق، ص 661.

[1] أندراوس،عزت، المرجع السابق ، ص 662.

الروماني، بل وقد مضى الحرس لينصب على العرش الإمبراطور كلوديوس من دون أن يستشيروا مجلس الشيوخ بالأمر [2].

يبدو أن السبب المباشر في تدخل جهاز الحرس البريتوري في اعدام وتنصيب الأباطرة مرده إلى عدم منح الأجور المناسبة لجنود الحرس البريتوري، مما دفعهم ارتكاب مثل تلك الجرائم.

نجح أوثو بكسب جنود الحرس البريتوري بعد أن منحهم حقوقاً واسعة، كحق اختيار قائدهم بأنفسهم، إلا أن فيتليوس سرعان ما تمكن من دحر أوثو، فسرح جميع جنود الحرس القدامى وأمر بتشكيل حرس جديد قوامه 16 كتيبة، من جهة أخرى، سخط أفراد الحرس القدامى على فيتليوس لأنه طردهم، فتمكن عدوه فسباسيان من كسب ولائهم لصفه، وقد استطاع فسباسيان لاحقاً أن يقهر فيتليوس ويصبح إمبراطور روما، فسرح العديد من أفراد حرس سلفه، وأبقى على 9 كتائب فحسب، ولضمان أن يبقى مسيطراً على الأمور، عين ابنه تيتوس قائداً جديداً للحرس.[1]

مع أن الحرس البريتوري كان يمتلك في روما القدرة على تنحية أو تنصيب الأباطرة، إلا أنه لم يكن قادراً على التدخل في الشؤون الإدارية الحكومية للدولة، على عكس مسؤولي القصر ومجلس الشيوخ والبيروقراطيين، لذلك في الكثير من الأحيان وبعد أن يرتكب الحرس البريتوري واحدة من جرائمه، كان الحاكم الجديد ينتقم من الحرس بدوره [2].

المحور الثالث: تفكيك الحرس البريتوري.

تم القضاء على هيكل الحرس الإمبراطوري نهائياً في أواخر القرن الثاني، عندما سرح الإمبراطور سيبتيموس سيفيروس أعضاءه وبدأ بتجنيد حراس شخصيين مباشرة من الجيش، ومع ذلك، فإن صفتهم كأوصياء على العرش الروماني لن تنتهي رسميا حتى القرن الرابع، في عام 306، حاول الحرس البريتوري لعب دور صانع الملوك للمرة الأخيرة عندما عمل على تثبيت الغاصب ماكسينتوس Maxentius في منصب الإمبراطور الغربي في روما، بعد سلسلة مذهلة من الحروب الأهلية والمطالبات المتنافسة على العرش، واجه ماكسينتوس وحراسه الامبراطور قسطنطين

[2] Philo of Alexandria, On the Embassy to Gaius VI.35, trans. C.D.Yonge, London, H. G. Bohn, 1854–1890 , VI.35.

[1] حافظ، أحمد غانم ،الإمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الإنهيار، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2007. ص64.

[2] الشيخ، حسن، المرجع السابق، ص132

في 312 في معركة ملفيان بريدج، كان قتالهم باسلا للمرة الأخيرة على نهر التيبر، ولكنهم هزموا، وقتل Maxentius [3].

أقتنع قسطنطين أنه لم يعد من الممكن الوثوق بالفرقة، فحلها مرة واحدة وإلى الأبد، وأعاد تعيين أعضائها في ضواحي الإمبراطورية، بعد أن أشرف على تدمير ثكناتهم في..Castra Praetoria [4]

الملاحق

شكل (1) الحرس البريتوري

Philomalek.yolasite.com

[3]Brown, op.cit,, p.22.

[4] دياكوف.س.كوفاكيف ،الحضارات القديمة ،ج2،ت :نسيم واكيم الياجزي، مشورات دار عالء الدين ، د.ت. ، ص ص 680-685.

شكل (2) أزياء وسلاح الحرس البريتوري

الخاتمة

بعد سرد تاريخ الحرس البريتوري تم التوصل إلى النتائج التالية:

- أن تسمية الحرس البريتوري تعود بالأساس إلى ثكنات الجيش التي كانت تقام في ميادين المعارك.
- تكون جهاز الحرس البريتوري من أفضل ضباط الجيش الروماني لحماية الأباطرة.
- تطور دور الحرس البريتوري من حماية الأباطرة إلى عزلهم وتنصيبهم، كما كان لهم دور في القرارات السياسية الفاعلة.
- أدى جهاز الحرس البريتوري العديد من الأعمال المهمة، إلى جانب دورهم الأساسي. في القتال وحماية روما من أي عدوان.
- عرف عن البريتوريين الانخراط في التجسس والترهيب والاعتقالات والقتل لحماية مصالح الإمبراطور الروماني.
- تفكك جهاز الحراس البريتوري على يد الأمبراطور سبتيموس سيفروس الذي شعر بالخطر الكبير الذي يشكله هذا الجهاز على الأمبراطورية.
- تباينت وتداخلت مهام الحرس البريتوريمع مرور الزمن واختلاف سياسة الأباطرة.
- الصراع على السلطة والانقلابات والفراغ السياسي كان سبباً رئيسياً في تغول الحرس البريتوري وهيمنته على السلطة.
- وعود الأباطرة الطامحين للسلطة للحرس البريتوري بالمكافأت والعطايا، جعلهم ينحرفوا عن المهام المنوطة بهم.
- الصلاحيات التي منحت لهم والمهام التي كلفوا بها بدون قيادة تضبط عملهم وتحدد اهدافهم، جعلهم كيان مستقل داخل روما.

قائمة المراجع

- الحويري، محمود محمد، رؤية في سقوط االمبراطورية الرومانية،ط 3 ، دار المعارف ،القاهرة ،1995.

- الشيخ، حسن، دراسات في تاريخ الحضارات القديمة الرومان ،دار المعرفة الجامعية، 2002.

- النوري، ميثم عبد الكاضم جواد،حملات الأباطرة تراجان، ماركوس أورليوس، سبتيموس سيفيروس، مجلة الأستاذ , المؤتمر العلمي الثالث، جامعة بغداد، 2015.

- أندراوس، عزت، موسوعة أباطرة الأمبراطورية الرومانية والبيزنطية، القاهرة، 1994.

- بشارة، عزمي، الجيش والسياسة إشكالية نظرية ونماذج عربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2017.

- حافظ، أحمد غانم ،االمبراطورية الرومانية من النشأة إلى الإنهيار، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2007.

- دياكوف.س.كوفاكيف ،الحضارات القديمة ،ج2،ت :نسيم واكيم الياجزي، مشورات دار عالء الدين ، د.ت.

- لورو، باترك،االمبراطورية الرومانية ،ت جورج كتورة ،دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2008.

- Acook, Litt. D,F,B,A, Adcok, C.A.H, "The Augusta empire,44B .C.–A" ,Vol.X,. Ctmbridge,1934

- Arnold, Thomas, The History Of The Roman Empire, Arkose Press, 2015.

- Brian, Campbell, The Roman Army,A Source ,book, London, rst Publiued,1994.

- Brown, P., The World of Late Antiquity, London 1971.

- Hekster Olivier, Rome and its Empire, AD 193-284 Edinburgh University Press, 2008.

- Henry, Charles, ustinian I. (529) The Digest of Justinian. Book I, XV, Cambridge University Press,1904.

- Philo of Alexandria, On the Embassy to Gaius VI.35, trans. C.D.Yonge, London, H. G. Bohn, 1854-1890.

- Syme, Ronald, The Roman Revolution. Oxford: Oxford University, Press, 1939.

شبكة المعلومات الدولية

- Philomalek.yolasite.com

- **Liv**ius.org

الدلالات الرمزية في العملة الماسيسيلية

The monetary iconography of the Massaesyles

ملخص: سيفاكس هو ملك نوميديا الغربية، الذي سك عملته النقدية بسيغا عاصمة مملكته، يعتبر من أقوى ملوك شمال افريقيا مثلما أشارت لذلك المصادر، ومثلما تصوره بعض القطع النقدية الخاصة به، وقد خلفه على العرش ابنه فرمينا؛ ولهذا سنحاول في هذا المقال التعرف على الدلالة الرمزية للقطع النقدية لسيفاكس وابنه فرمينا، وكذا فهم العلاقة بين الصورة النقدية والصفات الشخصية للملك وما ترمز اليه الصورة أو تحاول أن تعبر عنه.

Abstract : Syphax was a king of Western Numidia, whose capital was Siga, It was in this city that he had a portion of his coin struck Syphax appears as a powerful king, as evidenced by several coins struck at his effigy, where he appears wearing a diadem, Vermina succeeded his father after the battle of Cirta; in this article We will try to explain the meaning of the monetary iconography of Syphax and Vermina? and to know What is the link between the monetary image of the Numidian royal power and the real functions of the sovereign?

مقدمة:

تعد العملة مصدرا مهما من المصادر المادية، التي تعين الباحث في التاريخ على دراسته ومعرفة تاريخ أي منطقة سياسيا، عسكريا وحتى اقتصاديا، ويمثل ما نقش عليها من كتابات وصور، سجلا منقوشا وملموسا يروي حقائق تاريخية، مما يستدعي الانتباه له وفحص صوره وتحليل ما ورد به من رموز مختلفة، للتعرف على تاريخ المنطقة التي ضربت بها ولها؛ ورغم أهمية موضوع المسكوكات والعملة إلا أنه لم ينل كفايته من الدراسة، ولم يحظ بانتباه الدارسين، وبالأخص ايكونوغرافية عملة الممالك الليبية، وبما يمكنها أن تخبرنا وتدلنا عليه، اذا ما سلطنا عليها الضوء، ولهذا فضلنا اختيار موضوع العملة الماسيسيلية كمحاولة منا لابراز قيمتها وأهميتها ، وما الذي يمكن للصورة على وجه العملة أن تدل عليه وللرمز أن يشير إليه؟

سميت مملكة الماسيسيل نسبة لقبيلة ماسيسيليا" Massaesyli" التي تردد ذكرها في بعض المصادر[1]، واستناداً إلى بلينوس وبطليموس فإن إطارها الجغرافي يشمل القسم الشرقي لموريطانيا الطنجية، والقسم الغربي لموريطانيا القيصرية، بحيث يضعها بلينوس[2] بموريطانيا الطنجية ثم يذكرها مرة أخرى بموريطانيا القيصرية، ويحدد بطليموس[3] موقعها جنوب الصورايي "Sorae " المتمركزين شرق الهربيديتاني" Herpeditani" والتلادوسي" Taladousii" وشمال الدرويتايي " Druitae"، ويحتمل أن يكون للقبيلة فرعين أحدهما بموريطانيا القيصرية والآخر بالطنجية، كما يمكن أن تكون قبيلة واحدة تنتقل بأراضي الموريطانيتين؛ غير أن سترابون[4] يذكر أن أراضيها امتدت من الملوية الى رأس بوغارون(Cape Tretum)، وفي عهد سيفاكس"Syphax" توسعت لغاية المضيق وازدادت شساعتها على حساب أراضي قبيلة كانت مقيمة بين المجردة وسهول تبسة، واستغلت لاحقاً ظروف مملكة الماسيل ومقتل كابوسا "Capussa" سنة 206 ق. م واستولت على سيرتا، ولم يتمكن المؤرخين حتى يومنا هذا من معرفة امتداد حدودها الجنوبية، وسيظل الأمر كذلك طالما لم نتمكن من معرفة القبائل التي كانت خاضعة لها، أو ما لم تأت الحفريات الأثرية بالجديد الذي يمكن أن يضيف لمجال تحديد حدود مملكة سيفاكس.

ولم تذكر المملكة إلا حين أمد سيفاكس حنبعل بالمساعدات في اسبانيا، ولولا الحرب البونيقية الثانية لما تطرقت المصادر لذكر هذا الملك[5]، ويعتبر سيفاكس أقوى ملوك بلاد المغرب القديم[6]، وكانت سيغا عاصمة مملكته، وأضاف لها عاصمة ثانية بعد التوسع هي سيرتا[7]، ومن أهم موانئها غورايا(Gunugu)، شرشال(Iol)، الجزائر (Icosium) وبجاية(Saldae)، والتي يحتمل ان سيفاكس سيطر عليها بعد ان دخل في حرب مع قرطاج سنة 213 ق. م؛ ويعرف عن هذه المدن أنها كانت متعودة المتاجرة مع اسبانيا حيث يجلب منها الفخار

---

[1] - Polybe, Histoire,Traduit par Waltz(P),éd., Garnier,Paris,1921, III, 33,15 ; XVI, 2 3,6 ; Strabon, Géographie, Trad.,Tardieu(A),Paris, 1880 , XVII, 3, 9 ; Tite-Live, XXVIII , 17,5 ; Pline, H.N,V, 17,52 ; XXI, 77 ; Ptolémée, IV, 2, 5 ; AE, 1934 p 34 d'après Désanges(J), Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'Ouest du Nil, Publications de la section d'histoire, n° 4, Dakar,1962 , p 62

[2] - Pline l'Ancien, H .N, V, 17, 52

[3] - Ptolémée, IV, 2, 5

[4] - strabon, XVII, 3, 9

[5] - Lassère (J-M), Africa quasi Roma, 256 av. J. C.-711 apr. J. C, CNRS Éditions, Aix-en-Provence, 2015, p 49

[6] - Tite-Live, Histoire romaine,Trad., M.Nisard, éd., Firmin Didot freres, 1864, XXVIII, 17

[7] - للمزيد من المعلومات حول تاريخ المملكة وسيفاكس وفرمينا، وعن علاقة المملكة بجيرانها وبقوى البحر الأبيض المتوسط، يمكن الرجوع الى المراجع الآتي ذكرها: محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، الطبعة الولى ، دار الأمة، الجزائر، 1998، صص 58 – 68 ؛ فتيحة فرحاتي، نوميديا، منشورات أبيك، 2007، صص 62 – 80 ؛ محمد الهادي حارش، مملكة نوميديا دراسة حضارية، دار هومة، 2013، صص 15 – 18 ؛

Gsell(S), Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, TV, éd., Otto ZellerVerlag ,1972, pp 91-94 ; Camps(G), Massinissa ou les débuts de l'histoire, Libyca, tomme VIII, 1er semestre, 1960, pp 167- 175 ; Désanges(J),op.cit , p62 ; Meynier(G), L'Algérie des origines de la préhistoire à l'avènement de l'islam, éd., La Découverte, 2007, pp 37-40 ; Lancel(S), Lalgérie antique, De Massinissa à Saint Augustin, 2ème édition, éd., Place des victoires, Pais, 2008, pp 40-44 ; Lassère (J-M), op.cit, p 48-49

والمعادن، وتصدر القمح، العاج وبيض النعام المصنع وخشب التويا المعروف بالسيتروم "Citrum"، ولم يتوقف الإستيراد والتصدير على المدن الساحلية فقط بل يبدو أنه كان يتم نقل ما يصدر ويستورد أيضاً من وإلى المدن الداخلية حسبما أثبتته حفريات المركز التجاري كاف السمار قرب تيارت[1]، حيث ثبت أنه كان يتم نقل ما يصدر ويستورد في الأمفورات وشقف الفخاريات التي عثر عليها بهذا الموقع.

ويؤسفنا أن منطقة تكمبريت (Siga) وضواحيها لم تكشف بها الأبحاث الأثرية، وما أجري بها من حفريات يكاد يعد على الأصابع ويعتبر قليلاً مقارنة بأهمية الموقع وغيره من المناطق التي كانت تحكمها مملكة الماسيسيل، حيث أن أول مهمة أثرية بهذا الموقع قرب مصب التافنة، كلف بها الباحث بيار غريمال" Pierre Grimal"[2]، تلتها فيما بعد حفريات سنة 1960، وبعدها حفريات البعثة الجزائرية الألمانية[3] سنة 1977، ولم يستدع او يكلف أي أثري بمهمة مشابهة في أي موقع بالمنطقة إلا بعد أن اكتشف موقع أثري آخر عند مدخل رشقون، في أوت 2017، بسبب أشغال انجاز طريق رشقون– عين تيموشنت، رغم أنه يفترض أنه خصص غلاف مالي يقدر ب7،9 مليون دينار[4] سنة 2013، لإعداد دراسة ومتابعة مخطط الحماية وتثمين الموقع الأثري لسيغا التي تبعد عن مقر الولاية ب 35 كم.

تحدد مصير سيفاكس سنة 203 ق. م، وانكسرت من بعده مملكته ولم يستطع خلفه فرمينا"Vermina" من أن يعيد قوة المملكة الى ما كانت عليه، انما سعى فقط للتصالح مع روما والأكيد لتجنب ماسنيسا"Massinissa"، حتى يبقى على العرش، ولعل من أهم انجازات هذه المملكة ضرب العملة، والقدرة على مواكبة الاقتصاد الاقليمي والتعامل بالنقد مثلها مثل أي قوة أخرى سيطرت أو أضحت مسيطرة آنذاك على حوض البحر المتوسط الغربي.

1– سك العملة: يعتبر جون ماري لاسير" Jean–Marie Lassère"[5] أن النجاح الحقيقي لهذه المملكة هو التمكن من سك عملة من النوع الجيد، غير أننا نعتبر انها لو لم تكن مزدهرة اقتصادياً لما تمكنت من ذلك، وعدم معرفتنا لكيفية تسيير اقتصادها أو نشاطها وتعاملاتها الاقتصادية بسبب شح المصادر، وقلة اهتمام الأركيولوجيا بهذه الفترة لا يدل أبداً على انعدام أو قلة انجازات هذه المملكة ومساهمتها الحضارية في بلاد المغرب القديم،

[1] - Meynier(G), op.cit, p 38-39 ; Lassère (J-M), op.cit, p 49

[2] - Grimal(P), Les fouilles de Siga, MEFR, 1937, N° 54, pp 108-141

[3] - Lancel(S), op.cit, p 43 ; Bouchnaki(M), Récentes recherches et étude de l'Antiquité en Algérie, Ant.Afr, N°15, 1980, p 23-24

[4] - https://www.djazairess.com/aps/418857

[5]- Lassère (J-M), op.cit, p 49

وللتعرف على جمال هذه العملة وما اختصت به، لابد من التعرف على قيمة المادة الخام أو المعدن الذي ضربت منه وعلى تقنية الصنع، ناهيك عن الرموز والصور التي اختارها أصحابها لتميزها عن غيرها.

أ – المعدن: يبدو مما عثر عليه حتى الآن، أن العملة الماسيسلية الخاصة بسيفاكس ضربت من البرونز، أما تلك الخاصة بابنه فرمينا فضربت من البرونز والفضة[1]، وإذا ما أخذنا برأي سترابون وبطليموس[2] فيبدو أنه وجدت مناجم للنحاس بموريطانيا القيصرية والطنجية، ورغم اختلاف المؤرخين[3] حول مكان تواجد هذه المناجم بدقة، إلا أن هذا يثبت أن وفرة النحاس كانت السبب وراء سك العملة بالبرونز، أما الفضة فالأدلة على وجودها قليل جداً خاصة وأن الحفريات الأركيولوجية[4] لم تكشف إلا عن القليل من مناجم الرصاص التي يتواجد بها الفضة، كما لا يستبعد أنه كان يتم أيضا استيراد المملكة الماسيسيلية للمعادن التي تحتاجها للتصنيع، ويبدو أن فرمينا قد غير سك العملة من البرونز إلى الفضة[5] تماشياً مع السوق الإقليمية آنذاك والاقتصاد المتوسطي، حيث تغير الفرق بين العملة البرونزية والفضية وأصبح الفارق معتبراً بعد الحرب البونية الثانية.

ب – تقنية الصنع: يظهر من خلال بعض القطع النقدية في المجموعة الأولى لسيفاكس مثل رقم 3، 5، 8 التصدع على

النصف السيفاكسي Semis Syphax — الربع السيفاكسي Quadrant Syphax

https://fr.numista.com/catalogue/numidie-1.html

[1] - Krings(V), La civilisation phénicienne et punique, manuel de recherche, Édition. Leiden New-York Köln E.J. Brill 1995, p 174

[2] - Strabon,Géographie, XVII, 3, 11 ; Ptolémée, Géographie, IV, 2, 5

[3] - Gsell(S), Vieilles exploitations minières dans l'Afrique du Nord , Hesperis VIII ,1928, pp 1-21 ; Ville(M), Notice minéralogique sur les Provinces d'Oran et d'Alger, Paris, 1857 ; Camps(G), Les Les traces d'un Age du bronze en Afrique du Nord,R.Afr, CIV, 1960, pp 31-55

[4] - Ville(M), op.cit, p 140 ; خديجة منصوري، التطورات الاقتصادية لموريطانيا القيصرية، دكتوراه دولة تحت اشراف محمد البشير شنيتي، جامعة وهران، 1995 – 1996 ، صص 228 – 233

[5] - Lenormant(F), La monnaie dans l'antiquité: leçons professées dans la chaire d'archéologie,éd., H. Welter,1897, pp 146- 168

الحواف أو بصورة الربع والنصف السيفاكسي، مما يدل على أنها ضربت بالمطرقة، كما سكوا العملة أيضاً بطريقة السكب في القوالب[1] المنقوش عليها صورة الوجه ورمز الظهر، والدليل[2] على ذلك وجود بعض القطع النقدية التي يكون وسطها أكثر سمكا من حوافها.

عملية ضرب السبيكة وتحويلها لعملة نقدية

قالب فخاري لصنع السبائك المعدنية قبل تحويلها لعملة نقدية

الختم الذي ينقش عليه الصورة للوجه والرمز للظهر

http://knoz1.mosw3a.com/showthread.php?t=54284

كما استخدمت الأفران لتسخين المعدن وسكبه في قوالب فخارية دائرية، بعضها منفصل عن بعضه، والبعض الآخر متصل ببعضه، ويتم فصلها بعد أن تلتقط بملقط من تلك القوالب، وهو ما يفسر الزوائد و الانكسار أحياناً على حواف العملة، ثم يثبت السندان الذي يحتوي قالباً منقوشاً على طاولة وتوضع السبيكة بينه وبين قالب علوي ينتهي بازميل، ليطرق عليه بمطرقة كي يطبع الرمز والصورة وتصبح السبيكة المعدنية عملة نقدية، وأفضل القطع وأجملها هي التي تطبع بقوالب برونزية بدلاً من الحديدية، رغم ان هذه الأخيرة تطول مدة استخدامها مقارنة بالأولى التي تحتاج للتغيير كلما فسدت نقوشها ولهذا مدة استخدامها قصيرة وهي أكثر كلفة من الحديدية.

2- عرض النقود الماسيسلية: يلاحظ من خلال ما عثر عليه من العملة الماسيسلية لسيفاكس، أنه يوجد على وجه القطع النقدية شكلين لشخصين مختلفين باسم سيفاكس، الأول ذو وجه مستدير، رأسه عارٍ، ولا يضع أي تاج أو شريط ملكي، ولحية مدببة كما يبدو من خلال القطعة النقدية لسيفاكس وبالمجموعة النقدية الأولى له؛ أما الثاني فنجده رافعاً رأسه، بشعر كثيف ومجعد، ويضع شريطاً ملكياً، واللحية كثيفة أكثر مما هي عليه في وجه الشخص الأول ومستديرة مثلما يبدو بهذه القطعة النقدية التي نرى فيها رأس الملك متوج، أو بالمجموعة النقدية الثانية، والسؤال الذي يطرح نفسه، إلى ماذا يعزى هذا الاختلاف؟

[1] - De Barthélémy(A), Nouveau manuel complet de numismatique, éd., librairie encyclopédique de Roret, 1851, p 12

[2] – بلحيمر وهيبة، نيسيغاوي وافية، بلعابد زينب، العملة القرطاجية والنوميدية والموريطانية من خلال مجموعة متحف سيرتا، المتحف الوطني سيرتا، 2002، ص12

قطعة نقدية لسيفاكس متوج بالشريط الملكي

قطعة نقدية لسيفاكس بدون الشريط الملكي على شعره

Alexandropoulos(J), Aspects militaires., p 220

يمكن إرجاع الاختلاف في شكل الوجه وتغير الملامح إلى أصل ومكان الصنع، كما يمكن ارجاعه إلى اختلاف الفترة الزمنية التي ضربت فيها العملة أي أنها ضربت بالمكان نفسه لكن في فترتين مختلفتين ومتلاحقتين، أو حتى الى تأثر سيفاكس[1] بما كان سائداً من حوله، واهتمامه بالعملة المنتشرة خلال تلك الفترة، وبحكم تعامله واحتكاكه بالقرطاجيين أو بهيرون الثاني"Hiéron II" أو بالرومان[2]، قد ينتج تقليده لعملتهم؛ ويرى البعض[3] ممن يعتبرون سبب الاختلاف يكمن في مكان الصنع أن القسم الأول من عملة سيفاكس ضرب في سيرتا، غير أنه للأسف لا يمكن تحديد الفترة الزمنية، وأن القسم الثاني[4] ضرب في سيغا ما بين 210 و 203 ق. م[5]، ورغم هذه الفرضيات التي تحاول تبرير الاختلاف بين صورتي الملك سيفاكس بعملته، إلا أن عدم اتفاق المتخصصين في دراسة العملة وبعض المؤرخين لا يزال قائماً، خاصة وأن منهم من يعتبر[6] أن الصورتين لملكين مختلفين.

قطعة نقدية للملك فيرمينا

Lancel(S), L'Algérie antique., p 44

أما بعملة فرمينا فيمكننا رؤية نفس وجه الملك، بشعر انسيابي كثيف نوعاً ما، متوج بشريط ملكي

---

[1] - Alexandropoulos(J), Les monnaies de l'Afrique antique: 400 av. J.-C.-40 ap. J.-C Presses Univ. du Mirail, 2007, p 143

[2] - Ibid,p 146

[3] - Baldus(H.R) et Manferdi(L.I) et Jenkins(G.K) d'après Alexandropoulos(J),ibid,p143n°7

[4] - Mazard(J), Corpus nummorum Numidiae Mauretaniaeque, Arts et métiers graphiques, Paris, 1955 ,p18 ; Berthier(A), La Numidie, Rome et le Maghreb, Éditions Picard, Paris,1981,p 207

يرى محمد البشير شنيتي أن صور سيفاكس تظهره بمرحلتين من عمره، حيث يبدو في بعضها شابا في الثلاثين من عمره، وفي الأخرى متقدما في السن، محمد البشير شنيتي، الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة، دار الهدى، الجزائر، 2013، ص 144 ؛ غير أن رأيه هذا غير مقنع لأن من يتأمل الصورتين بدقة ويحاول تفحص ملامح الوجهين يتأكد أنها ليست لنفس الشخص، ثم أن التي يراها فيها شابا في الثلاثين هي التي يعتقد أنها ضربت الثانية نظرا لجودتها وتميزها بدقة صنعها أكثر من الأولى التي يبدو فيها أكبر سنا

[5] - Alexandropoulos(J), Aspects militaires de l'iconographie monétaire numide,Cahiers des études anciennes, 49, p 220

[6] - CHARRIER(L), Description des monnaies de la Numidie et de la Maurétanie, Mâcon, De Protat Frères, 1912 ; A. BERTHIER, op.cit, p. 207-212

مربوط في الخلف، مرفوع الهامة ينظر صوب اليمين، ومن دون لحية، بعكس ما تعودنا رؤيته من بقية الملوك النوميد والموريطانيين، مثلما يظهر واضحاً بصورة القطعة النقدية لفرمينا[1] والموجودة بقاعة الميداليات بالمكتبة الوطنية لفرنسا، أو بصورة نقود فرمينا.

J.Mazard,Corpus nummorum..p235

[1] - Lancel(S), op.cit, p44

نقود فرمينا

J.Mazard,Corpus nummorum.,p235

قطعة نقدية للملك سيفاكس بالمتحف الوطني سيرتا
N°3 GBr 86

3،2،1 مأخوذة من

J.Mazard,Corpus nummorum.,p235

3- ايكونوغرافية العملة المازيسلية: تهتم الايكونوغرافيا بالصور والرموز، وتعمل على وصفها وترجمة ما تحمل من تفاصيل بين ثناياها، وتحاول تجزئة مركباتها وتفصيلها بدقة للحصول على ما تحويه الرموز، ويمكن اعتبارها مجموعة اجراءات متداخلة كالتفكيك، الاستقراء، الاستنباط، التمحيص والتحليل، وكلها تتم تباعاً لقراءة الرمز والصورة ومختلف الأشكال؛ تحوي العملة المازيسلية صوراً ورموزاً وأيضاً نقوش مكتوبة بالبونية، ورغم ما حاول المؤرخين إثباته عن تقليد سيفاكس لعملة القوى الاقليمية، التي كان يتعامل معها، الا أنه لا يستبعد أن تكون تلك

الفرضيات غير صحيحة، وأن على العكس من ذلك أصيلة ومأخوذة من بيئة المملكة وما يجاورها وما تربى عليه هو وشيوخ وأبناء شيوخ القبائل المجاورة لأراضي مملكته.

قطعة نقدية لسيفاكس متوج بالشريط الملكي
Alexandropoulos(J), Aspects militaires., p 220

أ – **الرموز والصور:** تعتبر الصورة أو الرمز على أي قطعة نقدية أهم ما يميزها عن غيرها، وتتميز نقود المملكة المازيسلية بأنها غير متعددة الرموز على ظهر العملة، فعلى وجه العملة نرى صورة الملك سواء بالنسبة لسيفاكس أو بالنسبة لابنه فرمينا، وعلى الظهر نجد في المجموعة الخاصة بسيفاكس فارساً على ظهر الحصان، أما تلك الخاصة بفرمينا فنجد الحصان حر غير مسرج، ولكن بنقود كلا الملكين الحصان يجري بعكس نقود بعض ملوك نوميديا وموريطانيا حيث يبدو تارة يجري وتارة يمشي وتارة أخرى واقفاً؛ ويلاحظ أيضاً على بعض القطع النقدية لسيفاكس وجود دائرة بارزة مثلما يبدو أسفل الحصان وأعلى الكتابة المنقوشة على ظهر القطعة النقدية لسيفاكس المتوج بشريط ملكي، ويعتقد المتخصصين أنها تمثل رمزا فلكياً [1]، وتواجدها على أي قطعة يشير لقيمة العملة المضروبة قديماً.

غير أن هناك سؤال يفرض نفسه، وهو اذا كانت هذه الدائرة ترمز لقيمة العملة فلماذا نجد عددها أكثر من واحد، وهو يتراوح ما بين 2 و 5 أحياناً وليس دائرة واحدة فقط في مثل هذه القطعة، حيث نجد دائرة واحدة بالقطعة رقم 8 من المجموعة الأولى، وبالقطع الثلاث بالمجموعة الثانية، ونجد دائرتين بالقطعة رقم 7 من المجموعة الأولى، وثلاث دوائر برقم 6 و9، وخمس دوائر بالقطعة رقم 5، وهي غير موجودة بعملة فرمينا حتى بالقطع الفضية.

كما يمكننا ملاحظة خاصية أخرى على حصان سيفاكس وفرمينا، وهو أنه بالمجموعة النقدية الأولى لسيفاكس نجده يجري الى اليمين، في حين بالمجموعة الثانية وبنقود فرمينا كما يتضح، يجري نحو اليسار.

وتبدو أهمية الحصان بالنسبة للماسيسيليين والماسيليين، وغيرهم من قبائل بلاد المغرب القديم، ليس فقط من خلال رموز العملة واهتمامهم بنقش ورسم الحصان الحر، أو الفارس المنطلق بحصانه، بل وأيضاً قبل ذلك من

[1] - Muller(L), Numismatique de l'ancienne Afrique, Copenhague, 1861, 2 ; Mazard(J), op.cit, p 10 ; Soltani(A), L'Astre et le Croissant dans l'iconographie monétaire des rois numides et maurétaniens, in Le temps et ses mesures aux époques antique et islamique, Actes du colloque international organisé par le CNRA,Alger, 2015, p 101

خلال النصب الليبية كنصب أبيزار* وغيره مما يشبهه من الأنصاب[1] التي عثر عليها في مناطق أخرى كثيرة مثل برج منايل أو كرفلة بالأخضرية بالبويرة، أو بتنسوين أوبوجمعة أو بآيت بوشايب وغيرها.

وحبهم للخيل ناتج عن غنى بلادهم بها، وتذكر المصادر[2] أن الخيل الافريقي يتميز بسرعة الحركة أكثر من غيره من الخيول من المناطق الأخرى، وبتحمله للتعب كما أنه مطواع لسيده حيث تكفيه إشارة للحركة أو التوقف، وسهل الانقياد، والسر وراء سرعتها الفائقة نحولتها[3]؛ وكان للخيول النوميدية والمورية مكانتها الهامة في الحرب والسلم، وقد استخدمت منذ غابر العصور لجر العربات، كما تشير لذلك الرسوم الصخرية بالتاسيلي.

* – هو نصب من الصخر الرسوبي، ارتفاعه 1،25 م، عرضه 1،10م وسمكه 11 سم، عثر عليه بقرية أبيزار بدائرة وقنون ولاية تيزي وزو سنة 1858، منقوش عليه رجل بوجه دائري ولحية مدببة، يشبه الى حد ما الصورة الموجودة على وجه العملة الخاصة بالمجموعة الأولى لسيفاكسن، والرجل بنصب ابيزار يمتطي جوادا غير مسرج، يحمل بيده اليسرى درعاً وثلاث رماح ويؤدي التحية بيده اليمنى، والحصان أيضاً يتجه صوب الجهة اليمنى، ولا يستبعد ان مثل هذه الوضعيات التي صور بها فارس أبيزار ترمز للزعماء وشيوخ القبائل وحتى الملوك وتصورهم فرساناً ابطالاً ، آكلي كلثوم، عمار فتيحة، الفترة الليبية، الجزائر تراث وحضارة من خلال مجموعات المتحف الوطني للآثار القديمة، الجزائر، 2010 ، ص 13

[1] - Salama(P), « Les chefs libyques sur les stèles figurées », L'Algérie au temps des royaumes numides, catalogue de l'exposition de Rouen, 2003, p35; Laporte(J-P), «Datation des stèles libyques figurées de Grande Kabylie», Africa Romana, 1992, p 411-412

[2] - Polybe,Histoire , XII,3 ; Strabon,Géographie, XVII, 7 ; 19 ; Diodore de Sicile, Bibliothèque historique, trad.,Hoffer(F), Paris, éd., Adolphe Delahays, 1851, XX, VIII ; Synésius,Lettres, Traduit par Druon(H),Paris,1878,22 ; Némésien, Cynégétiques, Trad., C.S.Nisard,éd., Dubochet, 1812 , v 259 – 272 ; Pindare,Phythiques, trad., Puech(A),,éd., Les Belles Lettres, Paris, 1922, IX, v3

[3] - Synésius,Lettre 56

نصب أبيزار
متحف الآثار القديمة بالجزائر
رقم الجرد: I.S 136

وبالنظر لصورة نصب أبيزار، نرى درعاً وثلاث رماح، وهو ما يدل على أن الماسيسيليين والماسيليين والجرامنت والجيتول وغيرهم من بقية قبائل المنطقة، كانوا محاربين ويستعملون الرماح والحراب والدروع وغيرها حسبما ذكرته بعض المصادر[1]، وحتى الرسوم والنقوش الصخرية تثبت هذا الأمر بما تصوره من مشاهد[2]، مما يدل على أن الرمح بيد الفارس بعملة سيفاكس أصلي ومحلي، وكان مستخدم من قبل سكان بلاد المغرب القديم، ولم يقلدوا فيه غيرهم من الشعوب المجاورة لهم، ولم يستخدموه الا حين انضموا للجيش القرطاجي مثلما يرى ستيفان غزال[3]، بل على العكس من ذلك يبدو أنهم حافظوا على هويتهم ومعارفهم الحربية باستخدامهم لما تعودوا عليه ويجيدون حمله واستعماله من أسلحة حربية.

ويبدو أن الصور والرموز استغلت للدعاية السياسية، وللإشارة للقوة الحربية[4]، ورمز القوة والحرب لم يجسده فقط الفارس والحصان على الظهر والرمح، وإنما حتى الملامح الصارمة ونظرة التحدي والثقة بصورة سيفاكس تماما مثلما نرى بالمجموعة الأولى لسيفاكس، أما بالمجموعة الثانية فيمكن اعتبار أن صورة سيفاكس على الوجه ترمز للسلام والجمال والثقافة من حيث الاعتناء بمظاهر الزينة والمظاهر الملكية، كتصفيف الشعر واللحية، إضافة لوضع الشريط الملكي الذي انتشر مع الفترة الهلينستية وتقليداً لألكسندر المقدوني.

أما بنقود فرمينا فالصورة تعطينا وجهاً غير ملتحٍ، وهو أمر مغاير لما تعودنا من ملوك بلاد المغرب عموماً، يلبس معطف والرأس متوج بشريط ملكي، وعلى ظهر القطعة حصان منطلق من دون فارس، كما اختفت بعملته مظاهر قوة الجانب العسكري، وهو ما دفع بغزال"S.Gsell"[5] لاعتبار أن صور فرمينا على نقوده ترمز له بعد 203 ق. م، حيث كان يبحث عن عفو روما، بسبب مساندته لحنبعل بعد هزيمة والده وأسره، ذلك العفو الذي

[1] -Hérodote, Histoires ,Livre IV, trad.,PH. E.Le grand , éd., Les belles Lettres, Paris , 1949,VII,41 ; Strabon, XVII, 3, 7 ; Salluste, La Guerre de Jugurtha , texte établi et traduit par A.Ernout , Paris , Les belles lettres , 1989, LVII, 5 ; Polybe, III, 72, 7 ; Silius Italicus, Guerres Puniques , Texte établi et traduit par M.Kermoysan , Paris , éd., Dubochet et Compagnie , 1837, I, 319-323

[2] - Camps(G), « Armes », Encyclopédie berbère, VI, 1989, pp 888-901

[3] -Gsell(S), HAAN, T.VI, p 54

[4] – Alexandropoulos(J), op.cit , p 220

[5] - Gsell(S), HAAN, TV, p 141-157 ; Mazard(J), op.cit, p 21

أشار اليه تيت ليفيوس[1] وأنه لم يحصل عليه الا بصعوبة من مجلس الشيوخ، مع تقليص منطقة نفوذه وأراضي مملكته.

تطرح نقود فرمينا اشكالية الفترة الزمنية، التي ضربت فيها، وهل حكم في عهد والده؟ أم بعد أسره؟ خاصة وأن حكم الأمراء الليبيين مع الوالد وخاصة من سيخلفه على العرش لم يكن بمستبعد، والدليل على ذلك فيرموس ابن نوبل في القرن الرابع الميلادي، والذي كان الوحيد بين اخوته، يعيش معه بالقصر، ويحكم الى جانبه، وهو من خلفه على العرش رغم ما أثير حول عدم شرعيته؛ أما عن كون فرمينا غير ملتح، وهو ما اعتبر دليلاً على الخضوع لروما وماسينيسا، وكونه غير مؤهل للحكم من دون اذنهما، فهو دليل غير مقنع، لأن فرمينا يبدو من خلال الصورة صغير السن، اضافة الى انه لا يستبعد أنه لم يرد تقليد النوميد والظهور باللحية، خاصة وأننا نجد ملوكاً غيره صوروا على عملتهم دون لحية مع أن أحداً لم يتهمهم بالخضوع لغيرهم، مثل هيرون الثاني" Hiéron II"، بطليموس الخامس"Ptolémée V" وأنطيوخوس الثالث"Antiochos III".

ب – النقوش: كتبت النقوش بالبونية، على ظهر القطعة النقدية أسفل الحصان مثلما نلاحظ بالمجموعات النقدية أعلاه أو بهذه القطعة الموجودة بمتحف سيرتا لسيفاكس، وغالبا ما تمثل اسم الملك[2] متبوعاً بكلمة ملك أو حاكم أو مالك المملكة مثل س ف ك – ح م م ل ك ت « SPhQ – HMMLKT » ، ونفس الكتابة نجدها على نقود فرمينا، اسمه ولقبه الملكي أو وظيفته «VRMND – HMMLKT ».

أما عن كتابة النقوش على ظهر العملة بالبونية، فلا يستبعد لكونها اللغة الاقليمية آنذاك، بل ولا نبالغ ان قلنا من لغات العالم القديم المعروفة بسبب تجارة القرطاجيين وسيطرتهم قبل روما على الحوض الغربي للمتوسط، وبما ان العملة النقدية موجهة للتعامل الاقتصادي على مستوى البحر المتوسط وليس فقط المحلي، فمن الطبيعي ان تكتب على النقود اللغة الأكثر معرفة من طرف الدول والممالك حينها، خاصة وأن المملكة الماسيسيلية حافظت على نفس المقاييس التي كانت متبعة في سك العملة خلال القرن الرابع والثالث قبل الميلاد، ولم تخل بأي منها، بما فيها وزن وقطر العملة .

[1] - Tite – Live, XXX, 36, 9 ; XXXI, 11, 13- 17

[2] - Mazard(J), op.cit, p 18- 21 ; Camps(G), Massinissa., p 174 ; Id, , Agellid, titre royal numide, E.B, 1985, p 249 ;
Kadra-Hadjaji(H), Massinissa le grand Africain, éd., Karthala, 2013, p 56

ويشير ألكسندروبولس" J.Alexandropoulos "[1] الى أن الوزن والقطر الذي اتبع في عملة سيفاكس، هو نفسه الذي ضربت به عملة آل برقة باسبانيا، غير أننا بتتبع وزن وقطر القطع النقدية لسيفاكس وفرمينا لا نجد الأمر منطبقا تماما مثلما نرى ذلك الجدولين أسفله.

الجدول 1 : مقاييس نقود آل برقة باسبانيا:

	الوزن	القطر
الوحدة	10-11 غ	23-25 مم
النصف	5،5 غ	18-22 مم
الربع	2 غ	14 مم

الجدول 2 : مقاييس نقود سيفاكس وفرمينا بحسب الصور الواردة في المقال:

		رقم القطعة	الوزن	القطر
سيفاكس	**المجموعة الأولى**	1	12 غ	25 مم
		2	//	//
		3	//	//
		4	6 غ	21 مم
		5	7،5 غ	22 مم
		6	5،50 غ	21 مم
		7	4،20 غ	18 مم
		8	3 غ	16 مم
		9	4،80 غ	18 مم
		الربع السيفاكسي	4،4 غ	23 مم
	المجموعة	1	10،20 غ	24 مم
		2	//	//
		3	//	//

[1] - Alexandropoulos(J), Les monnaies de l'Afrique., p 145-146

	الثانية	النصف السيفاكسي	8،7 غ	25 مم
		قطعة متحف سيرتا	9،3 غ	3 مم
فرمينا		1	8 غ	18 مم
		2	14،7 غ	25 مم
		3	//	//
		قطعة نقدية للملك فرمينا من المكتبة الوطنية لفرنسا	14،53 غ	26 مم

نستطيع من خلال الجدولين، ملاحظة أن الوحدة البرونزية لسيفاكس، بالمجموعة الأولى، تجاوزت وحدة آل برقة بغرام، والنصف بنصف غرام، وأحياناً بغرامين، أما الربع السيفاكسي فتجاوزها بغرامين، وهو اكبر قطراً إذ أنه يعادل الوحدة مما يدل على انه أقل سمكاً منها، في حين بالمجموعة الثانية لنقود سيفاكس الفرق كبير مع النصف السيفاكسي، وقطعة متحف سيرتا.

أما بنقود فرمينا الفضية، الممثلة في الشيكل"Shekels" والدِشيكل "dishekels"[1]، الأول الممثل في 8 غ، والثاني يزن 14،7 غ، فالأمر أيضاً ليس متطابقاً، غير أن الفارق ليس كبيراً، حيث أن الشيكل القرطاجي يزن 7،6 غ، والبونيقي الاسباني يزن 7،2 غ، ولكن ما ينبغي الاشارة اليه ان الدشيكل القرطاجي كان قيماً، حيث أنه وقبل سقوط قرطاج ، كانت 18 دشيكل تقابلها 132 دونيي روماني.

الخاتمة: لا يعتبر الملك سيفاكس أقوى ملوك بلاد المغرب القديم فقط مثلما أشار لذلك تيت ليفيوس، بل يتضح أيضاً أنه كان سباقاً لبعض المنجزات الحضارية، التي شهدها العالم القديم والتي أحدثت تغييراً وتطورا لدى الشعوب التي عرفتها، مثل كونه أول من سك العملة في المنطقة، وأول من دعا لمؤتمر السلام سنة 213 ق. م بعاصمة مملكته بسيقا، واستقبل الطرفين استقبالاً حسناً، مما يدل على أنه رجل ديبلوماسي من الطراز الأول، وأول من جعل للمملكة عاصمتين واحدة خاضعة للتسيير المباشر، والأخرى للنظام غير المباشر، غير أنه للأسف لم يحظ بتسليط الضوء عليه، وعلى إنجازاته وعلى مملكته، التي كانت تشكل قوة لا يستهان بها بالنسبة للرومان مما جعلهم يقررون القضاء عليها إلى جانب قرطاجة، قبل بسط سيطرتهم الكاملة على بلاد المغرب القديم.

[1] - Ibid, p 145

تعتبر العملة الماسيسلية من أهم العملات القديمة، ليس لأقدميتها وأسبقية ظهورها، بل لصفاء المادة الخام التي سكت منها، وصنعها الجيد الذي يجعلها غير قابلة للتأكسد على غرار الكثير من قطع النقود التي ترجع لفترات لاحقة والتي تعرضت للتأكسد.

وبالنسبة لإشكالية الصورة على نقود سيفاكس واختلافها، فهي تقبل طرح أكثر من احتمال وفرضية، طالما لم يعثر على دليل أركيولوجي جديد يفصل في هذه المسألة، وإضافة لما ذكر من طرف المؤرخين، يمكننا القول أنها قد تكون لشخصين مختلفين، الأول هو الأكبر سنا يدعى سيفاكس، والثاني أيضاً وهو الذي ذكر من قبل المصادر، خاصة وأنه قوي مثلما يبدو من صورته بالمجموعة النقدية الثانية ببنيته الجسدية، وحتى السياسية والعسكرية، وإلا لما حاولت قرطاجة استمالته، اضافة الى أن سكان شمال افريقيا، عرفوا بتسمية الاسم نفسه على شخصين في آن واحد بنفس العائلة، ولاتزال هذه العادة لغاية يومنا هذا؛ كما لا يمكننا غض الطرف عن نصب أبيزار، وتشابه الملامح بين الفارس به، والصورة على المجموعة النقدية الأولى، مما يطرح احتمالية أن يكون شكلاً نموذجياً محبباً للنوميد، وتبركاً به، رسم على العملة النقدية، وهذا يرجعنا للقول أن الصورتين لرجل واحد .

تظهر الرموز والصور الموجودة على ظهر العملة الماسيسلية، اهتمام الماسيسيل بأصالة الرمز واختياره النابع من أهميته بالنسبة لهم، والذي يرمز للفروسية وأساس قوة رجال المملكة، والذي ليس مقلداً لغيره من الشعوب المجاورة اقليميا لمملكة الماسيسيل، وانما تثبت أصالته ما هو موجود على الأنصاب الليبية والمكتوب عليها بالليبية كنصب أبيزار.

صورة الفارس المنطلق، وكأنه في ساحة المعركة ليست مجرد رمز، بل يبدو أنها تعبر فعلاً وترمز لقوة الفارس وبطولته لا نجدها إلا في نقود سيفاكس، في حين هي غير موجودة بنقود فرمينا، مما يدل فعلاً على حب والده للفروسية وتأهبه الدائم للمواجهة وقوته الفعلية؛ كما لا يستبعد أن رمز الفرس كان لغرض الدعاية السياسية والحربية.

لازال تاريخ وحضارة مملكة المازيسيل لم يكتشف بعد، ولايزال يحتاج للكثير من الأبحاث والدراسات، التي لن تضيف لما كتب حتى الآن أو تاتي بالجديد عنها إلا بحفريات ونتائج أبحاث أثرية جديدة يمكنها أن تغطي تاريخ المملكة .

المصادر والمراجع والمواقع الالكترونية:

المصادر:

Diodore de Sicile, Bibliothèque historique, trad.,Hoffer(F), Paris, éd., Adolphe Delahays, 1851

Hérodote,Histoires ,Livre IV, trad.,PH. E.Le grand , éd., Les belles Lettres, Paris , 1949

Némésien, Cynégétiques, Trad., C.S.Nisard,éd., Dubochet, 1812

Pindare,Phythiques, trad., Puech(A),,éd., Les Belles Lettres, Paris, 1922

Pline l'Ancien , Histoire Naturelle, Collection des auteurs latins, éd ., et trad. ,M.E. Littré . Paris, éd ., Dubochet et Le Chevalier 1848

Polybe, Histoire,Traduit par Waltz(P),éd., Garnier,Paris,1921

Ptolémée, Géographie, éd.,C.Mulles, 1901

Salluste , La Guerre de Jugurtha , texte établi et traduit par A.Ernout , Paris , Les belles lettres , 1989

Silius Italicus ,Guerres Puniques , Texte établi et traduit par M.Kermoysan , Paris , éd., Dubochet et Compagnie , 1837

Strabon, Géographie, Trad.,Tardieu(A),Paris

Synésius,Lettres, Traduit par Druon(H),Paris,1878

Tite-Live, Histoire romaine,Trad., M.Nisard, éd., Firmin Didot freres, 1864

المراجع العربية:

آكلي كلثوم، عمار فتيحة، الفترة الليبية، الجزائر تراث وحضارة من خلال مجموعات المتحف الوطني للآثار القديمة، الجزائر، 2010

بلحيمر وهيبة، نيسيغاوي وافية، بلعابد زينب، العملة القرطاجية والنوميدية والموريطانية من خلال مجموعة متحف سيرتا، المتحف الوطني سيرتا.

خديجة منصوري، التطورات الاقتصادية لموريطانيا القيصرية، دكتوراه دولة تحت اشراف محمد البشير شنيتي، جامعة وهران، 1995 – 1996

فتيحة فرحاتي، نوميديا، منشورات أبيك، 2007

محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، الطبعة الولى ، دار الأمة، الجزائر، 1998

محمد الهادي حارش، مملكة نوميديا دراسة حضارية، دار هومة، 2013.

المراجع والمواقع الاجنبية:

Alexandropoulos(J), Les monnaies de l'Afrique antique: 400 av. J.-C.-40 ap. J.-C Presses Univ. du Mirail, 2007,

Alexandropoulos(J), Aspects militaires de l'iconographie monétaire numide,Cahiers des études anciennes, 49, 2012

Berthier(A), La Numidie, Rome et le Maghreb, Éditions Picard, Paris,,1981

Bouchnaki(M), Récentes recherches et étude de l'Antiquité en Algérie, Ant.Afr, N°15, 1980

CHARRIER(L), Description des monnaies de la Numidie et de la Maurétanie, Mâcon, De Protat Frères, 1912

Camps(G), Les traces d'un Age du bronze en Afrique du Nord,R.Afr, CIV, 1960, pp 31-55

Camps(G), Massinissa ou les débuts de l'histoire, Libyca, tomme VIII, 1er semestre, 1960

Camps(G), « Armes », Encyclopédie berbère, VI, 1989, pp 888-901

De Barthélémy(A), Nouveau manuel complet de numismatique, éd., librairie encyclopédique de Roret, 1851

Désanges(J), Catalogue des tribus africaines de l'antiquité classique à l'Ouest du Nil, Publications de la section d'histoire, n° 4, Dakar,1962

Grimal(P), Les fouilles de Siga, MEFR, 1937, N° 54, pp 108-141

Gsell(S), Vieilles exploitations minières dans l'Afrique du Nord , Hesperis VIII ,1928, pp 1-21

Gsell(S), Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, TV, éd., Otto ZellerVerlag ,1972

Krings(V), La civilisation phénicienne et punique, manuel de recherche, Édition. Leiden New-York Köln E.J. Brill 1995

Lancel(S), Lalgérie antique, De Massinissa à Saint Augustin, 2ème édition, éd., Place des victoires, Pais, 2008

Laporte(J-P), «Datation des stèles libyques figurées de Grande Kabylie», Africa Romana, 1992

Lassère (J-M), Africa quasi Roma, 256 av. J. C.-711 apr. J. C, CNRS Éditions, Aix-en-Provence, 2015

Lenormant(F), La monnaie dans l'antiquité: leçons professées dans la chaire d'archéologie,éd., H. Welter,1897

Mazard(J),__Corpus nummorum Numidiae Mauretaniaeque, Arts et métiers graphiques, Paris, 1955

Meynier(G), L'Algérie des origines de la préhistoire à l'avènement de l'islam, éd., La Découverte, 2007

Salama(P), « Les chefs libyques sur les stèles figurées », L'Algérie au temps des royaumes numides, catalogue de l'exposition de Rouen, 2003

Soltani(A), L'Astre et le Croissant dans l'iconographie monétaire des rois numides et maurétaniens, in Le temps et ses mesures aux époques antique et islamique, Actes du colloque international organisé par le CNRA,Alger, 2015

Ville(M), Notice minéralogique sur les Provinces d'Oran et d'Alger, Paris, 1857

https://www.djazairess.com/aps/418857

https://knoz1.mosw 3a.com/showthread.php ?t=54284

https://fr.numista.com/catalogue/numidie-1.html

الفخار الكورنثي المبكر في حفريات حرم ديميتر وكوري (بيرسفوني) في توكرة 1963-1965

تقديم وترجمة د. خالد محمد عبد الله الهدار
استاذ مشارك بقسم الآثار في جامعة بنغازي

ملخص:

يتضح من خلال عنوان هذه الدراسة انها تهتم بالفخار الكورنثي المبكر الذي عثر عليه في حفريات حرم ديميتر وكوري بمدينة توكرة الاثرية (تاوخيرا)، التي قادتها مصلحة الاثار في المنطقة الشرقية باشراف جودتشايلد بالتعاون مع المدرسة البريطانية في اثينا باشراف جون بوردمان وجون هايز ما بين 1963-1965. والواقع ان جوهر الدراسة يمثل ترجمة لما نشره جون هايز عن ذلك الفخار بسبب اهميته والنسبة الكبيرة من اوانيه التي ظهرت في تلك الحفريات والتي ساعدت في التوصل الى تاريخ تأسيس تاوخيرا بواسطة الاغريق. والواقع ان الدراسة تنقسم الى قسمين تمثل الاول وهو من اعداد الباحث في مقدمة عن تلك الحفريات واهميتها وملخص عن الفخار الكورنثي وتطوره واهم زخارفه، وبدونها قد يصعب على القاريء فهم القسم الثاني الذي يمثل دراسة هايز لفخار توكرة الكورنثي في العصر الاركايك (المبكر) بمراحله الثلاث التي تمتد ما بين 625-550 ق.م.(او 620/615-550 ق.م.)، هذه الدراسة التي وجّهت مباشرة للمتخصصين، لذا كان يجب تقديم مقدمة عن ذلك الفخار حتى تعم الفائدة للطلاب والباحثين العرب.

Abstract:

Archaic Corinthian Pottery in Excavations of the Sanctuary of Demeter and Kore (Persephone) at Tocra 1963-1965

It is clear from the title of this study that it is concerned with Archaic Corinthian pottery that was found in the excavations of the Sanctuary of Demeter and Kore (Persephone) at Tocra which was carried out under the joint auspices of the Libyan Department of Antiquities (Eastern Section) under Mr. R. G. Goodchild, and the British School at Athens under Mr. J.Boardman and J. Hayes between 1963-1965. In fact, the essence of the study represents a translation of what Hayes published about that pottery because of its importance and the large proportion of his vessels that were produced in those excavations, which helped to know the exact date of the founding of Tauchira by

the Greeks. The study is divided into two parts, the first being prepared by the researcher in an introduction to those excavations and their importance, and a summary of Archaic Corinthian pottery, its development and its most important decorations, without which it may be difficult for the reader to understand the second part, which represents Hayes' study of Corinthian pottery at Tocra with its three phases that extend Between 625-550 BC (or 620 / 615-550 BC), this study was directed directly to specialists. Therefore, it was necessary to put an introduction on that pottery for the benefit Arab students and researchers.

توطئة:

إن اسلوب التسلسل الطبقي الذي اتبعه فريق المدرسة البريطانية في اثينا برئاسة جون بوردمان مساعده جون هايز أثناء حفرياته بحرم ديميتر و كوري (بيرسفوني) في توكرة (تاوخيرا)[1] مابين 1963-1965 م انعكس بكل وضوح على نتائج تلك الحفريات، وعلى دراسة الكميات الكبيرة من اللقى الفخارية المتنوعة التي عثر عليها في ذلك الموقع، والتي بدورها ادت في النهاية للتوصل الى تسلسل تاريخي او زمني لهذا الموقع و للمدينة بصورة عامة ، كما ادى تنوع طرز الفخار الاغريقي المبكر الذي وجد بكميات معتبرة، والنتائج المستخلصة من دراسته دراسة علمية من قبل الاستاذ جون هايّز (J.Hayes) الى لفت الانتباه الى اهمية الفخار الاغريقي المبكر في اقليم كيرينايكي (قورينائية Cyrenaica) ، واتضح انه مصدر تأريخي يعول عليه – بفاعلية كبيرة – في تأريخ الاستيطان الاغريقي بالمدن الأثرية في هذا الاقليم[2]، وليس هذا فحسب فقد دلت الدراسة الكمية المقارنة لهذا الفخار انه مصدر يتبين منه العلاقات التجارية التي كانت لتوكرة والاقليم بصفة عامة مع مدن بلاد الاغريق المنتجة لذلك الفخار، كما ان من شأنه ان يعكس اصول السكان والمستوطنين الاغريق في الاقليم ، وقد تجلى هذا بوضوح عند تحديد اصول مستوطني تاوخيرا ، مع مراعاة ان العثور على أي كمية من الفخار – ولو كانت كبيرة– في مكان ما قد لا يدل على اية علاقات تجارية او يساعد في تحديد اصول السكان بسبب ان هناك بعض الطرز الفخارية كانت تعد من السلع التجارية الشائعة في جميع الاسواق وتتبادل بكل سهولة بين المدن مثل الفخار الكورنثي والاتيكي الذي يتوقع ظهوره في غالبية المواقع الأثرية ما بين القرنين السابع و السادس ق.م.

[1] - تقع توكرة للشرق من مدينة بنغازي بحوالي 68 كم ، وتعد من المدن الاثرية التي استوطنها الانسان الليبي منذ عصور ماقبل التاريخ، ثم اصبحت احدى المدن التي اسسها الاغريق خلال الربع الاخير من القرن السابع ق.م.واستمر الاستطيان بها مرورا بسيادة البطالمة لها ثم الرومان والبيزنطيين ثم الفتح الاسلامي لها ما بين 642-645م والاستيطان بها حتى القرن الثني عشر الميلادي تقريباً، وآثارها تعبر عن تسلسلها التاريخي.

[2] - J.Boardman, “Evidence for The Dating of Greek Settelment in Cyrenaica”British School at Athens, 61 (1966) pp.150 – 152; P.James, "Archaic Greek colonies in Libya: Historical vs. archaeological chronologies? "Libyan Studies,36 (2005)pp.1-20.

ومما يجدر ذكره ان هناك طرز عديدة من الفخار الاغريقي المبكر (Archaic) عثر عليها أثناء حفريات حرم ديميتر بتوكرة منها الفخار الكورنثي و الاتيكي و الرودي و السيكلادي و فخار شرق بلاد الاغريق و الجزر و الفخار اللاكوني وغيرها و قد دُرست تلك الطرز من قبل الاستاذ هايّز ، وتميزت دراسته بالعمومية معتمدة على الاسلوب المقارن مركزة على انواع من الاواني دون غيرها، وقد نشرت دراسة هايّز ضمن مجلدي الكتاب المنشورا عن تلك الحفريات[1].

وبسبب اهمية الفخار الكورنثي والنسبة الكبيرة من اوانيه التي ظهرت في حفريات توكرة فقد رأى الباحث ان يعد للنشر ترجمة للجزء الخاص بالفخار الكورنثي المنشور في المجلدين. ويبدو أن هناك ضرورة لتصدير هذه الترجمة بتوطئة عن اهمية حفريات حرم ديميتر و الفخار الاغريقي المبكر الذي عثر عليه بذلك الحرم ، كما ان تقديم معلومات عن الفخار الكورنثي المبكر من شأنه ان يساعد القارئ لهذه الدراسة المترجمة التي وجّهت مباشرة للمتخصصين، لذا كان لا مناص من تقديم فذلكة عن ذلك الفخار حتى تعم الفائدة.

مقدمة عن الفخار الكورنثي المبكر:

يُنسب الفخار الكورنثي الى مدينة كورنث الواقعة في بلاد اليونان بالقارة او ما يعرف بالبلوبونيز(شبه جزيرة المورة) والتي تشغل موقعا استراتيجيا من الناحية التجارية مما مكنها من السيطرة التجارية على الطرق التي تربط البلوبونيز و بقية بلاد الاغريق ، والطرق المؤدية الى جزر بحر ايجة وشرق البحر المتوسط ، وقد مكّن هذا الموقع التجاري المميز من توزيع او تصدير منتجاتها و لعل اهمها الفخار الى غالبية مواقع البحر المتوسط والبحر الاسود كذلك بسبب نشاط التجار الكورنثيين[2]، وقد تميزت كورنث بصناعة الفخار المزخرف منذ القرن التاسع ق.م. أي في المرحلة التي زخرف فيها الفخار الاغريقي بالزخارف الهندسية وظهور ما يعرف بالاسلوب الهندسي ، و قد بدأت كورنث في انتاج هذا النوع من الفخار منذ حوالي العام 875 ق.م. واستمرت في انتاجها له حتى عام 720 ق.م. وتمكنت كورنث خلال هذه المرحلة ان تبلور اسلوباً خاصاً بها في صناعة الفخار وزخرفته بزخارف هندسية متنوعة ، ولم يقتصر انتاجها على احتياجات السوق المحلية بل تصدير فائض انتاجها منه الى عدة مدن اغريقية أخرى لاسيما في المرحلة التي عرفت باواخر الاسلوب الهندسي 750 –720 ق.م.، وجدير بالذكر ان توكرة لم يعثر فيها على هذا النوع من الفخار بسبب ان المدينة لم تؤسس الا بعد فترة طويلة من نهاية انتاج الفخار الهندسي، لكن الكثير من الاواني الكورنثية التي عثر عليها في توكرة ظل بعضها يحمل بعض الزخارف الهندسية التي ترجع الى عصر الاسلوب الهندسي.

[1] - J.Boardman & J.Hayes , Excavations At Tocra 1963-1965 ,Vol. 1 (Oxford:1966) = Tocra I; J.Boardman & J.Hayes , Excavations At Tocra 1963-1965,Vol. 2(Oxford:1973)= Tocra II.

[2] - J.B.Salmon, Wealthy Corinth: a history of the city to 338 B.C. (Michigan :1984); E.G. Pemberton, "Wealthy Corinth: The Archaeology of a Classical City", The Australian Academy of the Humanities. Proceedings 1998 (Canberra 1999)p.138-165.

ويلاحظ ان العلاقات التجارية مع الشرق في القرن الثامن ق.م. قد ادت الى وصول العديد من القطع الفنية الشرقية الى بلاد اليونان والتي بدورها اثرت في الفن الاغريقي والى ظهور الملامح الشرقية في ذلك الفن ، وقد كانت زخارف الفخار ميدانا رحبا للمؤثرات الشرقية مما دعا دارسو الفخار الاغريقي ان يطلقوا على هذا المرحلة اسلوب الاستشراق في الفخار (او الفن)الاغريقي ، و قد كانت كورنث من اوائل المدن التي تأثرت باسلوب الاستشراق(The Orientalizing Style) بسبب موقعها المميز وعلاقاتها التجارية مع الشرق ، خلال هذه المرحلة (720–640 /630 ق.م.) التي اطلق على فخارها الفخار ما قبل الكورنثي[1] بسبب عدم نضوج اسلوب كورنثي محض وعدم تحرر صناعة الفخار في كورنث من المؤثرات الخارجية أي قبل تكّون مدرسة فنية او اسلوب فني مميز لصناعة الفخار في مدينة كورنث يميزها عن غيرها من فخار المدن الاغريقية الأخرى ، وشهدت هذه المرحلة الطويلة من صناعة الفخار الكورنثي (720 –630/640 ق.م.)تطورا ملحوظا في التقنية المستخدمة والاساليب الزخرفية المنفذة منها ابتكار اسلوب الصور السوداء في رسم الاشكال والبعد عن التجريد في رسمها واصبح الفنان اكثر حرصاً على تقليد الطبيعة في تجسيد الحيوانات الشرقية سواء من حيث الحركة ام من حيث المظهر العام ، والى جانبها بدأت تظهر الزخارف الخطية والاشكال الهندسية والنباتية في شكل متناسق مع بقية الزخارف الحيوانية وحدث هذا ما بين 690 –650 ق.م. أي في المرحلة المتوسطة من فخار ماقبل الكورنثي، و من هنا بدأت المدرسة الفنية الكورنثية تتشكل صورتها ، ومع مزيد من مهارة الفنانين اكتمل اسلوب الصور السوداء واصبح اكثر نضجا في اواخر مرحلة ما قبل الكورنثي 650 – 640 ق.م او ما بين حوالي 650–630 ق.م.، وفي مرحلة الانتقال 640 – 625 ق.م. او (حوالي 630–615/620 ق.م.)، و قد ادى هذا في النهاية الى تبلور اسلوب الصور السوداء و نضجه او ما يعرف بالفخار الكورنثي الناضج[2]، و لم يعثر في توكرة الا على اناء واحد يرجع الى المرحلة المتوسطة من الفخار ماقبل الكورنثي

[1] – يراجع للمزيد عن الفخار الهندسي وما قبل الكورنثي :
H.G. Payne, Protokorinthsce vasenmalerei , (Berlin:1933); S.S. Weinberg ,"What Is Protocorinthian Geometric Ware?" American Journal of Archaeology, 45.1(1941),pp. 30–44; S.S.Weinberg, The Geometric and Orientalizing Pottery, Corinth vol.VII, Part,I , (Princeton:1943)pp.9-54; R.M.Cook, Greek painted pottery, (London: 1972), p. 41–55; C.W.Neeft, Protocorinthian subgeomatric Aryballoi, (Amsterdam:1987); J. L. Benson, Earlier Corinthian Workshops. A Study of Corinthian Geometric and Protocorinthian Stylistic Groups, Scripta Minora I (Amsterdam 1989);. Th.Rasmussen, "Corinth and the Orientalising Phenomenon" Looking at Greek Vases, Ed. Rasmussen, Tom and Spivey, Nigel Jonathan, (Cambridge:1991), p. 58–67; M. Akurgal, Korint Seramiği M.Ö. 750-650, İstanbul: 1997; J.Boardman, Early Greek Vase Painting: 11th-6th Centuries B.C.: A Handbook, (New York: 1998), p. 86–87.

[2] - يراجع عن الفخار الكورنثي الناضج:
K.F.Johansen, Les vases sicyoiens, (Paris: 1923); H.G. Payne, Necrocorinthia , A study of Corinthian art in the archaic period. Clarendon Press (Oxford:1931); S.S.Weinberg, Corinth vol.VII, Part,I ,pp. 55-83; R.Hopper, Addenda to Necrocorinthia. The Annual of the British School at Athens, 44. (1949).pp.162-257; J. L. Benson, Geschichte der korinthischen Vasen (Basel 1953). J. L. Benson, Some Notes on Corinthian Vase-Painters, American Journal of Archaeology, 60, 1956, 219–230; C.W.Blegen, (et al), The North Cemetery ,Corinth vol.XIII, (Princeton:1964),pp.97-118;R.M.Cook, Greek painted pottery, pp.55-65 ; D.A. Amyx and P.Lawrence , Archaic Corinthian Pottery and the Anaploga Well. (= Corinth vol.VII, Part,II), (Princeton : 1975);D.A.Amyx,Corinthian vase-painting of the Archaic period, 3 vols. (Berkeley:1988); C. W. Neeft, Addenda et corrigenda to D. A. Amyx,

وهو الابريق المخروطي الثلاثي المصبات (الاونوخوي) رقم 1 وهذا شيء طبيعي لان المدينة لم تؤسس الا في فترة لاحقة عن تاريخ ذلك الاناء ، و بسبب وجوده في طبقة حضارية متأخر تاريخها عن تاريخ ذلك الاناء يوحي انه عنصر دخيل في تلك الطبقة ومن ثم غير مفيد في عملية تأريخ الاستيطان الاغريقي في توكرة ، لكنه على اية حال يعكس الاسلوب الفني الذي كان شائعا في المرحلة المتوسطة من الفخار ما قبل الكورنثي ، وتنطبق الحالة نفسها على الطبق رقم 1880 الذي يحمل سمات زخرفية تجعل نسبته الى فترة مبكرة امراً لا شك فيه ، وهو يعد مثالا لفخار اوخر ماقبل الكورنثي او مرحلة الانتقال بين الفخار ماقبل الكورنثي والفخار الكورنثي الناضج ، ومن هنا فإن هذين الإناءين يعدان اقدم الاواني الكورنثية التي وجدت في توكرة و مثالا فريدا عن فخار تلك المرحلة في ليبيا.

وجدير بالذكر إن أغلب دارسي الفخار الكورنثي الناضج قد اتفقوا على تسلسل زمني(Chronology) لذلك الفخار (625 – 550 ق.م.) والذي اقترحه باين (Payne)[1] منذ بداية الثلاثينات حيث قام بتقسيم الفخار الى ثلاث مراحل زمنية كل مرحلة استغرقت ربع قرن من الزمن، المرحلة المبكرة (حوالي 625–600 ق.م.) ، المرحلة المتوسطة (حوالي600 – 575 ق.م.)، المرحلة المتأخرة (حوالي575 – 550 ق.م.)، غير إنه في ظل الحفريات التي انتجت كميات من الفخار الكورنثي وعلاقته بالفخار الاتيكي دفع اميكس (Amyx)[2] في عام 1988 الى اقتراح تواريخ جديدة لهذه المراحل فالمبكرة عنده تمتد ما بين حوالي 615/620 – 590/595 ق.م. والمتوسطة ما بين 590/595–570 ق.م. والمتأخرة الاولى حوالي 570–550 ق.م. والمتأخرة الثانية 550–500 ق.م. والمتأخرة الثالثة ما بعد عام 500 ق.م. وحالياً هذه التواريخ تجد قبولاً بين الدارسين[3].

وقد تبوأ الفخار الكورنثي الناضج مكانة مرموقة بسبب مهارة فنانيه و جودة التقنية المستخدمة حتى اصبح اهم سلعة تجارية في السوق العالمية للفخار وهذا يفسر وجوده في اغلب المواقع الاغريقية المبكرة[4]، و قد أبدع هولاء الفنانون في تطوير اسلوب الصور السوداء الذي كان له الفضل على فخار الصور السوداء في اماكن أخرى لعل من اهمها اتيكا لاسيما في المرحلة المبكرة ، ويمكن تتبع الفخار الكورنثي الناضج من خلال تطور الزخرفة الحيوانية التي كانت الزخرفة الرئيسية على هذا النوع من الفخار خلال هذه المرحلة لاسيما اذا ما تمت مقارنتها بالزخارف الآدمية

Corinthian vase painting in the archaic period (Amsterdam:1991); D.A.Amyx,., and Lawrence, P., (= Hesperia. Supplement 28) ,(Princeton :1996), J. Boardman: Early Greek Vase Painting, pp.178–185; T. Mannack, Griechische Vasenmalerei, Eine Einführung (Darmstadt 2002).

[1] - H.G. Payne, Necrocorinthia ,pp.21-27,32-34,55-57,281,303,319.
[2] - D.A.Amyx,Corinthian vase-painting of the Archaic period,p.428.
[3] - M. Steinhart: Korinthische Vasenmalerei. In: Der Neue Pauly (DNP). Band 6, Metzler, Stuttgart: 1999, pp. 738–742, A.Kocybala, "The Corinthian pottery ", The Extramural Sanctuary of Demeter and Persephone at Cyrene , Libya,final reports vol.7, (Philadelphia:1999),p.5; E.Paizi, Overseas Connections of Knossos and Crete in the Archaic and Classical Periods: A Reassessment Based on Imports from the Unexplored Mansion, , Unpublished M.A. Thesis, University of Cincinnati (2019),pp.20-23.
[4] - K.Arafat, and C. Morgan, " Pots and Potters in Athens and Corinth: a review" Oxford Journal of Archaeology, 8 (1989),pp.311-46.

والنباتية والاخيرة شكلت في الغالب عنصرا مكملا للزخرفة الرئيسية سواء كانت حيوانية ام آدمية ، وعند النظر الى احد اواني المرحلة المبكرة (حوالي 625–600 ق.م.) او (حوالي 615/620 – 590/595 ق.م.) لهذا الفخار يلاحظ ان الفنان الكورنثي كان يحبذ زخرفة الاناء بالكامل بمشاهد حيوانية و آدمية و أن يملأ خلفية تلك الرسومات بزخارف صغيرة متنوعة، وكان يعمد الى جعل المشاهد الزخرفية على الاواني على هيأة موضوع واحد يشغل بدن الاناء او ان يقسم الاناء الى حقول مختلفة الاحجام تملأ بالمشاهد الزخرفية ، ويبدو أن شكل الاناء ونوعه هو المسؤول على اختيار الفنان لاحد النوعين ، وفي هذا الصدد فإن قاراورات الزيت (الاباسترون) المبكرة جدا كان من الطبيعي أن تقسم الى حقول (افاريز) لكن زيادة حجم الحقول والزخارف الحيوانية التي تحملها كل هذا ادى الى استعمال الموضوع الواحد او الحقل الواحد الكبير الحجم، كما ان طبيعة الموضوع المصور قد تفرض استعمال طريقة بعينها، و على الرغم من ان حجم الاناء قد يؤثر على اختيار احدى الطريقتين لكنه لا توجد قاعدة ثابتة في هذا الشأن فقد وجدت اواني كبيرة الحجم مثل الاباسترون طبقت فيها طريقة الحقول و اواني أخرى من النوع نفسه طبقت فيها طريقة الموضوع الواحد او الحقل الواحد ، لكن في نهاية القرن السادس لوحظ ان اغلب الاباسترون استعمل فيها اسلوب الحقول، وهذا يمكن ان ينطبق على بعض الاواني الصغيرة الحجم أيضاً، ولكن في بعض الاواني الصغيرة كان يفضل استخدام طريقة الموضوع الواحد مثل قنينات الرياضيين (الاريبالوس) الكروية الشكل[1].

وقبل الحديث عن الزخارف الحيوانية المفضلة في الفخار الكورنثي خلال هذه المرحلة يبدو من المستحسن الحديث عن اشكال الاواني المستخدمة في المرحلة الكورنثية المبكرة و التي في الاصل تعد تطورا للاواني الفخارية في مرحلتي فخار ماقبل الكورنثي و فخار مرحلة الانتقال حيث ان تطورها شمل الشكل والحجم وبعض التحسينات على شكل الاواني[2]، عموما اشكال الاواني التي كانت شائعة جدا تمثلت في قنينات الرياضيين الكروية (الاريبالوس Aryballos)، قارورات الزيت (الاباسترون Alabastron)، الاكواب المسماة اصطلاحا كوتايل (Kotyle) إضافة الى اباريق الاولبي (Olpe) و الاباريق (الاونوخوي Oinochoe) المخروطية، واباريق ذوات القاعدة المتسعة ، كما ان الحقق (البكسيس Pyxis) المقعرة الجوانب اصبحت اكثر تقعيرا ، و ظهر خلال هذه الفترة طرازا جديدا من الحقق ، إضافة الى ظهور جرار (الامفورات Amphora) الرقبة والممازج (الكراتير Crater)العمودية[3].

اما الزخارف الحيوانية التي زينت الاواني السالفة الذكر فتمثلت في حيوانات طبيعية ومخلوقات غير طبيعية اسطورية خليط بين الحيوان والانسان، البعض منها كان مستخدما في مرحلة ما قبل الكورنثي بوحي من التأثيرات الشرقية، ومن اهم الحيوانات الطبيعية خلال هذه المرحلة الاسد والنمر، والحيوان الاخير كان اكثر استخدماً في زخرفة

[1] - H.G. Payne, Necrocorinthia ,pp.46-47.
[2] - S.S.Weinberg, Corinth vol.VII, Part,I ,p.70,85-87.
[3] -يراجع عن اشكال الاواني الفخارية الكورنثية المبكرة: H.G. Payne, Necrocorinthia ,pp.43-46;D.A. Amyx and P.Lawrence , Corinth vol.VII, Part,II,pp.71-82

اواني الفخار الكورنثي المبكر، اما الحيوانات الأخرى فهي الثور و الماعز والخنزير البري و الايل ، كما اشتهرت العقبان و الاوز والارانب البرية و الثعابين في زخرفة قارورات الزيت (الاباسترون)، إضافة الى انتشار استخدام المخلوقات المهجنة خلال هذه المرحلة لعل اهمها الاسفينكس (رأس بشري و جسد حيوان) والجرفن (Griffin)، والسيرينات (Sirens أي طائر برأس انسان) ، إضافة الى مخلوقات مركبة مثل جرفن – طائر ، و نمر – طائر ، والتيفون (Typhonرجل بذيل ثعبان) و التريتون (رجل بذيل سمكة) ، و رجل مجنح ، و سيدة الوحوش المجنحة التي تمسك بطائرين، البعض من هذه الاشكال المجسدة عرف في فخار ماقبل الكورنثي لكن ظهورها خلال المرحلة الكورنثية المبكرة كان اكثر تجانساً وواقعية لاسيما في تنفيذ الاجنحة باستخدام الحزوز والالوان[1].

و لم تكن الزخارف الحيوانية السالفة الذكر تنفذ لوحدها بل ظهرت الى جانبها الزخارف النباتية التي تظهر احيانا منفردة، ومن اهم تلك الزخارف سلاسل اللوتس وسعيفة النخيل، كما شاعت زخرفة اللوتس المزدوجة على قارورات الزيت (الاباسترون)، إضافة الى زهرة اللوتس الرباعية وسعيفة النخيل، وتركيبة اربع ازهار اللوتس و اربعة براعم، والزهرة الرباعية الوريقات[2]. اما الزخارف الثانوية و التي كانت تستخدم في الخلفية لملىء الفراغ فقد استخدم الفنان الكورنثي زخرفة الوريدات والنقاط ذات الاحجام المختلفة، يضاف اليها الزخارف الخطية المتمثلة في خطوط متابينة السمك البعض منها اصبح اشرطة او احزمة افقية تفصل الموضوعات الزخرفية عن بعضها، وهناك الخطوط الرأسية او الاشعاعية الرقيقة التي كانت مفضلة في زخرفة اسفل الحافة واعلى القاعدة[3].وتعد الزخارف الآدمية اقل انتشارا على الفخار الكورنثي في هذه المرحلة لكنها اكثر تطورا مما ظهر على الفخار ماقبل الكورنثي ، وكانت الموضوعات المفضلة اشكال الجنود والراقصين والفرسان وغيرها[4].

اما اواني الفخار الكورنثي في المرحلة المتوسطة (حوالي600–575 ق.م.) او (590/595 ق.م–570 ق.م) فهي تعد تطورا لفخار المرحلة المبكرة سواء من حيث اشكال الاواني ام من حيث الزخارف التي تزينها بانواعها المختلفة الحيوانية و الادمية والنباتية والخطية، ويلاحظ ان اشكال اواني هذه المرحلة لا تختلف عن المرحلة المبكرة لكن هناك اواني كانت اكثر استخداماً، ومن بين اواني المرحلة المتوسطة الاطباق المزخرفة بحقول مستديرة، إضافة الى قارورات الزيت (الاباسترون) الكبيرة الحجم التي كانت شائعة جداً، وهناك الاكواب (كوتايل)، و قنينات الرياضيين (اريبالوس) الكروية ، ثم تأتي في مرتبة تالية الحقق المقعرة الجوانب ، وصحون الصرة Phiale الفيالي) وسلطانيات مختلفة ، كما عرف خلال هذه المرحلة الابريق (الاونوخوي) ذو القاعدة المتسعة ، و اباريق الاولبي ، وجرار الرقبة ، والامفوريسكوس

[1] –يراجع للمزيد عن الزخارف الحيوانية والاسطورية في المرحلة المبكرة وما بعدها: H.G. Payne, Necrocorinthia ,pp.48-55,124-143; S.S.Weinberg, Corinth vol.VII, Part,I ,p.91; R.M.Cook, Greek painted pottery,pp.55-58

[2] هناك الكثير من التفاصيل عن الزخارف النباتية على الفخار الكورنثي يراجع عنها: H.G. Payne, Necrocorinthia ,pp.144-157.

[3] - S.S.Weinberg, Corinth vol.VII, Part,I ,p.73.

[4] - H.G. Payne, Necrocorinthia ,pp.94-101;S.S.Weinberg, Corinth vol.VII, Part,I ,p.73; R.M.Cook, Greek painted pottery,pp.59.

(Amphoriskos) ، والممزج (الكراتير)العمودي[1]، اما الزخارف الحيوانية التي زينت تلك الاواني فقد كانت هي الزخارف الرئيسية على الاواني مقارنة بالزخارف الادمية، ويلاحظ ان الحيوانات المستخدمة في زخرفة اواني المرحلة المبكرة ظلت مستخدمة في المرحلة المتوسطة، لكنها تبدو اقل اتقانا وتتميز تلك الحيوانات بالهزال، إضافة الى قلة تنوع زخارف الخلفية واقتصارها على زخرفة الوريدة والنقاط، وهذا كله اعطى انطباعا ببداية انحطاط اسلوب الزخارف الحيوانية على الفخار الكورنثي[2]، لكن الامر خلاف ذلك عند التطرق الى الزخارف الآدمية التي زاد الاهتمام بها من قبل فنانين ابدعوا في هذا النوع من الزخرفة حتى فاقت الزخارف المناظرة لها في المرحلة المبكرة ويبدو هذا بتأثير الفخار الاتيكي[3]، اما الزخارف النباتية فإن اهمها الزخرفة الاشورية المتمثلة في الزهرة الرباعية الوريقات التي انتشرت على قنينات الرياضيين (الاريبالوس).

و قد ازداد انحطاط الزخارف الحيوانية في المرحلة المتأخرة للفخار الكورنثي الناضج (575–550 ق.م.) او (570–550 ق.م.) حيث اقتصرت الحيوانات المستخدمة في الزخرفة على الاسفينكس و السيرينات و النمور والماعز و اوز وجرفن و ديوك نفذت باسلوب غير متقن لا يهتم فيه بالتفاصيل التشريحية للجسم بل انه لم يعد هناك اقبال شديد على هذه الزخارف ثم اختفت نهائياً[4] وانتشر استخدام الزخارف الخطية ما بعد الهندسي (Subgeometric) ممزوجة مع الزخارف النباتية[5]، و تم التوجه الى الزخارف الآدمية و اسلوب الارضية الحمراء[6]، وكانت الاواني المستخدمة خلال هذه المرحلة هي قارورات الزيت (الاباسترون) ، وقنينات الرياضيين (اريبالوس) ، والاكواب (كوتايل) واشكال أخرى من الاكواب ، و اباريق الاونوخوي و الممازج العمودية والاواني السابقة طبق عليها اسلوب الزخارف الحيوانية ، اما الحقق المحدبة فقد اقتصرت زخارفها على الزخارف الخطية والنباتية، و استمر استخدام قارورات الرياضيين (اريبالوس) المزخرفة بالزهرة الرباعية الوريقات كما ان الممازج (الكراتير) طبق فيها اسلوب الارضية الحمراء، و يلاحظ الاهتمام بالاواني الكبيرة الحجم مثل جرار الماء (Hydriaالهيدريا)، والجرار الكبيرة (الامفورات) ، لاسيما في منتصف القرن السادس وزخرفت بمشاهد سردية من الاساطير والحياة اليومية[7]، و يبدو ان هذا كان من تأثير الفخار الاتيكي الذي بدأ يسيطر على اسواق الفخار العالمية.

و تعد الزخارف السابقة كافية لتمييز الفخار الكورنثي المبكر عن بقية انواع الفخار الاغريقي إضافة الى ان مميزات كل مرحلة يمكن التعرف على فخارها ومن ثم تأريخ الاواني الفخارية الكورنثية ، وعلى الرغم مما تقدم فإن

---

[1] - S.S.Weinberg, Corinth vol.VII, Part,I ,p.83.
[2] - R.M.Cook, Greek painted pottery,p.58
[3] - يراجع للمزيد عن الزخارف الآدمية على الفخار الكورنثي الناضج:- H.G. Payne, Necrocorinthia ,pp.99-113;S.S.Weinberg, Corinth : vol.VII, Part,I ,p.83,91. R.M.Cook, Greek painted pottery,p.58-62
[4] - S.S.Weinberg, Corinth vol.VII, Part,I ,p.90-91;R.M.Cook, Greek painted pottery,p.58
[5] - S.S.Weinberg, Corinth vol.VII, Part,I ,p.83,91.
[6] - يراجع للمزيد عن هذا الاسلوب:- H.G. Payne, Necrocorinthia ,pp.104-105.
[7] - H.G. Payne, Necrocorinthia ,pp.114-144.

الزخارف قد تكون معياراً غير كافٍ للتعرف على الفخار الكورنثي ، وفي هذا الحالة يتم اللجوء الى التعرف على خصائص طينة الفخار الكورنثي ومكوناته، وفي هذا الشأن يمكن القول إن هذا النوع من الفخار مميز من حيث الطينة ذات اللون المائل للبياض التي تحتوى على اكسيد الحديد و عندما يتم اخراجه من الفرن يصبح لون الطينة يميل من الاصفر الفاتح (buff) بتدرجاته الى الاصفر الى الاخضر الباهت، وتتدرج طينته من الناعمة الى اقل نعومة الى الخشنة[1]، لهذا يمكن تمييزه عن اغلب انواع الفخار الاغريقي الاخر ذي الطينات الحمراء، إضافة الى تميز الفخار الكورنثي بلون خارجي يميل الى اللون الاخضر الفاتح منذ اواخر القرن السابع ق.م. وعلى هذا اللون كانت تضاف الرسومات والزخارف ذات اللون البني او الاحمر القاتم. ويبدو أن الفخار ذا الارضية الحمراء الذي ظهر منذ الربع الثاني من القرن السادس كان تقليدا للفخار الاتيكي و قد استخدم فيه تقنية غير مختلفة عن الفخار الاتيكي، كما تميز الفخار الكورنثي باستخدام اللون القرمزي على الزخارف منذ اوائل القرن السابع ، واستخدم اللون الابيض لزخارف الخلفية و لاظهار بعض تفاصيل اشكال الزخارف الرئيسية منذ بداية القرن السادس، كما كان هذا اللون من الالوان الاساسية في اسلوب الارضية الحمراء، والمميزات السابقة من شأنها ان تساعد في تمييز الفخار الكورنثي بل واحيانا تأريخه[2].

ملاحظات عن الفخار الكورنثي المبكر في توكرة:

قبل ولوج القارئ الكريم في قراءة الترجمة يمكن التذكير بمعلومات وملاحظات اضافية عن الفخار الكورنثي في توكرة اوردها الاستاذ هايّز[3] في مطلع تعليقه على دراسة فخار توكرة الكورنثي، واضاف اليها الباحث (المترجم) جملة من الشروح والتعليقات مزيدا للايضاح، من اولى تلك الملاحظات ان الاواني الكورنثية في توكرة تشكل اكبر مجموعة من الاواني الفخارية المستوردة عثر عليها في حفريات حرم ديميتر و كوري (بيرسفوني)، و يمكن ان يضاف في هذا الصدد ان غلبة الفخار الكورنثي من حيث الكمية والعدد عن بقية الانواع الفخارية الأخرى ليس مقتصرا على توكرة فقط ولكنها ظاهرة سادت جُل وليس جميع المواقع الاغريقية الأخرى التي ترجع الى العصر نفسه، بسبب سيطرة المنتجات الفخارية الكورنثية على السوق التجارية في البحر المتوسط ما بين القرنين السابع والسادس ق.م. و هذه الظاهرة يمكن ملاحظتها في المواقع الاغريقية في ايطاليا وصقلية لاسيما في ميجارا هيبلايا(Megara Hyblaea)، كما ان الكثير من الجزر الاغريقية قد استوردت كميات كبيرة من الفخار الكورنثي مثل رودس على سبيل المثال إضافة الى الجزر أو

[1] - S.S.Weinberg, Corinth vol.VII, Part,I , p.71-72,82; I.K.Whitbred,"Clays of Corinth: The Study of a Basic Resource for Ceramic production," Corinth, 20, (2003), pp. 1–13; A.Kocybala, "The Corinthian pottery ", The Extramural Sanctuary of Demeter and Persephone at Cyrene , vol.7,p.3..

[2] - يراجع عن تقنيات الفخار الكورنثي المزخرف وتطورها:

M. Farnsworth "Corinthian Pottery: Technical Studies," American Journal. of Archaeology, 74(1), 1970, pp. 9–20;.J.Stephens, (et al.) " The Technological Development of Decorated Corinthian Pottery, 8th to 6th Centuries BCE" (Symposium PP – Materials Issues in Art and Archaeology X) Vol.1656 (2014) , pp. 233-250.

[3] - J.Boardman & J.Hayes ,Tocra I,p.21.

المواقع التي كانت واقعة تحت الهيمنة الكورنثية، وعند مقارنة الكميات التي وجدت في توكرة مع مثيلاتها في المواقع الكيرينايكية الأخرى يلاحظ ان كميات توكرة كانت لها السيادة على تلك التي وجدت في حفريات الاجورا و حفريات حرم ديميتر في وادي بلغدير بشحات[1] (كيريني) ، وحفريات يوسبريدس (بنغازي) التي لم ينشر فخارها الكورنثي حتى الآن، والموقعان الاخيران يعدان من اهم المواقع التي عثر فيها على الفخار الكورنثي بعد توكرة، وقد قدر هايّز نسبة الفخار الكورنثي في توكرة باكثر من 30 % عند نشره للجزء الاول من دراسته ، ولكن في الجزء الثاني يشير بوردمان الى ان نسبة الفخار الكورنثي كانت 38 % من الفخار المزخرف الذي وجد في الطبقات المصنفة، كما كانت النسبة 35 % من مجموع الفخار الذي عثر عليه في حرم ديميتر، وعند مقارنة ستوكي[2] لنسبة الفخار الكورنثي بين فخار اجورا كيريني و فخار توكرة قدم نسبة 38.45 %، و بصورة عامة ان النسب الموضحة اعلاه تؤكد ان نسبة الفخار الكورنثي في توكرة تقدر بثلث الفخار المزخرف الذي عثر عليه في حرم ديميتر، ومن ثم فهي نسبة عالية جديرة بالانتباه والمناقشة، وعلى الرغم من هذا فإن النسب المذكورة قد عنت بالفخار الذي تمت دراسته وكان في حالة جيدة ، لكن الباحث لاحظ وجود كميات كبيرة من الشقف الفخارية الكورنثية موجودة في سلال في مخازن آثار توكرة عثر عليها في الحفريات نفسها لكنها اهملت سواء من حيث الدراسة ام التسجيل ام الترقيم ومن ثم فهي لم تشملها النسب السابقة، ويمكن الاشارة أيضاً الى الاكواب الكورنثية ذات الاحزمة التي درست وصنفت لوحدها و لم تشملها الدراسة هنا، كما ان اعدادها لم تحصَ ضمن الفخار الكورنثي المزخرف، وكذلك الحال مع الاواني الكورنثية المجسدة في اشكال حيوانات وطيور وتستعمل للروائح[3]، يضاف الى ذلك مجموعة غير منشورة من شقف و اواني عثر عليها عام 1966 بعد الانتهاء من الحفريات علّق عليها جون هايّز في اكتوبر 1971 في تقرير موجود في ملف الفخار في مكتب آثار توكرة. واجمالاً فقد عثر على الفخار الكورنثي في طبقات الحرم الثلاث و لكن وجوده في الطبقة الحضارية الاولى يفوق وجوده في الطبقتين الثانية و الثالثة، ولعل سبب ذلك يرجع الى منافسة الفخار الاتيكي الذي بدأ منافساً شديداً للفخار الكورنثي منذ منتصف القرن السادس ق.م.، و على الرغم من هذا فإن الفخار الكورنثي كان العنصر الغالب في الطبقات (التوضعات) الثلاث مقارنة بانواع الفخار الاغريقي الاخر، و لم ينافسه الا الفخار الرودي في الطبقة الثانية والفخار الاتيكي في الطبقة الثالثة، ومن ناحية أخرى فقد بلغ عدد الفخار الكورنثي المصنف و المنشور حوالي 726 لقية متنوعة من حيث كونها اواني كاملة أو شقف.

---

[1] - يراجع عن الفخار الكورنثي في حفريات وادي بلغدير : A.Kocybala, "The Corinthian pottery ", The Extramural Sanctuary of Demeter and Persephone at Cyrene , vol.7.

[2] - S. Stucchi, "Die archaischen griechen vasen und die Kyrenaika: Import , Imitationen und Einflusse- ein Uberblick ", in H.Brijder (ed) Ancient Greek and related pottery (Amsterdam:1984),pp.139-143.

[3] - J.Boardman & J.Hayes , Tocra I,p.117,155,nos.1319-1325,75-86,pls.102-03.

كما اورد هايّز تعليقين على مجموع الفخار الكورنثي في توكرة اولهما ظهور نسبة منخفضة من الاواني ذات النوعية المميزة التي لا يتوقع المرؤ ان يجد لها شبيها عند مقارنتها باللقى التي وجدت في المستعمرات الأخرى لاسيما في ايطاليا وصقلية، وبالفعل فإنه لم يعثر الا على القليل من الاواني المميزة من حيث الشكل و الزخرفة فغالبية الاواني التي عثر عليها في الحرم تعد متواضعة و الكثير منها لا يرقى الى مستوى الاواني الكورنثية التي عثر عليها في قبور كورنث مثلا، كما ان القليل من اواني توكرة المميزة من الصعب مقارنتها بامثلة شبيهة بما عثر عليه في المستعمرات الاغريقية الأخرى لاسيما جنوب ايطاليا وصقلية، والمقصود بالاواني المميزة الاطباق و الامفوريسكوس و بعض انواع الاكواب (الكوتايل)، ويبدو أن النقص الشديد في الاواني المميزة في توكرة يرجع الى ان توكرة كانت تقع في نهاية الخط التجاري للسفن التي كانت تحمل الفخار الكورنثي على اساس ان غالبية الاواني المميزة قد بيعت في موانئ أخرى قبل الوصول الى توكرة ، كما انه لا يجب نسيان الوضع الاقتصادي في توكرة الذي قد لا يكون مناسبا لشراء الاواني الكورنثية المميزة.

و أشار هايّز ان مجموعة توكرة من الفخار الكورنثي قد شملت اغلب انواع الاواني (المنتجات) الكورنثية سواء الجيدة منها ام غير الجيدة أم تلك التي ليس لها تصنيف محدد من حيث الجودة مثلما حدث في المواقع الاغريقية ببلاد اليونان بالقارة (البلوبونيز) ، يذكر مثلاً مدينة بيراكورا (Perachora) ، وبالفعل هناك تنوع في جودة الاواني الكورنثية التي ظهرت في الحرم ، فهناك اواني ذات جودة عالية وأخرى اقل جودة سواء من حيث التقنية ام من حيث الزخرفة و الرسم.

ولاحظ الاستاذ هايّز أيضاً ان هناك اتجاها لظهور الاواني المميزة في شكل مجموعات مثل قارورات الزيت(الامفوريسكوسAmphoriskos) ، والاطباق (Plates) والاكواب (Kotylai) ، بينما الاواني الأخرى المعاصرة لها كانت غائبة كليا. ويبدو أيضاً – بقدر مساوي– ان هناك اشكال من الاواني كانت منتشرة (شائعة)على حساب الاواني الأخرى، على سبيل المثال ظهرت قنينات الرياضيين (Aryballoi) باعداد كبيرة ، بينما كانت قارورات الزيت (Alabastra) قليلة جدا (باستثناء ما عثر عليه في المستويات المبكرة) ، وبناء على هذا يبدو ان مجموعة توكرة من الفخار الكورنثي قد استورد معظمها في شكل كميات كبيرة . ويمكن تفصيل ذلك انه من النادر ان وجدت كميات قليلة من بعض الاواني حيث اغلبها وجد بكميات معتبرة مثل الاكواب النذرية المصغرة عثر على 161 كوبا وهناك مئات من الكسر تنسب الى هذه الاكواب لم تدرس او تحصى بشكل دقيق، وهناك الاكواب المتوسطة الحجم المزخرفة برسومات متنوعة قدر عدد التي درست منها حوالي 140 كوبا (في الجزء الاول) ، اما الاطباق فعددها 19 طبقا من بينها 13 طبقا من طراز واحد، وبلغ عدد قنينات الرياضيين الكروية الشكل بزخارفها المتنوعة 89 قنينة من بينها 57 قنينة مزخرفة بالوريدة الرباعية، اما الحقق فهي متنوعة فالكروية الكبيرة الحجم عثر منها على 30 حقة ، وبلغ عدد الحقق المقعرة الجوانب 10 حقق، وعدد الحقق المتنوعة حوالي 30 حقة او يزيد، و عثر على كميات لابأس بها من

الاغطية المتنوعة وصل عددها الى حوالي 50 غطاء ....الخ . كما يجب ان يؤخذ في الاعتبار ان الاواني الكورنثية التي تقدم دليلا على تأريخ المستويات المبكرة (الطبقة الاولى) تعد مادة اولية تساعد في تقدير تاريخ الاستيطان المبكر في توكرة[1].

الفخار الكورنثي المبكر في توكرة (الترجمة): (Tocra I pp.21–26, nos.1–579)

يعد الابريق المخروطي الثلاثي المصبات (اونوخوي Oinochoe). الذي يحمل الرقم **1**. من اقدم الاواني التي عثر عليها حتى الان في توكرة ، ومع انه لا يوجد ما يماثل هذا الابريق الرائع من حيث تفاصيله الزخرفية، الا ان زخرفته الحيوانية تعود الى فترة متقدمة من المرحلة المتوسطة للفخار ما قبل الكورنثي[2] ، كما ان الزخرفة المحشوة في الخلفية ترجع أيضاً الى الفترة نفسها، ومن المدهش ظهور زخرفة الالسنة المحززة حول قاعدة الرقبة، لانها تعد من الزخارف المبكرة، ومن ناحية أخرى فإن وجود الزخرفة المتعرجة (الميائدر Meander) على الرقبة لم يظهر في مرحلة متأخرة غالبا [3]، وفي ظل هذا الخلاف يجدر بالاشارة الى أن هذا الابريق قد عثر عليه في الطبقة الثانية ، وبشكل كامل نسبياً ، وعلى هذا يفترض أنه ظل كاملاً وبحالة جيدة لمدة ثمانين عاما او اكثر قبل ان يرمى به في النهاية في ملاحق (مخازن) حرم ديميتر في حوالي عام 560 ق.م.. تاريخ الطبقة الثانية، ويبدو أن هذا قد حدث فعلاً، ومن المؤكد ان مالكه كان احد المستوطنين الاوائل، وانه جلبه معه الى توكرة لانه كان يمثل شيئا عزيزاً عليه ثم قدمه نذراً الى حرم ديميتر. وعلى هذا فإن الابريق يعد مثالاً واضحاً وشاذا لاناء من الاواني التي يتم توارثها لعدة اجيال بقى موجوداً في التوضعات الأثرية ، ولهذا السبب فإنه لا يتوقع ان يستفاد منه في تحديد تاريخ الاستيطان الاول في توكرة.

يلاحظ ان غالبية مجموعة الاواني الكورنثية الرئيسية نادراً ما تؤرخ قبل المرحلة الكورنثية المبكرة، حيث يوجد فقط مثالاً او مثالان يمكن ان ينسبا الى مرحلة الانتقال مثل الابريق رقم 3 المتسع من الاسفل[4] ، ولا يوجد سوى القليل من الاواني التي ترجع الى طرز مرحلة ما قبل الكورنثي (منها قنينة زيت الرياضيين (اريبالوس Aryballos) التي تحمل الرقم **37** وهي من طراز القنينات المدببة، ومن بينها أيضاً الاكواب (كوتايل Kotylai) ذوات الارقام **341–350** التى تحمل زخرفة الكلب الذي يعدو) وتعد كل هذه النماذج متأخرة، ولا يمكن ان تكون اقدم من المرحلة الكورنثية

[1] – يراجع عن اهمية فخار توكرة المبكر وعلاقته بالاستيطان : J.Boardman, "Settlement for trade and land in North Africa : problems of identity "in G.Testskhladze & F.Angeles(eds), The Archaeology of Greek colonisation, Essays dedicated to Sir J.Boardman, (Oxford:1994),pp.144-147.

[2] –يراجع مثلا:- Payne, Protokorinthische Vasenmalerei pl. 15. 1-3; Johansen, Vases sicyoniens pls. 27. 1, 28. 1; Perachora ii nos. 228, 230.

[3] – يراجع عن الامثلة المبكرة جدا التي زخرفت بهذا الموضوع والمراجع عن هذا الموضوع Perachora ii, nos. 343, 345,.

[4] – يراجع عن هذا الطراز بصورة عامة ، وعن الالسنة المحززة على الكتف والتي تبدو هناك مفرطحة اكثر :Necrocorinthia, n. 138. 3

المبكرة[1]، وتنسب الاكواب المطلية بطلاء اسود مصقول الى الفترة نفسها، اما الاكواب المبكرة جدا ذوات الارقام **426**–**429** فقد تمت زخرفتها أيضاً بمجموعة من الخطوط المنتظمة ذات الالوان الابيض . الاحمر. الابيض . على التوالي ، وهي من الاكواب الشائعة جدا في هذه المرحلة ، وتعد انموذجا لها[2]، وعثر على كسرة قارورة زيت (الباسترون Alabastron) رقم **26**[3] في المستوى المبكر جدا _ رقم **11** _ وهي تؤرخ بالمرحلة الكورنثية المبكرة، ويمكن من هذه القارورة وحدها أن يستنتج تاريخ تأسيس توكرة الذي يتفق مع المرحلة المتأخرة لمرحلة الانتقال في الفخار الكورنثي [640–625 ق.م او حوالي 630–615/620 ق.م.]، لانه لايوجد – بالطبع– أية اشارة تدل على انه سوف يعثر على أية لقية اثرية اقدم منها في أي جزء من الموقع.

لم تكن الاواني الكبيرة الحجم شائعة حيث لا يوجد سوى القليل منها، من بينها الابريقان رقم **1**، **3** اللذان يرجعان الى مرحلة مبكرة جدا وقد ذكرا اعلاه. وبسبب اهمية الزخرفة التي تعلو الابريق رقم **4** المتسع من الاسفل فإنه يستحسن الوقوف عنده والتعليق عليه فالموضوع الرئيسي لهذه الزخرفة يتمثل في سيدة الوحوش المجنحة التي تقبض على رقبة اثنين من الطيور تشبه الاوز، وقد ظهرت هذه الزخرفة على العديد من الاواني التي ترجع الى نهاية المرحلة الكورنثية المبكرة، لذا ينسب هذا الابريق الى نفس التاريخ [4]، و قد ظهر الموضوع الزخرفي نفسه على بعض الاواني الكورنثية في توكرة منها القارورة رقم **31** التي سيأتي ذكرها فيما بعد، ويمكن مقارنة المشهد الزخرفي على الابريق رقم **4** مع مشهد يماثله ظهر على غطاء حقة (Pyxis) من بيراكورا [5]، ويعد الابريق (Olpe) رقم **6** مثال لشكل الاباريق المتأخرة، وقد زخرف بزخرفة حيوانية تعود الى المرحلة الكورنثية المتوسطة، وينسب الابريق الرائع (اونوخوي) رقم **7** المطلي بطلاء اسود مصقول الى الفترة نفسها، اما الابريق المهشم رقم **9** فهو من الاواني التي زخرفت بالاسلوب الابيض (White Style) الذي يعد جزء من مجموعة الاواني الصغيرة التي تزخرف عادة باشعاعات رقيقة من الاسفل[6] (اعلى القاعدة) مع ان القاعدة وحدها توحي بانها يمكن ان تنسب او تكون جزء من حقة وليست ابريقاً.

---

[1] – يراجع عن زخرفة الكلب الذي يعدو :– Hopper, BSA xliv (1949) 185-6. ويراجع عن الامثلة المتأخرة من قنينات الرياضيين الضيقة من الاسفل ، Necrocorinthia,286,fig.8A; Perachora ii no. 48; Délos xvii 91, no.4,pl.55 G; Megara Hyblaea ii pl. 39-2. وبها زخرفة الميزان :–

[2] – يراجع عن هذا الطراز :– Necrocorinthia, no. 201. Examples from EG groups: Corinth viii nos. 263-74; Hesperia xvii (1948) 223, D 47-52 (from Corinth); MA xvii 109, fig. 76 left (from Gela, with abnormal scheme). وهي من جيلا وبها زخرفة غريبة).

[3] – هناك شقف اخرى من الفترة الكورنثية المبكرة ، وطبق من فترة الانتقال وجدت في هذا المستوى في عام 1965

[4] – يراجع مثلا :Necrocorinthia ,nos. 380-3; Perachora ,ii nos. 1527, 1553

[5]-Perachora ii no. 1897

[6] – يراجع :– MA xlii (1955) 277 fig. 37. 1 = SE i (1927) 162, pl. 38 d; CVA Copenhague ii pl. 84. 2; CVA Univ. of California i pl. 10-4.

وهناك ثلاث جرار (امفورات Amphorae) شكلها شاذ الى حد ما ، تبدو اثنتان منها رقم **10 – 11** قد انتجتا في مصنع واحد[1].

هذا بالنسبة للاواني المغلقة الكبيرة الحجم، اما الاواني المغلقة الاصغر حجما فقد ظهرت بكثرة وتمثلت بصورة خاصة في قنينات الرياضيين، إضافة الى الجرار الصغيرة (الامفوريسكوس Amphoriskos) التي ينحصر تاريخها بدقة بين اواخر المرحلة الكورنثية المتوسطة، واوائل المرحلة الكورنثية المتأخرة : من بينها سبع جرار الارقام **13–19** المزخرفة بافاريز حيوانية تنسب الى مجموعة بينسون[2] (Benson's Gruppe) ، وقد زخرفت بقية الجرار باحزمة بسيطة [3]، اما قارورات الزيت (الالباسترون) الصغيرة [الارقام **26–30**] فلم تكن شائعة، وتنسب جميع قارورات توكرة الى المرحلة الكورنثية المبكرة باستثناء القارورة رقم **30**. وظهرت قنينات الرياضيين (اريبالوس) باشكال عديدة، وباستثناء القنينة المبكرة رقم 37 (ذكرت اعلاه) ذات القاعدة المدببة ، وكذلك القنينة رقم **127** ذات القاعدة المستوية، اما القنينات الأخرى فهي صغيرة ومستديرة (كروية) الشكل، تعود الغالبية العظمى منها الى اواخر المرحلة الكورنثية المتوسطة او المرحلة الكورنثية المتأخرة، وهي مطابقة تماما لطرز القنينات التي وجدت في قبور المجموعة C في ريتسونا[4]، من بين هذه القنينات هناك اثنتا عشرة قنينة زخرفت بموضوعات حيوانية متوسطة الحجم من افضلها تلك التي ظهرت على او زينت القنينتين رقم **39** و **41**، وتعد بقية القنينات _التي عددها تسع او اكثر_ تقليداً متأخراً لمثيلاتها التي زخرفت بزخرفة انموذجية تمثلت في ثلاثة محاربين[5] رقم **52–53**، اما القنينات التي زخرفت بالزهرة الرباعية الوريقات او ما يماثلها فيربو عددها عن خمسين قنينة، ويمكن تصنيفها الى ثلاثة طرز مميزة: الطراز الاول تمثله القنينات رقم **70 – 78** التي تعد اكثر زخرفة وتتميز بظهور صف من الوريدات على الحافة نفذت بالرسم الكفافي(Outline)[6]، ويظهر من بينها قنينات كبيرة الحجم تحمل نفس المواصفات، اما الطراز الثاني فتمثله القنينات رقم **79– 95** التي تتميز بظهور صف من النقاط حول الكتف، اما قنينات الطراز الثالث فتحمل الارقام **96– 126** فلم تظهر عليها أية زخرفة عدا الزهرة الرباعية الوريقات و زخرفة الاحزمة على الحافة [7].ومن النادر الا تظهر موضوعات زخرفية ثانوية (فرعية) على ظهر مقابض قنينات الطرازين الاول والثاني ، وهذه قد تعد علامات للمصانع التي انتجتها، قد يدلل على ذلك خمس قنينات رقم **79– 83** ظهرت بها العلامة نفسها. ويلاحظ ان زخرفة الوريدات

[1] –ترجع تلك الى فنان امبيرساند Ampersand يراجع عن ذلك :-(Benson, Geschichte 51- 52)

[2]- Geschichte 42-43. . (طراز شائع)

[3] – ربما ينسب الى الفترة الكورنثية المتأخر ، يراجع عن الامثلة المطابقة لها :-. Corinth xiii grave 188-5 .

[4]- Ure, Aryballoi & Figurines, passim

[5]- Ibid., 39-41, class IV. vi.c

[6] – يراجع عن الامثلة الاخرى التي بها نفس الزخرفة :-Corinth xiii 114 وتلك تؤرخ ما بين الفترة الكورنثية المتوسطة و المتأخرة.

[7] – يعد الطرازين الثاني والثالث من الطرز الشائعة في المجموع C من قبور ريتسونا وهي تؤرخ بالفترة الكورنثية المتأخرة . يراجع عن مناقشة عامة لطرز زخرفة الزهرة الرباعية الوريقات ، وقائمة الامثلة من الاماكن الاخرى :- Ure, op. cit., 44-46, 102-3, Pls.9-10. Cf. also CVA Reading i pl. 5. 2-4 (with comments, pp. 9-10). لاتوجد امثلة الزهرة الرباعية من المجموعة B عند URE , op. cit

التي ظهرت على حواف قنينات الطراز الاول قد ظهرت أيضاً على قنينتين صغيرتين غير مزخرفتين[أي لا تظهر بها زخرفة على البدن] رقم **68-69**. ويبدو انه بسبب الصدفة المحضة تم العثور على قنينة واحدة من الطراز الاول في الطبقة الثانية ، والقليل من القنينات المصنفة من الطرازين الاخرين وجدت في الطبقة الثالثة [1].

وتعد قارورة الزيت(الاباسترون) رقم **31** الكبيرة الحجم من اروع اللقى او الاواني التي وجدت في توكرة ذلك بسبب زخرفتها المميزة المسماة اسلوب النقطة البيضاء الذي كان سائداً في المرحلة الكورنثية المبكرة واوائل المرحلة المتوسطة [2]، وقد تمثلت زخرفتها الرئيسية في موضوع سيدة الوحوش المجنحة مع الاوز(الطيور) الكبيرة الحجم (يراجع للمقارنة ظهور الموضوع نفسه على الاناء رقم **4**) . وقد ملئت الفراغات بين الاشكال المرسومة بمهارة فائقة وتمثلت في وريدات كبيرة الحجم وموضوعات زخرفية أخرى، وهذا اعطى احساساً بازدحام الزخارف وامتزاجها مع الرسومات حتى بات من الصعب تمييز الاشكال المرسومة عن زخارف الخلفية، وهذا ميز ظهور الاسلوب الكورنثي المتطور في احسن احواله. ويلاحظ استخدام اللون الاحمر بكثرة كما اضيفت عدة صفوف من النقاط البيضاء الصغيرة على الحزوز نفذت بعناية، وهناك مئات منها ظهرت على سيدة الوحوش وحدها، وقد ظهرت قارورة في ديلوس مطابقة لهذه القارورة تماما[3]، ومن المؤكد انهما ينسبان الى براعة الفنان نفسه.

وعثر في طبقات (او توضعات) توكرة [أي في حرم ديميتر] على القليل من القارورات (الاباسترون) الكبيرة الحجم الأخرى ، وقنينات زيت الرياضيين (اريبالوس) التي تعد اقل قيمة وبعيدة عن الاعجاب، منها القارورة رقم 32 التي تعود الى المرحلة الكورنثية المتأخرة والمزخرفة باشكال المحاربين[4] والزخرفة الاخيرة تشبه مثيلاتها التي ظهرت على القنينات الصغيرة (اريبالوس) وهناك أيضاً القنينات الكبيرة الحجم التي تؤرخ بعام 570 و 560 ، و زخرفت بزخرفة نباتية – في المركز– تحيط بها حيوانات وجميع تلك القنينات تعد اردأ من القارورة الاخيرة[5]. وترجع القنينة (اريبالوس) رقم **36** الى الفترة نفسها، وقد زخرف بدنها بحزام عريض اسود اللون تتخلله حزوز رأسية[6].

هناك مجموعة جيدة من الحقق (Pyxides) الكروية الشكل ، تعود غالبيتها العظمى الى طراز الحقق ذوات الحافة الرأسية القصيرة ، والمقابض المرتكزة على الكتف ، وينسب القليل منها الى طراز الحقق الخالية من المقابض وحافتها مستوية ، وقد زخرفت معظم الحقق الكبيرة بافاريز حيوانية من اسلوب المرحلة الكورنثية المتوسطة والمتأخرة ، وتعد الحقة رقم **133** افضل تلك الحقق.وتنسب ثلاث منها رقم **134** و **135** و **140** الى فنان او رسام

---

[1] – لقد اتت اغلب الامثلة القابلة للمقارنة من ريتسونا من مجموعات تؤرخ بنفس تاريخ الطبقة الثانية في توكرة

[2] – يراجع:Necrocorinthia, nos. 380-439, 600-8 B

[3]-Délos x no. 451, pls. 33, 67; Necrocorinthia, no. 381; Benson, Geschichte 38 'Delosgruppe' no. 5.

[4] –يراجع :- British Museum 60. 4-4. 13 = A 1020 [NC no. 1232) ; Necrocorinthia,nos. 1 230-1 are of similar type

[5] – يراجع عن هذا الطراز بصورة عامة :.Necrocorinthia, nos. 83 1-5, 1264-91

[6] – يراجع للمقارنة :- Necrocorinthia,no.1294, A close parallel to 32 is CVA Mainz i pl. 31. 3-4.

امبيرساند[1](Ampersand)، وتمثلت الزخارف الاضافية (الجانبية) على الحقق في الفروع والاوراق النباتية المتشابكة من بينها زخرفة اللوتس والبرعم مثلما ظهر على الحقتين رقم **130 –131**، وكذلك زخرفة سعيفة النخيل المزدوجة واللوتس والتي ظهرت على الحقتين رقم **138 – 139**، اما الحقق الاصغر حجما ويضاف اليها الحقة رقم 132 التي زخرف اغلبها بالاسلوب الابيض زخرفت اثنتان من تلك الحقق رقم **147–148** بحزام من الاوراق النباتية المتشابكة، اما الحقق المقعرة الجوانب، والحقق الثلاثية الحوامل التي تنسب اليها فقد زخرفت باسلوب مبسط واغلبها يعود الى مرحلة متأخرة (المرحلة الكورنثية المتوسطة / المتأخرة) وجدير بالملاحظة ان الزخرفة الحيوانية التي ظهرت على الحقة رقم **159** يحتمل انها ترجع الى الجزء المتأخر من المرحلة الكورنثية المبكرة، ويمكن مقارنتها مع الزخرفة المماثلة لها التي تزخرف الغطاءين رقم **206 – 207**. و يلاحظ ان القليل من الاغطية يمكن ان تلائم بعض ابدان الحقق الأخرى ، مثل الغطاء رقم **211** والحقة رقم **162** ، والغطاء **221** والحقق رقم **163 – 166**.

وعند إمعان النظر في الحقق لا يظهر هنا التناقص في عدد ابدان واغطية الحقق الذي لوحظ في اماكن أخرى[2]: فالاغطية المقبية و الاغطية المستوية ذات الحاشية البارزة من اجل احكام الغلق وجدت تقريبا مطابقة لعدد الحقق، على الرغم من هذا فإنه من الصعب ايجاد اغطية تناسب الحقق وتغطيها باحكام.ويلاحظ انه من بين تلك اللقى ان الاغطية المبكرة كانت اكثر شيوعاً مقارنة بالحقق المبكرة.

يلاحظ ان جميع اغطية المرحلة الكورنثية المبكرة واوائل المرحلة المتوسطة هي من طراز الاغطية المستوية ذات الحاشية البارزة من اسفل وبها عقدة او ممسك مرتفع، و يعد الغطاء رقم **205** من اقدمها وقد زخرف باسلوب حيواني مبكر ينسب الى فنان او رسام ميكونوس[3] (Mykonos) ويؤرخ الغطاءان رقم **206** و **207** باواخر المرحلة الكورنثية المبكرة ، ويؤرخ الغطاء رقم **208** باوائل المرحلة الكورنثية المتوسطة؟[4]، وقد زخرفت الاغطية الاخيرة (رقم **206 و207 و208**) بافاريز حيوانية نفذت باسلوب الصورة الظلية (Silhouette) ويبدو أنها هنا احدى اشتقاقات هذا الاسلوب. وتتميز العديد من الاغطية المتأخرة –التي من المحتمل ان تؤرخ مابين المرحلة الكورنثية المتوسطة و المتأخرة– بوجود عقد مخروطية صغيرة مفلطحة او مقلوبة (inverted)، و تنسب جميع الاغطية المقبية (المحدبة) الى هذا الطراز. وقد زخرفت معظم الاغطية الاخيرة باحزمة بسيطة (غير مطلية)، من بينها اثنتان رقم **194** و **195** عثر عليهما في المستوى السادس يعدان من النماذج المتأخرة التي تتميز بانها ذات شكل مزوي (ذو زاوية) غريب. وربما ينسب او يعود الغطاء رقم **223** ذو الشكل المخروطي البسيط الى حقة ثلاثية الحوامل ، ويمكن الاشارة –

[1] – ترجع تلك الى فنان امبيرساند Ampersand يراجع عن ذلك :-(Benson, Geschichte 51- 52)

[2]- Perachora ,ii, 175

[3] – يراجع للمقارنة بصورة عامة :-Perachora ii, nos. 1821-2

[4] - يراجع للمقارنة بصورة عامة :- Perachora ii, nos.1073-4. وقد وجد اسلوب الزخرفة نفسه على كوب من مجموعة مؤرخة في كورنث يراجع في ذلك :- Corinth xiii grave 159-5

إضافة الى تلك الاغطية – الى العديد من اغطية حقق المساحيق رقم **229 – 232** ذات الزخارف الخطية التي تنسب الى طراز عام واحد ، ويحتمل انها تؤرخ بالمرحلة الكورنثية المتأخرة[1].

هناك ثلاث من الممازج (كراتير Crater) المهشمة رقم **233–235**، زخرف إحداها [رقم **233**] بمشهد لوليمة على كتفه، و رسوم حيوانات على بطنه[2]،ويرجع اسلوب رسمه الى اسلوب اواخر المرحلة الكورنثية المتوسطة، ومما يجدر ملاحظته انه لا توجد أية زخارف وضعت في خلفية رسوماتها مثلما هو الحال على الاكواب رقم **272 – 293**. اما الممزجايين رقم **234** و **235** فقد طليت بطلاء اسود مصقول، ومقابضهما ملتصقة مباشرة بالحافة من الخارج، يمكن من هذه الناحية مقارنة احداهما مع بعض ممازج المرحلة الكورنثية المبكرة (على الرغم من وجود شريط قصير يربط بينها غالبا في الامثلة الاخيرة)[3]، و بسبب العثور على ممازج توكرة في الطبقتين الثانية و الثالثة فإنها من المحتمل ان تؤرخ بالمرحلة الكورنثية المتوسطة. كما عثر على ممزج مصغر رقم **236** زخرف بزخارف حيوانية .

اما النماذج المصغرة من الاواني المغلقة فلم تكن منتشرة في جميع الطبقات فهي على الاقل لم يُعثر عليها في المستويات المبكرة[4] ، وقد تمثلت تلك في قليل من الاباريق (الاونوخوي)المخروطية الشكل المطلية بالطلاء الاسود المصقول النموذجي[5] ، وابريقين من الفخار المتجانس اللون (او احادي اللون Monochrome) رقم **241** و **242**[6]، والقليل من الصحون المصغرة المسماة كوثون(Kothon) التي تحمل رقم **260 – 263**.

عموما لقد عثر على العديد من صحون الكوثون [رقم **249–259**] ، من بينها عدة صحون شبه كاملة، وقد زخرفت هي والنماذج المصغرة منها [رقم **260–263**] بالاسلوب الابيض، اما الصحون التي زخرفت باساليب أخرى فهي اقل عددا ومن بينها الصحن رقم **248**[7] المزخرف بحيوانات رسمت بطريقة التظليل، وهناك اثنان من

---

[1] – هناك امثلة اخرى من نفس الطراز :- Thera ii 23, no. 35, fig. 49; MA xvii (1906) 40, fig. 10 bis, and 374, fig. 278 (both from Gela) ; Megara Hyblaea ii pl. 56. 5; CVA Karlsruhe i pl. 39. 2.
. يرجع مثال ثيرا الذي من Massefund الى الفترة الكورنثية المبكرة ، ويمكن تكون القطعتين التي من كورنث قد اعقبت هذا الطراز مباشرة ، وهي تؤرخ ما بين 580–570 .

[2] – يراجع عن هذا الطراز بصورة عامة :- Pottier, Vases antiques du Louvre i pls. 45-9; Necrocorinthia, nos.1161-96.
ولقد ظهرت مشاهد المأدبة على العديد منها ، و يمكن ان يعد ظهور الكلاب اسفل المقاعد تقليد لمثيلاتها التي ظهرت على كراتير ايرتوس Eurytos ،يراجع :- (Necrocorinthia no. 780).
ويراجع عن الزخرفة المشابهة التي ظهرت على الحافة والمقبض :- Corinth vii.i no. 319, and Megara Hyblaea ii pls. 49. 1-2, 50. 1-2

[3] – يراجع للمقارنة :- Corinth vii.i no. 233, and Hesperia xvii (1948) 218, D 13, pl. 79; both of these are EC. A fragmentary example from Thera [AM xxviii (1903) 203-4, fig. 55, M 2) has a decorative scheme closer to that of the Tocra vessels.

[4] – لقد وجدت الاواني المصغرة التي ترجع الطرز اواخر العصر المبكر والعصر الكلاسيكي باعداد قليلة ، وهي سوف تنشر معا مع اللقى المتأخرة .

[5]- Necrocorinthia, no. 758.

[6] – يراجع عن هذا الغضار :- Perachora no.314ff.. ومن المؤكد ان اواني توكرة ترجع الى اصول كورنثية . يراجع عن الامثلة المطابقة لرقم 242: Perachora,nos.3324-8، واما رقم 243 فالاواني الشبيهة لها منتشرة ، يراجع عن الامثلة المطابقة لها :- Délos x no. 539, Thera ii 52, fig. 169; Ure, Aryballoi & Figurines 19 pl. 3, grave 134. 3-4 (Rhitsona); Megara Hyblaea ii 73 pl. 60. 1-2. Hesperia ix (1940) 303, fig. 43 is an Attic copy.

[7] – لقد تمت معالجة الافريز الحيواني هنا بطريقة غربية يمكن مقارنتها مع ما طبق على شقفة كوب ، يراجع عنها :- Perachora ii no. 2499

صحون المرحلة الكورنثية المتوسطة[رقم **244** و**245**] المتميزة بمقابضها التي على شكل عظم السُلامي والمزخرفة بزخارف نباتية، احداهما [رقم **247**] زخرفت قمتها بسلسلة من ازهار اللوتس وبراعمها.

هناك اربعة من الاواني الصغيرة المصنفة المسماة كالاثوس (Kalathos) رقم **265** – **268** ، عثر على ثلاث منها في الطبقة الاولى وهي تؤرخ غالبا بالمرحلة الكورنثية المبكرة ، وطليت كلها بطلاء اسود مصقول، وهي بدورها سوف تساعد في تاريخ هذا الطراز من الاواني بدقة. ولم تكن الاواني المفتوحة منتشرة بكثرة وتشمل هنا الكوز رقم **264** المطلي بطلاء اسود غيرمصقول بشكل كافٍ[1]، وسلطانيات و سفط (ليكانيس Lekanis) مطلية بطلاء اسود مصقول[2] [رقم **269** و **270** و **273** و **274**] ، وتشمل أيضاً السلطانيات[رقم271–272] ذات القواعد المختلفة[3]لاسيما في الجذر [الجزء الاسطواني الذي يربط القاعدة والبدن].

وقد ظهرت مجموعة كبيرة من الاكواب المزخرفة[برسومات]، تنسب كلها الى طراز متأخر و قد زخرفت برسوم الطيور. الجرفن و الطيور [4]، باستثناء شقفة الكوب رقم **275** التي ترجع الى المرحلة الكورنثية المبكرة، وزخرفت بخطوط متعرجة[5]، وقد ساعدت شقف الاكواب المزخرفة التي وجدت في الطبقة الثانية في تحديد تاريخ هذا الطراز بحوالي 570 و 560[6]، ويبدو ان ستة عشر كوباً منها رقم **276** – **291** قد انتجت في مصنع واحد (والتي نسبها بينسون Benson الى رسام افريز الطيور[7]).

ومما يلفت الانتباه تلك الاطباق رقم **294–312** التي عثر على دزينة منها في شكل اطباق كاملة او كاملة نسبياً (شبه كاملة)، وقد كونت ثلاثة اطباق منها رقم **294–296** مزخرفة بنجمة كبيرة الحجم مجموعة جديدة من اطباق المرحلة الكورنثية المبكرة ، وقد اعتمدت تلك الاطباق والاشكال الصغيرة في تشكيلها على النماذج التي سبقتها في فخار ما قبل الكورنثي وفخار مرحلة الانتقال[8]، الا ان ظهور تجمعات (تشكيلات) من الخطوط الحمراء والبيضاء اللون على الاجزاء المصقولة تؤكد ان تاريخها ينسب الى المرحلة الكورنثية المبكرة . ويمكن ان تعد هذه المجموعة

---

[1] –لقد اعيد تصنيف هذا الكوز واعيد نشره حيث نسب بعد دراسة الغضار الى الطراز الكريتي يراجع : .Tocra ii,p.10,37. هامش للمترجم.

[2] – يراجع للمقارنة مع حقق (Lekanai)مشابهة :– Necrocorinthia, nos. 715-19, 1008-13

[3] – يراجع عن الشكل الكامل للسلطانية رقم 269 ذات الجذر :–CVA Louvre vi pl. 10.10

[4] –يراجع للمقارنة :–Necrocorinthia, nos. 1342-8; Perachora ii nos. 2549-50. A common type.

[5] – يراجع للمقارنة :– Corinth vii.i nos. 212-13; Hesperia xvii (1948) 220-1, pl. 80, D 32-33 (Corinth); MA xvii (1906) 109, fig. 76 centre (Gela); MA xxxiv (1931) 311, 356, fig. 24, pl. 14. 15 (Populonia). وتنسب المجموعة كلها الى الفترة الكورنثية المبكرة .

[6] – يراجع عن امثلة تارونتو :– (Annuario 37/38 (1959-60), 162 ff.,figs. 140 b, 141, 157 g, 158) are from graves of this period.

وهناك مثال من كورنث ، يراجع عنه :– Corinth (Corinth xiii grave 222-1) والذي ربما يكون متأخر الى منتصف القرن.

[7]- Geschichte 57.

[8] – يراجع عن شكل الاناء:–Callipolitis-Feytmans, BCH lxxxvi (1962) 147, figs. 1 1- 13; ويراجع عن زخرفة النجمة Ibid. fig. 1, and Perachora ii nos. 735, 739, 754.

معاصرة لطراز الاكواب المطلية بالطلاء الاسود المصقول من المرحلة الكورنثية المبكرة ، والتي تمثلت هنا في الاكواب رقم **426–429**.اما بقية الاطباق الاكبر حجما فهي متشابهة من حيث الشكل والحجم و ترجع الى المرحلة الكورنثية المتوسطة ، وقد ظهرت بها اشكال متنوعة من الزخرفة الحيوانية. زخرف العديد منها رقم **297–300** بافاريز حيوانية كبيرة مطابقة مع بعضها، لهذا يبدو انها قد انتجت في مصنع واحد. وهناك مجموعة تتكون من خمسة اطباق (رقم **302–305**، وطبق مختلف رقم **306**) زخرفت بحيوانات مرسومة بطريقة التظليل وملئت الخلفية (الارضية) بزخارف على شكل كريات البَرَد[1]. وينسب الطبق رقم **307** من حيث الاسلوب الى المجموعة السابقة على الرغم من انه قد استغني فيه عن الزخارف المعتادة في الخلفية. ويعد الطبق الرائع رقم **301** مثالا مبكرا لاسلوب الرسم بطريقة التظليل . ولقد نفذ الاسلوب الحيواني بشكل متقن للغاية على الطبق المهشم رقم **308**، و بناء على اسلوب رسم حيواناته فإنه يرجع الى المرحلة الكورنثية المتوسطة. وهناك سلطانية صغيرة تسمى اصطلاحا كانا (Cana) [2] [رقم **311**] وجدت في الطبقة الثانية، وآخر قائمة الاطباق طبق مصغر ذو مقابض ملتوية [رقم **312**] زخرف باسلوب مشابه لحقق المساحيق (Pyxides) رقم **229–232** ، ولهذا السبب يبدو انه يرجع الى المرحلة الكورنثية المتأخرة.

وقد كانت الاكواب (Kotyle) – كما هو متوقع – اكثر الاواني الكورنثية شيوعا وانتشارا في توكرة ، ويربو عددها عن المائة كوب وتم تصنيفها ووضعها في البيان (الكتالوج) بما فيها الاكواب المصغرة. تعد الاكواب الانموذجية التي وجدت في الطبقة الاولى هي الاكواب المزخرفة بزخرفة الكلاب التي تعدو رقم **343–350**[3] او تلك الاكواب المزخرفة بحيوانات في اسلوب الصورة الظلية على البدن، وطيور الخيط (Wire–Birds) في جداول على الحافة رقم **341–342**[4]. ويوضح الكوب الاخير منها اي رقم **350** خطأ الصانع الذي نتج عنه رسم رأس الكلب في اسلوب الرسم الغائر خلافا للطريقة المعتادة، وكانت دقة الرسم منتشرة بكثرة في اسلوب ما قبل الكورنثي، كما وجدت أيضاً اكواب في الطبقة الاولى رقم **426–429** طليت بطلاء اسود مصقول وزخرفت بخطوط حمراء و بيضاء، وترجع جميع الاكواب التي ذكرت اعلاه في الغالب الى المرحلة الكورنثية المبكرة، وبناء على هذا سوف يتضح ان الغالبية العظمى من الاكواب التالية تعود الى طرز المرحلة الكورنثية المتوسطة والمتأخرة.

وقد استعمل اسلوب الرسم الغائر (الحزوز) في الاكواب المزخرفة برسوم، هناك كوب واحد من بينها يعود الى المرحلة الكورنثية المبكرة، وهو يبدو نموذجا فريدا في اسلوب رديء. ولقد انتشرت زخرفة افاريز الماعز و النمور على بقية الاكواب التي ترجع ما بين المرحلة الكورنثية المتوسطة والمتاخرة، ونفذت بعض هذه الزخارف بطريقة جيدة (رقم

[1] – يراجع:– Callipolitis-Feytmans, op. cit. 156, nos. 91-106.

[2] – يراجع عن شكل الاناء:– Ibid. 143-5.

[3] –وهذا طراز شائع جدا تراجع ص . 21 من الكتاب ، وكذلك :– Necrocorinthia, no. 191, fig. 9 c. A very common type

[4] – يراجع للمقارنة :– MA xxii pl. 51. 4 = Necrocorinthia, no. 194 (from Cumae); Hesperia xvii (1948) 222, pl. 81, D 44-45 (Corinth); Megara Hyblaea ii pl. 44. 6. Rubensohn, Delion 119-20, pl. 21. 8 is similar, without the wire-birds.

322–323 مثلا)، بيد ان اعدادا كبيرة من الاكواب ظهرت الحيوانات التي تزخرفها على شكل مقانق مطولة (يراجع رقم **314** و **319** و **329** ...الخ)[1]، وعلى خلاف ذلك الاسلوب هناك العديد من الاكواب الكبيرة زخرفت بافاريز عريضة من بينها ثلاثة اكواب تنسب الى فنان او رسام باتراس (Patras)[2]، زخرف إحداها [رقم **333**] باسفينكس (ابوالهول)[3]، وزخرف الكوبين الاخريين [رقم **334** –**335**] بزخرفة مميزة تمثلت في نساء راقصات، نفذت في اسلوب فج[4]. ويمكن ان ينسب الى الفنان نفسه احد الاكواب المزخرفة بالحيوانات وهو يحمل رقم **330**[5]. وقد اعيد ظهور الموضوع الزخرفي المصور على الكوب رقم **333** في اسلوب مختلف على الكوب الكبير الحجم رقم **336**. وتعد الاكواب رقم **333** –**336** علامة على الانتقال او التحول من المرحلة الكورنثية المتوسطة الى المرحلة المتأخرة . كما تعد الاكواب الثلاثة رقم **337**–**339**[6] اكثر الاكواب انموذجا للمرحلة الكورنثية المتأخرة فقد زخرفت بمجموعة من السيرينات (Sirens) الهزيلة ومجموعة من الاسفينكس ، ولا تظهر بها أية زخارف محشوة في الخلفية .وهناك شقف من كوب يحمل رقم **340** زخرف باشكال [راقصة من السُكر اي] كوماست (Komast) تنسب الى النوع نفسه[7].

وقد امكن البرهنة بشكل جيد عن المراحل المتأخرة لتاريخ اسلوب زخرفة الحيوانات بالصورة الظلية ، وذلك من خلال اكثر من اربعين كوبا زخرفت بهذا النوع من الزخرفة[8]، فاسلوب الزخرفة الحيوانية على الاكواب رقم **353**–**355** يحتمل ان يكون قد اعقب مباشرة (او تطور) طراز الاكواب المزخرفة بالكلب الذي يعدو في المرحلة الكورنثية المبكرة والتي ذكرت اعلاه .وعلى الرغم من ان الكلاب صورت ثابتة الا ان ظهور الاحزمة الحمراء على البدن والخطوط المتعرجة على الحافة– التي كانت في السابق تنظم في مجموعات– جعلها تبدو كأنها في وضعية مطاردة او ملاحقة،

---

[1] – هناك اربع امثلة من تارونتو ، يراجع عنها :– (NSc 1940, 326, figs. 16-18; Boll, d'arte xlvii (1962) 155, no. 2, fig. 6 c) وهي وضحت هذا الاتجاه جيدا .

[2]- Benson s Gruppe der Frauenzüge {Geschichte 42).

[3] – يراجع للمقارنة :– Hesperia xvi (1947) pl. 55. 4; CVA Madrid i IIIC pl. 4. 3.

[4] – يراجع للمقارنة :– Masner, no. 89, fig. 6; Délos xvii 102, no. 81, pl. 63 B; Hesperia i (1932) 71-72, fig. 15 (Corinth); Corinth xiii grave 162-3; Perachora ii no. 2508. التاريخ المعاصر لهذا الطراز يعد مبكرا وهو في الربع الثاني من القرن السادس .يراجع لمناقشة هذا الموضوع :– Jucker, 'Frauen- fest in Korinth', Antike Kunst vi (1963) 47-61.

[5] –يراجع عن الزخرفة المحشوة في الخلفية بهذا الاسلوب :– Cf. Corinth vii.i no. 337; Corinth xiii grave 147-2; NSc 1951, 299, fig. 33 left (Syracuse) ; CVA Braunschweig i pl. 5. 2-3.

[6] –يراجع للمقارنة :– Necrocorinthia, nos. 954-7, 1335-7- Close to our pieces are: Annuario 37/38 (1959-60), 143, tomb 67. 3-4, figs. 118 c, 120 (from Taranto); MA xxxii (1927) 317, 319, pls. 84. 4, 86. 6 (Selinus); NSc 1962, 377, fig. 52 d (Gela).

[7] – يراجع للمقارنة عن هذا الطراز :– Necrocorinthia,nos.952-3

[8] – يراجع عن هذه النوعية :– Necrocorinthia, nos. 965-9 for this category; the published examples from other sites are relatively few. Apart from those cited by Payne, the following parallels to the Tocra pieces are known to me: MA i (1890) 822, with fig. in text (Megara Hyblaea) ; MA xxxii (1927) 321, pl. 89. 7 (Selinus) ; NSc 1937, 325, fig. 78 bottom left (Foce del Sele) ; NSc 1962, 371, fig. 44 b (Gela); Corinth vii. i nos. 339, 341; Hesperia xx (i 95 1) 295, pl. 91 b (Corinth); Corinth xiii grave 163-1, -2; Perachora ii nos. 2500, 2502. Examples also exist with goats and no filling-ornament: see Délos xvii 102-3, no« 83, pl. 58 A; also CVA Heidelberg i pl. 20. 5.

ويمكن ان تؤرخ الاكواب السابقة بالجزء المبكر من المرحلة الكورنثية المتوسطة . وظهرت في المرحلة التالية الزخرفة المحشوة في الخلفية والمتمثلة في نقاط داخل افريز، وصار من المألوف ظهور حزام احمر على جانبي الافريز الذي توجد اسفله خطوط رأسية رقيقة . وقد لوحظ ان زخرفة الكلاب التي تعدو قد تدهورت على الاكواب المتأخرة رقم **370-381** وظهرت الكلاب كأنها مخلوقات غير مميزة ويصعب معرفتها او استبدلت بماعز ذي ارجل على شكل عصي، وبدأ هناك ميل لظهور النقاط المحشوة في الخلفية في شكل كريات البرد (يراجع للمقارنة مع الاطباق رقم **302-305**)، وتعود الاكواب الاخيرة الى اوائل المرحلة الكورنثية المتأخرة تقريبا[1].و يلاحظ انه في الاكواب الأخرى التي ترجع الى الفترة نفسها استبدلت الخطوط الرأسية المتعرجة المزخرفة للقاعدة وحلت محلها خطوط افقية و احزمة مثلما حدث في الاكواب الكبيرة المزخرفة باشكال مرسومة رقم **337-339**. وتجدر الاشارة الى ان جميع التطورات السابقة تمثلت على لقى او اكواب وجدت في الطبقة الثانية .

هناك مجموعة كبيرة من طرز الاكواب المزخرفة بنماذج خطية مختلفة، ومطوقة باحزمة من بينها الكوب رقم **412** الذي عثر عليه في الطبقة الاولى ، وهو يعد من اقدم اكواب هذه المجموعة وينسب الى المرحلة الكورنثية المبكرة ، كما يعد الكوب رقم **395** تقليدا متأخرا لطراز نفسه، ومن اكثر الاكواب اللافتة للنظر – من حيث الزخرفة – هي الاكواب رقم **403-408** التي زخرفت بزخرفة تشبه الشبكة المترابطة فيما بينها بأنصاف دوائر ومحاطة بزخارف صغيرة [2]. ومن بينها أيضاً كوبين اكبر حجما رقم **409 -410** زخرفا بافريز من سعيفة النخيل واللوتس على حافتهما ، وزخارف هندسية ثانوية اسفل منها[3]. واستنادا على الناحية الاسلوبية بصورة عامة فكلاهما ينسب الى الجزء المتأخر من المرحلة الكورنثية المتوسطة، كما ان الاكواب رقم **413-415** باحزمتها العريضة الغريبة تستحق الذكر أيضاً. ويرجع الكوبان رقم **424-425** الى تاريخ متأخر مقارنة ببقية اللقى (الاكواب) الأخرى ،وهما يمثلان طرازا من الاكواب كان شائعا منذ اواخر القرن السادس حتى الربع الثاني من القرن الخامس[4]، وهما ينسبان في الغالب الى تاريخ المستوى السادس.

---

[1] – امثلة كورنث التي من هذا النوع ذكرت اعلاه في الهامش السابق ، وهي اتت من مجموعات ترجع الى التاريخ نفسه.

[2] – ظهر هذا النمط الغريب من الزخرفة على شقفة من Foce del Sele راجع عنها :- NSc 1937, 325, fig. 78 top left. Two frs. from Selinus (MA xxxii (1927) 321, pl. 89. 4-5; perhaps from the same vessel) are very similar

[3] –يراجع للمقارنة :- Necrocorinthia, nos. 970-1 ; Perachora ii nos. 2485-7 (with refs. cited). Perachora 2485 and the Naukratis example (= British Museum 88. 6-1. 522) correspond in scheme to 410, Perachora 2486 to 411

[4] – تراجع مناقشة بالمر (Palmer)لهذا الطراز :- Corinth xiii 123 (under the heading 'pattern skyphoi'). Cf. also Perachora ii nos. 2947-9, 2952 (with bibliography).

. وهناك قطع من توضعات مؤرخة في اماكن اخرى :- ADelt xv (1933-5) 44, fig. 23 (Argos); Hesperia ix (1940) 41 1, nos. 20-1, fig. 42 (Halai) ; MA xxxvii (1938) 621, fig. 28 (Palma di Montechiaro, Sicily); NSc Ï954? 396, fig- 5- 4 (Megara Hyblaea).

اما الاكواب الاصغر حجما والمطلية بطلاء اسود مصقول فيمكن ان يصنف معظمها الى اكواب المرحلة الكورنثية المتوسطة والمتأخرة[1]، وينسب القليل منها الى المرحلة الكورنثية المبكرة (رقم **426–429** يراجع اعلاه) ، ويمكن ان يكون الكوب رقم **446** الذي وجد في الطبقة الثالثة احد الاكواب المتأخرة جدا ، ومما يجدر ملاحظته ان طلاءه المصقول لا يوجد له مثيل عند مقارنته بالاكواب الأخرى ، وربما حدث هذا بسبب ان الكوب تم غطسه في الطلاء مرتين. هناك ستة اكواب كبيرة الحجم مطلية بطلاء اسود مصقول رقم **447–452** قسمت بانتظام الى ثلاثة ازواج (مجموعات)، ونجحت في توضيح مراحل تطور هذا الطراز منذ اوائل القرن السادس وما بعده. يظهر في اقدم زوج من تلك الاكواب [رقم **447–448**] زخرفة اشعاعات حول القعر وقد كانت هذه الزخرفة معتادة في المرحلة الكورنثية المبكرة[2]، واحتفظ القعر في الزوج التالي [رقم **449– 450**] بالخطوط الرأسية الرقيقة مثل الاكواب المماثلة لها والاصغر حجما، وظهرت على الزوج المتأخر [الكوبين رقم **451–452**] اشعاعات طويلة مبعثرة حول القعر عرفت منذ حوالي عام 550 ق.م. وما بعده[3].

لقد عثر على اعداد كبيرة من الاكواب المصغرة (Miniature Kotylai) تبدو انها كانت الشكل الشائع للقرابين النذرية مثلما هو الحال في بقية المواقع الأخرى[4]. ترجع غالبية هذه الاكواب الى طراز واحد حيث زخرفت بخطوط رأسية عند الحافة، واحزمة مطلية اسفل منها[5]. يحصر الدليل الطبقي تاريخ تلك الاكواب ما بين اوائل و منتصف القرن السادس، ومن بين الاواني الأخرى التي تحمل ملامح نذرية القليل من شقف اواني الفيالي المزينة بصرة في مركزها (Phialai Mesophaloi) رقم **574–579** ، وقد عثر على إحداها في الطبقة الثالثة ، ولا يوجد من بينها ما يعود الى ما قبل المرحلة الكورنثية المتأخرة[6]. هناك القليل من الاواني النذرية الكورنثية الأخرى قد اشير اليها سابقا.

اما **الفخار الكورنثي الذي نشر**(Tocra.II,pp.7–10,nos1827–1974) فقد تمثل في حوالي150 قطعة اختيرت للدراسة، يلاحظ في هذه المجموعة المنتقاة ان قارورات الزيت (الاباسترون) وقنينات الرياضيين (الاريبالوس

---

[1] – يراجع تصنيف بالمر :- .Corinth xiii 106-8 وامثلتنا في توكرة مطابق تماما لمجموعتها الثانية.

[2] – يراجع عن مثال اخر من الفترة الكورنثية المتوسطة تظهر به خطوط اشعاعية وخطوط حمراء وبيضاء :-Corinth xiii grave 156-4, pl. 20

[3] – مجموعة بالمر الثالثة (op.cit. 106,108). Cf. Hesperia vii (1938) 589, nos. 101-14, figs- 15-16 (from Corinth), and NSc 1952, 337, fig. 10 a (from Centuripe) ; وهي اتت من مجموعة تؤرخ ما بين 550-500 / 480 .

[4] –تراجع شروح باين Payne عن هذا الموضوع :- .(Necrocorinthia, 334-5) ويلاحظ ان مجال طرز الاواني النذرية في بيراكورا اكثر اتساعا يراجع في ذلك :-(Perachora ii 290 ff).

[5] –تاريخ تلك الاكواب تم مناقشته منذزمن بواسطة باينPayne يراجع في ذلك، (Necrocorinthia,334), كما نوقش الموضوع نفسه باكثر تفصيل حديثا بواسطة بالمر يراجع في ذلك: Palmer, op. cit., 106, under تحت عنوان الاكواب الخطية المصغرة miniature pattern skyphoi

[6] –يراجع عن الطرز المشابهة :-. Perachora ii 298-9, pl. 120, especially nos. 2991, 2997, 3000, 3003 وتعد عينات توكرة اكبر حجما مقارنة بتلك القطع (التي ظهرت في الغالب في الفترة الكورنثية المتوسطة) وتلك القطع التي بها صرة وثقوب للتعليق تعد من المميزات التي غالبا لم تظهر على القطع الاقدم .

) التي ترجع الى المرحلة الكورنثية المبكرة من اهم الاواني التي ظهرت في المستويات المبكرة جدا من الحفريات أي في الطبقة الاولى (تراجع الارقام **1832–1845**)، كما ان الاكواب الصغيرة ذات الصقل الاسود (الارقام **1889–1894**)، والاكواب التي زخرفت بزخرفة الكلب الذي يعدو (**1901– 1907**) تعد من بين اشكال الاواني الشائعة جدا في الطبقة نفسها، اما قنينات الرياضيين المتأخرة لاسيما تلك المزخرفة بالزهرة الرباعية الوريقات . فلم يعثر على أي نموذج منها مثلما حدث في السابق .

واكثر ما يستحق الذكر هو الطبق رقم **1880** الذي يرجع الى فترة مبكر جدا ويعد من اهم اللقى التي عثر عليها في المستوى الحادي عشر من الطبقة الاولى، و يفترض انه يرجع الى مرحلة الفخار ما قبل الكورنثي بناء على القطاع الجانبي البسيط للطبق ، وتنظيم زخارفه – المتمثلة في حزمة من الخطوط المتموجة داخل احزمة – على الرغم انه لا توجد امثلة مطابقة له ترجع الى الفترة نفسها[1] ، ولكن اذا كان هذا الطبق من المتاع الشخصي المتوارث (مثل الاونوخوي رقم **1**) ، او ان زخرفته المبكرة استمرت الى فترة متأخرة (مثلما حدث على الكوب رقم **275**) بناء على ذلك يمكن افتراض انه يرجع الى مرحلة اواخر ما قبل الكورنثي او مرحلة الانتقال. كما تمثل الشقفة رقم **1839** مثالا آخر للاواني المبكرة، ويبدو أنها تشكل جزءا من قنينة رياضي (آريبالوس) من الطراز الكمثري، ومن المناسب ان تؤرخ بالمرحلة الكورنثية المبكرة بناء على مقارنة اسلوب زخارفها الرائعة مع الزخارف المماثلة التى تزخرف قنينات الرياضيين المستديرة الشكل الشائعة في نفس الفترة [2] وقد ظهرت بالقنينة الاخيرة زخرفة الخطاف (Hook) التي كانت من غير المعتاد ان تزخرف الفخار ما قبل الكورنثي .

وقد لوحظ في الطبقة الاولى ظهور مجموعة من الاواني المغلقة اصغر حجما من السابقة وكان من بينها قارورة الزيت (الاباسترون) رقم **1838** المزخرفة بزخرفة نباتية ، وقنينة الرياضي (الاريبالوس) رقم **1848** – المهشمة للغاية – و هي من طراز القنينات ذوات القاعدة المستوية التي ترجع الى فترة مبكرة ، إضافة الى قنينة الرياضي[3] رقم **1840** التي تنسب الى طراز القنينات الكروية الشكل الشائعة في المرحلة الكورنثية المبكرة.

و لا يوجد من بين الاواني المزخرفة برسومات او اشكال ترجع الى المرحلة المتأخرة ما يستحق التركيز عليه، باستثناء الابريق المهشم رقم **1827** ذو القاعدة المتسعة[4] والمزخرف بافريز من الحيوانات الذي يعد انموذجا لافاريز

---

[1] – يمكن الاشارة الى طبق مشابه تماما نشر في : Perachora,i,62,pl.B1 مع ان المثال الاخير يرجع الى فترة مبكرة جدا (اواخر القرن الثامن ؟) ، يراجع عن الموضوع الزخرفي المميز : Perachora,ii,nos744,759,762,pls.30,34. ولا يبدو ان اطباق الفترة ما قبل الكورنثية نموذجية بشكل كامل

[2] –يراجع : Perachora,ii,149,no.1571,pl.61 ، والمراجع التي ذكرت هناك .

[3] –Necrocorinthia,no.638,fig.126 ويراجع عن الامثلة الاخرى :– CVA Heidlberg,I,pl.12.4. CVA Leipzig,pl.31.1-2 . وتراجع كذلك المراجع التي اشير اليها هناك .ووجد هذا الطراز في تارنتو في مجموعة القبور التي تؤرخ ما بين الفترة الكورنثية المبكرة واوائل الفترة الكورنثية المتوسطة ، يراجع عنها :– Annuario 37/38 ((1959-60), 143ff,figs.41c,55e,82i,92a

[4] – يراجع عن هذا الشكل، قطعة معاصرة لها نفذت بواسطة فنان او صانع اخر :–

Robinson, (et al) Greek vases at Toronto,no.183,(museum no now 919.5.109)

حيوانات فخار المرحلة الكورنثية المتوسطة والمتأخرة. ومنها أيضاً الحقتان رقم **1850-1851**، والاكواب رقم **1880-1885** التي زخرفت برسوم حيوانات نفذت بشكل ردئ وترجع الى نفس التاريخ السابق، الا ان الكوبين رقم **1882-1883** اللذين عثر عليهما في الطبقة الاولى ويرجعان الى المرحلة الكورنثية المبكرة كانت زخرفتهما متوسطة الجودة وافضل من الرسوم السابقة. ويعد الطبق رقم **1881** المزخرف بموضوع الطائر – الفهد من بين سلسلة اواني توكرة الشائعة جدا وهو ينسب الى المرحلة الكورنثية المتوسطة، ومما يستحق التنويه به مجموعة من الاواني_زخرفت باسلوب الصورة الظلية او الشبحية من بينها شقفة حقة تحمل الرقم **1856** زخرف كتفها بافريز حيوانات في اسلوب الصورة الظلية، و تعد زخرفة الحيوانات هذه مثيرة وشاذة في الوقت نفسه، وينطبق القول نفسه على الحيوانات التي زخرفت الكوب رقم **1886**.

و هناك بعض الامثلة الجيدة لاوانٍ ترجع الى اسلوب الزخارف النباتية من المرحلة الكورنثية المتأخرة، من بينها الحقة الكروية الشكل رقم **1852** التي وجدت كاملة بالطبقة الثالثة ، والكوب الكبير الحجم رقم **1895** المزخرف بسلاسل نباتية كبيرة الحجم كانت شائعة على اواني منتصف القرن السادس[1]، اما الحقة الأخرى رقم **1854** فقد زخرف كتفها بصف من البراعم النباتية المنفصلة عن جذورها إضافة الى زخرفة متعرجة على شكل لطخات مدرجة ، وقد نفذت تلك الزخارف في اسلوب تقليدي انتشر في اوائل القرن الخامس[2]، ولكن لسوء الحظ فإن المكان الذي وجدت به تلك الحقة لم يحدد بشكل دقيق. وتمثل شقف الحقة رقم **1857** مثالا لاسلوب فخار الخلفية (او الارضية) الحمراء في المرحلة الكورنثية المتأخرة ، وقد زخرفت بسلسلة من زخرفة اللوتس وسعيفة النخيل المزدوجة.

وقد عثر في المستويات المبكرة على العديد من الاكواب المزخرفة بزخرفة الكلب الذي يعدو التي اشتهرت في المرحلة الكورنثية المبكرة، ويمكن من خلال تلك الاكواب ومثيلاتها التي نشرت في الجزء الاول تمييز عدد من المصانع التي انتجتها بناء على الاختلاف الواضح في نوعيتها.

---

[1] – يراجع عن الحقة رقم 1852 على وجه الخصوص :- Annuario 37/38 (1959-60), 218-219,figs.195a,197b ، وهي من تارانتو Taranto (توضعات تؤرخ بحوالي عام 550 ق.م.، ويراجع النماذج الاخرى التي تنسب اليها :- pl.33,224-4(deposit46-a)- Corinth xiii.ويراجع عن التقليد المتأخر للكوب رقم 1895 :- Ure , Sixth and Fifth Century Pottery from Rhitsona ,pls.33,126-87. ويراجع عن الكوب الرقم 1896 :- Perachora,ii,nos2668-9,pl.114 ، مع الامثلة المطابقة التي اشير اليها في المرجع نفسه.ويراجع عن المثال الرائع المطابق للكوب رقم 1852 :- CVA Bib. Nat. I,pl.15.14

[2] –يراجع عن عناصر الموضوعات الزخرفية المشابهة :- Perachora,ii,no.2604,pl.112 والتي تظهر بها زخرفة البراعم المتشابكة ، ويراجع ايضا :- MA,i(1890)no.868 (داخل المتن) وهي من ميجارا هيبلايا .ويراجع عن زخرفة البرعم المشابهة لها:-- CVA Frankfurt I,pl.19.4, Megara Necrocorinthia,no.1488 Hyblaea,ii,pl.57.2, CVA Karlsruhe,I,pl.42.12, CVA Reading,I,pl.2.10,CVA . اما عن زخرفة الخطوط المتعرجة فقد وجدت باشكال مختلفة على الاواني ، يراجع عن بعض تلك الامثلة :- Heidelberg,I,pl.15.3,19.3,CVA Louvre viii,pls.22.8,13,27.18, Corinth xiii graves 291-293 (وقد وصفت في المرجع الاخير على انها زخرفة مخروطية Cone Pattren) .

اما الاواني المزخرفة بالاسلوب الابيض فمن بينها جرة الماء (الهيدريا) رقم **1831** النادرة الطراز، و قد امكن معرفة شكلها العام من خلال المقارنة مع جرة كاملة وجدت في تارنتو[1]. ويعد الابريق (الاونوخوي) رقم **1828** ذو القاعدة المتسعة تطورا غريبا ومتأخرا لشكل الابريق رقم **1827**.

كما ان غطائي الابريق (الاونوخوي) رقم **1829–1830** يعدان إضافة جديدة لاشكال الاواني الكورنثية التي ظهرت في توكرة ، ويمكن ان ينسب الغطاء الاكبر منهما (أي رقم **1829**) الى ابريق من طراز الاباريق المتسعة القاعدة بناء على حجمه وتاريخه المبكر[2]، ومن المحتمل ان الشقفة رقم **1878** المطلية بطلاء اسود مصقول تنسب الى سلطانية ضحلة من ذوات الشكل الفصي والقعر المنخفض[3].

اما الإناء النادر الذي يحمل الرقم **1971** فقد عثر عليه في الطبقة الثالثة، و يمثل ابريقا له فوهة مستديرة من طراز الاواني ذات اللون المتجانس (او الاحادية اللون)، وقد دلت الاباريق الأخرى المشابهة له انها كانت في الاصل تملك فوهة على شكل كوب مرتفع، ومن الناحية الزمنية فهو يؤرخ ما بين الفترة التي يعود اليها ابريقان احدهما من رودس[4] والاخر من جيلا[5]، وبالمقارنة مع اباريق اصغر منه تؤرخ بالقرن السادس من كورنث[6]. و يمثل ابريق توكرة حلقة وصل – كانت مفقودة – في تطور اشكال هذا الطراز من الاباريق بناء على ان رقبته اكثر زخرفة و بها حليات زخرفية، و رقبة ابريق جيلا ضيقة وبسيطة [أي دون حليات زخرفية]حافتها على شكل كوب. كما يبدو ان الابريق المتجانس اللون رقم **1972** قد اشتق من سلسلة قنينات الرياضيين ، وانه تقليد مصغر لهذا الطراز.

وليس من السهل التوصل الى مكانة الغطاء المخروطي رقم **1973** بين انواع الفخار الكورنثي و زخارفه الا انه يعد صورة طبق الاصل من الاغطية التي نشرت في المجلد الاول من حفريات توكرة مثل رقم **1450**. وهي يمكن ان تنسب الى المنتجات (الاواني) النذرية الكورنثية بناء على مكونات غضارها على الرغم من نقص النماذج

---

[1] – Annuario 37/38 (1959-60), 203,fig.180b (يؤرخ التوضع الذي وجدت به بحوالي 550). يراجع ايضا الابريق :- CVA Univ. California,pl.10.4.

[2] – يراجع :- Corinth xiii passim عن الاغطية الثلاثية الزوايا او الاطراف [او التي تشبه القبعات ثلاثية الاطراف]التي تستخدم لتغطية الاباريق (Oinochoe) من طراز الرقبة المتسعةاو الواسعة والاباريق ذات الرقبة الضيقة والقاعدة المتسعة ،وكذلك الاباريق ذات البدن الكروي. كانت ابعاد تلك الاغطية على النحو الاتي :- تبلغ ابعاد التي تغطي اباريق الرقبة الواسعة حوالي ما بين 8.8 – 10.2 سم ، وتبلغ ابعاد اغطية اباريق الرقبة الضيقة ما بين 6 – 8.8 سم ، وتبلغ ابعاد اغطية الاباريق الكروية ما بين 5.8 – 9 سم ، وحيث ان الاباريق الكروية لم تعرف حتى اواخر القرن السادس فهي لم تدخل في هذا الوصف.ومن هذا يبدو ان الغطاء رقم 1829 قد اتى (او ينسب) من ابريق من طراز الرقبة الضيقة والقاعدة العريضة(مثل الابريق رقم 3 و 4 المنشور في الجزء الاول من الحفريات).

[3] – مثلما ظهر في Annuario 37/38 (1959-60), 58-9,figs.41b,42 مع مراجعها التي ذكرت هناك

[4] – (Annuario 6/7 (1923-24), 269-70,fig.170, CVA Rodi,ii,iiic,pl.3.1

[5] – MA,17(1906)299,gig.221 (ذات لون متجانس او وحيدة اللون) ، وهذه القطعة شبيهة جدا بالابريق رقم 1971 والتوضع الذي وجدت به لم يقدم تاريخا دقيقا للغاية ، اما عن المثال الثاني لهذا الطراز فهو من جيلا وغير مؤرخ ، يراجع عنه :- .NSc,(1960)151,no.8,fig.179

[6] – :- Corinth xiii grave 255-2,pl.34 (تؤرخ باواخر القرن السادس) . و Hesperia,24(1955)132,pl.51,no.6 (وهي من إسثيميا) . وهناك مثال آخر من كورنث يراجع عنه :- :- Corinth xiii grave 296-2,pl.41 ، وهو ينسب الى اوائل القرن الخامس، وهو يشبه قطعة توكرة لكنها بقعر .

المطابقة له. وتعد الشقفة المختومة رقم **1974** من القطع الشاذة الى حد بعيد، وغضارها المحبب ينسب الى الجرار الكورنثية النموذجية غير انه ليس من الواضح التعرف على الاناء الذي اتت منه تلك الشقفة، وهي تؤرخ بحوالي 600 ق.م. بناء على مكان العثور عليها، يراجع للمزيد عن الجرار الكورنثية من الفخار الخشن رقم **2255-2256** اسفله اي في كتاب (Tocra,II).

الأكواب الصغيرة او المصغرة (Miniature) :

لقد وجدت هذه الاكواب بكثرة كما في السابق (أي ما نشر في Tocra.I)، وتمت هنا دراسة او الاشارة الى النماذج الكاملة فقط، و قد صنفت الى اربعة طرز [يشمل الاول الاكواب رقم **1911-1921**، والثاني **1922-1938**، والثالث **1939-1940**، والرابع **1941-1950**]، وقد اشير الي الاكواب المسجلة من حفريات عام 1964 باختصار في الجزء الاول(Tocra.I)، واعيدت دراستها هنا لتحديد اكثر النسب تكرارا من اكواب كل طراز في كل طبقة او مستوى، ويلاحظ انه لا يوجد أي من الطرز الاربعة في الطبقة الاولى حيث يبدو انه قد حلت محلها الاكواب المزخرفة بزخرفة الكلب الذي يعدو. و ظهرت اكواب الطرازين الاول والثاني بانتظام في الطبقتين الثانية والثالثة، وهذا يدل على ان فترة انتاجها تمتد خلال الربعين الثاني والثالث من القرن السادس، ويكاد يكون ظهور الطراز الاول (انظر رقم **1920- 1921**) مقصوراً على الطبقة الثانية فقط، اما اكواب الطرازين الثالث والرابع فمن المؤكد ان الانواع المتأخرة منها قد وجدت في الغالب – اذا لم تكن بشكل مطلق– في توضعات المستوى السادس، ومن هنا يمكن ان تؤرخ بفترة زمنية طويلة ما بين اواخر القرن السادس و اوائل القرن الخامس[1]، والتطور الذي اشير اليه لاكواب توكرة يمكن مطابقته بصورة عامة بتطور الاكواب في المواقع الأخرى (مثل الجبانة الشمالية في كورنث).

الأواني الصغيرة (المصغرة)المطلية بطلاء اسود مصقول :

على الرغم من ان بعض اواني هذا النوع عثر عليها في موسم حفريات 1963-1964 الا انه تم تأجيل نشرها من اجل العناية بها ودراستها لتفادي حدوث أي التباس حول تاريخها، ولهذا فإن اواني هذا النوع من جميع المواسم قد دونت في الجزء الثاني من حفريات توكرة. وللاسف فإن القليل جدا من الاواني المشابهة لها والمؤرخة بدقة عثر عليها في كورنث و اماكن أخرى، وقد زودت حفريات عام 1965 بدليل آخر عن تاريخ الطرز المتنوعة لاواني هذا النوع في توكرة، و على هذا فإن تقسيم طرز تلك الاواني الى طرز العصر القديم المتأخر وطرز الفترة التالية له يعد الان مجرد محاولة ليس الا، وقد عثر على الاواني المتأخرة مع الاواني التي ترجع الى العصر الكلاسيكي، الا ان

[1] – يراجع عنه امثلة من الطراز الثالث وجدت في مواقع اخرى :- Hesperia,6(1937),284,no.81,fig.20. Hesperia,21(1952),196,no.198,fig.53 , (من حرم هيرا في ارجوس) . و ,Perachora,ii,no.2955,pl.119 مع المراجع التي ذكرت هناك . و Corinth xiii pl.53 (deposit 12-e), Stucchi, L,Agora di Cirene,I ,43,fig.21,pl.12.10. وهناك مثال آخر من في متحف قورينى(من الحفريات القديمة) ، ويراجع عن الطراز الرابع :- Tocra I,p.26.no.3

المشكلة الرئيسية ظلت في تحديد اواني هذا النوع التي اتت من المستوى السادس لان هناك مواضع عدة من المستوى السادس ليس من السهل تمييزها بوضوح عن المستوى الخامس او عن قمة المستوى السابع الواقع اسفل منه.

والآن يبدو من المحتمل ان اغلب اواني توكرة من هذا النوع تنسب الى المرحلة المتأخرة للفخار الكورنثي، ويمكن ان توضع مجموعة الجرار النذرية المنتفخة في الفترة نفسها بناء على دليل مؤكد ان الجرة رقم **1954** قد اتت من المستوى السابع، مع ان هناك العديد من الاختلافات داخل طراز هذه المجموعة يمكن تمييزها بوضوح[1]. ويدل العثور على الاناء (الممزج) رقم **1968** في المستويين السادس والسابع ان عددا من الممازج (الكراتير) المفتوحة ذات المقايض التي تنطلق من الحافة تعود الى التاريخ السابق نفسه[2].ويمكن ان يضاف اليها السلطانية الصغيرة رقم **1965** ذات المقبض الذي يشبه مقبض السلة[3]. وعلى العموم فقد صنعت تلك الطرز باتقان وكان الشكل السائد ذو جدران رقيقة– مثل اكواب القرن السادس الصغيرة – و حافة متسعة نحو الخارج وقاعدة نفذت بدقة ، وقد كان الطلاء الاسود يغطي البدن بالكامل مثلما حدث في العديد من الاكواب، ولكن احيانا يترك قاع السلطانية دون طلاء. ويحتمل ان الشكل المميز والرائد لهذه الجرة (الهيدريا) يُشاهد في جرة من كورنث مشابهة تعد تقليدا لها ترجع الى المرحلة الكورنثية المتوسطة[4]. كما ان الامثلة المتأخرة من كورنث (اواخر القرن الخامس– الرابع ق.م.) لا توجد بها نماذج من هذا الشكل، بيد ان الاواني النذرية المحلية رقم 2349 مثلا قد تكون نسخة من الشكل نفسه.اما الاناء المسمى (كالاثوس) الشائع في القرن السادس فقد ظهر في صورة مصغرة تمثل في رقم **1964** الذي وجد في المستوى السابع. وهناك سلطانية صغيرة رقم **1970** عثر عليها في المستوى السادس يمكن تصنيفها عينة مبكرة لطراز سلطانيات القرن الخامس[5].

الخاتمة:

اتضح من خلال هذه الدراسة المترجمة و التقديم لها على اهمية الفخار الكورنثي وعلاقته بتأسيس المستوطنات الاغريقية، لانه قد يعد من اقدم انواع الفخار الاغريقي المبكر عثوراً عليه في كيرينايكي وانه ارتبط بمرحلة تأسيس المدن الاغريقية في شرق ليبيا، حيث يؤرخ اقدمه بالربع الاخير من القرن السابع ق.م. ومن ثم فهو معاصراً لتأسيس تلك المدن او المستوطنات من بينها توكرة ويوسبريدس وكيريني نفسها التي تأسست قبل هذا التاريخ بقليل من

---

[1] – يراجع عن القطع المشابهة لها (وهي غير مؤرخة) :- Perachora,ii,nos.3295-61,pl.123

[2] – يراجع عن الامثلة الاخرى من نفس الطراز :-Lindos,I,no.2605,pl.125.Stucchi,op.cit.,43,pl.12.9(في توضع نذري يؤرخ بحوالي 500).
ويراجع عن الامثلة التي بها عدة اختلافات : Hesperia,6(1937),289,nos.133-35,fig.23 (في مجموعة اواخر القرن الخامس) .

[3] – يراجع عن هذا الطراز بصورة عامة :-Lindos,I,no.2604,pl.125. Perachora,ii,nos.3121-22,pl.121
وهناك قطعة اخرى ربما تكون اقدم منها ذات حافة مستقيمة يراجع عنها :- Ure , Sixth and Fifth Century Pottery from Rhitsona ,92,pl.10,grave 115-40.

[4] – :-Corinth xiii pl.18,135-2 يراجع لمعالجة تلك القطع :- ,Corinth xiii pl.35,247-2.وهي تؤرخ بالنصف الثاني من القرن السادس

[5] –يراجع :- :-13–14. Corinth xiii graves 344-347,367-13,14 ، وهي من مجموعة اواخر القرن الخامس ، ورديئة الصنع و ذات قاعدة مستوية ، يراجع عن الاشكال المشتقة منها رقم 2368 .

السنوات. ومما تجدر الاشارة اليه ان العثور على كميات كبيرة من الفخار الكورنثي في توكرة ان جعل هذه المدينة بفخارها تتبوأ مركزاً مهماً في دراسة الفخار الاغريقي المبكر في العالم ولا تخلو اي دراسة للفخار الاغريقي المبكر بطرزه المتنوعة من الاشارة الى فخار توكرة للمقارنة به، كما جعل توكرة اشهر موقع للفخار الاغريقي المبكر على مستوى لليبيا.

وتجدر الاشارة الى أن الفخار الكورنثي الذي تطرقنا اليه قد عرض جزء كبير منه في ثلاث خزانات عرض (رقم 6 ، 8 ، 9) في متحف المدينة الذي افتتح في 18 ابريل 1972 وعملت له بطاقات تسجيل متحفي عام 1986 لحمايتة المعروضات من بينها الفخار الكورنثي، اضافة الى انه في الفترة نفسها اختار مكتب آثار توكرة مجموعة من الفخار الاغريقي من بينها اواني من الفخار الكورنثي لتعرض في متحف السراي الحمراء بطرابلس (المتحف الوطني حالياً) ومازالت معروضة هناك، وللاسف فقد نهب متحف توكرة في 31 ديسمبر 1990 وسرق منه 40 اناء فخاري من بينها 27 اناء من الفخار الكورنثي والتي تعرضنا لها في هذه الدراسة ونشرنا صور لبعضها. اما الفخار الكورنثي الذي لم يعرض لاسيما القطع المكررة والكسر فقد خزنت في مخازن الآثار في توكرة منذ العثور عليها ما بين 1963-1965 حيث تعاملنا معها وأعدنا تصنيفها وعمل بطاقات لبعضها برفقة زوجتي الباحث منى بالخير خلال الاعوام 1988-1991. ومنذ يوليو 2020 يجهز في قاعة عرض في توكرة خصصت الخزانة الاولى لعرض عينات من الفخار الكورنثي المبكر التي كانت معروضة في المتحف القديم وتطرقنا اليها في هذه الدراسة (تراجع الصور الملونة).

المراجع :

Akurgal, M. Korint Seramiği M.Ö. 750-650, İstanbul:1997.

Amyx,D.A.Corinthian vase-painting of the Archaic period, 3 vols. Berkeley:1988.

Amyx, D.A. and P.Lawrence , Archaic Corinthian Pottery and the Anaploga Well. (= Corinth vol.VII, Part,II), Princeton :1975.

Amyx, D.A.., and Lawrence, P., (= Hesperia. Supplement 28),Princeton :1996.

Arafat,K. and C. Morgan, " Pots and Potters in Athens and Corinth: a review" Oxford Journal of Archaeology, 8 (1989),pp.311-346.

Benson, J.L., Die Geschichte und Korinthischen Vasen , Basel: 1953.

Benson, J. L. Some Notes on Corinthian Vase-Painters, American Journal of Archaeology, 60, 1956, 219–230.

Benson, J.L.,Earlier Corinthian Workshops. A Study of Corinthian Geometric and Protocorinthian Stylistic Groups, Scripta Minora I ,Amsterdam: 1989.

Blegen, C.W.,(et al), The North Cemetery ,Corinth vol.XIII, Princeton:1964.

Blinkenberg, Chr. Fouilles de L'Acrople 1902-1914 , Lindos I , Les Petits Objets , Berlin:1931.

Boardman, J. "Evidence for The Dating of Greek Settelment in Cyrenaica"British School at Athens, 61 (1966) pp.150 – 152

Boardman, J."Settlement for trade and land in North Africa : problems of identity "in G.Testskhladze & F.Angeles(eds), The Archaeology of Greek colonization, Essays dedicated to Sir J.Boardman, , Oxford:1994 , pp.144-147.

Boardman, J., Early Greek Vase Painting: 11th-6th Centuries B.C.: A Handbook, New York: 1998.

Boardman, J.& J.Hayes , Excavations At Tocra 1963-1965 Vol. 1 Oxford:1966.

Boardman, J.& J.Hayes , Excavations At Tocra 1963-1965 Vol. 2 Oxford:1973.

Bronner , O., "Excavations at Isthmia 1954 " Hesperia 24 (1955) pp.110-141.

Bronner, O., "Investigations At Corinth , 1950 " Hesperia 20 (1951) pp.291-300.

Campbell, M.T., "A Well of the Black-Figured Period at Corinth " Hesperia 7 (1938) pp.557-611.

Caskey, J.L. & P.Amandy , " Investigations at the Heraion of Argos 1949 " Hesperia 21 (1952) pp.165-221.

Cook, R.M. Greek painted pottery, 2nd ed , London:1972.

CVA BERKELEY, University of California i (U.S.A. 5, pls. 182 - 243).

CVA BRAUNSCHWEIG, Herzog Anton Ulrich - Museum (GERMANY 4, pls. 147 - 194).

CVA COPENHAGEN, Musée National ii (DENMARK 2, pls. 50 - 98).

CVA HEIDELBERG, Universität i (GERMANY 10, pls. 435 - 478).

CVA KARLSRUHE, Badisches Landesmuseum ii (GERMANY 8, pls. 341 – 384).

CVA LEIPZIG, Archäologisches Institut der Karl – Marx – Universität i (GERMANY 14, pls. 641 – 693).

CVA MADRID, Musée Archéologique National i (SPAIN 1, pls. 1 – 49).

CVA PARIS, Bibliothèque Nationale, Cabinet des Médailles i (FRANCE 7, pls. 285 – 332).

CVA PARIS, Musée du Louvre vi (FRANCE 9, pls. 385 – 434).

CVA PARIS, Musée du Louvre viii (FRANCE 12, pls. 483 – 529).

CVA READING, University of Reading i (GREAT BRITAIN 12, pls. 528 – 567).

CVA RHODES, Museo Archeologico dello Spedale dei Cavalieri di Rodi ii (ITALY 10, pls. 457 – 508).

DELOS = Exploration Archeologique de Delos fait par Lécole francaise d'Athenes , Paris: 1909 – 1959.

Dragendorff,H. , Thera II, Berlin : 1903.

Farnsworth, M. “Corinthian Pottery: Technical Studies,” American Journal. of Archaeology, 74(1), 1970, pp. 9–20.

Goldman, H. "The Acropolis of Halae " Hesperia 9 (1940) pp.381-514.

Hopper, R.J., "Addenda to Necrocorinthia " The Annual of the British School at Athens, 44 (1949) pp. 162-257.

James,P."Archaic Greek colonies in Libya: Historical vs. archaeological chronologies? "Libyan Studies,36 (2005)pp.1-20.

Johansen , K.F. , Les Vases Sicionienes , Paris :1923 .

Kocybala, A."The Corinthian pottery ", The Extramural Sanctuary of Demeter and Persephone at Cyrene , Libya,final reports vol.7, Philadelphia:1999.

Lo Porto , F. G., "Ceramica Arcaica Necropoli di Taranto "Annuario della Scuola Archeologica di Atene .... vol.37-38 (1959-1960) pp.7-230 .

Mannack, T. Griechische Vasenmalerei, Eine Einführung,Darmstadt :2002.

Neeft, C.W., Protocorinthian subgeomatric Aryballoi, Amsterdam:1987.

Neeft, C. W. Addenda et corrigenda to D. A. Amyx, Corinthian vase painting in the archaic period Amsterdam:1991.

Paizi, E., Overseas Connections of Knossos and Crete in the Archaic and Classical Periods: A Reassessment Based on Imports from the Unexplored Mansion,Unpublished M.A. Thesis, University of Cincinnati (2019).

Payne, H.G., Necrocorinthia, A Study of Corinthian Art in the Archaic Period , Oxford:1931.

Payne, H.G., Protokorinthische Vasenmalerei , Berlin:1933.

Payne, H.G., et. al. , Perachora , vols 1-2 , Oxford : 1940 , 1962.

Pease , M.Z., "A Well of the Late Fifth Century at Corinth " Hesperia 6 (1937) pp.257-316.

Pemberton, E.G. "Wealthy Corinth: The Archaeology of a Classical City", The Australian Academy of the Humanities. Proceedings 1998 (Canberra 1999)p.138-165.

Pottier, E. , Vases Antiques du Louvre , I , Paris : 1897.

Rasmussen, Th. "Corinth and the Orientalising Phenomenon" Looking at Greek Vases, Ed. Rasmussen, Tom and Spivey, Nigel Jonathan, Cambridge:1991.

Robinson , D.M. (et al) , A Catalogue of the Greek Vases in the Royal Museum of Archaeology , Toronto , Toronto:1930.

Salmon, J.B., Wealthy Corinth: a history of the city to 338 B.C. Michigan:1984.

Shoe,L.T. "A Box of Antiquities from Corinth " Hesperia 1 (1932) pp.56-89.

Steinhart, M, Korinthische Vasenmalerei. In: Der Neue Pauly (DNP). Band 6, Metzler, Stuttgart: 1999, pp. 738–742,

Stephens, J. (et al.) " The Technological Development of Decorated Corinthian Pottery, 8th to 6th Centuries BCE" (Symposium PP – Materials Issues in Art and Archaeology X) Vol.1656 (2014) , pp. 233-250.

Stucchi, S. "Die archaischen griechen vasen und die Kyrenaika: Import , Imitationen und Einflusse- ein Uberblick ", in H.Brijder (ed) Ancient Greek and related pottery, Amsterdam:1984.

Stucchi, S. L'Agora di Cirene, I , Roma:1965.

Ure , P. ,Sixth and Fifth Century Pottery from Rhitsona , Oxford:1927.

Ure , P. , Aryballoi and Figurines from Rhitsona in Boeotia , Cambridge : 1934.

Weinberg, S.S.,"What Is Protocorinthian Geometric Ware?" American Journal of Archaeology, 45.1(1941),pp. 30–44.

Weinberg, S.S., The Geometric and Orientalizing Pottery, Corinth vol.VII, Part,I , Princeton:1943.

Weinberg, S.S., "Cross-Section of Corinthian Antiquities (Excavations of 1940)" Hesperia 17 (1948) pp.197-241.

Whitbred ,I.K.,"Clays of Corinth: The Study of a Basic Resource for Ceramic production," Corinth, 20, (2003), pp. 1–13.

31 14 4 1

133 130 103 36 35

نماذج من الفخار الكورنثي في توكرة لتوضيح الوانه وابعاده

(ارشيف مكتب آثارة توكرة، ت.طارق تيكة 2008)

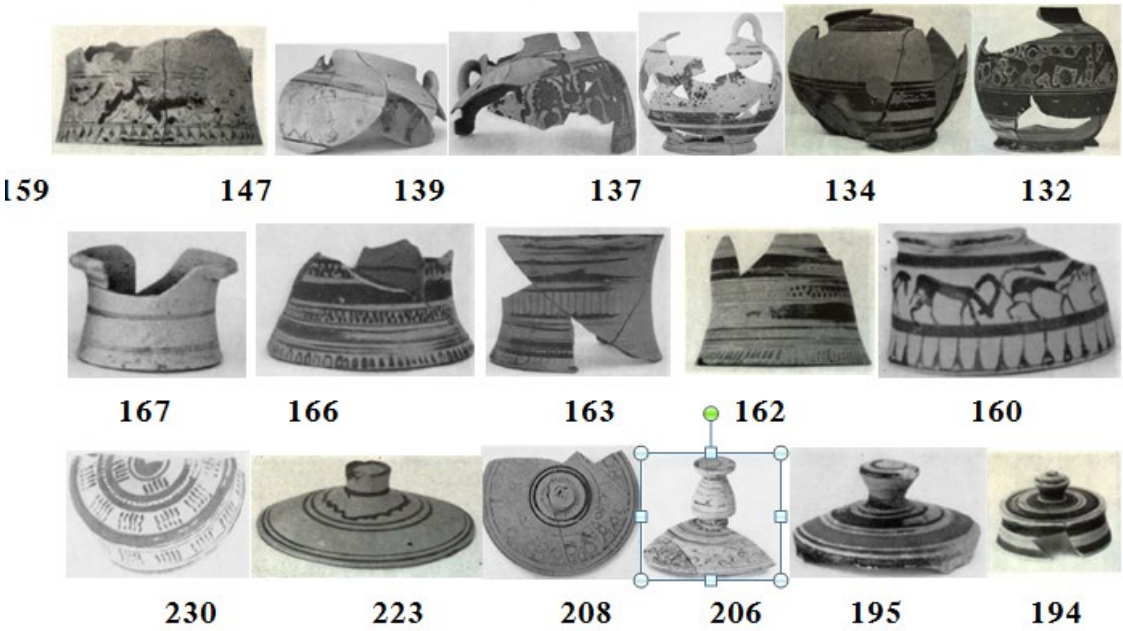

نماذج من الفخار الكورنثي المبكر في توكرة (الارقام وفقاً لنشرها في Tocra I)

نماذج من الفخار الكورنثي المبكر في توكرة (الارقام وفقاً لنشرها في Tocra I)

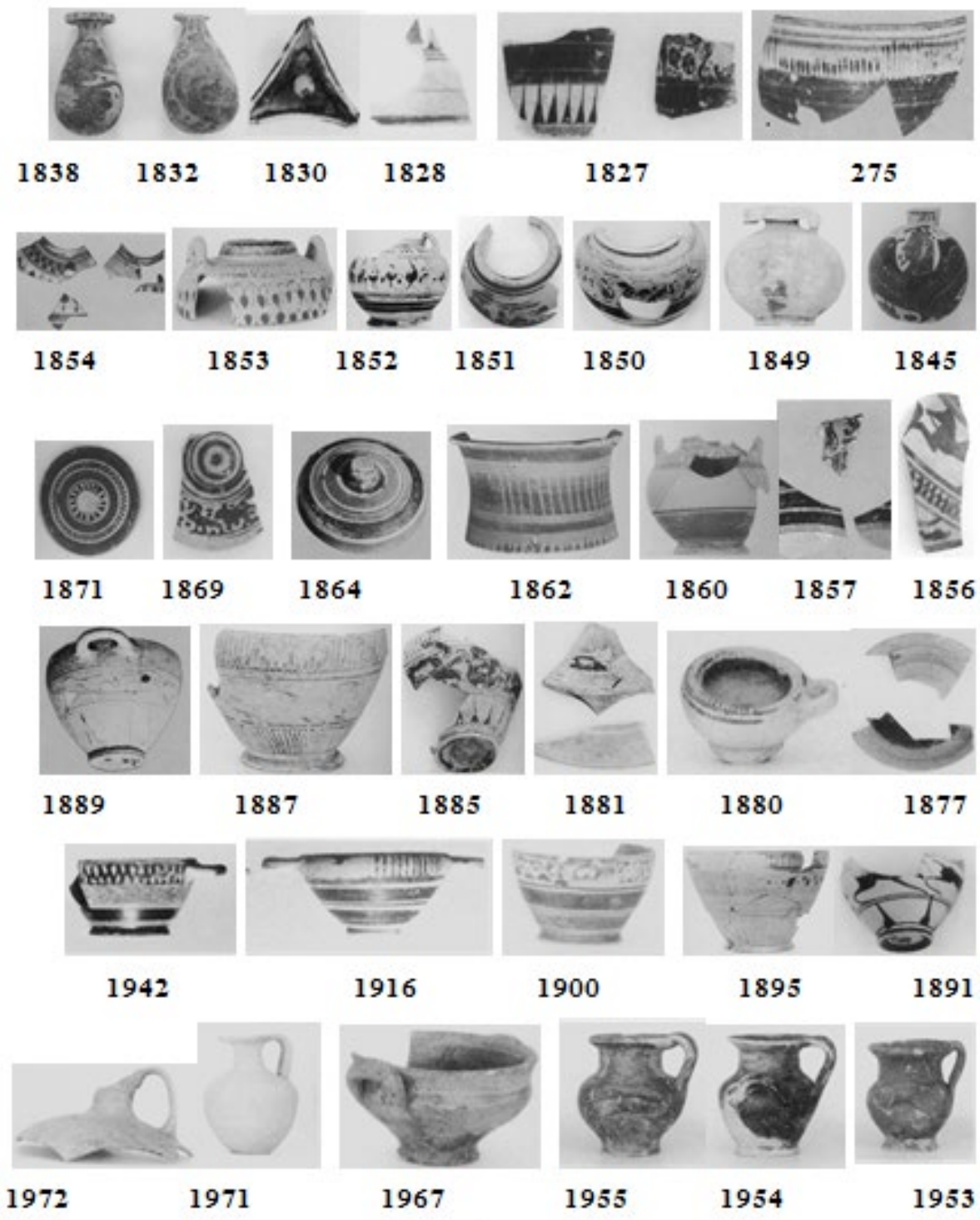

نماذج من الفخار الكورنثي المبكر في توكرة (الارقام وفقاً لنشرها في Tocra II)

النص الأجنبي :-

CORINTHIAN

1–579 (PLATES 3–27)

Corinthian vessels constitute the largest group among the imports, as on most other Greek sites of the same period; here they account for over 30 per cent. of all the pieces catalogued. Two general comments are worth making on this assemblage. First, the low proportion of pieces of high quality is not what one expects when one compares the finds on other colonial sites, especially those in Italy and Sicily. The whole range of Corinthian products—good, bad and indifferent—seems to be present here, just as on a mainland Greek site like Perachora. Secondly, there is a tendency, particularly noticeable among the amphoriskoi, plates and cups, for the products of certain workshops to occur in groups, while those of other contemporary ones are totally absent. Equally, certain vessel-forms are common at the expense of others: for example, aryballoi are numerous, whereas there are very few alabastra (except in the early levels). So our Corinthian may have been imported mostly in large batches.

It is the Corinthian pieces which furnish us with most of the dating evidence for the early levels (Deposit I), and which are the primary material for estimating the date of the initial settlement at Tocra. This should now be considered.

The earliest vase by far is the fine conical oinochoe **1**. Though unparalleled in detail, its animal-decoration is that of an advanced stage of Middle Protocorinthian,[1] and most of the filling-ornaments are consistent with such a date. The presence of incised tongues round the base of the neck is surprising so early; on the other hand, the meander decoration on the neck is not usually found so late.[2] The fact that the vessel was found in Deposit II, in a relatively complete state, suggests that it had remained intact for a period of eighty years or more before it was finally discarded (in the 560's). This being the case, there is every reason to believe that it was brought to Tocra as a prized possession by one of the early colonists and subsequently offered as a dedication in the sanctuary. It is an unusually clear example of the 'heirloom' survival-piece in an archaeological context; no conclusions on the foundation-date of Tocra may be drawn from it.

The main series of Corinthian scarcely begins before the Early Corinthian period. There are only one or two pieces which might be called Transitional: e.g. the broad-bottomed oinochoe **3**.[3] A few vessels of Protocorinthian type occur (one pointed aryballos (**37**) and kotylai with 'running dog' decoration (**341–50**)), but these are all late specimens, and need not be earlier than Early Corinthian.[4] The earliest of the black-glazed kotylai (**426–9**), decorated with regular groups of white-red-white lines, are typical of the same period.[5] The earliest level, 11, produced a piece of an Early Corinthian alabastron (**26**).[6] One may fairly conclude that the foundation-date of Tocra coincides with a late stage in the Corinthian Transitional period. It is, of course,

[1] Cf., for instance, Payne, *Protokorinthische Vasenmalerei* pl. 15. 1–3; Johansen, *Vases sicyoniens* pls. 17. 1, 18. 1; *Perachora* ii nos. 228, 230.
[2] For rather earlier examples of the motif, see *Perachora* ii nos. 343, 345, with refs. cited.
[3] For the general type and the incised tongues on the shoulder, cf. *NC* no. 138. **3** is of flatter form.
[4] See Hopper, *BSA* xliv (1949) 185–6 on 'running dog' decoration. For late examples of pointed aryballoi with scale-decoration, see *NC* 286, fig. 8 A; *Perachora* ii no. 98; *Délos* xvii 91, no. 4, pl. 55 C; *Megara Hyblaea* ii pl. 39. 2.
[5] For the type: *NC* no. 201. Examples from EC groups: *Corinth* vii. i nos. 263–74; *Hesperia* xvii (1948) 223, D 47–52 (from Corinth); *MA* xvii 109, fig. 76 left (from Gela, with abnormal scheme).
[6] Further EC fragments and part of a Transitional (?) plate were found in this level in 1965.

EXCAVATIONS
AT TOCRA
1963–1965

THE ARCHAIC DEPOSITS II
AND
LATER DEPOSITS

by
JOHN BOARDMAN
and
JOHN HAYES

SUPPLEMENTARY VOLUME NO. 10

Published by
THE BRITISH SCHOOL OF ARCHAEOLOGY AT ATHENS
THE SOCIETY FOR LIBYAN STUDIES
THAMES AND HUDSON

always possible that another part of the site will yield earlier material, though as yet there are no signs of any.

Large closed vessels are not particularly common. The earliest of these (**1**, **3**) are mentioned above. The decoration of the second broad-bottomed oinochoe (**4**) deserves comment. Its main motif, a winged 'Mistress of Beasts' holding two swan-like birds by the neck, is one found on a number of vessels placed at about the end of EC, the date of this piece.[1] The same motif appears on another of the Corinthian vases (**31**, see below). A close parallel to the rendering on **4** is provided by a kotyle-pyxis lid from Perachora.[2] The olpe, **6**, is a late example of the form with MC animal decoration. A fine black-glazed oinochoe (**7**) might also be MC. The fragmentary 'white style' oinochoe (**9**) is one of a small series which normally have thin rays above the foot;[3] the base here assigned to it could come from a pyxis. There are three amphorae, all of somewhat unusual form; two of these (**10**, **11**) look like products of the same workshop.[4]

The smaller closed shapes are well represented, aryballoi in particular. The amphoriskoi fall into two well-defined late MC/early LC groups: seven (**13–19**) are pieces with animal friezes, belonging to Benson's 'Gruppe der rückwärtsschauenden Vögel';[5] the rest have simpler banded decoration.[6] Small alabastra are uncommon; all the Tocra examples except one (**30**) appear to be early. The early pointed type of aryballos appears once (**37**, see above); otherwise, apart from one flat-based piece (**127**), all the numerous small aryballoi are of the round type. The great majority of these are late MC or LC, corresponding closely to the types found in the 'group (c)' graves at Rhitsona.[7] A dozen bear mediocre animal-motifs; **38** and **41** are better. Nine more are late versions of the type with three stylized warriors.[8] Quatrefoil aryballoi, and variants of them, number over fifty. Three main types can be distinguished: the first (**70–78**), which is the most elaborate, and which includes the largest specimens, is characterized by a rosette in outline on the rim;[9] the second (**79–95**) has a row of dots round the shoulder; the third (**96–126**) bears no decoration beyond the quatrefoil motif and bands on the rim.[10] Types I and II not infrequently bear subsidiary motifs on the back below the handle; these may be the distinguishing marks of rival workshops. The five pieces **79–83** bear the same mark. Rosettes on the rim similar to those on Type I also occur on two small plain aryballoi (**68–69**). Deposit II produced a piece of Type I; the few stratified examples of the other Types all come from Deposit III, though there is reason to believe that this is due to pure chance.[11]

One of the finest of all the Tocra finds is the large alabastron **31**, a particularly elaborate example of the so-called 'White-dot Style', current at the end of EC and beginning of MC.[12] It portrays on the grand scale a winged 'Mistress of Beasts' with birds (cf. **4** for the motif). The spaces between the figures are skilfully filled with large rosettes and other motifs to produce the 'patchwork' effect which characterizes the developed Corinthian style at its best. Red is used freely, and careful incision is supplemented by a lavish use of rows of small white dots—

[1] E.g. *NC* nos. 380–3; *Perachora* ii nos. 1527, 1553.
[2] *Perachora* ii no. 1897.
[3] Cf. *MA* xlii (1955) 277 fig. 37. 1 = *SE* i (1927) 162, pl. 38 d; *CVA* Copenhague ii pl. 84. 2; *CVA* Univ. of California i pl. 10. 4.
[4] That of the Ampersand Painter (Benson, *Geschichte* 51–52).
[5] *Geschichte* 42–43. A common type.
[6] Perhaps already LC. For a close parallel, cf. *Corinth* xiii grave 188–5.
[7] Ure, *Aryballoi & Figurines, passim*.
[8] Ibid., 39–41, class IV. vi. c.
[9] Cf. *Corinth* xiii 114 for other examples with this motif. These are dated around the turn of MC/LC.
[10] Types II and III are common in the graves of group (c) (of LC date) at Rhitsona. For a general discussion of the quatrefoils of these types from Rhitsona and lists of examples from elsewhere, see Ure, op. cit., 44–46, 102–3, pls. 9–10. Cf. also *CVA* Reading i pl. 5. 2–4 (with comments, pp. 9–10). There are no examples of Ure's group (b) quatrefoils at Tocra.
[11] The comparable examples from Rhitsona come mostly from groups of about the same date as our Deposit II.
[12] Cf. *NC* nos. 380–439, 600–8 B.

there are several hundred on the goddess alone. A virtually identical piece, certainly by the same master-hand, is known from Delos.[1]

The few other large alabastra and aryballoi in the deposits are far less inspiring: a LC alabastron (**32**) with warriors[2] similar to those on the small aryballoi; a series of large aryballoi of the 570's and 560's with a central floral motif flanked by animals, each worse than the last;[3] another (**36**) of similar date with a broad black band on the body bearing vertical incisions.[4]

There is a good series of globular pyxides. The majority are of the type with a short vertical rim and handles on the shoulder, though there are a few of the flat-rimmed handleless type. Most of the larger ones bear animal friezes of MC or LC style; the best of these is **133**. Three (**134–5**, **140**) appear to be by the Ampersand Painter.[5] Alternative schemes consist of floral chains, either lotus-and-bud (**130–1**) or double palmette-and-lotus (**138–9**). The smaller versions, together with the large vase **132**, are mostly decorated in the 'White Style'; a couple (**147–8**) bear floral chains. The concave-sided pyxides and related tripod-pyxides are mostly late (MC/LC) and simply decorated. The animal decoration of **159**, however, probably belongs to the later part of EC, being comparable with that on the lids **206–7**. A few other bodies and lids appear to match each other; see **162** and **211**, **163–6** and **221**.

While considering the pyxides, we may note that the discrepancy in the number of bodies and lids found on certain other sites[6] is not to be observed here: both domed and flat flanged lids occur in approximately the same numbers as the corresponding pyxis-types, though exact matches are rare. Among the finds so far, what seem to be early lids are commoner than early pyxides.

The EC and earlier MC lids are all of the flat-flanged type, with high moulded knobs. **205**, the earliest, exhibits the archaizing animal style of the Mykonos Painter;[7] **206–7** (late EC?) and **208** (early MC?)[8], with their silhouette animal friezes, seem to be derivatives of the style. The more numerous later lids (probably late MC to LC) have small flattened or inverted conical knobs; all the domed ones are of this type. Most of the domed lids are decorated with plain bands; among them are two late examples with an unusual angular shape (**194–5**), from Level 6. One lid (**223**), perhaps from a tripod-pyxis, is of a simple low conical form. In addition to these, one may note several powder-pyxis lids with simple patterns, all of the same general type (**229–32**); these are probably LC.[9]

Of the three fragmentary kraters **233–5**, one has a banqueting scene on the shoulder and animals on the belly,[10] the latter rendered in a rather broad and sketchy late MC style, without filling ornament, rather like that found on the cups **276–93**. The others are black-glazed, with handles that are attached direct to the outside of the rim; one may compare the arrangement with that on some EC kraters (though there a short connecting strap is usually found)[11]. The

[1] *Délos* x no. 451, pls. 33, 67; *NC* no. 381; Benson, *Geschichte* 38 'Delosgruppe' no. 5.
[2] Cf. British Museum 60. 4-4. 13 = A 1020 (*NC* no. 1232); *NC* nos. 1230–1 are of similar type.
[3] For the general type, see *NC* nos. 831–5, 1264–91. A close parallel to **32** is *CVA* Mainz i pl. 31. 3–4.
[4] Cf. *NC* no. 1294.
[5] See p. 22, n. 4.
[6] *Perachora* ii 175.
[7] Cf. especially *Perachora* ii nos. 1821–2.
[8] Cf. especially *Perachora* ii nos. 1873–4. The same style of decoration is found on a kotyle from a dated group at Corinth (*Corinth* xiii grave 159–5).
[9] Other examples of this type: *Thera* ii 23, no. 35, fig. 49; *MA* xvii (1906) 40, fig. 10 *bis*, and 374, fig. 278 (both from Gela); *Megara Hyblaea* ii pl. 56. 5; *CVA* Karlsruhe i pl. 39. 2. The Thera example, from the 'Massenfund', should be LC. Two pieces from Corinth (*Corinth* xiii graves 157–9, 168–9) may be the immediate predecessors of this type; they are dated to *c.* 580–70.
[10] For the general type see Pottier, *Vases antiques du Louvre* i pls. 45–9; *NC* nos. 1161–96. Banqueting scenes occur on several of these; ours, with dogs below the couches, may be regarded as a debased version of that on the Eurytos krater (*NC* no. 780). For similar rim and handle decoration, see *Corinth* vii. i no. 319, and *Megara Hyblaea* ii pls. 49. 1-2, 50. 1–2, among other examples.
[11] Cf. *Corinth* vii. i no. 233, and *Hesperia* xvii (1948) 218, D 13, pl. 79; both of these are EC. A fragmentary example from Thera (*AM* xxviii (1903) 203–4, fig. 55, M 2) has a decorative scheme closer to that of the Tocra vessels.

over a hundred of these have been catalogued, excluding miniatures. Typical of the examples from Deposit I are those with 'running dogs' (**343–50**)[1] or with silhouette animals on the body and wire-birds in panels at the rim (**341–2**).[2] On one of the former (**350**), some passing whim of its maker has resulted in a dog's head being incised, contrary to the usual practice; the neat drawing is very much in the Protocorinthian manner. Also found in Deposit I are the black-glazed examples with red and white lines already mentioned (**426–9**). All the above are presumably EC; the great majority of the kotylai, however, are of MC and LC types, as we shall see.

Of the kotylai with figure decoration employing incision, the only one likely to be EC is **313**, a rather odd specimen in a poor style. On the rest, which range from MC to LC in date, friezes of goats and panthers predominate. Some of these are quite well drawn (e.g. **322–3**), but a greater number have elongated sausage-shaped beasts (see **314, 319, 329**, etc.).[3] In a contrasting style are several large kotylai with broad friezes. They include three by the Patras Painter,[4] one bearing sphinxes[5] and the others with his distinctive chains of crudely-drawn dancing women (**333–5**)[6]; one of the animal-kotylai (**330**) may also be by him.[7] The motif of **333** reappears in a different style on the large kotyle **336**. **333–6** mark the transition from MC to LC; more typically LC are three others with skimpy sirens and sphinxes and no filling-ornament (**337–9**).[8] A fragmentary specimen with komasts (**340**) belongs to the same general class.[9]

The later stages in the history of the silhouette animal style are particularly well documented here; over forty kotylai bear this kind of decoration.[10] **353–5** may be assumed to be the immediate successors of the EC 'running dog' type noted above; on these, while the dogs remain unaltered, red bands make their appearance on the body and the stripes at the rim, formerly arranged in groups, are made continuous. These pieces are perhaps to be put in the earlier part of MC. In the next stage filling-ornament in the form of dots is introduced into the frieze, and a red band on each side of the frieze becomes standard, with thin stripes below. On yet later examples (**370–81**) the running dogs degenerate into unrecognizable creatures or are replaced by stick-legged goats, and the dot-fillers show a tendency to multiply into a 'hailstorm' (cf. the plates **302–5**). These presumably date from around the beginning of LC.[11] On other examples of similar date the stripes round the base are replaced by lines and bands, as on the contemporary figured pieces **337–9**. All of these phases are represented among the finds from Deposit II.

There is a considerable range of patterned and banded types. **412**, from Deposit I, should be

[1] See p. 21; also *NC* no. 191, fig. 9 c. A very common type.
[2] Cf. *MA* xxii pl. 51. 4 = *NC* no. 194 (from Cumae); *Hesperia* xvii (1948) 222, pl. B1, D 44–45 (Corinth); *Megara Hyblaea* ii pl. 44. 6. Rubensohn, *Delion* 119–20, pl. 21. 8 is similar, without the wire-birds.
[3] Four large examples from Taranto (*NSc* 1940, 326, figs. 16–18; *Boll. d'arte* xlvii (1962) 155, no. 2, fig. 6 c) illustrate well this tendency.
[4] Benson's 'Gruppe der Frauenstiege' (*Geschichte* 42).
[5] Cf. *Hesperia* xvi (1947) pl. 55. 4; *CVA* Madrid i IIIC pl. 4. 3.
[6] Cf. Mauser, no. 89, fig. 6; *Delos* xvii 102, no. 81, pl. 63 B; *Hesperia* i (1932) 71–72, fig. 15 (Corinth); *Corinth* xiii grave 162–3; *Perachora* ii no. 2508. The current dating of this type is early in the second quarter of the sixth century. For a discussion of the subject-matter, see Jucker, 'Frauenfest in Korinth', *Antike Kunst* vi (1963) 47–61.
[7] The filling-ornament is in his style. Cf. *Corinth* vii. i no. 337; *Corinth* xiii grave 147–2; *NSc* 1951, 299, fig. 33 left (Syracuse); *CVA* Braunschweig i pl. 5. 2–3.
[8] Cf. *NC* nos. 954–7, 1335–7. Close to our pieces are: *Annuario* 37/38 (1959–60), 143, tomb 67. 3–4, figs. 118 c, 120 (from Taranto); *MA* xxxii (1927) 317, 319, pls. 84. 4, 86. 6 (Selinus); *NSc* 1962, 377, fig. 52 d (Gela).
[9] Cf. *NC* nos. 958–9 for the type.
[10] See *NC* nos. 965–9 for this category; the published examples from other sites are relatively few. Apart from those cited by Payne, the following parallels to the Tocra pieces are known to me: *MA* i (1890) 822, with fig. in text (Megara Hyblaea); *MA* xxxii (1927) 321, pl. 89. 7 (Selinus); *NSc* 1937, 325, fig. 78 bottom left (Foce del Sele); *NSc* 1962, 371, fig. 44 b (Gela); *Corinth* vii. i nos. 339, 341; *Hesperia* xx (1951) 295, pl. 91 b (Corinth); *Corinth* xiii grave 163–1, –2; *Perachora* ii nos. 2500, 2502. Examples also exist with goats and no filling-ornament: see *Delos* xvii 102–3, no. 83, pl. 58 A; also *CVA* Heidelberg i pl. 20. 5.
[11] The Corinth examples listed above (n. 10), which are of this variety, come from groups of about this date.

Tocra examples, from Deposits II and III, are probably MC. A miniature krater with animal decoration (**236**) is also present.

Miniature versions of closed forms are not at all common (at least in the Archaic levels[1]). They comprise a few examples of the standard black-glazed conical oinochoai[2], two examples of monochrome ware (**241–2**)[3] and a few miniature kothons (**260–3**).

Kothons in general are numerous; among them are several near-complete examples in the 'White Style', including the miniatures. Examples of other types are fewer: one piece with silhouette animals (**248**);[4] two of the MC type with knucklebone handles, bearing floral decoration; a later one with a lotus-and-bud chain on top.

The four kalathoi, **265–8**, are all stratified; the three in Deposit I are presumably EC. All are of the black-glazed variety. These should help to define the dating of the type. Less common open forms present include a plain black-glazed mug (**264**), and black-glazed bowls and lekanai,[5] including the stemmed varieties.[6]

Decorated cups appear in considerable numbers. Apart from one EC fragment with stripes (**275**),[7] all are of the late type decorated with griffin-birds and birds.[8] The finding of fragments of these in Deposit II serves to confirm a date around the 570's and 560's for this type.[9] No less than sixteen examples (**276–91**) appear to be from a single workshop (that of Benson's 'Vogelfriesmaler'[10]).

The plates (**294–312**), which include a dozen more or less complete examples, are particularly noteworthy. Three of these (**294–6**) form a new EC group, decorated with large star-patterns. These and the small simple feet are based on Protocorinthian and Transitional models,[11] but the regular groupings of red and white lines on the glazed parts indicate an EC date. The group may be regarded as the counterpart of the EC type of black-glazed kotyle, here represented by **426–9**. The rest of the larger plates are MC, and all basically alike in shape and size, bearing various forms of animal decoration. Several of them are duplicates: **297–300**, with their large animal friezes, come from the same workshop; there are five examples (**302–5** and the variant piece **306**) of the group with silhouette animals and 'hailstorm' filling-ornament.[12] **307** is closely related in style to the last, but dispenses with normal filling-ornament. A finer and probably rather earlier example of the silhouette style is provided by **301**. The most elaborate example of the animal style is the fragmentary piece **308**, which may be restored with a two-zone scheme; this too, from the style of the animals, should be MC. A small 'cana'[13] (from Deposit II) and a miniature plate with recurved handles, decorated in a similar style to the powder-pyxides **229–32**, and therefore probably LC, complete the list.

The commonest Corinthian vessel-type at Tocra, as might be expected, is the kotyle; well

[1] Miniatures of Late Archaic and Classical types occur in some numbers; these will be published together with the later finds.
[2] *NC* no. 758.
[3] See *Perachora* ii 314 ff. for this fabric. Our examples certainly appear to be Corinthian. For parallels to **242**, see ibid. nos. 3324–8; for **243**, cf. no. 3309. Vases like **243** are widespread; for close parallels see *Délos* x no. 539, *Thera* ii 52, fig. 169; Ure, *Aryballoi & Figurines* 19 pl. 3, grave 134. 3–4 (Rhitsona); *Megara Hyblaea* ii 73 pl. 60. 1–2. *Hesperia* ix (1940) 303, fig. 43 is an Attic copy.
[4] The unusual treatment of the animal-frieze can be matched on the kotyle fr. *Perachora* ii no. 2499.
[5] Cf. *NC* nos. 715–19, 1008–13 for similar lekanai.
[6] For the full form of the stemmed bowl **269** see *CVA* Louvre vi pl. 10. 10.
[7] Cf. *Corinth* vii. i nos. 212–13; *Hesperia* xvii (1948) 220–1, pl. B0, D 32–33 (Corinth); *MA* xvii (1906) 109, fig. 76 centre (Gela); *MA* xxxiv (1931) 311, 356, fig. 24, pl. 14. 15 (Populonia). All of these are from EG groups.
[8] Cf. *NC* nos. 1342–8; *Perachora* ii nos. 2549–50. A common type.
[9] The examples from Taranto (*Annuario* 37/38 (1959–60), 162 ff., figs. 140 b, 141, 157 g, 158) are from graves of this period. A very debased example from Corinth (*Corinth* xiii grave 222–1) may be as late as the middle of the century.
[10] *Geschichte* 57.
[11] For the form, see Callipolitis-Feytmans, *BCH* lxxxvi (1962) 147, figs. 11–13; for the star-pattern, ibid. fig. 1, and *Perachora* ii nos. 735, 739, 754.
[12] Cf. Callipolitis-Feytmans, op. cit. 156, nos. 91–106.
[13] For the form, ibid. 143–5.

This presumably catered for a resident community, since its products—plain and decorated—are functional rather than votive.

CORINTHIAN

1823–1974 (PLATES 1–E)

Corinthian is, as before, the commonest imported ware, occurring in abundance in all the Archaic and Classical levels. Some one hundred and fifty further examples have been selected for publication. In the earliest levels (Deposit I) alabastra and aryballoi of the standard Early Corinthian varieties (see **1832–45**) and small kotylai of black-glazed and 'running dog' types (**1889–94, 1901–7**) are the commonest shapes. The later aryballoi—especially the quatrefoil series—do not occur in anything like the quantities previously noted.

no. 3 **1840**. Scale 1:1.

Among the several finds of the ware from Level 11 in Deposit I the most noteworthy is a plate of very early appearance (**1880**). The simple profile and decorative scheme of this vessel—fine banding and massed wavy lines—suggest a Protocorinthian date, though close parallels are lacking.[1] Whether it is to be regarded as an heirloom piece (like *Tarsa* i, 2) or as a late survival of an early decorative style (like the cup **275**) is uncertain; a Late Protocorinthian or Transitional dating may be suggested. Another example of an early shape is the scrap **1839**, almost certainly part of a piriform aryballos. However, in this case an EC date seems likely, for the fine miniature style can be paralleled on a number of round aryballoi of the period,[2] which also show the hook pattern (not a normal Protocorinthian motif).

1. A certain resemblance to the plate, *Perachora* i, 62, pl. B 1 and pl. 123. 13, may be noted, though this should be much earlier (late eighth century?). For individual motifs, cf. also *Perachora* ii, nos. 744, 759, 760, 982, 30, 34. Protocorinthian plates seems on the whole not to have been very standardized.
2. See *Perachora* ii, 149, no. 1371, pl. 61, with refs. cited.

the earliest piece among them (EC); **395** is a later version of the same type. The most striking groups, from the point of view of decoration, are the specimens with a fretwork pattern of linked semi-circles enclosing smaller motifs (**403–8**),[1] and two larger pieces (**409–10**) with a palmette-and-lotus frieze at the rim and a subsidiary geometric pattern halfway down.[2] Both may be assigned to the latter part of MC, on general stylistic grounds. The unusual tall banded vessels **413–15** also deserve a mention. **424–5** are of later date than the main bulk of the material; they represent a type common from the late sixth century until the second quarter of the fifth.[3] These are presumably to be assigned to the phase of Level 6.

Most of the smaller black-glazed kotylai may be classed as MC–LC;[4] a few are EC (**416–9**, see above). **446**, from Deposit III, ought to be one of the latest here; its glaze, unlike that of the others, was applied by a double-dipping process. The six large black-glazed specimens, **447–52**, divide neatly into three pairs, illustrating successive stages in the development of the type from early in the sixth century onwards. The earliest pair retain the rays round the foot normal in EC;[5] the next two have thin stripes, like most of our smaller specimens; the latest have the long straggly rays found from about 550 onwards.[6]

Miniature kotylai are present in great numbers, being the most popular form of votive offering here as on several other sites.[7] Almost all are of one type, with stripes at the rim and glaze bands below.[8] The stratigraphical evidence confirms an early to mid-sixth-century date for this type. Also of patently votive character are a few fragments of *phialai mesomphalai* (**574–9**). One of these comes from Deposit III, and none are likely to be earlier than LC.[9] The few other examples of Corinthian votive vases here are noted above.

Conical stemless (PLATES 3–4)

1****. (Body from Deposit II, Level 8) H. 27.1, D. of base 18.5. Frieze: sphinx, bird, sphinx, lion, bull, lion (one further animal missing); numerous filling-ornaments. Fine style. Incised tongues round base of neck, triple dot-band above frieze, broad triangular rays round base. On neck, tall meander, with bands of wavy lines above and below, separated by multiple lines. S-chain on handle. Red additions (worn off in places) on shoulders of lions and bull, faces and wings of sphinxes, and wing of bird. Tongues: 2 red—2 black—2 white(?)—2 black, repeated. (End of Middle Protocorinthian)

2*. (Deposit I, Level 9) H. pr. c. 14.8. Neck and part of shoulder. Black-glazed, with incised 'tongues' (square-ended) on shoulder; every third or fourth tongue painted either red or yellow-brown. (EC)

Broad-bottomed stemless (PLATE 4)

3*. D. of base 17.4. Base and part of body mended into one piece; neck, handle and other fits (probably from same vessel) separate. Low flattened form, flat base, strap-handle. Rayed round base, rest glazed. Incised tongues below neck (red-black-white-black repeated), multiple red and white lines on glaze above rays and below tongues. (Transitional)

[1] This unusual pattern recurs on a fr. from Foce del Sele: *NSc* 1937, 325, fig. 78 top left. Two frs. from Selinus (*MA* xxxii (1927) 321, pl. 89. 4–5; perhaps from the same vessel) are very similar.
[2] Cf. *NC* nos. 570–1; *Perachora* ii nos. 2483–7 (with refs. cited). Perachora 2483 and the Naukratis example (= British Museum BL 6–1. 522) correspond in scheme to **410**, Perachora 2486 to **411**.
[3] For this type, see Palmer's discussion, *Corinth* xiii 123 (under the heading 'pattern skyphoi'). Cf. also *Perachora* ii nos. 2547–9, 2552 (with bibliography). Pieces from dated contexts elsewhere: *Athen Mitt* xv (1933–5) 44, fig. 23 (Argos); *Hesperia* ix (1940) 411, nos. 20–1, fig. 42 (Malia); *MA* xxxvii (1938) 621, fig. 28 (Palma di Montechiaro, Sicily); *NSc* 1954, 306, fig. 5. 4 (Megara Hyblaea).
[4] See classification by Palmer, *Corinth* xiii 106–8. Our examples correspond in general to her group ii.
[5] This unusual pattern occurs on a fr. from Foce del Sele: *NSc* 1937, 325, fig. 78 top left. Two frs. from Selinus (*MA* xxxii (1927) 321, pl. 89. 4–5; perhaps from the same vessel) are very similar.
[6] Cf. *NC* nos. 570–1; *Perachora* ii nos. 2483–7 (with refs. cited). Perachora 2483 and the Naukratis example (= British Museum BL 6–1. 522) correspond in scheme to **410**, Perachora 2486 to **411**.
[7] For this type, see Palmer's discussion, *Corinth* xiii 123 (under the heading 'pattern skyphoi'). Cf. also *Perachora* ii nos. 2547–9, 2552 (with bibliography). Pieces from dated contexts elsewhere: *Athen Mitt* xv (1933–5) 44, fig. 23 (Argos); *Hesperia* ix (1940) 411, nos. 20–1, fig. 42 (Malia); *MA* xxxvii (1938) 621, fig. 28 (Palma di Montechiaro, Sicily); *NSc* 1954, 306, fig. 5. 4 (Megara Hyblaea).
[8] See classification by Palmer, *Corinth* xiii 106–8. Our examples correspond in general to her group ii.
[9] For another MC example with rays: *Corinth* xiii grave 136–4, pl. 90 (with red and white lines).
[10] Palmer's group iii (op. cit. 106, 108). Cf. *Hesperia* vii (1938) 389, nos. 101–14, figs. 15–16 (from Corinth), and *NSc* 1952, 333, fig. 10 a (from Centuripe); these come from groups of the period 550–500/480.
[11] See Payne's comments on the subject (*NC* 334–5). At Perachora the range of votive types was much wider (*Perachora* ii 250 ff.).
[12] The dating of these is discussed by Payne (*NC* 334), and, more recently, by Palmer (op. cit., 106, under 'miniature pattern skyphoi').
[13] For similar types, see *Perachora* ii 258–9, pl. 120, especially nos. 2991, 2995, 3000, 3003. The Tocra specimens are consistently larger than these pieces (which appear to be mainly MC); they have hollow omphalos and suspension-holes, features not usually present on the earlier pieces.

date.[8] The black-glazed fragment **1878** probably belongs to a shallow bowl of segmental form with a low foot.[9]

A rare round-mouthed jug-form may be seen in the monochrome vessel **1971**, from Deposit III. The few other vases of comparable form indicate that this originally had a high cup-shaped mouth. It falls chronologically between two jugs from Rhodes[10] and Gela,[11] and some smaller late sixth-century pieces from Corinth.[12] The former have a greater elaboration of the neck-mouldings, while the latter have a simple narrow neck with a cup-shaped rim; the Tocra jug provides the missing link in the development of the shape. **1972**, which seems to be derived from the aryballos series, could be regarded as a smaller version of the type.

The status of the tall conical lid **1973** is uncertain; it, and its duplicate *Tocra* i, **1450**, could be Corinthian votive products, to judge by their fabric, though good parallels are lacking. Another extremely unusual piece is the stamped fragment **1974**, in standard Corinthian gritted amphora fabric. It is not clear what kind of a vessel it comes from; a date around 600 B.C. seems indicated by its findspot. For further Corinthian coarse-ware amphorae, see **2255–6** below.

Miniature kotylai again occur in great profusion; only the most complete specimens are noted. A classification of the various types present is offered in the Catalogue. The listed pieces from the 1964 excavation (noted briefly in *Tocra* i) have been re-examined, with a view to better determining the relative frequency of individual types in each deposit or level (see notes in Catalogue). No examples of the four types listed are recorded from Deposit I, where the small 'running dog' kotylai take their place. Types 1 and 2 may be seen to occur regularly in both Deposit II and Deposit III, indicating a period of production spanning both the second and the third quarter of the sixth century. A variant of Type 1 (see **1920–1**) seems, however, to be more or less exclusive to Deposit II. Types 3 and 4 are clearly later varieties, occurring mainly, if not exclusively, in Level 6 contexts, and here datable in broad terms to the late sixth and early fifth centuries.[13] The pattern of development revealed by the Tocra finds is generally corroborated by finds from other sites (e.g. the North Cemetery at Corinth).

Black-glazed miniatures

Though some vessels of this class were found in 1963–4, publication of them was deferred on

8. See *Corinth* xiii *passim* for tricorne lids used on wide-necked and narrow-necked oinochoai of broad-based type, and on globular-bodied oinochoai. The dimensions of these lids fall within the following ranges: on wide-necked type—*c.* 8.8–10.2, on narrow-necked type—*c.* 6.0–8.8, on globular type—*c.* 5.8–9.0. Since the globular oinochoe was not introduced until the later sixth century it does not enter into the picture here; **1829** therefore should come from a broad-based piece of narrow-necked type (as *Tocra* i, 3-4).
9. As *Amuurio* 37/8 (1959–60), 58–9, figs. 41 b, 42 (with refs. cited).
10. *Amuurio* vi/vii (1933–4) 269–70, fig. 170; *CVA* Rodi ii, IIIC pl. 3.1 (with animal-frieze in Late Corinthian style). The decoration on this is matched on a jug in Karlsruhe (*CVA* Karlsruhe i, pl. 41.1), which has only the body preserved.
11. *MA* xvii (1906) 299, fig. 221 (monochrome). This is the piece which most closely resembles the present example (which is restored accordingly); its context does not permit a very precise dating. For a second (undated) example of the type from Gela, see *NSc* 1960, 151, no. 8, fig. 17 a.
12. *Corinth* xiii, grave 253-2, pl. 34 ('late sixth century'); *Hesp* xxiv (1955) 132, pl. 51, no. 6 (from Isthmia). A second example from Corinth (*Corinth* xiii, grave 296-2, pl. 41, dated to the early fifth century) is related to the Tocra piece, but has a foot.
13. For examples of Type 3 from other sites, see Pease, *Hesp* vi (1937) 284, no. 81, fig. 20; *Hesp* xxi (1952) 196, no. 198, pl. 53 (Argive Heraion); *Perachora* ii, no. 2955, pl. 119, with refs. cited; *Corinth* xiii, pl. 53, deposit 12-e; Stucchi, *L'Agorà di Cirene* i, 43, fig. 21 f, pl. 12.10. There are further examples in Cyrene Museum (from old excavations). Type 4: see *Tocra* i, 26, no. 3.

Among the smaller closed vessels, an early alabastron with florals (**1836**) and an early, though very fragmentary, aryballos of the flat-based type (**1846**) may be noted. The common EC 'footfull' aryballos[1] occurs in a single example (**1840**). All of these come from Deposit I.

The later figured vessels are of no particular merit: a fragmentary broad-based oinochoe with a typical MC/LC animal frieze (**1837**),[2] and a few pyxides and kotylai (**1839–2**, **1884–5**) of broadly similar date with poorly drawn animals. Two EC kotylai from Deposit I (**1882–3**) are equally mediocre. A MC plate with a panther-bird motif (**1881**) stands apart from the commonest Tocra series. Some new varieties of the silhouette class are present; the unusual feature of a shoulder frieze of silhouette animals on the pyxis fragment **1856** and the early-looking animals on the kotyle **1886** merit attention.

There are some good examples of the Late Corinthian floral style. A well-preserved globular pyxis (**1834**) from Deposit III, and the large kotyle **1895** exhibit the large floral chains popular

ca. 4 *obols*. Scale 2:3.

on vessels of the middle years of the sixth century.[3] Another pyxis, **1854**, with a row of buds on separate stems and a zigzag pattern of 'stepped' blobs on the shoulder, typifies the 'Conventionalising' style of the early fifth century;[4] it unfortunately lacks a precise findspot. A single example of the Late Corinthian red-ground style is present, in the form of fragments of a pyxis bearing a double lotus-and-palmette chain (**1855**).

Several examples of the popular EC 'running dog' kotylai are present in the early levels. The products of a number of workshops, differing markedly in quality, can be distinguished among these and the pieces already published in *Tocra* i.

Of the vessels decorated in the 'White Style', the hydria **1831** is a rare type; its probable form is given by a complete piece in Taranto.[5] The broad-based oinochoe **1828** is an odd later development of the shape represented by **1827**.

The two oinochoe lids **1829–30** add a new shape to the Tocra repertoire. The larger one (**1829**) may be assumed to belong to a broad-based oinochoe, to judge by its size and its early

3. *MC* no. 658, fig. 126, for further examples, see *CVA* Heidelberg i, pl. 12.4, and *CVA* Leipzig i, pl. 31.1–2, with bibliography cited. At Taranto the type is present in great groups ranging from EC to the beginning of MC (see *Amuurio* 37/8 (1959–60), 59 ff., figs. 41–2, 51.1, 52.1, 61.1, 62.1).
4. For the shape, cf. the contemporary piece, Robinson, Harcum & Iliffe, *Greek Vases at Toronto* no. 187 (museum no. now 979.5.109), by another hand.
5. For **1831**, cf. especially *Amuurio* 37/8 (1959–60), 218–19, figs. 155 a, 156 b, from Taranto (tentat.: c. 550). Related patterns: *Corinth* xiii, pl. 33, 104–5, and Deposit 48-a. For a later version of the kotyle **1895**, see Lyr, *Early and Fifth Century Pottery* pl. E 126.87. For **1898**, cf. *Perachora* ii, nos. 2868–9, pl. 114, with parallels cited. Finer counterpart of **1832**: *CVA* Bibl. Nat. i, pl. 15.14.
6. For a similar combination of motifs, see *Perachora* ii, no. 3604, pl. 119 (with linked heads); also *MA* i (1890) 868, with fig. in text (from Mégara Hyblaea). Similar bird-motifs: *CVA* Frankfurt i, pl. 19.4; *Mégara Hyblaea* ii, pl. 32.2; cf. also *CVA* Karlsruhe i, pl. 42.19 (*NC* no. 1488). The zigzag pattern occurs on many different types of vessel; for some examples see *CVA* Heidelberg i, pls. 13.3, 19.3; *CVA* Reading i, pl. 2.10; *CVA* Louvre viii, pls. 20.8, 23, and 27.18; *Corinth* xiii, grave 251-3 (described as 'vase patterns').
7. *Amuurio* 37/8 (1959–60), 203, fig. 182 b (tentat.: close to 550). Cf. also the oinochoe *CVA* Univ. of California pl. 10.4.

account of uncertainties regarding their date; thus the finds from all seasons are listed in the present volume. It should be noted that well-dated parallels from Corinth and other places are rather few. The 1965 excavations at Tocra provided further evidence for the dating of the various types present, so that a division into Late Archaic and later types may now be attempted. The latter will be found among the Classical vessels (see p. 94). The basic problem has been difficulty in identifying material from Level 6, which in many places could not be clearly distinguished from Level 5 or from the top of Level 7 below.

It now seems probable that most of the miniatures of this class from Tocra belong to the Late Archaic phase. A series of rather plump hydriai may be placed here on the secure evidence of **1954**, from Level 7; a number of varieties of the basic type can be distinguished.[14] The presence of **1968** in Level 6 or 7 indicates that a number of open kraters with handles against the rim are of similar date.[15] To these may be added a small bowl with a basket-handle (**1965**).[16] These types are generally rather neatly made and thin-walled, like the miniature kotylai of the sixth century; all have thin flaring rims. Wire-drawn bases are the rule (as on many of the kotylai). The black coating in general covers the whole of the body, though the bottom is sometimes left unpainted. A possible forerunner of the distinctive hydria shape may be seen in a patterned example of Middle Corinthian date from Corinth;[17] the later (late fifth–fourth century) finds from there do not include examples of this form. A local votive from Level 6 (**2349**) may be a copy of this shape. The common sixth-century kalathos shape is also represented in a miniature from Level 7 (**1964**). A small bowl from Level 6 (**1970**) may be classed as an early specimen of a fifth-century type.[18]

ADDENDA TO *Tocra* i

7. Most of rim, neck and shoulder and parts of handles added. D. of rim 9.4. Rim- and neck-profile: FIG. 5. Paint on these pieces almost entirely vanished.

264. Now to be classed as Cretan; see p. 37.

269. Foot added; see FIG. 5 for complete profile. D. of foot 7.9. Low heavy-stemmed foot; edge broken, but probably had a high flange, similar to that on *CVA* Louvre vi, pl. 10.10. Traces of a red line on edge at bottom.

2757. PLATE 1. Fr. added (Level 8), giving more of scheme: in handle-zone, row of short stripes flanked by longer stripes. Cf. *Corinth* vii, 1, nos. 157, 212–13, pls. 22, 29; *Perachora* ii, nos. 694, 698, and the pieces cited in *Tocra* i, 24, n. 7; also d'Agostino, *NSc* 1968, fig. 14 on p. 95 (especially XXXIV.11).

279. Base and part of body added. Standard scheme; paint mostly vanished.

For remarks on the attribution of Corinthian pieces in *Tocra* i see Amyx, in *Gnomon* 1969, 683 f., and 682 f. on the chronological implications (for 'Hayes' read 'Payne' twice on p. 682, five times on p. 683).

* * *

Oinochoai, broad-based (PLATE 1)

1827. (Late level) D. of base 16.6. Most of base, and loose fr. of frieze. Flat bottom with groove near edge, small base-moulding. Frieze: feline r., with red additions; thick filling-ornament. Below, red band (under black paint), broad black band, bearing two spaced-out white lines, red line, rays; base-moulding red. Lump of another vessel (paint visible) embedded in clay just above base. (End of MC/LC)

1828. (Level 7, disturbed) D. of base 9.4. Fragmentary, top missing. Small version, with low body of inverted bowl-shaped form. White Style. Neck black, with red line at junction with body; black-red-black lines below handle, black line lower down, base-moulding black. Remains of strap-handle, black. (LC)

14. For similar pieces (undated) see *Perachora* ii, nos. 3259–61, pl. 123.
15. Other examples of the type: *Lindos* i, no. 2605 pl. 125; Stucchi, op. cit., 43, pl. 12.9 (in a votive deposit closed *c.* 500). For more debased versions, see *Hesp* vi (1937) 289, nos. 133–5, fig. 23 (in a late fifth-century group).
16. For the general type, cf. *Lindos* i, no. 2604, pl. 125; *Perachora* ii, nos. 3121–2, pl. 121; also the earlier(?) piece Ure, *Sixth and Fifth Century Pottery* 92, pl. 10, grave 115.40, with more upright rim.
17. *Corinth* xiii, pl. 18, 135–2. For the treatment of these pieces, cf. also ibid., pl. 35, 247–2 (dated 'second half of sixth century').
18. Cf. ibid., graves 344–7 and 367–13,14, from later fifth-century groups. These are cruder and flat-based. For a derivative, see **2368**.

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية
Mohmmad Bin Ali Assanosi University
كلية التأريخ والحضارة
المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية
العدد السادس / 2021

المرأة الرومانية بين الحياة السياسية والعامة في العهد الامبراطوري

صغور صونية طابة دكتوراه LMD
تخصص حضارات قديمة
جامعة الجزائر-2-أبو القاسم سعد الله

ملخص:

حظيت المرأة في المجتمع الروماني بمكانة مرموقة خاصة في العهد الامبراطوري مقارنة بالمجتمعات القديمة الأخرى، فحياتها لم تكن بمعزل عن الحياة العامة والحياة السياسية مقارنة بنظيراتها اليونانيات، حتى وان كانت محددة الأهلية القانونية نجدها في كثير من الأحيان لا تختلف عن الرجال بالرغم من عدم التساوي التام بينهم الا أنها استطاعت أن تمارس حياة مستقلة خاصة مع تشريعات العهد الامبراطوري، التي حسنت من وضعها الا أنها رغم ذلك لم تغير من أهليتها القانونية والتي منعتها من أن تكون لها حصة في الشأن العام وغير مؤهلة لتمثيل الأخرين، الا أنها مارست العديد من المهن والحرف فنجد الطبيبة والقابلة والممثلة وسيدة الأعمال وغيرها، كما أن عدم قدرتهن على المشاركة في الحياة السياسية لم يمنعن من التدخل في الشؤون السياسية سواء بطريقة مباشرة أو عن طريق أفراد عائلتها خاصة وأن نفوذ المرأة الرومانية كان يزداد بنفوذ عائلتها وتأثيرها في المجتمع ما يدعونا الى التساؤل التالي هل لعبت المرأة دورا هاما في الحياة السياسية وكيف كان تأثيرها على الحياة العامة؟

Abstract :

Women in Roman society enjoyed a special status in the imperial era compared to other ancient societies. However, she was able to exercise an independent life, especially with the legislation of the imperial era, which improved her status but which nevertheless did not change her legal capacity, which prevented her from having an interest in public affairs and not being qualified to represent others, but it has exercised many of them Their inability to participate in political life did not prevent them from interfering in political affairs directly or through members of its family, especially as the influence of Roman women increased the influence of his

family and his influence in society, which leads us to question ourselves. Have women played an important role in political life and what has been their impact on public life?

مقدمة:

في ظل الامبراطورية الرومانية وعلى عكس النساء في المجتمعات اليونانية اللواتي لم يسمح لهن بالخروج من المنزل على اعتبار أن النساء مكانهن في المنزل لرعاية وتربية الأطفال ونسج الصوف وصناعة الملابس لها ولعائلتها، لم يكن ذلك مطبقا على النساء الرومانيات اللواتي لم يكن لزوما عليهن الوقور في منازلهن بل شاركن في الحياة العامة مثلهن مثل الرجال، فتمكنت بعض النساء من الحصول على درجة من الاستقلال، كما صدرت قوانين لتنظيم ملابس ومجوهرات النساء الأثرياء وبدا النسوة يحسن من مظهرهن من خلال الماكياج الزائد والشعر المستعار وكلها شوهدت على أنها خيانة للأمانة وزيف للشخصية، كما قام أغسطس بفرض قوانين تهدف الى تعزيز الزواج والانجاب والذي كان في تراجع.

هذا واعتبر التدهور المفترض لفضيلة المرأة مؤشرا على أن هناك شيئا خطأ في المجتمع[1]، فأصبح هناك نساء عاهرات كن يلبسن التوغا بدل الستولا ويسجلن أنفسهن في سجل العاهرات حتى يتخلصن من ضروب العقاب التي تفرض على الزانيات، حتى أنهن كن يتقاضين أجرا (ربع آس)[2] اللواتي عرفن في غالب الأحيان من ثيابهن البراقة وعطورهن ومغالاتهن بالتبرج.

فالمرأة الرومانية بعدما كانت مهامها مقتصرة على النشاطات المنزلية واحتكار الذكور للحياة العامة والحياة السياسية، والتي صاغها بيارفيدال في العبارة التالية: "**في العالم الاغريقي والروماني تعتبر المدن نوادي للرجال**"[3] ، تحررت في النصف الأخير من القرن الأول ق.م من كثير من القيود التي كانت تربطها بالبيت والأسرة ، وكان يعني هذا التحرر أن تقوم بنصيبها من العمل[4]، ورغم أن الكثيرات كن محدودي الأهلية

([1]) Gregory s'Aldert, Daily life in roman city, Greenwood press, London, 2004, p58.

([2]) ويل ديورانت ، روما قصة الحضارة، مجلد 3 ،ص 398.

([3]) جورج دوبي وميشال بيرو، تاريخ النساء في الغرب، ترجمة سحر فراج،ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005،ص 138.

([4]) ويل ديورانت، المرجع السابق، ص 299،400.

القانونية الا أنهن مارسن مهن متنوعة فنجد الطبيبة والقابلة والمصارعة والساحرة بالرغم من أن المرأة لم تتمتع بالمواطنة الكاملة في القانون الروماني لأنها لم تصوت ولا يمكن انتخابها الا أن هذا لا يعني غيابها عن المشهد السياسي والحياة السياسية فكن يتمتعن بحق الاصغاء للخطب في الفوروم ولمرافعات المحاكم، كما وجدت اشارات الى عدد من النساء عملن كمعلمات ومصففات شعر وطبيبات واللائي كن حالات استثنائية أما العبيد والمحررين كن يعملن في شتى أنواع العمل[1] فعملن في منازل الأسياد أو خارج المنازل في المتاجر أو كمربيات.

1- ربة الأسرة:

بزواج المرأة الرومانية تكتسب قيمتها في المجتمع الروماني كسيدة matrone فتصبح أم أسرة تشرف على المنزل وتسيطر على العبيد [2]، هذه الواجبات التي اختلفت باختلاف الطبقات الاجتماعية التي تنتمي لها المرأة ففي الأسرة الفقيرة كانت النساء يعملن بجد مثلهن مثل الرجال، وعلى العموم كانت واجبات النساء تتمثل في اشرافهن على تربية الأطفال وغزل الصوف والنسيج وحياكم ملابس الأسرة دون أن يكون فرق بين المرأة الأرستقراطية أو المرأة من الطبقة العامة أما أعمال البيت المختلفة من تنظيف وطبخ وغسل وتسوق فتترك للرقيق اذا كانت من الطبقات الأرستقراطية أما اذا كانت من العامة فكانت تتولاها بنفسها[3].

هذا وارتبطت مرتبة المرأة بمرتبة أبيها قبل الزواج وبمكانة زوجها بعده فأصبحت تشاركه مكانة زوجها الاجتماعية ، فنجد نساء وعائلات رجال مجلس الشيوخ تمتعن بنفس امتيازاتهم[4] من شريط أرجواني ومقاعد في المسارح وغيرها من الامتيازات، كما شاركن في الاحتفالات الدينية واقامة المآدب واستقبال الضيوف وكل ما كان نفوذ أسرتها كبير زاد نفوذها وتأثيرها في الأسرة والمجتمع.

2- المرأة القابلة:

([1]) F.R.Cowll, life in ancient rome ,published bu the berkley publishing group, 1961,p111.

([2]) Joachimmarquardt, ,la vie privée des romains ,trad Victor Henry ,librairie du collège de France,paris,1892, T1, p68.

([3]) Gregory s'Alderte, opcit, p56.

([4]) P. Willems, le droit public romain, 1883, p404.

ربما كان الشعور بالقلق للنساء من أن يلمسهن أحد الرجال أثناء فحصهن ومنع نظائرهم من الذكور من وضع عيونهن على الأعضاء التناسلية للإناث وراء الاعتماد على نساء متخصصات للمساعدة خاصة في ولادة الطفل والأمراض النسائية فكانت أعمالهن محاطة بالسرية والخرافات والتي تداولتها الأجيال فيما بينها [1] وكان لهذه الوظيفة شروط للالتحاق بها وهي التعليم الابتدائي الذي يمكنها من الرجوع النظري، الذاكرة لإتقان المعرفة، وحيوية العقل لمتابعة ما يقال بسهولة، العمل الجاد حتى تكون قادرة على مواجهة ما هو غير متوقع، كما يذكر البعض الأصابع الطويلة والنحيلة والنظيفة حتى تتمكن من اللمس دون المخاطرة بإصابتهن بمناطق ملتهبة وعميقة [2] فوظيفة القابلة هي متابعة أمراض النساء واذا لم تكن ذات صلة مباشرة بالولادة.

ففي كتاب جالينوس وهو طبيب في القرن 2 م وصف كيفية شفاء زوجة بوتوس Boethus والتي كانت مريضة الا أنها لم تسمح للطبيب الذكر بفحصها، ونظرا لخطورة مرضها اضطر زوجها لاستدعاء الطبيب وبقيت معها خادمتها والقابلة[3] فالقابلات اذن كن طبيبات نساء في آن واحد كما لاقت هذه المهنة رواجا كبيرا حتى أن النساء المقتدرات كن يوظفن قابلات شخصيات في بيوتهن.

3- المرأة المصارعة:

شهدت المصادر الأدبية على وجود نساء يمارسن المصارعة، لكن من الصعب معرفة ما اذا كان همهم المال أو حب المجد أو التشبه بالمصارعين الذكور، ففي سنة19م تدخل عضو مجلس الشيوخ واعترف ضمنيا أن النساء من الرتب الدنيا يمكنهن أن يمارسن المصارعة لكن تم حضرها صراحة على ذكور واناث طبقة الفرسان وأعضاء مجلس الشيوخ والظاهر أن هذه الممارسات كانت بشكل خاص في عهد نيرون ودومتيان وهو أمر لا يثير الدهشة اذا عرفنا أذواق هؤلاء الأباطرة [4] فيذكرها جفنال[5] وديون كاسيوس الذي ذكر "**أن صراع النساء الذي أجبر الكثير من الرياضيين على الالتقاء به لدرجة أننا فوجئنا بإمكانية احتواء القوائم عليها**"[6] كما نجد

([1]) Christian laes, children in the roman empire outsiders within cambridge published ,2011, p57.

([2]) Sophie Casels, ,les sages-femmes dans l'antiquité ,gynécologue et obstérique ,2017,p27.

([3])Christian laes, opcit, p58.

([4]) Danielle Gourvitch, la femme dans la Rome antique, hachette,2001، p190.

([5]) Juvénal, Satires, VI ,251, trad .L .V Raoul,1812.

([6]) Dion Cassius, histoire romaine, LXXVII ,16, trad.E.Gros,paris,1845-1854.

hostilianus قاض Ostia يتباهى مع زوجته بأن يكون الأول في مدينته من يجعل النساء تتقاتل [1] لكن تم القضاء عليها في عهد سبتيموس سيفيروس.

4- المرأة الساحرة:

يذكر تاسيت أنه في سنة 54م اتهمت دوميتيا ليبيدا Domitia lépidia بالسحر والتي حكم عليها بالإعدام بحجة أنها وفقا لأغربينا استخدمت جرعات سحرية أو طبقت ممارسة تعويذة ضد زوجة الامبراطور[2] ، كما أن أغربينا اتهمت احدى منافساتها السابقات وهي لوليا بوليبا بالسحر[3] عندما أرادت أن تتخلص منها واتهمتها بممارسة السحر واحضار المنجمين والسحرة.

5- المرأة و الجيش:

لا تذكر النصوص الأدبية الكثير عن النساء والجيش الروماني خاصة في منع أغسطس لزواج الجنود وأكثر ما نجده هو ذكر المصادر لتواجد جوليا دومنا زوجة الامبراطور سبتيموس سيفيروس مع زوجها بين الجنود وفي المعسكرات ومنحها لقب أم المعسكر أو راعية الجيش mater Castrorum نظرا لدورها في تشجيعهم على القتال واعترافا بدورها في مرافقة زوجها وتشجيع الجنود وحضورها المستمر في المعسكر [4] ، والذي سجل لأول مرة على قواعد تماثيل تم وضعها عام 196م في كل من ناربو Narbo وأوستيا Ostia ومن المرجح أنه جاء تكريما لها بمناسبة انتصار زوجها على أديبابيني عام 195م[5] ، كما أن فكرة القضاء على خصمي سيفيروس وهما نيجر حاكم سوريا في الشرق و ألبينوس حاكم بريطانيا في الغرب تعود الى جوليا التي اقترحت عليه القضاء عليهما وشجعته في الاعداد لذلك رغبة منها في جعل ابنيها خلفاء لأبيهما على عرش روما [6] .

([1]) Danielle Gourvitch, opcit, p191.

([2]) Tacite, Annales, XII, 64, trad, de J. L. Burnouf ,Paris, 1859.

([3]) ibid, XII, 22.

([4])Kaius Tuori ,judgejuliadomna ?Ahistorical mystery and theeergence of imperial legal dministratin ,the journal of legal history ,37,2,16,p184.

([5])مجدي صيحي الهواري ،سوريان في لبدة اله و امبراطورة جوبيتر دوليكبونوس وجوليا دومنا ،كلية الآداب ،جامعة المنصورة ،ص 94.

([6]) امام عبد الفتاح امام، نساء فلاسفة، دار التنوير، 2009، ،ص 171

هذا ويذكر سويتونيوس وتاسيتوس أنه في عهد نيرون عندما يأتي قادة الجيش ليطلبوا اشعار نيرون للانطلاق كان الامبراطور نيرون يجيب "**أفضل الأمهات**"[1] وهو ما يدل على تأثير والدته أغربينا.

6- **المرأة والموسيقى:** مع انتشار الثقافة اليونانية في روما وقدوم الفنانين والموسيقيين لتعلم الموسيقيين في روما ، أصبحت الموسيقى تدرس في روما للفتيات خاصة فتيات الطبقات الأرستقراطية([2]) وقد أوضحت الرسوم الجدارية معلم الموسيقى وتلميذته وهي تمسك بالليرا بين يديها تشد أوتارها باليد اليسرى من الخلف وتعزف عليها باليد اليمنى([3]) وقد مجد الشاعر Stace موهبة ابنته كلوديا claudia كما غنت زوجة بلينوس الأصغر أشعاره ولحنتها عازفة على القيتار([4]) التي تفاخر بها زوجها بلينوس.

هذا وأوضح أوفيديوس أن جمال الفتيات في غالب الأحيان ليس سببا في الوقوع في حبهن والاعجاب بهن بل كان السبب صوتها الممتلئ بالعذوبة وبراعة عزفها بأصابع متناغمة خفيفة على الأوتار ، والأخرى تقوى برقصاتها وحركاتها المتوازنة بجسد مرن ورائع ([5]) هذا وشجع تعلم النساء للغناء وفي رأيه أن المرأة التي ترغب في ارضاء الجنس الآخر أن تعرف كيف تمسك القوس بيدها اليمنى وقتارها بيدها اليسرى [6]وأن جمال الصوت أكثر تأثيرا من جمال الوجه .

7- **الملاكات (سيدات الأعمال):**

مع نهاية الجمهورية وانتقال الميراث الى المرأة جعل هذا الأمر المرأة غنية واستطاعت أن تباشر العمل في مشاريع كبيرة فذكرت المصادر في مدينة تاسوس كانت امرأة تملك وتؤجر مجموعة من المصارعين، لكن اكثر مجالين كانت تبرز فيهما المرأة بصفة خاصة هي البناء وصناعة النسيج، وقد وثقت لنا المصادر المادية في

([1]) Suétone, Vies des Douze Césars, Néron, IX, 3, trad .M .Nisard, tantôt celle de Cabret –dupaty, 1893 ; Tacite, les Annales, XIII, 2, trad.J.L.Burnouf, paris ,1859.

([2]) Danielle Gourvitch, opcit,.174

([3]) مصطفى قنديل، التربية و التعليم في الحضارة اليونانية والرومانية، القاهرة، 2006،ص178.

([4]) Roge Peyre, l'empire romain , paris, 1894,p273.

([5]) Ovide, les amours, II, 4, trad .M .Nisard, paris, j.dubochet, 1838.

([6]) Ovide, l'art d'aimer, III,311-328, trad. M.hegium de guerle –M.F Lemaistre, 1927.

المجال الأول وهو مجال البناء في انتشار القرميد لاستخدامات البناء بعدما كانت سابقا مشيدة من الحجر والخشب، وقد عرفت هذه الصناعة من خلال الطوابع المختومة في المواد والطوب والبلاط وتحتوي على خمسة معلومات[1] اسم صاحب الاقليم الذي يتم فيه جمع الطين واسم الشخص المسؤول عن الانتاج (رجل أو امرأة) شركة انتاج الطين والتاريخ القنصلي ونوع القطع الأثرية وقد حدد معظم المالكين والتي كانت في كثير من الأحيان العديد من النساء المنتميات الى العائلات الكبيرة أو حتى الى العائلات الامبراطورية.

فذكرت الكثير من النساء اللائي سيطرن على العمل فوجدت procilia phila التي تعمل لدى julia albanian[2] وهو ما يعني أنهن كن يشرفن بشكل مباشر في توجيه ورش العمل .

أما في صناعة النسيج فقد لعبت المرأة الرومانية دورا كبيرا في هذه الحرفة سواء النساء الأرستقراطيات أو نساء الطبقة العامة فنعرف من خلال سويتونيوس أن ابنة وحفيدة أغسطس كن يجدن الخياطة والنسيج حتى أن الامبراطور عادة ما يرتدي ملابس يتم صياغتها من أيديهن أو او أيدي زوجته أو أخته[3] كما ذكر أوفيديوس أن يترك الفتيات يتعلمن فن تليين الصوف وغزلها[4] هذا ان دل على شيء انما يدل على أهمية هذه الحرفة والواجب تعلمها من قبل النساء الرومانيات .

فالاكتشافات الاثرية التي عثر عليها في مدينة سان بياترو San Pietro بالقرب من مدينة تولف Tolveفي لوكانيا Lucanie تشير الى دومتيا والتي من غير المستبعد أن تكون دوميتيا ليبيدا والتي لم تنسج الصوف في المنزل ولكنها كانت تترأس شركة كبيرة تحظر وتسوق الصوف[5] وقد أشارت الوثائق الى وجود ورش عمل في المنازل العظيمة وأشارت النقوش الى أنهن سيدات نساء، كما أوضحت التنقيبات في مدينة كامبانيان campanienne عددا مذهلا من المباني المخصصة لمهن هذه المنسوجات.

لكن هذه الانشطة ليس هي الوحيدة التي شاركت فيها النساء خاصة في بومبي وهو موقع فتح أمام النساء نافذة على أنشطة المرأة في المجال الاقتصادي، وتذكر المصادر المادية الاعلان الصادر عن جوليا فليكس Julia Félixابنة سبيريوس spurius والذي تضمن تأجير الحمامات التي يرتادها أفراد الطبقة الأرستقراطية

([1]) Danielle Gourvitch, opcit, p196.

([2])Danielle Gourvitch, opcit, p197.

([3]) Suétone, octave, LXXIII, 3.

([4]) Ovide, fastes, III, 809-848, trad. de la collection des auteurs latins de M.Nisard, paris, 1857.

([5]) Danielle Gourvitch, opcit, p200.

عادة ، اضافة الى كراء المتاجر وشقة في الطابق الأول لمدة خمس سنوات من 13 أغسطس وحتى السنة السادسة وفي نهاية السنة الخامسة سيتم تجديد عقد الايجار بالاتفاق المتبادل[1] وهو ما يوضح لنا أن المرأة الرومانية كان لها تأثير كبير في الحياة الاقتصادية وفي الجانب العقاري بشكل خاص .

كما وجدت اشارات الى امرأتين مارستا قرض المال وهما فيتيا vettia و فوستيلا faustilla [2] على الرغم من أن التداولات الرسمية في البنك كانت محضورة عليهما .

8- المرأة والسياسة:

على الرغم من عدم تمتع المرأة بالمواطنة الكاملة في القانون الروماني لأنها لم تصوت ولا يمكن انتخابها لكن هذا لا يعني غيابها عن المشهد السياسي، وقد لعبت بعض النساء أدورا هاما سواء مباشرة بتدخل شخصي أو من وراء الكواليس[3] عبر ذكور العائلة فكان لأصولهن تأثير في السلك الوظيفي لأزواجهن فكانت تتواجد في الوليمة التي يقوم بها الزوج تشارك في الحديث وتأثر على الأخرين حتى أنها تنوب عنه وتتفاوض باسمه في غيابه.

وقليلات هن النساء البسيطات اللاتي وصلتنا مشاركتهن بالسياسة، وغالباً عبر تدخلهن في الانتخابات، كما ظهر في الشعارات الانتخابية على الجدران في بومبي(Pompéi) ، والتي حفظتها لنا اللوحات الجدارية وبينت الدور السياسي للنساء غير المتوقع والذي أوصت فيه النساء بمرشحاتهن في مختلف الدوائر القضائية مثل الرجال على الرغم من أنهن لم يصوتوا فهي ليست مسألة مشاركة في التصويت بل في الحملات الانتخابية، فاستبعاد النساء من comices ربما سمح لهن في الاجتماعات السياسية[4] وهو ما يعني أن التوصية بمترشح يكون الموصي على دراية بالبرنامج الانتخابي وأن له نشاط سياسي.

هذا واكتسبت نساء الأباطرة في وأمهاتهم في بعض الأحيان نفوذا واسعا ، وتعتبر ليفيا زوجة أغسطس من أقوى النساء في بداية الامبراطورية التي كانت في كثير من الأحيان مستشارة أغسطس والسيدة الأولى في روما والتي شاركت زوجها انتصاراته وهزائمه ووصفها تاسيت بأنها غنية في أخلاقها امتلكت ما يمتلكه نساء ذلك الزمن

([1])ibid, p 201, 202.

([2]) Danielle Gourvitch, opcit, p203.

([3]) ibid, p241.

([4]) ibid, p257, 258.

اتسمت بكونها أما قديرة وزوجة متعسفة وأنها الشخصية الأنسب لسياسة زوجا [1] كما يذكر فضلها في اقناع أغسطس في اعلانه الحرب في معركة أكتيوم على كليوباترا بدلا من أنطونيوس باعتباره رومانيا [2] و كانت تهدف من وراء ذلك أن يكسب أوكتافيوس تأييد الرومان في حربه ولا ينظرون اليه أنه قاتل أنطونيوس لمصالحه الشخصية.

كما كان لها دور كبير في تهدئة الأوضاع مثلما حدث في مؤامرة سينا Cinna والتي نصحت فيها أغسطس بالتصالح مع المعارضين والعفو عنهم ونصحته بان يفعل معهم مثل ما يفعل الأطباء عندما لا ينفع العلاج العادي فانهم يستخدمون الأضداد[3] كما برز تدخلها في العرش وهي المسألة التي ظلت مترسخة ليس فقط في عهد أغسطس بل طوال الفترة اليوليوكلاودية [4] بإجبارها تبيريوس على الطلاق من زوجته (vispsania) الذي كان مرتبطا بها بشدة وتزويجه من جوليا ابنة أغسطس حتى تضفي الشرعية على وصول تبيريوس للحكم[5] التي ظلت تذكره دائما بالطريقة التي أقنعت بها أغسطس بجعله الوريث الشرعي بدلا من ترشيح جيرمانيكوس مباشرة [6] وبالتالي فهي لم تدخر أي مكيدة للإزالة المترشحين المحملين للسلطة وظلت تطالب دوما بالمشاركة في الحكم والسلطة.

كما نجد دور أغربينا التي استخدمت نفوذها على كلاوديوس ليس فقط لدعم ابنها للوصول الى السلطة بل لتعزيز مكانتها الخاصة فبعد الزواج بفترة قصيرة قامت بإعادة سنيكا من المنفى حتى يكون مدرسا متميزا لنيرون وحتى تكسب حب العامة ويبقى ذلك في ذاكرتهم نظرا لشهرته الأدبية[7]، حتى أنها تباهت بنفسها كشريك في الامبراطورية التي أنشاها أسلافها وحاولت جاهدة أن تجعل البريتوريين يقسمون لها الولاء [8] .

([1]) Tacite, les Annales, livre V, 1.

([2]) أرنست ماسون ،الامبراطور الرهيب تبيريوس، تر .جمال السيد، الهيئة المصرية العامة ،1985،ص30.

([3]) Sénèque, de la clémence, IX, 25, trad .M.de Vatismenil, pankouche,1832

([4]) Richard A Bauman ,woman and politics in ancient Rome ,first published,london and newyork,1992,p100.

([5])Danielle Gourvitch ,opcit, p251.

([6]) Richard A Bauman, opcit, p 133.

([7]) ibid , p181.

([8])Richard A Bauman ,opcit, p 183.

كما تذكر المصادر مسيلينا حول حضورها المنتظم الى بيوت الدعارة تحت اسمها التجاري لسيسكا (Lycisca) من خلال شهادة بلينوس الأكبر لأكبر ماراتون مدته أربع وعشرين ساعة [1] ، كما وصف ديون كاسيوس حلبات الجنس التي كانت تقام في القصر والذي استخدمته مسيلينا السلاح الرئيسي في لعبة السياسة فيذكر أن الأزواج الذين وافقوا على التواجد كانوا يكافؤون بمنحهم أعلى الوظائف والمراتب الشرفية ومختلف الحقوق وتكون بذلك قد اكتسبت عقدا على الأزواج في حالة رفض تلبية أوامرها بمحاكمتهم بتهمة الزنا في حين أن الأزواج الذين اعترضوا تقوم بتدميرهم وحتى لا يكشف أمرها من قبل كلاوديوس كانت ترسل له خادمات صغيرات[2] حتى يلهينه وبذلك تحمي نفسها من كشف أنشطتها الخاصة.

كما نجد تدخل بلوتين زوجة الامبراطور تراجان في مسألة العرش وتذكر المصادر أنها من دفعت تراجان الى تبني هادريان وأن موت تراجان ظل خفيا حتى انتشر خبر التبني في أوساط العامة وأن الرسالة المكتوبة الى مجلس الشيوخ حول هذا الموضوع كانت موقعة من قبل بلوتين[3] وكان الهدف من وراء ذلك أن يكون انتقال الحكم الامبراطوري سلسا ودون مشاكل [4] خاصة وأنها كانت تدعم هادريانوس .

ثم في العائلة السيفيرية في نهاية القرن الثاني وبداية الثالث الامبراطورة جوليا دومنا في فترة حكم ابنها كركلا خاصة التي كانت تستلم العرائض والرد على المراسلات الهامة كما تم وضع اسمها الى جانب اسم الامبراطور في الرسائل الموجهة لمجلس الشيوخ [5] وأن لها الدور الايجابي خاصة على المرسوم الذي أعطى الجنسية الرومانية لجميع أحرار الامبراطورية[6].

لكن العمل السياسي للمرأة الرومانية لم يقتصر على العائلة الامبراطورية فقط بل نجد Arria majeur زوجة A.Caecina paetus التي شاركت زوجها في التمرد ضد كلود وكذا ابنتهما Arria minor والتي كانت زوجة الفيلسوف الروائي الشهير P.clodius thraea paetus التي طعنت صدرها بالخنجر حين تلقى

([1]) Pline l'ancien, X, 83, 1, histoire naturelle, Paris, 1848-1850.

([2]) Dion Cassius, LX , 18.

([3]) ibid , LXIX,1 ;aeluis spartianus histoire auguste vie d'haderien ,VII ,trad FL.legeay ,panckouck, paris,1844.

([4]) Joyce E. Salisbury, Encyclopaedia of women in ancient world, library of congress, 2001, p194

([5]) Dion Cassius,LXXVII, 18,2,LXXVIII,4,3.

([6]) Danielle Gourvitch, opcit, p254.

زوجها أمر كلوديوس بأن يقتل نفسه ثم أسلمت هذا الخنجر وهي تحتظر الى زوجها وهي تؤكد له أنه لا يؤلم[1]، كما أشاد تاكيتوس على المحررة ابيكاريسEpicharis بمحاولتها في تحريض الأسطول في مسينيوم Misenum على نيرون، وسعت جاهدة بعدم البوح بأسماء المتآمرين على الرغم من مختلف أنواع التعذيب الذي تعرضت له، فلا السوط ولا النيران ولا غضب الجلادين سمح لها بالاعتراف بل على العكس ضاعفت من عنادها ولم يتمكنوا من انتزاع اعتراف منها وأقدمت على الانتحار بملابسها الداخلية بانتزاعها من على ثدييها وشكلت بها حبلا وربطتها بأعلى الكرسي وطوقته حول رقبتها وانتحرت والتي أثارت اعجاب تاكيتوس ببسالتها وأنها امرِأة بقوة رجل[2] على عكس الرجال الذين لم ينتظروا التعذيب حتى يخونوا .

خاتمة

كان للقوانين والتشريعات التي أصدرت خلال العهد الامبراطوري دورا في تحسين وضعية المرأة الرومانية وتحررها من كثير من القيود فبعدما كانت حياتها مقتصرة في كثير من الأحيان على ادارة شؤون بيتها والاهتمام بزوجها وأولادها تمكنت خلال العهد الامبراطوري من أن تشارك في الحياة العامة و الحياة السياسية، واستطاعت أن تفرض نفسها كسيدة في المجتمع لها اعتبارها فمارست الكثير من المهن و الحرف حتى أنها نافست الرجال، فنجد المرأة ربة أسرة قادرة على ادارة منزلها بما فيه من أفراد أسرتها أو العبيد والتي ارتبطت مكانتها بمكانة زوجها، كما نجد القابلة التي مارست هذه المهنة ان استطعن أن نقول بسبب عفتهن وشعورهن بالقلق من فحصهن من طرف الذكور، ووجدت المصارعة التي بالرغم من عدم استحسان ممارسة المرأة للمصارعة سواء كمهنة أو هواية الا أننا وجدناها خاصة في عهد الامبراطورين نيرون ودومتيان ، كما ساهمت المرأة في الجيش سواء في لعبها دور المشجعة أو بإمدادهم بالاقتراحات والخطط ان لزم الأمر مما كان لها الدور الفعال في انتصارات الجيش في غالب الأحيان ، هذا ومارست المرأة أعمال أخرى ومشاريع كبرى خاصة في مجال النسيج والبناء وامتلكن ورشات عمل كن يشرفن عليهن بشكل مباشر، كما أن حرمانها من المشاركة في الحياة السياسية لم يكن حاجزا في حضورها واصغائها للخطب في الفوروم أو حضور مرافعات المحاكم بل أن البعض منهن شاركن في الحياة السياسية خاصة نساء الأباطرة وأمهاتهم اللواتي استطعن التدخل في سياسة أزواجهن وأولادهن وتقديم النصح لهن في كثير من الأحيان سواء بهدف تقديم يد العون له أو لأهداف شخصية.

([1]) martiale, Epigrammes, I, 14,trad MM.V.Verger,M.A. ;Tacite , Annales ,XVI.34.

([2]) Tacite, Annales, XV, 57, 1,2.

قائمة المصادر والمراجع:

أرنست ماسون ،الامبراطور الرهيب تبيريوس، تر .جمال السيد، الهيئة المصرية العامة ،1985

امام عبد الفتاح امام، نساء فلاسفة، دار التنوير، القاهرة، 2005

جورج دوبي وميشال بيرو، تاريخ النساء في الغرب، ترجمة سحر فراج،ط1، المجلس الأعلى للثقافة،

مجدي صيحي الهواري ،سوريان في لبدة اله و امبراطورة جوبيتر دوليكبونوس وجوليا دومنا ،كلية الآداب ،جامعة المنصورة.

مصطفى قنديل، التربية و التعليم في الحضارة اليونانية والرومانية، القاهرة، 2006

ويل ديورانت ، روما قصة الحضارة، مجلد 3.

Aelius spartianus histoire Auguste vie d'Haderien ,VII ,trad FL.legeay ,panckouck, paris,1844.

Christian laes, children in the roman empire outsiders within Cambridge published, 2011.

Danielle Gourvitch, la femme dans la Rome antique, hachette, 2001.

Dion Cassius, histoire romaine, trad.E.Gros,paris,1845-1854.

F.R.Cowll, life in ancient Rome, published buy the Berkley publishing group, 1961.

Gregory S.Alderte, Daily life in roman city, Greenwood press, London, 2004

Joachimmarquardt, ,la vie privée des romains ,trad Victor Henry ,librairie du collège de France,paris,1892.

Joyce E. Salisbury, Encyclopaedia of women in ancient world, library of congress, 2001, p194

Juvénal, Satires, trad .L .V Raoul, 1812.

Kaius Tuori ,judgejuliadomna ?Ahistorical mystery and theeergence of imperial legal dministratin ,the journal of legal history ,37,2,16.

Martiale, Epigrammes, I, 14, trad MM.V.Verger,M.A.

Ovide, fastes, III, 809-848, trad. de la collection des auteurs latins de M.Nisard, paris, 1857.

Ovide, l'art d'aimer, III,311-328, trad. M.hegium de guerle –M.F Lemaistre, 1927.

Ovide, les amours, II, 4, trad .M .Nisard, paris, j.dubochet, 1838.

P. Willems, le droit public romain, 1883.

Pline l'ancien, Histoire Naturelle, Paris, 1848-1850.

Richard A Bauman, woman and politics in ancient Rome ,first published, London and newyork,1992.

Roge Peyre, l'empire romain, paris, 1894.

Sénèque, de la clémence, trad .M.de Vatismenil, pankouche,1832

Sophie Casels, ,les sages-femmes dans l'antiquité ,gynécologue et obstérique ,2017.

Suétone, Vies des Douze Césars, Néron, trad .M .Nisard, tantôt celle de Cabret –dupaty, 1893 ; Tacite, les Annales, XIII, 2, trad.J.L.Burnouf, paris ,1859.

Tacite, les Annales, trad, de J. L. Burnouf ,Paris, 1859.

FROM BENGAZI TO CYRENE

من بنغازي إلى كيريني

تأليف

رتشارد نورتون

ترجمة

حسين حمد حسين الفقيه

مقال مترجمة من نشرة

المعهد الأثري الأمريكي

BULLETIN
OF THE
ARCHAEOLOGICAL INSTITUTE OF AMERICA

المجلد الثاني

1910-1911م

نشرها المعهد الأثري الأمريكي

في نوردوود، ماساتشوستس، وواشنطن، ونيويورك: شركة ماكميلان لندن:
ماكميلان وشركاه المحدودة.

THE J. PAUL GETTY MUSEUM LIBRAR

نبذة عن المؤلف

ريتشارد نورتون (1872–1918م): عالم آثار أمريكي مشهور، ولد في 9 فبراير 1872م في دريسدن، بألمانيا، وهو أصغر ستة أبناء للأستاذ تشارلز إليوت نورتون وزوجته سوزان ريدلي. توفيت والدته في وقت ولادته. عادت الأسرة إلى كامبريدج، ماساتشوست، في عام 1874م. التحق ريتشارد بمدرسة براون ونيكولز وتخرج من جامعة هارفارد مع دفعة 1892م، بعد والده وجده اللذين كانا من خريجي هارفارد.

كان ريتشارد مديرًا للمعهد الأثري الأمريكي ومتحف بوسطن للفنون الجميلة والتنقيب عن آثار مدينة (كيريني Cyrene) القديمة في كيرينايكا (ليبيا) في الفترة 1910–1911م. كان صديقًا لأرثر سلادن. والتقيا لأول مرة في أكتوبر عام 1910م عندما ذهبا إلى كيريني، ليبيا، لإجراء حفريات أثرية، ثم التقيا مرة أخرى في فرنسا خلال الحرب.

بعد التخرج، أمضى السنوات الثلاث التالية في أوروبا، ودرس في المدرسة الأمريكية للدراسات الكلاسيكية في أثينا، ولفترة قصيرة في جامعة ميونيخ. في عام 1895م، تم تعيينه محاضرًا في علم الآثار الكلاسيكية وتاريخ الفنون الجميلة في كلية برين ماور، بنسلفانيا.

في عام 1897م ذهب إلى روما كمدير مساعد للمدرسة الأمريكية للدراسات الكلاسيكية، وفي عام 1899م تمت ترقيته إلى رتبة مدير، وبقي في هذا المنصب حتى عام 1907م. زار آسيا الوسطى في عام 1903م كعضو في البعثة الأثرية إلى كيرينايكا عام 1904م. ثم عاد إليها في عام 1909م لمزيد من الاستكشاف، وفي العام التالي بدأ عمليات التنقيب في آثار مدينة كيريني القديمة، ليبيا، كقائد للبعثة التي أرسلها المعهد الأثري الأمريكي ومتحف بوسطن للفنون الجميلة. هنا التقى لأول مرة بالسيد آرثر سلادن الذي كان المسؤول الطبي عن الحفريات. وكان القصد هو القيام بعدة مواسم للتنقيب، لكن مقتل أحد اعضاء فريقه على يد السكان المحليين في مارس 1911م أدى إلى فشل المشروع.

في أثناء الحرب العالمية الأولى، كان ريتشارد منظمًا ورئيسًا لفيلق إسعاف السيارات المتطوع الأمريكي (المعروف أيضًا باسم فيلق الإسعاف Norton-Harjes) الذي خدم في الجبهة في فرنسا من عام 1914م حتى استولى عليه الجيش الأمريكي في عام 1917م.

حصل ريتشاردز على وسام جوقة الشرف في ربيع عام 1917م، ووسام القديس لازاروس. وكانت جائزة الصليب من وسام جوقة الشرف أعلى جائزة تُمنح لأي أجنبي بفرنسا خلال الحرب العالمية الأولى.

توفي ريتشارد فجأة بسبب التهاب السحايا في 2 أغسطس 1918م في باريس، وعمره 46 عامًا، بعد مرض لمدة يوم واحد.

المترجم

مقدمة المترجم

لقد حظيت كيرينايكا باهتمام أكبر الرحالة والمستكشفين والعلماء والباحثين في مجال الآثار والكلاسيكيات، وذلك بسبب ما تحتفظ به من آثار وتراث نال إعجاب كل شعوب العالم الحديث، وكانت أيضًا وجهة كل الباحثين عن المغامرة والاستكشاف والبحث العلمي بشتى فروعه.

ومن هذا المنطلق تم تنظيم بعثة أثرية عام 1910م للتنقيب في منطقة كيرينايكا بليبيا برعاية المعهد الأثري الأمريكي، وكان البروفيسور ريتشارد نورتون هو المشرف على هذه البعثة، وقام بزيارة مدينة كيريني القديمة، وكان خط سير الرحلة من بنغازي إلى منطقة كيريني الأثرية في كيرينايكا، وقد تم نشر تقاريره عن الرحلتين في الجزء الثاني من النشرة التي كانت تصدر من المعهد الأثري الأمريكي، حيث قام بتوثيق الآثار التي شاهدها في صور فوتوغرافية، لأهم المعالم الأثرية في كيريني، ويعتبر هذا التقرير وثيقة مهمة جداً لذلك الإرث الحضاري العظيم الذي احتفظت به كيرينايكا.

المترجم

FROM BENGAZI TO CYRENE

من بنغازي إلى كيريني[1]

ريتشارد نورتون

إن صعوبات الترحال في بلد غير مُستكشف غالبًا ما تكون كثيرة. وغالبًا ما تكون تلك المخاطر التي يلتقي بها المرء – عندما يكون في الأجزاء الأقل ألفة من أرضه – عديدة، بالإضافة إلى المجموعة المتنوعة من المشاكل التي واجهتها من قبل في منطقة مثل طرابلس. وعلى الرغم من وجود خرائط للبلاد، إلا أنها ذات قيمة أكبر للباحث عن النقوش الأثرية؛ منها للرحالة. وعلى الرغم من أن السكان لا يشكلون خطورة بأي حالٍ من الأحوال، إلا أنهم يقدمون مجموعة متنوعة من ردود الفعل المُقلقة للراحة.

إن الأتراك والعرب، بشكلٍ جماعي، لديهم العديد من النقاط الجيدة مثل أي جنس من الأجناس الغربية الذين يعيشون بجوارهم. فيما يتعلق بطرابلس، يرى العرب، بكل إنصاف، أن شعوبهم هم الملاك الحقيقيين للأرض، لكنهم يعترفون بالسلطة التركية، ولا أعتقد أن لديهم أي فكرة عن محاولة التخلص من هذه السلطة. وبالنسبة للأتراك، يمكن القول أنهم، كما يعرف كل من كان له أي علاقة بهم، لديهم صفات رائعة، وأيضًا ما هو غير معروف بشكلٍ عام، أنهم يؤمنون أن لا أحد يعرف كيف يحكم العرب مثلهم.

[1] سيتكفل المفوضون المسؤولون عن التنقيب في كيريني (انظر النشرة 1، ص 250) بتسليم تقارير متكررة من الميدان، وسوف يتم من وقت لآخر نشر تلك التي تكون ذات أهمية عامة وستظهر التقارير الفنية الخاصة بها في النشرة الأمريكية لعلم الآثار. وسوف يروي هذا الرسم التخطيطي الذي رسمه المدير نورتون تجارب الاستطلاع الأولي في مايو ويونيو من عام 1910م. **(المؤلف)**. في هذه الملاحظة يشير المؤلف إلى التعهد الذي قدمه السيد نورتون في النشرة السابقة بتقديم المعلومات أول بأول عن أخبار البعثة وما وصلت إليه. **(المترجم)**

اللوحة (1)

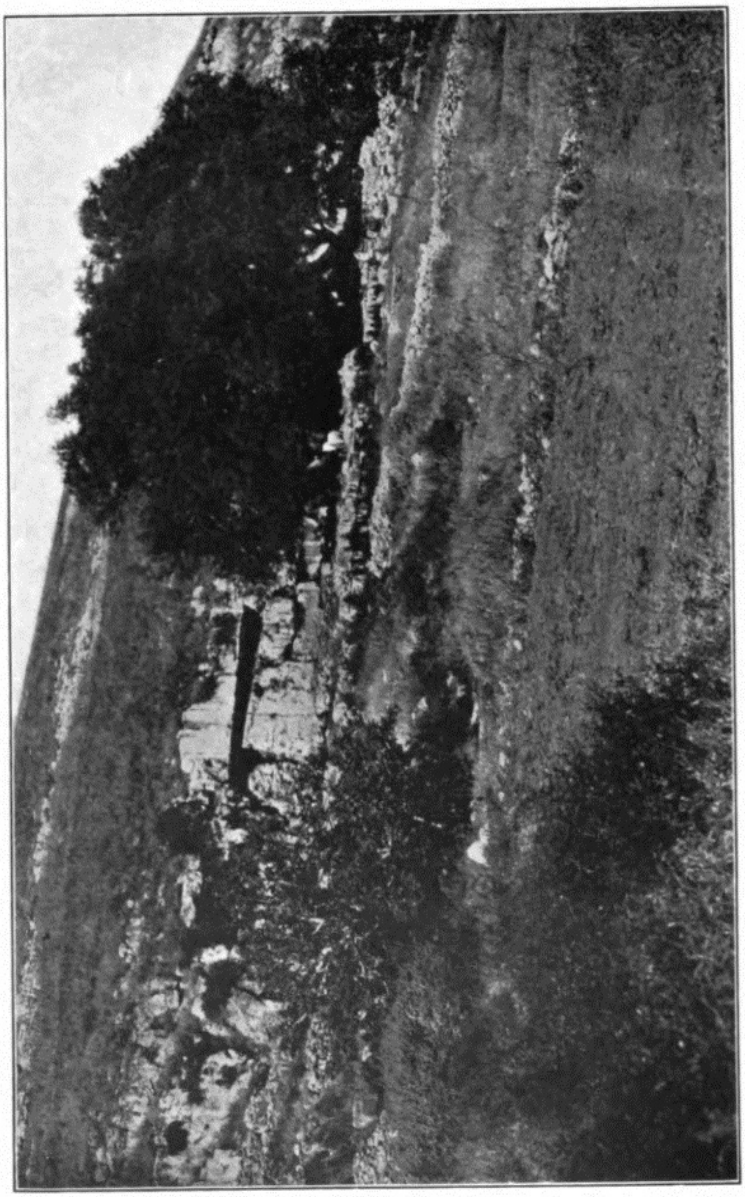

كيريني: نبع أبولو

اللوحة (2)

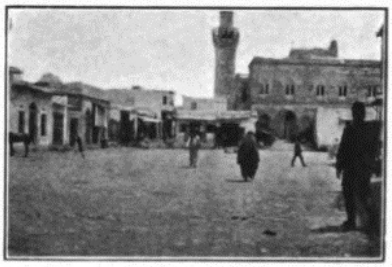

بنغازي

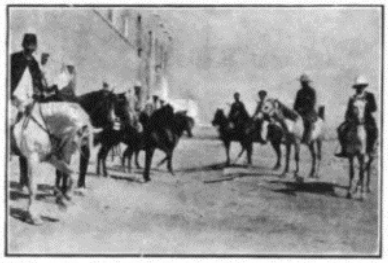

بداية الرحلة

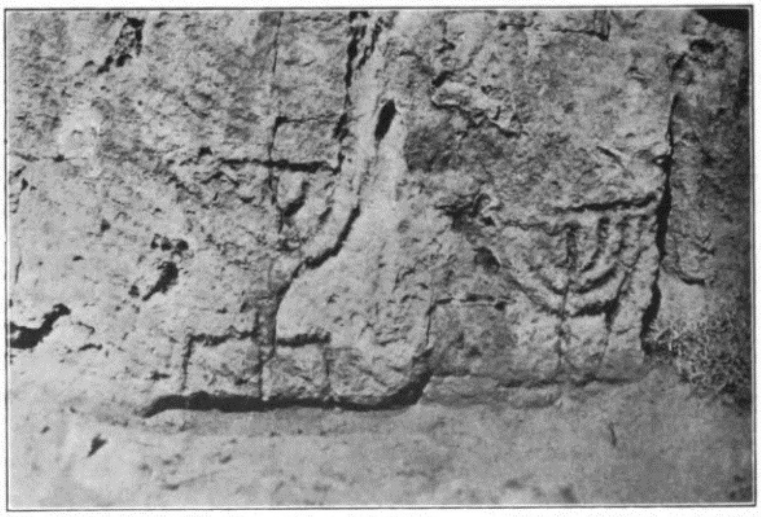

توكرة: الشمعدان ذو السبعة فروع على قبور يهودية

إن الشخص البدوي يكون ساذجًا في نواحٍ كثيرة. كما أنه جاهل ويؤمن بالخرافات ومُتعصب في كثير من الأحيان. إن الترك مثابرين ومتفهمين ويحكمون بحزمٍ وبشجاعةٍ هادئة. ويعتنق الأتراك الديانة

العربية الإسلامية نفسها ويتمتعون بروح القتال بنفس القدر. ونتيجة لذلك يهابهم العرب بل ويحترمونهم، وهو أمر مختلف تمامًا عن الخوف والازدراء، وهو موقف الشرق غير المنتظم تجاه الغرب.

عندما يذهب المرء إلى مدينة (كيريني Cyrene)، تبدأ صعوباته على الفور عند نزوله في بلدة (بنغازي Bengazi). الفندق الوحيد الموجود هناك هو "فندق كيريني الكبير Grand Hotel de Cyrene"، وهو مكان فظيع، ومطعم يقع على واجهة الميناء، يشرف عليه الإيطاليون، الذين على الرغم من كونهم غير محترمين، فهم غير أكفاء (حتى في فسادهم)، ويمثلون تجربة قاسية لجسد المرء. ومع ذلك، فقد استمتعت بالبركة التي غالبًا ما انهالت علي من قبل الكثيرين، وفي تقديري الذي سيوافقني عليه العديد من الرحالة، كانت صداقة القنصل البريطاني. في هذه الحالة كان السيد المُبَجَّل (فرانسيس جونز Francis Jones)، رجلاً له معرفة عظيمة بالشرق الأدنى وله استعداد لمساعدة الغريب لا يلين. لقد أخذني ورفيقي تحت سقفه، ومعه أخواته، من لحظة وصولي وحتى مغادرتي، ووجدت عنده الكرم الكثير والضيافة والمساعدة الجاهزة. إن الإنجليزي في الخارج هو الذي يجعل الأجنبي يحب إنجلترا. والكرم الذي وضع به نفسه في خدمتي هو نموذج يجيد كل فرد تقليده.

هنا في بنغازي كان علي أن أُمضي عدة أيام. وكان علي مقابلة المتصرف (حاكم المقاطعة). وكان عليّ أن أرتب معه برنامج الرحلة، التي، على الرغم من أنها ستكون لبضعة مئات من الأميال عبر البلاد، استلزمت، بسبب الظروف البرية العامة التي تسود فيها، بعض التخطيط الساخر. وساعدني (مراد فؤاد Murad Fuad) في تخفيف كل الصعوبات التي أواجهها. أما عن بنغازي نفسها، فليس لدي وصف أفضل مما سأقوله عنها الآن. إنها بقعة موبوءة بالذباب اللاسع ولا يوجد أي سحر ليخفف عنها لعنة قبحها المخبوز. لقد كانت مسيرتي الأولى إلى بازارها الصغير، حيث التدفق المستمر من المواطنين ذوي العيون الحادة، الذين يستجوبونك وهم يحدقون بك في ثنايا جرودهم الغليظة بينما يتنقلون بأقدام مبطنة بالنعال من متجر إلى آخر، ويتوقفون هنا وهناك لشراء القليل بالكثير من الكلام الذي ينفع لأن يكون مقال في جريدة. وهكذا كان من المعروف في صباح اليوم التالي أنني كنت هنا من قبل وكنت على وشك جمع قافلة صغيرة للذهاب إلى مدينة (المرج Merdj)، ومن ثم إلى كيريني، ومن ثم إلى بلدة (درنة Derna). ثم بدأ وصول القافلة.

لقد جاء العديد من المالطيين أولاً، ولكن بعد العديد من التكرار لنفس الكلمات التي لم يكن لدي أي منها بأي صفة أو بأي ثمن، فقد تخلوا عن المحاولة. وأقنعوني أنهم يعرفون عملي بشكلٍ أفضل مما أعرفه بنفسي. ثم بدأ أخيرًا وصول العرب. ومرت بضعة أيام قبل أن يتم التوصل إلى أي اتفاق، وبالطبع كان الخلفية التاريخية لديهم جميعًا هو أنني كنت مجرد "قسيس"، وجاهلاً بكل ما من شأنه أن يجعل من

الرحلة مُمكنة أو مُثمرة. والبعض، عندما علموا أنني كنت في البلاد من قبل، وجدوا أعذارًا مفاجئة للتخلي عن التفكير في المهمة. ولم يكن لدى الآخرين مال لكنهم سيأخذون مني المال ويشترون الحيوانات ويبيعونها لي، "بالتأكيد بالربح"، ويأخذونها مني عندما تنتهي الرحلة. في بعض الأحيان هذه هي أفضل خطة، ولكن بالنسبة لي كان ذلك مستحيلاً. لقد كان البدو الآخرون على استعداد للقيام بكل ما طلبته، لكن جمالهم كانت بعيدة في الريف. وكان موسم الحصاد قد اقترب. ولن يتمكنوا من البدء بالرحلة معي الآن. ولم يجد البعض الآخر أي صعوبة حتى تم ذكر العنصر الأخير. وكان هذا العنصر ينص على أنهم يجب أن يذهبوا معي من قبل المتصرف؛ وأن يكونوا مكفولين بأشخاصٍ معروفين وجديرين بالثقة. لم يكن لدى المتصرف أي تحمل لمسؤولية الأمراض المفاجئة التي قد تحدث لزوجاتهم والحوادث غير المتوقعة للإبل التي ستحملنا!.

ولكن في النهاية ظهر (علي بن عيسى Ali ben Aisa)، الذي كان على استعداد لخدمتي بأي شكلٍ من الأشكال والذي لم يفزع من زيارة المتصرف. لذا، بعد الجلوس في العديد من المقاهي، في حين أن الدقائق الهادئة انقضت كالساعات التي تميزت فقط بالضوء المتغير على القبعات البيضاء التي انعكست ضلالها على سطح الصخور في الميناء، كان مدير التعليم العام، (شهاب الدين باي Shehab Eddin Bey)، الصديق الأكثر فائدة الذي انضم إلى المجموعة الصغيرة للمساعدة في المساومة، تجولت أنا وعلي بن عيسى فوق الساحة الساخنة متجهين إلى القلعة الكئيبة، وهناك اتفقنا على الضرب معًا بأيدينا الممدودة والنطق بكلمة "مبروك". حيث، بعد الكثير من الحديث، تكون كلمة المساومة "مبروك"، قد أدخلت اطمئنانًا رائعًا إلى روح المسافر. إنها صارمة وفاصلة للغاية، فتلك الكلمة تبدو مثل هذا الختم المعين للرابطة. لكن للأسف! يفترض العربي امتياز المرأة في تغيير رأيه، وما كنا ننطق كلمة "مبروك" لدقيقة واحدة؛ حتى تفقدنا في كثير من الأحيان اللحظة التالية ونعود مرة أخرى إلى موجات النقاش. ومع ذلك، لم يكن كما هو الحال هذه المرة، وأخيرًا كانت هناك أمسية ساخنة تمامًا، وكنت جاهزًا لبداية مبكرة لصباح اليوم التالي. آخر الحمولات كانت الحبال، والملح، والشاي، التي تم شراؤها من بين جميع أدوات المخيم العام، وتم إقناع علي بن عيسى بأن الجمل يمكن أن يحمل أكثر من الحمار وأنني أعرف ذلك، وتم فحص الخيام والبنادق، واستسلمنا للنوم المضطرب الذي يسبق بداية رحلة طويلة ومُريبة إلى حد ما.

أعتقد أن معظم الرحالة يوافقون على أن الأمر – بغض النظر عن وقت الاستيقاظ المبكر – يستغرق وقتًا أطول لتقويض المخيم ومسير القافلة؛ مما يجعل ذلك ضرورة حتمية. كانت تلك حالتنا في

صباح يوم الجمعة الحار عندما اتجهنا شمالاً أمام أكواخ سعف النخيل في قرية للزنوج بجوار الملاحات على درب (قصر هديب Kasr Hadib).

في بداية أي رحلة، يجب على أعضاء الفريق، الحيوانات والبشر، أن يهتزوا معًا ويتعودوا على المعادلة الشخصية لبعضهم البعض؛ والرحالة المحظوظ هو الذي لا يحتوي فريقه، إذا كان مختلطًا، على عنصر قابل لليأس. لقد كنت محظوظًا هذه المرة، على الرغم من أنني أستطيع التطلع إلى الأمام بكل رضىً عن مستقبل لم ترى فيه عيني أبداً واحدًا أو اثنين من أبناء النبي الذين رافقوني، ومع ذلك، وبشكلٍ عام، لم يكن أحد منهم حقاً هو المواطن الوحيد ورفيقي الرئيس، على الرغم من عدم تجربتهما تمامًا في هذا النوع من العمل، فقد تحولا إلى خدام ومساعدين مستمرين.

في البداية انزعجت من عدد حراسنا، الذي بدا لي مبالغًا فيه. فقد كان هناك ستة من سلاح الفرسان؛ واثنان من الزابطية. لكن المتصرف أصر على أخذ هذا العدد على الأقل، وكان على حق في ذلك. في ظل النظام القديم، كان من المفترض أن يكونوا حراسًا في الخدمة، ومصدرًا لإثارة السكان المحليين الذين مررنا بهم. في هذه الحالة، لدي كلمات المديح للرجال الذين شكلوا الحراس في الجزء الأول من الرحلة، تحت قيادة (عِزَّتْ أفندي Ezzet Effendi)، وأولئك الذين انضموا إلينا بشكلٍ غير متوقعٍ في كيريني، تحت قيادة (يوسف أفندي Jusouf Effendi). وسيكون من المستحيل إيجاد مجموعة أكثر قدرة وفائدة، وبكل ما تعني الكلمة هم طاقم من الرجال الجنود. وعندما رفعت رياح الصحراء الخيام، كما لو أنها كانت ورقًا، من على الأرض وجعلتها ترفرف مثل الطيور الجريحة بين الصخور والشجيرات، كان هؤلاء الجنود دائمًا على استعداد لرؤية الجانب المضحك من المغامرة؛ وعندما لم يكن من الممكن الحصول على الماء في لهيب الهواء الذي يشبه وهج الفرن، لم يفقدوا أعصابهم أبدًا؛ وعندما كان لديهم الخبز فقط لتناول الطعام، كان فكرهم الأول هو مشاركته معنا، ولم يشتكوا أبدًا. لقد كانوا رجالاً حتى النهاية. وكانوا جميعهم أتراك بكل ما تعني الكلمة. والثناء أيضًا مستحق لرجال القافلة البدو. لكنهم لم يكونوا بأي حالٍ من الأحوال مثل الجنود الأتراك، وفي الليلة الأولى عندما تصدَّرت صعود التلال الصخرية التي لا مسار لها ونظرت إلى الزراعة الشحيحة في قصر هديب، اكتشفت إخفاقات علي بن عيسى، قائد وصاحب الحيوانات. كان غير كفؤ بكل معنى الكلمة. كان يعرف البلد ولكن أفضل قليلاً مما كنت أعرفه وأقل بكثير مما تعرفه الجمال. عندما نشأت صعوبات كان يعتمد على الله، وبمساعدة مني، لإخراجه منها، وكان يجلس ملفوفًا في جرده مثل طفل مريض؛ حتى أجبره تأنيبي على الزيادة التدريجية لبذل المزيد من الجهد. ولكن في النهاية تم إنجاز الرحلة بشكلٍ

مُرْضٍ، لأننا قمنا بما تعهدنا به. لذا، لا أحمل أي سوء نية حقيقية حتى تجاه علي بن عيسى الكسول، لكنني بالتأكيد لن أنصح أي مبتدئ في السفر الشرقي بتوظيفه كقائد للقافلة.

اللوحة (3)

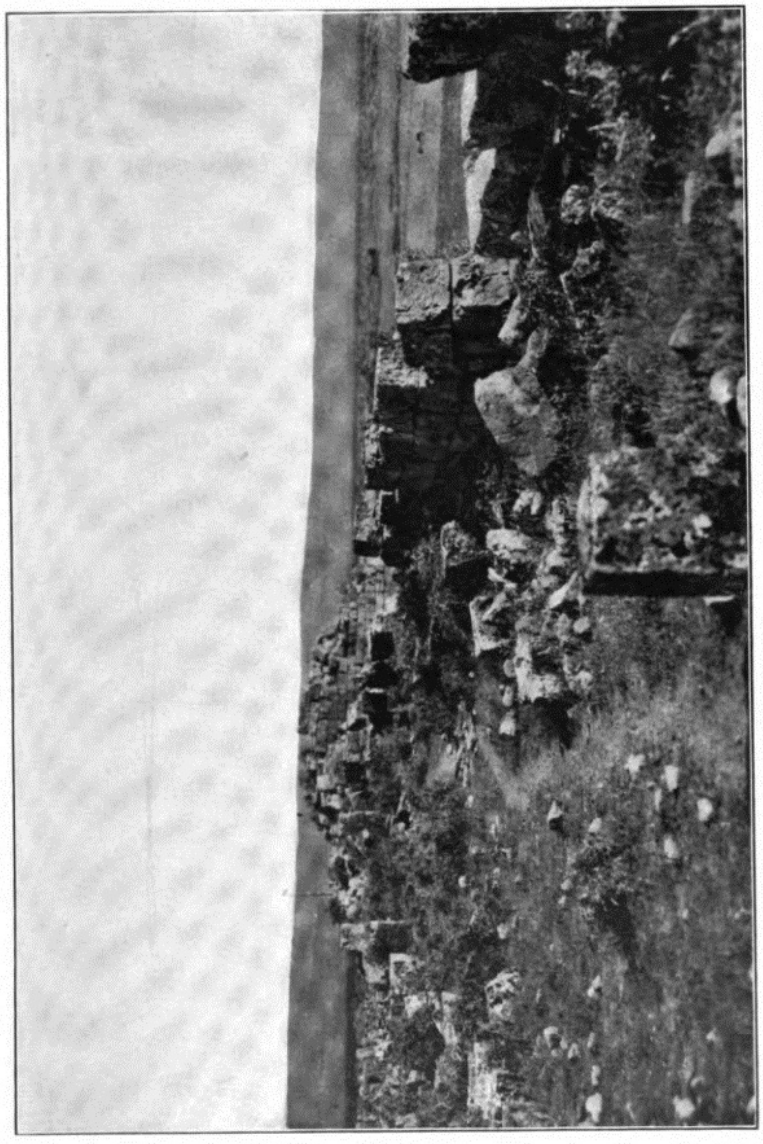

توكرة: الجدار الغربي، باتجاه الجنوب

اللوحة (4)

على الطريق

الساحة في بلدة المرج

المرج: زوار في المخيم

بشكلٍ عام، لم تختلف الأيام كثيرًا عن نظيرتها. لقد بدأ المخيم في التحرك عند الفجر. وكانت الجمال تتخنخ في أكياس الأعلاف؛ وأصوات قعقعة أواني القهوة؛ حيث كان هناك ماء أخذنا منه ما نستطيع

لأجل الاغتسال. وتم هدم الخيام، وطهي وجبة فطور خفيفة، ثم تحميل الأحمال. وكان علي بن عيسى يجد في كل صباح نفس الصعوبة في شد الحبال لحمل الأمتعة، وكانت الإبل تئن وتشخر، كما هو الحال مع هسهسة الرجال لدفعها إلى البروك لتحميل الأمتعة. أخيراً بدأ المسير. لقد كانت الأمتعة فوق الجمال وقمنا باتباع المسار إلى مكان تخييم الليلة التالية، ونحن نمضي قدمًا، لأن هناك أسئلة للاستراحة على طول الطريق. وكانت هناك أنباء عن آثار في الجوار، والتي يجب علينا البحث عنها، أو وضع علامة على كل بلدة موجودة على الخريطة – تلك الخريطة الرومانسية! – لإثبات وجودها، أو اتباع مسار مائي، أو اتباع بعض الاهتمامات التي لا تنتهي للجغرافيا والآثار. وفي كل يوم، كانت هناك مشكلتان متكررتان – إحداهما الطريق، والأخرى حيث سيتم إقامة المخيم ليلاً. كانت خرائط الموظفين الإنجليزية والفرنسية صحيحة بما يكفي لغرفة الدراسة، ولكن لا يمكن الاعتماد عليها من قبل شخص عليه أن يهتم بإطعام الرجال الخمسة عشر والعديد من الحيوانات كل ليلة في مكانٍ مختلف. قد يظن المرء حين ينظر إليها أن المسار من السهل اتباعه بشكل عام على منطقة منبسطة، ولكن هذا ليس هو الحال. ففي واقع الأمر، باستثناء الخطوط العريضة العامة، فهي ذات فائدة قليلة بخلاف اقتراح أسماء المستوطنات للاستفسار عنها. لقد كانت المسافات المسجلة عليها خاطئة. حيث تبين أن مواقع البحيرات والعلامات الأخرى عليها غير موجودة، وقد فَشِلْتُ في إظهار العديد من العلامات الموجودة.

عندما نتحول من الخرائط إلى السكان المحليين، تظهر لنا ألغازًا أخرى. إنهم غير مُعتادين على نوع السؤال الذي يطرحه المرء عليهم، ومثلما لا يستطيعون فهم الصور عندما يرونها لأول مرة؛ مثلما ينظرون إليها مقلوبة رأسًا على عقب. لذلك، في كثير من الأحيان وعن غير قصد، يقدمون لنا إجابات مُضَلِّلَة تمامًا. وفي بعض الأحيان، لا يهتمون أيضًا بمعرفة مكان الآبار نصف الجافة. ومع ذلك، مع الصبر والقليل من الخبز والشاي في أكياس السرج، نجعل من ليلة في العراء شيئًا لا يندم المرء عليه، وعادة ما يتمكن المرء من الوصول إلى المكان الصحيح.

لذا، منذ الصباح الباكر، يمضي المرء سائرًا على طول الطريق المُحدد قليلاً فوق السهول الصخرية والجافة، صعودًا ونزولاً في الوديان ذات الجوانب الشديدة الانحدار حيث يجعلنا موطئ القدم الزلق ننزل ونحن نقود الخيول بقوة وصبر على طول الجرف المنحدر، و فوق قيعان سباخ الملح العفنة، وعلى طول الأميال المُرهقة من الصخور الهشة، والشمس فوقنا والحجارة تحتنا، ولا يوجد ظل في أي مكان. وفي بعض الأحيان، نعبر بعض التلال جاهدين في صمتٍ وصوت أنفاسنا بين نخير ولهاث أو صراخ متسارع عندما يسقط أحد الخيول، ونرى من مسافة بعيدة الهدف الذي نسعى إليه – ثم ننزل مرة أخرى إلى وديانٍ مُقفرة وقد عمينا عن كل شيء ما عدا الأمل. ولكن في النهاية، يقترب اليوم المُرهق

من نهايته الباردة. وكان عدد قليل من الرعاة الرُّحَّل؛ وهم يتوجهون بقطعانهم من نقاط مختلفة نحو مركز واحد؛ يظهر لنا أن البئر قريب، حتى ننتقل في النهاية إلى ركن ونرى الأرض التي داستها الأقدام قبلنا والمواقد القديمة التي تدل على أرض التخييم. وهناك في الوسط حفنة من العرب ذوي العيون المتوترة ينحنون فوق حفرة صغيرة يسحبون منها الماء الأصفر في دلو من جلد الماعز.

لقد كانت الرحلة لأيام، ولكنها أيام بدون عمل. نترجل عن ظهور الخيل ونشرب قليلاً ثم نلف السجائر ونجلس وننتظر حتى تأتي الإبل ذات الأقدام الثقيلة تجلب لنا الخيام ومتطلبات العشاء. المزيد من الرعاة يتجمعون حولها، يسقون قطعانهم، ويتحدثون قليلاً، ويتجولون مرة أخرى في الليل. وأخيرًا، تحركنا هتافات سائقي الإبل، وسرعان ما تتوهج نار من الفحم، وأقوم أنا ورفيقي بطهي العشاء بينما نوبّخ الرجال لأنهم تأخروا عن الطريق، أو الذين يزعجهم الرعب من رحلة الغد. بعد انتهاء العشاء (لا يستغرق الأمر وقتًا طويلاً) يتم غسل الأطباق، ويطلب منا سائقي الإبل أو الجنود (لأن المجموعتان لا تختلطان أبدًا) أن نشرب الشاي ونتحدث معهم، وهكذا تمر ليلة هادئة. لا يزال المخيم يزداد تدريجيًا، وتتمرغ الحيوانات في مرابضها المُتربة، ويتحرك الحارس بصمتٍ حولها، ونستلقي في بطانياتنا، ورؤوسنا مستندة على السروج، ونراقب النجوم وهي تتبع مساراتها الذهبية على طول منحنى السماء الأرجوانية. ونادرًا ما يكدر صوت صفو هدوء الليل. وقد تبدأ مجموعة من ابن آوى في العواء عبر الوادي، أو يزعج الحارس أحد العرب البدو. الذي – بعد أن شاهد ضوء نيراننا – يأتي من على بعد أميال ليطلب الأدوية أو بعض الأموال القليلة لزوجته التي تنتظره هناك في ظل شجيرة القطلب. وعندما يحصل على ما يريد؛ يشكرنا بامتنانٍ ويتلاشى في الظلام، ولا يزال كل شيء يتجدد مرة أخرى؛ حتى توقظنا أول خيوط لأشعة الشمس، والطيور التي تبدو السماء بأكملها وكأنها تقطر بموسيقاها.

إن الطريق الذي سلكناه هذه المرة قادنا إلى اجتياز الرحلة على طول البحر، لذلك؛ إذا كان مع المسافر القليل من المرطبات السائلة، فإن البشرة الخارجية على الأقل ستجد الراحة. ولكن الطريق البحري صعب للغاية. ذات يوم قبل أن أقوم بقطع جزء منه سيرًا على الأقدام، وأولئك المرافقين الذين كانوا معي في ذلك اليوم الحار، بعد أن توقفنا لمدة ثلاثة أيام في (مرسى سوسة Marsa Susa)، قطعنا مسافة ستة عشر ميلاً إلى منطقة (رأس الهلال Ras el Hil) في أربع ساعات، إنهم لن ينسوها أبدًا. وأنت يا رفيقي الطباخ وصديقي المبتهج، هل ستنسى ذلك اليوم من شهر يونيو الماضي عندما ركبنا من رأس الهلال إلى درنة؟ واستغرقنا حوالي سبع ساعات، لقد قيل لنا أن المسافة قصيرة وهناك

الكثير من الماء. إن الماء لم يكن حلمًا. لقد كانت الانطلاقة مباشرة من وادي (لابرون Labrone)[*] الجميل مع تياره المتدفق وضفافه المزدانة بالورود ونباتات الدفلى. ولكن السبع ساعات كانت اثنا عشر، والطريق! هل تتذكر ذلك الحصان الذي تجاوز الحافة في محاولة للانتحار، ذلك الحيوان التعيس الذي شعر بالاشمئزاز لأنه لم يتوقع أن يسافر فوق مثل هذا البلد؟ ثم، في النهاية، هل تتذكر إرهاقنا المؤلم الذي أظهر احترامنا لبعضنا البعض ولعلي المخلص عندما طلب منا التخييم على سفح تل جاف على بعد ميل من أضواء المدينة الخضراء الصغيرة التي ظهرت أمامنا ؟؟؟ وكم كان الأمر مسليًا عندما وصلنا أخيراً إلى المقهى تحت شجرة الصفصاف.

أما بالنسبة للبلدات في هذا الموطن، فليس هناك الكثير مما يمكنني قوله عنها، فبالنسبة لمعظمها، على الرغم من موقعها البارز على الخرائط، إلا أنها مجموعات متناثرة من أكواخ المبنية من طوب اللبن مُحاطة بالحدائق التي تكافح بشدة لأجل البقاء. ففي قصر هديب لا يوجد سوى عدد قليل من المنازل ويبدو أن عدد السكان لا يزال أقل. تفتخر منطقة (توكرة Tokra) بمحطة التلغراف، وقد يتم وضع أطلالها الواسعة في المستقبل الغامض ضمن "المناطق الأثرية" بسبب عدم تزايد عدد السكان، ولكن في الوقت الحاضر تتسلل الثعالب الرمادية بين صخورها؛ والآبار تسكنها أعداد كبيرة من الحمام البري بسبب قلة عدد السكان. في (طلميثة Tolmeita)، لا تزال الآثار أجمل، ولكن المنازل لا تزال أقل عددًا، ولا يتردد سكانها في إظهار أسنانهم للغرباء المجهولين. وفي منطقة (نانسيداس Nansidas)، فشلت في رؤية أي منزلٍ على الإطلاق، ولكن ظهر عدد قليل من السكان المحليين بثيابهم الرثة من كل مكان؛ وفي كراهيتهم المُقَنَّعَة أظهروا جهلاً تامًا لقواعد الضيافة. وبشكلٍ عام، بمجرد أن عرف المواطنون من نحن، كانوا ودودين ومتحمسين لبيع الخضار والبيض والحطب، أو يقدمون لنا أي مساعدة نطلبها.

إن بلدة المرج هي البلدة الوحيدة الذات أهمية على الطريق الشمالي من بنغازي إلى كيريني. فهناك يقيم (القائم مقام Kaimakam). وحيث يتواجد حوالي ثلاثين جنديًا في القلعة المُتداعية، والبازار الصغير يوفر راحة بسيطة من تعب الطريق. كما أنها تتميز بوجود محطة للتلغراف، يبدو من الغريب القول أنها جاهزة للعمل بشكلٍ عام. إن أطلال وآثار البلدة القديمة التي كنت أتمنى أن أجدها كانت بعيدة المنال. كان هناك شاهد قبر متأخر وقبر منحوت في صخور التلال الواقعة شرقًا، وهي الآثار

[*] يعرف محليًا باسم وادي **(لاثرون)** أو **(الأثرون)**، وتقع فيه بلدة ليبية صغيرة تبعد نحو 9 كيلومترات إلى الشرق من رأس الهلال ونحو 50 كيلومتراً شرقي مدينة البيضاء في الجبل الأخضر شمال شرق ليبيا. اسمها يعود إلى عهد الإغريق بمسمى "Erythron" أو الحمراء والذي يعود إلى لون تربة المنطقة. يوجد بها بعض الآثار المتبقية من فترة الإغريق بينها مجموعة من القبور المنحوتة في الصخر وترجع للقرن الخامس قبل الميلاد. **(المترجم)**

القديمة الوحيدة التي يمكن رؤيتها. القبر الصخري، يشبه تمامًا تلك القبور الموجودة في كيريني، وهو دليل كافٍ على الرغم من أن البحث الإضافي والأكثر تفصيلاً سيكون أكثر مكفاءة. قد تكون المدينة القديمة نفسها مخفية تحت المدينة الحديثة التي تقع على تل في وسط سهلٍ عميقٍ رائع. من هنا اتجهنا باتجاه الشمال الشرقي إلى هدفنا كيريني. لقد صعدنا سفوح التلال الصخرية، في الوديان التي تتخللها السيول، وتؤذينا في طريقنا الوعر، متجاوزين اللصوص المتربصين بمنطقة (قصر بن قديم Benigdem) إلى أطلال جديدة ومثيرة للاهتمام، حتى في إحدى الأمسيات الأخيرة الهادئة، عبرنا حقول القمح المُصْفَرَّة بكيريني والعديد من القطعان المُنتشرة. وفي المخيم، كنا نترنح من التعب، ولكن كنا راضين بما حققنا من إنجاز، ونمنا بجانب ذلك الربيع المقدس.

لقد مكثت في كيريني عدة أيام كانت مشوشة. ففي البداية كان العمل متوترًا إلى حد ما، لأن موقف السكان المحليين كان معلقًا على الميزان. ومن المؤكد أن الإيطاليين قد نشروا تقاريرًا كاذبةً عن نواياي، والسؤال هو ما الذي يعتقده العرب. وقد تعقدت الأمور بسبب غياب المدير (الممثل المحلي للحكومة العثمانية)، الذي غادر المكان وبدا غير راغبٍ في العودة. لقد كان من أصول عربية، وحسب اعتقادي أنه ذهب بعيدًا خوفًا من أن يبدو أمام زملائه من القبائل أنه على علاقة جيدة جدًا بنا. كان هناك قدر معين من العصبية الواضحة بين السكان المحليين، وقد نصحني العديد من الأشخاص بأنه سيكون من الأئمن لي أن أقوم بالمغادرة، وعلى الرغم من أن الشيوخ المحليين لم يكونوا على دراية بما يجب فعله في غياب ممثلهم الرسمي. لذا بعد أن أمهلته يومين للتفكير في الأمر، أرسلت برسالة علمت أنها ستصل إلى آذان المدير، إلى المتصرف في بنغازي. وفي غضون ساعاتٍ قليلةٍ كان المدير يولول في خيمتي، وفي الأسبوع التالي، لم يكن يغيب عن ناظري، وبالتأكيد فعل كل ما يستطيع فعله للمساعدة في العمل.

لقد كانت كل دقيقة من تلك الأيام مشغولة بالكامل. على الرغم من أنني كنت قد زرت كيريني مرتين من قبل، إلا أنني لم أرى نصف المدينة، التي كانت تمتد لعدة أميال في كل اتجاه. لقد قمت بالتقاط الصور الفوتوغرافية، ونسخت النقوش، وصنعت خريطة للأكروبوليس والآثار القريبة منه. ثم في إحدى الليالي بعد أن انتظرنا حتى يرحل العرب وكان المخيم نائماً، ذهبت مع رفيقي وأخذنا الشموع وتسلقنا فوق الحائط المكسور عند فم الهوة التي ينبثق منها الماء، وزحفنا إلى المجرى المائي في قلب التل.

اللوحة (5)

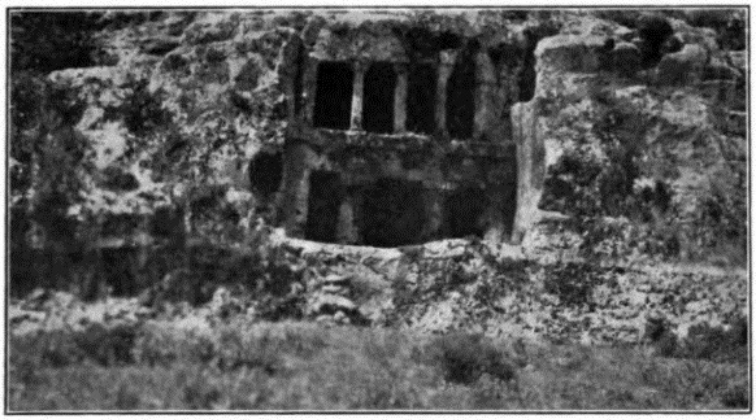

المرج: قبور منحوتة في الصخور بأعمدة دورية

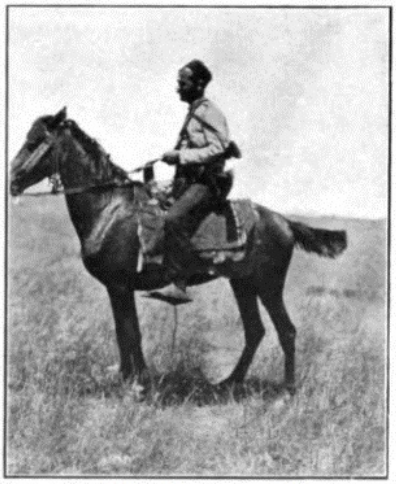

فارس من الزابطية

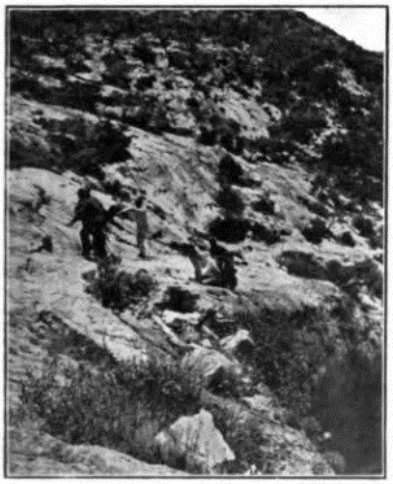

الحوادث

اللوحة (6)

قصر بن قدَيم: الحصن القديم كما يبدو من الداخل

كيريني: تلة الأكروبوليس، مع النبع في أقصى اليمين

وكانت هناك آثار مختلفة تُظهر أننا لم نكن أول من فعل ذلك (فمنذ سنوات قام الضابطين سميث وبورشر بنفس الشيء)، ولكن من كان آخر من عمل في النبع، أو حتى كان هنا، لم نتمكن من معرفة ذلك. لقد نفدت الشموع قبل وصولنا إلى نهاية الممر، لذلك ربما أثناء عودتنا قد نجد نتائج أكثر إثارة للاهتمام. إن التقرير الذي بلغنا – من غير المحتمل أن يكون صحيحًا – هو أن نعثر على عملات معدنية في الماء. وإذا كان الأمر كذلك، فقد يساعدنا ذلك على اكتشاف حقائق مثيرة للاهتمام للغاية من خلال بحثٍ أكثر دقة.

بعض الأرواح الأكثر وحشية من بين الرعاة لم تتوافق مع وجودنا. لقد أطاحوا بنقاط الرؤية التي قمت ببنائها لأجل تنفيذ خريطتي وكانوا يقفون على مسافة يلعنوننا وجميع أعمالنا ويهددوننا ببنادقهم. ولا يزال السكان المحليون في معظمهم عاقلين، وقد قام شيوخهم بكل ما في وسعهم لمساعدتي.

فيما يتعلق بالعمل في كيريني، ستكون الصعوبة الرئيسية هي إقناع البدو بأن هدفنا الحقيقي هو مجرد التنقيب في آثار قديمة، والذي بدى لهم ضربًا من الجنون، وليس لدينا هدف آخر خفي يُراد به شَرًّا للبلاد. ثم يجب أن نطلب منهم السماح لنا بالتنقيب في داخل حقولهم. فأولئك الذين قاموا بالتنقيب كانوا ينقبون في أراضٍ مستعمرة فقط، حيث يمكن رؤية أدلة الحكومة من كل جهة، وبالكاد كانوا يدركون صعوبة الحفر في بقعة تبعد مسافة ثلاثة أيام من أقرب موقع حكومي وصعوبة الاتصال بهذا الموقع نظرًا لبعد مسافة الطريق. إن مصادرة ملكية الأرض الأثرية ليست أمرًا صعبًا في بلد مثل اليونان، ولكن في كيريني، الأمر ليس بهذه البساطة، ويرجع ذلك جزئيًا إلى أن الناس مقاتلون؛ وجزئيًا لأنه لا يوجد دليل وثائقي على ملكية الأرض، ومن وجهة نظر الحكومة في الوقت الحاضر فإن الملاك الحاليين مجرد واضعي يد.

خلال الأيام التي مررت بها في كيريني في يونيو الماضي أعتقد (ليس من الآمن أبدًا أن يظن الرجل الغربي أنه سيعرف كل شيئ، عندما يتعامل مع الرجل شرقي) أن العرب من سكان كيريني والجوار بدأوا ينظرون إلي بقدرٍ مُعَيَّنٍ من الود، واعتقدوا أن العمل الذي اقترحته عليهم قد يستحق وقتًا للمساعدة. وإذا ثبت أن هذا هو شعورهم، فلا تزال هناك صعوبة أمامنا في أن العربي ليس عاملاً جيدًا بمعنى أن يكون عاملاً ثابتًا. إن غريزة البداوة قوية بداخله، وعقله (والحمد لله) لا يعمل باستمرارٍ على فكرة أن "الوقت هو المال". وعندما يكون لديه المال الكافي لاحتياجاته الفعلية، فإنه يفكر في إهدار الوقت في الراحة، ومن بينها الجلوس والتحدث مع أصدقائه، بدلاً من كسب المزيد من الوقت للعمل الشاق لبعض الظروف المستقبلية المحتملة. لذا، على الرغم من أن الشيخ (بونقاز Bounaghas)، والشيخ (بن مريم Ben Miriam)، وشيوخ محليين آخرين قد وعدوني "حتى بالآلاف" من العمال، فمن

غير المحتمل أن يعرض هؤلاء أنفسهم بأعداد كبيرة، ومن المحتمل أن يعمل أولئك الذين سيدخلون في عملنا بشكلٍ متقطعٍ وغير منتظم. على الرغم من أن البلاد ستكون في وقتٍ ما بلادًا غنية، لأن مواردها كبيرة، فإن السكان المحليين في الوقت الحالي هم فقراء للغاية، ولهذا السبب أعتقد أن أول يوم دفع أسبوعي سيشهد تغييرًا كبيرًا في موقفهم تجاهنا وتجاه العمل.

عندما نبدأ بأعمال الحفريات في شهر أكتوبر، سيكون هناك العديد من الصعوبات والأسئلة التي يتعين علينا حلها؛ ولكن لا يوجد سبب لعدم استمرار الحفريات، فاللباقة والحزم والنجاح، ستؤدي إلى تحقيق نتائج ذات أهمية تاريخية وفنية كبرى، والتي ستكون – بالإضافة إلى كونها مصدر فخر للمعهد الأثري – حافزًا لطلابنا الأصغر سنًا على حياة المُستكشف. ولن نجني من ذلك الأموال. فهناك عمل شاق لا نهاية له وبعض المخاطر. لكن فرحة الحياة الحقيقية بين الرجال الحقيقيين تعوض عن كل المصاعب والعزلة. وإذا ما كان أي شاب يريد أن يجد نفسه، وأن يعرف ما إذا كان يليق به العيش بين الرجال والتعامل معهم، فدعه يأتي إلى كيريني.

ريتشارد نورتون

أغسطس 1910**م**

BULLETIN

OF THE

ARCHAEOLOGICAL INSTITUTE OF AMERICA

VOLUME II MARCH, 1911 NUMBER 2

FROM BENGAZI TO CYRENE
GENERAL MEETING. DIRECTORY

ISSUED QUARTERLY

PUBLISHED BY
THE ARCHAEOLOGICAL INSTITUTE OF AMERICA
AT NORWOOD, MASS., AND WASHINGTON, D.C.
NEW YORK: THE MACMILLAN COMPANY
LONDON: MACMILLAN & CO., LTD.

Archaeological
Institute
of America

FROM BENGAZI TO CYRENE[1]

DIFFICULTIES of travel in an unexplored country are many. Those that one meets when in the less familiar parts of our own land are often numerous, but a more varied assortment of trouble is experienced in a region like Tripoli. Though there are maps of the country they are of almost greater value to the student of engraving than to the traveller, and the population though by no means dangerous affords the stranger a variety of sleep-destroying experiences.

The Turks and the Arabs, taken *en masse*, have as many good points as any of the Western races next whom they live. As regards Tripoli, the Arab considers, and with justice, that his people are the real owners of the land, but they recognize the overlordship of the Turk, and I do not believe that they have any idea of trying to throw off this rule. For the Turks it may be said that, as every one who has ever had anything to do with them knows, they have magnificent qualities and also what is not generally known, that they know as no one else does how to govern the Arab. The Arab is in many ways childish; he is also ignorant, superstitious, and frequently fanatical. The Turk is persistent and understanding and governs firmly with quiet bravery. The Turks hold to the same religion as the Arab and enjoy fighting quite as much. As a result the Arab fears but respects them, a very different thing from fearing and despising, the not infrequent attitude of the East toward the West.

When one goes to Cyrene his difficulties begin immediately on landing at Bengazi. The only hotel, the "Grand Hotel de Cyrene," is a horrible place, and the eating shop on the harbor

[1] The Commissioners in charge of the Excavation of Cyrene (Bulletin, I, p. 250) receive frequent reports from the field and will publish from time to time in the Bulletin those that are of more general interest; the technical reports will appear in the *American Journal of Archaeology*. This sketch by Director Norton narrates experiences of the preliminary reconnaissance, in May and June, 1910.

front, kept by Italians, who though good-natured are incompetent (even in their rascality), is a severe trial to the flesh. I, however, enjoyed a blessing that has often before fallen to my lot and in the appreciation of which many a traveller will agree with me. It was the friendship of a British Consul. In this case it was Francis Jones, Esquire, a man whose knowledge of the nearer East is great and whose readiness to help the stranger is unfailing. He took me and my companion under his roof, and with him and his sisters, both on my arrival and departure, we found most generous hospitality and ready help. It is the Englishman abroad who makes the foreigner love England; the generosity with which he puts himself at your service is a model that every one would do well to imitate.

Here at Bengazi I had to pass several days. There was the Mutesarif (the Governor of the Province) to see. With him I had to arrange about the journey, which, though only some couple of hundred miles across country, necessitated, owing to the generally wild conditions that prevail, some careful planning. Murad Fuad helped smooth all my difficulties. Of Bengazi itself, the less said the better. It is a fly-bitten, pestilential spot without a single charm to dull the curse of its baked ugliness. My first walk was to its small bazaar, where the steady stream of keen-eyed, questioning natives, gazing from the folds of their blanket robes as they shuffle with slipper-padded feet from shop to shop, stopping here and there for a small purchase and much talk, serves the purpose of a newspaper. And so it was that the next morning it was already well known that I had been here before and was now about to gather together a small caravan to go to Merdj, thence to Cyrene, and so on to Derna. Then the caravanbashis began to arrive.

Several Maltese came first, but after many repetitions of the same words to the effect that I would not have one of them in any capacity or at any price, they gave up trying to persuade me that they knew my business better than I knew it myself. Then at last began to come the Arabs. Some days passed before any agreement could be come to, for of course the first hope of them all was that I was a "milord," ignorant of all that would make the trip possible or profitable. Some, when they learned

I had been in the country before, found sudden excuses for giving up thought of the work. Others had no money but would take mine, buy the animals, and sell them for me, "surely at a profit," when the trip was done. At times this is the best plan, but for me it was impossible. Others were ready to do all I asked, but their camels were away in the country; it was the reaping season; they could not start now. Others found no difficulty till the last item was mentioned. This was that they should go with me before the Mutesarif and be vouched for as known and trustworthy persons. Little does the Mutesarif suspect for how many sudden sicknesses of wives and unexpected accidents to camels he is responsible!

But at last Ali ben Aisa appeared, who was ready to serve me in any way and who was unappalled by the visit to the Mutesarif. So, after sitting over many coffees, while the quiet minutes lapsed into hours marked only by the changing light on the white-caps breaking on the harbor reefs, the Director of Public Instruction, Shehab Eddin Bey, a most helpful friend who had joined our little group to assist in bargaining, ben Aisa and I strolled over the hot square to the ragged castle, and there clinched our agreement with the beating together of our outstretched hands and the uttering of the word "mabruk." When, after much talk, a bargain is "mabruk," great content enters the soul of the traveller. It is so sharp and incisive, that word, and seems such a certain seal to the bond. But alas! the Arab assumes woman's privilege of changing his mind, and what was "mabruk" one minute has frequently broken loose the next instant and is once more drifting on the waves of discussion. That was not the case this time, however, and finally one hot evening all was ready for an early start next morning. The last packages of rope, of salt, of tea, of all the general camp paraphernalia had been purchased, ben Aisa had been persuaded that a camel could carry more than a donkey and that I knew it, tents and guns had been looked over, and we turned in for the restless sleep that precedes the start of a long and somewhat doubtful trip.

Most travellers will agree, I believe, that, no matter how early you get up, it always takes longer to break camp and to start a caravan than seems necessary. That was our case that

hot Friday morning when we headed north past the palm-leaf huts of the negro village and by the salt lagoons on the trail to Kasr Hadib.

At the beginning of any journey the various members of the party, beast as well as man, have to shake together and get used to each other's personal equation; and that traveller is lucky whose party, if a mixed one, does not contain some indissoluble element. I was lucky this time, for, though I can look forward with contentment to a future during which my eyes never again see one or two of the sons of the Prophet who accompanied me, still, on the whole, no one of them was really impossible and my only compatriot and chief companion, though quite untried in this sort of work, turned out a constant resource and help.

At first I was annoyed by the number of our guard, which seemed to me excessive. There were six cavalrymen and two zaptiehs. The Mutesarif had, however, insisted on my taking at least this number, and he was right to do so. Under the old régime the soldiers that were supposed to be a guard were not infrequently of little service, and a source of aggravation to the natives among whom one passed. In the present instance I have only words of praise for the men who formed the guard for the first part of the journey, under the command of Ezzed Effendi, and those who joined us unexpectedly at Cyrene, under Jusouf Effendi. It would be impossible to find a more capable, useful, and in every sense soldierly set of men. When the desert wind lifted the tents, as though they were paper, off the ground and sent them fluttering like wounded birds among the rocks and bushes, these soldiers were always ready to see the humorous side of the adventure; when water was not to be had and the air burned like the blast of a furnace, they never lost their temper; when they had only bread to eat, and not too much of that, their first thought was to share it, and they never complained. They were men through and through. They were all of them Turks in the broad sense of the word. To the Arab caravan-men also praise is due; but they were by no means so fine a lot as the soldiers, and the first evening when we topped the rise of the rocky, pathless hill and looked down on the scanty cultivation of Kasr Hadib, I discovered the

failings of Ali ben Aisa, the leader and owner of the animals. He was incompetent in every sense of the word. He knew the country but little better than I did and considerably less about loading animals. When difficulties arose he depended on Allah, assisted by me, to get him out of them, and would sit wrapped in his blanket like a sick baby till my increasing invective gradually forced him to unwilling effort. But in the end the trip was accomplished satisfactorily, for we did what we undertook to do. So even toward the lazy ben Aisa I bear no real ill-will, but I certainly would not advise any beginner in Eastern travel to employ him as caravanbashi.

In the main, the days did not vary much one from another. The camp began to stir at dawn; the animals snuffled in their feed-bags; the men clattered about with their coffee-pots; where there was water we took what bath we could; tents were taken down, a light breakfast cooked, and then the loads made up. Every morning Ali found the same difficulty in getting the ropes to hold the baggage, and the camels groaned and grunted, as with hisses and shoving the men made them kneel for their burdens. At last the start is made. The baggage, with its guard, is to follow the trail to the next night's camp, and we push ahead, for there are questions to settle along the road. There are reports of ruins in the neighborhood, which must be looked up, or some town marked on the map — that romantic map! — the existence of which is worth proving, or a water course to be traced, or some of the endless interests of geography and archaeology to be followed up. And each day there were two recurring problems — one the road, the other where the camp was to be pitched at night. The English and French staff maps are correct enough for the schoolroom, but they cannot be depended on by one who has to see to the feeding of some fifteen men and as many animals every night in a different spot. One would think to look at them that the trail was easy to follow over generally flat country, but such is not the case. As a matter of fact, except for general outline, they are of little use other than to suggest the names of settlements to ask about. The distances on them are wrong; they show lakes and other features that do not exist, and fail to show very many features that do.

As we turn from the maps to the natives, other puzzles appear. They are not used to the kind of question one asks, and just as they cannot understand pictures when they first see them but are as apt to look at them upside down as any other way, so, quite unintentionally oftentimes, they give answers that are entirely misleading. Sometimes, too, they do not care to tell where the half-dried wells are. However, with patience and enough bread and tea in the saddle-bags to make a night in the open nothing to regret, one usually manages to hit the right spot.

So from the cool, early morning, one wends along the little marked way over the parched and rocky plains, up and down the sheer-sided wadys where the slippery foothold makes us dismount and lead the sturdy, patient horses along the treacherous shelf, and on over stale salt bottoms, and along weary miles of loose rock, sun above and stone below, and nowhere shade. At times, from some hilltop up which we have sweated in silence but for our breath coming in grunts and pants or the hurried shouts when a horse falls, we see in the far distance the goal we are pursuing — then down again into valleys of desolation which blind us to everything but hope. But at last the weary day draws to its cool end; a few nomadic shepherds heading their flocks from different points towards one centre show the well is near, till finally we turn a corner and see the trampled earth and old fireplaces that betoken the camping ground. And there in the midst are a handful of nervous-eyed Arabs bending over a small hole out of which they draw the yellow water in their goatskin bucket.

The day's journey, but not the day's work, is done. We off-saddle, drink a little, and then, rolling cigarettes, sit down to wait till the heavy-footed camels come bringing us tents and the possibilities of supper. More shepherds gather around, water their flocks, talk a little, and wander off again into the night. At last the shouts of the camel-men stir us, and soon there is a charcoal fire glowing, over which my companion and I cook our supper while we scold the men for having missed the road, or chaff them about the terrors of to-morrow's journey. After supper is done (it doesn't take long) and the dishes are cleared, the camel-men or the soldiers (the two groups

never mix) ask us to drink tea and talk with them, and so the young night passes. The camp gradually grows still, the animals rub about in their dusty beds, the guard moves silently around, and we stretch out in our blankets, head on saddle, watching the stars trace their golden paths along the amethystine curve of heaven. Scarcely a sound roughens the quiet of the night; perhaps for a minute a pack of jackals may rush yelping through the valley, or the challenge of the guard stop some Arab. He, seeing our fire, has come from miles away to beg medicine or some small money for his wife who is hanging back there in the shadow of the ilex. He gets his wish, and with low-murmured gratitude fades away into the dark, and all is still again till we are wakened by the sun's heralds, the birds, with whose music the whole sky seems dripping.

The road I took this time led us part way along the sea, so if the inner man had little liquid refreshment the outer husk at least found comfort. But the sea-trail is a bitter hard one. Once before I had done a piece of it on foot, and those who were with me that hot day, when, after being marooned three days at Marsa Susa, we did the sixteen miles to Ras el Hil in four hours, will never forget it. And you, O fellow-cook and cheery companion, will you ever forget that day last June when we rode from Ras el Hil to Derna? About seven hours, you remember, we were told the distance was and plenty of water. The water was no dream. There it was just after starting in the lovely valley of Labrone with its rushing stream and its banks rosy with the plumed oleanders. But the seven hours were twelve, and the trail! Do you remember the horse who went over the edge in an attempt, which we meanly frustrated, to commit suicide, disgusted as he was, poor beast, at being expected to travel over such country? And then, at the end, do you recall our fatigue which showed in our painful politeness to each other and to the faithful Ali when he asked us to camp on a dry hillside about a mile from the lights of the little green town ahead of us? And how amusing it all seemed when at last we got to the Café under the pepper tree.

As for the towns of the country, there is little to be said, for most of them, though standing out boldly on the maps, are but scattered groups of adobe huts surrounded by gardens which

struggle hard for existence. At Kasr Hadib there are but few houses and seemingly still fewer inhabitants. Tokra boasts a telegraph station, and its extensive ruins may in the dim future be laid out in "Passagiate Archaeologiche" for an increasing population, but at present the gray foxes sneak among the rocks and wild doves are not often frightened from the wells by the few inhabitants. At Tolmeita the ruins are still finer, but the houses are fewer still, and the dwellers therein do not hesitate to show their teeth to unknown strangers. At Nansidas I failed to see any house at all, but a few ragged natives appeared from nowhere and in their ill-disguised dislike exhibited complete ignorance of the rules of hospitality. In general, however, as soon as the natives knew who we were, they were friendly and eager to sell vegetables and eggs and wood, or give us whatever help we asked.

Merdj is the one town of importance on the northern road from Bengazi to Cyrene. A Kaimakam is there; some thirty soldiers are quartered in the tumbledown castle, and the little bazaar affords grateful relief from the simple fare of the road. It also boasts a telegraph station which, strange to say, seems generally to be ready for business. Ruins and traces of the ancient town which I had hoped to find proved elusive. A late tombstone and a fine rock-cut tomb in the hills to the east were the only ancient remains to be seen. The rock-cut tomb, very like those at Cyrene, is proof enough though that further and more detailed search will be rewarded. The old city itself may well lie hidden under the modern town which rises on a mound in the middle of a splendid deep-soiled plain. From here we headed northeast to our objective Cyrene. Up the craggy hillsides, down the torrent-torn valleys, we wound our rough way, past the robbers' roost of Kasr Benigdem and on to new and more interesting ruins, till at last one quiet evening we crossed the fields of Cyrene tawny with grain and tinkling with many flocks. Into camp we limped, tired but contented with accomplishment, and slept beside the Sacred Spring.

I stayed at Cyrene several busy days. At first it was rather nervous work, for the attitude of the natives hung in the balance. That the Italians had spread false reports about my intentions was certain and the question was how much the

Arabs believed. Matters were complicated by the absence of the Mudir (the local representative of the Ottoman government), who had left the place and seemed unwilling to come back. He, being an Arab, had gone away for fear, I believe, of seeming to his fellow-tribesmen to be on too good terms with us. There was a certain amount of evident nervousness among the natives, various persons advised me that it would be safer to leave, and the local Sheiks though friendly didn't know quite what to do in the absence of their official representative. So after giving him two days to think the matter over, I sent a message which I knew would come to the Mudir's ears, to the Mutesarif at Bengazi. In a very few hours the Mudir was whining in my tent, and for the following week he would hardly leave my sight, and certainly did all a weak man could to help the work.

Every minute of those days was fully occupied. Although I had been at Cyrene twice before, I had not seen half the city, which stretches for miles in every direction. Photographs were taken, inscriptions copied, and a plane-table map made of the Acropolis and nearer ruins. Then one night after waiting till the Arabs had gone away and the camp was asleep my companion and I took candles, and clambering over the broken wall at the mouth of the chasm from which the water rushes we crawled up the watercourse far into the heart of the hill. There were various traces showing that we were not the first to do this (years ago Smith and Porcher did the same), but who it was who had last worked in the channel, or when they had been there, we could not tell. The candles gave out before we reached the end of the passage, so perhaps when we return we may find more interesting results. The report, not unlikely to be true, is that coins are found in the water. If so, very interesting facts may be discovered by a more careful investigation.

Some of the wilder spirits among the shepherds could not get reconciled to our presence. They overthrew the sighting points I built for my map or would stand at a distance cursing us and all our works and fingering their guns. Still in the main the natives were a sensible lot, and their leaders did everything they could to assist me.

So far as the work at Cyrene is concerned, the chief difficulty with the Arabs will be to show them that, crazy as it seems to

them to merely dig up ancient ruins, this is really our object and that we have no ulterior design on the country. Then we must get them to let us dig their fields. Those who have only dug in well-settled lands, where the evidences of government are to be seen on every hand, can hardly realize the difficulty of digging on a spot distant three days from the nearest government post and connected with this post by only the roughest of trails. Expropriation is not a difficult matter to arrange in a country like Greece, but at Cyrene it is not so simple, partly because the people are fighters and partly because there is no documentary proof of ownership of the land, and from the government standpoint the present holders are mere squatters.

During the days I passed at Cyrene this last June I think (it is never safe for a Westerner to assume that he knows, when he is dealing with an Easterner) that the Arabs of Cyrene and the neighborhood began to look on me with a certain amount of friendliness, and to believe that the work I suggested to them might in truth be worth their while to help. Granted this turns out to be their feeling, there is still the difficulty before us that the Arab is not a good workman in the sense of being a steady one. The nomad instinct is strong within him, and his mind is not (thank God) constantly harping on the theme that "time is money." When he has money enough for his actual needs he thinks rather of spending it on present enjoyments, among which sitting and talking with his friends is one, than on gaining more in the semi-seclusion of hard work for some possible future occasion. So, although Bounaghas, Ben Miriam, and other local sheiks have promised me "even thousands" of workmen, it is not likely that these will offer themselves in embarrassingly large numbers, and those who do enter our employ will probably work more or less by fits and starts. Though the country will in time be a rich one, for its resources are great, the natives are at present very poor, and for this reason I think the first weekly pay day will see a great change in their attitude toward us and toward the work.

When we begin to dig, in October, there will be many difficulties to smooth and questions to be settled; but there is no reason why, with tact and firmness, the excavation should not go on successfully, producing results of the greatest historic

and artistic interest, results which, besides being a source of pride to the Archaeological Institute, will be a spur to our younger students to take up the explorer's life. There is no money in it; there is endless hard work and some risk. But the joy of real life among real men makes up for all the hardships and solitude. If any youth wants to find himself, to know whether he is fit to live among and handle men, let him come to Cyrene.

RICHARD NORTON.

August, 1910.

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية
Mohmmad Bin Ali Assanosi University
كلية التأريخ والحضارة

المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية
العدد السادس / 2021م

ابنُ عبدالحكم ومَنهَجهُ فى الكتابةِ عن فُتوحات إفريقية وبلادِ المَغرِب

دراسة مقارنة مع المؤرخين القدامى

Ibn Abd al-Hakam his Methodology in Historical Writing & about Islamic Conquest in North Africa

الدكتور إسماعيل حامد إسماعيل علي
Dr. ismail Hamed Ismail Ali
باحثٌ في تاريخ أفريقيا الوسيط

المقدمة

تُناقش هذا الدراسةُ دور المؤرخ المصري "ابن عبدالحكم" (ت: **256هـ**) فى تطور التدوين التاريخى في مصر الإسلامية، لاسيما من خلال روايته عن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب إبان القرون الهجرية الأولى. وقد نال هذا المؤرخ مكانة مهمة بين مؤرخى مصر في العصر الإسلامي، باعتباره أقدم المؤرخين الذين وصلت إلينا مصنفاتهم، وصارت روايته مصدرًا رئيسًا لكل من جاء بعده مؤرخي العصر الوسيط. وتتحدث الورقةُ عن نشأة ابن عبدالحكم، والبيئة العلمية التي ظهر خلالها، لاسيما وأنه ينتسب لأسرة علمية عريقة، وهى أسرة بنى عبدالحكم، وكانت من أشهر الأسر التى ذاع صيتها بالعلم لاسيما إبان القرن **3هـ/9م** بمصر. كما تتحدث الورقة عن كتاب ابن عبدالحكم " فتوح مصر والمغرب"، كما يعرف أيضا بـ"فتوح مصر وأخبارها"، حيث نتناول أهمية الكتاب، ومنهج المؤلف فى التصنيف التاريخي. والتركيز على تناول رؤية ابن عبدالحكم للفتوحات الإسلامية لإفريقية، وبلاد المغرب، وكيف تمت، لاسيما وأن كتابه يعد من أهم المصادر التاريخية، وأقدمها في هذا الشأن. كما تتناول الورقة بعض المقارنات بين روايات ابن عبدالحكم من جانب وروايات المؤرخين الآخرين التى تناولت فتوحات المسلمين لـ"إفريقية"، وبلاد المغرب، سواء من جانب من عاصروه، أم من جاءوا بعده حتى تكون الرؤية أكثر عُمقًا.

الكلمات المفتاحية: "أسرة بني عبدالحكم،كتاب فتوح مصر وأخبارها، الفتوحات الإسلامية، إفريقية، بلاد المغرب

Abstract of an Article

Ibn Abd al-Hakam & his Methodology in Historical Writing about Islamic Conquest in North Africa .

This Article is dealing with the Historical Writing of the ancient Egyptian Historian Ibn Abd al-Hakam especially concerning with the arrival of the arabs to North Africa, comparing his Writing with the other Classic Historians. Ibn Abd al-Hakam is considered to be as oldest Islamic Historians in Egypt known to us, henceforth, He is the Pioneer of Egyptian historians, died in 257 A.H. His Writings are very important to all Historians came after him, who used what He wrote as the main historical source for them. Ibn Abd al-Hakam gave us more details about the Arabs and their Settlement in North African Provinces. He mentioned lots of precious traditions about that, gave more accounts about names of cities, confrontations between Arabs and Barbarians, main Dwellers of North Africa..etc. First Part of this Article is about his famous scientific family that had great reputation in Egypt during 3rd century A.H, and Ibn Abd al-Hakam benifited strongly of this later and its influence on his knowledge. Second Part deals with his scientific position and value as historian. Third Part talks about his famous Book “Conquest of Egypt”. Fourth Part deals with his historical treatment with the Arabic conquest of North Africa ..

"

المبحث الأول- بنو عبدالحكم ودَورُهم العلمي إبان القرن الثالث الهجرى:

يُعد عبدالرحمن ابن عبدالحكم **(187-257هـ)** أحد رواد كتابة التاريخ في العصر الوسيط، وهو يُوضع دومًا فى الذُروة بين مؤرخى مصر القدامى، إذ صارت مُصنفاته المصدر التاريخية هي الأقدم، وربما الأهم في ذات الوقت عن تاريخ مصر منذ بدايات الفتح الإسلامى **(21هـ/641م)**، وحتى أيام ابن عبدالحكم خلال القرن **3هـ/9م**، ولكل من جاء بعده من المؤرخين. وينتسب ابنُ عبدالحكم لأسرة عريقة، ذاعت شهرتها فى العلم إبان القرنين (2-3هـ)، وكان بنوعبدالحكم من كبار علماء وفقهاء مصر لاسيما فيما يخص الفقه والمذهب المالكى. فأبوه "عبدالله بن عبدالحكم بن أعين ابن ليث بن رافع المصرى"[1]، وقد أنجب عبدالله أربعة أبناء، كانوا جميعًا من أهل العلم والفقه، وكانوا على درجات متفاوتة فيما بينهم، وهم: عبدالحكم، ومحمد الفقيه (صاحب الشافعي)، وعبدالرحمن (المؤرخ المشهور)، وكان آخرهم: سعد، وقد تفقهوا في "المذهب المالكى"، وصارت لهم الرياسة فيه[2]. وقد أثنى المؤرخون على بنى عبدالحكم، ومكانتهم العلمية والدينية، فـ"ابن زولاق" (ت: **387هـ**) وضع بنى عبدالحكم بين عيون المُحدثين[3]، حيث اشتهروا برواية حديث رسول الله (ص)، وأخذ عنهم الحديث أصحاب الكُتب الستة[4]. ورأسُ تلك الأسرة "عبدالله بن عبدالحكم" **(155-214هـ)**، يُكنى: أبامحمد، أخذ العلم عن الإمام "مالك" (ت: **179هـ**)، وصارت له رئاسة "المذهب" بعد الفقيه "أشهب"، تلميذ مالك[5]. قال ابن خلكان: "الفقيه المالكى المصرى، كان أعلم أصحاب مالك بمختلف قوله..وروى عنه الموطأ سماعًا وكان من ذوى الأموال والرباع، له جاه عظيم وقدر كبير، وكان يزكى الشهود، ويجرحهم"[6]. كما أخذ عبدالله الحديث عن كبار الرواة، والمُحدثين، ومنهم: "عبدالله بن لهيعة"[7]، و"الليث بن

---

[1] السيوطى: حسن المحاضرة، جـ1، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ص265.

[2] صفى على محمد: الحركة العلمية والأدبية فى الفسطاط منذ الفتح العربى الى نهاية الدولة الأخشيدية، الهيئة المصرية العامة للكتاب (تاريخ المصريين)، 2000م، ص515.

[3] ابن زولاق: فضائل مصر وخواصها وأخبارها، تحقيق: الدكتور على محمد عمر، الهيئة المصرية العامة الكتاب (سلسلة التراث)، 1999م، ص32.

[4] الكتب الستة: هى أهم الكتب فى علم الحديث ، وهى الكتب المعتمدة فى هذا العلم ، وهذه الكتب هى : "صحيح البخارى، صحيح مسلم، سنن النسائى، سنن الترمذى، سنن أبى داود، سنن ابن ماجة ".

[5] ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،جـ2، تحقيق: رياض عبدالله عبد الهادى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، 2009م، ص17.

[6] المصدر السابق ، ص 17.

سعد" مفتى الديار المصرية[8]. وقد وضعه المؤرخون القدامى بين طبقة كبار فقهاء وعلماء بمصر، كما أثنى عليه ابن الكندى (ت: **350هـ**)[9]. وأثنى عليه ابن زولاق (ت: **387هـ**) وعده ممن كان بمصر من عيون العلماء، ورواة الحديث الذين قال عنهم: "وسارت مؤلفاتهم وفتواهم فى الآفاق"[10]. وأثنى عليه المقريزى (ت: **845هـ**)، ونعته بـ"الفقيه الإمام"[11]. كما أثنوا على روايته للحديث، حيث روى عن مالك كتاب السنة فى الفقه[12]. وكان لـ"بنى عبدالحكم" جوسقٌ مشهورٌ، وكان يُعرف بهم في قرافة "الفسطاط". ويذكر المقريزى أنه كان جوسقًا كبيرًا له حوش، وكان فى وسط القرافة بمسجد بنى سريع الذى يقال له "الجامع العتيق"، وهو أحد الجواسق الثلاثة "وهو جوسق عبدالله بن عبدالحكم الفقيه الإمام[13]. وروى بشر بن بكر في إطرائه عليه: " رأيت مالك بن أنس فى النوم بعدما مات بأيام، فقال: إن ببلدكم رجلاً يُقال له ابن عبدالحكم، فخذوا عنه إنه ثقة"[14]. ومات عبدالله سنة **215هـ** بالقاهرة، ثم دفن بجوار الشافعى بالقرافة الصغرى بالفسطاط[15].

أما بنوعبدالحكم، فكان أكبرهم "عبدالحكم بن عبدالله"، وهو من أهل العلم والفضل، قال أبوالطاهر المدينى: "لم يكن فى أصحاب (عبدالله) ابن وهب أتقن، ولاأجود حظًا من عبدالحكم"[16]. وقال الذهبى: "أخو محمد مفتى مصر، وعبدالرحمن صاحب التاريخ..سمع أباه وابن وهب، وكان ذاعلم، وعمل"[17]. وقال ابن أبى دلُيم: "لم يكن فى إخوته أفقه

---

[7] المصدر السابق ، ص 17.

[8] عبدالله بن لهيعة: هو أحد كبار محدثى مصر ومن كبار روات الحديث، وكان مفتى مصر وقاضيها إبان القرن 2هـ، لكن اتهمه البعض بضعف الرواية (للمزيد عن ترجمة ابن لهيعة، انظر الذهبى: سير أعلام النبلاء ، تحقيق: خيرى سعيد، جـ7، المكتبة التوفيقية، 2008م، ص337، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ2، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2008م، ص77).

[9] ابن الكندى: فضائل مصر المحروسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م، ص23.

[10] ابن زولاق: فضائل مصر وأخبارها، ص29.

[11] المقريزى: المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، جـ4، مكتبة الآداب، القاهرة، 1996م، ص332.

[12] ابن النديم: الفهرست، تحقيق: محمد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ، ص278، وللمزيد انظر أيضا السيوطى: حسن المحاضرة، جـ1، ص265.

[13] المقريزى: جـ4، ص332.

[14] المصدر السابق، ص332.

[15] ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ2، ص17.

[16] السيوطي: حسن المحاضرة، جـ1، ص265.

[17] الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ9، ص437.

منه.."[18]، وقد مات عبدالحكم بالقاهرة سنة **273هـ**[19]. أما الابن الثانى: محمد بن عبدالله بن عبدالحكم، ويكنى: أباعبدالله، ولد سنة **182هـ**، وهو من فقهاء المالكية، لكن لما جاء الشافعى مصر (سنة **198هـ**)، صحبه، ومال لمذهبه، وترك مذهب مالك. ونال شهرة فى العلم والفقه، قال السيوطى (ت: **911هـ**): "كان من العلماء الفقهاء، مبرزًا، من أهل النظر، والمناظرة والحجة، وإليه كانت الرحلة من الغرب والأندلس فى العلم والفقه. وكان فقيه مصر فى عصره على مذهب مالك، ورسخ فى مذهب الشافعى، وربما تخير قوله عند ظهور الحُجة، وكان أفقه أهل زمانه، وله مصنفات كثيرة"[20]، ويصفه الذهبى بأنه مفتى مصر[21]. وقال ابن يونس:" كان المفتى بمصر فى أيامه"[22]. ورافق محمد بن عبدالحكم الشافعى في حله وترحاله. وروى عنه الكثير من الروايات، والأخبار، ومن ذلك: "قال: لما حَملَت والدةُ الشافعى به، رأت كأن المُشترىّ خرج من فرجها حتى انقض بمصر، ثم وقع فى كل بلدة منه شظية، فتأول المعبرون أنها تلدُ عالماً يخُص علمه أهل مصر، ثم يتفرق فى البلدان"[23]. ومن روايته: "سمعتُ الشافعى يقول: يقولون ماء العراق، وما فى الدنيا مثل ماء مصر للرجال، لقد قدمت مصر، وأنا مثل الخصى ما أتحرك، قال: فما برح من مصر حتى ولد له.."[24]، كما روى: "ما رأيت أحدًا أقل صبا للماء فى تمام التطهر من الشافعى.."[25]. وقيل إنه تحول للمالكية بعد الشافعى (سنة **204هـ**)، قال السيوطى: "فلما قدم الشافعى مصر صحبه، وتفقه به. فلما مات الشافعى، رجع لمذهب مالك، وانتهت إليه الرياسة بمصر"[26]. ونظرًا لكثرة روايته عن الشافعى، خلط البعضُ بين روايته ورواية أخيه "عبدالرحمن" المؤرخ، لاسيما وأن الكثيرين يذكرون كليهما بـ"ابن عبدالحكم"، ولهذا يجب التحقق من "صاحب الرواية"، سواءً أكان الفقيه أم المؤرخ. ويمكن القول بأنه إذا كانت الرواية المذكورة وتنسب لابن عبدالحكم عن الشافعى، وفيها: "سمعتُ الشافعي"،أو "أخبرنا الشافعيُ"، وغير ذلك مما يُفيد الصُحبة، فإنه من المؤكد أن الراوى هو

---

[18] المصدر السابق، ص437.

[19] المصدر السابق، ص436.

[20] الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ9 ، ص436.

[21] السيوطي: حسن المحاضرة، جـ1، ص265.

[22] الذهبى: سير أعلام النبلاء، جـ8، ص436.

[23] السيوطي: جـ1، ص265.

[24] الذهبى: جـ8، ص400، وص424.

[25] الصمدر السابق، ص403

[26] المصدر السابق، ص381

"محمد" الفقيه. وما دون ذلك من الروايات لاسيما في التاريخ، وفيما لايخص فيها الشافعي، فالمعنىُ في الغالب "عبدالرحمن" المؤرخ، ولاريب أن ابن عبدالحكم المؤرخ أشهر من أخيه فيما يخص التصنيف التاريخي.

وفيما يرتبط الخلط بينهما، يذكر"القلقشندى" (ت:**821هـ**) رواية لافتة عن محمد ابن عبدالحكم يتحدث فيها عن أهرامات مصر[27]. حيث يقول: "وقد اختلف فى بانيها..ورجحه محمد بن عبدالله بن عبدالحكم، وقال: لو بنيت الأهرام بعد الطوفان لكان علمها عند الناس.."[28]. ولاأعلم أن محمد (الفقيه) تكلم فى شأن الأهرامات، إذ لم يكن مؤرخاً بأية حال، ومن المؤكد أن الراوى هو "ابن عبدالحكم" المؤرخ، لكن نُسبت الرواية خطأ لأخيه الفقيه، وهذا ما يميل اليه الباحثُ. ومن المعلوم أن محمد بن عبدالحكم كان من المُقربين من والي مصر "ابن طولون"، وكان كثيرًا ما يبعث إليه ليستفتيه، وكان ابن طولون يأخذ عنه الرأى فى أمور الدنيا والدين[29]. بل إن المؤرخين يذكرون أن ابن طولون كان يحضر دروس العلماء فى المذاهب الفقهية، ومنها دروس محمد بن عبدالحكم[30]. مات محمد بن عبدالحكم سنة **268هـ**[31]، أى بعد **11** سنة من وفاة أخيه عبدالرحمن. أما الابن الثالث: "سعد بن عبدالله بن عبدالحكم"، فكان مغمورًا لحد كبير، ولم ينل شهرة إخوته، غير أنه كان من أهل العلم على مذهب مالك"[32].

المبحث الثاني– ابن عبدالحكم مُؤرخاً:

يُعتبر عبدالرحمن أشهر بنى عبدالحكم كافة، وهو صاحب الترجمة التي نحن بصددها، فهو على رأس مؤرخى مصر، وعمدتهم، أخذ عنه جُل المؤرخين من بعده، ومن ثم فهو بمثابة "شيخ المؤرخين المصريين". يكنى: "أباالقاسم"،

---

[27] حسن المحاضرة: جـ1، ص268.

[28] القلقشندى: صبح الأعشى، جـ3، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ، 2004م، ص325.

[29] القلقشندي: صبح الأعشى، جـ3، ص325.

[30] ستانلى لينبول: سيرة القاهرة، ترجمة: حسن ابراهيم حسن وعلى ابراهيم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب (أعمال فكرية)، 1997م، ص84 يقول الدكتور حسن أحمد محمود: "ويبدو أن أحمد بن طولون كان يضفى حمايته وعطفه على هذه المدارس الفقهية على قدم المساواة، فقد رأيناه يحضر دروس الشوافع، والحنفية، وإذا به فى نفس الوقت يجلس محمد بن عبدالحكم ويجرى عليه الأرزاق.." (حسن أحمد محمود: حضارة مصر الإسلامية مصر فى العصر الطولونى، دار الفكر العربى، القاهرة، دون تاريخ، ص227).

[31] حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص227.

[32] محمد عبدالله عنان: مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م، ص9–10، يقول عنه عنان: "وكان أبناؤه (أى عبدالله بن عبدالحكم) محمد، وعبدالحكم، وسعد، كلهم محدث، وفقيه بارع (عنان: مؤرخو مصر الاسلامية، ص 9–10).

ولد سنة **187هـ**. نشأ ابن عبد الحكم المؤرخ متأثراً بالبيئة العلمية التى تربي فيها، فهو ينتسب لأسرة عريقة، ثرية، لها باع طويل فى العلم والفقه[33]. ودرس علوم الدين كافة كـ"الفقه"، والحديث، والرواية كسائر علماء وفقهاء زمانه. ثم ذاعت شهرته فى الحديث، وأخذ عنه كبار الرواة والمحدثين، مثل النسائى (ت: **303هـ**)، وأبى داود (ت: **275هـ**)[34]. كما روى عنه آخرون من كبار أهل العلم، مثل الطبرى (ت: **310هـ**)، وابن قديد[35]. وقد وثق روايته كبار علماء الجرح والتعديل، فقال أبوحاتم الرازى: "كان صدوقًا فى روايته"، وقال النسائى (ت: **303هـ**): "لا بأس به.."[36]. لكن شهرته ارتبطت بـ"التأريخ"، والتدوين أكثر من العلوم الأخرى، يقول عنه ابن يونس: "كان فقيهًا، والأغلب عليه الحديث والأخبار، وكان عالمًا بالتواريخ، وصنف فى تاريخ مصر وغيره"[37]. وقد ظهر ابن عبدالحكم فى زمان كان يعُج بكبار العلماء، والفقهاء، وفحول الأدباء، والشعراء بمصر، وكانت مصر آنذاك مقصد العلماء والفقهاء الكبار القادمين من شتى بقاع العالم الإسلامي. فكان يعيش فى زمانه الشافعى (**150– 204هـ**)، وكان صديقًا مقربًا لأسرته. ومن أعلام زمانه ابن هشام (**ت: 213هـ**)، صاحب السيرة التى أخذها عن ابن إسحاق (**ت: 150هـ**). قال المُزنى: "قدم علينا الشافعى، وكان بمصر عبدالملك بن هشام صاحب المغازى، وكان علامة أهل مصر بالعربية، والشعر، فقيل له فى المسير الى الشافعى، فتثاقل. ثم ذهب اليه فقال: ما ظننت أن الله يخلق مثل الشافعى.."[38]. وعاش مؤرخنا أيضًا فى أيامه، ولاسيما إبان "المرحلة المتأخرة": أبوجعفر الطحاوى (ت: **321هـ**) فقيه الأحناف[39] الذي اشتهر بكتاب العقيدة الذي حمل اسمه. كما عاش بمصر فى أيامه النسائى (أحمد بن شعيب) (**215–303هـ**)، صاحب السنن، قال الدارقطنى: "كان أفقه مشايخ مصر.."[40]. ومن أعلام زمانه السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور، وكان قد طاب لها المقام

---

[33] صفي علي: الحركة العلمية فى الفسطاط، ص516.

[34] المرجع السابق، ص516.

[35] المرجع السابق، ص516 ، ولهذا يقول عنه عنان: "هو سليل أسرة من الفقهاء والمحدثين، الذين عاصروا حملة الرواية من الصحابة، أو تلقوها عنهم، واتصلوا بالولاة والزعماء، ووقفوا على أسرار الدولة.."

[36] الذهبى: جـ9 ، ص 139.

[37] سنن النسائى (ترجمة الامام النسائى): ص4.

[38] خطط المقريزى: جـ4، ص316.

[39] عنان: مؤرخو مصر الاسلامية، ص8. قال المقريزى: "وذكر غير واحد من علماء الأخبار بمصر أن هذا قبر السيدة نفيسة بلا خلاف.."

[40] الذهبى: جـ9، ص436.

بمصر، وماتت بالقاهرة سنة **208هـ**[41]. كما عاش بمصر كثيرون غيرهم من كبار العلماء ممن أثروا العلم بمصر، وممن كان لهم أعظم الأثر فى ابن عبدالحكم، وكل من عاش فى هذا الزمان الطيب الذى يُنعت بحق أنه "زمان أعلام العلماء والصالحين".

ونال ابنُ عبدالحكم مكانةً بارزة بين مؤرخى مصر، وصارت كتاباته مصدرًا تاريخيًا مهمًا لمن جاؤا بعده. ولهذا لقبه البعض: "أول مؤرخ لمصر الإسلامية"[42]. ولقبه الذهبى "بأنه "صاحب التاريخ"[43]. بل إنه يستحق أن لقب: "شيخ مؤرخى مصر". هذا رغم أن البعض ذكر اسم أحد المؤرخين، وقالوا إنه أقدم منه، واسمه "سعيد بن عُفير". وضعه السيوطى فى تصنيفه للمؤرخين المصريين باعتباره أولهم، وجعل ابن عبدالحكم تاليا له[44]. ومات ابن عفير سنة **226هـ**، ويُقال إنه كان من أبرز وجوه الفكر لدى مؤرخى مصر[45]. قال ابن يونس: "كان ابن عفير أعلم الناس بالأنساب والأخبار الماضية، وأيام العرب والتواريخ". ويقال إنه صنف كتابًا فى تاريخ مصر، استفاد منه فيما بعد المؤرخ ابن عبدالحكم[46]. ورغم أسبقية ابن عفير زمنيًا، إلا أنه لم ينل صيت ابن عبدالحكم، وليس الأمر بالسبق، بل بمدى التأثير الذى يتركه المؤرخ فيمن جاء بعده. ولهذا نجد أنه من الأهمية بمكان الحديث عن تأسيس مدرسة مصر التاريخية. فكثيرون يجعلون الفضل فى تأسيسها للصحابى "عبدالله ابن عمرو بن العاص"، ثم سار على دربه ابن عبدالحكم[47]. وذلك يشير حتمًا للمرحلة التأسيسية المبكرة التى ارتبط فيها التاريخ برواية الحديث. وكان عبدالله بن عمرو من كبار رُواة الحديث، وكان يكتب الحديث عن النبى (ص)، وعُرفت صحيفته بـ"الصادقة"[48]. وكان عبدالله بن

---

[41] المصدر السابق، ص436.

[42] السيوطي: حسن المحاضرة، جـ1، ص452.

[43] المصدر السابق، ص452.

[44] ابن زولاق (هامش المحقق): المصدر السابق، ص35.

[45] المصدر السابق، ص35.

[46] المصدر السابق، ص35.

[47] شوقى عطاالله الجمل: علم التاريخ ومناهج البحث فيه، الطبعة الثانية، دار الزهراء، الرياض (السعودية)، 2002م، ص51، ويقول شوقى الجمل: "والمؤسس الأول لمدرسة مصر للتاريخ الإسلامى هو عبدالله بن عمرو بن العاص (ت: 65هـ)، وتبعه كثيرون نذكر منهم الليث بن سعد (ت: 175هـ)، وعبدالرحمن بن عبدالحكم (ت: 257هـ)، وأبوعمر الكندى (ت: 350هـ)، والحسن بن زولاق.." (شوقي الجمل: السابق، ص51).

[48] ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ2، تحقيق: حمزة النشرتي، القاهرة، دون تاريخ، ص520.

عمرو يعيش بمصر فى ولاية أبيه، وكان يُعطى دروسه بالفسطاط. ثم تولى إمارة مصر بعد أبيه[49]. أما ابن عبدالحكم، فهو مؤسس المدرسة التاريخية المصرية الحقيقى، لأنه نحا بالرواية فى اتجاه آخر يختلف عن غيره، وتدوين الرواية بهدف القصص التاريخى، وذكر الأحداث لذاتها، بعيدًا عن الخلط بين التاريخ والحديث، ثم انفصل كلاهما عن الآخر بعد ذلك، وجعل ابن عبدالحكم رواية الحديث فى خدمة القصص والتدوين التاريخى. ولهذا يُعد "عبدالله بن عمرو" محدثًا وراويًا للحديث، أما ابن عبدالحكم فهو مؤرخٌ فى المقام الأول، رغم أنه روى الحديث فى بداياته. وأثنى العلماء على "ابن عبدالحكم"، وقدروا دوره فى الكتابة التاريخية، وتطورها[50]. بل إن من المؤرخين من نقل عنه فصولاً برمتها، ولم يضف من عنده جديدًا. كما نقل المؤرخون غير المصريين عنه الكثير من الأخبار التى ترتبط بمصر، وتاريخها، ومن هؤلاء "ياقوت الحموى"، الذى نقل عنه كل ما يتعلق بمصر، وفضائلها، وأخبار نيلها، وأمصارها[51]. ولهذا لانعجب من ثناء أهل العلم عليه، وعلى مكانته البارزة فى تدوين التاريخ الاسلامى، فقال بعضهم إنه أول مؤرخي مصر الإسلامية[52]. ونعته الذهبى بأنه: "صاحب التاريخ"[53]. وأثنى المسعودى (ت: **346هـ**) عليه فى مقدمة "مروج الذهب"، وأشار الى أنه اطلع على كتبه، وأفاد منها[54]. ويُشير آخرون إلى ابن عبدالحكم واضع

---

[49] عن أبى هريرة: "ما من أصحاب النبى (ص) أحد أكثر حديثا منى إلا ما كان من عبدالله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب (صحيح البخارى: حديث رقم: 113). قال المسعودى: "وولى معاوية ابنه عبدالله بن عمرو ما كان لأبيه" المسعودى: مروج الذهب، جـ3، تحقيق : مصطفى السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2003م، ص24. ولهذا زاد ارتباط عبدالله بن عمرو بمصر، ويذكر ابن كثير أن ولايته دامت سنتين ثم بقى بمصر حتى مات ودفن بها (ابن كثير: البداية والنهاية، جـ8، تحقيق: أحمد أبوملحم وعلى نجيب عطوى (وآخرون)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ص63). حسن المحاضرة: جـ1، ص173.

[50] عنان: مؤرخو مصر الاسلامية، ص19، يقول المؤرخ عنان: "فابن عبد الحكم هو واضع الحجر الأول فى مصادر تاريخ مصر الاسلامية، وهو صاحب الفضل الأول فى صياغة هذا الهيكل التاريخى الذى قدم لنا فيما بعد على يد المتأخرين من كتاب التاريخ المصرى...وقد بدأ الانتفاع برواية ابن عبد الحكم منذ آوائل القرن الرابع (الهجرى)، فاستفاد منها الكندى فى مجهوده، ثم تداولها المؤرخون المصريون تباعا بالنقل والاشتقاق منذ ابن زولاق، والمسبحى، والقضاعى الى ابن وصيف شاه، وابن دقماق، والمقريزى، وابن حجر، وابن تغرى بردى، والسخاوى، والسيوطى، وابن إياس. وهم جميعا من أقطاب هذه المدرسة التاريخية الزاهرة التى خلدت تاريخ مصر الاسلامية (عنان: المرجع السابق، ص19-20).

[51] عنان: المرجع السابق، ص19-20.

[52] المرجع السابق، ص8.

[53] الذهبى: جـ9، ص436.

[54] المسعودى: مروج الذهب، جـ1، ص20.

حجر الأساس فى مصادر تاريخ مصر الاسلامية، وهو صاحب الفضل فى صياغة الهيكل التاريخى الذى بدأه، ولبث مؤلفه عبر العصور منبعا ينهل منه اللاحقون[55]. وإذا كان مجهود ابن عبدالحكم لبث عبر العصور موردًا لاينضب، وستبقى روايته وثيقة تلقى الضوء على وقائع تلك المرحلة، وأنها كانت فارقة في تاريخ مصر خاصة، وتاريخ الإسلام عامة، لاسيما في بلاد المغرب[56].

المبحث الثالث– كتاب فتوح مصر وأخبارها:

صنف ابنُ عبدالحكم العديد من الكتب، عن مدينة الفسطاط، وكذلك صنف عن ولاة مصر، وقضاتها، ويظل كتابه "فتوح مصر وأخبارها" أهم مصنفاته على الإطلاق. ومن المعروف أنه أقدم المؤرخين المصريين الذين تحدثوا عن "خطط مصر"، ويعتبر رائد هذا النوع من الكتابة التاريخية[57]. ويبقى كتاب "فتوح مصر" دُرة مصنفاته، وأهم ما كتبه فى تاريخ مصر، وكذلك فيما يخص فتوحات المسلمين في شمال أفريقيا. وقد اختلط على كثيرين من المؤرخين بشأن اسم الكتاب، فقد ورد ذكره بأسماء عدة، ربما يشق علينا أن نعدها، أو نحصيها. فقد ورد كثيرًا باسم "فتوح مصر وأخبارها"، حتى خلط الكثيرون بين هذا الاسم، وتسمية "فتوح مصر والمغرب"، وذهب الظن إلى أنهما كتابان مختلفان، بينما هما كتاب واحد. وربما لهذا قال جورجى زيدان: "إن لابن عبدالحكم كتابًا واحدًا باسم: "فتوح مصر والمغرب والأندلس". بينما ورد اسمه فى إحدى المخطوطات: "فتوح مصر، وأخبارها، وإقليمها من قديم الزمان"[58]. بينما يذكر السيوطى (ت: **911هـ**) هذا الكتاب باسم: "فتوح مصر". وأشار فى مقدمة "حُسن المحاضرة" أن من المصنفات التى اعتمد عليها كتاب ابن عبدالحكم، وذكره فى مقدمة المصادر التى استعان بها، مما يشير لأهمية رواية "ابن عبدالحكم"، ومكانة صاحبها التى تجعله دوما فى مقدمة المؤرخين المصريين.

ويذكر السيوطى أنه طالع على هذا الكتاب الذي يؤلفه كتبًا شتى، منها "فتوح مصر" لابن عبدالحكم، و"فضائل مصر" للكندى، و"تاريخ مصر" لابن زولاق، وخُطط القضاعى[59]. ونظرًا لأهمية كتاب ابن عبدالحكم، نجد السيوطى يعدد ذكره داخل متن كتاب (حُسن المحاضرة)، ولايمل من ذكره حتى فاق فى ذلك غيره من الكتب

---

[55] صفي علي: الحركة العلمية فى الفسطاط، ص523.

[56] مؤرخو مصر الاسلامية، ص20.

[57] عنان: مصر الاسلامية، ص43.

[58] صفى على: الحركة العلمية فى الفسطاط، ص516.

[59] السيوطي: حسن المحاضرة، جـ1، ص9.

والمصنفات الأخرى التى استعان بها، بل إننا نجده يذكره فى الصفحة الواحدة ربما أكثر من مرة، وربما يبلغ عدد مرات ذكره لهذا الكتاب، ومؤلفه قرابة 4 أو 5 مرات فى ذات الصفحة، ومن ذلك: "قال أبوالقاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم فى فتوح مصر"، كما يقول فى ذات الصفحة: "وأخرج مسلم، وابن عبدالحكم فى الفتوح"[60]، وقد يُشير للكتاب فى ستة مواضع فى صفحة واحدة[61]. وهو ما يُشير لكثرة استعماله لروايته، وأنه الكتاب الأهم الذى اعتمد عليه. ويبدو أن كثرة استخدام السيوطى لابن عبدالحكم، والإفراط فى الرواية عنه حتى ليجعل المرء وهو يقرأ "حسن المحاضرة " يظن أنه يقرأ كتاب ابن عبدالحكم، أو أنه مختصر له. ولكن يُحسب للسيوطي في ذات الوقت أنه يذكر صاحب الرواية التي أخذ عنها، وليس كغيره ممن يأخذون الروايات عن سابقيهم دون إشارةٍ لهم.

ونلحظ عند مؤرخٍ آخر أمرًا لافتًا لابد من الإشارة اليه، فالمقريزى" (ت: **845هـ**) نجده فى مقدمة "المواعظ والاعتبار" المعروف بـ"خطط المقريزى"، يذكر ابن عبدالحكم فيمن ذكر من مؤرخى مصر الذين سبقوه فى الكتابة عن خُطط مصر. واللافت أن "المقريزى" يذكر أن الكندى (ت: **350هـ**) كان له قدم السبق فى الكتابة عن الخُطط، مع أنه من المعروف أن الكندى أخذ عن ابن عبدالحكم، واستفاد من مصنفاته، لاسيما وأن الكندى مات بعد ابن عبدالحكم بقرابة قرن من الزمان[62]. وعن ذلك، يذكر المقريزى أن أول من رتب خُطط مصر، وآثارها، وذكر أسبابها فى ديوان جمعه أبوعمر الكندى، ثم كتب بعده القاضى أبوعبدالله القضاعى (ت: **457هـ**) كتابه "المُختار فى ذكر الخُطط والآثار"[63]. وربما كان ذلك سهوًا من تقي الدين المقريزي لاأكثر. ولاأدرى حقًا لماذا أغفل المقريزى ذكر كتب ابن عبدالحكم فى الخُطط، وهل كان قد اطلع عليها أم لا. ولايتفقُ أكثر المؤرخين مع رأى المقريزى فى تقديم الكندى على ابن عبدالحكم، لأنه من الثابت أن ابن عبدالحكم عاش قبل الكندى، وأن هذا الأخير استفاد من كتب الأول[64]. وقد وصل كتاب "فتوح مصر وأخبارها" الينا بطريق الرواية التى استند ابن عبدالحكم ذاته اليها فى تدوينه. وتعاقب الرواةُ عليها حتى وصلت الينا فى ثلاثة من أربعة مخطوطات. ومنها، مخطوطة محفوظة حاليًا فى لندن بـ"المتحف البريطانى" ترجع لحوالي القرن **6هـ/12م**. إضافةً لمخطوطتين بالمكتبة الوطنية في باريس، وإحداهما تؤرخُ لحوالي سنة

---

[60] المصدر السابق، ص9.

[61] المصدر السابق، ص15.

[62] السيوطي: المصدر السابق ، ص 15

[63] المقريزي: الخطط، جـ1، ص6.

[64] يقول محمد عبد الله عنان: "وقد كانت رواية ابن عبدالحكم على كر العصور مستقى خصبا لمؤرخى الخطط، وكان أول من انتفع بها أبوعمر محمد بن يوسف الكندى.." (عنان: مصر الاسلامية، ص 44).

595هـ، بينما الأخرى ترجع إلى سنة **776هـ**، أما الرابعة فتوجد بـ"جامعة ليدن" بهولندا، وتورخ إلى سنة **973هـ**، وهي أحدث المخطوطات جميعًا. وظن الكثيرون أنها تُنسب للسيوطى، لأنها تحمل عنوان: "بُغية الطالب، ومنهج المسالك فى أخبار مصر والقُرى والممالك". لكن عُرف بعد أن تم مطابقة نصها أنها مخطوطة كتاب ابن عبدالحكم[65]. وفى تلك المخطوطات الآنفة نجد أن راوي الكتاب هو الحافظ السلفى **(ت: 570هـ)**، وكان يعيش بمصر إبان القرن **6هـ/12م**، أيام السلطان صلاح الدين الأيوبى (ت: **589هـ**). يقول ابن خلكان: "الحافظ أبوالطاهر أحمد ابن محمد.. الأصبهانى..رحل فى طلب الحديث، ولقى أعيان المشايخ، وكان شافعى المذهب..ولم يكن فى آخر عمره فى عصره مثله..توفى سنة سبعين وخمسمائة بثغر الإسكندرية"[66].

وتبدأ المخطوطةُ بقول المؤلف: "أخبرنا الشيخ الفقيه الامام العالم الحافظ أبوطاهر أحمد ابن محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم السلفى الأصفهانى قراءة عليه وأنا أسمع بثغر الاسكندرية حماه الله تعالى. قال: أخبرنا الشيخ أبوصادق مرشد بن يحيى بن القاسم بن على المدينى بقراءتى عليه، قال أخبرنا الشيخ أبوالحسن على بن منير بن أحمد الخلال فى كتابه سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، أخبرنا أبوبكر محمد بن أحمد بن الفرج القماح، أخبرنا أبوالقاسم على ابن الحسن بن خلف بن قديد الأزدى، حدثنا أبوالقاسم عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالحكم"[67]. وينقسم كتاب "فتوح مصر والمغرب" إلى **7** أجزاء، الأول: فيه يتحدث المصنف عن وصية النبى (ص) بـ"أهل مصر" في حديثه المشهور الذي رواه أيضا "الإمام مسلم"، وكذلك يذكر فضائل مصر فى القرآن، ثم يتحدث عن أسماء ملوك مصر فى الأزمنة القديمة. أما الثاني: يذكر فيه رسالة النبى (ص) للمقوقس حاكم مصر التى حملها حاطب بن أبى بلتعة. بينما يتناول الثالث خُطط الفسطاط، والجيزة، وخطط الاسكندرية. ثم يذكر فى الجزء الرابع اتجاه المسلمين للتخوم غرب مصر، وكان الهدف من ذلك فتح برقة، وطرابلس. أما الخامس: يتحدث عن فتح باقى شمال أفريقيا، والمغرب، والأندلس، ويذكر أسماء الملوك والولاة العرب فى شمال أفريقيا، والأندلس حتى سنة **126هـ**. وفي السادس: يذكر ابن عبدالحكم قُضاة مصر منذ الفتح الإسلامي، وحتى سنة **246هـ**، أما الجزء السابع: يذكر المؤلف أحاديث الصحابة، ورواية المُحدثين والرواة من أهل مصر عنهم.

المبحث الرابع– منهج ابن عبدالحكم فى تناول فتوحات بلاد المغرب:

---

[65] عنان: مصر الاسلامية، ص44.

[66] ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ1، ص 60–61.

[67] ابن عبدالحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص170.

نتناول هنا أحد أهم أجزاء كتاب ابن عبدالحكم لمعرفة ما ذكره عن فتوحات المغرب الأدنى (ليبيا وتونس)، والأوسط (الجزائر)، والمغرب الأقصى، وهى رواية مهمة أخذها عنه من جاء بعده، وصار كتاب ابن عبدالحكم مصدرًا مهمًا لهم فى تناول الفتوحات الإسلامية المبكرة. ويتميز أسلوب الكتاب بأنه لايعتمد على "نظام الحوليات" الذى انتهجه الكثيرون من المؤرخين القدامى في تناول "التاريخ الإسلامي"، بحيث يذكر المؤرخ كل سنة، ثم يتحدث عن أهم الأحداث التى وقعت فيها. كما يتميز كتاب ابن عبدالحكم بروايته التى تعتمد على الإسناد الطويل لكل الرواة، وهو ما يشير لتأثره بعلم الحديث النبوي. ويبدأ المؤرخُ حديثه عن فتوحات المغرب الأدنى، وهو فصل يحمل اسم "**ذكر فتح برقة**"[68]. حيث يتحدث عن البربر الذين كانوا يسكنون تلك البلاد، ويذكر أن أصلهم من فلسطين، وأنهم توجهوا إلى المغرب بعد أن قتل داود عليه السلام **(1010-970 ق.م)** جالوت ملك الفلسطينيين، وحكى "القرآن" تلك القصة: "**وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة**"[69]. وعن أصل البربر، يقول: "**وكان البربر بفلسطين، وكان ملكهم جالوت، فلما قتله داود، خرج البربر متوجهين الى المغرب حتى انتهوا الى لوبية ومراقية**"[70]. ثم يتحدث عن تلك المدينتين"**وهما كورتان من كور مصر الغربية مما يشرب من السماء ولاينالهما النيل، فتفرقوا (أى البربر) هنالك**"[71]. وكانت بلاد المغرب وقتئذ ترزح تحت حكم الرومان، ويذكر ابن عبدالحكم أن الأفارقة كاموا يخدمون الروم، ولما جاء العرب وحاربوا الروم انتظر الأفارقة لمعرفة من ينتصر منهم فى الحرب ليطلبوا الصلح معه. ثم يقول: "**وأقام الأفارقة وكانوا خدما للروم على صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم**"[72].

ثم فتح المسلمون مدينة "أنطابلس"، وهى كلمة مُعربة عن الأصل اليونانى: (بنتابوليس) **Pentapolis**، واسمها يعنى: "المدن الخمس"، وهى منطقة تقع فى غرب ليبيا، وكانت تضم قديمًا العديد من المدن. ويذكر "استرابون" المؤرخ الرومانى أنها كانت تضم المدن التالية: "قورينة (سيرين) **Cyrene**، أبوللونيا، توكرة، برنيس، برقة"[73]. وورد اسم "أنطابلس" (بنتابوليس) فى روايات القدامى، مثل: البكرى (ت: **487هـ**)، والقلقشندى (ت:

---

[68] **المصدر السابق، ص 170.**

[69] **(سورة البقرة: 251)**

[70] **المصدر السابق، ص170.**

[71] **المصدر السابق، ص170.**

[72] **ابن عبدالحكم: فتوح مصر، ص170.**

[73] **ميخائيل مكسى إسكندر: تاريخ المسيحية وآثارها فى المدن الخمس، جـ2، تقديم: الأنبا باخوميوس، مؤسسة القديس مرقس لدراسات التاريخ القبطى، دار العالم العربى، القاهرة ، 2005م، ص36.**

821هـ)، والمقريزى (ت: **845هـ)**، والسيوطى (ت: **911هـ)**..الخ. ويذكر السيوطى أن "أنطابلس" هى ذاتها برقة، حيث يقول: "وتقدمت لواتة، فسكنت أنطابلس وهى برقة"[74]. وهذا غير صحيح، لأن كلتيهما مدينة تختلف عن الأخرى، بينما يذكرها ابن كثير باسم: "ألطابلس"[75]. ويرى الباحثُ أن هذا الاسم الآنف هو تصحيف لـ"أنطابلس" وترتبط "بنتابوليس" (أنطابلس) بدخول الديانة المسيحية إلى شمال أفريقيا، فكانت المنطقة التى نشأ بها "مرقس الرسول"، أو "القديس مرقس" أحد الرسل السبعين منتصف القرن الأول الميلادى. وأقام "مرقس" بها الكنيسة التي حملت اسم "كنيسة بنتابوليس"، ولاتزال الكنيسة المصرية تعتبر بمثابة الكنيسة الأم لها، وعلى هذا يحمل "بطريرك الاسكندرية لقب: "بطريرك الاسكندرية، وأورشليم، والنوبة، والحبشة، والخمس مدن الغربية (بنتابوليس)"[76]. ثم يذكر ابن عبدالحكم في كتابه تقدم المسلمين بالمغرب: "**فتقدمت زناتة، ومغيلة الى المغرب وسكنوا الجبال. وتقدمت لواتة فسكنت أرض أنطابلس..وتفلاقت فى هذا المغرب وانتشروا حتى بلغوا السوس، ونزلت هوارة مدينة لبدة، ونزلت نفوسة الى مدينة سبرت، وجلا من كان بها من الروم**"[77]. ثم يتحدث بعد ذلك عن مدينة "طرابلس"، وفتوحات المسلمين لها، ثم جعل ابن عبدالحكم لها فصلاً باسم: "**ذكر أطرابلس**"[78]. ومن المعلوم اسم "طرابلس" يونانى الأصل، وهو مأخوذٌ من الكلمة اليونانية: **Tripolis**، وهي تُكتب بـ"الانجليزية" **Tripoli**، وتعنى: "المدينة الثلاثية"، أقامها الفينيقيون في القرن **7** ق.م[79]. ويذكر ابن عبدالحكم أن عمرو ابن العاص هو فاتح "طرابلس": "**ثم سار عمرو بن العاص حتى نزل أطرابلس فى سنة اثنتين وعشرين...فنزل على القبة التى على الشرف من شرقيها، فحاصرها شهرًا لا يقدر منهم على شيء..فأقبل (عمرو) حتى دخل عليهم. فلم تفلت منهم الروم إلا بما خف لهم من مركبهم، وغنم عمرو ما كان فى المدينة..**"[80]. بينما يذكر المؤرخ "البلاذرى" عن "فتح أنطابلس": "ثم افتتحها (عمرو) عُنوة، وأصاب بها أحمال بزيون كثيرة مع تجار من تجارها، فباعه، وقسم ثمنه بين المسلمين"[81]. ثم يقول ابن عبدالحكم في روايته: "**فلما ظفر عمرو بن العاص بمدينة أطرابلس جرد خيلاً كثيفة من ليلته وأمرهم بُسرعة السير،**

---

[74] **حسن المحاضرة: جـ1، ص115، بتلر: الكنائس القبطية، ص83.**

[75] **ابن كثير: البداية والنهاية، جـ7، ص102.**

[76] **بتلر: الكنائس القبطية، ص 83.**

[77] **ابن عبدالحكم: فتوح مصر، ص171.**

[78] **المصدر السابق، ص171.**

[79] **The New American Encyclopedia , P. 1192**

[80] **ابن عبد الحكم: ص171.**

[81] **البلاذرى: فتوح البلدان، تحقيق: أيمن عرفة، المكتبة التوفيقية، دون تاريخ، ص 267.**

فصبحت خيله مدينة سبرت، وقد غفلوا، وفتحوا أبوابهم لتسرح ماشيتهم، فدخلوها، فلم ينج منهم أحد، واحتوى عمرو على ما فيها"[82].

ثم يذكر ابن عبدالحكم أن عمرو بن العاص بعث للخليفة عمر يستأذنه فى فتح إفريقية، فكتب له: "**لا، إنها ليست بإفريقية، ولكنها المفرقة، غادرة مغدور بها، لايغزوها أحد ما بقيت**"[83]. ولما تولى عثمان بن عفان **(23–35هـ)**، عزل عمرو عن إمارة مصر، وتولى عبدالله بن أبى السرح، أخو الخليفة عثمان من الرضاعة. وأتم ابن أبى السرح فتوحات المسلمين فى بلاد المغرب وإفريقية. وقد وضع ابن عبدالحكم فصلاً بعنوان: "**ذكر فتح إفريقية**"[84]. وكان ملك الروم يدعى في ذلك الوقت "جرجير"[85]. وكان سلطان الروم يمتد في ذلك الوقت من "أنطابلس" إلى طنجة، وكان عبدالله بن سعد يرسل بـ"الحملات العسكرية" التى حققت الكثير من الانتصارات على الروم. وعن ذلك يقول: "**فبث عبدالله بن سعد السرايا، وفرقها، فأصابوا غنائم كثيرة، فلما رأى ذلك رؤساء أهل إفريقية طلبوا الى عبدالله بن سعد أن يأخذ منهم مالاً على أن يخرج من بلادهم، فقبل منهم ذلك، ورجع الى مصر**"[86]. ثم يذكر "البلاذرى" أن الخليفة (عثمان) كان لايميل لفتح إفريقية، مثله فى ذلك مثل عمر بن الخطاب. لكنه عزم على ذلك بعد أن استشار الصحابة، ثم كتب الخليفة لواليه على مصر وإفريقية عبد الله ابن سعد (سنة **27هـ**) يأمره بغزو إفريقية، وأمده بجيش كبير كان يضم كثيرين من الصحابة. ويقول البلاذرى: "ثم إنه (أى: عثمان) عزم على ذلك، بعد أن استشار فيه، وكتب الى عبدالله فى سنة سبع وعشرين...يأمره بغزوها، وأمده بجيش عظيم.."[87]. ثم يورد "ابن عبدالحكم" فصلاً جديدًا في كتابه، وهو يحمل عنوان: "**ذكر من كان يخرج على غزو المغرب بعد عمرو بن العاص وفتوحه**". ثم يتحدث ابن عبدالحكم عن "معاوية بن حُديج التُجيبى"، ويذكره آخرون باسم: "معاوية بن خديج" (بالخاء دون الحاء) الذى تولى إمارة مصر، يقول الذهبى: "يُعد (معاوية) فى المصريين، مشهور"[88]. ويذكر المؤرخون أنه من طبقة الصحابة، وقالوا: "وله صُحبة، ووفادة، ورواية"[89]. بينما قال ابن الأثير: "غزا معاوية أفريقية ثلاث مرات، وقد أصيبت

---

[82] **ابن عبدالحكم: ص172.**

[83] **المصدر السابق، ص173.**

[84] **ابن عبدالحكم: المصدر السابق، ص183.**

[85] **جرجير: هو تصحيف لاسم غربى وهو جورج، أو جرجس (جرجيس).**

[86] **ابن عبدالحكم: المصدر السابق، ص183.**

[87] **البلاذرى: فتوح البلدان، ص268.**

[88] **السيوطي: حسن المحاضرة، جـ1، ص194.**

[89] **المصدر السابق، ص 194**

عينه خلال إحدى الغزوات"[90]. وقيل إنه غزا الحبشة مع عبدالله بن سعد، فأصيبت عينه هناك[91]. ولعل هذا هو الراجح تاريخيًا، فلما غزا المسلمون بلاد النوبة فى ولاية عبدالله ابن سعد، أظهر أهل النوبة مهارة وحذقا فى رمى النبل فى الأحداق، فأصيبت عيون كثيرين من المسلمين. قال ابن إياس (ت: **930هـ**): "ومعاوية هذا ممن شهد فتح مصر، وعاش إلى سنة اثنتين وخمسين، ومات بمصر"[92].

وخرج معاوية الى بلاد المغرب بعد عبد الله بن سعد سنة **34هـ**، ففتح قصورًا، وغنم غنائم عظيمة، واتخذ قيروانا، ثم عاد لمصر، وكان معه عدة من المهاجرين والأنصار[93]. ثم يقول ابن عبدالحكم: "**وبعث عبدالملك بن مروان الى مدينة يقال لها جلولاء فى ألف رجل، فحاصرها أيامًا، فلم يصنع شيئًا، فانصرف راجعًا. فلم يسر إلا يسيرًا حتى رأى فى ساقة الناس غبارًا شديدًا...فإذا مدينة جلولاء قد وقع حائطها، فدخلها المسلمون، وغنموا ما فيها**"[94]. ثم يذكر ابن عبدالحكم أن عُقبة بن نافع خرج الى إفريقية بعد "معاوية بن حُديج" سنة **46هـ**[95]. ويذكر "ابن الربيع الجيزى" (المؤرخ المنسوب للجيزة)، أن عقبة كان فيمن شهد فتح مصر من الصحابة[96]. وللحق فأمر صُحبة عقبة بن نافع أمرُ فيه شك كبير، لأنه كان صغيرًا جدًا لما مات النبى (ص)، ولذلك فإن عقبة من طبقة كبار التابعين. قال السيوطى: "ولد على عهد رسول الله، لاتصح له صحبة"[97]. وكانت لعقبة قرابة بعمرو بن العاص. ويذكر ابن عبدالحكم أن عقبة نزل غدامش (غدامس)، وكان بسر بن أبى أرطأة قد توجه اليها، وكان عمرو بن العاص قد فتحها من قبل. وقد علم عقبة أن أهل ودان نقضوا عهدهم، ومنعوا ما كانوا قد تعهدوا به للمسلمين[98]. بينما

---

[90] ابن الأثير: أسد الغابة، جـ5، ص67.

[91] المصدر السابق، 67.

[92] ابن إياس: بدائع الزهور، جـ1، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982م، ص118.

[93] ابن عبدالحكم: فتوح مصر، ص 193.

[94] المصدر السابق، ص193.

[95] المصدر السابق، ص 194.

[96] السيوطي: حسن المحاضرة، جـ1، ص178.

[97] المصدر السابق، ص178.

[98] ابن عبدالحكم: ص194. ومن المعروف أن غدامس من مدن ليبيا حاليا، تقع على الحدود مع تونس، وهي من المراكز التجارية المعروفة في التجارة الصحراوية من شمال أفريقيا إلى بلاد السودان الغربي والأوسط.

يقول ابن عبدالحكم عن مسير عقبة بن نافع: "**ثم سار (عقبة) بنفسه، وبمن خف معه معه أربع مائة فارس، وأربع مائة بعير، وثمانى مائة قربة، حتى قدم ودان فافتتحها، وأخذ ملكهم فجدع أذنه**"[99].

بينما يذكر "البلاذري" أن معاوية بن حديج بعث عقبة بن نافع سنة **50هـ** لإفريقية، فغزاها[100]. ثم وجه عقبة بسر بن أبى أرطأة لقلعة القيروان، ففتحها وصارت تُعرف بـ"قلعة بسر"[101]. ويقال إن عدة جيش عقبة كان قرابة "عشرة آلاف" جندى[102]. بينما يقول ابن كثير (ت: **774هـ**): "واختط القيروان، وكان موضعها غيضة لاترام من السباع والحيات والحشرات، فدعا الله تعالى فجعلن يخرجن منها بأولادهن من الأوكار والجحار، فبناها"[103]. أما روايته عن بناء "القيروان": "**ثم انصرف (عقبة) إلى القيروان..وكان واديا كثير الشعر كثير القطف، تأوى اليه الوحوش والسباع والهوام. ثم نادى بأعلى صوته: يا أهل الوادى! ارتحلوا رحمكم الله فإنا نازلون. نادى بذلك ثلاثة أيام، فلم يبق من السباع شيء ولا الوحوش ولا الهوام الا خرج. وأمر الناس بالتنقية والخطط ونقل الناس من الموضع الذي كان معاوية بن حديج نزله الى مكان القيروان وركز رمحه وقال: هذا قيروانكم**"[104]. وقيل: إن أهل إفريقية أقاموا بعد ذلك "أربعين" سنة، ولو التمست حية أو عقرب بألف دينار ما وُجدت[105]. وربما تشير رواية ابن عبدالحكم الى أن فكرة بناء "القيروان" لم تبدأ مع عقبة وحده، بل بدأت قبل أن يتولى هو إفريقية، وذلك أيام ولاية معاوية بن حديج على مصر، الذى كان قد اختار للمسلمين بقعة ليست ببعيد عن تلك التى اختارها عقبة، لكن عقبة علم بذلك المكان الذى اختاره معاوية، وفضل مكانًا آخر عليه ليقيم فيه عاصمة المسلمين وقتئذ فى إفريقية. وفى سنة **47هـ**، في خلافة معاوية بن أبي سفيان **(41-60هـ)**[106]، عزل عقبة عن إفريقية، ثم تولى أبوالمهاجربن دينار، وأساء إليه أبوالمهاجر، وكبله بالأغلال والقيود، ثم ألقى به فى السجن[107].

---

[99] **المصدر السابق، ص 194.**

[100] **البلاذرى: فتوح البلدان، ص269.**

[101] **المصدر السابق، ص269.**

[102] **ابن كثير: البداية والنهاية، جـ8، ص219.**

[103] **المصدر السابق، ص 220.**

[104] **ابن عبدالحكم: ص196.**

[105] **المصدر السابق، ص196.**

[106] **تاريخ الخلفاء، تحقيق : أحمد شعبان ، مكتبة الصفا، 2005م، ص 164.**

[107] **ابن عبدالحكم: ص197.**

وعن ذلك يقول ابن عبدالحكم في روايته: "**فلما عزله وسجنه، وأوقره حديدًا حتى آتاه الكتاب من الخليفة بتخلية سبيله، وإشخاصه إليه. فخرج عقبة حتى أتى قصر الماء فصلى، ثم دعا، وقال: اللهم لاتُمتنى حتى تمكنى من أبى المهاجر بن دينار**"[108]. ثم ذهب عقبة بن نافع إلى مسلمة بن مخلد أمير مصر، ولما علم بما وقع لعقبة من أذى، خشى مسلمة أن يظن عقبة أن ذلك كان بتدبير منه، أقسم له أنه ما أمره بفعل ذلك، وأكد له مسلمة أن أبا المهاجر خالف ما قاله له، ثم قال: "**لقد أوصيته بك خاصة..**"[109]. ويبدو أن أباالمهاجر فهم توصية مسلمة على غير مقتضاها، ومن ثم آذى عقبة شر أذى، وفعل به أمورًا ما كان يجب أن يفعلها مع رجل تولى إمارة إفريقية قبله. ولما ارتقى يزيد بن معاوية **(60–64هـ)** الخلافة، أعاد عقبة لولاية إفريقية مرة أخرى، وهي الولاية الثانية له. وعن ذلك قال البلاذرى: "فغزا (عقبة) السوس الأدنى، وهو خلف طنجة، وجول هناك فيما لايعرض له أحد، ولا يقاتله، فانصرف"[110]. ثم يتحدث ابن عبدالحكم عما فعله عقبة لما تولى إفريقية مرة أخرى بأبى المهاجر، وكيف نقم عليه لما كان قد فعله به لما عزل. يقول ابن عبدالحكم: "**خرج عقبة سريعًا بحنقه على أبى المهاجر حتى قدم إفريقية، فأوثق أبا المهاجر فى وثاق شديد، وأساء عزله، وغزا به معه**"[111]. ثم يذكر ابن عبدالحكم أمرًا لافتًا، وهو أن عقبة أخذ أباالمهاجر، وهو مُكبلٌ بالأغلال، ثم قاتل الروم والبربر، وهو فى حاله هكذا. وكان البربر قد تحالفوا مع الروم لمحاربة المسلمين[112]. ثم نال عقبة الشهادة وهو يقاتل، كما أن أباالمهاجر قتل هو الآخر وهو مكبل بالأغلال. قال ابن عبدالحكم: "**فأوثق أبا المهاجر فى وثاق شديد، وأساء عزله، وغزا به معه الى السوس وهو فى حديد، وأهل السوس بطن من البربر..فعرض لهم كسيلة بن لمزم فى جمع كثير من الروم والبربر. وكان قد بلغه افتراق الناس عن عقبة. فا قتتلوا قتالا شديدًا، فقُتل عقبة ومن كان معه، وقُتل أبوالمهاجر وهو موثقٌ فى الحديد**"[113]، وذلك أيضًا كان من الأمور غير المقبولة. ويقال إن عقبة لما اجتاز إلى البحر (يقصد المحيط الأطلنطى) أقحم فرسه فيه حتى بلغ نحره، ثم قال: "**اللهم إنى أُشهدك أن لامجاز، ولو وجدت مجازًا لجُزت..**"[114]. أى أنه يعنى أنه لايجد أمامه إلا

---

[108] **المصدر السابق، ص 197**
[109] **المصدر السابق، ص 197**
[110] **البلاذرى: فتوح البلدان، ص 270**
[111] **ابن عبدالحكم: ص198**
[112] **المصدر السابق: ص198**
[113] **المصدر السابق، ص 198**
[114] **ابن عبدالحكم: المصدر السابق، ص 198**

ماء البحر، ولم يعد يجد مجازًا يمر منه، ولو أنه وجد ذلك لما تهاون فى العبور لنشر دين الله بين أهل الأرض. ويذكر ابن عبدالحكم أن "حسان بن النعمان" صار واليًا على بلاد المغرب سنة **73هـ**، أيام عبدالملك بن مروان **(65–86هـ)**. ثم مضى حسان فى جيش كبير حتى نزل مدينة أطرابلس في ليبيا[115]. ويذكر البلاذرى في روايته أن حسان غزا ملكة البربر الكاهنة (واسمها: ديهيا)، فهزمته. فأتى قصورًا فى حيز برقة فنزلها..فسميت قصور حسان. ثم إنه غزاها ثانية، فقتلها، وسبى سبيًا من البربر.."[116]. ثم نزل حسان فى موضع القيروان، وبنى مسجدًا، ودون الدواوين، ووضع الخراج على عجم إفريقية، وعلى من أقام معهم على النصرانية[117]. ثم يضيف ابن عبدالحكم في روايته أن "حسان ابن النعمان" أقام هناك حتى استقامت له أمور تلك البلاد. ثم توجه إلى عبدالملك بن مروان بما أعطاه الله من غنائم سنة **76هـ**[118]. ثم يتحدث ابن عبدالحكم عن دور الفاتح "موسى بن نصير" الذي ولي إفريقية في سنة **78هـ**، ودوره العظيم مع "طارق بن زياد" بعد ذلك فى الفتوحات الإسلامية التي تمت في بلاد الأندلس. ويذكر المؤرخون أن موسى بن نصير كان أعرجًا[119]، وكان أبوه قد سبى من "جبل الخليل" في بلاد الشام[120]. وكان "موسى" قد غزا جزيرة قبرص فى خلافة معاوية، وأنه وبنى هناك حصونًا، ثم سار نائبًا لـ"معاوية"[121]. ولما أخذ عبدالملك بن مروان العراق، جعله وزيرًا عند أخيه بشر بن مروان[122]. أما عن قدوم "موسى بن نصير" للمغرب، يقول ابن عبدالحكم في روايته: "**وقدم موسى بن نصير المغرب فى سنة ثمان وسبعين...فعزل أبا صالح، وافتتح عامة المغرب، وواتر فتوحه. كتب بها إلى عبدالعزيز بن مروان، وبعث بغنائمه..**"[123].

ويذكر ابن عبدالحكم أن موسى لما غزا المغرب بعث ابنه مروان على جيش، فأصاب من السبي مائة ألف. كما بعث ابن أخيه على رأس جيش آخر، فأصاب مائة ألف شخص[124]. ولاريب أن تلك أرقام تحمل إفراطًا كبيرًا، فلو

---

[115] **المصدر السابق، ص 200**
[116] **البلاذرى: فتوح البلدان، ص271.**
[117] **ابن عبدالحكم: ص201.**
[118] **المصدر السابق، ص201.**
[119] **البداية والنهاية: جـ9، ص179.**
[120] **المصدر السابق، ص 179.**
[121] **المصدر السابق، ص179.**
[122] **ابن عبدالحكم: ص203–204.**
[123] **المصدر السابق، ص 204.**
[124] **ابن كثير: البداية والنهاية: جـ9، ص179.**

كان عدد السبى فى أحد المعارك مائة ألف، فكم كان يبلغ قوام ذلك الجيش الذى يُسبى منه ذلك العدد الكبير؟ وكم قتل، وأصيب منه؟ وتلك أعداد لاتتوافق مع أعداد الجيش فى ذلك الزمان، ولاسكان بلاد المغرب. ويصف ابن كثير "موسى بن نصير"، وأحسن فيه الإطراء والتقريظ، "وكان ذا رأى وتدبير وحزم، وخبرة بالحرب"[125]. ومن المعلوم أن والى إفريقية كان تابعا لولاية مصر فى أيام الفتح الاسلامى الأول، فكان الوالى فى الفسطاط يمتد سلطانه الى القيروان[126]. ومنذ أيام معاوية بن أبى سفيان، صارت والي أفريقية مستقلاً عن مصر، وصار يعين من الخليفة بدمشق. وقد ظلت الأوضاع كذلك حتى أيام موسى بن نصير، حيث صار والى إفريقية يسيطر على بلاد المغرب كلها[127]. ثم يتحدث ابن عبدالحكم في روايته عن فتح المسلمين لبلاد لأندلس، ودور الفاتح البربري الأصل طارق بن زياد فى ذلك الفتح العظيم. ويذكر ابن عبدالحكم عن تعيين موسى بن نصير لطارق بن زياد (سنة **92هـ**)، حيث يقول: "**ثم إن موسى عزل الذى كان استعمله على طنجة، وولى طارق بن زياد. ثم انصرف إلى القيروان، وكان طارق قد خرج بجارية له يُقال لها أم حكيم، فأقام طارق هنالك مرابطًا زمانًا، وذلك فى سنة ثنتين وتسعين..**"[128].

ثم يتحدث ابن عبدالحكم عن فتوحات موسى بن نصير لبلاد المغرب، فيقول: "**ويُقال إن موسى بن نصير خرج من إفريقية غازيًا الى طنجة، وهو أول من نزل طنجة من الوُلاة، وبها من البربر بطون من البتر والبرانس ممن لم يكن دخل فى الطاعة. فلما دنا من طنجة بث السرايا. فانتهت خيله الى السوس الأدنى، فوطئهم وسباهم، وأدوا اليه الطاعة..**"[129]. وعلى هذا ينتهي أهم ما ورد في رواية المؤرخ ابن عبدالحكم عن فتوحات المسلمين في إفريقية، وبلاد المغرب.

---

[125] منى حسن أحمد محمود: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، دار الثقافة العربية، 2003م، ص35.

[126] المرجع السابق، ص35

[127] ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص205.

[128] المصدر السابق، ص205.

[129] المصدر السابق، ص205.

الخاتمة:

– قدمت الورقة ترجمة للمؤرخ ابن عبدالحكم، وهو أقدم مؤرخى مصر الإسلامية، وهو الذى أخذ عنه جل مؤرخى مصر ممن جاءوا بعده، ومن ثم صارت مؤلفاته مصدرًا رئيسيًا لايمكن تجاهله.

– كانت لأسرة بنى عبدالحكم أثرٌ بالغ فى نشأته، واتجاهه للعلم، حيث كانت من أشهر العائلات المصرية إبان القرن **3هـ**. واشتهرت بأنها أسرة أرستقراطية ثرية، كما اشتهرت بالعلم، وذاع صيت عدد كبير من أفرادها بالعلم والفقه، والرواية، وصارت لهم رئاسة المذهب المالكي.

– قدمت الدراسة منهج ابن عبدالحكم فى الكتابة التاريخية، وما تميزت به كتاباته عن غيره من المؤرخين، فكان لابن عبدالحكم مدرسة فى كتابة التاريخ، لها سماتها التى تميزها. ويمكننا القول بأنه رائد المدرسة التاريخية بمصر الإسلامية، وهو رائد مدرسة الكتابة عن خطط المدن والبلدان.

– ركزت الدراسة على تناول ابن عبدالحكم فى كتاب "فتوح مصر وأخبارها"، على ما كتبه بشأن الفتوحات الإسلامية فى إفريقية وبلاد المغرب، ورؤيته فى ذلك الاتجاه، ومنهجه التاريخى.

– كما قدمت هذه الدراسة العديد من الأخبار المهمة فيما يخص فتوحات المسلمين في بلاد المغرب وشمال أفريقيا، كما تحدثت عن الكثير من المدن والأقاليم في هذه البلاد، والاختلافات في ذكر أسمائها حسب ما ورد في المصادر التاريخية الأخرى.

– وتناولت الدراسة أيضًا كتابات كبار المؤرخين العرب عن فتوحات بلاد المغرب وإفريقية كدراسة مقارنة بين ما ذكره ابن عبدالحكم في موضوع ما، وما أورده غيره من المؤرخين في رواياتهم عن ذات الحدث. ولعل من أهم الكتب التى استفدنا منها في هذا الشأن: "فتوح البلدان" للبلاذرى، و"البداية والنهاية" لابن كثير، وكتاب الخطط للمقريزي، و"حُسن المحاضرة" للسيوطى...إلخ.

المصادر والمراجع

أولاً– المصادر:

1– ابن الأثير: أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، تحقيق: أحمد بن شعبان، مكتبة الصفا، 2007م.

2– ابن النديم: الفهرست، تحقيق : محمد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ.

3– ابن إياس: بدائع الزهور، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982م.

4- البخاري: صحيح البخارى: مكتبة الصفا، القاهرة، 2003م.

5- البلاذرى: فتوح البلدان ، تحقيق: أيمن عرفة، المكتبة التوفيقية، دون تاريخ.

6- ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تقديم: محمد عبدالرحمن المرعشلى، تحقيق: رياض عبدالله عبد الهادى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، 2009م.

7- الذهبى: سير أعلام النبلاء ، تحقيق: خيرى سعيد، المكتبة التوفيقية، 2008م .

8- ابن زولاق: فضائل مصر وخواصها وأخبارها، تحقيق: على محمد عمر، الهيئة المصرية العامة الكتاب (سلسلة التراث)، 1999م.

9- ابن سعد: الطبقات الكبرى، تحقيق: حمزة النشرتى (وآخرون)، القاهرة، دون تاريخ.

السيوطى:

10- حُسن المحاضرة، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

11- تاريخ الخلفاء، تحقيق : أحمد شعبان ، مكتبة الصفا، 2005م.

12- ابن عبدالحكم: فتوح مصر وأخبارها، مكتبة مدبولى، 1999م .

13- القلقشندى: صبح الأعشى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ، 2004م.

14 ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبوملحم وعلى نجيب عطوى (وآخرون)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

15- ابن الكندى: فضائل مصر المحروسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997م.

16- المسعودى: مروج الذهب، تحقيق : مصطفى السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، 2003م.

17- المقريزى: المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الآداب، القاهرة، 1996م.

18- النسائى: سنن النسائى، الطبعة الأولى، دار ابن الجوزى ، القاهرة، 2011م .

ثانيًا- المراجع العربية:

19- بتلر:الكنائس القبطية فى مصر، الهيئة المصريةالعامة للكتاب،2001م.

20- حسن أحمد محمود: حضارة مصر الإسلامية مصر فى العصر الطولونى، دار الفكر العربى، القاهرة، دون تاريخ.

21- ستانلى لينبول: سيرة القاهرة، ترجمة: حسن ابراهيم حسن وعلى ابراهيم حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب (أعمال فكرية)، 1997م.

22- شوقى عطاالله الجمل: علم التاريخ ومناهج البحث فيه، الطبعة الثانية، دار الزهراء، الرياض (السعودية)، 2002م.

23- صفى على محمد:الحركة العلمية والأدبية فى الفسطاط منذ الفتح العربى الى نهاية الدولة الأخشيدية، الهيئة المصرية العامة للكتاب (تاريخ المصريين)، 2000م.

24- عبدالرحمن الرافعى: مصر فى العصور الوسطى، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990م.

محمد عبد الله عنان:

25- مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصرى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م.

26- مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.

27- منى حسن أحمد محمود: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، دار الثقافة العربية، 2003م.

28- ميخائيل مكسى إسكندر: تاريخ المسيحية وآثارها فى المدن الخمس، تقديم: الأنبا باخوميوس، مؤسسة القديس مرقس لدراسات التاريخ القبطى، دار العالم العربى، القاهرة ، 2005م.

(1) 29- The New American Desk Encyclopedia , A Signet Book, New American Library, U.S.A , 1984.

أفاويه الأندلس " دراسة وصفيه في القرنين الرابع والخامس الهجريين "

د.عبدالله علي نــوح
د. كريمة أحمد عوض

ملخص البحث:

إن الأفاويه الأندلسية لم تكن تستخدم هكذا عرضاً من باب تجربة الشيء ، إنما كان اقتناء الأندلسيين لها واستعمالهم إياها عن إدراكٍ كامل بمكوناتها وفوائدها، لأن علوم النبات والفلاحة والطبابة كانت عندهم ذات شأوٍ لا يضاهى وباعٍ لا يدانى ، فقد فهموا تركيبة كل فوهٍ وكل تابلٍ ، وعلموا نفعه وحدود استخدامه ، وعرفوا سبل الإفادة منه ، حتى غدت الأفاويه في ثقافتهم طعاماً وعلاجاً وبهاراً .

وهذا البحث محاولةٌ لسرد بعض أفاويه الأندلس ، وذكرٌ لمشهور النباتات العطرية والتوابل الأندلسية من باب التعريف والتوضيح ، ولبيان بعض مسميات أفاويه الأندلسيين كما اشتهرت بينهم وعرفت لديهم ، أو كما وصلتهم مسمياتها من لدن غيرهم .

الكلمات المفتاحية (أفاويه ، عطور ، توابل ، نباتات أندلسية ، أعشاب عطرية)

Abstract :

Al-Andalus's Afaweeh (spices , plants , herbs) was not used by the method of futile experimentation of something Rather, their acquisition and use of them was completely aware of its components and benefits, because the sciences of botanicals, agriculture and medicine were in their possession of incomparable and unmatched sales, so they understood the composition of each mouth and every spice, and they knew its usefulness And the limits of its use, and they knew ways to benefit from it, so that the (Afaweeh) became in their culture food, treatment and spice.

This research is considered an attempt to list some of the most famous aromatic plants and Andalusian spices, in order to define and clarify some of the names of aromatic plants and Andalusian spices because they were famous and known to them.

Key words : (Afaweeh, spices, Andalusian plants, aromatic herbs)

المقدمة :

دار في خلد عديد الناس أن العالم شهد تطوراً ملحوظاً في زمنٍ أعقب خروج الأندلس من دائرة الحكم الإسلامي ، فيما عرف بعصر الكشوف الجغرافية والوصول إلى العالم الجديد ، والتي لم يكن هدفها علمياً أو جغرافياً في مقامها الأول ، إنما يمكن اعتبار التوابل أول من حرك الاكتشافات الجغرافية والنشاط التوسعي في العالم ، فرحلة ماجلان و كريستوفر كولومبس كان هدفها الأول إيجاد طرق وممرات جديدة للوصول الى مراكز إنتاج التوابل في الشرق .

كان اقتناء التوابل في أوروبا العصور الوسطى وقفاً على العائلات الحاكمة والملوك والأغنياء ، وكان بذخ الفرد ودرجة رقيه يقاسان بما يقتنيه ويستخدمه من توابل وعطور، في حين كان عامة أهل الأندلس يقتنون عديد أنواع الأعشاب والتوابل والعطور نباتيةً ودهنيةً .

والواضح أن الأندلسيين قاربوا بين عدة معاني لما تجود به غاباتهم وأرباضهم ، واصطلحوا على نعتها بكلمة (الأفاويه) ، كتعبير عما تجود به أرضهم الغناء من أعشاب عطرية وتوابل ، لأن أفاويه الشيء تعنى في جملة ما تعنيه ، أنواعه وأصنافه .

والحق إن أفاويه الأندلس لم تستعمل هكذا عرضاً من باب تجربة الشيء ، إنما كان اقتناؤهم واستعمالهم لها عن إدراكٍ كامل بمكوناتها وفوائدها، لأن علوم النبات والفلاحة والطبابة كانت عندهم ذات شأوٍ لا ضاهى وباعٍ لا يدانى ، فقد فهموا تركيبة كل فوهٍ وكل تابلٍ ، وعلموا نفعه وحدود استخدامه ، وعرفوا سبل الإفادة منه حتى غدت الأفاويه في ثقافتهم طعاماً وعلاجاً وبهاراً .

وهذا البحث محاولة لسرد بعض أفاويه الأندلس ، وذكر لمشهور النباتات العطرية والتوابل الأندلسية من باب التعريف والتوضيح ، ولبيان بعض مسميات أفاويه الأندلسيين كما اشتهرت بينهم ، وعرفت لديهم ، أو كما وصلهم مسماها من لدن غيرهم .

في معنى الأفاويه :

الأفاويه : كلمة عربية فصيحة تفسر في أقرب معانيها بأنها جمع (فوه) أي العطر والطيب ، فالفوه بالضم الطيب والعطر ، والجمع أفواه ، والأفاويه جمع الجمع (1) ، وذكر أبو العباس الحموي المقري في

(1) أبوالفتح ناصر بن عبدالسيد بن علي المطرزي ، كتاب المغرب في ترتيب المعرب ، تحقيق جلال الأسيوطي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د.ت ، ص 367 . كذلك : أبوالفيض محمد بن محمد الحسيني المرتضى الزبيدي ، تاج

كتابه المصباح المنير أن: ((الفوه الطيب والجمع أفواه ... وأفاويه جمع الجمع)) (1) ، وقيل هي كل ما يستخدم في العطر والتوابل ، أو يعالج به منها ، أو يستعمل في الأطعمة (2) ، ومعنى أفاويه الشيء : أصنافه وأنواعه (3) ، ويقصد بالأفاويه عامةً النباتات والعطور التي تدخل في الطعام والتعطر والطبابة ، ويطلق لفظ أفاويه على العطر عامة (4) ، وقيل إن الأفاويه من الأفواه وهي التوابل ، الواحد : فوه ، وجمع الجمع : أفاويه (5).

وغني عن التبيان أن بالأندلس من النباتات العطرية والتوابل ما يفوق موجود غيرها من الأقطار والأصقاع في الطيب والمنفعة ، فأغلب مدن الأندلس وأرباضها مشهوة بكثرة بساتينها ورياضها ، ، وتوافر نباتات كان لها أعظم الأثر في قيام صناعة ترتبط أساسا بالكيمياء هي صناعة العطور(6) فقد قيل إن بالأندلس من أنواع الأفاويه ما يفوق خمسة وعشرين صنفاً مشهوراً : منها السنبل، والقرنفل، والصندل ، والقرفة ، وقصب الذريرة ، وغير ذلك (7).

وقيل كذلك إن أصول الطيب خمسة أصناف: المسك، والكافور، والعود، والعنبر، والزعفران، وكلها من أرض الهند، إلا الزعفران والعنبر، فإنهما موجودان في أرض الأندلس (8).

العروس من جواهر القاموس ، ج18 ، تحقيق عبدالمنعم خليل إبراهيم و كريم سيد محمود ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2011 ، ص 234.

(1) أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي المقري ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، ج2 ، ط2، تحقيق عبد العظيم الشناوي ، القاهرة ، دار المعارف ، 1977 ، ص 484 .

(2) أبو العباس نجم الدين أحمد بن الرافعة ، كفاية النبيه : شرح التنبيه في فقه الإمام الشافعي ، ج15 ، تحقيق مجدي محمد سرور باسلوم ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2009 ، ص 173.

(3) الزبيدي ، تاج العروس ، ص234.

(4) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، ج1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2011 ، ص193.

(5) أبوبكر محمد بن زكريا الرازي ، صيدلية التداوي من كتاب الحاوي : مجربات الرازي في الطب والتداوي ، بيروت ، دار المحجة البيضاء ، 2004 ، ص 36.

(6) كمال أبومصطفى ، تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الاسلامي (95-495 هـ/714-1102 م) : دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ، الإسكندرية ، مركز الاسكندرية للكتاب ، 1996 ، ص272.

(7) شكيب أرسلان ، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، ج1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1997 ، ص 157.

(8) المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص 66.

ويوجد بسواحل الأندلس العنبر الرفيع القدر الذي لا يوجد مثله في معمور الأرض(1) ، كما يوجد في جبال الأندلس المحلب الذي لا يعدل به غيره (2) ، ومثله عود الألنجوج ، ويوجد بأرباض كورة تدمير(3) ، ومثله العود الهندي (4) المشهور بطيب رائحته ومنافعه الطبية .

وبلغ من كثرة الأشجار والنباتات العطرية بالأندلس أن بعض المؤرخين ذكروا أن في الأندلس مواضع إذا أطلقت النار فيها فاحت بروائح العود وما أشبهه (5)، وفي جبال الأندلس ووديانها تكثر الأفاويه (6) ، وبالأندلس جبل يعرف بجبل الجنة كثيراً ما يتضوع منه رائحة العود الذكي(7).

وسنورد فيما يلي بعضاً من أفاويه الأندلس من باب الاستقصاء اليسير لا التقصي بالمجمل والتفصيل ، وذلك سوقاً لنزرٍ يسيرٍ من عطور الأندلس اليانعة ، وأفاويهها الجمة الكثيرة ، فتحاً لبابٍ في البحث والدراسة ، كان لدى بعض البحاث شرف السبق فيه والوصول إليه .

والسبب أن استقصاء أفاويه الأندلس كاملة ، ربما يحتاج لمصنف معجمي ، وليس لبحث صغير ، قد يختزل بعضاً من مجمل الموضوع ، ولا يتكتته كل جوانبه ، لأن مسرداً استقصائياً لمجمل الأفاويه الأندلسية يحتاج جهداً كبيراً ، ربما تكون ثمرته معجماً كبيراً .

---

(1) مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ، تحقيق عبدالقادر بوباية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2009 ، ص 50.

(2) المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص 141.

(3) إسماعيل سامعي ، تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي ، عمان ، مركز الكتاب الأكاديمي ، 2018 ، ص122.

(4) محمد أحمد أبو الفضل ، تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي : دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1996 ، ص 166.

(5) المقري ، نفح الطيب ، ص 132. أرسلان ، الحلل السندسية ، ص 138.

(6) نهاد عباس زينل ، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطور الحضاري ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2013 ، ص 17.

(7) أبومصطفى ، تاريخ مدينة بلنسية ، ص148. ويقول البكري إن جبل الجنة يوجد بمكان يسمى (أكشنبة) ، ومن كثرة أفاويه هذا الجبل أنه إذا أرسلت فيه نار ، تضوعت منه روائح العود : أبوعبيد عبدالله بن عبد العزيز البكري ، المسالك والممالك ، ج2 ، تحقيق جمال طلبة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2003 ، ص 384.

ومن مشهور الأفاويه الأندلسية ذكراً في كتب تواريخ الأندلس ، وفي بعض كتب الفلاحة ، وبعض مصادر تاريخ الأندلس ، وكتب البلدانيات ، مايلي :

ـ المحلب : شجر مشهور بالأندلس تسمى شجرته (اليسر) (1) ، كما تشتهر شجرته كذلك باسم (الأراك) (2) ، وصفه الفيروزابادي بقوله ((هو شجر له حب صغار طيب... له حب يجعل في الطيب والعطر، وقيل هو البطم ، وقيل الأراك... وقيل شجر اليسر)) (3) .

ذكره ابن البيطار بقوله : ((هو حب شجرة تشبه الصفصاف في ورقها وعودها إلا أنها دونها في الطول ، وهو بالأندلس كثير، وحب المحلب مدور عليه قشر، يضرب إلى الحمرة والسواد، تحتها قشرة خشبية صلبة ، داخلها طعمة بيضاء عطرية فيها شيء من مرارة ، وشجره يسمو ، وله خشب غليظ صلب ، ويستعمل حب المحلب في المسوح والنقاوات))(4). ووصفه البعض بأنه ((شجر له حب كحب الريحان)) (5) ، ويكثر شجر المحلب في جبال الأندلس الشمالية (6)

– **العنبر** : طيب معروف له أنواع كثيرة وأصناف متعددة ، ويستخرج من حوت العنبر ، ويتميز عطر العنبر بأن ((معادنه متباينة ، وهو يتفاضل بمعادنه وجوهره)) (7) ، ومنه في الأندلس نوعان بحسب القزويني حين قال العنبر نوعان: النوع الأول العنبر المنتشر الاستعمال وهو الذي يقذفه البحر في شنترين غربا(1) .

---

(1) اليسر: شجر الأراك المعروف ، واسمه الأعجمي الأناغورس ، ومن مشهور أسمائه المحلب ، وربما عرف كذلك باسم عود المغلة : داود بن عمر الأنطاكي ، تذكرة داود الأنطاكي المسمى تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب ، ج1 ، تحقيق أحمد شمس الدين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2016 ، ص233.

(2) كمال أبومصطفى ، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين ، الإسكندرية ، منشورات مركز الاسكندرية للكتاب، 1996، ص148.

(3) مجيد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي ، كتاب الجامع في العسل الموسوم بكتاب ترقيق الأسل لتصفيق العسل ، بيروت ، منشورات دار الغرب الإسلامي ، 2006 ، ص 207 .

(4) ضياء الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن البيطار ، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، ج3 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2001 ، ص 425 .

(5) حسين نصار ، المعجم العربي : نشأته وتطوره ، القاهرة ، منشورات مكتبة مصر، 1968 ، ص132.

(6) سامعي ، تاريخ الأندلس ، ص119.

(7) أحمد بن أبي يعقوب بن إسحاق بن واضح اليعقوبي ، البلدان ، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ،2002 ، ص120.

أما النوع الثاني وهو نوع جيد ، فيسميه العنبر الفائق (2) ، ويبدو أن إطلاق صفة الفائق عليه تعنى أنه يفوق غيره من أنواع العنبر الأندلسي ، ويوجد هذا النوع في سواحل لشبونة المتصلة بمدينة شنترين الساحلية ، والتي يأتي العبر الفائق منها إلى لشبونة (3) .

وذكر المسعودي أن العنبر يكون في قعر البحر (4) أي أنه يستخرج من أعماق البحار ، في حين أكد المقدسي على كثرة وجود العنبر في سواحل الأندلس حين قال: ((ويقع إليهم من البحر المحيط عنبر كثير في وقتٍ من السنة)) (5) .

وجعل القلقشندي العنبر الأندلسي أقل جودة من نظائرة الهندية واليمنية وسماه العنبر المغربي ، حيث قال : العنبر((المغربي وهو ما يؤتى به من بحر الأندلس ، ويحمله التجار إلى مصر ، وهو أردأ الأنواع كلها ، وهو شبيه في لونه بالعنبر الشحري)) (6).

وقال الحميري عند حديثه عنه كأحد أفاويه الأندلس بأن أطيب العنبر ذلك الذي يوجد بساحل مدينة شذونة الأندلسية (7) ، وهو على أنواعٍ فمنه مايميل الى اللون الأسود ، ومنه مايتميز ببياض شديد ناصع ومنه الدهني الدسم (8) .

---

(1) زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، باعتناء فرديناند وستنفيلد ، برلين ، منشورات مكتبة ديتريش ، 1849 ، ص 364 .

(2) القزويني ، آثار البلاد ، ص 364 .

(3) شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج11 ، تحقيق عبد المجيد ترحيني ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2005 ، ص 216.

(4) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ، أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران ، ط2 ، بيروت ، دار الأندلس ، 1996 ، ص ص 45 ، 46 .

(5) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ج1 ، تعليق محمد أمين الضناوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2003 ، ص 192.

(6) أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج2 ، تعليق محمد حسين شمس الدين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2012 ، ص132.

(7) أبوعبدالله محمد بن عبدالله الحميري ، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط2 ، باعتناء ليفى بروفنسال ، بيروت ، دار الجيل ، 1988 ، ص 101.

(8) المسعودي ، أخبار الزمان ، ص 45 . ويصف المسعودي طرائق استخراج مادة العنبر من حوت العنبر ، وكذلك أنواعه وصفته : نفس المصدر ، نفس الصفحة .

وكانت مدينة شنترية الأندلسية مصدراً معروفاً لأفضل أنواع العنبر وبكثرة ، و كذا كان ساحل لشبونة غنياً بالعنبر الجيد كنظيره الهندي ، ووصف العنبر الأندلسي بأنه كان سائداً في أسواق سواحل البحر (1) ، وتكمن أهمية العنبر في أنه عطر الرائحة ، مقوٍ للقلب والدماغ ، وهو مختلف الأنواع والألوان .

_ **الريحان** : نبات عطري ظاهر الرائحة (2) ، بيضاوي الورق ، أبيض الزهرة (3) ، وهو أنواع ثلاثة : فمنه نوع عريض الأوراق يسمى الهاشمي ، ومنه الشرقي وورقه أدق من الهاشمي ، ومنه اليوسفي وورقه عريض لكنه أرطب ورقاً من الهاشمي (4) .

وللريحان خاصية عجيبة في تقوية القلب (5) ، ولذلك اهتم به أهل الأندلس زراعة واقتناء واستفادة ، ودخل لشهرته في أزجالهم وشعرهم وموشحاتهم ، وكان واسع الاستعمال طيباً واستطباباً ، ولا تكاد تمر مناسبة أندلسية إلا والريحان حاضر فيها (6).

_ **الخزامى** : زهر متعدد الألوان طيب الرائحة (7) ، وهو((عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهر طيبة الريح فيها نور كنور البنفسج ، وليس في الزهر أطيب ريحاً منه)) (8) ، ويسمى الخزامى والخزام (9)، وكلمة الخزامى جمع واحدتها خزاماة أو خزامة طيبة الريح (10) ، واعتبره البعض أزكى نبات البادية (11) وخير نبات البر عطراً (1) ، وكانت الظباء البرية في الأندلس ترعى عشبة الخزامى (2) .

---

(1) أوليفيا كونستبل ، التجارة والتجار في الأندلس ، ترجمة فيصل عبدالله ، الرياض ، مكتبة العبيكان ،1998

(2) أبوعبد الله محمد بن مالك المري الطغنري ، زهرة البستان ونزهة الأذهان ، تحقيق أكسبيراثيون غارثيا ، منشورات المجلس الأعلى للأبحاث العملية ، مدريد ، 2006 ، ص 283.

(3) رينهارت دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، بغداد ، منشورات وزارة الثقافة ، 1978 ، ص 240.

(4) الطغنري ، زهرة البستان ، ص 282.

(5) أبوزكريا يحي بن محمد بن العوام الإشبيلي ، كتاب الفلاحة ، مدريد ، المطبعة الملكية ، 1802، ص285.

(6) محمد رضوان الداية ، التقاليد الشامية في الديار الأندلسية ، ط1 ، دمشق ، دار الفكر ، 2010 ، ص 119.

(7) المقري ، نفح الطيب ، ص 319.

(8) أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني ، كتاب الأغاني ، ج 23 ، شرح سمير جابر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2008 ، ص 116 .

(9) لويس شيخو ، مجاني الأدب في حدائق العرب ، ج8 ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، 1885 ، ص22.

(10) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي ، كتاب المخصص ، ج5 ، تحقيق أحمد يوسف هنداوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية، 2006 ، ص202 .

(11) يحي شامي ، معجم الأسامي ، بيروت ، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع ، 2002 ، ص172.

وبحسب وصف ابن البيطار فإن الخزامى الأندلسية ((طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهر طيبة الريح ليس في الزهر أطيب نفحة منها)) (3) .

ـ البردقوش: البردقوش أو المردقوش(4) ، بقل عشبي عطري زراعي كثير الأغصان ، له منافع جمة في حالات الاستطباب للزكام والصداع والرطوبة نشوقاً وقطوراً (5) ، ويخلط البعض بينه وبين الزعفران (6) ، ويسميه البعض برتقوش (7) ، وذكر رينهارت دوزي أن أهل الأندلس كانوا يصحفون البردقوش فينطقونه مرددوش (8) ، وهما مسميان لنفس النبات (9) ، وربما قيل مرزجوش (10) ، ويتصف نبات البردقوش بأنه إذا نما و زاد احمرت أطرافه (11) ، ومن فوائد البردقوش أنه يزيل انتفاخ البطن وينبه تدفق الصفراء ومضاد للالتهابات الصدرية واللوزتين والتهابات القصبة والربو(12).

ـ السنبل : نبات طيب الرائحة يتداوى به (13) ، ويسمى سنبل العصافير (14) ، وهو على نوعين : سنبل الطيب وهو سنبل العصافير، والسنبل الرومي المسمى الناردين (1) ، ويكثر السنبل الرومي في الأندلس بجبل بجبل يقال له جبل شقورة (2).

---

(1) ابن سيده ، المخصص ، ج5 ، ص 202.

(2) محمد سعيد الدغلي ، الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي ، عمان ، منشورات دار أسامة ، 1984 ، ص82 .

(3) ابن البيطار ، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، ص 326.

(4) أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي ، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، دمشق ، دار القلم ، 1990 ، ص574.

(5) عبد الملك بن حبيب بن سليمان الألبيري القرطبي ، مختصر في الطب : العلاج بالأغذية الطبيغية والأعشاب ، تحقيق محمد أمين الضناوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2004 ، ص75.

(6) أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني ، العباب الزاخر واللباب الفاخر ، تحيق فير محمد حسن ، إسلام آباد ، منشورات مجمع البحوث الإسلامية ، 1994 ، ص282.

(7) الجواليقي ، المعرب من الكلام الأعجمي ، ص574 .

(8) دوزي ، تكملة المعاجم ، ص 40 .

(9) أبو عبد الله بن أحمد بن هشام بن خلف اللخمي ، المدخل الى تقويم اللسان وتعليم الصبيان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1995 ، ص349 .

(10) أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري ، النبات ، تحقيق برنهارد ليفين ، بيروت ، دار القلم ، 1974 ، ص 209 .

(11) الجواليقي ، المعرب من الكلام الأعجمي ، ص 574.

(12) سهام خضر ، معجم الأعشاب والنباتات الطبية ، القاهرة ، مجموعة النيل العربية للنشر، 2008 ، ص575.

(13) المقري ، نفح الطيب ، ص 122.

(14) أرسلان ، الحلل السندسية ، ص 232.

ـ الرازيانج : نبات طري الورق ، منه نوع بري ونوع نستاني (3) يزرع بالحدائق ، ويسمى الرازيانج الشومر ، غير أن لفظ الرازيانج يطلق على البري منه (4) أما الشومر فهو البستاني (5) ، وهو طيب الرائحة تشوبه بعض المرارة ، وله استعمال طبي (6) ، وأهل الأندلس يسمونه مجازاً النافع لأنه نافع في مداواة أمراض عديدة (7).

ـ الألنجوج : عود من الطيب ذكي (8) له ريح طيبة (9) ، ويسمى كل عود يتبخر به بنفس الاسم لشدة تضوعه (10) ، وقد وجدت عدة أماكن بالأندلس نبت فيها هذا العود ، من ضمنها موضع يسمى دلاية قرب مدينة المرية ينبت عود الألنجوج الذي يضاهي العود الهندي عطراً (11) ، ويتصف بأنه شديد طيب الرائحة ، ولهذا كثر استعماله (12) ، وقيل إنه لا يفوقه عود آخر ذكاءً وعطراً (1) ، وسمى عود النضوح (2) لما ينضح به من الطيب ، وهو من مشهور طيب الأندلس .

---

(1) زينل ، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس ، ص571.

(2) أبومصطفى ، تاريخ الأندلس الاقتصادي ، ص 149.

(3) محمد بن قسوم بن أسلم الغافقى ، المرشد فى طب العين ، تحقيق حسن علي حسن ، بيروت ، منشورات معهد الإنماء العربي ، 1987 ، ص255.

(4) أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ، الحاوي في الطب ، ج7 ، مراجعة وتصحيح محمد محمد إسماعيل ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2000 ، ص193.

(5) عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي الدمشقي ، الملاحة في علم الفلاحة ، تحقيق عادل محمد علي الشيخ حسين ، بيروت ، دار البيارق ، 2001 ، ص129.

(6) سامي خلف حمارنة ، تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين، ج1، إربد ، منشورات جامعة اليرموك ، 1986 ، ص27.

(7) أبو الخير الشجار الإشبيلي الأندلسي ، عمدة الطبيب في معرفة النبات ، ج1، تحقيق محمد العربي الخطابي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ،1995، ص 166.

(8) نشوان بن سعيد الحميرى اليمني ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، ج9 ، تحقيق حسين بن عبد الله العمري وآخرين ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، 1999 ، ص 5970.

(9) دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، ص 177.

(10) جلال الدين أبوبكر بن عبد الرحمن السيوطي ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ج 8 ، ط1 ، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، القاهرة ، مركز هجر للبحوث والدراسات ، 2003 ، ص445.

(11) أبومصطفى ، تاريخ الأندلس الاقتصادي ، ص 148

(12) أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تقديم رياض مصطفى عثمان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2013 ، ص 191.

_ **الميعة** : الميعة شجرة جليلة لها خشب يشبه شجر الساج ، وورقها يشبه ورق الزان ، ولهذه الشجرة ثمرة بيضاء (3) ، يخرج منها صمغ عطره طيب الرائحة جداً (4) ، ويتميز الصمغ الذي يخرج من تلك الثمرة بأنه أقرب للسيولة منه للصلابة ، لذلك سمي نباته بالميعة لميوعة صمغه (5) .

_ **الملاب** : يطلق لفظ الملاب على وجه التعميم على كل عطر مائع (6) مهما كان نوعه أو مصدره ، وقيل إنه من أسماء الزعفران (7) ، غير أن ابن بسام يؤكد بأن الملاب: طيب يشبه الزعفران(8) ، لكنه ليس هو ، وهذا ما أكد ابن الإجدابي بقوله : ((الملاب ... هو كما قيل طيب يشبه الزعفران ، لا الزعفران نفسه (9).

_ **الزرنب** : الزرنب من النباتات العطرية ، فهو بحسب المعجميين ضرب من الطيب (10) ، وقيل إنه اسم لعروق الكافور (11) ، وقيل إن الزرنب نوع من الشجيرات المخروطية ، اسمها الأعجمي زراوند ، وتسمي

---

(1) أبومصطفى ، تاريخ الأندلس الاقتصادي ، ص 148.

(2) أبوعبدالله محمد بن أحمد بن الحداد الأندلسي ، ديوان ابن الحداد الأندلسي ، ج1 ، ط1 ، تحقيق يوسف علي طويل ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1990 ، ص 147.

(3) أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن وافد الأندلسي ، الأدوية المفردة ، تحقيق أحمد حسن بسج ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2000 ، ص71.

(4) الزبيدي ، تاج العروس ، ج21 ، ص119.

(5) ابن وافد ، الأدوية المفردة ، ص 70 .

(6) علي محمد سلام ، العطر والطيب ، القاهرة ، الدار الثقافية للنشر ، 2018 ، ص 169.

(7) كوكب دياب ، المعجم المفصل في الأشجار والنباتات في لسان العرب ، ج 12، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2001 ، ص241.

(8) أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ج3 ، تحقيق سالم مصطفى البدري ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2012 ، ص 555.

(9) أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن الإجدابي ، كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ ، تحقيق عبد القادر المبارك ، دمشق ، دار الفكر ، 2003، ص219.

(10) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، ج3 ، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة ، دار الفكر ، 1979 ، ص 55.

(11) أحمد عيسى ، تاريخ النبات عند العرب ، القاهرة ، منشورات وكالة الصحافة العربية ، 2019 ، ص139. وعروق الكافور كانت تسمى عند باعة الأعشاب قديماً باسم (الزرنباد) : ابن البيطار ، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، ص 462.

باليونانية رسطولوخيا ، ومعناه دواء يبرىء المفاصل والنقرس ، وهو من أدق النبات وشجرته طيبة الرائحة عطرية (1) ،

_ **الأشق** : صمغ يخرج من شجرة صغيرة (2) ، تسمى شجرة الكلخ (3) ، وهو صمغ نشادري تفرزه شجرة اسمها الأمونياقوم (4) ، له كثافة ويبوسة (5) ، ويعرف في بلاد المغرب بالفاسوخ (6) ، وذكر النويري أن الأشق يسمى كذلك وشق وأشج وكلخ ، وهو نبات ينمو تحت أصول نبات الحميض، وهو صنفان : حلو يؤكل ولونه أحمر، ومر لونه أبيض (7) ، وله نفع في علاج المفاصل والفقرات المتصلبة (8) ، وقيل إنه كان معروفاً عند أهل الأندلس باسم الكلخ (9) .

_ **القرنفل** : نبت معروف يسمى قرنفل وقرنفل وقرنفول ، له حبوب شجرة كالياسمين، والعامة في الأندلس تسميه كبش قرنفل (10) ، وهو عندهم نافع من العلل الباردة (11).

ومنه في الأندلس نوع عطري أزهاره عطرية بيضاء أو أرجوانية (1) ، وهناك موضع بالأندلس يقال له جبل جبل الفتح تكثر فيه شجرة القرنفل ، لكنه صعب الاجتناء وجودته عالية (2) ، فيما أشار الحميري عند حديثه حديثه عن مدينة لبلة إلى أنه ((يكون فيها القرنفل الفاضل)) (3) .

---

(1) الأنطاكي ، تذكرة أولي الألباب ، ص 431.

(2) مؤلف مجهول ، الفروسية والطب الحيواني والبيطرة ، تحقيق محمد التونجي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2003 ، ص176.

(3) أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي ، الكليات في الطب ، ط1 ، تحقيق محمد عابد الجابري ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1999، ص594.

(4) أبوبكر بن يوسف بن أبي بكر بن الحسن القاسمي ، كتاب الجوارح وعلوم البزدرة ، تحقيق محمد ياسر زكور ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2016 ، ص 189.

(5) محمد العربي الخطابي ، الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي : مدخل ونصوص، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1990 ، ص258.

(6) ابن رشد ، الكليات في الطب ، ص594.

(7) النويري ، نهاية الأرب ، ج 11، ص 310 .

(8) خضر ، معجم الأعشاب والنباتات الطبية ، ص258.

(9) أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشافعي الشعراني ، الطب العربي المعروف بمختصر تذكرة السويدي ، تحقيق عز الدين السويدي ، بيروت ، دار المجتبى للطباعة والنشر ، 1996 ، ص108.

(10) زينل ، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس ، ص487.

(11) ابن رشد الأندلسي ، الكليات في الطب ، ص378 .

_ **القسط** : القسط عود مشهور يتداوى به (4) ، والنوع الجيد المفيد منه مر المذاق (5) ، ووصف المقري القسط الأندلسي بأنه قسط طيب (6) ، ويكثر نباته في غرب الأندلس (7) ، كما يكثر بموطن بالأندلس يسمى جبل أبدة ، ويوجد أيضاً بالجبل المنسوب إليه المسمى بجبل القسط (8).

_ **الآس** : شجيرة كانت تسمى عند اليونان مرسينا ، ويسميها العامة المرسين (9) ، ووصف بأنه شجيرة دائمة الخضرة تسمو حتى تصبح شجرة عطيمة (10) ، بيضي الورق ، عطري ، أبيض الزهر أو وردي (11) ، والآس نبات عطر الرائحة ، طيب المذاق ، وفي مذاقه عفوصة ، يفسرها احتوائه على مادة العفص المقبضة التي تجعل الفم جافة بعد تناوله (12) .

وبسبب خاصيته القابضة كان استعماله في الطب أوسع ، فقد ذكر الرازي أن الآس جيد للمعدة ، ونافع من لدغ العناكب والعقارب ، وإذا لطخت به القروح برئت ، علاوة على استخدامات علاجية أخرى (13) ، وهو من شجر أرض العرب (14).

---

(1) محمد هشام النعسان ، قصور وحدائق الأندلس العربية الإسلامية (دراسة تراثية، أثرية، عمرانية، جمالية) ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2017 ، ص65.

(2) أبوعبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن زمرك ، شعر وموشحات الوزير بن زمرك الأندلسي ، تحقيق حمدان حجاجي ، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1989 ، ص 103.

(3) الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص 169.

(4) مجهول ، تاريخ الأندلس ، ص51.

(5) البكري ، المسالك والممالك ، ص 385.

(6) المقري ، نفح الطيب ، ج1 ، ص141.

(7) سامعي ، تاريخ الأندلس ، ص122.

(8) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

(9) أرسلان ، الحلل السندسية ، ص 308.

(10) أبو الوليد إسماعيل بن حبيب الإشبيلي ، البديع في وصف الربيع ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، 1987 ، ص 89 .

(11) دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، ج4 ، ص 358.

(12) قتيبة شهابي ، طريف النداء في دمشق الفيحاء : بحث في الجذور العلمية والتاريخية والتراثية والشعبية واللغوية للسلع ونداءات باعتها ، ج 1، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ، 1998 ، ص15.

(13) الرازي ، الحاوي في الطب ، ص 9 .

(14) الدينوري ، كتاب النبات ، ص 210.

_ **الأقحوان** : نبات معروف كان يزرع حول الأحواض والبرك المائية (1) ، ويوصف بأن له زهر، وأرواقه مفلجة صغيرة تشبه الأسنان (2) ، وذكر الدينوري في كتابه النبات أنه من رياحين البر طيبة الرائحة ، ويمكن أن يكون هو المعروف باسم البابونج (3) .

والمشهور من الأقحوان في الأندلس هو الأبيض الممتزج بصفرة (4) ، ويجعل رينهارت دوزي الأقحوان الأندلسي على نوعين : الأقحوان الأبيض الزهر والذي يسمى عند البعض أحياناً أماريقون ، والأقحوان الأصفر الذي يسميه العامة البهار ، ويسميه الشجارون الأندلسيون مغارجة ، وهو المسمى لدى البربر باسم (أملال) (5) ، وقد يكون الأقحوان باللونين الأصفر والأحمر (6) ، وفوق استعماله في زينة الحدائق ، كانت له استخدامات طبية واسعة (7).

_ البابونج : نبتة زكية الرائحة من الأعشاب المشهورة بالأندلس ، مختلفة الألوان كثيرة المنافع ، منها صفراء الزهر ومنها أبيضه (8) ، ولا يفرق الدينوري في كتابه (النبات) بين البابونج والأقحوان ، إذ يقول إنه سمع أن البابونج والأقحوان واحد (9) ، ثم يضيف أن البابونج ربما يكون أقل ذكاءً من الأقحوان في الرائحة (10) .

والبابونج ليس صنفاً واحداً ، حيث يفرق ابن البيطار بين ثلاثة أنواع منه فيقول إنه على ثلاثة أصناف ، لا يفرق بينها إلا لون الزهر: الأول أبيض الزهر وهو الذي يعرفه أهل مصر باسم (الكركاس) ويسميه الأندلسيون بالمقارجة _ وهو هنا يحيل إلى نفس وصف الأقحوان الأندلسي _ والنوع الثاني نوع مشهور يستعمل كثيراً ، وهو الذي يسميه أهل أفريقية البابونق والبابونج ، وقد جلب من أفريقية وبرقة ومصر للأندلس

(91 النعسان ، قصور وحدائق الأندلس ، ص 58.
(2) زينل ، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس ، ص 537 .
(3) الدينوري ، كتاب النبات ، ص 203.

(4) أحمد مقبل محمد منصوري ، اللون في الشعر الأندلسي حتى نهاية عصر الطوائف ، صنعاء ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة ، 2004 ، ص 140.
(5) نفس المرجع ، ص 108.
(6) إبراهيم مراد ، المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية ، ج2 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1985 ، ص22.
(7) الرازي ، الحاوي في الطب ، ج2 ، ص 814. .
(8) زينل ، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس ، ص539.
(9) الدينوري ، كتاب النبات ، ص 203.
(10) نفس المصدر ، نفس الصفحة .

لمنافعه الطبية ولون زهره مائل إلى الصفرة مثل الذهب ، والثالث لونه ممزوج بين الأبيض والأصفر (1). ويصفه البعض بأنه هو الأقحوان (2) ، ولكثرة استخدامه واتساع رقعة نباته سمي بعدة أسماء قريبة المخارج : منها البابونق والبابونك والبابونة (3) .

_ **المندل** : عود طيب الرائحة يتبخر به (4) ، ويتميز بأنه رطب (5) ، ومن أجود أنواع العود (6)، وقيل إن المندل اكتسب اسمه من بلد في الهند اسمها مندل ، ويوضع في النار فيتبخر به (7) ، لأنه عود جميل الرائحة ، واعتبره البعض أجود أنواع العود (8) ، ويقول القلقشندي :((هو أرفع أنواع العود وأفضلها وأجودها وأبقاها على النار وأعبقها بالثياب)) (9) .

_**الياسمين** : زهر معروف ، ويحكيه البعض ياسمون بدل ياسمين (10) ، وهو بالأندلس متنوع الألوان فمنه الأزرق والأصفر والأبيض(11) ، غير أن الأبيض منه أزكى (12) ، ويبدو أن له أكثر من اسم فقد ذكر الدينوري أن البعض يزعم بأن الياسمين هو نبات السجلاط (13).

_ **النرجس** : نبات له ورق يشبه ورق الكراث ، إلا أنه أصغر منه ، وله سوق تطلع عليها أزهار بيضاء وسطها أصفر ، و زهرة النرجس طيبة الرائحة (14) .

---

(1) ابن البيطار ، الجامع لمفردات الأدوية ، ج1 ، 101 .
(2) النعسان ، قصور وحدائق الأندلس ، ص 58.
(3) أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن البيطار ، تفسير كتاب دياسقوريدوس في الأدوية المفردة ، ط1 ، تحقيق إبراهيم بن مراد ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ص113 .
(4) المقري ، نفح الطيب ، ج 10 ، ص 73.
(5) محمد بن عبد الرحمن البشر ، مباهج الأندلس ، بيروت ، دار الكتب العلمية ،2017 ، ص 221.
(6) أبوعامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد الأندلسي ، ديوان ابن شهيد الأندلسي ورسائله ، تحقيق محي الدين ديب ، صيدا ، منشورات المكتبة العصرية ، 1997 ، ص134.
(7) نفس المصدر ، نفس الصفحة .
(8) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، المعارف ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2011 ، ص 11.
(9) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج2 ، ص 120.
(10) الجواليقي ، المعرب ، ص 404.
(11) ابن البيطار ، الجامع ، ج4 ، ص 201.
(12) الإشبيلي ، البديع في وصف الربيع ، ص 93.
(13) الدينوري ، كتاب النبات ، ص 203.
(14) الإشبيلي ، البديع في وصف الربيع ، ص 119.

ـ **الأترج** : شجر له ورق أبيض طيب الرائحة (1)، ويتميز بطيب طعمه ورائحته ، وتدخر أغصانه رطبة ، وقال إنه شجر المرتك (2) ، وهو شجر ناعم الأغصان والورق والثمر، وطعمه حامض كالليمون ، وهو ذهبي اللون ذكي الرائحة ، وله استعمالات طبية كثيرة (3) .

ـ **الحبق:** نبات له رائحة طيبة وهو أنواع ، وكان لعامة الاندلس ولع بغرس الحبق واتخاذ المحابق منه (4) ، ويظن دوزي أن نوعاً من الحبق هو المراد به نبات يسمى الفودنج (5) ، ثم يقول في موضع آخر ((والحبق نبات فيه مشابهة من الريحانة)) (6) .

ـ **الخولنجان** : نبات عشبي حريف الطعم ، يوصف بأنه يأتي على هيأة عروق متشعبة ذات عقد لونها بين السواد والحمرة ، والخولجان من الأعشاب الشبيهة بالنوع الكبير من عشب السعد المسمى عند عوام الأندلس (بحة) (7) ، و قد اشتهرت بوجود نبات الخولنجان من ديار الأندلس قرطبة وجيان (8).

ـ **الزعفران** : نبات معروف من أفاويه الأندلس ، وتشتهر مدينة وادي الحجارة في وسط الأندلس بوفرة غلاتها من الزعفران (9) ، وبالأندلس يستعمل في صناعة العطور وفي أغراض غذائية (10).

---

(1) زينل ، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس ، ص361 .
(2) الدينوري ، كتاب النبات ، ص 217 .
(3) ابن البيطار ، الجامع لمفردات الأدوية ، ج1 ، 14.

(4) أبو يحيى عبيد الله بن أجمد الزجالي القرطبي ، أمثال العوام في الأندلس ، ج1 ، تحقيق محمد بن شريفة ، فاس ، منشورات وزارة الثقافة والعلوم ، 1975 ، ص 60.
(5) دوزي ، تكملة المعاجم العربية ، ج1 ، ص 77.
(6) نفس المرجع ، ص 159.
(7) داود بن عمر الأنطاكي ، بغية المحتاج في المجرب من العلاج هو خلاصة تذكرة داود في الطب ، تحقيق أحمد فريد المزيدي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2020 ، ص 177 .
(8) سهام الدبابي ميساوي ، الطعام والشراب في التراث العربي ، منوبة ، منشورات كلية كلية الآداب والفنون والإنسانيات ، 2008 ، ص 370.
(9) محمد بشير العامري ، دراسات حضارية في تاريخ الأندلس ، عمان ، دار غيداء للنشر ، 2012 ، ص 205 .
(10) النعسان ، قصور وحدائق الأندلس ، ص 432.

الخاتمة :

خلص البحث بعد استوائه إلى تعريف معنى الأفاويه ، وهي مجموعة النباتات والعطور والتوابل المشهورة بغير موضع من أرض العرب والإسلام والأندلس من ضمنها ، مما شاع استخدامه وتفشى استعماله بين الناس ، وفي مجال الاستطباب ، وفيما يستعمل عطراً و بخوراً ، وفيما يتخذ طيباً .

واستقصى البحث بعضاً من مشهور أفاويه الأندلس ، وقليلاً من استعمالاتها ، مع بعض الشرح لوصف كلٍ منها وفق ما أسعفت به المصادر ، وما جادت به المصنفات المتوفرة ، ولم يستوعب البحث جملة الأفاويه بسبب كثرتها من ناحية ، وانتشار مادتها في مظان كتب التاريخ والبلدانيات وكتب الطب والبيزرة والصيدلة والتراجم و كتب الأدب وغيرها .

واستبان بعد البحث بعض مشهور أفاويه الأندلس ، فكان المحلب الذي تسمى شجرته اليسر ، والعنبر الطيب المعروف ، والريحان والخزامى ، والبردقوش والسنبل ، والرازيانج المعروف بالشمر ، والألنجوج والميعة والملاب ، حاضرة في ثرى الأندلس وفي ثقافة الناس الغذائية والطبية .

وحاول البحث ذكر أشهر ما حوته المدن والأرباض الأندلسية الغناء من الأشق والقرنفل والقسط والأس والأقحوان ، ومن البابونج والمندل والياسمين والنرجس ، والأترج والحبق والخولنجان الزعفران.

وللحق فإن موضوع الأفاويه يستحق دراسات متأنية تخرج به عن جادة السرد والإخباروالتعريف ، إلى رحاب التأصيل والفحص والتشريح ، بهدف استخراج فوائد علمية عملية من استخدامات الأفاويه والبحث عن مجالات أرحب لذلك ، لعل أولاها الطبابة وثانيها الغذاء والتطيب .

ومما يدعو إلى مثل هذا التوجه وجود كمٍ غفيرٍ وعددٍ يفوق العدّ من مصادر الطب والفلاحة والبيزرة والصيدلة ، تحوي بلا ريب كماً يشبه أمواج العيلم الزاخر من معلومات علمية طبية نباتية علاجية استطبابية غذائية ، تتناثر بين مظان الكتب ، وتنتشر في مكتبات الدنيا ، بانتظار سبر أغوارها ، واستبطان ما فيها من جديد مثير من علوم مسلمي الأندلس وغير الأندلس في شتى مناحي العلوم .

قائمة المصادر والمراجع :

أولاً: المصادر:

_ ابن الإجدابي : أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد ، كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ ، تحقيق عبد القادر المبارك ، دمشق ، دار الفكر ، 2003.

_ ابن أسلم : محمد بن قسوم الغافقى ، المرشد فى طب العين ، تحقيق حسن علي حسن ، بيروت ، منشورات معهد الإنماء العربي ، 1987.

_ الإشبيلي : أبو الخير الشجار الإشبيلي الأندلسي ، عمدة الطبيب في معرفة النبات ، ج1، تحقيق محمد العربي الخطابي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ،1995.

_ الإشبيلي : أبوالوليد إسماعيل بن محمد بن حبيب ، البديع في وصف الربيع ، القاهرة ، منشورات مكتبة الخانجي ، 1987.

_ الإشبيلي : أبوزكريا يحي بن محمد بن العوام ، كتاب الفلاحة ، مدريد ، منشورات المطبعة الملكية ، 1802.

_ الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين ، كتاب الأغاني ، ج 23 ، شرح سمير جابر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2008.

_ ابن الأنباري : أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء ، تقديم رياض مصطفى عثمان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2013.

_ الأنطاكي : داود بن عمر ، بغية المحتاج في المجرب من العلاج هو خلاصة تذكرة داود في الطب ، تحقيق أحمد فريد المزيدي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2020.

_ ــــــــــــــــ : تذكرة داود الأنطاكي المسمى تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب ، ج1 ، تحقيق أحمد شمس الدين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2016.

_ ابن بسام : أبو الحسن علي الشنتريني ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ج3 ، تحقيق سالم مصطفى البدري ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2012 .

_ البكري : أبوعبيد عبدالله بن عبد العزيز ، المسالك والممالك ، ج2 ، تحقيق جمال طلبة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2003.

_ ابن البيطار : أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد ، تفسير كتاب دياسقوريدوس في الأدوية المفردة ، ط1 ، تحقيق إبراهيم بن مراد ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي.

_ ــــــــــــــــ : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، ج3 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2001.

_ الجواليقي : أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد ، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، دمشق ، دار القلم ، 1990.

_ ابن الحداد : أبوعبدالله محمد بن أحمد الأندلسي ، ديوان ابن الحداد الندلسي ، ج1 ، ط1 ، تحقيق يوسف علي طويل ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1990.

_ الحميري : أبوعبدالله محمد بن عبدالله ، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط2 ، باعتناء ليفى بروفنسال ، بيروت ، دار الجيل ، 1988.

_ الحميرى : نشوان بن سعيد اليمني ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، ج9 ، تحقيق حسين بن عبد الله العمري وآخرين ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، 1999.

_ ابن خلف : أبو عبد الله بن أحمد بن هشام اللخمي ، المدخل الى تقويم اللسان وتعليم الصبيان ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1995.

_ الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود ، كتاب النبات ، تحقيق برنهارد ليفين ، بيروت ، مطابع دار القلم ، 1974.

_ الرازي : أبو بكر محمد بن زكريا ، الحاوي في الطب ، ج7 ، مراجعة وتصحيح محمد محمد إسماعيل ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2000.

_ ــــــــــــــــــــ : صيدلية التداوي من كتاب الحاوي : مجربات الرازي في الطب والتداوي ، بيروت ، دار المحجة البيضاء ، 2004.

_ ابن الرافعة : أبو العباس نجم الدين أحمد ، كفاية النبيه : شرح التنبيه في فقه الإمام الشافعي ، ج15 ، تحقيق مجدي محمد سرور باسلوم ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2009.

_ ابن رشد : أبوالوليد محمد بن أحمد الأندلسي ، الكليات في الطب ، ط1 ، تحقيق محمد عابد الجابري ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، 1999.

– الزجالي : أبو يحيى عبيد الله بن أجمد القرطبي ، أمثال العوام في الأندلس ، ج1 ، تحقيق محمد بن شريفة ، فاس ، منشورات وزارة الثقافة والعلوم ، 1975.

– الزبيدي : أبو الفيض محمد بن محمد الحسيني المرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، ج21 ، تحقيق عبدالمنعم خليل إبراهيم و كريم سيد محمود ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2011.

_ ابن زمرك : أبوعبد الله محمد بن يوسف بن محمد ، شعر وموشحات الوزير بن زمرك الأندلسي ، تحقيق حمدان حجاجي ، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، 1989.

_ ابن سيده : أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي ، كتاب المخصص ، ج5 ، تحقيق أحمد يوسف هنداوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية، 2006.

– السيوطي : جلال الدين أبوبكر بن عبد الرحمن ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ج 8 ، ط1 ، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، القاهرة ، مركز هجر للبحوث والدراسات ، 2003 .

– الشعراني : أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشافعي ، الطب العربي المعروف بمختصر تذكرة السويدي ، تحقيق عزالدين السويدي ، بيروت ، دار المجتبى للطباعة والنشر ، 1996.

– ابن شهيد : أبوعامر أحمد بن عبد الملك الأندلسي ، ديوان ابن شهيد الأندلسي ورسائله ، تحقيق محي الدين ديب ، صيدا ، منشورات المكتبة العصرية ، 1997.

_ الصغاني : أبوالفضائل الحسن بن محمد بن الحسن ، العباب الزاخر واللباب الفاخر ، تحيق فير محمد حسن ، إسلام آباد ، منشورات مجمع البحوث الإسلامية ، 1994.

_ الطغنري : أبوعبد الله محمد بن مالك المري ، زهرة البستان ونزهة الأذهان ، تحقيق أكسبيراثيون غارثيا ، منشورات المجلس الأعلى للأبحاث العملية ، مدريد ، 2006.

– ابن فارس : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، ج3 ، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة ، دار الفكر ، 1979.

_ الفيروزابادي : مجيد الدين محمد بن يعقوب ، كتاب الجامع في العسل الموسوم بكتاب ترقيق الأسل لتصفيق العسل ، بيروت ، منشورات دار الغرب الإسلامي ، 2006.

– ابن قتيبة : أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ، المعارف، بيروت ، دار الكتب العلمية ،2011.

_ القاسمي : أبوبكر بن يوسف بن أبي بكر بن الحسن ، كتاب الجوارح وعلوم البزدرة ، تحقيق محمد ياسر زكور ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2016.

_ القرطبي : عبد الملك بن حبيب بن سليمان الألبيري ، مختصر في الطب : العلاج بالأغذية الطبيغية والأعشاب ، تحقيق محمد أمين الضناوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2004.

_ القزويني : زكريا بن محمد بن محمود ، آثار البلاد وأخبار العباد ، باعتناء فرديناند وستنفيلد ، برلين ، منشورات مكتبة ديتريش ، 1849.

_ القلقشندي : أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج2 ، تعليق محمد حسين شمس الدين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2012.

_ مجهول : مؤلف ، الفروسية والطب الحيواني والبيطرة ، تحقيق محمد التونجي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2003 ، ص176.

_ مجهول : مؤلف ، تاريخ الأندلس ، تحقيق عبدالقادر بوباية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2009.

_ المسعودي : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران ، ط2 ، بيروت ، دار الأندلس ، 1996.

_ المطرزي : أبو الفتح ناصر بن عبدالسيد بن علي ، كتاب المغرب في ترتيب المعرب ، تحقيق جلال الأسيوطي ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د.ت.

_ المقدسي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ج1 ، تعليق محمد أمين الضناوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2003.

_ المقري : أبوالعباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، ج2 ، ط2، تحقيق عبد العظيم الشناوي ، القاهرة ، دار المعارف ، 1977.

_ المقري : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ، ج1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2011 .

_ ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمد ، لسان العرب ، ج11 ، تحقيق عامر أحمد حيدر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2009.

_ النابلسي : عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني الدمشقي ، الملاحة في علم الفلاحة ، تحقيق عادل محمد علي الشيخ حسين ، بيروت ، دار البيارق ، 2001.

_ النويري : شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج11 ، تحقيق عبد المجيد ترحيني ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2005.

– ابن واقد : أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد الأندلسي ، الأدوية المفردة ، تحقيق أحمد حسن بسج ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2000.

_ اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن إسحاق بن واضح ، البلدان ، وضع حواشيه محمد أمين ضناوي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2002 .

ثانياً : المراجع

_ أبوالفضل : محمد أحمد ، تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي : دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1996.

_ أبومصطفى: كمال ، تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين ، الإسكندرية ، مركز الاسكندرية للكتاب ، 1996.

_ ــــــــــــــــ : تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الاسلامي(95-495 هـ/ 714-1102 م) دراسة في التاريخ السياسي والحضاري ، الإسكندرية ، مركز الاسكندرية للكتاب ، 1996.

_ أرسلان : شكيب ، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية ، ج1 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1997.

– البشر : محمد بن عبد الرحمن ، مباهج الأندلس ، بيروت ، دار الكتب العلمية ،2017 .

_ حمارنة : سامي خلف ، تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين، ج1، إربد ، منشورات جامعة اليرموك ، 1986.

_ خضر : سهام ، معجم الأعشاب والنباتات الطبية ، القاهرة ، مجموعة النيل العربية للنشر، 2008.

_ الخطابي : محمد العربي ، الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي : مدخل ونصوص، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1990.

_ الداية : محمد رضوان ، التقاليد الشامية في الديار الأندلسية ، ط1 ، دمشق ، دار الفكر ، 2010.

_ الدغلي : محمد سعيد ، الحياة الاجتماعية في الأندلس وأثرها في الأدب العربي وفي الأدب الأندلسي ، عمان ، منشورات دار أسامة ، 1984.

_ دوزي : رينهارت ، تكملة المعاجم العربية ، بغداد ، منشورات وزارة الثقافة ، 1978.

_ دياب : كوكب ، المعجم المفصل في الأشجار والنباتات في لسان العرب ، ج 12، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2001 .

_ زينل : نهاد عباس ، الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس وأثرها على التطور الحضاري ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2013.

_ سامعي: إسماعيل ، تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، عمان، مركز الكتاب الأكاديمي ، 2018.

_ سلام : علي محمد ، العطر والطيب ، القاهرة ، الدار الثقافية للنشر ، 2018 .

_ شامي: يحي ، معجم الأسامي ، بيروت ، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع ، 2002.

– شهابي : قتيبة ، طريف النداء في دمشق الفيحاء : بحث في الجذور العلمية والتاريخية والتراثية والشعبية واللغوية للسلع ونداءات باعتها ، ج 1، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ، 1998.

_ شيخو : لويس ، مجاني الأدب في حدائق العرب ، ج8 ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، 1885.

_ العامري : محمد بشير، دراسات حضارية في تاريخ الأندلس ، عمان ، دار غيداء للنشر ، 2012.

– عيسى : أحمد ، تاريخ النبات عند العرب ، القاهرة ، منشورات وكالة الصحافة العربية ، 2019 .

_ كونستبل : أوليفيا ريمي ، التجارة والتجار في الأندلس ، ترجمة فيصل عبدالله ، الرياض ، مكتبة العبيكان ، 1998.

_ مراد : إبراهيم ، المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية ، ج2 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، 1985.

_ منصوري : أحمد مقبل محمد ، اللون في الشعر الأندلسي حتى نهاية عصر الطوائف ، صنعاء ، منشورات وزارة الثقافة والسياحة ، 2004.

– ميساوي : سهام الدبابي ، الطعام والشراب في التراث العربي ، منوبة ، منشورات كلية كلية الآداب والفنون والإنسانيات ، 2008.

_ نصار : حسين ، المعجم العربي : نشأته وتطوره ، القاهرة ، منشورات مكتبة مصر، 1968.

الإسكندرية ، منشورات مركز الاسكندرية للكتاب، 1996.

_ النعسان : محمد هشام ، قصور وحدائق الأندلس العربية الإسلامية (دراسة تراثية، أثرية، عمرانية، جمالية) ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 2017.

الاستشراق والاستِغرَابُ (مرحلة من الصراع بين الغرب والشرق)

أ – عبدالسلام صالح يحيى الحجازي

كليّة التاريخ والحضارة / جامعة السيّد محمد بن علي السّنوسي الإسلامية البيضاء – ليبيا

Abstract :

Orientalism represents an advanced stage of the East-West conflict. After the colonial period ended, Western countries replaced military control with intellectual control. Then the Orientalists began to justify the underdevelopment of the Arabs and their lack of renaissance

They said that Islam is the cause of this backwardness, and that it is Muslims' adherence to the teachings of Islam that made them uncivilized. The words of the Orientalists influenced some of their Arab students, so these students began to repeat their thoughts and words until their voice became an echo of the voice of the Orientalists, and thus they became more harmful to Arabs and Islam than the Orientalists themselves.

The fact that these students are affected by the words of the Orientalists makes them pass on these ideas to their young pupils in the Arab countries, so these young ones arise on these ideas, and they grow up and hate their history and religion, and they hope that the Arab countries will become like Western countries in everything.

المقدّمة

كان العرب قبل الإسلام في أغلبهم قبائل متفرقة، منتشرة في صحراء شبه الجزيرة العربية، بعضها متحالفة، وبعضها تتقاتل، وتحدث بينها سلسلة من الثارات، ويستمر القتال بينها وتُحصد رؤوس الأبطال والفرسان لسباب لا ترتقي إلى كل هذه الخسائر . وفي المقابل كان العرب يتحلّون بأخلاق عظيمة؛ كالشهامة، والمروءة، والجود، والشجاعة ، ورفضِ الظلم، والوفاء بالعهود . لكنهم لم يتجمعوا تحت مظلة واحدة، ممّا جعل دولتي الروم والفرس تحتقران العرب، وتسخران من اقتتالهم، وتفرضان عليهم الضرائب .

فلما بعث الله رسوله ﷺ وآمنت العرب، واجتمعت تحت راية الإسلام، وتمّ الإسلام مكارم أخلاقهم، وحارب عاداتهم السلبية حتى انتهت واستقام أمرهم، فتلاشت دولة الفرس على أيديهم، واندحرت دولة الروم وعادت إلى حدودها، ثم انطلقت حركة الفتوح الاسلامية في المشرق والمغرب، حتى دخلت الأندلس – وهي قطعة من أوربا –

في الإسلام، ثم وبعد انتهاء حركة الفتوح التفت العرب إلى العلم فازدهرت حضارتهم حتى أصبحت حواضرهم منارة للعلم ومقصداً لطلابه .

كان كل هذا التطوّر يحدث في بلاد العرب؛ بينما كانت أوربا تغرق في ظلام الانحطاط والتخلف، فلما اطّلع الأوربّيون على حجم الفارق الحضاري بينهم وبين المسلمين في الأندلس؛ رغبوا في محاكاة العرب في علمهم وأسلوب حياتهم وتحضرهم، فأخذوا يتوافدون على مراكز العلم، وكثير منهم دخل الاسلام، ولعل هذا السبب هو الذي جعل القساوسة ينهضون لمنع دخول الأوربيين في دخول الإسلام، وكانت وسيلتهم لتحقيق هذه الغاية إلا بتشويه الإسلام عند الشعوب الأوربية البعيدة عن أراضي الدولة الاسلامية، ثم تطورت هذه المقاومة لتصل إلى الصراع العسكري الذي تمثل فيما بعد في الحروب الصليبية، ثم في حركة الاستعمار الحديث للبلاد العربية والإسلامية. ولتصل أيضا إلى الصراع الفكري المنظم الذي تمثل في وقت لاحق في الاستشراق ثم الاستغراب .

فما هو الاستشراق؟ ومتى نشأ؟ وما هي غايته؟ ومن هم المستشرقون؟ وما هو الاستغراب؟ ومتى نشأ؟ ومن هم المستغربون ؟ .

كل هذه الأسئلة ستحاول هذه الدراسة الإجابة عليها بشيء من التفصيل بداية باستعراض مراحل الصراع بين الغرب والشرق .

أهمية الموضوع : تكمن أهمية الموضوع في أن الاستشراق خطرٌ ناعمٌ، أجاد التخفّي خلف ظاهرة العلم والمعرفة، ووقف وراء أكثر الفوضى التي تغرق فيها البلدان العربية والعالم الإسلامي عموماً، من كل جوانبها السياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية .

الهدف من دراسة الموضوع : أما الهدف من هذه الدراسة فهو محاولة كشف ضررِ الكثير من المستشرقين ممّن كانت لهم توجهات مسبقة لإثبات زيف الإسلام وزيف الحضارة الاسلامية وتشويه التاريخ الإسلامي، فتوغلوا في دراسة تراثنا، وأساءوا إليه بتزويره، والتدليس عليه، وتشويه رموزه . ونجحوا في ذلك أيّما نجاح، حتى أنهم كان لهم مريدوهم وتلاميذهم من العرب، يردّدون ما انطبع في قلوبهم وعلى ألسنتهم من آراء المستشرقين، وهؤلاء هم المستغربين الذين أضرّوا بالأمة العربية والإسلامية أكثر من إضرار المستشرقين بها .

المنهج المتّبع في الدراسة : على اعتبار أن هذه الدراسة تعتمد على النقل والمقارنة والتحليل، فإن المنهج السردي التحليلي هو المنهج الأنسب لكتابة هذا البحث .

المبحث الأول

مراحل الصِّراع بين الغرب والشّرق

إنّ الغاية من عرض مراحل الصّراع بين الغرب والشرق، إنما هي للوصول إلى معرفة العلاقة بين الاستشراق والاستغراب، وكيف، ولماذا نشأت؟ .

فالإستشراق؛ لم يظهر فجأة على مسرح الأحداث؛ وإنما جاء ليمثل مرحلة متقدّمة من مراحل الصّراع بين الشرق والغرب. فمن الناحية التاريخية لم ينشأ الاستشراق بناء على قرار صادر عن دولة أو مجموعة دول أوربيّة، وإنما جاء استجابة لتحديات الصدام المسيحي/الإسلامي، ثم تطور إلى مرحلة اكتشاف العالم الإسلامي والتعرف عليه، ثم احتاجته الدول الاستعمارية لتطّلع من خلاله على أحوال الشرق، وتبعاً لهذا الاحتياج المدعوم من

مؤسسات الدول الغربية تطور الاستشراق ضمن التجاذبات بين الأنا (الأوربي) والآخر (الشرقي) ليصبح حركة نظرية معرفية لها مدارسها المتنوعة، وتصبح لاعباً أساسياً في الصراع بين العالَمين الغربي والشرقي .

هذا الصّراع الذي نتج عن المحددات (**العِرق/الثقافة**) التي اعتمدها العقل الإغريقي معياراً لإلغاء الآخر. وقد اتّخذ هذا الصّراع – الذي هو من منظور المركزيّة الغربيّة صراع حتمي – أشكالاً عدّة، منها ما أخذ مظهراً دينيّاً تجلّى بأبرز صوره في الحملات الصليبية، أو ما تُعرف في فضاء الفكر الغربي وأدبياته بـ (الحروب المقدّسة) ومنها ما اتّخذ شكلاً ثقافيّاً وفكريّاً وذلك لمحاولة الحَطّ من أصول الثقافة العربية وقيمها ومنابعها، وهذه المهمة تكفّل بها المستشرقون فعملوا على تشويه معالم الدّين الإسلامي وأُسسه، وإفراغ محتواه الروحي والإعلاء من شأن المسيحية بوصفها ديانة عالمية بديلة لها خصوصية السّبق الزّمني والأصالة على مستوى الدّيانة التوحيدية[1].

لقد تأثّر الفكر الغربي الحديث بالنظرة العِرقية الاستعلائية لدى الإغريق أوّلاً والرّومان ثانياً. فقديماً شعر الإغريق بتفوقهم العقلي فقسموا شعوب العالم إلى إغريق وبرابرة – أي أجانب – ثم قرروا أن كل البرابرة عبيد، وأن كل الإغريق أحرار[2]. وقد أسّس لهذه النظرة – الاستعلائية – الفيلسوف الإغريقي الشهير (أرسطو) الذي قسم العالم إلى عبيد بالطبيعة وأحرار بالطبيعة فقال: " ومهما يكن من شيء فبيّنٌ أن البعض هم بالطبع أحرار، والآخرين بالطبع عبيد، وأنّ الرّقّ في حقّ هؤلاء نافعٌ بمقدار ما هو عادل "[3] .

فإذا علمنا أنّ أرسطو كان معلّماً للإسكندر المقدوني[4]، وأن الاسكندر اصطحب في فتوحاته للشرق عدداً من الفلاسفة والعلماء والأدباء[5]، فإننا سنعرف أن فكرة ريادة الفكر اليوناني في الشرق كانت في مقدّمة أسباب هذه الفتوحات – وهذا ما حدث بالفعل – فقد جعلَت غزوات الاسكندر العادات والتقاليد والفكر اليوناني تُذاع على نطاق واسع، وصُبِغَت آسيا بالصبغة الهلّينيّة. ومهما تنوّعت الثنائيات عند الإغريق (**إغريق وبرابرة /عبيد وأحرار**) فإنّ هذا التنوّع يدور حول جوهر فكرة واحدة هو أنّ الإغريق مركز والآخرين مُحيط، أو أطراف[6].

وأصبحت هذه الثنائيّات بمثابة ثوابت أسهمت في تشكيل العقل الغربي وتحديد نظرته تجاه الآخر. فعندما قامت الحضارة الرومانية على أنقاض الحضارة اليونانية ظلّت فكرة المركز والمحيط مرتبطة بالفكر الرّوماني، حيث كانت الفكرة التي قامت عليها الإمبراطورية الرومانية هي الاجتياح بالقوة واستغلال الأقوام الآخرين لفائدة الوطن الأمّ وحده، وأنّ العدل الروماني الشهير كان عدلاً للرومانيين وحدهم[7].

كان طموح الرّومان يتّجه إلى تشكيل قارّة رومانيّة يتوسّطها البحر المتوسّط الذي اصطلحوا على تسميته (بحر الروم) لذلك لم يلتفت الرّوم إلى الغرب؛ بل قسموا أوربّا إلى قسمين متناقضين (عالم روماني) و (بلاد بربريّة) فأسهمت هذه النظرة العرقية الاستعلائية بالإضافة إلى التركيب الجغرافي للإمبراطورية الرّومانيّة في تمزيق مفهوم أوربّا الجغرافي، وزادت في اتّساع الشرخ بين (أوربا الرومانية) و (أوربّا البربريّة) [8] .

ومما عزّز مركزية الدولة الرّومانيّة التي كانت تسيطر على جزء كبير من الشرق – آسيا الصّغرى، الشام، مصر، وشمال أفريقيا – ظهور المسيحية في الشرق واعتراف الإمبراطور قسطنطين الأول بها سنة (313م)[9] لتصبح الدّين الرّسمي للدولة، ويصبح الأباطرة الرومان حماة للمسيحية، ورعاة لكنيستها، وبذلك تظهر ثنائية أخرى تعزّز فكرة المركز والأطراف، وهي ثنائيّة (**الكفر/الإيمان**) التي بموجبها تحول الصّراع القائم آنذاك بين الفرس

والرّوم من صراع على سيادة العالم إلى صراع ديني بين الرّوم الغربيّين (المؤمنين) والفرس الشرقيّين (الوثنيين). واستمرّ الصراع الفارسي الروماني إلى أن ظهر الاسلام واتحدت القبائل العربيّة تحت رايته وتمكنت من إخراج الفرس من حلبة الصراع بعد القضاء على إمبراطوريتهم، وانتزعت منهم زعامة الشرق لتصبح وجهاً لوجه مع المسيحية وراعيتها الدولة البيزنطية، واصطدمت بها في معركة اليرموك (15هـ) التي أصبحت باكورة انتصارات المسلمين على الروم، فبعد الانتصار الحاسم الذي أحرزه المسلمون في هذه المعركة انهارت قوى الروم، ولم ينتهِ العهد الراشدي (11-41هـ) حتى انتزع المسلمون من الروم (الشامَ- مصر- ليبيا- والمغرب العربي) ولم تنقضِ سنة (33هـ) حتى كان للعرب أسطول يتكون من أكثر من ألف وسبعمائة قطعة، استطاعوا بواسطته أن يحطموا السّيادة البيزنطيّة في البحر المتوسط[10]. وفي العهد الأموي (41هـ- 132هـ) نقل المسلمون المواجهة العسكرية إلى داخل الأراضي الأوربيّة فعبروا مضيق جبل طارق نحو أسبانيا (الأندلس) ففتحوها سنة (92هـ) [11]. ثم واصلوا الفتح حتى جنوب فرنسا، ولم يتوقفوا عن فتح فرنسا إلا عقب هزيمتهم في معركة بلاد الشهداء سنة (114هـ) [12].

وأمام هذا التحدّي الدّيني الخارجي – الإسلام – ذاب التعارض الذي كان قائماً في قلب أوربا، وأسهم هذا التحدي بشكل مباشر في رتق حالة التمزّق، فحصل تقارب بين (أوربا الرومانية) و(أوربا البربريّة)[13]، فاعتنق النورمنديّون والهنغاريون وبعض السّلافيين الديانة المسيحيّة، وانقضت أيام الحروب المحليّة في أوربا، وكان لنشاط المستشرقين الإسبان – المدفوعين بالتعصب الديني والعِرقي – أثره على المجتمع الأوربّي فقد استطاع أن يُغذّي إحساس الغرب تجاه الشرق بضروب من التعصّب العرقي والثقافي والدّيني ضدّ العب والمسلمين. يقول المستشرق ريتشارد سوذرن : " ويمكن القول إنّ أكثر أخبار وأفكار الأوربيّين عن المسلمين في القرون الأولى للعصور الوسطى كانت إسبانيّة المنشأ"[14].

وأسفرت أوربا عن وجهها المسيحي، وتحركت لتقاتل جنباً إلى جنب مع الإسبان لاستعادة الأندلس من المسلمين الذين وصفوهم بأنهم مجرد كارثة مثلهم كمثل الشعوب البربريّة الأخرى[15]. وكانوا يسمّونهم بـ (السراسنة Saracenus) أي ساكني الخيام الذين يهددون طرق التجارة[16]. وهي كلمة يونانية أطلقها الإغريق على قبائل عربية كانت تقيم في بادية الشام وفي طور سيناء، وقد توسع مدلولها بعد الميلاد ولا سيما في القرن الرابع والخامس والسادس، فأطلقت على العرب عامة، وشاع استعمالها في القرون الوسطى حيث أطلقها النصارى على جميع العرب، وأحياناً على جميع المسلمين. ومازال الأوربيّون يستعملونها في الانجليزية في موضوع (عرب ومسلمين) حتى اليوم[17].

وتماهياً مع ثنائية (**الكفر/الإيمان**) اتّبعت الكنيسة خطة مدروسة بعناية من شأنها أن تهيّئ الشعوبَ الأوربيّة لقبول فكرة الحملات الصليبية على الشرق، فقبولهم بها يعني أن الكنيسة سوف تتخلّص من أزماتها الداخلية، ومن انقسام الأوربيين على أنفسهم، ومن كثرة الحروب الداخلية، وما نتج عنها من حياة الفقر والبؤس التي يعيشها الغرب الأوربي .

وحتى تتخلص الكنيسة من كل هذه الأعباء دفعة واحدة وجّهت أوّلاً المستشرقين ليعملوا على تسميم العقل الغربي ضدّ العالم الإسلامي عن طريق التشويه المتعمّد لتعاليم الإسلام ومُثُله العليا فوسَمَت الرسول ﷺ بأنّه عدوّ

المسيح، ووصفت المسلمين بأنهم كَفَرَة أشرار، وصوّرت الدين الإسلامي على أنه دينٌ يدعو إلى عبادة الشّهوة وإلى القوّة والوحشية، كما يدعو إلى إقامة الشعائر الدينية بدلاً من تطهير القلب[18]. ويؤكد على هذا المعنى المستشرق (تييري هتش) فيقول: "إن المعاينة التي أخضِعت لها الأدبيات القروسطية [نسبة للقرون الوسطى] تُظهر على الخُصوص أنّ تداول الصّور المُسيئة إلى الإسلام ناجمٌ عن سوء النيّة أكثر منه عن الجهل[19] .

وبعد أن نجحت الكنيسة في توجيه أنظار الغرب (المؤمن) إلى الشرق (الكافر) – حسب اعتقادهم – أعلن البابا أوربان الثاني (1088م – 1099م) – عقِب اجتماع ديني عقده مع الأساقفة لمناقشة أحوال الكنيسة الكاثوليكية المتردّية – عن بداية الحملة الصليبية الأولى في (27. نوفمبر. 1095م)[20]. وحرّض المسيحيين على أن يشنّوا الحرب على الجنس – الذي وصفه – الشرير الذي كان يمتلك الأرضَ المقدّسة[21]. وعلى ذلك فإن الحملات الصليبية كانت – بحسب البابا أوربان الثاني – حملات مقدّسة لأنها تمثّل حرب الإيمان ضدّ الكُفر .

بدأت الحملات الصليبية في (أواخر القرن الخامس الهجري) أواخر القرن الحادي عشر الميلادي واستمرّت حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي (أواخر القرن السابع الهجري)، في وقت كان الضعف يدبّ في أوصال الدولة العباسية في بغداد، والفاطمية في القاهرة، والسلجوقية في الشام وآسيا الصغرى[22] .

اتفق المؤرخون على تقسيم الحملات الصليبية إلى تسع حملات متقطعة على العالم الإسلامي كانت أولاها نحو ساحل الشام وبيت المقدس سنة (1096م) وآخرها نحو تونس سنة (1270م) وانتهت بفشلها في نفس العام[23] .

ويرجع تتابع الحملات الصليبية إلى نجاح الحملة الصليبية الأولى في جَعلِ الأوربيين يَخْطُون لأول مرة الحواجز القائمة بين الولايات والقبائل والطبقات، مدفوعين بالحماسة والزهو، فارتفعت الرابطة الدينية إلى قضية مشتركة بين جميع الأوربيين على السواء، وهذا المفهوم خلق بدوره المفهوم الثقافي لأوربا[24] .

هكذا؛ غذّت الحروب الصليبية أسباب العداء بين الشعوب، كما غذّت الخيال الغربي بفاعلية تعصّب **(عرقي/ ثقافي/ ديني)** ضدّ الشرق الإسلامي، وقد وُجِدت تجلّيات ذلك الخيال فيما ظهر من مرويّات شعبيّة غربيّة جعلت من العربي الإسلامي كائناً قاسياً، منحرفاً، كافراً [25].

لقد مثلت الحروب الصليبية أضخم محاولة في العصور الوسطى لفتت أنظار الغرب الأوربي إلى الشرق العربي. كما نتج عنها العديد من الآثار على الجانبين الشرقي والغربي في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ غير أن أهم ما تأثر به الغرب الأوربي كان في ميدان الحضارة نتيجة للاتصال بالحضارة العربية الإسلامية. فقد كانت أوربا غارقة في ظلمة العصور الوسطى، وأتاحت لها الحروب الصليبية فرصة الاتصال الحضاري مع الشرق مما ساعد على انتقال كثير من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية إلى أوربا عن طريق الصليبيين. ويصف "غوستاف لوبون" هذا الصراع الصليبي الإسلامي بأنه: " نزاع عظيم بين أقوام من الهمج وحضارة تُعَدُّ من أرقى الحضارات التي عرفها التاريخ"[26] .

وعلى الرغم من أثر الحروب الصليبية في انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوربّا إلَّا أنّها لم تكن المنفذ الأوّل لهذا الانتقال، فقد سبقتها الأندلس، حيث بقيت – وهي جزء من أوربا – مدّة ثمانية قرون (93هـ – 898هـ/711م– 1492م) ميدان إشعاعٍ حضاري وجد طريقه إلى أوربّا عبر جبال البرانس. وفي ذلك تقول:

"زيغريد هونكة": " ولم تكن بلدان شمال أسبانيا على صلة بالأندلس في الجنوب فحسب بل أيضاً على صلة دائمة ببلدان أوربّا سياسياً وتجارياً . ولم تكن البرانس لتمنع تلك الصلات، ومن هنا وجدت الحضارة العربية الأندلسية طريقها إلى الغرب"[27]. ويصف غوستاف لوبون الأوربيين – في تلك الحقبة – بأنهم كانوا يفخرون بأنهم لا يقرأون، وأن همجيتهم دامت زمناً طويلاً من غير أن يشعروا بها، وأنّهم لم يبدأوا في الميل إلى العلم إلا في القرن الحادي عشر الميلادي[28].

وعلى أي حال؛ فإن الحروب الصليبية – شأنها شأن الكثير من الحروب – تراوحت بين النصر والهزيمة، فكان الصليبيون ينتصرون فيستقرون، أو ينهزمون فيرحلون، لكن هذه الحروب كانت تجربة عميقة أعطت أوربّا وعيها الثقافي، وكذلك وهبتها وحدتها، كما أنها هيأت اللون المزيّف الذي كان على الإسلام أن يبدو به في أعين الأوربيين[29]، لذلك فإن عّداء المسلمين للغرب لم يكن أصلاً من أصول الدعوة الإسلامية ولا تحوّلاً في مسارها، والشواهد كثيرة من التاريخ على تسامح الإسلام مع الشعوب والأديان الأخرى، وعدم مناصبتها العداء، لكن عَداء المسلمين للغرب – بعد الحروب الصليبية – كان ردّ فعلٍ لطبيعة الغرب العدائية .

ظهور الدولة العثمانية، واستمرار الصّراع بين الشرق والغرب : وبينما كانت الحروب الصليبيّة بين المدّ والجّزر، يرتفع أوارُها حيناً ويخبو حيناً آخر، ظهرت على ساحة الأحداث الدولة العثمانية – السُّنّيّة – لتتزعم العالم الإسلامي، وتقف في مواجهة النزعة الأوربيّة التوسعية .

نشأت هذه الدولة في المنطقة الفاصلة بين العالم الإسلامي والدولة البيزنطية، واستفادت من ضعف الطرفين فتوسّعت في الاتجاهين معاً. تمكنت من العبور إلى أوربّا الشرقية سنة (1344م)، وخلال السنوات اللاحقة تمكن العثمانيون من فتح أغلب بلاد البلقان، وساهموا في نشر الإسلام في أوربا[30]. ثم استطاعوا أن يفتتحوا القسطنطينية سنة (1453م) على يد السلطان محمد الفاتح (1451م–1481م) وبافتتاحها سقطت الإمبراطورية البيزنطية التي دامت أحد عشر قرناً، وكانت سياسة التسامح الديني التي اتّبعها السلطان محمد الفاتح سبباً في دخول الكثير من رعايا الدولة البيزنطية إلى الإسلام. كما تمكن العثمانيون من إلحاق الهزيمة بالشيعة الصفويّين في موقعة جالديران سنة (1514م)، وإيقاف المدّ الشيعي نحو العراق، ليبسطوا سيطرتهم بعد ذلك على أغلب البلاد العربية، وبذلك يكون سلطانهم قد امتدّ ليشمل أنحاء واسعة من قارات العالم القديم : أوربا – آسيا – أفريقيا[31].

واستمرّت الدولة العثمانية في فرض وجودها في القارات الثلاث، وهابتها الدول الأوربية، وكسبت ودّها لعدّة قرون . لكن تطورات واسعة حدثت في أوربا كانت سبباً في بداية عصر النهضة فيها، هذا العصر الذي يعتبره المؤرخون فاصلاً بين التاريخ الوسيط والتاريخ الحديث، وذلك في الجوانب التالية، وعلى النحو التالي :

– في جانب اللغة : كانت اللغة اللاتينية هي لغة الكتابة في العصور الوسطى فاتجه الأوربيون إلى إحياء اللغات الوطنية فانتشرت هذه اللغات وأصبحت هي اللغات الرسمية الحالية، مثل اللغة الفرنسية والانجليزية، وغيرها[32].

– في الجانب الديني : انحسرت سلطة الكنيسة – التي كانت تمنع التحرر الفكري – بعد الثورة عليها فتزعزع مركزها ومركز البابا معاً[33].

– انهيار النظام الإقطاعي، وظهور النظام البرجوازي : قضت الحروب الصليبية على كثير من أمراء الإقطاع الذين أسهموا فيها، وانصرف كثير من الفلاحين ممن شاركوا فيها إلى التجارة والصناعة بدلاً من الفلاحة، فنشطت حركة التجارة، وترتب على نشاطها ظهور المدن، ومن ثم ظهرت طبقة جديدة في المجتمع الأوربي وهي طبقة البرجوازية[34].

– الجانب الفكري : كان أحد أهم عوامل نجاح الحركة الفكرية اختراع الطباعة، مما أدى إلى غزارة الإنتاج العلمي المطبوع[35]، كما كان لنشأة المدن فضلها في رعاية نهضة العلوم والفنون، فلم تعُد هناك مدينة في أوربا منذ القرن الثاني عشر الميلادي فصاعداً إلا وبها مدرسة، وانتقلت مراكز التعليم من المؤسسات الكنسية والأديرة إلى مدارس المدن، فانتعشت على يد المدن وسكانها من البرجوازية الحركة الفكريّة[36].

– في الجانب السياسي : نجحت الدول الأوربية في إقامة دول قومية مستقلة وحديثة مثل : انجلترا – فرنسا – وأسبانيا ، معتمدة في قيامها على دعم الطبقة البرجوازية لحكومتها[37].

– في الجانب الاقتصادي : ترتب على نشاط حركة الكشوف الجغرافية ازدهار اقتصاد الدول الأوربية ليصبح الاقتصاد هو أساس السياسة العالمية التي سادت العالم بعد ذلك . وقد مهّدت حركة الكشوف الجغرافية إلى انتشار التجارة الأوربية في أنحاء العالم، وهو ما أدى فيما بعد إلى حركة الاستعمار[38].

وكان كل هذا الحراك من أبرز الأسباب التي قلبت الموازين إلى صالح أوربا في صراعها مع الدولة العثمانية .

سقوط الدولة العثمانية واحتلال الوطن العربي: بينما كانت الدول الأوربيّة تتكتل سياسياً واقتصادياً، وتأخذ بأسباب النهضة؛ كانت أيضاً تكوّن التحالفات الدوليّة ضدّ العثمانيين، وتحرّض الدول والمقاطعات الخاضعة للحكم العثماني على الانتفاض عليه وإشعال الثورات ضدّه، مع تقديم الدّعم السياسي والعسكري لها. وكل ذلك كان يتم بمباركة البابوية . وبالإضافة إلى الحرب السياسية والعسكرية، شنّ الأوربيّون حرباً فكريّة على الدولة العثمانيّة حمل لواءها المستشرقون فنشطوا في نسج الافتراءات حول الحكم العثماني ووصفوه بالخشونة والقسوة والجبروت، ونسبوا له أفعالاً لم يرتكبها[39]. من مثل ادّعائهم بذبح الدولة العثمانية لرعاياها، وإعدام المثقفين، وعزل المنطقة العربية عن الحضارة والتقدّم، وأيضاً مثل تبريرهم – المُضحك – لسقوط القسطنطينية بأنه لا يرجع إلى قوّة الدولة العثمانيّة، وإنما لأن حامية إحدى الأبواب نسيت أن تغلق الباب فانتهز العثمانيون الفرصة ودخلوا من ذلك الباب[40] !!! .

ومِمَّا ساعد الدول الأوربية في حربها على العثمانيين أن الدولة العثمانية بدأت في الضعف والتدهور منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي لأسباب كثيرة لا يتسع المجال لذكرها، لكن أهمّها أنها ارتكبت خطأ فادحاً بمشاركتها في الحرب العالمية الأولى (1914م– 1918م) فعجّلت هذه المشاركة بسقوطها، فقد انضمّت الدولة العثمانية إلى دول المحور (ألمانيا– النمسا والمجر – بلغاريا) فلما انهزمت هذه الدول؛ ظهر مصطلح (المسألة الشرقية) الذي يعني مصير الدولة العثمانية ووراثة أملاكها. وأجريت مفاوضات واتفاقيات سرّيّة بين بريطانيا وفرنسا وروسيا تناولت اقتسام الأملاك العثمانية بما فيها البلاد العربية، ثم وقعت بريطانيا وفرنسا اتفاقية (سايكس بيكو 1916م) وبموجبها تقاسمتا البلدان العربية، وأخضعتها للاستعمار. كما عقد المجلس الأعلى لدول الحلفاء (بريطانيا – فرنسا – روسيا – إيرلندا) اتفاقية (سان ريمو 1920م) رسم فيها مستقبل المنطقة العربية المبني على

التجزئة والانتداب[41]. وحتى لا بعود العثمانيون لقيادة العالم الإسلامي عملت الدول الغربية على تقليص حدود الدولة العثمانية إلى الجمهورية التركية بحدودها الحالية، وإعلان قيام الجمهورية التركية في (29 أكتوبر 1923م) [42].

غزو الوطن العربي : كان الانتداب شكلاً جديداً من أشكال الاحتلال، أقرّته بعد الحرب العالمية الأولى عصبةُ الأمم المتّحدة التي تكوّنت حينذاك كمنظمةٍ أمميّة لنشر السلام ومنع الحروب، واعتمدت هذه العصبةُ ثنائية (التحضّر والتخلف) كمعيار للتعامل مع العالم العربي والإسلامي، حيث اعتبرت هذه المنظّمة أن كل الدول التي كانت تحت سلطة العثمانيين دولاً متخلفة وقاصرة على القيام بنفسها على إدارة شؤونها، وأنّ على الدول المتقدّمة والمتحضرة أن تساعدها على النهوض والتحضّر، وتأخذ بيدها لتكون قادرة على تسيير أمورها، ولن يكون ذلك إلا بإجازة الانتداب، فأجازته في المادة 22 لميثاق عصبة الأمم وهي المادة التي بُني عليها نظام الانتداب الصادر في 24 أغسطس 1922م، ولم تكن هذه التسمية (الانتداب) في الحقيقة إلا تلطيفاً لفكرة الغزو، حتى يمكن قبولها لدى الشعب العربي الذي سئم الضعف والتخلف، ويرنو إلى تحقيق النهضة ولكن حتماً بيده وليس بيد الغرب. وقد نصّت الفقرة الأولى من هذه المادّة (22) على أنّ : (المستعمرات والأقاليم التي ترتّب على الحرب الأخيرة أنها لم تعُد تخضع لسيادة الدول التي كانت تحكمها، والتي تقطنها شعوب غير قادرة على الوقوف وحدها في الأحوال القاسية للعالم الحديث يطبق عليها المبدأ القاضي بأن رفاهية هذه الشعوب وتقدّمها إنما هي أمانة مقدسة في عنق المدنية، وبأن يشتمل العهد على الضمانات الكفيلة بالاضطلاع بهذه الأمانة) . ونصّت الفقرة الثانية على: (إنّ أفضل وسيلة لوضع هذا المبدأ موضع التطبيق العملي هو أن يعهد بالقوامة على هذه الشعوب إلى الأمم المتقدّمة، التي هي بحكم مواردها وتجاربها وموقعها الجغرافي، في مركز يسمح بالاضطلاع بهذه المسؤولية، والتي هي راغبة في قبولها، وأن تزاول هذه القوامة بوساطتهم، بوصفهم سلطات قائمة بالانتداب، وذلك بالنيابة عن العصبة) [43].

بعد ذلك؛ تعرّضت الأمّةُ العربية والإسلامية لهجمات مباشرة من الدول الغربية، ورَزَحت تحت وطأة الاحتلال سنين عِدّة كثيرٌ من البُلدان العربية، من المحيط إلى الخليج، وقد خلّف هذا الغزو آثاراً مقيتة، فقد زاد من تخلّف الوطن العربي الذي عانى من الاضطهاد والفقر والعَوَز. ورغم أن الغرب حاول أن يصوّر هذا الغزو على أنه حرب استعمارية تهدف إلى إعمار البلاد المُحتلة؛ إلا أنّها – في الحقيقة – كانت حرباً دينية واقتصادية بالدرجة الأولى .

في بداية الأمر ظنّ الغزاة الأوربيّون أن العربَ أذعنوا واستكانوا للاحتلال بسبب انتصاراتهم السريعة التي حققوها للوهلة الأولى عند اجتياحهم للبلدان العربية، وهذه الانتصارات كانت بفعل عنصر المفاجأة من جهة جهة؛ ومن جهة أخرى كانت ترجع إلى الفارق في العدّة والعتاد وتنظيم الجيوش الأوربيّة، وظنّوا أن العربَ لن تقوم لهم قائمة، إلا أنه مع مرور الزمن، لم يحقق الغزاة كثيرًا مما أرادوا – وإن حققوا بعضًا منه – بسبب شدّة مقاومة واستبسال الشعوب العربية، يدفعها إيمانها بعدالة قضيتها، وإيمانها بأنّ النصر من عند الله، فإما النصر والحرّيّة، وإما الشّهادة وهي إحدى الحُسنيين . فاستطاعت هذه الشعوب بقوة إيمانها وصدق عزيمتها أن تُكبّد الغزاة خسارة فادحة في الأرواح والمعدّات، حتى أدركت دولُ الاحتلال أنّ خسارتها في حروبها مع الشعوب العربية؛ كانت أكبر

بكثير من مكاسبها، وأدركت أيضاً أنَّ الإسلام هو مصدرُ عزيمة الأمة وثباتها، وهو الذي يغذيها بروح الجهاد، فعلموا أنّ قوة السلاح لا تكفي في مواجهة أُمّة تؤمن بعقيدة واحدة؛ وتجتمع حول فكر واحد تشكّلت فيه قِيَمُها ومفاهيمُها، وتعتزّ بوحدة الدّم، والأرض، والتاريخ، والتراث العربي والإسلامي؛ وأنّ كل هذه المقوّمات شكّلت سدوداً منيعة وقفت في وجه الغزاة، فكان لزاماً على الأوربّيين التفكير في هدم هذا البنيان من أصوله، حتى تتخلخل العلاقة بين المسلمين ودينهم، وتاريخهم، وموروثهم، ووحدتهم، فيَهُون خَطْبُهم، وتخبُو مقاومتهم، ويتحقق للغرب مُرادُهم بأقلّ الخسائر. فسَعوا إلى هذه الغاية وهم يستحضرون وصيّة الملك لويس التاسع (ملك فرنسا) الذي قاد الحملة الصليبية الثامنة، ثم هُزم في المعركة ووقع في الأسر، فلما افتداه قومه وفُكّ أسره؛ قال لهم:" إذا أردتم أن تهزموا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسلاح وحده – فقد هُزِمتُم أمامهم في معركة السلاح– ولكن حاربوهم في عقيدتهم، فهي مكمن القوة فيهم"[44]. وهذا ما فعلوه . فقد جندت الدول الغربية المبشّرين والمُستشرقين – في معركة فكريّة – لمحاربة تعاليم الإسلام ووقف انتشاره، ووفّرت لهم الدعمَ الكامل، وندبتهم للعمل في البلاد الإسلامية، فتدفقت البعثات والإرساليات التبشيرية لنشر المسيحية واللغات الأوربية، ونشطت في إنشاء المدارس – لاسيما في مصر والشام – التي قامت بدور كبير في نشر التعليم، إلا أنّ جُهدها الأكبر كان مُنصبّاً على نشر الثقافة الدينية، فدرَّسَتْ تعاليم المسيحية، كما رَوَّجَت لتقدّم وتحضّر أوربّا، وطعنت – بشكل غير مباشر – في الإسلام، واعتبرته سبباً مباشراً في تخلف البلدان الإسلامية، وكانت هذه المدارس أول خطوة من خطوات الاستعمار، كما ركّزت الإرساليات التبشيرية على الجانب الصّحي والخدمات الطبيّة المجانية، وخاصة في المدن والقرى والأرياف الفقيرة، فأنشأت المستشفيات وأوكلت مهمة القيام بإدارتها والعمل فيها للأطباء المُبشّرين وللراهبات. وفي نشاط المبشرين قال صموئيل زويمر – رئيس جمعيات التبشير – في مؤتمر القدس للمبشّرين المنعقد في 1935م: " إنّ مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً . إنّ مُهمّتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها . ولذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية . لقد هيّأتم جميع العقول في الممالك الإسلامية لقبول السير في الطريق التي سميتم له ... إنكم أخرجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي مطابقاً لما أراد له الاستعمار، لا يهتم بعظائم الأمور، ويحب الراحة، والكسل، ويسعى للحصول على الشهوات بأي أسلوب، حتى أصبحت الشهوات هدفه في الحياة، فهُوَ إن تعلم فللحصول على الشهوات، وإذا جمع المال فللشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات ... إنه يجود بكل شيء للوصول إلى الشهوات، أيها المبشرون، إن مهمتكم تتم على أكمل وجه"[45] .

والحقّ يقال إنّ المبشّرين وإن لم ينجحوا في تنصير المسلمين، إلا أنّ الإرساليات لعبت دوراً مهما في تثبيت أركان الاستعمار الأوروبي، وتحقيق اندماج بعض بلدان العالم الإسلامي بالفكر والثقافة الغربية، وبهذا المعنى فإن التبشير كان وسيلة خطيرة ومهمّة من وسائل الاحتلال . أما الوسيلة الأخرى التي راهن عليها الأوربيون – ونجحوا في رهانهم – هي الاستشراق الذي كان صورة من صور الغزو، ولكن من بوابة أخرى خلفية، وهي بوابة الفكر، فقد سبق التبشيرَ بزمن طويل، ومهّد له، كما مهّد لدول الاحتلال، أثناء الاحتلال وبعده، فأما أثناءه فقد قدّم الكثيرَ

من الدراسات عن البلدان المستهدفة بالاحتلال، فدرسَ شعوبَها وثقافتهم وعقيدتهم، وجغرافية تلك البلدان، ومواطن الضعف والقوة فيها؛ وأما بعد الاحتلال فقد نجح في استلاب عقول بعض التلاميذ العرب ممن تتلمذوا في مدارس الغرب وتحت إشرافهم، فعادوا إلى بلدانهم يرددون ما ترسخ في عقولهم، ووجدانهم من أن أوربّا هي المتن، والعالم كله هامش كبير، فكانوا غربيّين أكثر من الغربيين أنفسهم، ينادُون بالتطوّر على الطراز الأوربي، ويعتبرون أنفسهم رُوَّاد التنوير في البلدان العربية .

كما نجح الاستشراق إلى حدّ كبير في إعطاء صورة مشوّهة عن الإسلام للشعب الأوربّي أولاً؛ فحدّ من تدفق الأوربّيّين للدخول في الإسلام، حيث أسلم الكثير منهم إبان النفوذ العثماني في أوربا؛ ثم توجّه الاستشراق إلى أبناء المسلمين لاحقاً، فنجح في التأثير على عقول الكثير منهم حتى شكّوا في سماحة دينهم، وأصالة تاريخهم وتراثهم، فخفّت حدّةُ مُقاومتهم، وتواكَلوا، بدل أن يتوكّلوا، ورضُوا بما يظنّون أنه قُدّر لهم، من الخمول، والفقر، والبؤس، والجهل، والاعتقاد الواهم بالمتحضر الأوربي والانقياد الأعمى له . وهذا تماماً ما كانت تسعى إليه دول الاحتلال كي تحافظ على تبعية الأنظمة والنُّخب حتى بعد انتهاء الاحتلال .

وحتى تتأكد هذه التبعيّة؛ كان لزاماً على الغرب أن يساهم في بناء ثقافة شعوب البلاد المحتلة، حتى إذا ما استقلت هذه الشعوب ضَمِنَ الغربُ استمرار تبعيتها الثقافية والفكرية له، فعملت قوى الاحتلال على تأسيس نظام تعليمي في البلاد المحتلة ينشر ثقافة ولغة وآداب وتاريخ ومظاهر حضارة الغازي المحُتلّ، كما أرسلت بعثات من طلاب العرب إلى أوربا ليدرسوا فيها بالمجان، واهتمت بهم وبتعليمهم أيّما اهتمام، ليكوّنوا نخبة تحمل الثقافة الغربية، وتؤمن بها بديلاً عن الثقافة الوطنية؛ فتتكرّس التبعية العربية – بعد استقلالها – للغرب، وقد نجحت إلى حدٍ كبير في ذلك. هذا؛ وقد عرفت هذه النخبة العربية (الغربية) بالمستغربين. فما هو الاستشراق؟ وما هو الاستغراب؟ .

المبحث الثاني

الاستشراق والمستشرقون

مفهوم الاستشراق ، والمستشرقين :

في الواقع إن مصطلح الاستشراق هو تعبير أطلقه المفكرون الغربيّون على كلِّ الدّراسات المتعلقة بالشرقيين مسلمين وغير مسلمين، في كل ما يتعلق بشعوبهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم، وبلدانهم، وحضاراتهم[46].
ويعرّفه بعض المستشرقين تعريفاً خاصّاً جدّاً بأنه : " علم يختصّ بفقه اللغة خاصة "[47].

ويكاد كل المفكّرين العرب والمسلمين – الذين تناولوا موضوع الاستشراق والمستشرقين – يتفقون على أن الاستشراق اهتمامٌ بشعوب الشرق عموماً، وبشعوب العالم الإسلامي على وجه الخصوص ولكنّهم يختلفون في تعريفه تعريفاً ثابتاً وواضحاً ودقيقاً، كما يختلفون في تحديد بدايته، وكذلك في تعريف المستشرق من هو؟ .

فأما الاستشراق؛ فإن تعريفاته المختلفة تترجم اتجاهات ومواقف المفكّرين العرب والمسلمين منه على امتداد مراحله المختلفة، وتوضّح رؤيتهم له كلّ حسب زاوية رؤياه، وهذه الاتجاهات تتراوح بين رفضٍ، أو حِياد، أو تأييد، ومن أجل معرفة سبب تعدّد هذه الاتجاهات لابدّ أولاً من توضيح الأطوار التي مرّ بها الفكر الغربي تجاه العالم الإسلامي – مجتمعه وتاريخه– ومن ثم توضيح ردّ فعل العالم الإسلامي ومفكّريه تجاه كل طور من أطواره.

أطوار موقف الفكر الغربي الاستشراقي من المجتمع الإسلامي، وتاريخه :

- **الطّورُ الأوّل (النشاط الفردي/ وردّ الفعل الدّيني من قِبل القساوسة)** : ويبدأ منذ فتح المسلمين للأندلس (92هـ/711م) ومواصلة الفتوحات حتى جنوب فرنسا، واستمرّ حتى سقوط الأندلس في يد المسيحيين (897هـ/ 1492م)، وفي هذا الطور كان الغرب يرى في الإسلام منارة الحضارة وموطن العلم، وتميّز هذا الدور بنشاطين فرديّين للنصارى؛ أحدهما : يمثله طلاب العلم مِمّن رغب في تلقي علوم المسلمين، وتبرز في هذا النشاط خصوصية الاقتباس من الحضارة الإسلامية، فقد تعلموا ونبغوا، ونقلوا ما تعلّموه – في شتّى العلوم – إلى شعوبهم وبلدانهم؛ والنشاط الفردي الآخر : يمثله بعض القساوسة الذين اتّجهوا إلى دراسة اللغة العربية ليجادلوا المسلمين في دينهم وعقيدتهم بلغتهم، ليدعُوهم إلى التنصّر أو على الأقل يحاولون إقناعهم ببطلان دينهم . يقول المستشرق (رودي بارت) : "إن بداية الدراسات العربية الإسلامية ترجع إلى القرن الثاني عشر الميلادي . ففي عام (1143م) تمت ترجمة القرآن لأول مرة إلى اللغة اللاتينية بتوجيه من الأب بيتروس فينيرابيليس رئيس دير (كلوني)، وكان ذلك على أرض أسبانيا . وعلى الأرض الأسبانية وفي القرن الثاني عشر أيضا نشأ أول قاموس لاتيني عربي. وفي القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر بذل رايموند لالوس جهودًا كبيرة لإنشاء كراسي لتدريس اللغة العربية . وكان الهدف من هذه الجهود في ذلك العصر وفي القرون التالية هو التبشير، عن طريق مخاطبة المسلمين بلغتهم وإقناعهم ببطلان الإسلام واجتذابهم إلى الدين المسيحي"[(48)].

ومن جهة أخرى أراد القساوسة منعَ النصارى الأوربّيين من الدخول في الإسلام فتحججوا بأنهم تعلّموا لغة المسلمين، واطّلعوا على قرآنهم وتعاليم دينهم، وعرفوا أن لا خير فيها، لأنهم لم يجدوا فيها إلا العداء للمسيح والمسيحية، فضلاً عن تناقض الكثير من الأحكام الشرعية، وتضاربها – حسب زعمهم – وتعمّدوا تشويه الإسلام وتزييفه في محاولة لإقناع المسيحيين بضرورة محاربة المسلمين واسترداد أسبانيا، لكنهم فشلوا في ذلك لعدّة قرون، ثم نجحوا فيما بعد في تكوين وحدة مسيحية، واستطاعوا استغلال عوامل الضعف التي دبّت في دويلات المسلمين في الأندلس ليخرجوهم منها سنة (897هـ/ 1492م) واحتفلت البلاد النصرانية كلها بذلك، وأمرت البابوية أن تقرع كل كنائس أوربا احتفالاً بهذه المناسبة[(49)] .

- **الطّور الثّاني (الغلوّ والتطرّف)** : ويبدأ منذ سقوط الأندلس مروراً بالحروب الصليبية، ويستمرّ حتى سقوط الدولة العثمانية سنة (1341هـ/1923م)، وتميّز هذا الطّور بتكوّن الوحدة الأيديولوجية العدائيّة ضد العرب والمسلمين في المجتمع اللاتيني؛ وشغلَ الشّعار الدّيني حيّزاً مهماً في هذه الأيديولوجيا، ونشط الاستشراق الدّيني تحت إشراف الكنيسة، فأدّى ذلك إلى حشد الطاقات والجهود لشنّ الحروب الصليبية . كما تميّز هذا الطور ببروز المدارس الاستشراقية الحديثة في القرنين السادس عشر والسابع عشر، حيث ضاعف الغرب من اهتمامهم بالثقافة العربية والإسلامية فأنشئت مدارس لتعليم اللغة العربية، وكراسي اللغة العربية في الجامعات الغربية، وانتشرت طباعة الكتب العربية[(50)].

- **الطّور الثالث (الاستشراق الأكاديمي المُنّظم – المُصاحب للاحتلال)** : ويبدأ هذا الطور من سقوط الدولة العثمانية، ويستمر إلى وقتنا الحاضر، وفي هذه الفترة الزمنية تحوّل الاستشراق من معناه الضيّق إلى معنى أوسع حيث تطور ونما؛ ولم يعد قاصراً على مجال واحد(اللغة والدين) فتعددت مجالاته لتشمل كل ماله علاقة بالشرق

وبالعالم الإسلامي على وجه التحديد . وأصبح الاستشراق أكثر تنظيماً، وانتشاراً، وأخفّ حدّة من حيث صياغة أفكاره وعباراته فقط – وليس من حيث توجّهاته المناهضة للإسلام وشرائعه وحضارة شعوبه – تدعمه الدول والمؤسسات الغربية، وتخصص له ميزانيات تكفل استمراره في الأداء على الوجه الأكمل .

ويتميّز هذا الطور باستمرار التعصّب والعداء الدّيني الأوربي للإسلام رغم ثورة الأوربيين على الكنيسة، وانتقال أوربا من عصر التخلف إلى عصر النهضة، يقول المستشرق الروسي (جورافسكي): "... في أثناء الاحتلال الاستعماري لعدد كبير من الدول، والذي جرى بوتائرَ عالية في القرنين التاسع عشر والعشرين، شغلَ الشّعار الدّيني حيّزاً مهماً في الأيديولوجيا الغربية الاستعمارية . وهو ما حصل في احتلال الفرنسيين للجزائر سنة (1830م) الذي وصفه مطران باريس في تلك الفترة بأنه : "انتصار للمسيحية على الإسلام"[51]. كما أنّ الاستشراق في هذا الطّور أسفر عن توجّهين – أيديولوجيَّين – خطيرَين كانا وما زالا يؤثران سلباً على العالم الإسلامي؛ هُما : التغريب، والعلمانية .

مراحل ردّ فعل العالم الإسلامي ومفكّريه تجاه مواقف الفكر الغربي الاستشراقي :

المرحلة الأولى : مرحلة الانبهار (الصدمة الحضارية) : على الرغم من أن الإمبراطورية العثمانية وفي مرحلة مفصلية من تاريخ الأمّة، تصدّرت المشهد في العالم الإسلامي – المتهالك – فحملت على عاتقها حماية الإرث الإسلامي إجمالاً، وأرسَت دعائم وحدة العالم العربي والإسلامي، وحفظت كيانه؛ إلا أنّه لابدّ من الإقرار بأنّ العالم العربي والإسلامي عاني من حالة من الركود الحضاري جرّاء انغلاقه داخل حدود الإمبراطورية العثمانية فانعزل عن المؤثرات الحضارية التي مرّت على أوربا، ولم تتعرف المجتمعات العربية الخاضعة للنفوذ العثماني إلا على النزر اليسير مِمّا يطرأ حولها من تطورات حضارية، في حين أن الثورة الصناعية في أوربا قد بلغت غايتها، وآتت ثمارها، فأصبح الفارق الحضاري شاسعاً بين العالم الغربي والعالم الشرقي .

فلما نشطت حركة الاحتلال الغربي للعالم العربي والإسلامي، وأدركت شعوب العالم الإسلامي مدى اتساع الفجوة الحضاريّة بين العالَمَين الغربي والشرقي، انعكس هذا الإدراك على بعض شباب الأمة العربية الإسلامية فتأثروا سلباً بالحضارة الغربية؛ وصدّقوا ما يروّج له بعض المستشرقين المتعصبين من أن الإسلام يقف وراء تخلف العرب والمسلمين بما يحمله من قيود على الحريات الشخصية والفكرية، وتبنّوا أفكارهم؛ وتلقفوها متأثّرين بهم، وتمّت الاقتباسات الطويلة من إنتاجهم بلغاتهم، وصلت إلى نقل إنتاجهم الفكري وترجمته إلى اللغة العربية، ومن ثمّ نسبة جزء كبير منه إليهم، وربما انتحاله. وبعض هؤلاء المتلقّفين كانوا أشدّ من المستشرقين والمبشرين هوى وعصبية وعداء ظاهراً للسنّة وأهلها. وفي هذه المرحلة جرى تكريم المستشرقين والاحتفاء بهم، واستضافتهم الجامعات العربية في القاهرة ودمشق وبغداد، وصاروا أعضاء في المجامع العربية العلمية واللغوية يشاركون في صنع القرار الفكري، ويقدّمون أبحاثهم العلمية واللغوية[52] .

ووفق هذا التوجّه عُرِّفَ الاستشراق بأنه: " حركة علمية عَنيت وما تزال تُعنى بدراسة المدنيات الشرقية : ما غبر منها وما حضر، وما طُمس ذكره وما استقرّ، وبما خلفته تلك الحضارات من قوى روحية وآثار فكريّة وأدبية وفنيّة ودينيّة، وبما يتصل بهذه الحضارات القديمة، وبما فيها من شعوب وأجناس ومذاهب ومدارس، وما إلى ذلك كله من أثر ظاهر ناطق شاهد على الحياة البشرية الحضرية ، وهو خليق بأن نُحييه نشراً وطباعة "[53] .

المرحلة الثانية : (الصحوة أو الاكتشاف) : وفي هذه المرحلة استفاق كثير من المفكرين الإسلاميّين وانتبهوا لما يحيكه الاستشراق من أساليب تدعو إلى التبعية للغرب كلَّ مَن يرغب في التطور الفكري والثقافي فرداً كان أم جماعة، فنشطوا في التصدّي للاستشراق، والتحذير من أخطاره على الأمة الاسلامية، فانطلقت في هذه المرحلة حركة تؤصل الثقافة العربية الإسلامية والفكر والعلم المنبثقين عنها، وحاولت توضيح مفهوم الاستشراق ومنطلقاته وأهدافه وأغراضه، لاسيما في مجال الاستشراق السياسي[54]. ووصفوا المستشرقين بأنهم يتعاطون مع الموضوعات المتناولة من منظور شخصي ومصلحي، ويتصرّفون في فهم النصوص وترجمتها، ونقلها إلى لغاتهم حسب أمزجتهم وتصوراتهم الخاصة[55]. وعملوا على إثبات أن ضرر المستشرقين أكثر من نفعهم، ويمثّل هذا التوجّه التعريف التالي للاستشراق: " الفعالية الاستشراقية ممارسة عقلية غربية، تكشف مظهراً من مظاهر العقل الغربي في إعادة صوغ (الآخر) على وفق رؤية محددة، وعبر منظور خاص؛ لأن للاستشراق فلسفته التي يستمدها من البنية الثقافية الغربية التي ترتب الأمور أو تعيد ترتيبها، بما يوافق منظور العقل الغربي ... وينبغي التأكيد على أن النشاط الاستشراقي ليس فعلا مجردا عن مضامينه الغربية، وهو ليس فعل أفراد دفعهم حب المعرفة لجعل الشرق موضوعا غربيا، إنما هو ضرب من الممارسة الفكرية التي اقتضتها حاجة العقل الغربي"[56].

المرحلة التاريخية الثالثة (الغلو) : ظهر في هذه المرحلة مَن بالغ في النقد السلبي وعمَّم النظرة التآمرية على الاستشراق بشموليته، واتهم المستشرقين جميعهم بأنهم عملاء للحكومات المستعمِرة، وأنهم – تعميماً – ضررٌ وبلاءٌ لا نفع منهم، وأنّ التعاون معهم هو نوع من موالاة اليهود والنصارى[57] . يقول مالك بن نبي : " إن الإنتاج الاستشراقي كله كان شراً على المجتمع الإسلامي"[58] ويصفه النابلسي بأنه: "مشروع متكامل مُحدّد المنطلقات والغايات، وبالتّالي فإن أيّاً من المستشرقين لم يتعامل مع تراثنا تعاملاً فرديّاً، وإنما كان هذا التعامل داخلاً في إطار مشروع كلّي . لذلك فهو مشروع انتقامي فاقد لصفات الموضوعية والحياد العلمي، والقدرة على احترام النتائج الحقيقية"[59] .

المرحلة الرابعة (التعايش والانسجام التامّ) : وثمّة مرحلة أخرى يمكن تصنيفها بالمرحلة الثانية – مكرر – تسير في خط موازٍ مع المرحلة الثانية والثالثة، وهي مرحلة التعايش، أي الانسجام التّام مع أفكار المستشرقين، من دون نقد أو رفض، فحمل رُوّادُ هذه المرحلة – وهُم مَن يسمّون أنفسهم بالمتنوّرين أو التنويريّين – لواءَ الدفاع عن المستشرقين، وردّدوا أفكارهم وروّجوا لها في الأوساط العلمية والثقافية، ونُشرت لهم تآليف عدّة في الثناء على المستشرقين والإشادة بنتاجهم، وربط مصير تاريخنا بمجهوداتهم التي – حسب وصفهم – لولاها لضاع وما وصل إلينا . ويتّهمون من ينتقد المستشرقين انتقاداً سلبيّاً بالمنغلقين فكريّاً . يقول عاطف العراقي : " لا يخفى علينا أن الانغلاق الفكري هو الذي يؤدي في الأغلب الأعم إلى الهجوم على المستشرقين ... والانغلاق يؤدي إلى الظلام، والانفتاح يؤدي إلى النور . ماذا فعل المستشرقون حتى نصدر عليهم تلك الأحكام الظالمة؟ . إن المستشرقين كانوا دعاة للحضارة، دعاة للعلم ، دعاة للنور ... "[60].

ومن المفكّرين العرب مَن اتّخذ موقفاً محايداً فعرّف الاستشراق بأنه : " علم الشرق، أو علم العالم الشرقي" وأمّا المعنى الخاص فهو:"الدراسات الغربيّة المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام"[61]. وكذلك يقول المفكر العربي عمر فرّوخ : " ليس الاستشراق عدوّاً للإسلام وللغة العربية

. هناك نفر من المستشرقين مثل نفر منّا أيضاً قصدوا أن يُسيئوا إلى اللغة العربية وإلى الإسلام بعوامل من السياسة الاستعمارية، كما أن هناك نفراً آخرين من المستشرقين خدموا الثقافة الاسلامية واللغة العربية خدمة جليلة لم يكتب للعرب أنفسهم أن يقوموا بمثلها . وهنالك في المستشرقين (كما نجد في طبقات كثيرين من الباحثين) مَن كانوا أشخاصاً عاديّين في علمهم وفي جهدهم وفي غاياتهم"[62]. وعلى ذلك فإن العلّة في المستشرقين، وليست في الاستشراق .

وفي رأيي أن عدم اتفاق المفكّرين والمؤرّخين العرب والمسلمين على تعريف واحد للاستشراق راجع إلى صعوبة إيجاد تعريف ثابت لشيء متغير، فالتعريف جامد، والمعرّف إذا كان متغيّراً فإنه سيخالف تعريفه متى ما تغيرت خصائصه، فيصبح التعريف غريباً عن المُعرّف، وبمعنى أدقّ إنّ تعريف الشيء – أي شيء – يتطلب أن تكون خصائصه مَبنيّة على قواعد صحيحة وثابتة، وطبيعة الاستشراق في تغير مستمر، فهو متعدّد الأغراض، متباين الأهداف، مختلف الطبيعة، دراساته غزيرة، مجالاته متنوعة، ومتغيّر دائماً بحسب الزمان والظروف التي تصاحب كل مرحلة من مراحله، كما أن المستشرقين أنفسهم مختلفون في وجهات نظرهم، وفي أيديولوجياتهم، فمنهم المتعصب، ومنهم المعتدل، ومنهم مَن لديه اندفاع علمي حقيقي لفهم الثقافات الأخرى .

لذلك لم يتفق الباحثون على تعريف واحد ثابت ودقيق للاستشراق، وفي ظنّي أنهم لن يتفقوا، وعليه فإنني سوف أحاول أن أعرض مفهوم الاستشراق وليس تعريفه .

مفهوم الاستشراق : قبل الولوج في موضوع مفهوم الاستشراق، يجب أن نتعرف على سبب تسميته بهذا الاسم، وقد اتفق المفكرون المسلمون والغربيّون على أن لفظ إستشراق يعني : طلب علوم الشرق، لكنهم لم يحددوا لماذا اختيرت لفظة الشرق تحديداً على الرغم من أن العالم الإسلامي لا يقع إلى شرق أوربا ؟. وفي هذا الصّدد يتساءل المستشرق (رودي بارت) عن معنى لفظة (شرق) فيقول : " ما معنى كلمة شرق في هذا المقام بالذات؟. الظاهر أن اسم الشرق تعرض لتغيير في معناه، فالشرق بالقياس إلينا، نحن الألمان، يعني العالم السّلافي، العالم الواقع خلف الستار الحديدي . وهذه المنطقة تختص بها علمياً بحوث شرق أوربا. أما الشرق الذي يختص به الاستشراق؛ فمكانه جغرافيا في الناحية الجنوبية الشرقية بالقياس إلينا. والمصطلح يرجع إلى العصر الوسيط، بل إلى العصور القديمة، إلى الوقت الذي كان فيه البحر المتوسط يقع كما قيل في وسط العالم، وكانت الجهات الأصلية تتحدد بالنسبة إليه. فلما انتقل مركز ثقل الأحداث السياسية بعد ذلك من البحر المتوسط إلى الشمال بقي مصطلح الشرق رغم ذلك دالاً على الدول الواقعة شرق البحر المتوسط"[63]. ثم يقول: " كذلك تعرضت لفظة (الشرق) في أعقاب الفتوحات العربية الإسلامية لتغيير آخر في معناها، أو إذا شئنا دقّة أكثر، تعرّضت لاتساع في نطاق مدلولها، حيث امتدت الفتوحات الإسلامية من شبه الجزيرة العربية في اتجاه الشمال والشرق والغرب أيضاً، واستوطن الإسلام بلدان شمال أفريقيا ديناً . وتعرّب أهلها تدريجياً، وهم الأقباط في مصر والبربر غربها، ومنذ ذلك الحين تعتبر مصر وبلدان شمال أفريقيا ضمن الشرق، ويختصّ به الاستشراق الذي من المفترض أن يختصّ بالبلدان الشرقية دون غيرها. ومهما يكن من أمر؛ فإن الاسم لا يبيّن بوضوح مستقيم المقصود منه بالضبط، والمهم هو الموضوع ذاته"[64].

ولأن المهم هو الموضوع ذاته؛ فقد بدأ الاستشراق بشكل عام بتوجّه فكريّ غربيّ محدّد نحو الشرق، ثم تعدّدت مجالاته، فكان له دور مؤثر في التاريخ والفكر العربي قديماً وحديثاً، ارتبط أوّلاً بالكنيسة، وعبّر عن فكرتها تجاه الشرق، وبعد انحسار دور الكنيسة ارتبط بالاحتلال عقب عصر النهضة؛ فسَبقه ومهّد له؛ وواكبه وروّج له؛ وبقي بعده لينُوب عنه، ورغم ثورة الأوربّيين على الكنيسة ورفضهم لهيمنتها؛ إلا أنّ الاستشراق ظلّ يمارس العصبيّة الدّينيّة في كلّ ما يتعلق بالشرق عقيدة، وتاريخاً، وحضارة . ثم تحوّل في العصر الحديث إلى ظاهرة معرفية واسعة الانتشار، ساهمت بشكل رئيس في إحياء ونشر التراث العربي والإسلامي، في الوقت الذي كاد فيه هذا التراث أن يضيع بسبب ركود الأمّة وتأخرها عن خدمة تراثها علمياً ومادّياً، وهذا فضل يُحسب للمستشرقين، لا ينكره إلا جاحد، وقد بلغ انبهار بعض المفكرين العرب بجهود المستشرقين إلى الحد الذي قالوا فيه : "إن المستشرقين قد فهموا الإسلام أكثر من فهم أهله له"[65]. لكنّ نشاط هذه الظاهرة – ظاهرة الاستشراق – لم يتوقف عند حدود المعرفة؛ بل حوّل هذه المعرفة إلى سلطة تمثيل، أو إعادة إنتاج مُستمدّة من مستويات بحثية وثقافيّة، تحكمها النزعة الاستعلائيّة، والإحساس بالتفوّق العِرقيّ، فضلاً عن التفوّق الثقافي، وهذا الإحساس بالتفوّق جعل من أغلب الدراسات الاستشراقية للشرق تمثيلاً له لا انعكاساً لواقعه، وقد مارست هذه السلطة المعرفية قوّتها بأساليب مختلفة، حدَّدتها الظروف المرحلية، والإقليمية، والسياسية، والاقتصادية[66]. والاستشراق يتقابل مع موضوعه (الشرق) في عدة معانٍ، فهو : يمثّل جغرافيًا الأقاليم غير الأوروبّية أي آسيا وإفريقيا، ويمثّل ثقافيًا النطاق الخارج عن الهيمنة الثقافية الأوروبّية المسيحية، وعرقيًا الأجناس التي تختلف عن الجنس الأبيض، ولغويًا اللغات السامية، وسياسيًا ما يطلق عليه اسم العالم الثالث أو المستعمرات الأوروبية[67].

هذا، ولأن لفظ (الاستشراق) ارتبط عند العرب والمسلمين بالشّك والرّيبة في كلِّ ما يصدر عنه من نتاج فكري وأدبي؛ فقد اضطرّ المستشرقون في مؤتمرهم التاسع والعشرين – الذي عقد في باريس سنة (1973م)، بمناسبة مرور مائة عام على بداية عقد مؤتمرات المستشرقين – إلى نبذ مُسمّى الاستشراق، واستبداله بـ (المؤتمرات العالمية للدِّراسات الإنسانية حول آسيا وشمال إفريقيا) [68]. ويؤكّد المستشرق (برنارد لويس) على نبذ مصطلح الاستشراق، فيقول :

"The term Orientalist was thus abolished by the accredited Orientalists, and thrown on the garbage heap of history" [69].

ومعناه : " لقد ألقى المستشرقون المتخصصون مُصطلحَ الاستشراق في مزابل التاريخ " .

<u>بداية الاستشراق</u> : فأمّا بداية الاستشراق، فيمكن أن نستعرض بعضَ آراء المؤرخين المسلمين حولها كنماذج على سبيل المثال لا الحصر؛ فقد أرجعها بعضهم إلى عهد الصراع بين الإغريق والفرس[70]. ومنهم مَن أرجعها إلى قدماء اليونان مثل هيرودوت – القرن الخامس قبل الميلاد – حيث يرى (أحمد سمايلوفتش) أن كتابات هيرودوت كانت من أهم الأسباب التي وجّهت أنظار الدول الأوربية إلى جزيرة العرب[71]. ومنهم من أرجع بداية الاستشراق إلى احتكاك المسلمين بالروم في غزوتي مؤتة وتبوك[72]. ومنهم من عزا بداية الاستشراق إلى اهتمام الرهبان الغربيين بالأندلس إبان مجدها وعظمتها[73]. ومنهم من قال إن البداية الأولى للاستشراق نشأت بعد الحملات الصليبية؛ وأنه منذ القرن السادس عشر للميلاد بدأ الاستشراق بالمعنى المقصود عندنا الآن (الاهتمام باللغات

الشرقية : العربية والفارسية والتركية خاصة – الاهتمام بجمع المخطوطات العربية لنشرها – الكتابة في موضوعات شرقية : دينية ولغوية وأدبية) [74]. ومنهم مَن اعتبر البداية الرسمية للاستشراق في سنة (1312م) عندما عُقد مجمع فيينّا الكنسي الذي أصدر مرسوماً بأن تُدرّس اللغة العربية في كبرى المراكز العلمية الأوربيّة : باريس وأكسفورد وبولونيا وأفينون وسلامنكا . حتى يتمكن خريجو هذه المدارس من مقاومة العرب والمسلمين ثقافياً وبلغتهم مباشرة[75]. وأعيد هذا المرسوم في (بازل) سنة (1343م) ، لكن كراسي العربية لم تنشأ حتى منتصف القرن السابع عشر وبدايات القرن الثامن عشر[76]. ولكن؛ إذا كنّا نقصد بالاستشراق ذلك النشاط الفكري الموجّه للعالم الإسلامي، والذي انطلق في اتجاهين متوازيين أحدهما ينهل من علوم المسلمين للإفادة منها ونقلها إلى البلاد المتخلفة، والآخر اتّجه لتعلّم اللغة العربية من أجل البحث في القرآن والسّنّة وكل الموروث العربي والإسلامي بنيّة ملتوية؛ فإن بداية الاستشراق وفق هذا المفهوم قد انطلقت منذ دخول المسلمين للأندلس مثلما سبق توضيحه في الطّور الأول للاستشراق. أمّا اهتمام الغرب بالشرق قبل الإسلام – مثل الصراع الإغريقي/الفارسي، والروماني/الفارسي– فليس بالضرورة أن يكون أساساً للاستشراق، وذلك لأنّه – أي اهتمام الغرب بالشرق – راجع إلى الصراع العرقي، وسيادة العالم، والاهتمام هنا يكون طبيعيّاً إذ لابدّ للخصم من معرفة أحوال خصمه. أمّا ظاهرة الاستشراق فلم تكن محدّدة ومرسومة سلفاً عند الأوربيين قبل ظهور الإسلام، وإن كان الاستشراق يمثل مرحلة متقدّمة من هذا الصراع إلا أنّه كان وليد الأحداث المستجدة التي تمثّلت أولاً في ظهور الإسلام وانتشاره زمن قوته في فترة زمنية وجيزة قياساً بما حققه الإسلام من انتشار واسع بين الناس وتمدُّدٍ في الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية الناشئة . ثم تمثّلت في استبسال المسلمين في الذّود عن أراضيهم مدعومين بعقيدتهم وثقتهم في تأييد الله عزّ وجلّ، فالتفّوا حول كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وحملوا راية الجهاد، رغم تشظّي بلدانهم وانقساماتها وخلافاتها السياسية، فكان لزاماً على الكنيسة أوّلاً ثم الدول الاستعمارية ثانياً أن يعرفوا مصدر هذه القوّة ثم محاولة ضربها، فجاءت ظاهرة الاستشراق من أجل تحقيق هذه الغاية، ثم تطوّرت شيئاً فشيئاً حتى تبلورت في مرحلتها الأخيرة في العصر الحديث .

المستشرقون : لم يقتصر الاختلاف على تحديد معنى الاستشراق فحسب؛ بل تعدّاه إلى تصنيف المستشرق نفسه. هل المستشرقُ هو كلُّ باحثٍ غربيّ كتب عن الشّرق؟ . وهل يشمل هذا التصنيف كلّ الشرقيّين الذين كتبوا عن الشرق بمنهجيّة المستشرقين؟. ثم هل لابدّ من التخصّص في الاستشراق ليُسمّى المتخصصُ مستشرقاً؟ أم لا بأس من تعدّد وظائف الباحث في الشرق، ويُسمّى مستشرقاً أيضاً؟.

إن من المفكّرين العرب والمسلمين من أطلق صفة (مستشرق) على كل عالم غربي اهتم بالشرق، فقال : "هم كل الكتّاب الغربيّين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية"[77]. ومنهم مَن استثنى الباحثين الشرقيين من تسميتهم بـ (المستشرقين) وإن تحاملوا على الإسلام مِن مثل (فيليب حتّي وجورجي زيدان) لأنهم عرب أصلٌ ولغة وثقافة؛ يقول عمر فرّوخ : "لا يكون المستشرق شرقيّاً أو عربيّاً سواء كان مسلماً أم غير مسلم، لأنه شرقيّ الأصل عربيّ اللغة، أما المستشرق فهو شخص غربيّ، غير مسلم، من أوربّا أو أمريكا، يدرس اللغة العربية، وبعض وجوه الثقافة الاسلامية"[78]. وبعد أن صنّف فرّوخ المستشرقين، عرّفهم بأنهم : " طبقة من الناس كالأدباء والفقهاء والعلماء والمؤرّخين والفلاسفة، فيهم البارع والعادي والخائب، وفيهم الأمين والخائن، وفيهم

الضعيف والقادر والعاجز . ومن الظلم والجهل معاً أن نحكم على أحد من اسمه، فلابدّ من النظر إلى أعمال الناس قبل أن نجعلهم أصنافاً في عليّين أو في الأعراف أو في جهنّم " [79].

ويتفق مع هذا المفهوم المؤرخ (عبدالرحمن حبنكة) إلا أنه لا يعترض على تعدّد وظائف المستشرقين، فعرّف المستشرقين بأنّهم: "هم الذين يقومون بالدراسات الاستشراقية من غير الشرقيين، ويقدّمون دراساتهم ونصائحهم ووصاياهم: للمبشّرين بُغية تحقيق أهداف التبشير. وللدوائر الاستعمارية بُغية تحقيق أهداف الاستعمار. وكثير من المستشرقين قساوسة منتظمون في السلك الكنسي ... وآخرون منهم موظفون ببلدانهم في الدوائر السياسية والإدارية المختصّة بشؤون الاستعمار ... واندسّ في الاستشراق يهود كثيرون .. وظهر ضمن المستشرقين نفرٌ عُني بالدراسات الاستشراقية رغبة في البحث العلمي المتجرّد، ومنهم من تأثر بالحضارة الإسلامية ... فأسلم"[80].

وهناك من يرى أن الصعوبة في تحديد تعريف دقيق للمستشرق يرجع إلى تعميم مصطلح (المستشرق) على الأدباء ورجال الدين وما في حكمهم من أصحاب الوظائف الأخرى مثل رجال المخابرات والإدارات العسكرية، وغيرها . يقول صاحب هذا الرأي :" ... وحتى نصل إلى المعنى الحقيقي للاستشراق لابد من إبعاد هذه الفئات التي أدخلناها نحن خارج هذا المجال من الدراسات ... وأن ينفرد بهذا المفهوم (المستشرق) الأستاذ الغربي المتخصص بالشرق سواء كان الشرق إسلامياً أم غير إسلامي"[81].

وعلى أي حال؛ هناك تعريفات كثيرة – لا يتسع المجال لذكرها جميعاً – لمصطلح (المستشرق) بعضها يمدح المستشرقين ويثني على كل نتاجهم من دون إبداء ولو ملاحظة سلبية واحدة، مثل (عاطف العراقي) الذي يرى أنّ العيبَ ليس في المستشرقين بل فيمَن يتّهمهم ، فيقول : " لا أجد من جانبي مبرراً واحداً ولا سبباً معقولاً يدفع الكثيرين إلى الهجوم هجوماً عنيفاً على المستشرقين، وإنكار دورهم في مجال نشر النور والتنوير . إنها حملات مسعورة يحلو للكثيرين شنها على أناس أخلصوا إخلاصاً لا حدّ له للعلم والبحث العلمي في مجال إحياء التراث وقدموا العديد من الأفكار التي أعتقد أنها أفكار بنّاءة ومفيدة غاية الفائدة في عصر العقل والتنوير ... لقد أدّى المستشرقون للعروبة خدمات كبرى . ولا يصح التقليل منها وإلا أصبحنا أضحوكة بين الأمم وينبغي أن نضع في اعتبارنا أن البعض إذا لم يفهم آراءهم وقام رغم ذلك بالهجوم عليهم، فإن العيب ليس في المستشرقين ولكن العيب فيه هو"[82].

وبعض التعريفات لمصطلح (المستشرقين) تُقرّ بما للمستشرقين وما عليهم؛ فتثني على بعض جهودهم، وتذمّ بعضها الآخر . وبعضها تتهمهم بالتآمر على الإسلام وكلّ ما يتعلق بالمسلمين مع استثناء ندرة نادرة منهم، وقد سبق تقديم أنموذجين كمثالين لهذين التوجهين ممثّلين في تعريف المؤرّخَين (عمر فرّوخ؛ وعبدالرحمن حبنكة) ممّا أغنى عن ضرب أمثلة أخرى لتعريف مصطلح (المستشرق) .

وفي المحصّلة فإنني أرجّح رأي المؤرّخ عمر فرّوخ في أنّ المستشرق لا يكون شرقيّاً أو عربيّاً سواء كان مسلماً أم غير مسلم، لأنه شرقيّ الأصل عربيّ اللغة ولا يجوز أن نسمي شرقيّاً يكتب عن الشرق (مستشرقاً) بل المستشرق هو كل مَن كتب عن الشرق من خارجه، سواء كان من أوربا أم من أمريكا. أما الشّرقيين الذين تحاملوا على الشرق، فتشملهم صفة المستغربين سواء أكانوا عرباً أم غير عرب، مسلمين أم غير مسلمين . أما عن تعدد وظائف بعض المهتمين بالشرق ففي ظني أنها لا تنفي عنهم صفة المستشرقين سواء كانوا أدباء أم رجال دين أم

رجال استخبارات، أم غيرهم، فكل مهتمّ منهم بالشرق هو مستشرق، حتى وإن لم يتقن أي لغة شرقية، فرجال المخابرات مثلاً وظيفتهم ليست الاستشراق بل المخابرة لصالح بلدانهم، وقدّموا تقاريراً عن كثير من بلدان الشرق – وكثير منهم لا يتقن أي لغة شرقية – وقد ساعدت تقاريرهم الإدارات العسكرية في الدولة الاستعمارية فاستخدموها في احتلال الكثير من بلدان الشرق . فهم مستشرقون مثلهم مثل المتفرغين للاستشراق المتخصصين فيه .

دوافع الاستشراق وأهدافه : العالَمُ الغربيُّ والعالَمُ الإسلاميُّ عالَمَان متجاوران، ومن الطبيعي أن يُبدي العالم الغربي اهتمامه بالعالم الإسلامي من باب الفضول واستكشاف الآخر، لا سيما وأن المسلمين بعدما انتشروا – في زمن وجيز – في مشارق الأرض ومغاربها بالفتوحات الاسلامية؛ تفرّغوا لطلب العلم فشيّدوا حضارة أدهشت العالم الغربي، ، وأثارت فضوله لمعرفة السرّ الذي انبثقت بسببه هذه الأمّة التي كانت راكدة علميّا وثقافياً، كما كانت متفرقة ومتناحرة فانقلبت أحوالُها لتجدَ نفسها تتقدّم الأمم الأخرى في كل المجالات، وأثارت بشكل خاص فضول الراغبين في العلم، وفضول رجال الدين الذين أزعجهم إسلام الأوربيّين، مثلما أزعجهم انتقال أسبانيا من بلد مسيحي تحت سلطة الأوربيين إلى بلد مسلم تحت سلطان العرب، لذلك كان المجالُ العلميّ أوّلاً والدينيّ ثانياً من أبرز دوافع الاهتمام الغربي في مرحلته الأولى، ثم تأتي بقيّة الدوافع حسب مقتضيات الضرورة والمراحل والتطورات التاريخية والسياسية والاقتصادية .

ويمكن وبإيجاز إيضاح هذه الدوافع على النحو التالي :

الدافع العلمي : بعد فتح المسلمين الأندلس واستقرارهم فيها أدرك الأوربيّون عامّة والإسبان على وجه الخصوص مدى الفارق الحضاري بينهم وبين المسلمين فقدموا إلى مراكز العلم ينهلون منها، فتعلّموا اللغة العربية وأجادوها، ومن خلالها اطّلعوا على كافة العلوم لدى المسلمين سواء في الأدب أو في الطب أو في الفلك أو في غيرها من العلوم، بل وترجموها إلى لغاتهم، فشكّلت هذه الترجمات والنقول أساس الحضارة الغربية، يقول (غوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب) : " لم يكن في العالم في ذلك الزمن بلادٌ يمكن الدرس فيها غير الأندلس العربية، وذلك خلا الشرق الإسلامي طبعاً، وإلى بلاد الأندلس كان يذهب أولئك النصارى القليلون لطلب العلم"[83]. وانخرط هؤلاء الطلاب – الذين تُركت لهم الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية – في الجيش، وتولى بعضهم أرفع المناصب في قصور الخلافة، وراحوا يقلدون العرب في كل شيء، وانبهروا بالأدب العربي فاجتذبهم إليه حتى نبذوا الأدب اللاتيني، مما حداَ بأحد الكتّاب الإسبان في ذلك الوقت أن يكتب بحسرة لا تخفى، قائلاً :" لقد هام أبناء جلدتي النصارى بقراءة أشعار العرب وأقاصيصهم، وأصبحوا يدرسون مؤلفات فقهاء المسلمين وفلاسفتهم، لا يهدفون من وراء ذلك إلى دحضها، بل يريدون التمتع بديباجتها العربية المُشرقة، فأين هو اليوم ذلك العالم الذي يقرأ الشروح اللاتينية للكتب المقدسة؟. وأسفاه! . إن جميع شباب النصارى الموهوبون لا يعرفون غير العربية والأدب العربي، وهم شديدو الانكباب على مطالعة الكتب العربية ودراستها ... فإذا حدثتهم عن الكتب المسيحية أجابوك ساخرين بأنها أتفه من أن تستحق عنايتهم أو يبذلوا فيها اهتمامهم.. فيا لعِظم الفجيعة ويا هولهاً!!" [84].

وكذلك في العصر الحديث؛ سَحَرَ تراث الشرق بعضاً من المستشرقين الرّاغبين حقّاً في استكشاف الحضارة الاسلامية بدافع من الفضول وحُبِّ الاطّلاع، فأقبلوا على دراستها، فترجموا أمهات الكتب الإسلامية إلى لغاتهم،

ودرسوا اللغة العربية، ووضعوا معاجماً لها لتسهيل ما استعجم من معانيها، ممّا أتاح للأوربيين الاطلاع على علوم المسلمين وآدابهم، فانطلقوا من حيث انتهت إليه هذه العلوم، فتقدمت أوربا – بواسطة جهود هؤلاء المستشرقين – حثيثاً نحو الرّقي والازدهار، فكانت نهضتها امتداداً للنهضة والحضارة الاسلامية.

الدافع الديني : فأما الدافع الديني فبالإمكان معرفته من خلال كلام المستشرقين أنفسهم، إذ يقول المستشرق (سير توماس أرنولد" في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) ما يُمكن تلخيصه كما يلي: " وكان ظهور مباديء هذه العقيدة – الإسلامية – لأهالي بلاد العرب في القرن السابع الميلادي، على يد النبي العربي الذي انضوى تحت لوائه شتى القبائل العربية فأصبحت بذلك أمة واحدة ... فلما امتلأوا من آثار هذه الحياة القومية الجديدة، تدفقوا في أنحاء ثلاثة، يفتحون البلاد ويخضعون العباد ... وبعد انقضاء مائة عام على وفاة الرسول ﷺ وصل أتباعه غرباً إلى أسبانيا، وشرقاً إلى أن عبروا نهر السند، فما لبثوا أن وجدوا أنفسهم سادة على إمبراطورية أعظم من إمبراطورية روما في أوج قوتها . ومع أن هذا الإمبراطورية العظمى قد تصدعت أركانها فيما بعد، وتضعضعت قوة الإسلام السياسية، ظلّ التأثير الروحي للإسلام مستمراً دون انقطاع ... وعندما خرّبت جموع المغول بغداد سنة (1258م) وأغرقوا في الدماء مجد الدولة العباسية الذاوي، وطرد فرديناند ملك ليون وقشتالة المسلمين من قرطبة سنة (1236م)؛ كان الإسلام قد استقرت دعائمه وتوطدت أركانه في جزيرة سومطرة، وكان على أهبة الاستعداد أن يحرز تقدماً ناجحاً في الجزائر الواقعة في بلاد الملايو، وفي هذه اللحظات التي تطرق فيها الضعف السياسي إلى قوة الإسلام، نرى أنه قد حقق انتشاراً روحيّاً رائعاً. فهنالك حالتان تاريخيتان كبريان، انتصر فيهما الكفار من المتبربرين على المسلمين وأولئك هم الأتراك السلاجقة في القرن (11م)، والمغول في القرن (13م)، وفي كلتا الحالتين نرى الفاتحين يعتنقون ديانة المغلوبين. وقد حمل دعاة المسلمين الذين كانوا خلواً كذلك من أي مظهر من مظاهر السلطان الزمني، عقيدتهم إلى إفريقية الوسطى والصين وجزائر الهند الشرقية. ويمتد الاسلام اليوم من مراكش إلى زنجبار، ومن سيراليون إلى سيبيريا والصين، ومن البوسنة إلى غينيا الجديدة ... "[85].

وعلى ذلك؛ فإنه من المؤكد أن انتشار الإسلام على يد الفاتحين المسلمين من جهة، وانتشاره بسبب تأثيره الروحي إلى الحدّ الذي أسلم فيه غزاة الديار الإسلامية (السلاجقة والمغول)، وكذلك انتشاره سلماً في كثير من البلدان التي لم يطأها الفاتحون، كل ذلك؛ لابدّ وأن يغيظ قلوب قوم هم للإسلام كارهون، ولابدّ أن يدفعهم هذا الغيظ إلى الكيد للإسلام سواء بالسيف أم بالقلم . وهذا تماماً ما حدث . يقول المستشرق (رينهرت دوزي) في كتابه (المسلمون في الأندلس): "كان القُسس أشدّ الناس سخطاً، وتأصلت في نفوسهم كراهية شديدة ضد المسلمين لاسيما وأن هؤلاء القُسس كانوا يعتنقون أفكاراً سيئة عن الرسول ﷺ وعن المباديء التي جاء بها . مع أن فهمها كان ميسراً جداً عليهم نظراً لتقلبهم بين العرب، لكنهم انصرفوا عن الرجوع إلى المصادر الموجودة في متناول أيديهم، وآمنوا بما لقّنهم إياه الجاهلون وما راج من الخرافات المستحيلة عن الرسول ﷺ من بينها أن قسيساً اسمه (أيولوج) لم يذهب إلى الكتب العربية يلتمس فيها أخبار حياة محمد ﷺ بل راح يطلبها في مخطوط لاتيني وقع في يده عن طريق الصدفة وقد وجده في دير (بامبلونة) فكان مما قرأه فيه : أن محمداً– وقد اقتربت منيته – أنبأ أصحابه أن الملائكة سترفعه ثالث أيام موته، فلازَمَ أصحابُه جسده في انتظار المعجزة . فلما انصرم اليوم الثالث دون أن يروا ملَكاً تركوها ظنَّاً منهم أن مُلازمتهم إيّاها منعت الملائكة من القدوم . وإذ جاء الكلاب فالتهمت

بعضها، ودفن المسلمون ما تبقى منها، ومن ثم برروا قتل عدد كبير من الكلاب سنوياً انتقاماً منها ... وقد علق أيولوج على هذا ساخراً بقوله : " تلك هي معجزات نبي المسلمين ! "[86] .

ويكفي كلام المستشرق دوزي ليقوم دليلاً على حقيقة الدافع الديني، مما أغني عن الاستدلال بأمثلة أخرى، فالعداء الديني كان من أهم الدوافع لحركة الاستشراق في انطلاقتها المبكرة، وما يزال هذا الدافع محرّكاً رئيساً لظاهرة الاستشراق حتى اليوم وإن اختلفت الوسائل والمناهج والأساليب . وهناك دوافع أخرى ترتّبت على الدافع الدّيني ووقفت هي أيضاً وراء حركة الاستشراق مثل : الدافع الاستعماري، والسياسي، والاقتصادي . ومن كل هذه الدوافع تتضح الأهداف . فأهداف الاستشراق في بدايته كانت تقتصر على تشويه الإسلام من أجل الحدِّ من إسلام الأوربيين؛ ولذلك كان الاستشراق في بدايته موجّهاً لشعوب أوربا، فلما ازدهرت النهضة الأوربية؛ وتخلف العالم الإسلامي حضاريّاً، تعدّدت أهداف الاستشراق تبعاً لتعدد دوافعه، فتوجهت كتابات المستشرقين نحو المسلمين للتشويش عليهم وعلى عقيدتهم، ولتبيّن لهم أن التمسك بتعاليم الدين الإسلامي تشدّ المسلمين إلى الوراء، وتعيقهم عن الالتحاق بركب الحضارة العالمية، ومجاراة الدول المتقدّمة حضارياً وعلميّاً، وأن الإسلام لم ينتشر إلا بحدّ السيف، وأن سياسة الإسلام سياسة قمعية لا تعترف بالرأي الآخر، واستدلّوا على ذلك بمحاربة المسلمين للخوارج المارقين، ووصفوا هؤلاء الخوارج بالديمقراطيين؛ كما وصفوا المنافقين في المدينة بالحزب المعارض، هذا فضلاً عن المرأة وما قالوه فيها من أن الإسلام يقيد حريتها ويجعلها إلى الجارية أقرب منها إلى المرأة الحرّة . وركّزت كتابات المستشرقين على ضرورة اتّباع المسلمين لأساليب الأوربيين في إقامة دولهم على أسس ديمقراطية بعيداً عن أحكام الدّين، إذا كان المسلمون يريدون فعلاً أن يعيشوا حياة رخاء وسواسية وابتكروا فكرة القومية العربية لتحلّ بديلاً عن الإسلام .

ويبرر المستشرق (روبرت بيني) دوافعهم للاهتمام بالدراسات العربية، فيقول : " لدينا سبب وجيه لدراسة العرب والتحقيق في طرق تفكيرهم، لأنهم غزوا العالم من قبل، وربما يفعلون ذلك مرة أخرى. فالنار التي أوقدها محمد ما تزال تشتعل بقوة، وهناك كل الأسباب للاعتقاد بأنها شعلة غير قابلة للانطفاء" .

"We have good reason to study the Arabs and probe into their ways of thought, for they have conquered the world before, and may do it again.The fire lit by Muhammad still burns strongly, and there is every reason to believe that the flame is unquenchable"[87] .

ولا شكّ؛ فلقد كان لكتاباتهم هذه تأثير على بعض شباب الأمة العربية، لا سيما مَن دَرَسَ منهم في أوربّا، أم في أمريكا، أو مَن تلقّى تعليمه على يد المتخصّصين من الأساتذة الأوربيّين داخل البلاد الاسلامية، فتغيّرت قناعاتهم، وانجرفوا مع هذا التيار الذي سمّوه (التنويري) فجاءت كتاباتهم أشد وقعاً على المسلمين من كتابات المستشرقين أنفسهم. وهؤلاء هم من أصطُلح على تسميتهم بالمتغربنين أو المستغربين .

المبحث الثالث

الاستغراب والمستغربون

مفهوم الاستغراب والمُستغربين : الاستغراب، لفظ مضطرب المفهوم، ويرجع سبب اضطرابه إلى ازدواجية دلالته عند المفكّرين العرب، فبعضهم يرى أنه من الضرورة بمكان أن ينشأ علم يهدف إلى دراسة تاريخ الفكر المسيحي الغربي . وأنه يمكن أن يُطلق على هذا العلم (علم الغرب) أو (علم الاستغراب) . وقد دعا الدكتور (محمد رحبار) في المؤتمر الإسلامي العالمي الذي انعقد في لاهور في (ديسمبر 1957م) بحماس إلى هدف من هذا القبيل، ولكنه لقي معارضة شديدة[88]. وحسب هذا التوجه يمكن أن يُعرّف الاستغراب بأنه : "هو الوجه الآخر والمقابل، بل والنقيض من (الاستشراق) . فإذا كان الاستشراق هو رؤية الأنا (الشرق) من خلال الآخر (الغرب) فإن علم الاستغراب يهدف إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر والجدل بين مركب النقص عند (الأنا)، ومركب العظمة عند (الآخر) . فمنذ الاستشراق القديم الذي نشأ واكتمل في عنفوان المد الاستعماري الأوربي؛ أخذ الغرب دور (الأنا) فأصبح ذاتاً؛ واعتبر الّلا غرب هو (الآخر) فأصبح موضوعاً . فالاستشراق القديم يعني رؤية الأنا الأوربي للآخر الّلا أوربيّ، علاقة الذّات الدارس بالآخر المدروس . وكان نتيجة لذلك أن نشأ لدى (الأنا الأوربي) مركّب عظمة من كونه ذاتاً دارساً؛ كما نشأ لدى (الآخر الّلا أوربيّ) مركب نقص من كونه موضوعاً مدروساً"[89] .

وهناك عدة اشتراطات لابد أن تتوفر في المستغرب حتى يكون مستغرباً إيجابياً، هذه الاشتراطات حددها (ناصر قلوز) الباحث في الساحة الفرنسية، في حوار أجراه معه (أحمد الشيخ) وضمّنه في كتابه (من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب)، وهذه الاشتراطات هي : أن يقوم بدراسة هذا الأدب – الغربي – في إطار يتسع لجملة ظواهر هذه الثقافة، وأن يستجوب هذه الثقافة ككل وألا يجعل منها مركز انطلاق المعرفة الأوحد، وأن تسمح له ظروفه أن ينظر إليها من الخارج، وبشرط ألا يقتصر في الحديث على الخارج والداخل على الحدود الجغرافية فقط، وألا تكون بالضرورة مراكز القيادة الفكرية في العالم منحصرة في البلاد الغربية، فالغرب تعود على دراسة غيره، لا أن يُدرس هو من طرف آخر[90].

فالاستغراب إذن – بهذا المفهوم – فيه تحرر من مركّب النقص، وتخلص من عقدة الدونية، وفيه مواجهة لفوقية الغرب، وتحويل الغرب إلى موضوع درسٍ بعد أن كان يحتكر لنفسه صفة الدارس . فهو إذن توجّه محمود، غير أنه ما يزال حصيلة نشاط فردي، ولم يصل إلى مستوى ظاهرة الاستشراق، من حيث انتشارها، وعمقها، وتعدّد مجالاتها .

وعلى أي حال، فإن هذا الاستغراب بهذا المدلول ليس هو ما ترمي إليه هذه الدراسة، وإنما المقصود هو الأخذ بثقافة الغرب، وهو ما اتفق عليه البعض الآخر من المفكرين من أن الاستغراب هو العلم الذي نبت على ضفة الاستشراق، فأصبح ظِلاً له، وامتداداً لغايته، وصدى لصوته. ووفق هذا المفهوم فإن لفظ الاستغراب يعني دراسة الغرب بعيون غربية، وقد اشتُقَّ لفظ الاستغراب من (التغريب) والتغريب:" هو حركة موجهة لصبغ الثقافة الإسلامية بصبغة غربيّة، وإخراجها عن طابعها الإسلامي الخالص، واحتوائها على النحو الذي يجعلها تفقد ذاتيتها وكيانها وتذوب فيما يسمى بـ (الثقافة العالمية) أو الفكر الأممي"[91]. ويُعرّف كذلك بأنه: " تيار فكري كبير، ذو أبعاد سياسية، واجتماعية، وثقافية، وفنيّة، يرمي إلى صبغ حياة الأمم بعامّة، والمسلمين بخاصّة بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة، وخصائصهم المتفردة، وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة

الغربية"[92]. ويقول المستشرق هاملتون جب : " قد كان من أهم مظاهر سياسة التغريب في العالم الإسلامي تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التي ازدهرت في البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون الآن ..." [93].

سيطرت الرغبة في التوسع على تفكير الدول الغربية عَقِبَ عصر النهضة والتطور الصناعي والاقتصادي وكانت ترغب في استغلال المواد الخام المتوفرة بكثرة في العالم العربي – الراكد – من أجل إقامة المزيد من الصناعات عليها، كما كانت ترغب في تصريف منتجات هذه الصناعات في البلدان العربية، وكانت وسيلتها لتحقيق هذه الغاية هي احتلال الأراضي العربية والسيطرة بالقوة عليها، وكانت تعلم أنها ستواجه مقاومة من شعوب تلك البلدان، فاعتمدت أولاً على تفوقها الحربي وشتات العالم الاسلامي، فانتصرت في المرحلة الأولى بعد خسارة باهظة في العتاد والأرواح من الطرفين، لكن المقاومة لها لم تنهِ، فاضطرت بعد الحرب العالمية الثانية (1939–1945م) وظهور حركات الاستقلال في البلدان العربية التي شهدت أحداثاً دامية بين دول الحلفاء والمحور؛ اضطرت دول الاستعمار إلى الانسحاب من الدول العربية، لكنها استبدلت الاحتلال المباشر باحتلال غير مباشر (الاحتلال الذهني)، وقد خطّطت لهذه الغاية تخطيطاً مُحكماً، ونجحت في تحقيقها إلى أبعد حد، معتمدة على عقدة النقص التي تكونت عند عامة العرب والمسلمين إذ رَسَخَ في قناعة الكثيرين منهم قدرة الغربي المتفوقة بما صنعه لنفسه من تقدم صناعي ومدني على حين ترسّخ التخلف والتأخر في نفسية العربي المسلم بما آل إليه حاله من الاستعمار والبؤس[94]. هذا، وقد كان تغريب الدولة التركيّة أوّل وأعظم تجربة للتغريب خاضتها الدولة الأوربية، ممّا سهّل عليها، وفتح شهيتها في الاستمرار في تغريب كل ما هو غير غربي، لتضيف ثنائية أخيرة في الصراع بين الغرب والشرق، وهي ثنائية (حيوية أوربا وخمول الآخر) .

<u>تغريب تركيا</u> : عملت دول الغرب على تغريب تركيا وفصلها – عقائديا وثقافياً – عن العالم الإسلامي، بل وعن الدين الإسلامي وشرائعه، وحتى تتحقق هذه الغاية على الوجه الأكمل، كان لزاماً أن يكون للغرب رجلاً تركياً يستطيعون من خلاله تنفيذ كل مآربهم، ولم يجدوا أفضل من الضابط التركي مصطفى كمال أتاتورك للقيام بهذه المهمة فقد كان أتاتورك ماجناً، وميّالاً دائماً إلى أن يكون الآمر الناهي، وعندما كان أتاتورك مع الجيش العثماني في مقدونيا استماله رهبان مقدونيون ولقّنوه اللغة الفرنسية حتى أتقنها، ثم زوّدوه بكتب رواد عصر التنوير فولتير وروسو وهوبز وجون ستيوارت، وغيرها من الكتب – المحرّضة على الثورة والتغيير – حتى أصبح ينظم الشعر الملتهب بمشاعر القوميّة، ويخطب في زملائه من الضباط فيحدثهم عن فساد السلطان. ثم احتوته الاستخبارات البريطانية، وبفضل نفوذها صنعت منه بطلاً في عيون الأتراك وذلك بافتعال المعارك معه والانهزام أمامه، حتى تحوّل من مجرد ضابط صغير ثائر على الأوضاع إلى قائد عسكري يملك رصيداً من الأمجاد والانتصارات حتى لقبه الأتراك بـ (الغازي) [95]. ثم انتقل الغربُ وفي مقدمتهم بريطانيا إلى المرحلة الأخيرة في تغريب تركيا فشكلوا حكومة تركية برئاسة أتاتورك، وعرضوا عليها شروط الصلح المعروفة بشروط كرزون الأربع – وكرزون هو رئيس الوفد الانجليزي في مؤتمر لوزان – فوافقت حكومة أتاتورك عليها دون تردّد، ووقعت على المعاهدة – معاهدة لوزان – سنة 1923م، وقد نصّت شروط المعاهدة على ما يلي :

1 – قطع كل صلة لتركيا بالإسلام .

2 – إلغاء الخلافة الإسلامية إلغاء تامّاً .

3 – إخراج الخليفة وأنصار الخلافة والإسلام من البلاد، ومصادرة أموال الخلافة .

4 – اتخاذ دستوراً مدنياً بدلاً من دستور تركيا القديم[96].

وهكذا؛ نجح الغربُ في كل ما خطط له، فبعد سقوط الدولة العثمانية، وإعلان الجمهورية التركية في (29 أكتوبر 1923م)؛ وأصبح مصطفى كمال أتاتورك رئيساً لها، بادر أتاتورك إلى تنفيذ كل شروط كرزون المنصوص عليها في الاتفاقية، ومنذ سنة (1925م) شرَعَ أتاتورك في اتّخاذ عدّة تدابير من شأنها أن تكرّس مظاهر التغريب فأصدر عدّة مراسيم تضمّنت : مَنع ارتداء الطربوش وفَرْض ارتداء القبعة الغربية – مَنع ارتداء الحجاب – اتخذ يوم الأحد عطلة رسمية بدلاً من يوم الجمعة عطلة المسلمين – اتخذ الأبجدية اللاتينية للغة التركية بعد أن كان الحرف العربي أبجدية للغتهم – أمر بأن يتمّ الأذان باللغة التركية[97] – نادى بالقومية التركية، وأظهر التعصب لها بدلاً من التعصب للدين – ألغى التعليم الديني – ألغى الشريعة الإسلامية واستبدلها بقانون مدني مأخوذ من القانون السويسري[98] – ألغى عيدَي الفطر والأضحى لسنوات – منع الحج – منع حتى إذاعة الموسيقى التركية والأغاني التركية، والموسيقى الشرقية وأصدر أوامره بأن تذاع الموسيقى الغربية فقط – ولم يتوقف أتاتورك عند هذا الحدّ بل تعدّاه إلى الحدِّ الذي رشّح فيه سفيرَ بريطانيا ليخلفه في رئاسة الجمهورية التركية لكن الأخير رفض[99].

<u>تغريب العالم العربي والإسلامي</u> : وبعد أن كرّست الدولُ الغربية الدولةَ التركيّة تكريساً شبه كامل للغرب، التفتت إلى الدول العربية الناهضة حديثاً بعد استقلالها والمقبلة بشغف على البناء والنهضة، وأخذت تنظر في كيفية بسط هيمنتها الفكرية على مجتمعات هذه الدول، عن طريق خلقِ فجوة بينهم وبين موروثهم بحجّة أنه يقف وراء تخلفهم، فامتزجت تبعاً لهذه الفكرة أطروحة المدرسة الاستشراقية التقليدية بأدبيات مدرسة التحديث في الفترة الزمنية الواقعة بين العشرينيات والسبعينيات تقريباً من القرن العشرين . وإذا كانت المدرسة الأولى (الاستشراقية التقليدية) تنظر بدونيّة – بشكل عام – إلى العرب والمسلمين؛ فإن المدرسة الثانية (التحديثية) حاولت أن تقدّم نموذجاً للمجتمعات الإسلامية والعربية يحاكي نموذج التجربة الغربية، فكان نتاج هذا التزاوج بين هاتين المدرستين المناداة بالعلمانية وتهميش دور الدّين[100]. وعمدت هاتان المدرستان إلى تغريب المجتمع العربي والإسلامي عن طريق إبراز النزعة القومية في العالم الإسلامي وعمد الاستعمار إلى إذكاء وتشجيع هذه النزعة ليكون الولاء لها والتعلق بها بدل الاسلام . فكان أن نشأت خلال هذه الفترة كثير من النظم والأحزاب على أساس الولاء للقومية العربية. وفي عام (1913م) عُقد مؤتمر سُمّي (المؤتمر العربي الأول) في باريس، شجعته السلطة الفرنسية، وفي هذا المؤتمر طرحت ولأول مرة طروحات مناقضة للدين حيث تجرأ رئيس المؤتمر (عبدالحميد الزهراوي) فقال : " إن الرابطة الدينية قد عجزت تماماً عن إيجاد الوحدة السياسية . وأنا لا أرجع إلى التاريخ لأبرهن هذا، بل حسبي ما لدينا من الشواهد الحاضرة . أنظر إلى الحكومتين (العثمانية والفارسية) كيف لم تقدر رابطتها الدينية على إزالة اختلاف بسيط بينهما وهو الاختلاف المتعلق بالحدود ..." [101] .

وعملت هاتان المدرستان – القديمة والحديثة – أيضاً على تشجيع فكرة إيجاد فكر إسلامي متطوّر يبرر الأنماط الغربية، ومحوِ الطابع المميّز للشخصيّة الإسلامية بُغية إيجاد علائق مستقرة بين الغرب وبين العالم الإسلامي . ثم دَعَتا إلى دراسة التاريخ القديم من أجل إثبات أنّ الإسلام لم يأتِ بجديد، ولا الحضارة الاسلامية

كذلك، وكذلك من أجل أن يلتفت العالم الإسلامي إلى جذوره العرقيّة والجغرافية حتى يلتفَّ حولها ويعتزّ بها بدلاً من اعتزازه بالإسلام الذي حارب الانتماء إلى العِرق واللون، وكذلك راجَت الدعوة إلى الحرية، باعتبارها أساس نهضة الأمة . والإسلام – حسب زعمهم – يقيّد الحريات وبالتالي يكبّل الأمم المسلمة فلا تستطيع أن تلحق بركب الحضارة . كل ذلك يتوازى مع عرض النظم الاقتصادية الغربية عرضاً مصحوباً بالإعجاب[102]. وشُخِّصَت ظواهر التقدّم وأفرِزَت عن ظواهر التخلف؛ فالتقدّم تبعاً لهذا التصنيف هو أن تتبع الغرب فكراً وسلوكاً . وأخذت كثير من الطبقات السياسية والثقافية في السير في هذا الاتجاه، سعياً وراء التقدم والتطور حسب الوصفة الغربية للعالم الثالث . ومن أهم فرضيات مدرسة التحديث أنه كلما ابتعدت الدولة عن الأنماط التقليدية التي منها الدين، كان هناك تقدم نحو الحداثة، ولا يشترط وجود الديمقراطية في هذه المجتمعات كي تتطور سياسياً، ولكن الضرورة أن تعمل النخب الحاكمة ضمن نغمة الغرب وليس ضدها[103]. ووُجِّهَت الدعوة إلى نبذ اللغة العربية في مرحلة الدراسة الجامعية، وضرورة تعلم اللغات الأجنبية – لغات الشعوب المتحضرة – يقول الأب لامنس : " إذا جُعل التعليم العالي باللغة العربية تنعزل البلاد شيئاً فشيئاً عن الحركة العامة إذ تصبح اللغة الوطنية حاجزاً منيعاً دون مواصلة التقدم"[104]. ثم تطوّرت الدعوة فوصلت إلى الحثّ على السعي خلف حُلمٍ برّاق مفاده (العالمية والانسانية) ويزعم أصحاب هذه الدعوة بأن ذلك هو السبيل إلى جمع الناس على مذهب واحد، تزول معه الخلافات الدينية والعنصرية، لإحلال السلام في العالم، ولتصبح الأرض وطناً واحداً يدين بدين واحد، ويتكلم بلغة واحدة وثقافة مشتركة، بُغية تذويب الفكر الاسلامي واحتوائه في بوتقة الأقوياء المسيطرين أصحاب النفوذ العالمي[105] .

وتمخّضت هذه الدّعوة عن رجال من العرب أصبحت الثقافة والمعارف الغربيّة مرجعيتهم، فشكّلت إطارهم الفكري، وكونت لديهم منظومة مفاهيم ورؤى تناولوا بها البحث في الجوانب التاريخية لبعض الأحداث في التاريخ الاسلامي برؤى غربية مُتخيّلة عن صورة الشرقيّ الذي تكوّن وتشكّل في التمثيليات الاستشراقيَّة عبر التاريخ، وحاولوا أن يسقطوها على الواقع العربي الإسلامي من خلال تحليلهم لمشكلات تاريخية تمتد جذورها في عمق الواقع العربي؛ مستخدمين طريقة الالتفاف ولوي عنق النصوص في كتاباتهم، ممارسين عليها عملية الإقصاء والاستحواذ وقطعها من سياقها التاريخي ليجدوا لها حاضنة جديدة في عملية تذويب لبعض المفاهيم وإظهارها بمفاهيم أخرى تناصر وتؤكد فرضياتهم المسبقة وما يطمحون إليه . ولقد ذاع صيت هؤلاء المستغربين، واشتدّ خطرهم لدرجة أن كتاباتهم صارت بمثابة مرجعيات لمن جاء بعدهم من المشارقة فدشّنوا المفاهيم التي استخدموها في تحليلهم للأثر التاريخي، وإقامة الفرضيات من خلال المعطى الغربي[106] .

ومع هذه التطورات انشقّ أنصار المدرسة التحديثية في الغرب إلى صنفين: الأول، ينادي بضرورة أخذ الدين عنصراً أساسياً للتحديث، لأن الإسلام ليس ديناً فقط بل دين ودولة . أما الصنف الثاني، فقد تمسّكوا بأدبيات المدرسة الاستشراقية، وبدأوا يَعزُون فشل التحديث في العالم الإسلامي إلى طبيعة المسلمين والدّيانة الإسلامية غير المتطابقة مع الرأسمالية والديمقراطية، وعدم قدرة المسلمين والعرب على النهوض حضاريّاً ما داموا متمسّكين بمعتقداتهم . فالدّين وبخاصّة الإسلام في تلك المخيّلة معيارٌ كُتِبَ له أن يكون ضد التقدّم والعالمية وبما أن العالميّة تنشد صالح البشرية فعلى دول العالم وشعوبه أن تقوم ضد أي خطر مُحدق بهذه المسيرة (الإنسانية) [107] .

نماذج من كتابات المستغربين وتوجهاتهم : وفيما يلي سأقدّم نموذجاً واحداً فقط لروّاد الاستغراب المشارقة، ونموذجاً واحداً فقط لتلاميذهم من المشارقة، وفي هذين النموذجين ما يكفي لإقامة الدليل على وجود هذا التيار – تيار الاستغراب – وحضوره البارز في المشهد الثقافي والفكري العربي والاسلامي، ويمثل النموذج الأول الدكتور (طه حسين) عميد الأدب العربي، الذي يقول – على سبيل المثال لا الحصر – : " للتوراة أن تُحدّثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي ... فقريش إذن كانت في هذا العصر ناهضة نهضة ماديّة تجارية، ونهضة دينية وثنية . وهي بحكم هاتين النهضتين كانت تحاول أن توجد في البلاد العربية وحدة سياسية وثنيّة مستقلة تقاوم تدخل الروم والفرس والحبشة ودياناتهم في البلاد العربية . وإذا كان هذا حقاً – ونحن نعتقد أنه حقّ – فمن المعقول جداً أن تبحث هذه المدنية الجديدة لنفسها عن أصل تاريخي قديم يتّصل بالأصول التاريخية الماجدة التي تتحدث عنها الأساطير ... وإذن فليس ما يمنع قريشاً من أن تقبل هذه الأسطورة التي تفيد أن الكعبة من تأسيس إسماعيل وإبراهيم، كما قبلت روما قبل ذلك ولأسباب مشابهة أسطورة أخرى صنعها لها اليونان تثبت أن روما متصلة بإينياس بن بريام صاحب طروادة . أمر هذه القصة إذن واضح، فهي حديثة العهد ظهرت قبيل الإسلام، واستغلها الإسلام لسبب ديني، وقبلتها مكة لسبب ديني وسياسي أيضاً"[108].

وفي كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) يدعو (طه حسين) صراحة إلى فصل الدّين عن السياسة على غرار ما فعل الأوربّيون حتى يتمكّن المسلمون من بناء دول حديثة تتمتع بالحريات، فيقول : إن السّياسة شيء والدين شيء آخر، وأن نظام الحكم وتكوين الدول إنما يقومان على المنافع العملية قبل أن يقوما على أي شيء آخر . وهذا التصور هو الذي تقوم عليه الحياة الحديثة في أوربا . فقد تخففت أوربا من أعباء القرون الوسطى، وأقامت سياستها على المنافع الزّمانية، لا على الوحدة المسيحية، ولا على تقارب اللغات والأجناس[109]. وهناك الكثير من الأمثلة على آراء طه حسين التي تجنح بعيداً عن الفكر الإسلامي والموروث العربي، وتحثّ على فصل مصر عن المشرق، وإعلان تبعيتها للغرب، وهكذا .

أما النموذج الثاني من المستغربين المشارقة الذين تتلمذوا على يد سابقيهم من روّاد المستغربين فيمثله المستغرب المصري (سلامة موسى) الذي كان أكثر المستغربين مناداة بنبذ اللغة العربية، ومن أكثرهم سخرية بها، فيقول : " وفي مصر طبقة من الكتّاب حاولت ولا تزال تحاول استخدام اللغة العربية وسيلة من الوسائل الأدبية؛ لاسترداد الأمس . بل إن عندنا من اللغويين من يتحدث عن اللغة العربية كما يتحدث المستشرقون الأوربيون عن اللغة السنسيكريتية، ولكن مع فرق أصيل، فإن هؤلاء لا يحاولون إحياء الميت من الكلمات السنسيكريتية، ولكن أولئك يحاولون هذا الإحياء للكلمات العربية، حين كان يجب عليهم، لو كانوا على وجدان بالعصر الحديث، أن يدفنوها، ومعظم هذه الطبقة من معلمي اللغة العربية في مدارسنا ... وحين تُحرم لغتنا من كلمات الثقافة العصرية؛ تحرم أيضاً الأمة المعيشة العصرية، فنحن مازلنا نعيش بكلمات الزراعة، ولم نعرف كلمات الصناعة، ولذلك فإن عقليتنا عقلية قديمة، جامدة، متبلدة، ترجع إلى الماضي حتى إننا نؤلف في ترجمة معاوية بن أبي سفيان في الوقت الذي كان يجب أن نؤلف فيه عن هنري فورد، عبرة الصناعة في عصرنا، أو عن الذرة وعبرتها للمستقبل"[110] .

وفي كتابه (اليوم والغد) يقول سلامة موسى : " وممّا يمكن أن يُنقم عن اللغة الفصحى أيضاً أنها تبعثر وطنيتنا المصرية، وتجعلها شائعة في القومية العربية، فالمتعمق في اللغة الفصحى يشرب روح العرب، ويُعجب بأبطال بغداد القدماء بدلاً من أن يشرب الروح المصرية ويدرس تاريخ كصر، فنظره متجه أبداً نحو الشرق، وثقافته كلها عربية شرقية، مع أننا في كثير من الأحيان نحتاج إلى الاتجاه نحو الغرب، وليس من مصلحة الأمة المصرية أن ينزع شبابها نحو الشرق، وأنه لأنفع لنا وللشرق أن ينزع هو إلينا، لا أن ننزع نحن إليه"[(111)]. ثم يتحدث سلامة موسى عن اللباس فيحث على التمسك بالزّي الأوربي الحديث بدلاً من الزّي التقليدي لأنه ثمرة الحضارة الراهنة التي غمرتنا في سبيلها، واكتسحت أمامها تقاليدنا القديمة، فأثبتت بذلك جدّتها وبِلى هذه التقاليد، وكان فوزها دليلاً على صلاحيتها[(112)] .

الخاتمة : بعد استعراض مراحل الصراع بين الشرق والغرب، وصولاً إلى الاستشراق، والاستغراب الذي نما على ضفافه وفي حضانته ، يخلص البحث إلى النتائج التالية :

– إن الصراع بين الشرق والغرب قديم قِدم التاريخ ، وفي كل مرحلة من مراحله كان هناك سبب لدى أحد الطرفين ليخوض بدافعه هذا الصّراع .

– بدأ الصراع بين الغرب، وبين الشرق – ممثَّلاً في العرب المسلمين – عقب انتصارات العرب والمسلمين سواء في فترة الفتوحات الاسلامية المبكّرة أم في فترة الفتوحات العثمانية لأوربا .

– اتبّع الغرب كل الأساليب الصحيحة والملتوية في مقاومة الإسلام والمسلمين، فشنّوا الحروب، وشحذوا الأقلام، وعبّأوا شعوبهم بكل فكرة سيئة عن الإسلام ورسوله، وهداهم تفكيرهم إلى زعزعة العلاقة بين المسلم ودينه، فتفرغ فريق منهم لدراسة اللغة العربية، ومن خلالها تمكنوا من دراسة القرآن فترجموه تراجم سيئة إلى لغاتهم،ودرسوا كذلك كتب التاريخ الإسلامي، وانتقوا منه ما يتفق مع أهوائهم، وأشاعوه على أنه هو تاريخنا الحقيقي .

– مَهّد المستشرقون للاحتلال فأجْرَوا دراسات على البلدان المستهدفة وقُدّمت دراساتهم إلى إدارات الاحتلال فسهّلت عليها هذه الدراسات احتلال تلك البلدان .

– أثناء فترة الاحتلال عمل المستشرقون على إقناع الشعوب المحتلة بضرورة اتّباع الفكر الغربي من أجل إحداث التطور في بلدانهم، وأصاب هذا النداء عقول بعض العرب من الذين تتلمذوا على يد المستشرقين، ونالوا حظوة في بلدان الغرب، فساعدتهم هذه البلدان حتى يتقلدوا مناصب متقدمة في دولهم، مما سهّل عليهم مهمّة التأثير في بعض أبناء جلدتهم من العرب، فظهر مصطلح التغريب والاستغراب اللذان يدلّان على هذه الفئة من المنبهرين بالفكر الغربي انبهار التابع مسلوب الإرادة .

– للمستغربين أثرٌ في الأمّة الإسلامية أسوأ من أثر المستشرقين، وذلك لأنهم عرب منّا، يتكلمون لغتنا، ويعيشون بيننا، بل ويعلمون أبناءنا، لذلك فتأثيرهم أسرع وأعمق من تأثير المستشرقين .

ثانياً – التوصيات : ومن خلال كل ما سبق، يخلص البحث إلى الوصية التالية :

– إن اهتمام المؤسسات العلمية (المدارس والجامعات) بدراسة مثل هذا الموضوع تكاد تكون منعدمة . لذلك فإن الشعوب العربية لا تدري سبب ما هي فيه من شتات واتّباع وتقليد أعمى للغرب، وعليه فهذه الدراسة توصي

بضرورة انتشار مثل هذه الدراسة، من أجل تشخيص المرض الذي أصاب الأمة العربية، ومن ثم السعي لإيجاد طرق العلاج الناجعة، حتى نُخلّص أمّتنا من تبعيتها، فتعود إلى سابق عهدها من الازدهار والتحضّر .

الهوامش

(1) - العنزي، طالب جاسم، وساجدة الحسّاني(صيف2018م) : أبعاد ومحددات الرؤية الاستشراقية في دراسة التراث والتاريخ الاسلامي،مجلة دراسات استشراقية، العدد 15، جامعة الكوفة، الكوفة، ص 79

(2)- هـ ، د ، كيتو : الإغريق ، ص 4

(3) - طاليس، أرسطو : السياسة ، ص 103

(4) - توماس، كارل جي : عالَم الاسكندر الأكبر ص 130

(5) - الخطيب، محمد : الحضارة الإغريقية، ص 278

(6) - الحيّاني، محمود خليف خضير : الاستشراق والاستغراب، ص 20

(7)- أسد، محمد : الاسلام على مفترق الطرق ، ص 40

(8)- ينظر إبراهيم، عبدالله : المطابقة والاختلاف (المركزية والغربية) ، ص 14

(9)– فرج، نعيم : الحضارة الأوربيّة في العصور الوسطى ، ص7

(10)– الكعبي، عبدالحكيم : عصر الخلفاء الراشدين، ص 202

(11) – ابن الأثير،: الكامل في التاريخ، 264/4

(12) – المصدر نفسه : 404/4

(13) – عبدالله إبراهيم : المرجع السابق ، ص 14

(14) – سوذرن، ريتشارد : صورة الاسلام في أوربا في القرون الوسطى ، ص 55

(15) – رودنسون، مكسيم : الصورة الغربية والدراسات الغربية للاسلام، ضمن كتاب : تراث الاسلام، 31/1

(16) – المرجع نفسه : 80/1

(17) – علي، جواد : المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام، 27/1

(18) – أسد، محمد : الطريق إلى الاسلام ، ص 19

(19) – هنتش، تييري : الشرق المُتخيّل: رؤية الغرب إلى الشرق المتوسطي، ص 84

(20) – قاسم، عبده قاسم : ماهيّة الحروب الصليبية، ص 7

(21) – محمد أسد : المرجع نفسه ، ص 18

(22) – ينظر المطوي، محمد العروسي : الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ص 15 ومابعدها .

(23) – للاستزادة ينظر وهبي، مصطفى : موجز تاريخ الحروب الصليبية، ص 21 ومابعدها .

(24)– محمد أسد : الطريق إلى الاسلام، ص 18

(25)– إبراهيم، عبدالله : الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، ص 181

(26) – لوبون، غوستاف: حضارة العرب، ص 332

(27) – هونكة، زيغريد : شمس العرب تسطع على الغرب، ص 531

(28) – ينظر غوستاف لوبون : المرجع السابق ، ص 586

(29) – محمد أسد : الطريق إلى الإسلام، ص 18

(30) – الطيار، فهد بن عايش بن محمد : فتح القسطنطينية (857هـ / 1453م) ، ص 77

(31) – ينظر فريد، محمد : تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 161 وما بعدها

(32) – عمران، محمود سعيد: معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى، ص ص 21،22

(33) – المرجع نفسه، ص 23

(34) – عمر، عمر عبدالعزيز: دراسات في التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث، ص ص 7،8

(35) – نوار، عبدالعزيز سليمان، ومحمود محمد جمال الدين: التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ص 9

(36) – عمر عبدالعزيز عمر : المرجع السابق ، ص 9
(37) – عبدالعزيز نوار : المرجع السابق، ص 10
(38) – المرجع نفسه، ص 11
(39) – هرنك، إسماعيل: تاريخ الدولة العثمانية، ص 76
(40) – أبوغنيمة، زياد: السلطان المجاهد محمد الفاتح، ص 102
(41) – ينظر ياغي، إسماعيل أحمد: الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث، ص 141 وما بعدها . = ينظر عمر عبدالعزيز عمر : المرجع السابق ، ص 200 وما بعدها .
(42) – شاكر، محمود: موسوعة التاريخ الإسلامي (التاريخ المعاصر – تركيا) ، 232/17
(43) – ينظر وزارة الدفاع في الجمهورية العربية السورية : نصّ المادة 22 من صك عصبة الأمم، وهي المادة التي بني عليها نظام الانتداب الصادر في 24 تموز 1922م ، http://www.mod.gov.sy/index.php?node=554&cat=1137
(44) – قطب، محمد : واقعنا المعاصر، ص 183
(45) – التل، عبدالله : جذور البلاء ، ص 276
(46) – ينظر الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، ص 120
(47) – بارت، رودي : الدراسات العربية الاسلامية في الجامعات الألمانية ، ص 17
(48) – رودي بارت : المرجع السابق، ص 14 .
(49) – مؤنس، حسين : معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد ، ص 454
(50) – النبهان، محمد فاروق : الاستشراق تعريفه، مدارسه، آثاره ، ص 18
(51) – جورافسكي، أليسكي : الإسلام والمسيحية، تج : محمد حمدي زقزوق، ص 33
(52) – ينظر النملة، علي بن إبراهيم: نقد الاستشراق والمستشرقين في المراجع العربية، ص ص17، 18
(53) – داغر، يوسف أسعد : مصادر الدراسات الأدبية من العصر الجاهلي إلى عصر النهضة، المطبعة المخلصيّة،ط2 (بيروت، 1961م) 771/2
(54) – ينظر علي النملة : المرجع السابق ، ص 19
(55) – معاليقي، منذر : الاستشراق في الميزان، ص 66
(56) – عبدالله إبراهيم : الثقافة العربية ، ص 175
(57)– منذر معاليقي : المرجع السابق ، ص 20
(58) – ابن نبي، مالك : إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي الحديث، ص 25
(59) – النابلسي، محمد أحمد: قراءة نفسية في الفكر الاستشراقي، ص36
(60) – العراقي، عاطف : العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر ، ص ص 10،105
(61) – زقزوق، محمود حمدي : الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص 18
(62) – جحا، ميشال : عمر فرّوخ والاستشراق، ص 142
(63) – رودي بارت : المرجع السابق، ص 17
(64) – المرجع نفسه، ص 19
(65) – ينظر علي النملة: المرجع السابق، ص 15
(66) – بنظر الجابري، صلاح : الاستشراق (قراءة نقدية) ، ص 15
(67) – بهادي، منير: الاستشراق والعولمة الثقافية ، ص 11
(68) – علي النملة : الالتفاف على الاستشراق محاولة التنصل من المصطلح، ص 56
(69) - Lewis, Bernard: “ The Question of Orientalism.”, p5
(70) – قجال، نادية : الوظائف الأساسية للرسم الاستشراقي قبيل وإبان الاستعمار الغربي للعالم الاسلامي، ص 128
(71) – سمايلوفتش، أحمد : فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص 71
(72) – السامرائي، قاسم : الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، ص 19

(73) – السباعي، مصطفى: المستشرقون ما لهم وما عليهم، ص 17
(74) – ميشال جحا : المرجع السابق ، ص 140
(75) – عمايرة، إسماعيل أحمد: المستشرقون وصلتهم بالعربية، بحث في الجذور التاريخية للظاهرة الاستشراقية، ص 36
(76) – ساردار، ضياء الدين : الاستشراق صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية ص 54
(77) – مالك بن نبي : المرجع السابق، ص 5
(78) – ينظر علي النملة : الالتفاف على الاستشراق محاولة التنصل من المصطلح، ص 23
(79) – ميشال جحا : المرجع السابق، ص 139
(80) – عبدالرحمن حبنكة الميداني : المرجع السابق، ص 121
(81) – الغزالي، مشتاق بشير حمود : نظرتنا إلى الاستشراق، ص 463
(82) – عاطف العراقي : المرجع السابق، ص 106
(83) – غوستاف لوبون : المرجع السابق، ص 588
(84) – دوزي، رينهَرت : المسلمون في الأندلس 1/ 85
(85) – توماس، سير أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ص 25 ،26
(86) – رينهرت دوزي : المرجع السابق، 86/1
(87) – Payne, Robert : The holy sword, The Introduction of the book
(88) – رودي بارت : المرجع السابق، ص ص 19، 20
(89) – حنفي، حسن : الاسغراب في مواجهة التغريب، ص 313
(90) – الشيخ، أحمد : من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب، ص 241
(91) – العمري، نادية شرف: أضواء على الثقافة الاسلامية، ص 226
(92) – الجهني، مانع بن حماد : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، 698/2
(93) – جِب، هاملتون : الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ص 713
(94) – نذير، حمدان : مستشرقون سياسيون – جامعيون – مجمعيون ، ص 253
(95) – ينظر بني المَرجة، موفق : صحوة الرجل المريض الصفحات 264، 265، 266
(96) – الصلابي، علي محمد : الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، ص 472
(97) – محمود شاكر: المرجع السابق، 17/الصفحات 52، 53، 54
(98) – الصلابي، المرجع السابق، ص ص 475، 476
(99) – ضابط تركي سابق : الرجل الصنم مصطفى كمال أتاتورك ، مقدّمة المترجم .
(100) – محمد، عبدالله يوسف سهر : مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين، ص 21
(101) – يكن، فتحي : العالم الاسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري، ص ص 54 ، 65
(102) – مانع الجهني : المرجع السابق، 702/2
(103) – ينظر عبدالله محمد : المرجع السابق، ص 22
(104) – فيلكس، فارس : رسالة المنبر إلى الشرق العربي، ص 75
(105) – مانع الجهني : المرجع السابق، 703/2
(106) – ينظر محمود الحياني : المرجع السابق ، ص 107
(107) – عبدالله محمد : المرجع السابق ، 27
(108) – حسين، طه : في الشعر الجاهلي، الصفحات 38– 40،41
(109) – حسين، طه : مستقبل الثقافة في مصر، ص 24
(110) – موسى، سلامة : البلاغة العصرية واللغة العربية، ص ص 10،11
(111) – موسى، سلامة : اليوم والغد، ص 61
(112) – ينظر المرجع نفسه، ص 65

قائمة المصادر والمراجع

أولا – المصادر

– ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد "ت:630هـ" (1987م) : الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

ثانياً – المراجع العربية

– إبراهيم، عبدالله (2010م): الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، دار الأمان، ط1، الرباط .

ـــ : المطابقة والاختلاف (المركزية والغربية) (1997م)، المركز الثقافي العربي ، ط1، الدار البيضاء .

– بني المَرجة، موفق (1984م) : صحوة الرجل المريض، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر والتوزيع ،الكويت .

– بهادي، منير(2002م): الاستشراق والعولمة الثقافية ، دار الغرب للنشر والتوزيع، ط1، وهران .

– التل، عبدالله (1971م) : جذور البلاء ، دار الإرشاد للطباعة والنشر ، ط1، بيروت .

– الجابري، صلاح (2009م) : الاستشراق (قراءة نقدية) ، دار الأوائل للنشر والتوزيع، ط1، دمشق .

– الجهني، مانع بن حماد (1420هـ) : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، الرياض .

– حسين، طه (1998م) : في الشعر الجاهلي، دار المعارف للطباعة والنشر، ط2 ،سوسة .

ـــ : مستقبل الثقافة في مصر (1996م)، دار المعارف، ط2، القاهرة .

– الحيّاني، محمود خليف خضير (2013م) : الاستشراق والاستغراب، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، عمان .

– الخطيب، محمد (د.ت) : الحضارة الإغريقية، المنارة للانتاج الإعلامي والفني ، بيروت .

– داغر، يوسف أسعد(1961م): مصادر الدراسات الأدبية من العصر الجاهلي إلى عصر النهضة، المطبعة المخلصيّة، ط2، بيروت .

– زقزوق، محمود حمدي(1404هـ): الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار القلم للطباعة والنشر، ط1، الكويت .

– السامرائي، قاسم (1983م) : الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعي للنشر والطباعة، والتوزيع، ط1 الرياض .

– السباعي، مصطفى (د. ت) : المستشرقون ما لهم وما عليهم، دار الوراق للنشر والتوزيع، عمان .

– سمايلوفتش، أحمد (1998م) : فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة .

– شاكر، محمود (1996م): موسوعة التاريخ الإسلامي (التاريخ المعاصر – تركيا) ، المكتب الاسلامي، ط2، بيروت .

– الشيخ، أحمد (2000م) : من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب، المركز العربي للدراسات الغربية، ط1، القاهرة .

– الصلابي، علي محمد(2001م): الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الاسلامية، ط1، القاهرة .

– الطيار، فهد بن عايش بن محمد (2002م): فتح القسطنطينية (857هـ/1453م)، النادي الأدبي بمنطقة تبوك، ط1 تبوك .

– العراقي، عاطف (1998م) : العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة .

– علي، جواد (2001م) : المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار السّاقي، ط4، بيروت .

- عمايرة، إسماعيل أحمد(1992م): المستشرقون وصلتهم بالعربية، بحث في الجذور التاريخية للظاهرة الاستشراقية: دار حُنين للنشر والتوزيع وخدمات الطباعة، ط3، عمان .
- عمر، عمر عبدالعزيز(1992م) : دراسات في التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية .
- عمران، محمود سعيد(1986م): معالم تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الاسكندريّة .
- العمري، نادية شرف(2001م) : أضواء على الثقافة الاسلامية، مؤسسة الرسالة، ط 9، بيروت .
- أبوغنيمة، زياد(1983م) : السلطان المجاهد محمد الفاتح: دار العرفان، ط1، عمان .
- فرج، نعيم (2000م) : الحضارة الأوربيّة في العصور الوسطى ، الجمعية التعاونية للطباعة، ط2، دمشق .
- فريد، محمد (1981م) : تاريخ الدولة العلية العثمانية، تج : إحسان حقي، دار النفائس، بيروت .
- فيلكس، فارس (1936م) : رسالة المنبر إلى الشرق العربي، مطبعة المستقبل ، ط1، د.م .
- قاسم، عبده قاسم (1990م) : ماهيّة الحروب الصليبية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- قطب، محمد (1997م) : واقعنا المعاصر، دار الشروق، ط1، القاهرة .
- الكعبي، عبدالحكيم (2009م) : عصر الخلفاء الراشدين، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان .
- محمد، عبدالله يوسف سهر(2001م): مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط1، أبوظبي .
- المطوي، محمد العروسي (1982م) : الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الاسلامي، ط2، بيروت .
- معاليقي، منذر (1997م) : الاستشراق في الميزان، المكتب الاسلامي، ط1، بيروت .
- موسى، سلامة (د . ت) : البلاغة العصرية واللغة العربية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة .
- ـــ : اليوم والغد (د.ت) ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة .
- مؤنس، حسين (1992م) : معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، ط2، القاهرة .
- الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة (2000م): أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، دار القلم، ط8، دمشق .
- النبهان، محمد فاروق(2012م) : الاستشراق تعريفه، مدارسه، آثاره ، المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو، الرباط.
- ابن نبي، مالك(1969م): إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الاسلامي الحديث، دار الإرشاد للطباعة والنشر، ط1، بيروت.
- نذير، حمدان (1988م) : مستشرقون سياسيون – جامعيون – مجمعيون ، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع،ط1،الطائف.
- النملة، علي بن إبراهيم(2010م): نقد الاستشراق والمستشرقين في المراجع العربية، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، ط1،بيروت .
- ـــ : الالتفاف على الاستشراق محاولة التنصل من المصطلح (2007م)، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض .
- نوار، عبدالعزيز سليمان، ومحمود محمد جمال الدين(1999م): التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة .
- هرنك، إسماعيل (1988م): تاريخ الدولة العثمانية، دار الفكر الحديث، بيروت .
- وهبي، مصطفى (1997م) : موجز تاريخ الحروب الصليبية، مكتبة الإيمان، ط1، المنصورة .
- ياغي، إسماعيل أحمد (1998م): الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، ط2، الرياض .

– يَكن، فتحي(1983م): العالم الاسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت.

ثالثاً – المراجع الأجنبية المُترجمة

– أسد، محمد (د.ت) : الاسلام على مفترق الطرق، تج : عمر فرّوخ ، دار العلم للملايين، د. م .

ـــ : الطريق إلى الاسلام (1955م)، تج: عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت .

– بارت، رودي(2011م): الدراسات العربية الاسلامية في الجامعات الألمانية، تج: مصطفى ماهر، المركز القومي للترجمة، القاهرة

– توماس،سير، أرنولد (1971م): الدعوة إلى الإسلام ، تج : حسن إبراهيم حسن، وآخرون، مكتبة النهضة المصرية القاهرة،.

– توماس، كارل جي (د.ت) : عالَم الاسكندر الأكبر ، تج: خالد غريب علي ، مؤسسة هنداوي، د.م .

– جِب، هاملتون (1961م): الاتجاهات الحديثة في الإسلام، تج : جماعة من الأساتذة الجامعيين، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ط1، بيروت .

– جورافسكي، أليسكي (1996م) : الإسلام والمسيحية، تج : محمد حمدي زقزوق، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت

– جوزيف شاخت، وكليفورد بوزورث(1990م): تراث الاسلام، تج: شاكر مصطفى، المجلس الوطني للثقافة، الكويت .

– دوزي، رينهَرت (1998م): المسلمون في الأندلس، تج: حسن حبشي، مطابع الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة .

– رودنسون، مكسيم : الصورة الغربية والدراسات الغربية للاسلام، ضمن كتاب : تراث الاسلام، تصنيف: جوزيف شاخت، وكليفورد بوزورث (1990م) تج: شاكر مصطفى، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت .

– ساردار، ضياء الدين (2011م): الاستشراق صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية ، تج : فخري صالح ، هيأة أبو ظبي للسياحة والثقافة ، ط1(أبوظبي،.

– سوذرن، ريتشارد(2006م): صورة الاسلام في أوربا في القرون الوسطى، تج : رضوان السيد، دار المدار الاسلامي، بيروت .

– ضابط تركي سابق(2013م): الرجل الصنم مصطفى كمال أتاتورك، تج: عبدالله عبدالرحمن، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، عمان

– طاليس، أرسطو (د.ت) : السياسة ، تج : أحمد لطفي السّيّد ، الدّار القومية للطباعة والنشر، القاهرة .

– لوبون، غوستاف(2013م) : حضارة العرب، تج: عادل زعيتر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة .

– هـ، د، كيتو (1962م) : الإغريق ، تج : عبدالرازق يسري، دار الفكر العربي، بيروت .

– هنتش، تييري (2004م) : الشرق المُتخيّل: رؤية الغرب إلى الشرق المتوسطي، تج : غازي برو، وخليل أحمد خليل، دار نشر الفارابي، ط1، بيروت .

– هونكة، زيغريد (1993م): شمس العرب تسطع على الغرب، تج : فاروق بيضون، وكمال الدسوقي، دار الجيل، ط8، بيروت .

رابعاً – المراجع الأجنبية

– Payne, Robert : The holy sword, Library of Congress, (New York, 1959)

- Lewis, Bernard: " The Question of Orientalism." In New York Review of Books, June, 24 1982.

خامساً – الدوريات

– جحا، ميشال (خريف 1994 م) : عمر فرّوخ والاستشراق، مجلة الاجتهاد، العدد الخامس والعشرون، السنة السادسة، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت .

– حنفي، حسن (خريف 2015م) : الاسغراب في مواجهة التغريب، مجلة الاستغراب ، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية العدد الأول، السنة الأولى، بيروت .

– العنزي، طالب جاسم، وساجدة الحسّاني (صيف 2018م) : أبعاد ومحددات الرؤية الاستشراقية في دراسة التراث والتاريخ الاسلامي، مجلة دراسات استشراقية، العدد 15، جامعة الكوفة، الكوفة .

– الغزالي، مشتاق بشير حمود (2003م): نظرتنا إلى الاستشراق، مجلة الغدير ، العدد الثاني، السنة الأولى، جامعة الكوفة، الكوفة

– قجال، نادية (أكتوبر/ ديسمبر، 2009م): الوظائف الأساسية للرسم الاستشراقي قبيل وإبان الاستعمار الغربي للعالم الاسلامي، مجلة انسانيات، العدد 46، وهران .

– النابلسي، محمد أحمد(تموز/يوليو 1995م) : قراءة نفسية في الفكر الاستشراقي، مجلة الموقف الأدبي، العدد 291، مكتبة الروضة الحيدرية، دمشق .

سادساً – المواقع الالكترونية

– وزارة الدفاع في الجمهورية العربية السورية : نصّ المادة 22 من صك عصبة الأمم، وهي المادة التي بني عليها نظام الانتداب الصادر في 24 تموز 1922م . http://www.mod.gov.sy/index.php?node=554&cat=1137

الأسواق في مدينة القيروان في عهد الفاطميين

[297 – 361 هـ / 909 – 971 م]

دلال رزق الله عبدالله فضل الله

عضو هيئة التدريس قسم التاريخ / بآداب المرج

جامعة بنغازي

ملخص الدراسة

ساعد الاستقرار السياسي في مدينة القيروان في العصر الفاطمي على ازدهار التجارة النسبي الذي شهدته المنطقة في هذا الفترة ، فكانت الأسواق فيها منظمة ومشمولة . بمراقبة الدولة ، فضلاً عن تأمين التجارة المتجهة إلى القيروان من قطاع الطرق واللصوص ، مما أتاح لقوافل التجارية أن تسير بأمان من وإلى القيروان إلى كافة أنحاء البلدان .

ومن خلال المادة التي تم تجميعها تم تقسيم الدراسة إلى مبحثين فضلاً عن مقدمة حول أهمية دراسة الموضوع كما تم عرض أهم النتائج التي توصلت إليه الدراسة ، قد خصص المبحث الأول لحديث عن تأسيس المدينة ، والأسواق وتنظيمها في عهد الأغالبة ، أما المبحث الثاني فقد تناولت الدراسة فيه الأسواق وتنظيمها في عهد الفاطميين ، وفي هذا المبحث تركزت الدراسة على تنظيم الأسواق وأدارتها طرق التعامل في الأسواق ، فقد تم الحديث في هذه الفقرة عن النظم المالية المتمثلة في السكة ، والمكوس ، ولموازين والمكاييل ، الصكوك ، الصيرفة ، كما تم الحديث عن طرق البيع والشراء ، حيث تم عرض الباعة الجائلون ، المقايضة ، المضاربة ، الاحتكار ، الشراكة .

المبحث الأول

1 – تأسيس مدينة القيروان .

2 – الأسواق وتنظيمها في عهد الأغالبة .

المبحث الثاني :

1 – الأسواق وتنظيمها في عهد الفاطميين .

أ – تنظيم الأسواق وادارتها .

ب – طرق التعامل في الأسواق .

أولاً : النظم المالية :

1 – السكة (العملة)

2 – المكوس .

3 – الموازين والمكاييل .

4 – الصكوك .

5 – الصيرفة .

ثانياً : طرق البيع والشراء .

ا – الباعة الجائلون .

ب – المقايضة .

ج – المضاربة .

د – الاحتكار .

هـ – الشراكة .

Abstract

Political stability in the city of Kairouan in the Fatimid period helped the relative prosperity of the region in this period, and the markets were organized and covered. With state control, in addition to securing trade destined for Kairouan from bandits and thieves, which allowed commercial caravans to travel safely to and from Kairouan to all parts of the country.

Through the material that was collected, the study was divided into two topics, as well as an introduction about the importance of studying the topic. The most important results of the study were presented. Markets and their regulation in the era of the Fatimids, and in this topic the study focused on the regulation of markets and their management of methods of dealing in markets, it was discussed in this paragraph about the financial systems represented by rail, excises, and for scales and measures, sukuk, banking, as was talking about buying and selling methods, Where the street vendors were offered, barter, speculation, monopoly, partnership.

المقدمة

ساعد الاستقرار السياسي في مدينة القيروان على الازدهار التجاري النسبي الذي شهدته المنظمة في هذه الفترة ، فكانت الأسواق فيها منظمة ومشموله بمراقبة الدولة ، فصلاً عن تأمين التجارة المتجهة إلى القيروان من قطاع الطرق واللصوص ، مما أتاح للقوافل التجارية ان تسير بأمان من وإلى القيروان وإلى كافة أنحاء البلدان .

كما عرف عن النشاط التجاري في القيروان التنظيم والتخطيط ، نظراً لقدم المدينة من جهة ولأهميتها من جهة أخرى ولهذا نجد النظم المتبعة فيها تطبق في مدن المغرب الأخرى .

وترجع أسباب اختيار هذه الدراسة التي تتناول موضوع الأسواق في مدينة القيروان في عهد الدولة الفاطمية (297 – 361 هـ / 909 – 971 م) لمعرفة مدى أهمية النشاط الجاري لهذه المدينة في تلك الفترة ، وقد كانت كثرة العيد من المصادر والمراجع عاملاً مشجعاً لاختيار هذا الموضوع .

كما اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي السردي الوصفي لإبراز بعض الحقائق في محاولة الوصول إلى نتائج هامة ، وذلك عند عرض بعض النظم المالية ، وطرق البيع والشراء هذا وقد اقتضت الدراسة أن أقسم الموضوع إلى مقدمة ومبحثين ،وخاتمة ، تحدث المبحث الأول عن تأسيس المدينة ، والاسواق وتنظيماتها في عهد الأغالبة .

أما المبحث الثاني فقد تناولت الدراسة فيه الأسواق وتنظيماتها في عهد الفاطميين ، وفي هذا المبحث تركزت الدراسة على تنظيم الأسواق وإداراتها ، كما تم عرض طرق التعامل في الأسواق ، فقد تم الحديث في هذه الفقرة . عن النظم المالية المتمثلة في السكة ، والمكوس ، الموازين ، والمكاييل ، الصكوك ، الصيرفة ، كما تم الحديث عن طرق البيع والشراء ، حرث تم عرض الباعة الجائلون ، المقايضة ، المضاربة ، الاحتكار ، الشركة ، ثم عرض أهم نتائج البحث .

المبحث الأول

1 – تأسيس مدينة القيروان :

كان المسلمون يخرجون لغزو إفريقيا وينتصرون في غزوهم ثم يعودون إلى برقة أو مصر أو دمشق وذلك لبعد خطوط مواصلاتهم ، ولذلك كان من الضروري للمسلمين إيجاد معسكر أو مدينة من أجل الإقامة فيها [1]، وعندما أسند أمر أفريقيا إلى عقبه بن نافع (50 – 64 هـ / 671 – 685 م) سنة 50 هـ / 671م جعل أول أمر يقوم به هو أن يؤسس القيروان فتأسيس هذه المدينة كان لهدفين الأول ديني ، وهو تبليغ دعوة الله ، والهدف الثاني عسكري وهو الدفاع عن هذه الدعوة [2].

كما سعى عقبة بن نافع على أن تكون هذه المدينة مركزاً علمياً مملوءً بالعلماء والفقهاء والمطيعين لله، ولقد كانت عزاً للإسلام وأهله حيث كانت مركزاً حربياً ومدينة للمجاهدين وجامعة لتعليم اللغة ومبادئ الدين[3].

وكان في المدينة إلى جانب المراكز العلمية توجد الأسواق ومن أشهر الأسواق سوق السماط[4] ، مما يدل على أنه قد روعي عند تخطيط عقبة للمدينة أهمية السوق والتجارة والصناعات[5] ،وإلى جانب هذا السوق الكبير المشتمل على جميع أنواع المتاجر والصناعات أسواق أخرى متخصصة لأغراض الحرف والصنائع كسوق الصيارفة والذي كان معد للعمليات المالية ، وسوق الجوهرين ، وسوق البركة ، وسوق الأحد للمنسوجات الصوفية ، وسوق الكتانين ، وإلى غير ذلك من الأسواق البيع والشراء والتعامل[6].

---

(1) محمد محمد زيتون ، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية ، القاهرة ، دار المنار ، 1988م ، ص 81 .

(2) ابن عذاري ، أبو القاسم أحمد بن محمد ، ت بعد 712هـ / 1312م ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج1 ، بيروت ، مكتبة صادر ، 1950م ، ص 29 .

(3) محمد زيتون ، المرجع السابق ، ص 82 .

(4) سوق السماط الكبير : وهو عبارة عن شارع طويل مسقوف تصطف الدكاكين والحوانيت على جانبيه ، ويمتد من الجنوب إلى الشمال موازياً لطول المدينة ، من باب أبي الربيع ، إلى باب تونس مروراً بالمسجد الجامع على مسافة تقدر بنحو ميلين ، انظر : البكري (أبو عبيد الله بن عبدالعزيز ، ت 487هـ/1094م) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، دار الكتاب الإسلامية ، القاهرة ، د.ت ، ص 217 .

(5) محمد زيتون ، المرجع السابق ، ص 94 .

(6) المقدسي : (شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي ، ت 380هـ / 990م) : أحسن التقاسيم في مصرفة الأقاليم ، ليدن ، ط2 ، 1906م ، ص 225 .

وعندما تولى حسان بن نعمان (74هـ - 86هـ / 507 - 693 م) ولاية أفريقية التفت إلى مسجد القيروان[1] فبناه بناءً حسناً وجدده وذلك في شهر رمضان من سنة (84هـ/ 517 م) [2] ، وكان المسجد يتوسط المدينة وتحيط به الأسواق[3] .

وقد شاهدت مدينة القيروان تحصينات عديدة ، حيث قام محمد بن الأشعث (141-143هـ / 758 - 760م) سوراً للمدينة يحميها من الداخل والخارج ، حيث احتوت المدينة من الداخل على أربضه ، وحارات وشوارع ، وأسواق عامرة من أشهر أسواقها سوق اليهود وسوق الأحد [4].

كما أصبحت القيروان عاصمة للأغالبة في عهد ابراهيم ابن الأغلب (184 - 196هـ/ 800-811م) وقد قام بأنشاء مدينة تبعد عن القيروان مسافة ثلاثة أميال من الناحية الجنوبية لتكون قاعدة عسكرية له ، وقد عرفت المدينة بعدة أسماء[5] فسميت بالعباسة اظهاراً لطاعة الأغالبة العباسيين وإرضاء لهم ، كما سميت بالقصر القديم[6] ، تمييزاً لها عن مدينة القصر الجديد " رفادة " [7] .

كان تخطيط المدينة مصمماً على أن تكون عاصمة للإمارة ، حيث زودت بأبنية ليزاول من خلالها الأمير حكم إمارته ، فكانت الدواوين ، ودار لضرب وسك العملة ، والأسواق وغيرها من المباني الحيوية [8].

وفي عهد إبراهيم بن أحمد (261هـ/875م) تم بناء مدينة جديدة[9] اختار لها موقع يبعد عن القيروان مسافة أربع أميال[10] من ناحية الجنوب وتسمى هذه المدينة مدينة رفادة ، وقد أضاف إلى هذه المدينة العديد من المنشآت كالحمامات ، والفنادق ، والمساجد ، والأسواق ، فغدت بذلك مركزاً للتجارة [11].

---

[1] يعد مسجد القيروان من أقدم المساجد ، فقد بناه عقبة بن نافع ومن معه من الصحابة والتابعين سنة 50هـ / 670م ، وأعاد بناءه الأمير زيادة الله الأول ، ليصبح أثراً باقياً إلى اليوم من آثار الأغالبة ، انظر سعد زغلول عبدالحميد تاريخ المغرب العربي ، ج2 ، الإسكندرية ، دار المعارف ، 1979م ، ص 73 .

[2] الدباغ ، عبدالرحمن بن محمد الأنصاري ، 696هـ / 1296م ، معالم الايمان في مصرفة أهل القيروان ، ج1 ، تحقيق محمد الأحمد أبو النور ، ومحمد ما ضور ، تونس ، المكتبة العتيقة بتونس ، د. ت ، ص 67 .

[3] المقدسي ، المصدر السابق ، ص 224 .

[4] محمد زيتون : المرجع السابق ، ص 83 .

[5] ابن عذاري : المرجع السابق ، ج1 ، ص 117.

[6] محمد زيتون ، المرجع السابق ، ص 89 .

[7] ابن أبي دينار (أبوعبدالله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ، ت 110هـ / 1698م) ، المؤسس في تاريخ إفريقية وتونس ، بيروت ، دار المسيرة ، 1963م ، ص 52 .

[8] السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ج2 ، بيروت ، دار النهضة ، 1981م ، ص 455 .

[9] ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ، ت 681هـ / 1282) : وفيات الأعيان ، وأبناء الزمان ، ج3 ، تحقيق : إحسان عباس ، بيروت ، دار صادر ، 1975م ، ص 119 .

[10] البكري : المصدر السابق ، ص 27 .

[11] زاهر رياض : شمال إفريقيا في العصور الوسطى ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، 1981م ، ص 71 .

أما في عهد الخلافة الفاطمية (358 – 567 هـ/ 969 – 1157 م) فقد تم بناء مدينة في عهد الخليفة المنصور (334 – 341هـ/945 – 952م) أطلق عليها اسم المنصورية وهي تبعد نصف ميل من القيروان وقد نقل إليها أسواق القيروان [1].

2 – الأسواق وتنظيماتها في عهد الأغالبة :

أولاً : تعريف السوق :

السوق من الناحية اللغوية : هي كلمة مشتقة من تسويق الناس بضائعهم[2]، وهي تعني موضع البياعات ، والسوق التي يتعامل فيها[3] ويقال تسوق القوم إذا باعوا واشتروا ، وجمعها اسواق[4] والسوق هو الموضع الذي يجلب فيه المتاع والسلع للبيع والابتياع[5] .

أما من الناحية الاصطلاحية : فيعرفه ابن خلدون فيقول (اعلم ان الأسواق كلها تشتمل على حاجات الناس فمنها الضروري وهي الأقوات من الحنطة وما في معناها والبصل والثوم واشباهه ومنها الحاجي والكمالي مثل الآدام والفواكه والملابس والماعون والمراكب وسائر المصانع والمباني) [6].
ويعرف أيضاً أنه كل مكان واقع فيه التبايع بين من يتعاطى البيع[7] بين الناس اين توجد المحلات والمتاجر ، ويكثر الباعة والتجار واصحاب الحرف [8].

كان اهتمام أمراء الأغالبة بتنظيم الأسواق في كافة أرجاء الإمارة ، وخاصة في العاصمة (القيروان)، وتأمين طرق التجارة المؤدية إلى تلك الأسواق ، وتطهيرها من قطاع الطرق اللصوص ، دوراً إتاحة الفرصة القوافل التجارة أن تسير في أمان [9].

---

(1) ابن خلدون (عبدالرحمن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي ، بيروت ، ت 808هـ / 1406م) : العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن ذوي السلطان الأكبر ، ج4 ، مراجعة : سهيل زكار ، بيروت ، دار الفكر ، 2000م ، ص 45 .
(2) ابن سيد أبو الحسن على بن اسماعيل (ت 458 هـ / 1065 م) : المخصص ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لينان ، ج12 ، د.ت، ص 255 .
(3) ابن منظور : لسان العرب ، تحيق ، عبدالله على الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ، م ج 3 ، ج24 ، ص 54 .
(4) نفس المصدر السابق والصفحة .
(5) المعجم الوسيط : مكتبة الشروق الدولية ، ط4 ، مصر ، 2004 ، ص ص 694 ، 695 .
(6) ابن خلدون : المقدمة ، ط1 ، دار التونسية ، للنشر والتوزيع ، تونس ، 1984م ، ص 453 .
(7) احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 773 هـ - 852 هـ) : فتح الباري بشرح الصحيح البخاري ، تحقيق ، محمد فؤاد عبدالباقي ، محمد الدين خطيب ، المكتبة السلفية ، د.ت ، ج4 ، ص 342 .
(8) محمد عبدالعظيم يوف احمد : الرقابة على الأسواق الأندلسية من القرن الرابع حتى السابع هجري ، الحادي عشر ، الثالث عشر الميلادي ، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية ، مج1 ، العدد 1 ، 2013 ، ص 57 .
(9) عبدالحميد حسين حمودة : أسواق القيروان في عصر الأغالبة 184 – 296هـ / 800 – 909م ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، 2006 م ، ص 3 .

وكانت العاصمة القيروان تمثل أهمية اقتصادية كبيرة بالنسبة للإمارة ، فقد ظهرت فيها مجموعة من الأسواق التي ساعدت على تنشيط التجارة الداخلية والخارجية ولم تكن الأسواق القيروان أهمية من حيث تعددها ، وتنوع اختصاصات فحسب ، بل كانت تؤثر في أسعار أسواق المدن الأخرى ، وتتخذها نموذجاً من حيث التنظيم ، وتطبيق قواعد الحسبة [1].

ومجاراة للازدهار التجاري الذي شهدته الإمارة ذلك الوقت، فقد حدث تنظيم جديد للسواق ، وخاصة في العاصمة القيروان استطاع من خلاله الأمير زيادة الله الأول من إنشاء حوانيت جديدة وسط المدينة ، حول المسجد الجامع ، على غرار أسواق المدن الإسلامية ، واطلق عليها السماط الكبير ، وهي بمنزلة السوق المركزية المعروفة (بالقيصريات) وهي قسم من الأسواق معد للصناعات[2] .

وكان اهتمام الأمراء بهذا النوع من الأسواق ، وأشرافهم المباشر على بنائها ، نتيجة لكونها مخصصة لبيع الجواهر (الذهب ، والفضة) ، والصيرفة ، الحديد ، والطراز ، والتحف ، والهدايا ، فضلاً عن كون هذه الأسواق ، ملك لهم ،ينتفعون بما بدره عليهم من الأموال ، إذ لا يرخص لغيرهم إقامة مثل هذه الأسواق [3].

وكانت هذه الأسواق تخضع لنظام رقابي صارم ، عرف بنظام الحسبة ، حيث أطلق يد المحتسبين ، والقضاة ، أمثال سحنون بن سعيد[4] ، وحبيب بن نصر التميمي[5] ، وعبدالله بن الوليد[6] ، في معاقبة المخالفين ونفي البعض منهم من الأسواق ، ومنع دخولهم إليها ، بل ومنعهم نهائياً من مزاولة مهنة البيع والشراء ، كما كان على التاجر أن يلتزم بسعر يتفق عليه مع جيرانه من التجار[7] .

كما عرفت الأمارة أنواعاً أخرى من الأسواق ، منها ما ينعقد في أيام معلومة من الأسبوع [8] كالسوق الذي كان ينعقد غربي القيروان[9] ، بالقرب من ماجل مهرية [10] يومي الأحد ، والخمسين من كل أسبوع ، ويعد

---

[1] الحبيب الجنحانى : القيروان عبر ازدهار الحضارة الإسلامية فى المغرب الإسلامي ، تونس ، الدار التونسي للنشر ، 1968 م ، ص 67 .

[2] عبدالحميد حسين حمودة : المرجع السابق ، ص 15 .

[3] حسن حسنى عبدالوهاب : ورقات عن الحضارة الغربية الإفريقية ، ج2 ، تونس ، دار المنار ، 1972م ، ص 72 ، 73 .

[4] المالكي (أبوبكر عبدالله . بن محمد ، ت 453هـ/1061م رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيا وزهادهم ونسكاكهم وسير أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، ج1 ، تحقيق بشير البكوش ، محمد العروسي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط1994 م ، ص 507 .

[5] ابن عذاري : البيان ، ج1 ، ص 111 .

[6] عبدالحميد حسين : المرجع السابق ، ص 73 .

[7] (يحيى الأصل الإفريقي الموطن ، ت 289 هـ / 901م) : النظر والاحكام في جميع أحوال السوق ، رواية أبي جعفر أحمد القصري القيرواني ، تونس ، الشركة التونسية للتوزيع ، 1973 ، ص 31 – 33 .

[8] المقدسي : حسن التقاسيم ، ص 225 .

[9] المصدر نفسه ، ص 226 .

[10] المالكي : نفس المصدر السابق ، ص 312 .

هذا السوق من أكبر أسواق القيروان ، وتباع فيه الأقمشة ، ومستلزمات صيانتها وإصلاحها ، والأواني الفخارية والزجاجية [1].

– نظم المعاملات التجارية في الأسواق :

يعتبر الرطل البغدادي[2] من أشهر المعاملات التجارية[3] واعتمد كأساس لقياس جميع الموزونات والمكاييل[4] ، ومن المكاييل المستخدمة فكان قفيز القيروان ، وهو مكيال للحبوب والمواد الجافة[5] وكما كان يستخدم أيضاً القسط وهو يستخدم لكيل الزيوت ، ويقدر بنصف صاع[6].

وبفضل هذه المعاملات التجارية الي كانت قائمة في تلك الفترة اصبحت القيروان من أهم المراكز التجارية في الأمارة .

وفي سنة 275 هـ/888م قام الأمير الأغلبي بضرب دراهم خالصة العيار وجعل كل عشرة منها تساوي ديناراً ذهبياً وقد سماها العشارية وأمر بقطع التعامل بالمقطوع من الدراهم التي كانت تتخذ قبل ذلك ، وأدى هذا الإصلاح النقدي في القيروان إلى أن صارت الدنانير والدراهم تؤخذ صرفاً لا وزناً [7].

المبحث الثاني

– الأسواق وتنظيماتها في عهد الفاطميين :

أ – تنظيم الأسواق وإدارتها :

أهتم خلفاء الفاطميين بأسواق المدينة ، ومن أشهر الاسواق التي أهتموا بها سوق السماط لذلك اتخذت الدولة الفاطمية بعض الرسوم والتنظيمات في هذا السوق الضخم ، لما يتميز به من كثافة الحركة وشدة الزحام وباعتباره الطريق الرئيسي ، ومن أهم تلك التنظيمات الأمر بسوق حمل تبن ، ولا حمل حطب ، ولا يسوق أحد فرس بها[8] .

---

[1] البلاذري (أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر ، ت 779هـ/892م) : فتوح البلدان ، بيروت ، دار مكتبة الهلال ، 1983م ، ص 327

[2] الرطل البغدادي : الرطل في بغداد يعني مائه وثلاثون درهماً ، الرطل اثنا عشر أوقية ، أنظر : موسى لقبال : الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي ، نشأتها وتطورها ، لجزائر ، الشركة الوطنية للنشر ، 1971م ، ص 73.

[3] المقدسي : المصدر السابق ، ص 240 .

[4] عبدالحميد حسين : أسواق القيروان ، ص 41 .

[5] المقدسي : المصدر السابق ، ص 240 .

[6] ابن سلام : (أبي عبيد الله القاسم ، ت 224هـ/ 838م) : الأموال ، بيروت ، مؤسسة ناصر للثقافة ، 1981م ، ص 207 .

[7] ابن عذاري : المصدر السابق ، ج1 ، ص 120 ، 121 .

[8] عبدالمنعم سلطان : الاسواق في العصر الفاطمي ، مؤسسة شباب الجامعة ، 1997 م ، ص 20 .

ويعتبر هذا السوق هو السوق الرئيسي لمدينة القيروان من المواد الغذائية المتمثلة في الخضروات والفواكه واللحوم وغيرها ، وكان لكل سوق أوزانه ومقاييسه الخاصة به .

وكانت لكل حرفة في مدينة القيروان سوق خاص بها كما ذكرنا سابقاً ، واحتفظت بعض الأسواق بعرض السلع التي تنتج في المدينة أو تستورد من الخارج [1].

كما كان لكل سوق ما يميزه عن غيره من الأسواق الأخرى في المدينة الواحدة فقد كانت هناك أسواق متخصصة في بيع بضاعة أو صناعة ما ، كأسواق الصيارفة والأساكفة ، والصاغة والبرازين[2] وهناك أسواق الحبوب والبذور على اختلاف أنواعها وكانت هناك مجلات أو خانات خاصة لها في الأسواق[3] فهناك أسواق القطن وما يترتب عليه من عروض للصناعات القطنية كالملابس والانسجة الأخرى[4] ومن أسواق القيروان في العهد الفاطمي أسواق الحلويات[5]، كما وجدت أسواق السراجون والأساكفة ، والخشابون والحياكة ، والنساجون ، والصافون ، والزياتون ، وأسواق الورق والزجاجون وغيرها من أصناف الصناعة والتجارة[4] كما وجدت أسواق المصنوعات الذهبية وصناعة الأواني والخزف والصناعات الخشبية ، والأدوات المنزلية وأسواق الصناعات الجلدية كالسراجة والأحذية والاحزمة والحياكة والملابس . وغيرها من الصناعات المتنوعة [6].

ولما كان السوق هو المحور المركزي الأساسي للنشاط المالي والاقتصادي ، فقد كانت اسواق القيروان كغيرها من الأسواق الإسلامية تعج بالتجار والسماسرة الذين يقومون بعمليات البيع والشراء[7] ومن هنا توافرت في أسواق القيروان في العهد الفاطمي المستلزمات الضرورية لتأمين حاجة الباعة والتجار وراحتهم فيما عرف بالمنشآت التجارية حيث الباعة كان من اللازم تهيئة السبل أمام التجار والأجانب منهم خاصة حتى يستطيعوا مزاولة أعمالهم دون عناء كبير وحتى يتيسر للخلافة أداء واجب الإشراف على الوجه الأكمل[8] ولهذا أقيمت في معظم أجزاء القيروان في العهد الفاطمي عمائر تجارية وإن اختلفت طرز عمارتها إلا أنها جميعاً أنشئت لتحقيق غرض واحد وهو خدمة الحركة التجارية [9].

---

[1] محمد زيتون : المرجع السابق ، ص 94 .
[2] نفس المرجع ، ص 78 .
[3] عبدالمنعم عبدالحميد سلطان : المرجع السابق ، ص 16 .
[4] المرجع السابق ، ص 39 .
[5] محمد زيتون : المرجع السابق ، ص 161 .
[4] البكري : المصدر السابق ، ص 32 .
[6] عبدالمنعم عبدالحميد ، الأسواق في العصر الفاطمي ، ص 19.
[7] المرجع نفسة ، ص 37 .
[8] ابن عذاري ، ج1 ، 169 .
[9] راشد البراوي : حالة مصر ، الاقتصادية في عهد الفاطميين ، القاهرة ، 1988م ، ص 271 ، 272 .

حيث أقامت بعض القياسر التي كان يلحق بها مساجد للتجار المسلمين[1] بالإضافة إلى بعض الحوانيت والدكاكين والحمامات وغير ذلك من الضمانات للراغبين فيها .

ومن العمائر التي أقيمت في العهد الفاطمي الفنادق كانت فنادق أسواق القيروان في العهد الفاطمي لا تختلف كثيراً عن الفنادق التجارية في المدن الإسلامية ، فكان الفندق عبارة عن بناء ضخم مربع . على شكل حصن ، امتدت خارجية حدائق غرست بها بعض الأشجار ، وكان الفندق يتألف من عدة طوابق ، وفي الدور الأرضي منه كانت توجد المخازن والحوانيت التي تطل على فناء داخلي فسيح خاص بتعبئة البضائع وتفريغها ، بينما تضم أدواره العليا مساكن التجارة التي كانوا ينامون فيها ، ويغلقون غرفهم بأقفال روميه[2] .

ويضيق ابن حوقل[3] " ولغير المياسر فنادق وخانات يسكنها أهل المهن وأرباب الصنائع بالدكاكين المعمورة ، والحجر المسكونة والحوانيت المشحونة بالبضائع .... إلى غير ذلك في اصناف اسواقهم الفنادق المملوء بذوي الصنائع منهم " .

وأقيمت الفنادق أصلاً للتجار الأجانب ، وسمح لكل جاليه منهم بأن يكون لها فندق ، كما سمحت الدولة الفاطمية لهم بممارسة شعائر دينهم داخل الفنادق الخاصة بهم [4].

ب – طرق التعامل في الأسواق :

عرفت أسواق القيروان في العهد الفاطمي عدة أنواع من التعامل التجاري سواء اكان هذا التعامل بين تاجر وآخر أم بين تاجر ومستهلك ، ومن هذه الأنواع التعامل بالبيع نقداً ، والبيع بالآجل الذي جرت العادة على توثيق ثمنه[5] والبيع بالتقسيط والمقايضة [6].

أولاً: النظم التجارية :

1 – **السكة (العملة) :** يعرف ابن خلدون السكة بقولة : " السكة هي الختم على الدينار والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك

---

(1) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص 293 .
(2) آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج2 ، ترجمة عبدالهادي أبو رويدة ، عصر النهضة ، القاهرة 1947م ، ص 387 .
(3) ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي ، ت367 هـ/977م) صورة الأرض ، بيروت لبنات ، 1979م ، ص 381 .
(4) جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، دار الفكر العربي بيروت ، 1969م ، ص 155 .
(5) ابن القاضي المكناسي (ابو العباس أحمد بن محمد ، ت 1025هـ/1616م) : جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام بمدينة فأس ، ج1 ، الرباط ، دار المنصور للطباعة 1973 م ، ص 118 .
(6) نفس المصدر السابق ، ج1 ، ص 396 .

النفوس عليها ظاهرة مستقيمة[1] " ، ثم يقول : " ولفظ السكة كان أسماً للطابع وهي الحديدة المتخذة لذلك ، ثم نقل إلى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه ، وهي الوظيفة فصار علماً عليها في عرف الدول " [2] .

وتعتبر السكة وسيلة هامة من وسائل التعامل التجاري في البيع والشراء ، وترجع أهميتها إلى أنها توضح مدى التقدم والازدهار الاقتصادي والحضاري للدولة ، وكانت هذه العملة عبارة عن الدينار ، وهو الأسم الذي كان يطلق على النقود الذهبية ، كما كان أسم الدرهم يطلق على النقود الفضية [3].

ويتميز الفاطميين على عكس سابقيتهم ومعاصريهم بوفرة العملات بما عليها من ألقاب وأسماء ورسومات وتواريخ ، فمنذ أن تقلد جوهر الصقلي ، عمل على إصدار عملة جديدة تحمل أسم الفاطميين فأمر بضرب الدينار المعزي ونقش عليه بأحد وجهيه ثلاثة أسطر أحدها " دعاء الأمام معد لتوحيد الأحد الصمد ، والثاني " المعز لدين الله أمير المؤمنين " وفي الوجه الأخر " لا إله إلا الله محمد رسول الله . أرسلة بالهدى ودين الحق ليظهر على الدين كلة ولو كره المشركون " على أفضل الوصيين وزير خير المرسلين " [4].

ولما كان الفاطميون من الشيعة فإننا نجد أن عملتهم كانت تحمل صفتهم المذهبية ، وبالتالي فإن الدولة بإصدارها هذه العملة تعلن عن سيادتها وعن عقيدتها الدينية [5]"

وكانت العملة الفاطمية في القيروان كالعملة في كل الدول الإسلامية تعرف باسم السكة ، وبمجيء الفاطميين أصبحت القيروان مفراً لضرب العملة الفاطمية [6].

كما عمل الخليفة الحاكم أمراً بضرب الدراهم الفضية واتخاذها وحدة للتعامل وبذلك أصبحت القيروان تسير على نظام المعدنين وأصبحت النقود الفضية عملة قانونية [7]،وتقرر أمر الدراهم على ثمانية عشر درهماً بدينار[8] ويبدو أن ضرب هذه الدراهم اريد به تيسير التعامل في السلع القليلة الثمن [9].

---

[1] ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 92 .
[2] المصدر نفسة : ص 322 .
[3] عبد المرضي محمد عطوة : العلاقات بين المغرب والأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الفاطمية بالمغرب رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، 1989م ، ص 278 – 279 .
[4] المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن على ت.745هـ) : شذور العقود في ذكر النقود ، تحقيق محمد عبدالستار عثمان ، ط1 ، مطبعة الأمانة بالقاهرة ، 1990 م ، ص 139 .
[5] عبدالمنعم ماجد : النقود الفاطمية في مصر ، مقال بمجلة كلية الآداب ،جامعة عين شمس ، المجلد الثاني ، 1953 م ، ص 223 .
[6] نفس المرجع السابق ، ص 224 .
[7] راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية ، ص 304 .
[8] المقريزي : المصدر السابق ، ص 142 .
[9] محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، دار الفكر العربي ، 1970 م ، ص 160 .

2 – المكوس :

المكوس : هي عبارة عن الرسوم التي فرضها الفاطميون[1] على كل عمليات البيع والشراء حيث كانت تحمل على السلع الصادرة والواردة مهما كان نوعها ، فقد فرضت على البضائع التي يجلبها التجار ، وقد اختلفت قيمة الرسوم فكانت القيمة المفروضة على تجار المسلمين أقل بطبيعة الحال . من التي يدفعها التجار المسيحيون ، ويبدو أن حاجة الخلافة إلى الأموال كانت سبباً في رفع المكوس وخاصة خلال الشدائد والأزمات، كما أنها قد تزداد على سلع الترف [2].

كما فرضت الدولة الفاطمية المكوس على الصادر والوارد من البضائع المختلفة سواء اكانت من الغلات الزراعية ، والمنتجات الصناعية أم السلع الأجنبية الواردة إلى القيروان [3].

3 – الموازين والمكاييل :

تعد الموازين والمكاييل من الأمور المهمة التي تنظم التعامل التجاري ، وهي تختلف من منطقة إلى أخرى . وهذا ما أكدة الشيزري " واصطلح أهل إقليم وبلد في المعاملة على أرطال تتفاضل في الزيادة والنقصان " [4]

وعلى العموم فقد كان للرحال البغدادي شهرة واسعة في التعامل التجاري في اسواق القيروان[5] .

كما أكد البكري على زنة رطل اللحم والتين في القيروان بعشر أرطال فلفليه [6].

أما أهم أنواع المكاييل المستعملة في عمليات البيع والشراء فهي :

1- **الثمنه** : وهي من المكاييل التي استخدمت في كيل القمح[7] والشعير[8] بكثرة ، وأشار المالكي أن ثمن القمح يكفي لإطعام الفرد ستين يوماً [9].

---

(1) المقريزي : الخطط ج1 ، ص 104 .
(2) راشد البراوي : المرجع السابق .، ص 305
(3) عبدالمنعم عبدالحميد : المرجع السابق ، ص 22 .
(4) الشيرزي (عبدالرحمن بن نصر عبدالله ، ت/589هـ/193م : نهاية الرتبه فى طلب الحسبة ، تحقيق / السيد الباز العريني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1946م ، ص 15 .
(5) عزالدين موسى : النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي ، ط1 ، القاهرة ، 1983م ، ص 297 .
(6) البكرى : المغرب ، ص 28 .
(7) المالكي : المصدر السابق ، ج2 ، ص 235 .
(8) المصدر نفسه : ج2 ، ص 31 .
(9) المصدر نفسة : ج2 ، ص 235 .

2- **القفيز** : وحدد البكري مقداره في أسواق القيروان وأعمالها بثماني وبيات ، واعتاد أهل القيروان على كيل الحبوب والمواد الجافة بالقفيز الذي يقدر بـ (8) ، (32) ثمنه ، وسته أمداد [1] ، وقفيز الزيت يقدر بحوالي ثلاثة أرطال فلفليه [2].

3- **القسط** : وهو من المكاييل الإسلامية وكان مألوفاً في التعامل عند أهل القيروان ، وتستخدم لكيل الزيت [3].

4- **الويب** : وكانت من وحدات الكيل المعروفة في أسواق القيروان ، وحدد البكري مقدارها بأربعة ثمان[4] ، وتقدر الويب خمسة عشر منا[5] .

5- **الصكوك** : يعرف الخوارزمي الصك بأنه يجمع فيه أسماء لمستحقين وعدتهم ومبلغ مالهم ويوقع الخليفة في أخره بإطلاق الرزق لهم [6].

وقد صار الصك من وسائل التعامل التجاري ، إذ في الأصل سند الدين[7] ، وهو أشبه بالشيك في الوقت الحاضر[8] ، وعرفت تجارة القيروان هذا النوع من التعامل التجاري منذُ عهد الأغالبه ، ويرى آدم متز أن التعامل بالصك هو أرقى ما وصل إليه التعامل المالي بين التجار المسلمين [9].

6 – **الصيرفة** : وجدت الصيرفة في أسواق القيروان لتسهيل الأعمال التجارية كتبديل العملة وصرف الدينار إلى الدرهم[10] ، وكان اليهود يتولون أعمال الصيرفة في القيروان في بادئ الأمر وشاركهم النصاري في هذا المجال ، ولما نقشت ظاهرة الربا في أسواق القيروان تم الغاء هذا النوع من التعامل التجاري[11] .

ثانياً : طرق البيع والشراء :

تعددت طرق اليع والشراء في القيروان ومنها :-

---

(1) البكري : المغرب ، ص 26 ، 27 .
(2) المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص 240 .
(3) البكري : المصدر السابق ، 28 .
(4) البكري : المصدر السابق ، ص 27 .
(5) المقدسي : المصدر السابق ، ص 204 .
(6) الخوارزمي (محمد بن أحمد بن يوسف ، ت/ 387هـ) : مفاتيح العلوم ، تحقيق إبراهيم الأبياري بيروت ، 1984م ، ص 83 .
(7) ادم متز : الحضارة الإسلامية ج2 ، ص 279 .
(8) حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج4 ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، 1982م ، ص
(9) ادمز : المرجع السابق ، ج2 ، ص 270 .
(10) المالكي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 262 .
(11) المالكي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 705 .

أ- **الباعة الجائلون** : عرفت القيروان وأسواقها الباعة الجائلون الذين ينادون على بضائعهم في الشوارع ، ويبدو أن أسعار هذه البضائع هي اقل من الدكاكين ، وما يميز هذا النوع من التعامل بأنه بضاعة رخيصة الثمن ، وينقسم الباعة الجائلون إلى قسمين ، قسم يفترش الأرض وعرف باسم أرباب المقاعد وهم أولئك الذين كان يبيعون شتى أنواع المأكولات والمشروبات والفواكه ، والقسم الأخر هو الذي يسير في الطرقات إفراد ينادون على بضائعهم ، ويصلون إلى المنازل ، ليعرضوا سلعتهم على أربابها[1] .

ب- **المقايضة** : وهي من أقدم أساليب التعامل التجاري السائد في تلك الفترة ، وعرف تجار القيروان المقابضه في تعاملاتهم التجارية ، فكانوا يقاضون الشعير بالبقل في طنجة [2].

ج – **المضاربة** : وتقوم هذه الطريقة على أساس بين طرفين أحدهما صاحب راس المال والأخر المضارب الذي يقوم بالتجارة في ذلك المال على أن يكون الربح مناصفة أو حسب الاتفاق ، وهو مبدأ معمول به في المدن الإسلامية ومنها القيروان الذي كان أهلها يضاربون بأموالهم لكي يستثمرونها ، حتى ولو بدينار واحد يعهد به لأحد أصدقائه مقابل تحصيل دنانير كثيرة في الربح فيما بعد [3].

د – **الاحتكار** :

يبدو ومن خلال الروايات أن بعض التجار في القيروان قد لجئوا إلى احتكار بعض السلع[4] ، وثمة دليل على ذلك ما نقله الدباغ " أدركت رجالاً بالقيروان أمليا افتقدوا ما دخلوا فتنا ولا أغرامهم سلطان إلا أبحروا في الحنطة أيام الشدائد ، يريد إنهم اشتدوا الطعام في الرخاء ، ليبيعوه في أيام الشدائد " [5].

الشراكة :

عرف نظام الشراكة في القيروان كإحدى وسائل البيع والشراء ، واتخذه التجار كأسلوب لرفع رأس المال وزيادته بإشراك أكثر تاجر ، فقد كانت من متطلبات التجارة الكبيرة توفير رؤوس الأموال الضخمة ليتمكن التجار المتوسطين من مزاولة التجارة البعيدة المدى ، فحدث ببعضهم لإبرام الشركات مع بعضهم البعض ، سواء بإدماج أموالهم أو بضائعهم أو بالإشراك في الموكب[1] أو لاشتراك أكثر من فرد في المتاجرة بالسلعة منعاً لاحتكار السلع

---

[1] عياض : عياض البستي ، ترتيب المدارك وتعريب المسالك لمعرفة مذهب مالك ، الرباط (ب ، ت) ، ج5 ، ص 300 .
[2] المالكي : المصدر السابق ، ج1 ، ص 119 .
[3] عياض : المصدر لسابق ، ج6 ، ص 223 ، 228 .
[4] الشيدرزى : نهاية الرتبة ، ص 12 .
[5] الدباغ : معالم الايمان ، ج3 ، ص 23 ، 24 .
[1] شرف الدين : بعض ملامح أزمة أفريقية الاقتصادية ، الجماهيرية العظمى ، 1999م ، ص 170 .

بيد عدد معين من التجار ، فقد ذكر القاضي عياض " أنه كانت توجد شراكة في القطن بسوق الأحد بين بعض من التجار [2] .

الخاتمة

– استنتجت الدراسة من خلال عرض الأسواق في القيروان في عهد الفاطميين بأن الفاطميين قاموا ببناء مدينة لهم واطلقوا عليها أسم المنصورة وتبعد هذه المدينة عن القيران نصف ميل ونقلوا اليها أسواق القيروان .

– كما أظهرت الدراسة عند عرض تنظيم الأسواق وإدارتها بأن الخلفاء الفاطميون قد أهتموا بأسواق المدينة مما ساعد ذلك على ازدهار التجارة في ذلك الوقت .

– ابرزت الدراسة بأن الدولة الفاطمية اصدرت عملة تحمل صفتها المذهبية وهذا يعني أنها تعلن سيادتها وعقدتها الدينية .

– أوضحت الدراسة من خلال عرض النظم المالية بأن الفاطميين فرضوا المكوس ورفعوا ضريبتهُ وذلك لحاجة الدولة لأموال وخاصة خلال الشدائد .

– وجدت الدراسة من خلال عرض الموازين والمكاييل بأن الرطل البغدادي هو أشهر التعاملات التجارية في أسواق القيروان .

– أبرزت الدراسة بأن الفاطميين قاموا بإلغاء الصيرفة من أسواق القيروان وذلك بعد ما قاموا اليهود وشاركهم النصارى بانتشار ظاهرة الرباء ويرجع ذلك إلى المراقبة التامة التي عمل الفاطميين بها في اسواق المدينة .

[2] عياض : المصدر السابق ، ج4 ، ص 375 .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

1 – ابن أبي دينار (أبوعبدالله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ، ت 1092 هـ / 1681م) :

– المؤسس في تاريخ إفريقية وتونس ، ط2، بيروت ، دار المسيرة ، 1963م .

2– ابن حجر العسقلاني (احمد بن علي ت / 373هـ – 352هـ):

– فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تحقيق ، محمد فؤاد عبدالباقي ، محمد الدين الخطيب ، المكتب السلفية ، د.ت ، ج4 .

3 – ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي النصيبي ، ت 380هـ / 990م) :

– صور الأرض ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، 1979م .

4 – ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد ، ت 808هـ / 1405م) :

– المقدمة ، ط2 ، دار التونسية للنشر والتوزيع ، 1984 م .

– كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج4 ، مراجعة سهيل زكار ، بيروت ، دار الفكر ، 2000م .

5 – ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد ، ت 681هـ / 1282م) :

– وفيات الأعيان ، وأبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1975م .

6 – ابن سلام (أبي عبيد الله القاسم ت/ 224هـ / 838م) :

– الأموال ، بيروت ، مؤسسة ناصر للثقافة ، 1981 .

7 – ابن سيد أبو الحسن علي بن اسماعيل (ت 458هـ/ 1065م)

– المخصص ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج12 ، د.ت .

8- ابن عذاري (محمد بن عذاري المراكشي ، ت/ نهاية القرن السابع الهجري ، 13م) :

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ج س كولان ، واليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت، لبنان ، 1950 م .

9 - ابن القاضي المكناسي (أبو العباس أحمد بن محمد ، ت 1025هـ/1616م) :

- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام بمدينة فأس ، ج1 ، الرباط ، دار المنصور للطباعة 1973 م .

10- ابن منظور : لسان العرب ، تحقيق ، عبدالله على الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ، ج24 .

11 - البكري (أبوعبدالله بن عبدالعزيز ، ت487هـ / 1094 م) :

- المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب ، جزء من المسالك والممالك ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، (د. ت) .

12 - البلاذري (أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر ، ت 279هـ/892م) :

- فتوح البلدان ، بيروت ، دار مكتبة الهلال ، 1983م .

13 - الخوارزمي : (أبوبكر محمد بن العباس / ت : 373 هـ / 993م) :

- مفاتيح العلوم ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط1 ، بيروت ، 1984 م .

14- الدباغ (عبدالرحمن بن محمد الأنصاري ، ت 696هـ / 296م) :

- معالم الايمان في مصرفة أهل القيروان ، ج1 ، تحقيق محمد الأحمد أبو النور ، ومحمد ماضور ، تونس ، المكتبة العتيقة بتونس ، د. ت .

15 - الشيزري (عبدالرحمن بن نصر عبدالله ، ت/589هـ/193م):

- نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق / السيد الباز العريني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1946م .

16 - القاضي عياض (موس بن عياض البستي ، ت 544 هـ / 1139م) :

– ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة مذهب مالك ، ج5 ، الرباط (ب ، ت)

17 – المالكي (أبوبكر عبدالله . بن محمد ، ت 453هـ/1061م) :

– رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيا وزهادهم ونساكهم وسير أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم ، ج1 ، تحقيق بشير البكوش ، محمد العروسي ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ، ط1994 م .

18 – المقدسي : (شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي ، ت 380هـ / 990م) : أحسن التقاسيم في مصرفة الأقاليم ، ليدن ، ط2 ، 1906م .

19 – المقريزي (تقي الدين أبو والعباس أحمد بن على ت.745هـ) : شذور العقود في ذكر النقود ، تحقيق محمد عبدالستار عثمان ، ط1 ، مطبعة الأمانة بالقاهرة ، 1990 م .

20 – يحيى (الأصل الإفريقي الموطن ، ت 289 هـ / 901م) :

– النظر والاحكام في جميع أحوال السوق ، رواية أبي جعفر أحمد القصري القيرواني ، تونس ، الشركة التونسية للتوزيع ، 1973 .

ثانياً : المراجع :

1– الحبيب الجنحاني : القيروان عبر ازدهار الحضارة الإسلامية في المغرب الإسلامي ، تونس ، الدار التونسي للنشر ، 1968 م .

2 – السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ المغرب الكبير ، ج2 ، بيروت ، دار النهضة ، 1921م .

3 – جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، دار الفكر العربي بيروت ، 1969م .

4 – حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج4 ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، 1982م .

5 – حسن حسنى عبدالوهاب : ورقات عن الحضارة الغربية الإفريقية ، ج2 ، تونس ، دار المنار ، 1972م .

6 – راشد البراوي : حالة مصر ، الاقتصادية في عهد الفاطميين ، القاهرة ، 1988م .

7– زاهر رياض : شمال إفريقيا في العصور الوسطى ، القاهرة ، الانجلو المصرية ، 1981م.

8 – سعد زغلول عبدالحميد تاريخ المغرب العربي ، ج2 ، الإسكندرية ، دار المعارف ، 1979م .

9 – شرف الدين : بعض ملامح أزمة أفريقية الاقتصادية ، الجماهيرية العظمى ، 1999م .

10 – عبدالحميد حسين حمودة : أسواق القيروان في عصر الأغالبة 184 – 296هـ / 800 – 909م ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، 2006 م .

11 – عبدالمنعم سلطان : الاسواق في العصر الفاطمي ، مؤسسة شباب الجامعة ، 1997 م.

12 – عزالدين موسى : النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي ، ط1 ، القاهرة ، 1983م.

13 – مايسة محمود داود : المسكوكات الفاطمية بمجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، دراسة أثرية وفنية، دار الفكر العربي ، د. ت .

14 – أدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ج2 ، ترجمة عبدالهادي أبو رويدة ، عصر النهضة ، القاهرة 1947م .

15 – محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، دار الفكر العربي ، 1970 م .

16 – محمد زيتون ، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية ، القاهرة ، دار المنار ، 1988م .

ثانياً : الدوريات :

1 – عبدالمنعم ماجد : النقود الفاطمية في مصر ، مقال بمجلة كلية الآداب ،جامعة عين شمس ، المجلد الثاني، 1953 م .

2– محمد عبدالعظيم يوسف احمد : الرقابة على الأسواق الأندلسية من القرن الرابع حتى السابع هجري ، الحادي عشر ، الثالث عشر الميلادي ، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية ، مج1 ، العدد 1 ، 2013

رابعاً: الرسائل الجامعية :

1 – عبد المرضي محمد عطوة : العلاقات بين المغرب والأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الفاطمية بالمغرب رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، 1989م .

الإدارة العسكرية ودورها في تثبيت الاستعمار الفرنسي بالجزائر خلال القرن 19.

الدكتورة حباش فاطمة

Habeche Fatima

جامعة ابن خلدون _ تيارت _

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

الملخص:

واجهت السلطة الاستعمارية الفرنسية مباشرة بعد احتلال مدينة الجزائر سنة 1830 مشكل إدارة الأهالي. فقد وجد الفرنسيون أنفسهم أمام مجتمع يجهلون لغته وعقيدته، وعاداته وتقاليده، وتعدى الجهل ليبلغ حتى الطبيعة الجغرافية، فحال هذا دون تحقيق الاحتلال الشامل للجزائر. ومن هنا انبثقت جملة من الأسئلة: كيف يمكن التحكم في هذا المجتمع العشائري؟، وما هي طبيعة الإدارة الواجب تبنيها للسيطرة والتحكم فيه؟، وفعلا سعى الفرنسيون بعد محاولات عديدة إلى إيجاد إدارة عربية تكون همزة وصل بينهم وبين الجزائريين، حيث تم الإعلان عنها رسميا عبر مرسوم وزاري ، تعهد به الحاكم العام الجنرال بيجو في 1844/2/1، نص على إنشاء نظام المكاتب العربية كإدارة أهلية تسعى إلى السيطرة على القبائل، وتضمن الأمن والسلم لصالح المشروع الاستعماري التوسعي بالجزائر.

الكلمات المفتاحية : مكتب عربي، بيجو، أغا، القايد، الشيخ، الزاوية، المرابطون، المقاومة العسكرية، الأمير عبد القادر، القبائل، الأغاليك، الدوائر الإدارية.

Abstract

After its occupation of Algiers in 1830, the French colonial authority faced the problem of the people's administration. The French found themselves in front of a society that did not know its language, its doctrine, its customs and traditions, as well as its geographical nature. This prevented the total occupation of Algeria. Hence, a number of questions may be asked: How can this clan society be controlled? What kind of management should be adopted for its control? Indeed, the French colonial sought after several attempts to find an Arab administration that would be a link between them and the Algerians. It was officially announced through a Ministerial Decree signed by the Governor-General Bugeaud on February 1st,1844, establishing the Arab Bureau System as a civil administration that seeks to control the tribes and guarantee security and peace in favor of the expansion of the colonial project in Algeria.

Key words: Arab Bureau, Bugeaud, Agha, Kaid, Cheik, Zawiya, Murabitin, Military Resistance, l'Emir Abdul Kader, Kabylie, Agalik, Administrative Offices.

تمهيد:

لعل من أهم انعكاسات الثورة الصناعية بأوربا خلال القرن 18 هو ظهور إيديولوجية سياسية جديدة تمثلت أساسا في " **ظاهرة الاستعمار**"، حيث تولد عنها التنافس بين الدول الأوربية من أجل الحصول على مستعمرات وأراضي جديدة خارج المجال الجغرافي الأوربي، والوجهة بالطبع وتبعا للظروف الدولية لتلك الفترة كان تصب كلها إلى ممتلكات الدولة العثمانية، التي كانت تعيش حالة من الضعف والتفكك الداخلي، والانحطاط، الأمر الذي جعل ممتلكاتها عرضة لتجسيد الظاهرة الاستعمارية على يد الدول الأوربية، فبدأت تتسابق للحصول على أكثر حصة من المستعمرات.

والطبيعي أن الجزائر كجزء من ممتلكات الخلافة العثمانية كانت تعيش الانحطاط، كما أن موقعها الإستراتيجي ذو أفق منفتح للمشروع الاستعماري بإفريقيا شمالا وجنوبا، قد جعل الدول الأوربية تتصارع فيما بينها وتتنافس حول من تفوز بها[1]، لكن في نهاية المطاف كانت الإيالة العثمانية " **الجزائر**" من نصيب فرنسا بعد جهد جهيد وحجة دامغة أكسبتها حق الشرعية دون باقي الدول الأوربية، وهذا على إثر ما ادعته الحكومة من أنها قد أهينت في شرفها من قبل الداي حسين، عندما قام بطرد قنصلها دوفال Duval من مجلسه مشيرا عليه بالمروحة[2].

شرع إذن الفرنسيون في التحضير لحملتهم العسكرية على مدينة الجزائر لتأديب الداي، فاستفادوا من ما جاء في التقارير التجسسية[3] التي وضعت طيلة ثلاث قرون، لتنطلق بعدها رسميا الحملة في 14 ماي 1830

---

[1]- حملة إنجليزية في أفريل 1816 على ميناء الجزائر، حملتين أحرتين في يناير 1824 وفي جويلية 1824. أما فرنسا فكانت لها حملة في 25 /1682/07 على مدينة شرشال ثم على مدينة الجزائر خلال شهري أوت وسبتمبر من نفس السنة، حملة 6 ماي 1683 على مدينة الجزائر وتعرضت حملة أخرى في 1688/07/01، حملة على مدينة الجزائرفي1816 بقيادة اللورد أكسموث. ينظر: حنيفي هلايلي.(2007). العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الأيالة (1815. 1830). دار الهدى. الجزائر. ص ص 23. 32. / . صالح عباد.(2007). الجزائر خلال الحكم العثماني (1514–1830). ط2. دار هومة. الجزائر. ص ص. 142.144.

[2] - ترتبط حادثة المروحة بقضية الديون التي رفضت السلطات الفرنسية دفعها، رغم المراسلات العديدة لحكومة الإيالة والتي طالبت فيها دفع المستحقات كما استفسرت عن سبب التأخير، غير أن الفرنسيين تعمدوا عدم الرد، لكن النقطة التي أفاضت الكأس ترتبط بقدوم القنصل الفرنسي دوفال إلى الداي لتقديم التهاني بمناسبة العيد، فاستغل هذا الأخير حضور واستفسر عن التأخير وعدم الرد على رسائله، فرد القنصل عليه بوقاحة أما الحاضرين من الضيوف بديوانه قائلا أن " حكومتهم والملك الفرنسي ليس لهما الوقت للرد على شخص مثلكم"، الأمر الذي أغضب الداي وطرده من مجلسه مشيرا عليه بالمروحة ولم يضربه كما ادعى الفرنسيون. ينظر:– حمدان بن عثمان خوجة. (2005). المرآة تقديم وتحقيق محمد العربي الزبيري. المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. ص ص. 141–143.

[3] - أهم المشاريع التجسسية التي أقامتها فرنسا طيلة ثلاث قرون بهدف معرفة نقاط القوة والضعف للإيالة في كل الجوانب السياسية، الإقتصادية والإجتماعية نجد: مشروعي Dekercy الأول في 1782بعنوان مذكرة حول الجزائر، الثاني سنة 1791 ، مشروع Francois Philipe le Maye سنة 1800، مشروع Dubois- Thainville في 1801وفي 1809، مشروع Jean Bin Saint – André، مشروع Thedenant في 1802،

بقيادة ديبورمون De Burmont [4]، والذي تمكن من دخولها والاستيلاء على السلطة بعد مواجهات طويلة مع جيش الإيالة، ليتحقق بذلك الحلم الفرنسي بالاستيلاء على السلطة واستعمار الجزائر، ويبقى بعدها ومستقبلا إلزامية تثبيت وجودهم وتحقيق الهدف الرئيسي " **الاحتلال الشامل والتام للجزائر**" .

وبالطبع تحقيق الحلم لم يكن سهلا كما اعتقده الفرنسيون، وخاصة المنظرين الذين قدروا مدة الاحتلال والسيطرة التامة ستكون في وقت قياسي لا يتعدى 15 يوما وهذا بناء على المعلومات التي وردت في التقارير التجسسية، والتي اقتصرت معلوماتها على الجانب الجغرافي والبشري لمنطقة التل وتحديدا المدن الساحلية، إضافة إلى علاقة السلطة العثمانية بسكان المدن والقبائل المجاورة لها[5]، مما يعني هذا أن الفرنسيون وجدوا صعوبة مباشرة بعد الحملة لإحكام السيطرة الشاملة، خاصة بعدما حاولوا الخروج من مدينة الجزائر ومد التوسع إلى باقي المناطق، فاصطدموا برد فعل قوي من قبائل وعشائر تلك المناطق، والتي قادت مقاومات ونشاط عسكري قوي أفشل مهمة الجيش الفرنسي وكبده عدة خسائر مادية وبشرية، وجعله عاجزا في الاستيلاء على أي منطقة جديدة[6]، نهيك أنه أصبح محاصرا بالمدينة فقط، الأمر الذي جعل الحكومة الفرنسية تعيد حساباتها وتقر بصعوبة مهمة "**الاحتلال**"، إذا تم الاعتماد فقط على الآلة العسكرية، ولإنجاح المهمة يستوجب إيجاد عنصر مكمل لعمل الجيش، يساهم في تثبيت الاحتلال، ويضمن السيطرة التامة، وفعلا انطرحت عدة تساؤلات واستفهاما من قبل السياسيين والعسكريين حول طبيعة هذا العنصر، ومن عناصره، وكيف سيحقق الغاية الرئيسية من الوجود الفرنسي في الجزائر.

من هنا ستكون الإشكالية المراد معالجتها ومفادها: " **كيف ساهمت الإدارة العسكرية في تثبيت الوجود الفرنسي بالجزائر؟، ما هي التنظيمات والقواعد التي ارتكزت عليها في مهمتها الاستعمارية؟، وإلى أي مدى وفقت فرنسا ونجحت في انتدابها للعسكريين في المهام الإدارية بالجزائر؟**" .

مشروع Pierre Hulin في 1802، مشروع بوتان Boutin سنة 1808، مشروعي بيار دوفال Pierre Duval الأول في 1819 والثاني في 1827، مشروع اللجنة العسكرية 1828. ينظر: الغالي غربي وآخرون. (2007). العدوان الفرنسي على الجزائر . منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954. الجزائر. ص ص . 68 . 77.

[4] - هو Louis Auguste Victor Conte de Ghaisme de Burmont من مواليد 1773/9/2 بأنجو الفرنسية، في سنة 1788 أصبح ضابطا في صفوف الحرس الفرنسي. شارك في حرب إسبانيا سنة 1823 أين أظهر كفاءة كبيرة وأختير في 1830 من طرف الملك لويس لياده الحملة على مدينة الجزائر التي وفق فيها ليعود إلى فرنسا في 1830/9/3 على إثر أحداث الثورة التي عمت باريس. ينظر: R. Peyronnet.(1930). Livre D'Or Des Officiers Des Affaires Indigènes (1830_1930). T.1. Imprimerie Algérienne. Alger. PP.7-8.

- تضم اللجنة Le Baron Denniée المقتصد، Le General Tholosé حاكم المدينة، Duval قنصل فرنسا، Firino المتصرف العام للجزائر، d'Aubignose مسؤول عن الشرطة، M. Edmond de Bussiére الأمين االعام للجنة . ينظر: R. Peyronnet.Op Cit. p. 23. /-Pier Paolo Cossu .(1974). I « Bureaux arabes » E IL Bugeaud. Giffré Editor. Milano. PP. 12, 23.

[5] - أبو القاسم سعد الله. (1992). الحركة الوطنية الجزائرية (1830. 1900). ج1. دار الغرب الإسلامي. لبنان.. ص ص. 18. 19.

[6] - حملتي البليدة الأولى في 1830/07/23 بقيادة دي بورمون والثانية في 1830/11/17بقيادة بواييه ودخلوها في 18من نفس الشهر ليستمر الزحف نحو المدية في 25/ نوفمبر. حملتي وهران الأولى بقيادة إبن دي بورمون أميدي في 1830/08/13 والثانية لدعم الإحتلال في فيفري 1831، حملتي قسنطينة الأولى في نوفمبر 1836والثانية اكتوبر1837.

للإجابة عن هذه الإشكالية اتبعنا خطة علمية وفق المنهج التاريخي التحليلي تتبعنا فيها مسار النظام العسكري الفرنسي بالجزائر خلال الفترة الممتدة من 1830 إلى 1870، وهي المرحلة الأولى من التواجد الفرنسي بالجزائر، والتي تميزت بظروف أجبرت الفرنسيين على هذا الخيار العسكري. وشملت الخطة العناصر التالية:

_ التجارب الإدارية الفرنسية بالجزائر قبل نظام المكاتب العربية

_ترسيم الإدارة الأهلية

_ انعكاسات الإدارة الأهلية وتداعياتها على الجزائريين

1_ التجارب الإدارية الفرنسية بالجزائر قبل نظام المكاتب العربية:

لقد كان لفرنسا في مجال الإدارة الأهلية عدة محاولات إدارية لتسيير شؤون القبائل، تزامنت مع عملية المد والتوسع في داخل الجزائر ومنها:

_ منصب أغا العرب:

بالرغم من المحاولات الفرنسية للتخلص من الوجود العثماني بالجزائر مباشرة بعد إبرام اتفاقية الجزائر يوم 5 جويلية 1830 [7]، والتي على إثرها تم تصفية العنصر " **التركي**" بدء بإبعاد الداي حسين والعناصر الإنكشارية على التوالي يومي 10 و11 جويلية، ويندرج هذا ضمن السياسة الاستعمارية الفرنسية للسيطرة على الجزائر[8]، لكن مباشرة وبعدما حاولت الخروج من مدينة الجزائر والتوسع بنواحيها اصطدموا بمقاومة عسكرية على يد سكان متيجة بقيادة الزعيمين الحاج السعدي وابن زعموم[9]، ألحقت بالجيش الفرنسي خسائر معتبرة، وأفشلت كل الحملات العسكرية باتجاه البليدة والمدية، مما جعل القائد الأعلى للجيش يسعى لأخذ تدابير، وإيجاد واسطة تساعدهم على إبرام اتصالات وعلاقات مع القبائل المجاورة، ولم يكن أمامهم سوى العودة إلى النظام الإداري العثماني، وتبني

---

[7]- أبرم اتفاق بين السلطة الفرنسية بقيادة دبورمون والسلطة الجزائرية بقيادة الداي حسين في 1830/7/5، كما بإتفاق الجزائر أو معاهدة الاستسلام، وجاء فيه: تسليم كل الحصون على رأسها حصن القصبة وميناء الجزائر للسلطة الفرنسية على الساعة العاشرة صباحا من نفس اليوم للقائد الفرنسي./– التعهد بإعطاء الحرية المطلقة للداي حسين وكل ثروته الشخصية./_للداي مطلق الحرية لاختيار البلد الذي يريد التوجه إليه، كما أنه سيكون تحت الحماية الفرنسية مع أسرته وثروته طيلة مدة بقائه في الجزائر./ –نفس الامتيازات التي منحت للداي تعطى لعناصر الإنكشارية./ – تتعهد فرنسا باحترام الديانة الإسلامية وكل المقدسات، كما أنها تحترم السكان بمختلف طبقاتهم في دينهم وأملاكهم، وتجارتهم، وحرفهم، كما أن نساءهم ستحترمن. ينظر: حمدان بن عثمان خوجة. المصدر السابق. ص ص. 171، 172.

[8]- مباشرة بعد اتفاق الجزائر والذي لم يلتزم ببنوده الفرنسيون على رأسهم دبورمون الذي شرع في تطبيق سياسة من أجل تحقيق الاحتلال، ودشنها بتصفية العنصر التركي، بدء مع الداي حسين الذي أبعد من الجزائر في 1830/7/10 إلى نابولي، ثم بعده فرق الإنكشارية الذين أبعدوا في اليوم الموالي يوم 1830/7/11 إلى الأناضول. ينظر: أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ص ص. 19،20.

[9]- اندلعت مقاومة سكان متيجة في 1830 واستمرت حتى 1834 بقيادة مزدوجة للزعيمين المرابط الحاج السعدي، والشيخ ابن زعموم زعيم أكبر قبيلة بمنطقة متيجة "قليسة"، حققت هذه المقاومة نجاحا كبيرا في مرحلة بداية الاحتلال، فكبدوا الفرنسيين خسائر معتبرة، وأفشلوا كل محاولاتهم التوسعية بمتيجة والمدية. ينظر: نفسه. ص ص. 32-45./– أبو القاسم سعد الله. (2009). محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث" بداية الإحتلال". عالم المعرفة. الجزائر. ص ص 85-96.

منصب أغا العرب [10] كوسيط بين الفرنسيين والجزائريين المقيمين بالمناطق المحيطة بمدينة الجزائر[11]، واختير لهذا المنصب شخصية جزائرية حضرية التاجر حمدان بن عبد الرحمان أمين السكة[12]، غير أنه لم ينجح في مهمته مع القبائل كونه شخصية حضرية لا يعرف عن طبائع الريف ولا عن عاداتهم وتقاليدهم، كما أنه لم يكن مرحب به[13]. ورغم هذا الفشل لم تستسلم السلطة الاستعمارية بالرغم من إلغاء الجنرال كلوزيل Clauzel المنصب بقرار أصدره في 7 جانفي 1831، لكن بعد مرور ثلاثة أشهر، وبعد اعتلاء بيرتزن إلى السلطة وصل إلى قناعة بأن التأثير على القبائل لا يكون إلا بالاعتماد على شخصية دينية تتمتع باحترام بين سكان المنطقة[14]، وفعلا رشح لهذا المنصب الشيخ محي الدين مبارك القليعي، وعين على رأس المنصب في 24جوان 1831، وكلف بتولي مهمة المحافظة على الأمن، والسعي إلى التأثير على القبائل وإقناعها بالخضوع والولاء لفرنسا[15].

استلم وتولى القليعي المنصب بعد عقد اتفاق اشترط فيه على الفرنسيين عدم التدخل في أوطان متيجة، ومنحه حرية التصرف[16]، لكن رغم ذلك كان بالنسبة للفرنسيين شخصية خطيرة يستوجب الحذر منها، والدليل على ذلك ما وقع بعد مذبحة العوفية في 5 أفريل 1832 [17]، حيث اقتنع المبارك القليعي بالنوايا الفرنسية بقيادة الدوف

---

[10]- يعرف أحيانا بآغا الدائرة أو باشا آغا أو خوجة الخيل و هو قائد الحامية العسكرية التركية المستقرة بمركز البايليك يتلقى أوامره مباشرة من الداي ويقوم بعزل أو تعيين البايات الجدد عندما تصدر له الأوامر بذلك ويخضع لأوامره فرسان المخزن وهذا ماجعله متصرفا في الأرياف وفي مراقبة البايات في تعاملهم مع السلطة المركزية. ينظر: أحمد السليماني.(1994). النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني. مطبعة دحلب . الجزائر. ص ص. 40.39.

[11]- Roger Germain.(1955). La politique indigène du Bugeaud. Pre Marcel Emerit. Edition Larose. Paris. P. 192.

[12]- _ هو حمدان بن عبد الرحمان أمين السكة من أقدم العائلات بالجزائر تعود إلى القرن السادس، قدم جده الأول الحاج سعيد من بغداد. والده من أكبر الصناع يملك عدة مصانع بباب الواد، كان فارسا ماهرا يهوى الركوب لذا لقب ببوركايب. أما إبنه فكان كثير الإطلاع على أحوال أوروبا بعد زيارته المتكررة لمرسيليا. بعد توتر العلاقات الجزائرية الفرنسية وتحيدا سنة 1829طلب من صديقيه بوضربة وحمدان خوجة الذهاب إلى حسين باشا وإقناعه بتقديم تنازلات لفرنسا إلا أن لباشا أصر على الواجهة العسكرية ورفض التنازل. ينظر: أبو القاسم سعد الله. تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية المرجع السابق. ص ص. 59. 60./ أبو القاسم سعد الله. محاضرات في تاريخ الجزائر. المرجع السابق. ص ص. 70-72.

[13]- Xavier Yacono.(1953). Les Bureaux Arabes et l'évolution des genres de vie indigènes dans l'ouest du Tell Algérois, Edition Larose, Paris, P. 10

[14]- Ibid. P. 10. /_ Albert Ringel. (1903). Bureaux Arabes de Bugeaud et les cercles militaires de Gallieni. Emile Larose. Paris. P. 15.

[15]- Roger Germain. Op. Cit.P. 193.

_ شارل أندري جوليان. (2008). تاريخ الجزائر المعاصرة" الغزو وبدايات الاستعمار (1827. 1871). ج1. تر جمال فاطمي وآخرون. ط 1. دار الأمة. الجزائر.. ص 562.

[16]- أعطيت للأغا المبارك القليعي حرية التصرف، فله صلاحيات اختيار وتعيين القياد والشيوخ، وتحت إمرته قوة عسكرية مكونة من 40 عنصرا ترافقه في مهامه بالقبائل، يستقبل ويحول الشكاوي، يفرض الغرامات ويصدر أحكاما على المجرمين وفق الشريعة الإسلامية، خصص له راتب 8000 بوجو. ينظر: _ Roger Germain. Op. Cit.P. 19

[17]- ارتكب الجيش الفرنسي بقيادة الدوق دي روفيغو Rovigo في ليلة الخميس من أفريل 1832 مجزرة دموية في حق أفراد قبيلة العوفية المقيمة بوادي الحراش والتي عارضت الاحتلال من البداية، وانتقاما منها قام روفيغو بهذا العمل الشنيع وحجته في تبرير جريمته أن أفرادا من القبيلة اعترضوا البعثة القادمة له من فرحات بن سعيد من الزيبان، وهو إدعاء لا أساس له من الصحة. تم خلالها إبادة ما يقرب اثنا عشر ألف نسمة، ومحاكمة شيخها الربيعة محاكمة صورية وإعدامه رغم أن التهمة لم تثبت على قبيلته. لقد كانت الجريمة المحفز الذي زاد من قوة المقاومة وأشعل نار الانتقام لدى سكان متيجة حيث قاموا في نهاية ماي من نفس السنة ذبح 25 رجلا من اللفيف الأجنبي. ينظر: بوعزة بوضرساية وأخرون.(

رفيغو Rovigo، الذي قام باعتقال أقاربه بالقليعة والتنكيل بهم[18]، مما دفعه إلى تقديم استقالته والانضمام علنا إلى ثوار متيجة في 24 أكتوبر 1832 [19]، وبعدها إلى الأمير عبد القادر أين أصبح أحد خلفاءه على مليانة[20].

وهنا تجددت مشاكل فرنسا في فرض السيطرة، وبدأت تبحث من جديد على سبيل يمكنها من الاحتلال من خلال محاولة جديدة.

_ المكتب العربي المبدئي:

بعد فشل تجربة أغا العرب، وعدم إتيانها بنتيجة واصل الفرنسيون في تجاربهم في الإدارة الأهلية، فبدأ المنظرون يبحثون لإيجاد سبل أخرى منها ما أقره الدوق روفيغو في إنشاء ديوان عربي[21] ثم بعدها أوجد Avsard مكتب خاص للشؤون العربية ذو طابع عسكري مهمته جمع المعلومات وتنظيمها لصالح الحملات العسكرية، إضافة إلى متابعة المراسلات والاتصالات مع القبائل وترجمتها[22]. كلف بهذا المكتب الضابط لمورسيير Lamoricière [23] كونه يجيد اللغة العربية، وعلى إطلاع بالعادات والتقاليد الجزائرية. استطاع بفضل ذكائه وخبرته أن يجعل المكتب جهازا للدعاية والإعلام، وتزويد السلطات بمعلومات يوميا والاتصال بالقبائل[24]، ضم هذا المكتب مترجمين وسكرتير وموظفين من الأهالي، كما رصد له سنويا 60000 فرنك[25].

بالرغم من نجاحه إلا أنه لم يدم طويلا ليتم إلغاء المكتب واستبعد لامورسيير من مهامه الإدارية لصالح مهام عسكرية في ميدان المعركة بسبب قوة المقاومة العسكرية آنذاك بالشرق والغرب الجزائري[26]. عموما بقيت

2007). الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19. منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954. الجزائر. ص. 123. / . أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ص. 50.

[18]- Xavier Yacono. Op. Cit .P.11

[19]- "... من من الجنرالات الذين حكموا الجزائر أساء؟ لا أحد إلا أنت. أما أنا فمرتاح الضمير لأنني لم أقترف شرا، إن هذا العبء الذي قبلته أساء إلى سمعتي في عيون سكان الجزائر لأنهم زعموا أنني صديق الفرنسيين بالنظر للمهام التي أقوم بها. ولقد تحملت كل أنواع الإزعاج الذي تسببت فيه وظيفتي ليس لشيء إلا للحب الذي أحمله للواجب. ها قد عدت إلى حياتي الخاصة مصرا على عدم الانشغال بأي شيء وأنت حر لتفعل ما تشاء....". ينظر : _ شارل أندري جوليان. المرجع السابق. ص ص. 562، 563.

[20]- أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ص. 61.

[21] - شارل أندري جوليان. المرجع السابق. ص 563.

[22] - Albert Ringel. Op. Cit .P. 18.

[23]- ولد Léon Lamoricière سنة 1806 بمدينة Nante إلتحق سنة 1924 بالمدرسة المتعددة التقنيات وتخرج منها بالمرتبة الأولى ضمن دفعته من المدرسة التطبيقية لمتز Metz المعروفة أنذاك بمدرسة الحرب. خلال الحملة الفرنسية كان لامورسيير ضابطا في الجيش برتبة نقيب ليصبح عقيدا سنة 1835 ثم برتبة جنرال سنة 1840 فهو أصغر جنرال في الجيش لا يتعدى 34 عاما، هو من استحدث فرق زواوة يجيد اللغة العربية بفضل القنصل الإنجليزي بالجزائر .ينظر :-R. Peyronnet. (1930). Livre d'Or des officiers des affaires indigènes (1830-1930). T2. Imprimerie Algériennes. Alger. PP. 26-27.

[24]- V-A Dieuzaide.(1880) . Histoire de l'Algérie de 1830-1878. T1. Imprimerie de l'association ouvrière. Oran. P 318 .

[25]- R. Peyronnet. OP. Cit. P. 27. /_ Albert Ringel.Op. Cit.P. 20. 21.

[26]- قاد المقاومة العسكرية في الشرق الجزائري أحمد باي ما بين 1830 و1848، أما في الغرب الجزائري فتولاها الأمير عبد القادر خلال الفترة الممتدة مابين 1832 و1847.

مساعي الفرنسيين في إيجاد المؤسسات الإدارية متغيرة وغير ثابتة خاصة في المرحلة الممتدة مابين 1830 و1834، ولمسوا أن منصب أغا العرب الذي أعيد الاستعانة به مرة أخرى في 10 نوفمبر 1834 بقيادة الضبط ماري مونج Mary Monge كنظام إداري يتناسب فقط بالمناطق التلية القريبة من مدينة الجزائر[27]، وحتى منصب مكتب العربي المبدئي وتنظيمه يعبر على أن الاحتلال لازال قائما بمناطق ساحلية محدودة وهران، عنابة وهذا بسبب انتشار مجال المقاومة العسكرية.

_مكتب الشؤون العربية:

بالرغم من النكسات التي مني بها الفرنسيون على إثر المقاومة العسكرية إلا أن الإصرار في التوسع الاستعماري بقي قائما لديهم لتحقيق الاحتلال، فامتدوا شرقا وغربا، وهم في نفس الوقت على قناعة ضرورة إيجاد نظام إداري يتماشى وطبيعة سكان تلك المناطق ذو طابع شمولي، وهو ما تحقق مع اعتلاء دامريمون Damrémont [28] منصب الحاكم العام في أوت 1837حيث أكد على تطبيق مبدأ المركزية في تسيير شؤون الأهالي تحت إشرافه مباشرة[29]، فأنشأ بذلك مديرية الشؤون العربية في 22 أفريل 1837 عين على رأسها الضابط بليسيي رينود Pelissier Reynaud [30] لتمتعه بقدرات وخبرة في طبائع وسلوكيات السكان نهيك على إتقانه اللغة العربية[31].

أشرفت هذه المؤسسة المركزية على عملية تسهيل الاتصال بالقبائل وإخضاعها للسلطة الفرنسية، ومحاولة التعرف على عادات وتقاليد السكان وحياتهم، والعمل على حماية المصالح الاستعمارية، ونشر الأمن والسلم الضروريان لتحقيق الاحتلال[32]. واستمرت في مهامها حتى 1839 [33] بعد استقالة بليسيي وإلغاءها من قبل الحاكم العام فالي Valée، ليعود الاهتمام بشكل رئيسي للعمل العسكري المباشر من خلال نشاط الجيش خاصة

---

[27]- Roger Germain. Op. Cit .P. 197.

[28]- هو شارل ماري دامريمون ولد في 1873، التحق بالخدمة العسكرية في سن مبكر، ليبلغ رتبة عقيد سنة 1813 ثم ماريشال سنة 1821. وقد أظهر دراية كبيرة في التسيير الإداري والعمل العسكري، قتل في الهجوم الذي وقع على قسنطينة في 19 أكتوبر 1837. ينظر : R. _ Peyronnet. Op. Cit. PP. 26-28,

[29]- أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ص. 61.

[30]- _ Pelissier Aimable- Jean- Jaques هو من مواليد Maromme قرب Rouen في 1794/11/6، تخرج من سان سير في 1815 برتبة ضابط في فرقة المقاتلين في بيت الملك ثم بعد 100 يوم أصبح ضمن الفرقة 57 وشارك في عدة حروب بإسبانيا سنة 1ذ823 ومري في 1828. عين قائد الأركان بوهران في 1839/11/2 ثم نائب قايد الأركان العامة بالجزائر في 1842/7/8. شارك في عدة عمليات منها بالأغواط ضد الشريف محمد بن عبد الله سنة 1852. كان قائد قسمة مستغانم ما بين 1845 و1848 ومقاطعة وهران مابين 1848 و1851. عين حاكما عاما للجزائر في 1860 . توفي في 1869. ينظر: R.Peyronnet. Op. Cit. P. 190.

[31]- Ibid. Op . Cit. PP. 293, 294./- Henri Vast. Sans date. L'Algérie et les colonies Françaises. Garnier Frères. Paris. P. 6. / - Xavier Yacono. Op. Cit. P, 12/ - Roger Germain. Op.cit.P. 196./- Le Genard de Wollf. (1871). Les Bureaux arabes devant le Jury. Compte rendu in Extenso " des débat du procès". Agissant au nom des BA contre l'Akhbar, l'Algérie Française, moniteur de l'Algérie. Imprimerie de l'association ouvrière ; Sillant et Cie .Alger. P. 34. .

[32]- Albert Ringel. Op. Cit. 23.

[33]- Jqaueline Bayle. (1981) . Quand l'Algérie devenait Française. Arthéme Fayard. Paris. P. 41.

بعدما وصلت المقاومة العسكرية بقيادة الأمير عبد القادر أوج قوتها سنة 1939، وامتدت جغرافيا لتشمل الغرب والوسط وصولا شرقا بعد إبرام معاهدة التافنة[34]، والتي حصل بها على اعتراف رسمي لسلطته بتلك المناطق.

2_ ترسيم الإدارة الأهلية:

بعد التخطيط الطويل للسلطة الاستعمارية في التجارب والمحاولات المتكررة لإيجاد إدارة أهلية أو سياسة عربية تعتمد على موظفين من أصول جزائرية خاصة مع قوة المقاومة العسكرية بقيادة الأمير عبد القادر، وانشغال العسكريين في تصفيتها عسكريا على حساب الاهتمام بتسيير شؤون الأهالي بعد الحملات[35]، غير أن الوضع تغير مع مطلع فترة الأربعينات بعد اعتلاء الجنرال بيجو Begeaud[36] منصب الحاكم العام في 22 فيفري 1841، جاء وهو مقتنع بضرورة تحقيق الاحتلال الشامل بواسطة السيطرة على العرب وتطبيق الاستيطان العسكري[37]، لذلك تبنى سياسة عسكرية ومدنية[38] في استهداف الأمير عبد القادر وأتباعه، ومن بين عناصرها: تبني نظام إداري يتماشى والتنشئة العربية الجزائرية، سمح بمراقبة "الأهالي" (الجزائريين) والتجسس عليهم، ويضمن خضوعهم والسيطرة عليهم[39].

في الواقع انطلق في بناء هذا النظام من مبدأ : " **حكم العرب بالعرب**"[40]، ومعنى ذلك حسب رأيه السيطرة على القبائل لا يكون إلا بالاستعانة بعناصر محلية كونها على دراية مطلقة وتامة في التعامل مع السكان، ولتحقيق هذا النظام على أرض الواقع وإيجاد نواة الإدارة الأهلية رسميا قام بتشريح كل تجارب من سبقوه في هذا

---

[34]- أبرمت معاهدة التافنة بين الأمير عبد القادر والفرنسيين بقيادة الجنرال بيجو في20 ماي 1837، والتي تم فيها الإعتراف بسلطة الأمير عبد القادر على مناطق الغرب الجزائري والوسط ماعدا المدن الساحلية كمستغانم، وأرزيو، ووهران، ومدينة الجزائر، الأمر عاد بالإيجاب على الأمير وفتح له أفق التوسع شرقا. ينظر: أبو القاسم سعد الله . المرجع السابق. ص ص. 181-182.

[35] - شارل أندري جوليان. المرجع السابق. ص312.

[36] - هو توماس روبار بيجو، ولد في 1784 بمدينة ليمونج، ينحدر من أسرة ايرلندية، درس التاريخ والجغرافيا. انضم للجيش سنة 1804 في صفوف الحرس الإمبراطوري ، قدم للجزائر في 1836 لمواجهة الأمير عبد القادر ، أبرم معه معاهدة التافنة في ماي 1837، 1841 أصبح حاكما عاما على الجزائر، وتبنى سياسة استعمارية تمكن من خلالها القضاء على مقاومة الأمير. ينظر: R .Peyronnet. Op. Cit. P.71-75. _

[37] - شارل روبير أجيرون.(1983). تاريخ الجزائر المعاصرة. تر عيسى عصفور. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. ص. 38. / _ شارل أندري جوليان. المرجع السابق. ص. 392.

[38] - تبنى الجنرال بيجو سياسة الحرب والإبادة للمقاومة، نلخصها في نقطتين أولها مدنية من خلال فكرة توطيد الاستعمار الفرنسي بالجزائر بإحلال العنصر الأوروبي محل العنصر العربي بالأراضي المغتصبة وبتطبيق الاندماج بالقضاء على مقومات المجتمع الجزائري وتعويضها بمقومات فرنسية أي بمعنى أخر تحقيق استعمار استيطاني، ولتحقيق ذلك أصدر قوانين وتشريعات سهلت عملية الاستيلاء على الأراضي مثل قراري 1845 و1846، إضافة إلى تقنين التبادل التجاري بحصر أسواق مشتركة للتعامل بين الفرنسيين والجزائريين وحشد الأهالي في تجمعات سكنية تحت مراقبة الجيش لإبعادها عن المقاومة وتجريد القبائل من محاصيلها وماشيتها وجعلها تحت رحمة بيجو في معاشها. وسع كذلك من صلاحيات المكاتب العربية كأداة لتنفيذ سياسته وأصدر عقوبات جماعية كالتغريم والمصادرة والنفي. ثانيها عسكرية باستهداف مدن الأمير خصوصا المدية، تلمسان، معسكر، تاقدامت، حارب خلفاء الأمير في المناطق البعيدة ببلاد القبائل وبلاد الحضنة، والزيبان وسعيدة وتازة، وأدت هذه السياسة إلى تراجع المقاومة ابتداء من 1843. ينظر: أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ص ص. 217.218.

[39] - نفسه. ص. 58.

[40]- Albert Ringel.Op. Cit. P. 27.

المجال واقتنع بضرورة تطبيق المبدأ اللامركزية في تسيير أمور الأهالي[41]، والاستعانة بالقيادات المحلية من أجل مراقبة الوضع، وجمع المعلومات عن تحركات الثائرين ومصادر تموينهم، وحتى أخبار عن المؤيدين والمتعاونين معهم[42]، وعبر عن ذلك قائلا: " ....**إن سعادتنا بهؤولاء الرؤساء أو العائلات الكبيرة تعد وسيلة ناجحة لتعيين مواقع الثوار وبذلك نتمكن من حصارهم والقبض عليهم بكل سهولة، وكذلك هذه الوسيلة تدخل في إطار المحافظة على الأمن العام والمحافظة على إزدهار التجارة والتبادل التجاري....كما أعطيت لهؤلاء الأعوان مهمة مراقبة الأشخاص الذين يمرون عبر المناطق، ومهمة مراقبة المغنين المتجولين الذين يحرضون ضدنا الأهالي بنشر أفكار مغرضة ضد وجودنا في البلاد.....**"[43] .

ولتوظيف هذه الزعامات حاول إعادة بعث مديرية الشؤون العربية بنمط لامركزي على مستوى المقاطعات وهران، الجزائر، قسنطينة والأقاليم التابعة لها بقرار أصدره في 16 أوت 1841، والذي جاء فيه شروط الواجب توفرها في المسؤول عن هذه المديرية منها: وجوب الطاعة وتنفيذ أوامر الحاكم العام وكتم السر، إضافة إلى الخبرة بأحوال الأهالي[44]. وهذه الشروط كلها توفرت حسب رأي بيجو في الجنرال أوجين دوماس Eugéne Dumas [45] الذي كان خبيرا بشؤون الجزائريين، عارفا بعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم، وهذا بحكم الفترة التي قضاها كقنصل عند الأمير عبد القادر بمعسكر مابين 1837 و1839، أما المهام التي أوكلت له تأتي في مقدمتها ممارسة السلطة على القياد والشيوخ، والحكام، والقضاة، والمفتي، إضافة إلى تولي مهام الشرطة[46] .

إذن منذ تولي دوماس المنصب أعطى دفعا لسياسة بيجو الإدارية، فالمعلومات التي زوده بها سمحت بمد الاحتلال إلى مناطق عميقة كالهضاب، كما أنه جاء باقتراح في الإدارة الأهلية، واقنع بيجو بضرورة المحافظة على التنظيم الإداري المتبع من قبل الأمير عبد القادر مع إحداث تعديلات بسيطة تتماشى ومتطلبات المشروع الاستعماري[47]، منها مقاييس اختيار الموظفين قائمة على مبدأ الولاء للسلطة وتأييد مشروعها على عكس

---

[41] - Victor Démontés. (1917). La Colonisation militaire sous Bugeaud . Imprimerie Algérienne. Alger. P. 502.

[42]- Roger Germain. Op.cit.PP.203-204.

[43]- محمد دادة. (2002. 2003) . السياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر (1852. 1870). رسالة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر. إشراف دحو فغرور. كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية. قسم التاريخ وعلم الآثار. وهران. ص ص. 121، 122.

[44]- Victor Démontés. Op. Cit.P.502.

[45]- ولد في 1803 ب Delemenont بسوسرا تتلمذ في الطب لكن والده رأى وجوده في باريس غير مفيد وأجبره على الإلتحاق في الفرقة الثانية للقناصيين، عين ضابط صف في 1827 والتحق بسان سير في 1829 وصل إلى الجزائر سنة 1835 تحت إشراف كلوزيل شارك في حملتي معسكر وتلمسان، بعد معاهدة ديميشال اختير من قبل بيجو ليكون ممثلا دبلوماسيا لفرنسا لدى الأمير عبد القادر من 1837 و1839 . بعدها استدعي من قبل لامورسيير إلى وهران لتولي شؤون الإدارة الأهلية بالمقاطعة على رأس مكتب المعلومات، تولى الإدارة المركزية لشؤون الأهالي سنة 1841 توفي في 1871مخلفا عدة كتابات منها: Le Sahara Algérien ; La Grand Kabylie ; Le Chevaux du Sahara ; Mœurs et Coutumes de l'Algérie ; La Vie arabe et la société musulmane ينظر: R. Peyronnt. Op. Cit. PP. 121-126

[46]- Victor Foucher.(1875). Bureaux arabes en Algérie. Librairie internationale. Paris. P 13 /- Louis Baudicour. (1860). Histoire de la Colonisation de l'Algérie. Challamel. Paris. P. 525./- GGA. (1856) .Recueil des actes du gouvernement de l'Algérie (1830-1854). Imprimerie du Gouvernement. Alger. P.166.

[47]- Roger Germain.Op.Cit.PP.203-204.

المقاييس التي تبناها الأمير كل من الكفاءة، والعلم، والدين[48]. وفعلا جاء اقتراح دوماس بنتيجة نهائية باعتماد بيجو سياسة إدارية عربية ثابتة تم ترسيمها بقرار وزاري في 1 فيفري 1844 عرف "بنظام المكاتب العربية".

_قانون المكاتب العربية 1 فيفري1844:

سمحت عملية التمحيص بنظام الأمير عبد القادر[49] على يد دوماس الوصول إلى نتيجة مهمة وخطيرة مفادها أن نجاح مقاومة الأمير تعود إلى نظامه الإداري، الذي سمح له بأن يوحد كل القبائل وجعلها تحت سيطرته، وعليه أقروا تبنيه مع إحداث تعديلات تجعل منه ذو هدف سياسي استعماري أكثر من نظام إداري يعنى بشؤون الجزائريين، تم إصداره رسميا كما سبق ذكره بقرار وزاري في 1فيفري 1844 يقضي بإنشاء نظام المكاتب العربية[50].

نجح الفرنسيون في إرساء قواعد نظام إداري ثابت ورسمي نواته الأساسية " المكتب العربي"، تم تعريفها كمؤسسة إدارية من قبل العديد الفرنسيين الذين أشرفوا عليها ومن تعاريفهم :

نجد شارل ريشارد Charles Richard يصفها:" ... إن مؤسسة المكتب العربي هي وسيلة عمل وهي أساس تفكيرنا قبل أن تكون وسيلة لتعبيرنا..."[51] ، أما فرديناند هيقونيت Ferdinard Hugounet :"... المكتب العربي هو حلقة بين الجيش الأوروبي الذي استوطن بالقطر الجزائري منذ عام 1830 والجيش الأهلي الذي يقطن البلاد ولا يزال إلى الآن..."[52] ، وفي 1857 وصف الجنرال دومال Dumale :".... إنشاء مكتب بالنسبة للأهالي أمن غير محدود وبالنسبة لنا جهاز مناسب وقوي للحكومة...." ، أما دوماس Dumas الذي تولى المكتب المركزي للإدارة الأهلية ووضع الخطوط العريضة للسلم الإداري فقد عرفه قائلا:"... مؤسسة لأجل تثبيت الاحتلال الحقيقي للقبائل بواسطة إدارة عادلة ومنضبطة لتحضير مؤيدين لاستيطاننا وتجارتنا بواسطة الأمن العام وحماية مصالحنا الشرعية...."[53].

من هنا نلاحظ أن السلطة الاستعمارية مساعيها من خلال إقرار هذا النظام لم تكن تسعى إلى ترقية الفرد الجزائري، والسهر على تلبية حاجاته بقدر ما هو وسيلة لتحقيق أهداف استعمارية ونلخصها في:

---

[48]- أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ص ص. 325- 326.

[49]- أعد دوماس تقريرا مفصلا ضم ستة فصول اختصت ب: 1- السلالات التي تقطن الجزائر، 2-أسس تنظيم الأمير عبد القادر، 3- أسس التنظيم الفرنسي، 4- اختصاصات القادة الأهالي، 5- نظام العدالة، 6- الضرائب. ينظر: Eugène Dumas.(1844) . Exposé de l'état actuel de la société arabe du Gouvernement et de la législation qui la régit. Imprimerie du Gouvernement. PP. 1, 27,44,53,81,97.

[50] - Sanngiovanni Cy.(Novembre 1973). Le Bureaux arabes de Fort –Napoléon (1857-1874). Travail d'étude et de recherche d'histoire. Sous la direction de Yacono. Université Toulouse. Le Mirail. P .21./_ GGA. Recueil des actes du gouvernement de l'Algérie (1830-1854). Op. Cit. P. 269.

[51]- Xavier Yacono. Op. Cit. PP. 19-20.

[52]- Ferdinard Hugonnet.(1858). Souvenir d'un chef de bureau arabe. Michel lévy- Frères libraires. Paris. PP.5-6.

[53]- Xavier Yacono. Op. Cit. P.15.

1. إخضاع القبائل وتحقيق الاستعمار بالاحتلال الشامل[54].

2. مراقبة المرابطين وشيوخ الزوايا والطرق الصوفية ورجال الدين[55].

3. جمع المعلومات الجغرافية والسياسية والتاريخية والاجتماعية لتسهيل عملية الاحتلال.

4. تنظيم الاستيطان من خلال إحصاء الأراضي وأنواعها والإشراف على الأشغال العمومية من إنجاز الطرقات وإنشاء قرى وغيرها[56] بالإضافة الإشراف على مختلف النشاطات الاقتصادية كالزراعة والاستيطان وكذا التحصيل الضريبي، وتنشيط التجارة بنوعيها سواء عبر الأسواق أو تجارة القوافل بالمناطق الصحراوية.

5. مراقبة القبائل وتتبع تحركاتها خاصة تلك التي كانت مساندة للمقاومة الوطنية على عهد الأمير عبد القادر وأحمد باي .

6. المساهمة في العمل العسكري من خلال الإشراف على تسليح القوات الأهلية وشراء الأسلحة إضافة إلى المشاركة في الحملات التأديبية للقبائل.

9. المتابعة التامة للوضع الاجتماعي للقبائل من خلال الإشراف على عملية القضاء والتعليم والتدخل في تنظيمها لصالح ما يخدم المشروع الاستعماري[57] .

_ أجهزة الإدارة الأهلية:

اتخذ التنظيم الإداري للإدارة العربية شكلا هرميا تحت إشراف السلطة العليا الفرنسية، حيث نجد على قمته مكتب سياسي متعلق بالشؤون العربية ذو طابع مركزي يخضع مباشرة إلى مراقبة الحاكم العام، مكلف باستقبال التقارير الواردة من المقاطعتين – وهران وقسنطينة- ، إضافة إلى جمع وحفظ الأرشيف وإعداد التقارير والبيانات التي ترسل إلى وزارة الحرب. أول من تولى هذا المكتب الجنرال دوماس Dumas الذي استمر في منصبه حتى 1847[58].

تفرع عن هذا المكتب بتتابع وتراتب ثلاث إدارات إقليمية للشؤون العربية على مستوى المقاطعات الجزائر، وهران، قسنطينة، تخضع إلى سلطة القائد الأعلى للمقاطعة[59]. تتولى مهمة الترجمة والتحرير باللغة

[54]- Charles Richard. (1846). Etude sur l'insurrection du Sahara. Typographie A. Alger. P. 184. /_ General M Boucherie.(1957). Les Bureaux arabes leur rôle dans la conquête de l'Algérie. **Revue de défense Nationale**. Paris.7. P. 1.
[55]- Victor Foucher. Op. Cit.P 22.
[56] - Louis Milliot. (1930). Le gouvernement de l'Algérie. T3. Publication de comité nationale métropolitaine de centenaire de l'Algérie. Alger. P10.
[57]- C.A.O.M. GGA. F80/1676. Notes sur les Bureaux arabes. 1847./ - R. Peyronnet. OP. Cit. P. 37.
[58]- A. Behaghel.(1865). L'Algérie. Tissier Libraire éditeur. Alger. PP. 335-338. / Xavier Yacono.(10/11/1947). Les Bureaux arabes. **Documents Algériens**. N°10. P. 19.
[59]- Louis Milliot.Op .Cit. P.9.

العربية وإعداد الأوامر وإرسالها ومراقبة الأسواق ووضع تقارير عامة إلى الحاكم العام بخصوص وضعية البلاد في كل المجالات الإدارية والسياسية[60].

تأتي بعد ذلك المكاتب العربية الموزعة في مختلف المناطق في شكلين مكاتب من الدرجة الأولى موجودة على مستوى القسمات تحت إمرة القائد الأعلى، ومكاتب من الدرجة الثانية منتشرة بالدوائر والملاحق المتواجدة بمناطق بعيدة عن الدائرة[61].

أما بالنسبة للعناصر التي تشرف على تسييره فهي من أصول جزائرية وفرنسية عسكرية، تربط بينهما علاقة قائمة على قاعدة التبعية والولاء، التي تجعل الموظفين الفرنسيين في المرتبة الأولى يتبعون بالموظفين من "الأهالي" في الدرجة الثانية يعملون تحت إشرافهم:

أ_ الموظفون الفرنسيون:

بعد وضوح معالم نظام الإدارة الأهلية مع القرار الوزاري الذي اقتضى بأن تكون المكاتب العربية بعناصرها بمثابة الوسيط بين السلطات الفرنسية العليا والأهالي، أصبح من الضروري الاهتمام بالعناصر التي تتولى تسيير وإدارة المهام بهذه المؤسسة، وانطرحت عدة تساؤلات على العسكريين وبخاصة بيجو حول مسألة اختيار الضباط وانتدابهم كموظفين في السلك الإداري، فالمهمة ليست بالسهلة لكونها مرتبطة بالهدف الرئيسي " **الاحتلال الاستيطاني**". إذن الفرد المنتدب من الفرنسيين لابد أن تتوفر فيه شروط : أولا أن يكون من السلك العسكري، وبالفعل كل الضباط الذين عينوا ينتمون إلى مختلف الجيوش ولاسيما فرقة المشاة، ولم يشكلوا أبدا سلكا نظاميا بل انتدبوا من فيالقهم. أما ثانيا فلابد أن يجيدوا اللغة العربية وملمين بعادات وتقاليد السكان وطبائعهم[62]، وليست لهم أية عقدة أو خجل للغوص في حياة الأهالي، وهنا لابد من الإشارة أن بيجو ركز عليها في قيادته للإدارة الأهلية وحث الضباط على ضرورة تعلم اللغة العربية لأن مهمتهم تعد إحدى الوسائل المستعملة لتحقيق السيطرة المطلقة والشاملة ماديا وبشريا[63].

احتوى كل مكتب عربي على عدد من الموظفين العسكريين على رتب مختلفة وهم: رئيس المكتب العربي وهو ضابط برتبة قائد بمكتب الدرجة الأولى وضابط بمكتب الدرجة الثانية يعمل تحت إمرته ملحقين ومتربصين برتب مختلفة، يعينون بالأقدمية [64]، إضافة إلى كاتب فرنسي برتبة ضابط صف أو عريف أو جندي،

---

[60] - L. De Baudicour.(1853). La Guerre et le Gouvernement de l'Algérie. Sagnier et Bray. Paris. P.546. 457 / - Camille Sabatier. (1881). la question du sud ouest. Adolph Jourdan. Alger. P. 237.

[61] - Emrit Marcel. (10/08/1954). La politique économique et sociale des Bureaux arabes. **Documents Algériens**. N°29. P. 9. / _ L. De Baudicour. Op. Cit.P.456.

[62]- 62_ Jules Duval. (1877). L'Algérie et les Colonies Française. Librairie Guillaumin et Cie. Paris. P101.
_شارل أندري جوليان. المرجع السابق. ص390.

[63]- Roger Germain.Op.Cit.P. 264.

[64]- احتوى قرار فيفري 1844 في بنديه رقم 10و11 رواتب وأجور الموظفين في الإدارة الأهلية: مدير الإدارة المركزية يحصل سنويا على 4000فرنك أما مديري الأقاليم الثلاثة 2000فرنك، رئيس المكتب العربي درجة أولى يتقاضى 1200 فرنك ورئيس مكتب درجة ثانية يتقاضى 600

ومترجم، وقاضي، وضابط مسؤول عن الصحة (طبيب)، نهيك عن الحاجب أو الشاوش، وخوجة أو كاتب عربي مكلف بالمراسلات العربية[65]، وفرق صبايحية تحت إمرة ضابط، ووكيل الضياف.

تميز هؤلاء الموظفون بنوع من الحرية في التعامل مع الأهالي إلى درجة أصبحوا يمثلون في نظر الأهالي الحكومة ذاتها وأصحاب السلطة الفعلية، وأصبح رئيس المكتب العربي يلقب بالسلطان، وسيكون لذلك على المدى البعيد انعكاسات على الوجود الفرنسي حيث ظهر صراع بين العسكريين الفرنسيين والمعمرين الذين كانت حجتهم في الهجوم على السلطة العسكرية هي تصرفات ضباط المكاتب العربية وحرية التصرف لديهم.

ب _ الزعامات الأهلية:

أدرك الفرنسيون على رأسهم بيجو للقضاء على المقاومة والبلوغ إلى الاحتلال الشامل لا يكون إلا بالتقرب من القيادات الجزائرية وزعمائها وإقناعها بالتعامل معهم بطريقة ترضي مكانتها ونخوتها وتقاليدها. وبالطبع هذه الأرستقراطية لم تكن كلها على موقف واحد فهناك محاربة ومعادية لفرنسا أو مبتعدة عنها أو خاضعة لها بالقوة اضطرت إلى الاستسلام بعد فشلها في المقاومة[66].

استعمل بيجو عدة وسائل وسبل لكسب وإقناع هذه القيادات، لأنه كان على يقين تقريبها منفعة لهم أكثر من معارضتها، التي تعد خطرا مستمرا لابد من إزالته، ولأجل هذا تبنى في نظامه الإداري لسنة 1844 مبدأ ضرورة **حكم العرب بالعرب**، أي تصبح هذه القيادات هي اليد الاستعمارية التي يقهر بها الجزائريون[67]، فبيجو كان على قناعة أن الأهالي لن يخضعوا إلا إلى السلطة التقليدية التي تعودوا عليها والمتميزة بنفوذها إما الديني أو النسب أو العسكري[68].

وهكذا سعى بيجو إلى توظيف هذه الزعامات التقليدية التي قبلت التعامل معه مقابل امتيازات مادية ومعنوية، وتم توظيفها وفق السلم الإداري المعتمد لدى الأمير عبد القادر في دولته من ناحية الشكل بإبقاء الألقاب ومراتبها، وفي نفس الوقت أوجد إلى جانب منصب الخليفة منصب الباشاغا[69]، وكلاهما كان له نفس الصلاحيات. أما فيما يخص مقياس التعيين ومنح السلطة لهذه الزعامات هو الولاء والاعتراف بالسيادة الفرنسية وحضارتها، وسنحاول الآن التعرف عن هذه المناصب ومهامها تدريجيا من أعلى رتبة إلى أدناها:

فرنك. وتبلغ مصاريف كل أقسام الإدارة الأهلية تدريجيا بدء من الإدارة المركزية ب: 1600 فرنك و5560 لكل إدارة إقليمية، 2460 لكل مكتب عربي من الدرجة الأولى و1400 لكل مكتب من الدرجة الثانية. أنظر: GGA. Recueil des actes du gouvernement de l'Algérie _ (1830-1854). Op. Cit. P. 26

[65]- GGA.(26/3/1867). Instruction réglementaire sur le service des Bureaux arabes. « Mise a jour à la date 29/4/1879. ». Extrait du bulletin officiel. N= 222. Typographie et lithographie. Alger .PP. 10-12.

[66]- أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ص. 117.

[67]- شارل روبير أجيرون. المرجع السابق. ص. 38.

[68] - أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ص. 117.

[69]- L. De Baudicour. Histoire de Colonisation de l'Algérie . Op.Cit.P. 527.

- الخليفة(الباشاغا):

يصدر قرار تعيين الخلفاء باسم الملك الفرنسي بعد اقتراح وتزكية من قائد المقاطعة مستعملا الحاكم العام. له أجر ثابت يحصل عليه من السلطات الاستعمارية يصل في الغالب سنويا 120000 فرنك، سخرت له قوة عسكرية نظامية بأجرتها المدفوعة من فرنسا. أما عن مدة بقاءه في المنصب فهي غير محدودة بتاريخ معين لكن في حال ارتكابه خطأ تعلق مهامه من طرف قائد القسمة ويحال مباشرة إلى الحاكم العام للتحقيق معه. ومن المهام والصلاحيات التي أوكل بها:

*. استقبال ونقل مقترحات الآغا بخصوص تعيين القايد إلى السلطات الفرنسية

*. تقديم إقترحات لتعيين الأغوات.

*. تقديم إقترحات بخصوص تعيين القضاة من خلال تزكية يؤكد فيها على قدراته ومستوى المرشحين علميا، إضافة إلى معلومات حول أخلاقه وطبائعه. له سلطة قضائية بفرض المراقبة وفرض الغرامات على الذين قاموا بإيواء مجرمين أو جواسيس أو أقاموا اتصالات وعلاقات مع القبائل الثائرة أو شراء الأسلحة بدون رخصة.

*. مراجعة الغرامات المالية التي تفرض من الآغا أو القايد وله صلاحية مضاعفتها إذا رأى أنها لا تتناسب مع الخطأ.

*. جمع الغرامات ووضعها في الخزينة المركزية.

*. الإشراف على تحصيل الضرائب من خلال إعطاء الأوامر للآغوات لتحصيلها في فتراتها[70].

_ الآغا:

تنقسم الدائرة التي تحت إمرة المكتب العربي وإلى جانبه الخليفة إلى مجموعة آغاليك تضم قبائل يعين على رأسها الآغا يحصل على تعيينه باسم الملك الفرنسي، ويصله عن طريق وزارة الحرب، ويكون هذا التعيين بعد اقتراح قائد القسمة وبناء على معلومات الخليفة، وبدوره المنصب مدته غير محدودة زمنيا بل تعلق مهامه في حالة ارتكابه إجرام أو خطأ. يحصل على أجر ثابت من فرنسا حسب أصناف ودرجاته الأولى والثانية مرتبة حسب 1200، 1800، 3000فرنك. أما عن مهامه وصلاحياته فهي تشبه صلاحيات الخليفة فقط في الإطار الجغرافي الذي تحت إمرته فهو جزء من مساحة الخليفة وأقل منه:

*. مراقبة القياد ويقدم اقتراح توقيفهم إلى الخليفة الذي بدوره يعرض الأمر إلى الهيئات العليا.

*. يكلف بجمع قوات الأهلية من القبائل وترتيب القوم بأمر من الخليفة.

[70]- Dumas.Op. Cit. PP. 54.55.56.57.

*. الإشراف على تحصيل الضرائب من القبائل الواقعة تحت أغويته.

*. له مهام قضائية من خلال تنفيذ القرارات القضائية كقرار حبس المجرمين والتغريم تصل إلى غاية 50 فرنك أو أكثر في حدود 60 فرنك[71].

_ القايد:

تنقسم كل أغوية إلى مجموعة قيادات تحت إمرة قياد ويختارون من أعيان القبائل ويعينون من طرف القائد العسكري للقسمة بحضور قائد المقاطعة، يتقاضون أجورهم من الضرائب والغرامات التي يتم جبايتها رفقة الشرطة أو المحلة العسكرية، ومن مهامه:

*. المسؤولية المباشرة على تنفيذ قرارات وأوامر الفرنسيين التي تصلهم إما بواسطة زعماء الأهالي أو ضباط المكاتب العربية.

*. تحصيل الضرائب من القبائل سواء عينا أو نقدا ودفعها إلى السلطات.

*. تولي مهمة الشرطة بمراقبة الأسواق والقبائل.

*. القيام بعملية الجرد لكل أملاك القيادات من المواشي والأراضي وكل الثروات من أجل الضرائب.

*. جمع وتجنيد قوات من الأهالي ووضعها تحت إمرة الآغا أثناء الحرب إضافة إلى جمع المؤن .

*. تنفيذ أوامر السلطات العليا باستقبال دعوات التوقيف وإرسالها إلى القبائل.

_ الشيخ:

تقع تحت إمرته الدواوير ويعينه قائد المقاطعة بحضور القايد ومهمته محدودة زمنيا مثل القايد، يحصل على أجره من التحصيل الضريبي " **الزكاة والعشور**". ومن صلاحياته: الإشراف على جمع الضرائب، وممارسة المراقبة والشرطة بدواره، وكذا جمع الغرامات وجمع المؤن للحرب، نهيك عن ترأس الجماعة[72].

من خلال الملاحظة والمعاينة لصلاحيات الزعماء الأهليين نجد أنها لها نفس المهام والاختلاف الوحيد بينها هو الإطار الجغرافي الذي يتناقص تدريجيا من القسمة التي على رأسها الخليفة وصولا إلى الدوار بإدارة الشيخ، أما وضعية هؤلاء الموظفين في نظر الأهالي فقد صنفوهم في خانة المخزنين، والتي تعودوا عليها منذ العهد العثماني.

[71]- Ibid. PP. 58.59.60.61.
[72]- Ibid. 61.62.66.67.

3_ انعكاسات الإدارة الأهلية وتداعياتها على الجزائريين:

لتحقيق مشروع الاحتلال التام بالجزائر التزم الفرنسيون بضرورة الاجتهاد لإيجاد ترتيبات وإجراءات متنوعة تمكنهم من النجاح، وخير دليل تلك التجارب والمحاولات المتكررة لإيجاد نواة لإدارة أهلية خاصة بعد النكسات التي مني بها الفرنسيون بعد اعتمادهم على الدور الكلاسيكي والتقليدي للجيش، فهم أدركوا وأصبحوا على قناعة أن السيطرة على الجزائري كإطار جغرافي متميز بتنوعه الطبيعي والبشري، نهيك على العادات والتقاليد، وحتى اللغة واللهجات المختلفة يستلزم الجدية والحزم في إيجاد تدابير وإجراءات تمكنهم، وهو ما تحقق واتضح فعليا ورسميا مع مجيء الجنرال بيجو الذي وصل إلى قناعة الإيمان بمبدأ " حكم العرب بالعرب" مع الجزائريين[73]، وساعده ومد له يد العون مستشاره دوماس الذي استطاع في مذكرة وضع تشريح حول حكم وإدارة المجتمع الجزائري مستندا فيها على نظام الأمير عبد القادر، وانتهى بنتيجة مكنت بيجو إلى تثبيت رسميا نظام المكاتب العربية في 1844/2/1 لتسيير شؤون الجزائريين بهدف السيطرة عليهم وتحقيق الأمن والاستقرار[74].

يمكن القول أن بيجو استطاع إحداث تغيير في السياسة الفرنسية بالجزائر، وذلك بإقامة ازدواجية وتلازم بين الجانبين العسكري والمدني في السياسة الاستعمارية، ومن مظاهرها الأدوار التي تولتها مؤسسة المكتب العربي ما بين 1844 و1870 سواء سياسيا من خلال الإشراف على الحملات التأديبية، ومراقبة القبائل عن طريق تنظيمها، وجعل المرابطين والزوايا تحت السيطرة والمتابعة[75]، إلى جانب إسهاماته في تفعيل العملية الاستيطانية من خلال الإشراف على عملية الاستيلاء على الأراضي، وتحويل الملكية من يد الجزائريين لصالح المعمرين[76]، وتفعيلها بمشاريع استيطانية متنوعة من خلال الإشراف على بناء السدود وحفر الآبار، وفتح الطرقات، إضافة إلى بناء المستعمرات والمستوطنات لإقامة المعمرين[77]، وتعدى الدور للمكتب العربي إلى الحط من قيمة الزوايا ودورها الجهادي والتعليمي والتربوي عن طريق فرض الرقابة على المرابطين وشيوخ الزوايا خاصة التي كان لها دور في المقاومة، حيث تم إقصاءها بالغلق النهائي أو تدجينها وذلك بجعلها تحت مراقبة السلطة الاستعمارية عن طريق المكتب العربي الذي يتدخل في تعيين الشيوخ والمعلمين القائمين على مهنة التعليم[78].

إذن نصل إلى نتيجة أن أدوار المكتب العربي كمؤسسة إدارية كان لها انعكاسات تأتي في مقدمتها:

---

[73]- Albert Ringel.Op. Cit. 27.

[74] - Eugéne Dumas. Op. Cit.PP. 1, 27,44,53,81. / _ GGA. GGA. Recueil des actes du gouvernement de l'Algérie (1830-1854). Op. Cit. P. 269.

[75]- GGA. (1849-1850). Tableaux de la situation des établissements Français dans l'Algérie (1849-1850). PP. 717./ _ Paul Azan.(1936). L'armé d'Algérie de 1830 à 1852.Polon. Paris. P. 441.

[76]- حباش فاطمة. (2014/3013). المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري(1844-1870). رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر. تحت إشراف عبد المجيد بن نعمية. جامعة وهران. ص. 240.

[77] - C.A.O.M. GGA. 23J/10. Cercle de Géryville. Rapport de 4éme trimestre de 1858 et rapport de 1ér trimestre 1859 et 2éme trimestre 1860.

[78]- Frémeaux Jaques.(1993). Bureaux arabes dans l'Algérie de la conquête. Edition Denoël. France. P. 202. /_ GGA. (1862). Tableaux de la situation des établissements Français dans l'Algérie1862. P. 191.

_ القضاء على المقاومة الوطنية بجناحها العسكري أولا مع الأمير عبد القادر سنة 1847 وأحمد باي سنة 1848، ومن بعدها الثورات الشعبية خلال فترة خمسينات وستينات القرن 19، وهذا كان في شكل طردي ومتوازي مع عملية مد الاحتلال والتوسع في مناطق بلغت أقاصي الصحراء، واستطاع الفرنسيون تثبيت سلطتهم بعد المد العسكري على يد الإدارة الأهلية التي ساهمت في إقرار الأمن والسيطرة من خلال المراقبة التامة للقبائل الجزائرية وإلزامها بالخضوع.

_ ساهم المكتب العربي في تخريب الاقتصاد الجزائري فأحدث ركودا وأزمة للجزائريين لصالح اقتصاد الحكومة الفرنسية، ومن بعدها المعمرين، فتراجع المستوى المادي للعشائر بفعل تأثير عوامل عديدة منها التعسف الضريبي والغير العقلاني، مضافا إليها سياسة المصادرة والاستيلاء على الأراضي بصيغ قانونية شرعتها الحكومة[79]، وطبقتها مؤسسة المكتب العربي على العشائر، تصب كلها في صالح الاستعمار الفرنسي الاستيطاني بالجزائر على حساب الجزائريين الذين أصبحوا يعيشون في ظروف مزرية وعدم مساعدتهم من قبل المؤسسة بالرغم من أنها موجهة إليهم، مما يؤكد أنها إدارة أهلية الغاية منها فرض السيطرة عليهم وليس تسيير شؤونهم.

_ تعد مؤسسة المكتب العربي من الهيئات والمؤسسات الاستعمارية التي كان لها دور في الاستيطان أولا من خلال تحقيق الأمن والاستقرار بالقضاء على المقاومة الوطنية، وهو أهم شرط وضروري للعملية الاستيطانية، إضافة إلى مساهمتها في تهيئة الظروف لأجل التعمير من خلال المشاركة في إحصاء ومسح الأراضي، والإشراف على مختلف مشاريع الأشغال العمومية، وتعدى دور المكتب العربي إلى درجة توجيه اقتصاد الجزائر لصالح الاقتصاد الفرنسي.

_تعد الضريبة عامل اقتصادي ومورد مالي للسلطة الاستعمارية، إلا أنها كذلك عامل تحكم وسيطرة المكاتب العربية على القبائل، كما تعتبر في نفس الوقت عامل بلبلة ونقد لنظام المكاتب بسبب تجاوزات أعوانه في عملية التحصيل، والذين كانوا محل شكوى كما كان الشأن في شكوى سكان ورقلة في حق زعماء أولاد سيدي الشيخ كل من حمزة بن بوبكر وسي الزبير وسي الأعلى سنة 1861[80].

_ لم يقتصر مبدأ التدجين على الجانب السياسي عن طريق الاستعانة بالزعامات الأهلية، وجعلها تابعة لهم، وإنما مس الجانب الاقتصادي من خلال تشجيع زراعات جديدة تخدم الاقتصاد الفرنسي، وتم توجيه الفلاحين الجزائريين إليها على حساب الزراعة المعاشية، مع عدم دعمهم ومدهم بالمساعدات والإعانات أثناء الأزمات على عكس المعمرين الذين يحظون بالاهتمام المادي والمعنوي من قبل عناصر الإدارة الأهلية.

---

[79]- قانون 1844/10/1 خاص بالأوقاف والعقارات، وفيه الأراضي غير المزروعة أو التي لم تثبت ملكيتها بعقد صريح مسجل في المصالح العقارية الفرنسية، قانون 1845/10/13 أقره بيجو لإقصاء المقاومة العسكرية ومعاقبة كل القبائل المساندة لها بتجريدها من أراضيها، قانون 1746/7/21 ينص على مصادرة أراضي البور والمهملة من قبل أصحابها، قانون 1851/6/16 وهو قانون الحصر يقضي بحصر الأهالي في مساحات محددة لصالح المشاريع الاستيطانية. ينظر: عميراوي أحميدة.(2007). آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري (1830-1954). منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954. الجزائر. ص ص. 30-31.

[80]- C.A.O.M. GGA. 1J/155. Lettre de Ahel Adjaja au Marechale.

الخاتمــة:

بقدر ما تدل تسمية "**نظام المكاتب العربية**" على أنها نظام يهتم بالشؤون الأهلية وتدبير أمورهم، وفتح مجال التعامل لها مع السلطة، إلا أنه في الواقع ومع تتبع مساره نلمس عكس ما ادعه، واتضح علنا ما كان يضمره قرار 1844، وهو تحقيق الاستعمار وتثبيت الاحتلال بأقل الخسائر، والاستفادة المادية بواسطة خلق الفتنة والصراعات داخل القبائل، والعمل على الحط من قيمة زعاماتها، وجعلها محل شك بين الأهالي وزعزعة ثقتها، خاصة الزعيم الديني الذي أصبح محل مراقبة شديدة مما أدى إلى تراجع دوره العلمي والديني والجهادي. كما أن الأهمية التي اكتسبها نظام المكاتب العربية بفضل نوعية عناصره وأهدافه، جعل عناصره وفي مقدمتهم رئيس المكتب العربي في نظر "**الأهالي**" صاحب السلطة والقرار الأول في الجزائر على حساب المعمرين خلال الفترة الممتدة بين 1844 و1870.

قائمة المصادر والمراجع:

_ الوثائق الأرشيفية:

_ C.A.O.M. GGA. 1J/155. Lettre de Ahel Adjaja au Marechale.
_ C.A.O.M. GGA. F80/1676. Notes sur les Bureaux arabes. 1847,
_ C.A.O.M. GGA. 23J/10. Cercle de Géryville. Rapport de 4éme trimestre de 1858 et rapport de 1ér trimestre 1859 et 2éme trimestre 1860.

_ المصادر:

_ المصادر الرسمية المطبوعة:

_ GGA. (1856) .Recueil des actes du gouvernement de l'Algérie (1830-1854). Imprimerie du Gouvernement. Alger.
_ GGA. (1862). Tableaux de la situation des établissements Français dans l'Algérie1862.
_ GGA. (1849-1850). Tableaux de la situation des établissements Français dans l'Algérie (1849-1850).

_ الكتب العربية

_ حمدان بن عثمان خوجة. (2005). المرآة تقديم وتحقيق محمد العربي الزبيري. المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر.

_ بالفرنسية

_ Behaghel. A. (1865). L'Algérie. Tissier Libraire éditeur. Alger.
_ Charles Richard. (1846). Etude sur l'insurrection du Sahara. Typographie A. Alger.
_Camille Sabatier. (1881). la question du sud ouest. Adolph Jourdan. Alger.
_ Duval Jules. (1877). L'Algérie et les Colonies Française. Librairie Guillaumin et Cie. Paris.
_Eugène Dumas.(1844) . Exposé de l'état actuel de la société arabe du Gouvernement et de la législation qui la régit. Imprimerie du Gouvernement.

_ Ferdinard Hugonnet.(1858). Souvenir d'un chef de bureau arabe. Michel lévy- Frères libraires. Paris.
_ De Baudicour. L. (1853). La Guerre et le Gouvernement de l'Algérie. Sagnier et Bray. Paris.
_ Le Genard de Wollf. (1871). Les Bureaux arabes devant le Jury. Compte rendu in Extenso " des débat du procès". Agissant au nom des BA contre l'Akhbar, l'Algérie Française, moniteur de l'Algérie. Imprimerie de l'association ouvrière ; Sillant et Cie .Alger.
_ Louis Baudicour. (1860). Histoire de la Colonisation de l'Algérie. Challamel. Paris..
_ V-A Dieuzaide.(1880) . Histoire de l'Algérie de 1830-1878. T1. Imprimerie de l'association ouvrière. Oran. .
_ Vast. Henri. Sans date. L'Algérie et les colonies Françaises. Garnier Frères. Paris.
_ Victor Foucher.(1875). Bureaux arabes en Algérie. Librairie internationale. Paris,

_ المراجع:

_ بالعربية:

_ بوعزة بوضرساية وأخرون.(2007). الجرائم الفرنسية والإبادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19. منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954. الجزائر.
_ أبو القاسم سعد الله. (1992). الحركة الوطنية الجزائرية (1830- 1900). ج1. دار الغرب الإسلامي. لبنان.
_ أبو القاسم سعد الله.(2009). محاضرات في تاريخ الجائر الحديث " بداية الاحتلال". عالم المعرفة. الجزائر.
_ أحمد السليماني.(1994). النظام السياسي الجزائري في العهد العثماني. مطبعة دحلب . الجزائر.
_ الغالي غربي وآخرون. (2007). العدوان الفرنسي على الجزائر . منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954. الجزائر.
_ شارل أندري جوليان. (2008). تاريخ الجزائر المعاصرة" الغزو وبدايات الإستعمار (1827. 1871). ج1. تر جمال فاطمي وآخرون. ط 1. دار الأمة. الجزائر
_ شارل روبير أجيرون.(1983). تاريخ الجزائر المعاصرة. تر عيسى عصفور. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.
_ صالح عباد.(2007). الجزائر خلال الحكم العثماني (1514–1830). ط2. دار هومة. الجزائر.
._حنيفي هلايلي.(2007). العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الأيالة (1815. 1830). دار الهدى. الجزائر.

_ بالفرنسية:

_ Azan. Paul . (1936). L'armé d'Algérie de 1830 à 1852.Polon. Paris.
_ Bayle Jqaueline. (1981) . Quand l'Algérie devenait Française. Arthéme Fayard. Paris.
_ Démontés Victore. (1917). La Colonisation militaire sous Bugeaud . Imprimerie Algérienne. Alger.
_ Milliot Louis. (1930). Le gouvernement de l'Algérie. T3. Publication de comité nationale métropolitaine de centenaire de l'Algérie. Alger.
_ Paolo Cossu Pier .(1974). I « Bureaux arabes » E IL Bugeaud. Giffré Editor. Milano.
_ Peyronnet. R. (1930). Livre D'Or Des Officiers Des Affaires Indigènes (1830_1930). T.1-2. Imprimerie Algérienne. Alger
_ Ringel Albert. (1903). Bureaux Arabes de Bugeaud et les cercles militaires de Gallieni. Emile Larose. Paris.

_ Sanngiovanni Cy.(Novembre 1973). Le Bureaux arabes de Fort –Napoléon (1857-1874). Travail d'étude et de recherche d'histoire. Sous la direction de Yacono. Université Toulouse. Le Mirail.
_ Yacono Xavier.(1953). Les Bureaux Arabes et l'évolution des genres de vie indigènes dans l'ouest du Tell Algérois, Edition Larose, Paris,
_Germain Roger.(1955). La politique indigène du Bugeaud. Pre Marcel Emerit. Edition Larose. Paris.
_ Frémeaux Jaques.(1993). Bureaux arabes dans l'Algérie de la conquête. Edition Denoël. France.

_الدراسات الأكاديمية:

_ فاطمة حباش. (2014/3013). المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري(1844-1870). رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر. تحت إشراف عبد المجيد بن نعمية. جامعة وهران.
_ محمد دادة. (2002. 2003) . السياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر (1852. 1870). رسالة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر. إشراف دحو فغرور. كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية. قسم التاريخ وعلم الآثار. وهران. ص ص. 121، 122.

_ المجلات والدوريات:

_ Boucherie Géneral M.(1957). Les Bureaux arabes leur rôle dans la conquête de l'Algérie. **Revue de défense Nationale**. Paris.7.
_ GGA.(26/3/1867). Instruction réglementaire sur le service des Bureaux arabes. « Mise a jour à la date 29/4/1879. ». Extrait du bulletin officiel. N= 222. Typographie et lithographie. Alger .
_ Yacono Xavier.(10/11/1947). Les Bureaux arabes. **Documents Algériens**. N°10. P. 19.
_ Marcel Emrit. (10/08/1954). La politique économique et sociale des Bureaux arabes. **Documents Algériens**. N°29.

.

أصداء لجوء الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى مصر سنة 1947

في الصحافة المصرية – جريدة الأهرام أنموذجا–

د/ فاتح بوفروك – أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

قسم التاريخ–جامعة عنابة–الجزائر

bouferrourkfateh@yahoo.com

الملخص:

أحدثت المساندة الإعلامية المصرية لنضال المغرب العربي عموما، والمغرب الأقصى تحديدا دفعة قوية استطاع من خلالها هذا الأخير المُضي قُدُما في برنامجه النضالي، وما لبثت أن تصاعدت هذه المؤازرة بشكل كبير مع تزايد وتيرة نشاط الحركة الوطنية المغربية في الداخل والخارج، ولاسيما النجاحات التي ما فتئت تحققها، وفي مقدمتها نجاحها في تدبير عملية التحرير، ومن ثمة لجوء الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى مصر؛ حيث لم تتوان الصحافة المصرية على اختلاف مشاربها في نقل حيثيات هذا الحدث البارز، وفي مقدمتها جريدة الأهرام العريقة.

في ضوء هذا، يتتبّع المقال الأصداء التي تركتها هذه العملية في هذه الجريدة المصرية، ومبينا كيفية تفاعلها معها، ويعتمد المقال على مادة علمية متنوعة ومهمة، مكنتنا من كشف معلومات ذات قيمة علمية هامة حول الدور الذي لعبته جريدة الأهرام في نقل وقائع هذا الحدث المهم للرأي العام المصري خصوصا، والعربي عموما، وهو ما ساهم في ازدياد تعاطف الشعوب العربية مع نضال الشعب المغربي في سبيل نيل استقلاله.

الكلمات المفتاحية: الأهرام، محمد بن عبد الكريم الخطابي، مصر، المغرب الأقصى، الملك فاروق.

Absract;

The Egyptian media support of the struggle of the Arab Maghreb in general, and of the Far East in particular, represented a strong impetus through which the latter was able to move forward in its struggle plan.

In fact, that Immensely increased in parallel with the activity of the Moroccan national movement both at home and abroad, resulting in frequent successes, notably the success of the liberation process which led to the refuge of the leader Mohamed bin Abdul Karim Al-Khattabi into Egypt, knowing that the different Egyptian press, among which the ancient newspaper Al-Ahram, did not hesitate to reveal the reasons of this prominent event.

From this standpoint, this article traces back the repercussions that this process left in this Egyptian newspaper, indicating how it interacted with it.

The article relies on a varied and important scientific material, which enabled us to reveal information of important scientific value about the role played by Al-Ahram newspaper in reporting the facts of this important event to the Egyptian public opinion, and the Arab in general, leading to an increase in sympathy of the Arab peoples with the struggle of the Moroccan people in order to obtain its independence.

Keywords; Al-Ahram, Morocco, Egypt, Muhammad bin Abdul karim Al-khattabi, king Farouk.

المقدمة

شكّلت عملية نزول الزعيم المغربي الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي بمصر سنة 1947، –ومن ثمة لجوؤه إليها– نقلة نوعية؛ في مسار النشاط النضالي في المغرب الأقصى، لاسيما وأن هذه الحادثة جاءت عقب المنحى التصاعدي الذي ما فتئ يأخذه نضال الحركة الوطنية المغربية ضد الاحتلال الفرنسي الإسباني داخليا وخارجيا، وذلك بعد أن التأم المغربيون كتلة واحدة ضد المستعمر، بعدما تطابقت وجهات النظر بين الملك محمد الخامس وبين الحركة الوطنية المغربية، الذي تطور فيما بعد إلى التنسيق والتعاون بين الطرفين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، التنسيق عالي المستوى بين الحركة الوطنية المغربية ونظيرتيها الجزائرية والتونسية بالمشرق العربي، وتحديدا بمصر، خاصة بعد تأسيس مكتب المغرب العربي بدمشق سنة 1946، وبعده بسنة مكتب المغرب العربي بالقاهرة في فيفري 1947، والذي مثّل علامة فارقة في نضال شعوب المغرب العربي قاطبة.

وانطلاقا من الأهمية الكبرى التي يكتسيها حدث لجوء الأمير إلى مصر كما أسلفنا، كانت هذه العملية مادة دسمة للصحافة العربية، وبالخصوص المصرية منها، للتفاعل معها، ومن بينها الأهرام التي غطّت العملية، محاولة نقل حيثياتها للرأي العام المصري، بشرح تفاصيل سير العملية، وما تركته من تداعيات على الصعيدين الداخلي والخارجي.

ولعلّ اختيارنا لجريدة الأهرام كأنموذج من الصحافة المصرية، نابع من الدور الكبير الذي أصبحت تلعبه في دعم قضايا التحرر في المغرب العربي، وفي مقدمتها القضية المغربية، بعدما تخلّصت من تبعيّتها للقوى الاستعمارية الغربية، وعلى رأسها الفرنسية[1]، عقب التحوّل الجذري الذي عرفه توجّه الجريدة، الذي تُرجم في تعامل

[1] – تجلّى انحياز الجريدة الواضح إلى الجانب الفرنسي في تعاملها مع مسألة الظهير البربري 16 ماي 1930 بالمغرب الأقصى، وفي الحقيقة، توجُّه الأهرام حتى ذلك الحين مُبرّر، ذلك أن مؤسّسي ومُلّاك الجريدة ينتمون إلى عائلة مسيحية مارونية لبنانية، وهي عائلة تقلا؛ إذ كانت تربطها علاقات وثيقة بفرنسا حتى أوائل

الأهرام مع القضية المغربية منذ منتصف الأربعينات، لاسيما بعدما أصبحت فضاء لمختلف الأقلام المصرية والعربية، في مقدمتهم أصحاب التوجّه الليبرالي والعروبي كطه حسين، مي زيادة، منصور فهمي، سلامة موسى وغيرهم.

لقد أحاطت إذا جريدة الأهرام[1] قضية لجوء الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي[2] إلى مصر بتغطية مميزة، عرّجت فيها على كل المحطات، التي توقّف عندها الزعيم المغربي، بداية بخبر نزوله، ثم طلبه للجوء، فقبول الملك فاروق[3] لطلبه، ومن ثمة، استقباله في قصره، وصولا إلى نشاطه وتحركاته عقب ذلك، مخصّصة لذلك مقالات عديدة.

وقصد معالجة الإشكالية، فقد اتبعنا المنهج السردي التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي، مع مقارنة المعلومات من خلال المصادر والمراجع؛ بغية الوصول إلى الحقيقة التاريخية.

1- اللجوء:

استبقت الأهرام وصول الأمير محمد بن عبد الكريم إلى مصر لتغطية عملية نزوله، بنقل أخباره لاسيما بعد قرار فرنسا نقله من منفاه إلى منفى جديد بفرنسا. ففي مقال أوردته بعددها الصادر يوم 29 ماي 1947 عنونته

الأربعينات. أنظر: صلاح العقاد، (1989)، صدى الحركة الوطنية المغربية لدى الرأي العام المصري، ندوة العلاقات التاريخية المصرية المغربية 18-20 جويلية 1988، إعداد: نجاة المريني، دار الثقافة للطباعة والنشر، المغرب الأقصى، ص 197-198.

[1] - أسسها اللبنانيان سليم وبشارة تقلا سنة 1875، نشأت في البداية أسبوعية بالإسكندرية أين تتواجد الجاليات الأوربية، ثم انتقلت إلى القاهرة، واستمرت تصدر أسبوعية كذلك، التزمت بداية بعدم الخوض في السياسة تلبية لشروط نظارة الخارجية، إلى غاية نشوب الحرب الروسية التركية، وعقب الصراع بين الخديوي توفيق وفرنسا، اصطفت الجريدة إلى جانب الفرنسيين، وهو ما كلّفها الغلق من طرف الحكومة المصرية، لتعود إلى الصدور مجددا بوساطة من القنصلية الفرنسية. للمزيد، راجع: حمزة عبد اللطيف، (1967)، قصة الصحافة العربية في مصر(منذ نشأتها إلى منتصف القرن العشرين)، مطبعة المعارف، بغداد، ص 67-69.

[2] - ينحدر من أسرة عريقة في العلم والوطنية؛ إذ كان والده قاضيا على إقليم الريف الأوسط، أتمّ تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه أغادير، ثم انتقل إلى تطوان لمواصلة تعليمه الثانوي، ومنها انتقل إلى فاس ليلتحق بجامعة القرويين، تولى بعد تخرجه عدة وظائف منها مدرسا للغة العربية، وقاضي القضاة، تزعم المقاومة في الريف بعد وفاة والده سنة 1920، واستطاع أن يحقق انتصارات عديدة على الاسبان، ومن بعدهم الفرنسيين، إلى أن تحالفت ضده هاتان القوتان، عندها اضطر للاستسلام في 26 ماي 1926، لتقرر بعدها فرنسا نفيه إلى جزيرة لارينيون، التي مكث فيها إلى غاية 1947، بعد تخلصه نزوله في مصر، التي منها استأنف نضاله من جديد ضد الاستعمار؛ حيث أسس لجنة تحرير المغرب العربي، وجيش تحرير المغرب العربي، توفي في 06 فيفري 1963، ودفن بالقاهرة. أنظر: أبو عمران الشيخ وآخرون، (1995)، معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر، ص 186-190.

[3] - من مواليد 11 فيفري 1920، أرسله والده لمتابعة دراسته ببريطانيا، توفي والده وهو هناك، ليعود بعدها إلى مصر لتحضيره لاستلام العرش، باشر سلطته الدستورية يوم 29 جويلية 1937، وتم اختيار 06 ماي من كل سنة عيدا لجلوسه على العرش. للمزيد عد إلى: لطيفة محمد سالم، (1996)، فاروق وسقوط الملكية في مصر (1936-1952)، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص 6-7. سيد عبد الرازق يوسف عبد الله، (1995)، محمود فهمي النقراشي ودوره في الحياة السياسية وحل جماعة الإخوان المسلمين 1888-1948، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص 214.

بـ:"الأمير عبد الكريم" وأرفقته بصورة له، نقلت لقرّائها خبرا مفاده عبور الباخرة كاتومبا لقناة السويس، قادمة من منفاه بجزيرة لارينيون باتجاه مرسيليا، وذلك نقلا عن وكالة الأنباء الفرنسية[1].

وحول بعض الشائعات التي تسرّبت بخصوص أهداف القرار الفرنسي الحقيقية من نقل الأمير الخطابي إلى منفاه الجديد بكورسيكا، نقلت الأهرام عن مراسلها بلندن أن جريدة المانشيستر غاردين البريطانية، نشرت مقالا تلقته من مراسلها في باريس، عقّب فيه على عودة محمد بن عبد الكريم الخطابي الزعيم الريفي المشهور من منفاه إلى الجهة التي سيقيم فيها، وهي غير بعيدة عن وطنه كما قالت. وفيها أشار المراسل إلى تزامن حدث نقل الزعيم الريفي إلى منفاه الجديد مع التزام المقيم الفرنسي في مراكش بواجباته أكثر، وفي ذلك دلالة على النيّة في التستّر على الأمر، وتذكير سلطان مراكش بأن أسرته التي أسست في القرن السابع عشر، لم تعد تنل من التقديس بأكثر مما كانت تحظى به بعض الأُسر التي سبقت أسرته في تاريخ المغرب. وختم المراسل في الأخير تفسيره بأنّه لا يستبعد أن تكون عودة الأمير محمد بن عبد الكريم نذيرا للحكومة الاسبانية، بأنّ لدى الفرنسيين وسائل للضغط عليها، إذا لم تكن راغبة في التعاون مع مراكش[2].

ونشرت الجريدة في عدد اليوم التالي مقالا آخر تحت عنوان:"عبد الكريم"، أشارت فيه الأهرام إلى تأخّر وصول الباخرة الأسترالية التي تُقلّ بطل الريف الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، لافتة إلى أنّه كان مقررا وصولها في تمام الحادية عشر ليلاً، غير أن الباخرة تلقّت إشارة لاسلكية، بتأخّرها إلى ما بعد منتصف الليل؛ حيث ستتوقف لساعتين، ثم تواصل مسيرتها عبر قناة السويس إلى بور سعيد أين تتوقف مجددا. واستعرضت الجريدة البرنامج الذي وُضع لاستقبالها[3]، مشيرة إلى أن سلطات الحجر الصحي المصرية قررت عدم الترخيص لأي أحد بالصعود إليها لكون الباخرة آتية من الشرق الأقصى؛ الذي كان يُعَد منطقة موبوءة آنذاك[4].

وبوصول الباخرة التي تنقل الأمير الخطابي إلى مصر، خصّصت الأهرام حيّزا كبيرا من عددها رقم 22276 ليوم 01 جوان 1947 للحدث؛ حيث أفردت صفحتها الأولى بالكامل لوصول الأمير الخطابي إلى مصر تحت عنوان: "الأمير عبد الكريم يلجأ إلى حمى الفاروق، نزوله من الباخرة إلى بور سعيد، سفره بالسيارة إلى القاهرة، تفاصيل رحلته من المنفى، تصريحاته للأهرام، صدى الحادث في فرنسا". وفي هذا المقال، نشرت الجريدة التفاصيل الكاملة لرحلة الأمير محمد بن عبد الكريم، وأهم المحطات التي مرّ بها، لاسيما عدن حتى وصوله إلى

[1] – الأهرام: 29 ماي 1947، ص 02.
[2] – الأهرام: 29 ماي 1947، ص 02.
[3] – تضمن البرنامج أن يصعد في البداية صاحب العزة محافظ السويس لتحتية الأمير عبد الكريم، على أن يكون مرفوقا بمندوبين من الجامعة العربية، ومكتب المغرب العربي، ولجنة الدفاع عن شمال إفريقيا، والوفد المراكشي، أنظر: الأهرام ليوم 30 ماي 1947، ص 02.
[4] – الأهرام: 30 ماي 1947، ص 02.

السويس، ونزوله في بور سعيد، كما سلّطت الضوء على أسرة الأمير التي رافقته إلى مصر، معرّجة على وصوله إلى القاهرة، ونزوله في قصر عابدين، ثم تطرّقت إلى الحفل الذي أقامه مكتب المغرب العربي بالقاهرة[1] على شرفه بحضور ثلّة من القادة المصريين، والعرب[2].

وتوقفت الجريدة عند الحديث الذي أدلى به الأمير إلى مندوبها، والذي تمحور حول التجائه إلى الملك فاروق؛ حيث أجاب الأمير عن سؤال لمندوبها حول لجوئه إلى مصر بالقول:"لقد أمضيت عشرين عاما في المنفى، كنت خلالها دائم التفكير في يوم القرار، ولمّا جاءتني الأنباء بأنّي سأنتقل من جزيرة لارينيون إلى فرنسا، كان أول ما سألت عنه:"وهل ستمر الباخرة بمصر؟ وإذ علمت أنها ستمرّ بها استذكرت كيف التجأ سماحة السيد محمد أمين الحسيني إلى ساحة الفاروق العظيم فحماه، وكذلك ذكرت ما لقيّه سماحته من كرم الوفادة من لدُن جلالة الملك، وما وجده من حفاوة الشعب المصري وتكريمه؛ مما كان له عندي أحسن الأثر". ثم أردف قائلا:" فلمّا وصلت الباخرة إلى بور توفيق، قررت أن أهجرها سرّا إلى البر، وأن أركب أول سيارة إلى قصر الملك فاروق، ولكن سبق الوقت وحال دون ذلك، وأرجأت ذلك حتى الوصول إلى بور سعيد"، ثم واصل في رواية خطة وصوله إلى دار الفاروق؛ حيث يقول عند وصوله قصر عابدين وتوقيعه في سجل التشريفات: "إنني ألتجئ إلى حمى جلالة فاروق العظيم بعد أن قضيت عشرين عاما في المنفى، طالبا للراحة والطمأنينة والعلاج، وراحة البال والذهن، وأدعو الله تبارك وتعالى أن يحفظ بعنايته ورعايته جلالة الملك الصالح، فخر العروبة والإسلام ذخرا لمستقبل العروبة العظيم". ثم يضيف قائلا:"وفي الواقع أنّا لا نملك إلا الدموع نُعرب بها عمّا يُخالجنا من آيات الشكر والحمد لذات الملك العظيم الملك فاروق، أيّده الله وبارك في عمره وأعزّ ملكه". وهنا ينقل مندوب الأهرام صمت الأمير هُنيهة ثم مضى فقال:"لقد شاء الله سبحانه أن يطيل في عمري حتى أراني أستظلّ بظل ملك مصر الكريم، وأن أرى ثمار الجهاد العربي تُؤتي أُكُلها، وكلمة العروبة تبلغ ما يزيد لها الله من عزّ وسعة"[3].

وعبّر الأمير الخطابي عن تقديره للصحف المصرية خاصّا الأهرام بالاسم، معترفا أنّ الأهرام كانت من أهم عوامل الترفيه عن نفسه في المنفى، معبّرا عن ذلك بقوله:"وكانت المرآة التي أرى فيها خطوات سير العالم". وقد

[1] – انبثق عن المؤتمر الجامع الذي ضمّ مختلف الأحزاب الوطنية المغاربية المتواجدة بالقاهرة ما بين 15 و 22 فيفري 1947، والذي شهد مشاركة العديد من الشخصيات المصرية والعربية في حفل الافتتاح، ومكتب المغرب العربي كهيكل مغاربي موحد، كان قد تأسس بداية بالعاصمة السورية دمشق سنة 1946، على يد المناضل التونسي يوسف الرويسي، أين تمكّن من تفعيل نشاطه الدبلوماسي هناك، لصالح قضايا المغرب العربي؛ حيث وجد الفضاء الخصب لذلك. أنظر: يوسف الرويسي، (ديسمبر 1984)، قضية المغرب العربي، المجلة التاريخية المغربية، السنة 11، العدد 36/35، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس، ص 190.

[2] – الأهرام: العدد: 22276، 01 جوان 1947، ص 01.

[3] – الأهرام: العدد: 22276، 01 جوان 1947، ص 01.

أبان عبد الكريم عن خفّة روحه ـ حسب الأهرام ـ عندما التفت إلى السيد الحبيب بورقيبة[1] مداعبا إياه بقوله:"لقد كنت أحسب أنّك أكبر سنّا، وأنك ذو لحية مسترسلة، ولكنّك لا تزال شابا"، مستفسرا بعدها عمّا إذا كان الزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي[2] مازال حيّا، فلمّا علم بوفاته أطرق أسفا وقال:"لقد كان بطلا من أبطال العروبة الصادقين".

بعد ذلك، عرّجت الأهرام على موقف الحكومة المصرية من عملية نزول الأمير، وردود الفعل عليها وذلك باستعراض مضمون البلاغ الرسمي، الذي صدر عن رئاسة مجلس الوزراء، والذي شرحت فيه حيثيات العملية، مشيرة إلى طلب الأمير النزول بمصر، وهو ما وافق عليه محافظ القناة[3]. وبعدها، انتقلت الجريدة للحديث عن صدى نزول الأمير محمد بن عبد الكريم في فرنسا نقلا عن مراسلها في باريس، وما أثارته القضية في الداخل الفرنسي من ضجّة سياسية خاصة بانتقالها إلى داخل قُبّة البرلمان بعد الاستجواب الذي قُدّم في مجلس النواب، من طرف المسيو دراجون عن ظروف سفر الأمير محمد بن عبد الكريم[4].

وعادت الجريدة للحديث عن دعوة الملك فاروق للأمير للإقامة في قصره، وذلك في مقال تحت عنوان:"الأمير عبد الكريم في مصر"، وعرّجت الجريدة فيه على الحديث عن وصول الأمير إلى أنشاص وتلبية دعوة الفاروق له لقضاء بعض الأيام عنده، مشيرة بعد ذلك إلى توالي وصول الوفود المباركة بتحرير الأمير محمد

---

[1] – من مواليد 03 أوت 1903 بالمنستير، درس بالمدرسة الصادقية، تحصّل على الشهادة الابتدائية سنة 1913، ثم التحق بمعهد كارنو، انضم إلى الحزب الدستوري سنة 1922، وبعد الخلاف الذي دبّ بين أعضائه، وخلاف بورقيبة مع أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب الدستوري القديم، أسّس الحزب الدستوري الجديد رفقة الماطري، سجن عدة مرات من طرف السلطات الفرنسية في الفترة ما بين 1934 و 1938، انتقل بعدها إلى مصر ومنها واصل نضاله الوطني ما بين 1945 و1949، قبل أن يعود إلى تونس ويبدأ مرحلة جديدة دخل من خلالها في مفاوضات مع الجانب الفرنسي لتسوية القضية التونسية، بعد الاستقلال تولى رئاسة تونس إلى غاية سنة 1987 بعدما أطاح به زين العابدين بن علي، توفي سنة 2000. أنظر: عبد الحليم مرجي، (2015/2014)، قضايا تحرير المغرب العربي عند محمد البشير الإبراهيمي وعلال الفاسي 1919–1962، رسالة ماجستير، إشراف: عبد الله مقلاتي، جامعة المسيلة، ص 157.

[2] – هو عبد العزيز بن ابراهيم بن عبد الرحمان الثعالبي، من مواليد تونس في 15 شعبان 1293هـ/ 05 سبتمبر 1876م، ينحدر من أصول جزائرية، جدّه كان معروفا بالعلم والصلاح، التحق بجامع الزيتونة في سن 12، تتلمذ على يد كبار الشيوخ كمصطفى بن خليل، حسين بن حسين، إسماعيل الصفايحي، محمد النجار، سالم بوحاجب وغيرهم، انخرط في صفوف الحركة الإصلاحية، أسّس سنة 1895 جريدة "سبيل الرشاد"؛ إذ كرّسها للوعظ والإرشاد، والدعوة إلى الإصلاح، هاجر إلى الجزائر بعد توقيف جريدته، ثم عاد إلى تونس ومنها إلى طرابلس، ثم إلى اسطنبول فالقاهرة، التي قضى بها فترة طويلة بين متابعة الدروس بالأزهر، والاختلاط بالعلماء والمفكرين والمصلحين المصريين أمثال محمد عبده، بعد عودته إلى تونس سنة 1937، ولج الثعالبي الحركة السياسية التي أنشأها علي باش حمبة، التي أصبحت تعرف بحركة الشباب التونسي، كما كان من أبرز قادة الحزب الدستوري التونسي، اهتم بالتعليم، كما كان من أبرز الداعين إلى تحرير المرأة المسلمة، توفي سنة 1944. عد إلى: حمادي الساحلي، 1992)، فصول في التاريخ والحضارة، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ص 44، أحمد صاري، (2004)، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، تقديم: أبو القاسم سعد الله، دط، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، ص 82–83.

[3] – وفحوى البلاغ حرفيا هو:"عند وصول الباخرة التي تقل الأمير عبد الكريم إلى بور سعيد، نزل منها الأمير قبيل إبحار السفينة وتوجّه صباح السبت 31 ماي 1947 إلى المحافظة، وطلب إلى المحافظ أن يؤذن له بالبقاء في مصر، فاتصل المحافظ بالمراجع العليا، فأذن للأمير بالبقاء بمصر، وكلّف المحافظ أن يطلب إليه عدم الاشتغال في السياسة". أنظر: الأهرام: العدد: 22276، 01 جوان 1947، ص 01.

[4] – الأهرام: العدد: 22276، 01 جوان 1947، ص 01.

بن عبد الكريم الخطابي وذلك بمكتب المغرب العربي، وختمت مقالها برسائل الشكر التي وُجّهت للملك فاروق نظير صنيعه هذا[1].

2- موقف فرنسا من لجوء الأمير الخطابي إلى مصر في جريدة الأهرام:

تناولت الأهرام تداعيات التجاء الأمير محمد بن عبد الكريم إلى مصر، على العلاقات المصرية ـ الفرنسية نقلا عن الصحف الفرنسية؛ حيث قالت، بأن هذا الحادث سيرهن بلا شك هذه العلاقات؛ لأنه سيخلق مشاكل خطيرة لفرنسا في العالم الإسلامي، أما عواقبه الدبلوماسية فمحقّقة، من خلال توتُّر العلاقات بين البلدين لخلافهما حول مسائل أخرى، مما زاد الوضع صعوبة، فصحيح أن مصر قررت الإفراج عن أموال الفرنسيين في بلادها، ولكن هذه الترضية لا تكفي، ثم تضيف بأن مصر أحوج ما تكون إلى تأييد أصدقائها في هذا الظرف الدقيق[2].

وأشارت الأهرام نقلا عن الصحف الفرنسية إلى دهشة وزارة الخارجية الفرنسية؛ حيث نقلت تقارير تفيد بأن وزير الخارجية المصري نفى للسفير الفرنسي في القاهرة علمه بنزول الأمير محمد بن عبد الكريم؛ إذ علّق على ذلك حسبها متحدّثا باسم وزارة الخارجية الفرنسية، قائلا: "أنه من دواعي الدهشة أن تمضي تسع ساعات من نزول الأمير بمصر، دون أن يعلم وزير الخارجية المصري بنزوله"، وأضاف المتحدّث، أنّه بالرغم من البيانات خلافا لما ورد في الصحافة المصرية، فإن الأمير عبد الكريم لابد أن يكون نزل مصر على إثر توجيه دعوة إليه في هذا الصدد. وتضيف الجريدة، بأن سفير مصر في باريس أحمد ثروت بك نفى تلك الليلة نفيا قاطعا ما ورد في الصحف المصرية من الأنباء القائلة أنّ السلطات المصرية، هي التي دعت الأمير للإقامة بمصر، واستعرضت الجريدة تصريح السفير الذي قال:"أن الحكومة المصرية قد رأت الأمير عبد الكريم يخطو تلك الخطوة بمحض رغبته، ولا يسعها أن تحرمه من الالتجاء إلى مصر، بعد أن طلبت منه التعهّد بألّا يشتغل بالسياسة، ولا يوجّه دعاية ضد فرنسا"[3].

وفي عددها رقم 22278، واصلت الأهرام تسليط الضوء على الموقف الفرنسي من لجوء الأمير إلى مصر، وذلك في مقال عنونته بـ:"احتجاج وزير خارجية فرنسا على التجاء الأمير عبد الكريم إلى مصر". أشارت فيه إلى الاعتراض الذي قدّمه وزير الخارجية الفرنسي جورج بيدو إلى سفير مصر بباريس أحمد ثروت بك ضد ما أسماه، تآمر الحكومة المصرية في فرار الأمير محمد بن عبد الكريم الزعيم المراكشي، الذي كان أسيرا في قبضة الفرنسيين خلال واحد وعشرين سنة الماضية. وتضيف الأهرام نقلا عن روتر، أنّ وزير الخارجية الفرنسي أبلغ

[1] – الأهرام: العدد 22278 ليوم 03 جوان 1947، ص 02.
[2] – الأهرام: العدد 22279 ليوم 04 جوان 1947، ص 02.
[3] – الأهرام: العدد 22277 ليوم: 02 جوان 1947،ص 01.

السفير المصري، أنّ لدى الحكومة الفرنسية عددا كبيرا من الأدلّة، تثبت مسؤولية الحكومة المصرية، أمّا السفير المصري، فكرّر في ردّه وجهة النظر المصرية، التي وصفت فيها ما قامت به مصر مجرد واجب استضافة، وبناء على طلبه[1].

وكرّرت الدوائر الفرنسية تذمّرها من الموقف المصري، المجافي لعلاقات الود مع فرنسا، ذلك حسبها أنّ محمد بن عبد الكريم، كان قبل وصوله السويس عازما على الذهاب لفرنسا، غير أن الزيارات التي تلقاها بعد وصوله إلى السويس أثّرت في رأيه، وغيّرت موقفه. ونقلت الأهرام تصريحات ما أسمته بأحد الكبراء الذي قال: "نحن على يقين من أن الضغط الأدبي قد أوقع الاضطراب في نفس الأمير، فإنه كان يسافر بمطلق الحرية على ظهر باخرة لم تكن فرنسية، ذلك أنّنا كنّا نثق بوعده إلى حد أنّنا لم نكن لنتردّد في السماح له بالسفر على أية باخرة دون رقابة ما[2].

أما مجلس الوزراء الفرنسي فإنه –حسب الجريدة– سينظر عند انعقاده، فيما إذا كانت الحكومة الفرنسية ستّتخذ إجراء لتأييد الاحتجاج ضد الحكومة المصرية فيما يتعلق بنزول محمد بن عبد الكريم، مشيرة إلى القلق الكبير الذي أثاره قرار الخطابي في الدوائر الرسمية الفرنسية؛ حيث يُخشى هناك –حسبها– من أن يؤدي وصوله بلاد مصر إلى اشتداد الحركات القومية المعادية لفرنسا في شمال إفريقيا، من تونس إلى مراكش[3].

وفي هذا الصدد، نقلت الجريدة في مقال لها تحت عنوان:"بين مصر وفرنسا. السفير الفرنسي عند رئيس الوزراء"، اجتماع جيلبير ارفنجاس السفير الفرنسي في مصر بدولة محمود فهمي النقراشي باشا"، علّل إثره تصريح السفير بعد انتهاء اجتماعه برئيس الحكومة، الذي أعلن أن الاجتماع ناقش القضايا الراهنة الثنائية بين البلدين، من بينها، قضية محمد بن عبد الكريم، والطوافة فوزية، كما نقلت الأهرام عن الوكالة الفرنسية بالقاهرة، نبأ أشارت فيه إلى مقابلة السفير لرئيس الوزراء، لافتة إلى إبلاغ السفير الفرنسي رئيس الحكومة المصرية أن حكومته قد استدعته للتشاور معه، وأنه سيغادر القاهرة خلال ذلك الأسبوع[4].

وفي سياق ذي صلة، نشرت الأهرام في العدد نفسه مقالا، عنونته بـ:"مصر على حق فعلى الحكومة أن تعلن ذلك"، تعرّضت من خلاله الجريدة إلى العلاقات المصرية الفرنسية وآفاقها، على ضوء الأحداث الراهنة؛ حيث تركت حادثة التجاء الأمير محمد بن عبد الكريم لمصر، والطوافة المصرية فوزية آثارها على العلاقات

[1] – الأهرام: العدد 22278 ليوم 03 جوان 1947، ص 01.
[2] – الأهرام: العدد 22278 ليوم 03 جوان 1947، ص 01.
[3] – الأهرام: العدد 22278 ليوم 03 جوان 1947، ص 01.
[4] – الأهرام: العدد 22279 ليوم 04 جوان 1947، ص 02.

الثنائية بينهما؛ إذ رجّحت الجريدة نشوء مشكلة سياسية دبلوماسية بين البلدين، وأضافت، بأن الحادثين يقتضيان يقظة ولباقة في معالجتهما، شأن كل الحوادث الدولية، ولاسيما في الظروف الراهنة التي تجتازها مصر في نزاعها مع انجلترا[1].

وأثنت الأهرام على الجهود التي بذلتها الصحافة المصرية في سبيل تغطية حدث لجوء الأمير إلى مصر، والباخرة فوزية؛ حيث رأت أنها عالجت الموضوعين بما أوحى إليها به وعيها القومي، آخذة على الجهات الرسمية عدم تعاونها اللازم مع الصحف المصرية، لاسيما من حيث، مدّها بالمعلومات الرسمية الموثوق بها. أما الحكومة فحسبها قد قامت بواجبها في رد التهم وتفنيد المزاعم، وهذا ما نريده اعتقاده صادقين، ولكنها لزمت الصمت، ممّا حمل الرأي العام الأجنبي على المُضي في توجيه التهم الباطلة إليها، ولا نغالي تؤكد الأهرام القول أن الرأي العام المصري نفسه، تأثر بالأنباء الواردة من الخارج، مما أدخل الشك في نفسه حول مدى سلامة موقف حكومته، وإن كان موقف مصر سليما لا غبار عليه، ونظرا لموقف الحكومة من القضيتين السالفتين، فإننا نطالب ببيان رسمي حاسم، يجلو الحالة، ويُطلع الرأي العام على حقيقة الموقف المشرّف الذي وقفته مصر في إنزال الأمير المراكشي بكل ترحاب، وفي المسلك السليم الذي سلكته في إرسال الإمداد إلى تونس، أما إذا التزمنا الصمت، فقد ينقلب حقنا باطلا، في نظر العالم تختم الجريدة قولها[2].

وفي مقال جديد للأهرام، تضمنه العدد 22280 تحت عنوان:"مسألة الأمير عبد الكريم في مجلس وزراء فرنسا، وزير الاستعلامات وسكرتير الخارجية بباريس يبسطان الموقف. تصريحات النقراشي باشا ووكيل الخارجية. عودة الطوافة فوزية"، أشارت فيه، إلى أن قضية الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، أخذت حيزا كبيرا من اهتمام الدوائر الرسمية في فرنسا، لاسيما مجلس الوزراء الفرنسي، الذي كانت هذه القضية من أهم النقاط المدرجة في اجتماعه، كما ضمّنت الجريدة مقالها هذا تصريحات لوزير الاستعلامات الفرنسي، وسكرتير الخارجية بباريس، موضحا فيها ما جاء في القضية هاته، متبعة ذلك بتصريحات الطرف الآخر، ويتعلق الأمر بالنقراشي باشا، ووكيل خارجيته، اللذين شرحا فيها وجهة النظر الرسمية من القضية، وما حاولت السلطات الفرنسية الترويج له لاستعطاف الرأي العام العالمي وإدانة الموقف المصري[3].

وواصلت الأهرام في عدد اليوم الموالي تغطيتها لقضية محمد بن عبد الكريم الخطابي؛ حيث نشرت مقالا عنونته بـ:"تصفية حساب بين فرنسا ومصر في حادثتي السفينة فوزية والأمير عبد الكريم. الأمير عبد الكريم في

[1] – الأهرام: 22279 ليوم 04 جوان 1947، ص 02.
[2] – الأهرام: 22279 ليوم 04 جوان 1947، ص 02.
[3] – الأهرام: العدد 22280 ليوم 05 جوان 1947، ص 02.

أنشاص"، وفيه تحدّثت الجريدة عن أبعاد الحدثين اللذين عكّرا الجو بين مصر وفرنسا على حد تعبيرها، متطرّقة مرة أخرى لموضوع استضافة الملك فاروق للأمير الخطابي في قصره بأنشاص، والترحاب الذي غمره به الملك. وفي سياق متصل، أوردت الجريدة قصيدة شعرية خاصة مهداة إلى الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي من شعر علي الجارم بعنوان: "صارم أرهفه طول الكفاح"[1]، هذه القصيدة تعبّر عن مدى التأييد الواسع الذي لقيّه الأمير من الأوساط الشعبية العربية عموما، والمصرية على وجه التحديد، حسب الجريدة[2].

وأثارت الأهرام موضوعا حسّاسا، يتعلق بجثة والدة الأمير المتوفاة بمنفاه، والتي اصطحبها معه، والمكان الذي استقرّ رأيه على دفنها فيه، وفي السياق نفسه تضمّن العدد رقم 22283، من الأهرام مقالا بعنوان:"الأمير عبد الكريم بأنشاص، هل يُدفن جثمان والدته في جامع باريس؟"، وهو في الأصل مراسلة لمراسل الأهرام بباريس تناول فيه العرض الذي تقدمت به الحكومة الفرنسية، لمحمد بن عبد الكريم بخصوص دفن جثمان والدته في مصر، أو أن تتولى هي دفنها بباريس، في المكان المخصص لكبار المسلمين بالقرب من السلطان التركي عبد المجيد، وأضاف المراسل، أن وزارة الخارجية الفرنسية تلت بلاغا، جاء فيه أن الحكومة الفرنسية ترى دفن والدة الأمير مؤقتا في المدفن الملحق بجامع باريس، وينقل المراسل قولها، بأنها أصدرت بلاغات تضمنّت إبلاغ محمد بن عبد الكريم بهذا المقترح، وطلبت منه إبداء ما يراه مناسبا من ملاحظات حول الموضوع[3].

أما في إسبانيا، فتنقل الأهرام أن السلطات الاسبانية رأت أن مسألة نزول محمد بن عبد الكريم في مصر تهمّ بصفة خاصة فرنسا؛ حيث لم تنشر الحكومة الاسبانية –حسبها– أي بيان بهذا الخصوص، وهي لا تفكر في نشر شيء في المستقبل القريب على حد تعبيرها، وبخصوص رد فعل المغربيين، على لجوء الأمير الخطابي إلى

---

[1] – ومما جاء فيها:

حلّق النســـــر كما شاء وصاح ورمى بالقيــد في وجـــه الريـــاح
وجلا عن ريشه العـــــار كما تتجلّى الأصداء عن بيض الصـفاح
وأطاح القفص المشـــؤوم لا تعرف الجـــن متى أو أيـن طـــاح
ولكـــم حـــنّ إلى أوطـانه قلق الأضـــلاع خفـاق الجـناح
يرســـل العين فلا يلقي سوى لجج خضـــر دميـمات شحـــاح

[2] – الأهرام: العدد 22281 ليوم 06 جوان 1947، ص 03.

[3] – الأهرام: العدد 22283 ليوم 08 جوان 1947، ص 02.

مصر، أضافت الصحيفة بأن الدوائر الرسمية في مدريد لم تسجل أي رد فعل حول نزول الأمير في أرض مصر؛ إذ إن الحادث لم يترك أي رد فعل في المنطقتين الفرنسية والإسبانية في مراكش[1].

وعن إمكانية وجود تنسيق مسبق مغربي مصري إسباني لتدبير عملية نزول الأمير الخطابي، لاسيما وأن عملية اللجوء هذه تزامنت مع وجود مندوبين وطنيين مراكشيين في مصر، أشارت الجريدة إلى أن هؤلاء المندوبين يتواجدون هناك منذ مدة في مصر. أما المقابلة التي تمّت بين وزير الخارجية الإسباني، والقائم بأعمال المفوضية المصرية في مدريد كما جاء في صحف مدريد الصباحية، فإنهم ـ تضيف الجريدة ـ يلاحظون في الدوائر الإسبانية نفسها، أنها قد تمت قبل نزول الأمير في مصر، وأنها مجرد زيارة قام بها القائم بأعمال المفوضية المصرية، قبل مغادرته مدريد وتغيبه عنها لمدة قصيرة[2].

وبالموازاة مع ذلك، نقلت الأهرام عن مراسلها في لندن موقف الدوائر البريطانية من قضية محمد بن عبد الكريم؛ حيث أثار ذلك حسبه اهتمام مختلف الدوائر السياسية في لندن، بيد أنه –تضيف الجريدة– لم يصدر أي تعليق رسمي، ورجّحت أن الدوائر المطّلعة ترى أن هذا الحادث قد يقوي رغبة فرنسا في الحيلولة دون منح طرابلس الاستقلال، كما أنّه قد يضعف عطف فرنسا على القضية المصرية في هيئة الأمم عند عرضها بعد أسابيع[3].

3- الأهرام وأصداء لجوء الأمير عبد الكريم في الصحافة العالمية:

سلّطت الأهرام الضوء على الأصداء التي خلفها التجاء الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي إلى مصر في صحف العالم؛ حيث باشرت تغطيتها لها بالحديث عن لوم الصحف الفرنسية لحكومة بلادها على تقصيرها وغفلتها، التي كانت سبب إفلات محمد بن عبد الكريم، وأضافت الجريدة، أن جريدة "باريسيين ليبر" (Le Parisien Libre)المعتدلة –حسبها–، حمّلت حكومة بلادها مسؤولية ما حدث، بسبب عدم تقديرها لتداعيات الخطوة التي أقدمت عليها، متسائلة عمّا إذا كانت العملية هذه مدبّرة؟ لتضيف قائلاً: أنّه كان ينبغي أن نأخذ عبرة من المشكل الذي حدث في الهند الصينية، ومن حادث سفر السيد علال الفاسي[4] زعيم حزب الاستقلال

[1] – الأهرام: العدد 22279 ليوم 04 جوان 1947، ص 01.
[2] – الأهرام: العدد 22279 ليوم 04 جوان 1947، ص 01.
[3] – الأهرام: العدد 22278 ليوم 03 جوان 1947، ص 01.
[4] – من مواليد فاس سنة 1910، درس العلوم العربية الإسلامية، انطلاقا من المدرسة العربية الحرة الأولى بفاس إلى مدرسة الناصرية فالقرويين، باشر نشاطه السياسي في سن مبكرة، ناضل من أجل الإصلاح الإداري، والتعليمي، والديني في بلاده، وهو ما عرّضه للاعتقال، والنفي إلى الغابون سنة 1937 بعد معارضته الشديدة للسياسة الفرنسية في المغرب الأقصى، جاب العديد من دول المشرق العربي، وأوربا مناضلا لصالح القضية المغربية، توفي يوم 13 ماي 1974 وهو ببوخارست الرومانية، تاركا عدة مؤلفات أهمها: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، نداء القاهرة، حوار المغرب في المشرق، رسائل تشهد على التاريخ.....عد إلى: صلاح زكي

المراكشي[1] إلى القاهرة سفرا اكتنفه الغموض، مرجّحة أن تكون عملية نزول الأمير قد أُعدّ لها منذ وقت طويل، قبل أن تتم بهذه المهارة. ثم تساءلت الجريدة مرة أخرى قائلة:"ومن يا ترى دبّر هذه الضربة البريئة؟" قبل أن تجيب قائلة:"لا شك أنها الجامعة العربية"[2]، وختمت الجريدة تحليلها للعملية هذه بالتنبيه إلى خطورة ما سيأتي، مشيرة إلى أنّه على المرء أن ينظر إلى ما هو أبعد من هذا، فالبحر المتوسط الآن حسبها، يعدّ أهم مركز في الصراع بين الروس والانكليز[3].

ونقلت الأهرام موقف جريدة لومانيتيه لسان حال الشيوعيين في فرنسا، التي عقّبت على قضية محمد بن عبد الكريم حيث قالت في هذا الشأن:"لقد غشي بلدان الاتحاد الفرنسي استعمار الدولار الذي جعل من القاهرة مركزا من مراكزه الرئيسية للدسائس، ولا شك في أن لدعوة مصر عبد الكريم صلة بالمناورات التي يقوم بها وكلاء الرئيس ترومان. أما جريدة ليبوك المحافظة، فقد نقلت ردّة فعلها هي الأخرى الأهرام والتي نقلت جهرها بقولها: "أن هذه الحركة حركة عدائية من جانب مصر"، ثم أضافت بأن الروابط القديمة بيننا وبين مصر لا يمكن أن تصرفنا عن المطالبة بأن تعوض مصر ما قامت به حسب ما يقتضي به القانون[4].

وعادت الأهرام للحديث عن مواقف الصحف الفرنسية مجددا؛ حيث لخّصها مراسل الأهرام بباريس أنها عذرت الحكومة الفرنسية على ذلك، كما أجمعت حسبه على أن العرب لا يفهمون مقاصد فرنسا، ففي الوقت الذي تحرص الأخيرة على خلق جو من التعاون الصادق مع بلدان الاتحاد الفرنسي، يصدّ العرب هذه المبادرة على حد زعمها، ويضيف المراسل بأن الصحف الفرنسية أجمعت بأن العملية هذه كانت مع سبق الإصرار كونها مدبرّة منذ

أحمد، (2001)، أعلام النهضة العربية في العصر الحديث، ط1، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ص215-217. علال الفاسي، (2006)، رسائل تشهد على التاريخ، ج01، ط02، تنسيق وتقديم: شيبة ماء العينين، مطبعة الرسالة، الرباط، ص 19-24.

[1] – أُنشئ لضمان تطبيق المطالب الشعبية المغربية بالاستقلال، والحصول على كامل الحقوق، تم الإعلان عن تأسيس حزب الاستقلال، من طرف أعضاء الحزب الوطني، الذين دعوا لعقد مؤتمر عام، يجمع كل الأطياف السياسية والاجتماعية للبلاد، في 11 جانفي 1944، تمخّض عنه إنشاء حزب الاستقلال، مهمته الأولى تحقيق الاستقلال، وقد ضم هذا الحزب:

– الحزب الوطني، الذي كان يضم الغالبية من الفلاحين، والصناع، والتجار، والنخبة المثقفة في البلاد.

– رؤساء وأعضاء المجالس الإدارية لجمعيات قدماء التلاميذ من مختلف المدن المغربية.

– عديد الشخصيات البارزة في الحركة القومية.

– القضاة الشرعيون، والمفتين، وكبار الموظفين المخزنيين، وأساتذة الجامعة القروية، والمعاهد الكبرى، وأساتذة المدارس الثانوية، ومعلمي المدارس الحكومية والحرة. أنظر: علال الفاسي، (1992)، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مؤسسة علال الفاسي، ط5، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ص 284-285.

[2] – وفي هذا الصدد، وصف كريم ثابت مستشار الملك فاروق للإعلام في مذكراته "عشر سنوات مع فاروق" الأستاذ الفلسطيني المقيم في مصر محمد علي الطاهر بالجندي المجهول في قضية لجوء الأمير عبد الكريم الخطابي إلى مصر، من أولها إلى آخرها، بسبب الجهد الكبير، الذي بذله في سبيل تخليصه من المنفى، ولجوئه إلى مصر. أنظر للمزيد: كريم ثابت، (2000)، عشر سنوات مع فاروق 1942-1952، ط02، دار الشروق، القاهرة، ص 55-57.

[3] – الأهرام: العدد 22277 ليوم: 02 جوان 1947،ص 01.

[4] – الأهرام: العدد 22277 ليوم 02 جوان 1947، ص 01.

زمن بعيد، معترفة في الآن عينه، بأنها كانت مُحكمة التدبير، محذّرة من تبعات الموقف المصري هذا، الذي حوّل مصر حسبها إلى مركز لمعارضي فرنسا، بالرغم من أن هناك نخبة من المصريين، لا ترضى بهذا التحدي الذي يهدّد مصالح مصر على حد تعبيرها[1].

وانتقلت بعد ذلك الأهرام لاستعراض مواقف الصحف الانجليزية وعلى رأسها صنداي إكسبريس، ووكالة روتر، اللتان رأتا استنادا إلى مصادر مغربية بمصر، أن الأمير التجأ إلى مصر من تلقاء نفسه، مستدلة على ذلك بترك أسرة عبد الكريم لأغراضها في السفينة، حتى أن رفاة والده الذي توفي في منفاه السابق منذ ثمانية أعوام بقي في السفينة، وهو الذي طالما حلم بدفن والده في مراكش تؤكد الجريدة[2].

وخصّصت الجريدة مقالا مطولا في عددها رقم 22279، تحت عنوان:"التجاء الأمير عبد الكريم إلى مصر، وصداه في صحف العالم والدوائر السياسية"، عرّجت فيه بداية على أصداء الحدث في الصحافة الإنجليزية التي أجمعت على القول بأن عبد الكريم قام بحركة بارعة؛ إذ تحدّثت جريدة نيوز كرونيكل عن ما أسمته سحر اسم ابن عبد الكريم، مشيرة إلى الاعتقاد السائد في مراكش عن أنه ينوي العودة إلى بلاده، –وحسب– الجريدة نفسها، فإن محمد بن عبد الكريم يعرف أن أعظم خطأ ارتكبه هو محاربة فرنسا، فقد كان في إمكانه – تضيف الجريدة– أن يكتفي بانتصاره على الإسبان، ويتربّع على عرش السلطة في جزء من مراكش، ريثما تواتيه الفرصة لبسط سلطانه على الجزء الباقي، مذكّرة بإعرابه عدة مرات عن استعداده توثيق عُرى الصداقة مع فرنسا، مؤكدة بأنه الرجل الوحيد الذي كان يستطيع أن ينافس السلطان محمد الخامس[3] في كسب عواطف المراكشيين جميعها[4].

واستغربت الأهرام من موقف الصحف الأمريكية من مصر، وملكها، وحكومتها؛ حيث وصفته بأنه تجاوز صحف فرنسا في عنفها وتنديدها وتحاملها، وذلك عندما أخذت على مصر أنّها لم توصد بابها في وجه لاجئ سياسي حارب حرب الأبطال في سبيل استقلال بلاده، فكان جزاؤه التشريد، والنفي لمدة عشرين عاما، في حين

[1] – الأهرام: العدد 22279 ليوم 04 جوان 1947، ص 01.

[2] – الأهرام: العدد 22277 ليوم 02 جوان 1947، ص 01.

[3] – هو محمد بن يوسف الابن الأصغر للسلطان يوسف بن الحسن الأول، ولد سنة 1911، هدا الأخير عهد بولاية العهد لابنه الأكبر الأمير إدريس، إلا أن وفاة السلطان يوسف سنة 1927، جعلت ضباط الاستعلامات، والرؤساء العسكريين يجمعون على تجاهل ولي العهد، ويزكون محمد الخامس لصغر سنه، اعتقادا منهم سهولة السيطرة عليه، والتحكم فيه، ومع مرور الوقت استطاع السلطان الجديد إثبات العكس؛ إذ انخرط في الدفاع عن استقلال وطنه بمعية رجال الحركة الوطنية المغربية، التي وضعت ثقتها فيه، خاصة بعدما أقرت يوم اعتلائه العرش عيدا وطنيا، تعرض جراء ذلك الملك لمضايقات السلطات الفرنسية، أبرزها نفيه إلى خارج المغرب في 20 أوت 1953، وبعد عودته سنة 1955، استمر في الحكم إلى أن وافته المنية سنة 1961. للمزيد أنظر: عبد الله كنون، (2010)، ذكريات مشاهير المغرب في العلوم والأدب والسياسة، تقديم وترجمة: محمد بن عزوز، ج3، ط1، دار ابن حزم، مركز التراث الثقافي المغربي، المغرب، ص 1542. 1560. السبتي غيلاني، (2011/2010)، علاقة جبهة التحرير الوطني الجزائرية بالمملكة المغربية أثناء الثورة التحريرية الجزائرية، رسالة دكتوراه، إشراف: يوسف مناصرية، جامعة باتنة، ص 72.

[4] – الأهرام: العدد 22279 ليوم 04 جوان 1947، ص 01.

حسب الأهرام لم تأخذ على فرنسا أنها ردّت عن موانئ تونس باخرة دولة صديقة تحمل العون والنجدة إلى المنكوبين، واصفة إياه بأنه موقف غريب، لا تدركه الأفهام، ولا تستبقه العقول[1].

وبعدها، تطرّقت الأهرام لموقف الصحافة التركية، التي كان اهتمامها محدودا –حسبها– فيما تعلّق بنزول الأمير محمد بن عبد الكريم في مصر، رغم الاهتمام التركي بقضايا البلدان العربية في تركيا. ونقلت الجريدة ما جاء في بعض الصحف التركية عن لجوء الأمير إلى مصر، منها "جريدة وقت"، التي حسبها خصّصت فصلا رئيسيا للتعليق على هذه المسألة قائلة:"هل اتخذ الأمير عبد الكريم هذا القرار ليخلُد إلى حياة هادئة في صفوف الأمة العربية، أو هل هذا القرار مرتبط بخطة وضعها الزعماء العرب اللاجئون من دعاة الاستقلال الذاتي في مصر؟"، لتجيب الجريدة بعدها قائلة: "أنه من المؤكد أن مخاوف الفرنسيين ناجمة عن الاحتمال الثاني، لافتة إلى أن الموقف الفرنسي من الجهة القانونية ضعيف جدا، متسائلة عمّا إذا كان هناك قانون فرنسيٌ يرغم الأمير على الإقامة في فرنسا بعد إطلاق سراحه". ثم أشارت الجريدة إلى صعوبة التكهّن بمآلات الخلاف القائم بين مصر وفرنسا، سواء بسبب قضية الأمير أو الطوافة فوزية، معطية وجهة نظرها حول ما يجب على فرنسا فعله في هذه المرحلة؛ حيث نصحتها بتجنّب الاستسلام للغضب، وضرورة العمل على إيجاد حل دائم، لأنه في حال حدوث العكس فإن فرنسا ستواجه مصاعب جديدة تُضاف إلى المصاعب الراهنة[2].

وعاودت الأهرام الحديث عن موقف الصحافة التركية، من قضية الأمير الخطابي؛ حيث بعث مراسل الأهرام ينقل عن السيد شكري أسمر قوله في "صحيفة أولوس"، عن التجاء الأمير إلى رحاب الملك فاروق، أنه من البديهي، أن يحنّ إلى الحرية بعد عشرين سنة ونيّف قضاها في المنفى، لمّا مر بخاطره طيف ما، سيعفيه في الغربة من باقي الأجل، ولا يقلّ عن ذلك بداهة، رفض الحكومة المصرية تسليم بطل الريف إلى فرنسا، ولا يسع جميع المعجبين بهذا البطل، إلا أن يغتبطوا باسترداده الحرية، ولا يحق لفرنسا اعتبار هذا الاغتباط تنكّرا لها، ولو لم يكن للفرنسيين ما لهم من المصلحة في هذه المسألة لشاركونا وجهة نظرنا إلى الأمر يختم قوله"[3].

4– ردود الفعل العربية على لجوء الأمير في الأهرام:

[1] – الأهرام: العدد 22279 ليوم 04 جوان 1947، ص 05.
[2] – الأهرام: العدد 22279 ليوم 04 جوان 1947، ص 05.
[3] – الأهرام: العدد 22284 ليوم 09 جوان 1947، ص 02.

توقفت الأهرام عند الأصداء التي تركتها عملية لجوء الأمير محمد بن عبد الكريم في البلاد العربية، وفي هذا الشأن رصدت موقف الأمين العام لجامعة الدول العربية[1]، عبد الرحمن عزام باشا، الذي كانت جل الأنظار مشدودة إليه، وإلى الجامعة العربية[2]؛ حيث تطرقت في المقال الذي عنونته بـ:"بعد نزول الأمير عبد الكريم بمصر: حملة صحف فرنسا على الحكومة الفرنسية لإهمالها. لماذا كان عبد الكريم دون حرّاس؟. حديث عزام باشا"، وذلك في العدد رقم 22277، ليوم 02 جوان 1947إلى ردود الفعل حول نزول الأمير، بداية بموقف عبد الرحمان عزام باشا، الذي بارك العملية، متطرّقا إلى الحالة في شمال إفريقيا واصفا إياها بالباعثة على القلق، وختم بيانه بقوله:"وأملنا أن تعود فرنسا إلى احترامها التقليدي للحرية والمساواة وحقوق الإنسان، بدلا من العودة إلى حشد قواتها المسلحة في مراكش، والجزائر، وتونس؛ حيث يقدّر البعض عدد الجنود الفرنسيين هناك بستمئة ألف جندي[3].

وقابلت الأوساط العربية في فلسطين ـ حسب الأهرام ـ نزول محمد بن عبد الكريم في مصر بحماسة بالغة، وذلك نقلا عن الصحف الفلسطينية، مثل "صحيفة فلسطين" التي كتبت تقول:"بطل الريف عبد الكريم من أسر الاستعمار إلى رحاب الفاروق حامي الديار". كما علّقت أيضا "جريدة الدفاع" على الخبر بكلمة في صدر

[1] – تأسست في 22 مارس 1945، يعود أصل تسميتها إلى المقترح الذي تقدمت به مصر إلى اللجنة التحضيرية في 02 أكتوبر 1944، ودعت فيه إلى تأليف جامعة للدول العربية من الدول العربية التي تقبل الانضمام إليها، أما عن جذور تأسيسها فترجع إلى الحرب العالمية الثانية، أين طرحت فكرة إنشاء تنظيم عربي يجمع شمل حكومات البلاد العربية، وهو ما سعت الدول الاستعمارية الغربية وخاصة بريطانيا من خلالها إلى محاولة التخفيف من حدة العداء العربي لها، واستمالة الأقطار العربية إلى جانبها، معلنة عطفها على أفكار استقلال الأقطار العربية، وترحيبها بأي عمل يرمي إلى تحقيق الوحدة العربية، وعبّر عن ذلك وزير خارجيتها أنطوني إيدن في 29 ماي 1941، وكرره ثانية في 24 فيفري 1943، وبعدها مضى رئيس الوزراء المصري في العمل على تجسيد هذه الفكرة، عندما دعا رئيس وزراء سوريا جميل مردم، ورئيس الكتلة الوطنية اللبنانية بشارة الخوري لزيارة مصر من أجل مناقشة بعض الشؤون العربية، وأعقب ذلك خطوة عراقية مماثلة، قادها نوري سعيد، الذي تقدم بمذكرة لبريطانيا في 14 جانفي 1943 تتضمن مشروعا اتحاديا، يتضمن إنشاء جامعة عربية، تتكون من العراق وسوريا، وأي دولة عربية أخرى ترغب في ذلك، ومنذ جويلية 1943، قادت مصر سلسلة من المشاورات، دعت بعدها إلى اجتماع في شكل لجنة تحضيرية لمؤتمر عربي عام، وهو ما تجسد باجتماع اللجنة في الإسكندرية ما بين 25 سبتمبر و07 أكتوبر 1944، انتهى إلى ما يعرف بـ: "بروتوكول الإسكندرية"، لتنعقد بعدها اللجنة الفرعية السياسية التي أوصى بها بروتوكول الإسكندرية ما بين 17 فيفري و03 مارس 1945 بالإسكندرية لإعداد مشروع الميثاق، الذي اجتمعت اللجنة التحضيرية في 17 مارس 1945 في قصر الزعفران بالقاهرة للنظر فيه، ليتم التوقيع عليه في 22 مارس 1945، ودخل حيّز التنفيذ في 11 ماي 1945، ويتكون الهيكل التنظيمي للجامعة من ستة مستويات: مجلس الجامعة، واللجان الدائمة، الأمانة العامة، مجلس الدفاع المشترك، المجلس الاقتصادي، المنظمات المتخصصة. للمزيد، طالع: أحمد فارس عبد المنعم، (1986)، جامعة الدول العربية 1945-1985 دراسة تاريخية سياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية، ط1، بيروت، لبنان، ص 12-17 وما بعدها.

[2] – أول أمين عام لجامعة الدول العربية، درس في مصر أين كان من المتفوقين الأوائل، ما أتاح له فرصة دراسة الطب بانجلترا سنة 1912، وهناك نضج سياسيا وفكريا، انتقل بعد الحرب العالمية الأولى إلى برقة الليبية حيث شارك في حملة أحمد الشريف ضد الانجليز بمصر، وبعد فشل الحملة انتقل إلى أجدابيا وبها تعرف على إدريس السنوسي، ليعود إلى مصر سنة 1922، تقلد بعدها عدة وظائف بعد عودته إلى مصر مثل عضويته في مجلس النواب المصري سنة 1924، ووزيرا مفوضا لمصر في العراق، وإيران، وتركيا، تولى وزارة الأوقاف سنة 1939، ووزارة الشؤون الاجتماعية سنة 1940، ليتولى بعدها منصب الأمين العام لجامعة الدول العربية عقب تأسيسها في 22 مارس 1945. أنظر: مصطفى علي هويدي، (1997)، نظرة جديدة في دور عزام بولاية طرابلس، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 10، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، ص 362.

[3] – الأهرام: العدد 22277 ليوم: 02 جوان 1947، 01.

صفحتها الأولى: "إنها لمأثرة عظيمة للفاروق الكريم، وإنها للفتة كريمة، تعتبر تاجا لتلك اللفتات وهي كثيرة، فقد حال جلالته –حفظه الله– بين الأمير والمنفى، فأعطاه حريته حين شاء والاستعمار حبسها عنه". كما أعادت أيضا الأهرام نشر ما كتبته "جريدة الوحدة" بالمناسبة والتي قالت:"اليوم يُضرب الاستعمار ضربة سيكون لها أثرها في دفن السيطرة والاستعمار، فهنيئا للعرب بالفاروق وكرمه، وهنيئا لهم بعبد الكريم، وهنيئا لعبد الكريم ولكل مناضل بالحرية". وفي العدد ذاته من الأهرام نشرت الأخيرة مقالا تحت عنوان:"الأمير عبد الكريم في ضيافة الملك بقصر أنشاص"، استعرضت فيه استقبال الملك فاروق للأمير محمد بن عبد الكريم في قصر زهراء أنشاص بعدما وجّه له دعوة للإقامة بهذا القصر، وامتنان الأمير محمد بن عبد الكريم وشكره للفاروق على هذه المبادرة[1].

وتقديرا منهم للموقف النبيل الذي اتخذه الملك فاروق انتقل الزعماء الحبيب بورقيبة، وعلال الفاسي، وعبد الخالق الطريس[2]، والدكتور الحبيب ثامر[3] إلى قصر عابدين أين قيّدوا أسماءهم في سجل التشريفات رافعين إلى الملك فاروق باسم أقطار المغرب العربي شكرهم على مكرمته التاريخية. وقد كانت عملية لجوء الأمير مناسبة للعديد من الشخصيات العربية، والمصرية والمشتغلين بالشؤون العربية، وممثلي الصحف ووكالات الأنباء، للانتقال إلى مكتب "المغرب العربي" لتقديم التهاني بلجوء الأمير، وتخلّصه من المنفى كما نقلت الأهرام، ومن بين هذه الشخصيات، وزير شرق الأردن المفوض، وأعضاء هيئة تحرير ليبيا وعلى رأسهم بشير السعداوي، والشيخ محمد الخضر حسين[4]، أما شقيق الأمير فقد زاره –تقول الأهرام– سماحة الحاج أمين الحسيني. ولم ينس الأمير عبد الكريم فضل بقية المسؤولين المصريين عليه، عندما أبرق لهم شاكرا حسن صنيعهم اتجاهه، ويتقدمهم محافظ

[1] – الأهرام: العدد 22277 ليوم 02 جوان 1947، ص 01.

[2] – وُلد بتطوان يوم 07 ماي 1910، دخل الطريس المدرسة سنة 1915، وفي 21 جوان 1925 التحق بالمدرسة الأهلية، وبالموازاة مع ذلك كان يزاول تعليمه بزاوية سيدي علي بركة، غادر12 في سبتمبر 1927 نحو مدينة فاس ليلتحق بجامع القرويين، عاد إلى تطوان شهر سبتمبر 1928، ومنها قصد مصر التي وصلها شهر أكتوبر 1928، وهناك التحق بجامعة الأزهر يوم 22 من الشهر نفسه؛ حيث ظل إلى أن التحق بالجامعة المصرية يوم 18 مارس 1929، بعدها عاد إلى بلاده وبقي متنقلا بين تطوان والقاهرة، كان من مؤسسي حزب الإصلاح الوطني، ليصبح لاحقا من أبرز أقطاب الحركة الوطنية في المغرب. أنظر: محمد بن عزوز حكيم محمد، يوميات زعيم الوحدة، ج1، 1923–1632، ط1، مطبعة الساحل، الرباط، دت.، ص 11–55.

[3] – من كبار زعماء الحركة الوطنية التونسية، من مواليد 1909 بتونس العاصمة، زاول دراسته بالمعهد الصادقي، التحق بكلية الطب بباريس بعد نيله لشهادة البكالوريا، عاد إلى بلاده سنة 1938، لمواصلة النضال، لكن سرعان ما هاجر من جديد إلى أوربا رفقة مجموعة من رفقاء الكفاح سنة 1943، ليتوجه سنة 1946 إلى القاهرة، ليواصل نضاله هناك، توفي سنة 1949، في حادث الطائرة الشهير، رفقة علي الحمامي، ومحمد بن عبود سنة 1949، وهم عائدون من باكستان. أنظر: حمادي الساحلي، المرجع السابق، ص 313–316. وللاطلاع والإلمام أكثر على مختلف جوانب حياة هذه الشخصية، راجع: زهرة كردي، (2005/2004)، الحبيب ثامر 1909–1949، رسالة ماجستير، إشراف: حسين رؤوف حمزة، جامعة تونس.

[4] – من أصول جزائرية، وُلد سنة 1873 بتونس، هاجر مبكرا إلى مصر، التي استطاع بها بفعل كفاءته العلمية من تولي مشيخة الأزهر، سعى جاهدا لتوحيد نضال شعوب المغرب العربي بالمشرق عموما ومصر خصوصا، لاسيما بعد ترأسه لجبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية، توفي سنة 1958. أنظر: غادة سالم، (2015/2014)، الهوية في الفكر المغاربي الحديث من خلال ثلاث نماذج: علال الفاسي وعلي الحمامي والرشيد إدريس، رسالة ماجستير، إشراف: فتحي القاسمي، جامعة تونس، ص 63.

قناة السويس، الذي عبّر له الأمير عن تقديره[1]نظير التعامل الايجابي مع طلباته عندما كان على متن السفينة كما نقلته لنا الأهرام دائما[2].

وتكملة لنقلها ردود الفعل العربية، على لجوء محمد بن عبد الكريم إلى مصر، نشرت الأهرام مقالا في عددها رقم 22284، تحت عنوان:"حول مسألة عبد الكريم"، وهو مراسلة من حزب الشعب الجزائري[3]، بعث بها مصالي الحاج[4]، ورفعها الأستاذ الشاذلي المكي[5] سكرتير حزب الشعب إلى الملك فاروق، معبّرا فيها عن امتنانه والشعب الجزائري لصنيعه هذا، الذي قام به تجاه الأمير محمد عبد الكريم الخطابي، ثم انتقلت الجريدة في مقالها هذا إلى تأكيد معلومة راجت في الآونة الأخيرة، وذلك نقلا عن مكتب المغرب العربي، الذي تلقى برقية من تطوان المغربية

[1] – وجاء نص البرقية كما يلي:"يسرني وأنا أتمتع بكامل الحرية التي منحها لي مولاي صاحب الجلالة الملك فاروق المعظم حفظه الله أن أبعث لسعادتكم بخالص الشكر والتقدير على الخدمات القيّمة التي كان لها الحظ الأوفى في تحقيق رغبتي، ومساعدتي على ما أتمتع به من نعيم الحرية تحت مصر العزيزة الكريمة". أنظر: الأهرام: العدد 22277 ليوم 02 جوان 1947، ص 02.

[2] – الأهرام: العدد 22277 ليوم 02 جوان 1947، ص 02.

[3] – تأسّس على إثر اجتماع فرع الجزائر لنجم شمال إفريقيا المحل، وأعضاء اللجنة المركزية في الفترة ما بين 11 و20 مارس 1937، برئاسة مصالي الحاج؛ حيث تركّزت مطالبه على إنشاء حكومة وطنية مستقلة عن فرنسا، وإنشاء برلمان جزائري، إضافة إلى احترام الشعب الجزائري، ولغته العربية، وديانته الإسلامية، استطاع الحزب أن يكسب شعبية جارفة، بفضل جهره بالاستقلال، واعتماده على العمل الجواري التحسيسي، والدعائي أيضا عبر صحفه وعلى رأسها الشعب، إضافة إلى جريدة الأمة، التي تصدر بالفرنسية بباريس، وقبل اندلاع الحرب العالمية الثانية حلت السلطات الفرنسية الحزب، وصادرت أمواله، وممتلكاته، واعتقلت مرة أخرى رئيسه، وقادته وأبرز مناضليه، ومنعت نشاطه. أنظر، (بشير خلدون: جانفي/ فيفري 1996)، أصول الحركة الوطنية وتطورها 1830–1954، مجلة رؤية، السنة الأولى، العدد الأول، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ص 63–64.

[4] – هو مصالي الحاج بن أحمد، ولد سنة 1898 بتلمسان في عائلة فقيرة تمتهن الفلاحة، التحق بصفوف الجيش الفرنسي لتأدية الخدمة العسكرية خلال الحرب العالمية الأولى، هاجر بعدها إلى فرنسا سنة 1923 أين امتهن عدة حرف، بدأ حياته السياسية في نجم شمال إفريقيا، الذي ساهم في تأسيسه، والحزب الشيوعي الفرنسي، بدأ صدامه مع هذا الحزب منذ 1928، قبل أن يغادره نهائيا سنة 1933، حاول مصالي الترويج لنظرته للاستعمار، ومستقبل بلاده في عدة مناسبات، لاسيما مؤتمر بروكسل المعادي للإمبريالية سنة 1927، والمؤتمر الإسلامي بالجزائر سنة 1936، وقد كلفه ذلك ملاحقة المستعمر الفرنسي، الذي نفاه، وسجنه مرات عدة، خاصة بعد تأسيسه لحزب الشعب سنة 1937، وحركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1946، توفي سنة 1974. للمزيد عد إلى: محمد حربي، (1994)، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة: نجيب عياد وصالح المثلوثي، دط، موفم للنشر، الجزائر، ص 177–178. الحواس منصوري، (2012/2011)، حرب الريف وأصداؤها في الجزائر 1921–1926، رسالة ماجستير، إشراف: مولود عويمر، جامعة الجزائر 2، ص 100.

[5] – من مواليد سنة 1912 بخنقة سيدي ناجي بولاية بسكرة، حفظ القرآن بها، انتقل بعد ذلك إلى ولاية تبسة رفقة عائلته واستقر هناك، أين عكف على طلب العلم، قبل أن يلتحق بجامع الزيتونة بتونس، بدأ نضاله في صفوف نجم شمال إفريقيا، أصبح بعد ذلك من الأعضاء البارزين في حزب الشعب الجزائري، انتقل إلى مصر عقب مجازر 08 ماي 1945، هربا من ملاحقات الشرطة الفرنسية، استطاع بفعل حنكته تبوّء مكانة مرموقة هناك، لاسيما بعدما عيّنه مصالي الحاج مندوبا لدى جامعة الدول العربية، أهّله ذلك لكي يصبح من أبرز المناضلين المغاربة بالقاهرة، غير أن التغير السياسي الذي طرأ في مصر بعد ثورة 23 يوليو1952 عكّر نوعا ما صفو حياته هناك، خاصة بعدما أصبح قادة النظام الجديد يتتبعون نشاطه بارتياب، وهو ما تطور لاحقا إلى متابعته ومن ثمة اعتقاله، وسجنه رفقة أحمد مزغنة حتى سنة 1958، بعدما قيل بأنهما عارضا جبهة التحرير الوطني وقادتها، حين أسس جبهة الجزائر، التي تصدت لها المخابرات المصرية بإيعاز من أحمد بن بلة، توفي سنة 1988. أنظر: رضا ميموني، (2012/2011)، دور الوطنيين المغاربة في حركة تحرير تونس والجزائر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال، رسالة ماجستير، إشراف: لمياء بوقريوة، قسم التاريخ، جامعة باتنة، ص 34. رشيد ولد بوسيافة، (2015/2014)، تعامل مصر مع الثورة الجزائرية من خلال كتاب"عبد الناصر وثورة الجزائر"، رسالة ماجستير، إشراف: محمد لحسن زغيدي، جامعة الجزائر2، ص 37. حمودي ابرير، (2015/2014)، مواقف الجزائريين من القضية الفلسطينية 1945–1973، رسالة دكتوراه، إشراف: علي أجقو، جامعة باتنة، ص 36.

تقول بأن حزب الإصلاح الوطني[1] قد حدّد يوما، للاحتفال بالتجاء الأمير محمد بن عبد الكريم إلى جلالة الملك فاروق، غير أن السلطات الإسبانية منعت ذلك وهدّدت باتخاذ تدابير شديدة[2].

واستعرضت الأهرام في الإطار ذاته اهتمام الصحافة الفرنسية، بكل ما يُدلي به الأمير محمد بن عبد الكريم للصحافة؛ حيث نشرت الصحـــف الباريسية الحديث شديد اللهجة الذي أدلى به الأمير إلى صحيفة "الدايلي تلغراف الانجليزية"، فضلا عن نشرها فقرات من تصريحه لمراسل جريدة "لاتست نيوز" البلجيكية المسيو ماكس أوليفييه، وتقول الأهرام بأن حديثه لهذه الجريدة يختلف كليا عن لهجة الحديث الأول[3].

وبالعودة إلى التأييد الشعبي الذي لقيّه الأمير محمد بن عبد الكريم، نشرت الجريدة في عددها، رقم 22287 مقالا تضمن قصيدة نشرتها الجريدة مهداة إلى الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي بعنوان:"جئت العروبة أمة وبلادا" لـلشاعر علي محمود طه في تسعة وخمسين بيتا[4]، يثني فيها على الأمير الخطابي، ويمدح تاريخه الحافل

[1] – تأسّس بعد سياسة الانفتاح التي تبناها المقيم العام الاسباني الجديد بيكبيدر في 18 ديسمبر 1936، تؤكد مبادئ الحزب وأهدافه الرئيسية على استرجاع المغرب لاستقلاله، ووحدته، والتعاون القانوني مع سلطات الحماية كوسيلة لتجسيد ذلك، أصدر الحزب صحيفة الحرية الأسبوعية، وأصبحت ناطقة بلسانه في 14 مارس 1937، تحت إشراف عبد الخالق الطريس. أنظر: عبد الكريم غلاب، (1987)، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب(من نهاية الحرب الريفية حتى بناء الجدار السادس في الصحراء)، ج1، ط2، المغرب، ص 189.

[2] – الأهرام: العدد 22284 ليوم 09 جوان 1947، ص 02.

[3] – الأهرام: العدد 22284 ليوم 09 جوان 1947، ص 02.

[4] – ومما جاء فيها:

لا السيف قر ولا المحارب عـادا ... ربـــح البـشير بـأي ســلم نـادى
الأرض من أجسـاد من قتلوا بهـا ... تحي العـــــذاب وتنبـت الأحـقادا
فاض السحاب لها دما مذ شيعت ... شمس النهـار –فخـــالطته– ســوادا
رأت الحـــــداد به على أحيائها ... أتراهموا صبغوا الســـماء حـــدادا

إلى أن يقول:

في المغرب الأقصى فتى من نورها ... قدحت به كـــــفُّ السماء زنادا
سلّـته سيفا كي يحـــــرر قومه ... ويزيل عـــــن أوطانه استعبـــادا
الأهل أهلُك يا أمير كـــما ترى ... والدار دارك قبّـــة وعمـــــادا
أنّى نزلت بمصر أو جـــــاراتها ... جئت العـــــروبة أُمـــة وبلادا
مدت يديها واحتوتك بصدرها ... أُمّ يضـــــم حنـــانُها الأولادا
ولو استطاعت ردّ ما استودعتها ... ردّت عليك المهـــــد والميـلادا

بالانتصارات والنضال ضد المستعمر، كما نشرت في العدد نفسه مقالا آخر بعنوان:"عبد الكريم"، وتناولت فيه عودة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي من أنشاص، من ضيافة الملك فاروق إلى القاهرة[1]، وهو الموضوع الذي أعادت الجريدة التطرّق إليه، في عددها رقم 22292، في مقال تحت عنوان:"الأمير عبد الكريم" مركزة على الزيارة التي قادته، وهو في طريقه إلى الإسكندرية إلى مكتب المغرب العربي، ومكتب رئيس الوزراء المصري، ووزارة الخارجية المصرية رفقة امحمد بن عبود، وعبد الخالق الطريس[2].

كما نقلت الجريدة أيضا في العدد ذاته خبرا عن وكالة الأنباء الفرنسية، من طنجة التي قالت فيه أنه أقيمت مظاهرة في المدينة دعما للأمير محمد بن عبد الكريم، وذلك رغم التدابير الأمنية المكثفة التي قامت بها السلطات الفرنسية، وأضافت أن المناضل طاهر بنونة عقد اجتماعا مع الوطنيين وسط إضراب عام شلّ المدينة، ليقدّموا بعدها مذكرة للسلطات، مفادها عدم اتخاذ أي إجراء إن قرّر الأمير الخطابي دخول مراكش[3].

وفي عددها رقم 22295، نشرت الأهرام مقالا جديدا عنونته بـ:"قضية بلدان شمال إفريقيا"، نقلت فيه تصريحات الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي لجريدة "لوفيغارو" الفرنسية عبر مراسلها بالإسكندرية، حثّت فيها فرنسا على إنهاء الحماية في مراكش، ناصحا إياها بأخذ العبرة، مما حدث لها في سوريا[4].

وفتحت الأهرام صفحاتها في عددها رقم 22300 للزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي، عندما أجرت حوارا معه نشرته على شكل مقال عنونته بـ:"الأمير عبد الكريم يروي قصة جهاده"؛ حيث عرّج فيه الأمير على أهم محطات حياته الجهادية، متوقفا عند بداياته الأولى في النضال ومواجهة الاستعمار، منتقلا بعدها للحديث عن أهم الانتصارات التي حققها، لاسيما على قوات الحماية الاسبانية، وما نتج عن ذلك من حالة ارتباك داخل الجيش الاسباني، ويتجلى ذلك كما ذكر في انتحار أحد القادة الإسبان، بعدها تحدّث عن الاتفاق الفرنسي– الاسباني الموجه ضده، وكيف حاول مواجهته، قبل أن يواصل حديثه عن مصادر تمويله بالسلاح خلال فترة كفاحه؛ حيث أقرّ بدخول السلاح إليه، بدعم من بعض الأطراف العربية، وبتواطؤ مع القوات الفرنسية تارة، والقوات الاسبانية

وأتتك بالذكر الخوالد طـــــاقة كأجلّ ما جمع المحب وهـــادى.

[1] – الأهرام:العدد 22287 ليوم 12 جوان 1947، ص 02.
[2] – الأهرام: العدد 22292 ليوم 17 جوان 1947، ص 02.
[3] – الأهرام: العدد 22292 ليوم 17 جوان 1947، ص 02.
[4] – الأهرام: العدد 22295 ليوم 22 جوان 1947، ص 01.

تارة أخرى، وأنهى الأمير حديثه بما آلت إليه الأمور، ونظرته للمستقبل الذي ينتظر شعوب المغرب العربي؛ حيث ربط نيلها لاستقلالها بالعمل المسلح المتواصل[1].

وتساءلت الأهرام في عددها الموالي، عمّا إذا كان الأمير محمد بن عبد الكريم سيسافر إلى أمريكا للدفاع عن ملف بلاده في الأمم المتحدة، وحشد الدعم الدبلوماسي له؛ حيث نقل مراسل الجريدة في نيويورك عن التصريح الذي أدلى به مهدي بنونة لوكالة "يونايتد برس"، ذكر فيه أن زعيم الريف المغربي محمد بن عبد الكريم الخطابي يُحتمل أن يصل أمريكا للدعاية لاستقلال شمال إفريقيا، وتكهّن الأستاذ بنونة في تصريحاته هذه التي نقلتها عنه الأهرام باشتعال نيران "ثورة دامية" في شمال إفريقيا، إذا لم يُمنح لها الاستقلال. مضيفا بقوله:"إنّا نعلم أنّه ليس في طاقتنا أن ننتصر، غير أن المسألة مسألة بين الموت وبين بلوغ المُثُل العليا". مفصحا بعدها عن هويّة مرافقي الأمير إلى أمريكا، ويتعلق الأمر بعلال الفاسي، وعبد الخالق الطريس، والحبيب بورقيبة الذي غادر الولايات المتحدة الأمريكية لينضم إلى زملائه في القاهرة، مذكّرا بأن من مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية أن يستقل شمال إفريقيا نظرا لما لها من إستراتيجية لمواجهة المد الشيوعي السوفياتي، فضلا عن أنها ستكون أسواقا عظيمة للمنتوجات الأمريكية على حد تعبيره[2].

ونشرت الأهرام مقالا جديدا في عددها، ليوم 18 جويلية 1947، تحت عنوان:" الأمير عبد الكريم. عودته اليوم إلى القاهرة"، نقلت فيه مغادرته مستشفى الإسكندرية نحو القاهرة، والشخصيات المتوقّع استقبالها له، على رأسها شقيقه، وأعضاء مكتب المغرب العربي، علاوة على عدة شخصيات عربية يتقدمهم وزير العراق المفوض تحسين العسكري، فضلا عن السيد صادق المجددي، وصالح حرب باشا، وعبد الحميد راجح الطحاوي، وغيرها من الشخصيات[3].

5- الأهرام وتأسيس لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة:

واكبت الأهرام نشاطات الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي بعد لجوئه إلى مصر، لاسيما إعلانه تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي[4]، وفي هذا الإطار، نشرت مقالا مطولا في عددها رقم 22462، تحت عنوان:"لجنة

[1] - الأهرام: العدد 22300 ليوم 29 جوان 1947، ص 03.
[2] - الأهرام: العدد 22301 ليوم 30 جوان 1947، ص 01.
[3] - الأهرام: 18 جويلية 1947، ص 06.
[4] - أُسّست بمبادرة من الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، الذي قام بجهود مضنية من أجل تجسيدها في الميدان، وأُعلن رسميا عن تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي في 05 جانفي 1948 برئاسة محمد بن عبد الكريم الخطابي، وضمّت مختلف الأحزاب السياسية الاستقلالية المغاربية المتواجدة بمصر، بعد المساعي الحثيثة التي قام بها الأمير الخطابي. أنظر: عبد الرحمن بن إبراهيم ابن العقون، (1984)، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، (1920-1936)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص147.

تحرير المغرب العربي. بيان من الأمير عبد الكريم"، وهو عبارة عمّا قالت عنه الجريدة بيانا وصلها من الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، يعلن فيه تأسيس اللجنة، شارحا فيه الأسس والمبادئ التي قامت عليها، والأهداف التي ترمي إلى تحقيقها، والهياكل التنظيمية التي تشتمل عليها وتنظّم عملها[1].

وكانت الأهرام في عددها السابق، قد أجرت حوارا مع الأمير محمد بن عبد الكريم، نشرته في مقال مطول لها تحت عنوان:"محاولة جديدة للتوفيق بين فرنسا والمغرب: الأمير عبد الكريم يتحدث إلى الأهرام"، نقلت عنه قوله أن اتفاق الفرنسيين مع المغرب الأقصى خير لهم وأضمن لمصالحهم، مؤكدا في الوقت نفسه وجوب إلغاء نظام الحماية، والتفاهم على معالم الطريق إلى المفاوضات التي تفضي إلى نيل الاستقلال، ومعيدا التأكيد على عدم تعليق الآمال العريضة على هيئة الأمم المتحدة لتحقيق طموحات الشعب المغربي[2].

وأعاد محمد بن عبد الكريم الخطابي قناعاته هذه حول الوضع في بلاده، نقلتها عنه الأهرام في مقال لها تحت عنوان:"الحالة السياسية في شمال إفريقيا. تصريح للأمير عبد الكريم"، تضمّنه العدد الخاص بيوم 10 فيفري 1948، تحدّث فيه عن ضرورة توحيد الصفوف، ومواجهة السياسات الفرنسية المتعنّتة، لاسيما منع فرنسا الوطنيين المغاربة من العودة إلى بلدانهم، وهو الموقف نفسه الذي عبّر عنه كل من الحبيب بورقيبة، وعلال الفاسي، تؤكد الجريدة[3].

وتعقيبا على الكلمة التي ألقاها "الجنرال جوان"[4] بخصوص ما أسماها سياسة فرنسا الجديدة في المغرب، رأت لجنة تحرير المغرب العربي برئاسة محمد بن عبد الكريم الخطابي بيان جوان هذا مجرد مناورة جديدة للتمويه عن سياسة بلاده في المغرب الأقصى، بل هو ـ كما نقلت عنها الأهرام ـ إسدال ستار من الغموض على الخلافات الخطيرة القائمة بين الشعب المراكشي، والسلطان الحر من جهة، والحكومة الفرنسية من جهة أخرى. ولذلك تقول اللجنة ـ حسب الأهرام ـ أنه من واجبها، أن تبسّط من جديد موقف الشعب المغربي كما ورد في المذكرة التي قدّمها حزب الاستقلال إلى الهيئة الأممية، وهو كما تقول الحزب الذي يتمتع بتأييد ثلاثة ملايين مراكشي، فضلا

[1] – الأهرام: العدد 22462، 06 جانفي 1948، ص 01.
[2] – الأهرام: العدد 22461، 05 جانفي 1948، ص 01.
[3] – الأهرام: 10 فيفري 1948، ص 06.
[4] – من أبرز العسكريين، ولد في مدينة عنابة سنة 1889 من أم كورسيكية، تلقى دراسته العسكرية في مدرسة سان سير، شارك في الحرب العالمية الأولى وأصيب فيها بجروح، كما شارك في الحرب العالمية الثانية وأسر، ثم أُفرج عنه بعد الهدنة، وخدم تحت راية الماريشال بيتان، عمل ضابط اتصال مع الألمان مكلفا من الماريشال بيتان. حاول مقاومة الحلفاء حينما نزلوا في المغرب والجزائر، ولكن عندما لاحظ تفوق الحلفاء انضم إليهم، خاض عقب ذلك معارك مع الحلفاء ضد الألمان في تونس وإيطاليا وألمانيا وفرنسا، تولى عزل الباي التونسي محمد المنصف سنة 1943، تولى بعد تحرير فرنسا رئاسة أركان الحرب، تزوّج في الجزائر من ابنة أحد المعمرين، عُرف بكرهه للعرب والمسلمين، انتقل إلى المغرب وهو يحمل فكرتين: كراهية المغاربة، والعمل على تحقيق انتصار سياسي بالمغرب يكسر به شوكة الحركة الوطنية فيه. أنظر: عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص 337.

عن التأييد المعنوي الذي يتمتع به السلطان محمد الخامس، وختمت بالقول أن الشعب المغربي يرفض رفضاً مطلقا هذه الإصلاحات، التي لا تعدو –حسبها– محاولة شرّيرة من ناحية الاستعمار الفرنسي لتعزيز قبضته على شؤون المراكشيين، القانونية والاقتصادية[1].

وعادت الأهرام من جديد لتغطية نشاطات الزعيم المغربي محمد بن عبد الكريم الخطابي؛ حيث نقلت لنا في عددها رقم 22510 ليوم 17 مارس 1951 خبرا مفاده، عزم الأمير على العودة إلى المغرب للاشتراك في تحريره؛ حيث نقلت الجريدة عنه قوله بأن هذه هي الفرصة المناسبة لكي يعود ويساهم في تحرير بلده. كما نقلت أيضا الجريدة موقفه من فرنسا وسياستها نحو المغرب؛ حيث أعرب عن تذمّره مما يحدث في بلاده، مطالبا بضرورة العمل المشترك لنيل الحرية؛ ويتأتّى ذلك عبر تأليف جبهة موحدة لقيادة المغرب تضم جميع أبناء المغرب على اختلاف مشاربهم، داعيا إلى عدم التعويل على هيئة الأمم المتحدة لنيل الاستقلال؛ بل بالاعتماد على أبناء المغرب المخلصين المحبين لبلدهم[2].

في نهاية هذا المقال، نقف عند أهمية المساندة الإعلامية المصرية لكفاح الحركة الوطنية المغربية، فبالرغم من اختلاف توجهات مختلف هذه الصحف، إلا أنها اتفقت في مجملها على ضرورة تقديم الدعم للشعب المغربي في نضاله ضد الاستعمار الأوربي وسياسته، عبر التعريف بقضيته العادلة، ونقل أخبار كفاحه إلى الرأي العام العربي والإسلامي عموما، فضلا عن التشهير بالممارسات القمعية والعدائية، التي كان المستعمر الفرنسي يمعن في تسليطها على المغربيين. وقد كانت جريدة الأهرام في مقدمة هذه الصحف؛ إذ استطاعت التخلّص من تبعيتها للقوى الاستعمارية الغربية، وفي مقدمتها فرنسا، وتبنّي توجهاً جديداً، عماده الدفاع عن قضايا الوطن العربي قاطبة، ومن بينها قضية المغرب العربي، متأثرة في ذلك بعوامل عدة، أبرزها تنامي الشعور القومي لدى الرأي العام المصري، فضلا عن قيام جامعة الدول العربية سنة 1945، واحتضان مصر لمقرها، ممّا بوّأها الزعامة العربية تلقائيا، وهو ما فرض عليها الاضطلاع بالمهمة الملقاة على عاتقها، وذلك بضرورة الدفاع عن حركات التحرر في الوطن العربي، لتشكّل بذلك الأهرام منبرا إعلاميا لطالما كان سببا في كسر الحصار الإعلامي الذي ضربته القوى الاستعمارية على أقطار المغرب العربي عموما، والمغرب الأقصى خصوصا، لتشكّل إذا كل هذه الجهود السالفة الذكر، مع المساعي المصرية الأخرى دفعة قوية لنشاط الوطنيين المغربيين، سمحت لهم بتحقيق وثبة مهمة في مسار تحقيق الاستقلال.

توصيات الدراسة:

[1] – الأهرام: العدد 22481، 27 جانفي 1948، ص 01.
[2] – الأهرام: العدد 22510 ليوم 17 مارس 1951، ص 03.

تفتح هذه الدراسة الأفق واسعا أمام الباحثين المهتمين بالبحث في تاريخ العلاقات بين المغرب والمشرق العربيين في الفترة المعاصرة عموما، والدعم المصري للمغاربة، ولاسيما للمغرب الأقصى تحديدا، وخاصة في شقّه الإعلامي. وأمام قلة البحوث التي تناولت هذا الموضوع، تبقى الحاجة ماسّة إلى دراسات أخرى تأخذ بناصيته إلى مستويات علمية أكثر ثراء وعمقا.

مصادر ومراجع المقال:

أ- المصادر:

- جريدة الأهرام.

- ثابت كريم، (2000)، عشر سنوات مع فاروق 1942-1952، ط02، دار الشروق، القاهرة.

- ابن العقون عبد الرحمن بن ابراهيم، (1984)، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، (1920-1936)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

- غلاب عبد الكريم، (1987)، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب(من نهاية الحرب الريفية حتى بناء الجدار السادس في الصحراء)، ج1، ط1، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب.

- الفاسي علال، (1992)، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مؤسسة علال الفاسي، ط5، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب.

- الفاسي علال، (2006)، رسائل تشهد على التاريخ، ج01، ط02، تنسيق وتقديم: شيبة ماء العينين، مطبعة الرسالة، الرباط.

ب- المراجع:

1- الكتب:

- أحمد صلاح زكي، (2001)، أعلام النهضة العربية في العصر الحديث، ط1، مركز الحضارة العربية، القاهرة.

- حربي محمد، (1994)، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة: نجيب عياد وصالح المثلوثي، دط، موفم للنشر، الجزائر.

- حمزة عبد اللطيف، (1967)، قصة الصحافة العربية في مصر(منذ نشأتها إلى منتصف القرن العشرين)، مطبعة المعارف، بغداد.

- الساحلي حمادي، (1992)، فصول في التاريخ و الحضارة، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان.

- سيد عبد الرازق يوسف عبد الله، (1995)، محمود فهمي النقراشي ودوره في الحياة السياسية وحل جماعة الإخوان المسلمين 1888-1948، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة.

- صاري أحمد، (2004)، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، تقديم: أبو القاسم سعد الله، دط، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر.

- أبو عمران الشيخ وآخرون، (1995)، معجم مشاهير المغاربة، جامعة الجزائر.

- كنون عبد الله، (2010)، ذكريات مشاهير المغرب في العلوم والأدب والسياسة، تقديم وترجمة: محمد بن عزوز، ج3، ط1، دار ابن حزم، مركز التراث الثقافي المغربي، المغرب.

- محمد سالم لطيفة، (1996)، فاروق وسقوط الملكية في مصر (1936-1952)، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة.

- عبد المنعم أحمد فارس، (1986)، جامعة الدول العربية 1945-1985 دراسة تاريخية سياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية، ط1، بيروت، لبنان.

2- المقالات:

- خلدون بشير، (جانفي/فيفري1996)، أصول الحركة الوطنية وتطورها 1830-1954، مجلة رؤية، السنة الأولى، العدد الأول، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر.

- الرويسي يوسف، (ديسمبر 1984)، قضية المغرب العربي، المجلة التاريخية المغربية، السنة 11، العدد 36/35، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس.

- العقاد صلاح، (1989)، صدى الحركة الوطنية المغربية لدى الرأي العام المصري، ندوة العلاقات التاريخية المصرية المغربية 18-20 جويلية 1988، إعداد: نجاة المريني، دار الثقافة للطباعة والنشر، المغرب الأقصى.

- هويدي مصطفى علي، (1997)، نظرة جديدة في دور عزام بولاية طرابلس، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 10، قسم التاريخ، جامعة الجزائر.

3- الرسائل والأطروحات الجامعية:

- ابرير حمودي، (2015/2014)، مواقف الجزائريين من القضية الفلسطينية 1945-1973، رسالة دكتوراه، إشراف: علي أجقو، جامعة باتنة.

- سالم غادة، (2015/2014)، الهوية في الفكر المغاربي الحديث من خلال ثلاث (ثلاثة)نماذج: علال الفاسي وعلي الحمامي والرشيد إدريس، رسالة ماجستير، إشراف: فتحي القاسمي، جامعة تونس.

- غيلاني السبتي، (2011/2010)، علاقة جبهة التحرير الوطني الجزائرية بالمملكة المغربية أثناء الثورة التحريرية الجزائرية، رسالة دكتوراه، إشراف: يوسف مناصرية، جامعة باتنة.

- كردي زهرة، (2005/2004)، الحبيب ثامر 1909-1949، رسالة ماجستير، إشراف: حسين رؤوف حمزة، جامعة تونس.

- مرجي عبد الحليم، (2015/2014)، قضايا تحرير المغرب العربي عند محمد البشير الإبراهيمي وعلال الفاسي 1919-1962، رسالة ماجستير، إشراف: عبد الله مقلاتي.

- منصوري الحواس، (2012/2011)، حرب الريف وأصداؤها في الجزائر 1921-1926، رسالة ماجستير، إشراف: مولود عويمر، جامعة الجزائر 2.

- ميموني رضا، (2012/2011)، دور الوطنيين المغاربة في حركة تحرير تونس والجزائر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال، رسالة ماجستير، إشراف: لمياء بوقريوة، قسم التاريخ، جامعة باتنة.

- ولد بوسيافة رشيد، (2015/2014)، تعامل مصر مع الثورة الجزائرية من خلال كتاب"عبد الناصر وثورة الجزائر"، رسالة ماجستير، إشراف: محمد لحسن زغيدي، جامعة الجزائر2.

مجمل عن الطعام والشراب في حاضرة تِنْبُكْتُ وباديتها خلال العصر الحديث وبداية المعاصر

(دراسة في أنثروبولوجيا التغذية)

عادل بن محمد جاهل
مترجم وباحث في تاريخ الصحراء المغربية والعلاقات الإسبانية الأفريقية؛
عضو بمختبر البحث في تاريخ الجنوب المغربي وأفريقيا؛
جامعة ابن زهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أگادير، المغرب؛
adil.jahil@edu.uiz.ac.ma

مقدمة:

يحسن بنا، في بداية هذه الدراسة، الإشارة، إلى أن البحث في موضوع تاريخ التغذية، بحاضرة تنبكت وباديتها، لا يزال في طور التشكل والبداية، حيث لم يلق بعد اهتماما كبيرا من طرف الباحثين والمؤرخين؛ لأسباب عديدة ومتمايزة. ومن الأسباب الرئيسة في ذلك، ندرة المادة المصدرية التنبكتية، وضآلة عناصرها الإخبارية، وهكذا لم تتطرق هذه المظان، إلى مثل هذه المواضيع، التي يتقاطع فيها الاجتماعي بالذهني، إلا نادرا، أو استثناءً، وحتى إذا ما قدمت معطيات ومعلومات عنها، فإننا نجدها فقط تقدم إفادات قليلة، وإشارات مقتضبة، وتلميحات خجولة، متناثرة هنا وهناك، سقطت سهوا من أقلام مؤلفيها؛ لأن أصحاب تلك المصنفات الإخبارية المحلية، اعتادوا التأريخ لما هو سياسي، وعسكري، وما ارتبط بالأسر والسلالات الحاكمة، من دون إيلاء قضايا المجتمع وسواد الشعب، ما تستحق من اهتمام وعناية. وعليه، لا تسعف هذه الأخبار والمعلومات الباحث مطلقا، على تكوين تصور واضح ودقيق وشامل، حول الموضوع المدروس، وقضاياه المتداخلة، وإشكالاته المتعددة، وهو الأمر الذي جعل محاولة البحث، في هذا الجانب المعتم من التاريخ الاجتماعي التنبكتي، مثل ذلك الذي يبحث عن إبرة في كومة من التبن، وهو ما حدا بأغلب الباحثين والمهتمين بتاريخ تنبكت وحضارتها، إلا أن يفروا بالمطبات المنهجية، والصعوبات المعرفية، التي تعترضهم للإلمام والإحاطة بخيوط موضوع "الأطعمة" و"الأشربة" التنبكتية الشائكة.

هذا، ويشكل البحث في مثل هذه المواضيع، مغامرة مستحيلة، وفي بعض الأحيان، مجازفة شائكة، تعتورها العديد من الصعوبات والعوائق، خاصة في ظل ما يكتنفها من غموض وضبابية، الشيء الذي جعلها حتى الآن،

لم تستلفت أنظار الباحثين والمؤرخين، ولم تحظ باهتمامهم وعنايتهم. ولا نجد من مبرر أو تفسير، لغياب هذه النوعية من الدراسات، في هذا الحقل المعرفي البكر والهام، سوى صعوبة الخوض فيها، ويبرز هذا التقصير بشكل واضح، عند مقارنتها بالأبحاث الأوروبية، التي قطعت أشواطا ومراحل بعيدة جدا، في ميدان "تاريخ الذهنيات" و"التاريخ الاجتماعي"، خاصة بعد ظهور مجلة "حوليات التاريخ الاقتصادي والاجتماعي" (Annales d'histoire économique et sociales)، في سنة 1929م، على يد المؤرخان الفرنسيان لوسيان فيڤر (Lucien Febvre) ومارك بلوخ (Marc Bloch). وهكذا، بقيت هاته المواضيع المغيبة، إلى عهد قريب، رغم أهميتها وفائدتها الكبيرة، في فهم ذهنيات وسلوكات المجتمع التنبكتي، فهما صحيحا، مغمورة، مغموطة، مهجورة، لا دراسات تسلط عليها الأضواء، ولا بحوث تشفي الغليل، وأمام قلة وندرة الدراسات والأبحاث التاريخية، القديمة منها والمعاصرة، التي تناولت موضوع "الأطعمة" و"الأشربة"، وما يتصل بها، في حاضرة تنبكت وباديتها، الشيء الذي يجعل في هذه الحالة، من المصادر التاريخية والجغرافية الأوروبية والعربية، المادة الأساسية، لدراسة مجمل تلك المواضيع، وقضاياها المتشعبة؛ إذ لحسن الحظ، نجدها تقدم في أحايين كثيرة جدا، معلومات وبيانات، أوفى وفريدة، بل ونادرة. وقد قادنا البحث فيها، إلى العثور على إشارات هامة، وتفاصيل دقيقة، عما نحن بصدد البحث فيه، ومواضيع أخرى كثيرة، ذات الصلة بموضوعنا، لم نكن نعتقد إطلاقا أن هذه المادة التاريخية الأوروبية والعربية المتاحة، واللاإرادية، وغير المقصودة، ستلتفت إليها، أو بالأحرى أن تكشف لنا عن الكثير من الجزئيات والتفاصيل حولها. وقد كان بإمكان هذه المعلومات الثمينة، أن يطويها الزمن، وتحشر في غياهب النسيان، لولا أنهم اختزنوها في ذاكراتهم، ودونوها في مؤلفاتهم.

إذن، ما هي أهم العادات الغذائية التي كانت سائدة في حاضرة تنبكت وباديتها، خلال العصر الحديث وبداية المعاصر؟ وما هي الأطعمة والأشربة التي شكلت أساس المائدة التنبكتية؟ وهل هذه الأغذية هي من أصل محلي؟ أم أن أغلبها قادم من مجالات جغرافية أجنبية؟

تلك هي مجمل الأسئلة، التي سوف نجيب عنها، في قادم سطور هذه الدراسة، على ضوء ما طالت إليه اليد، من كتابات، ووثائق، ومستندات.

المحور الأول: المواد الاستهلاكية الشائعة في حاضرة تنبكت وباديتها

ينبغي، بداءة، أن نبتدر إلى التأكيد، على أن حاضرة تنبكت، جوهرة الصحراء والسودان، مصدر الثروة، والتجارة، والأساطير، ومعبر ثقافي دائم الحركة والنشاط، عرفت من ماضيها السحيق، وإلى حاضرها القريب، مجموعة من المواد الاستهلاكية المختلفة، وهي مواد بعضها من إنتاج محلي، وبعضها الآخر، قادم إما من بعض

المناطق الأفريقية السوداء القريبة، أو من مناطق أخرى من شمال أفريقيا المجاورة، أو من أوروبا الغربية البعيدة، وقد أسهمت تلك المواد الاستهلاكية، إسهاما فعالا في إغناء المائدة التنبكتية، بأطعمة وأشربة، عديدة ومتنوعة، بيد أن الغريب في هذه الأطعمة والأشربة التنبكتية، هي أنها لا تحتاج إلى طرق كثيرة، أو أساليب متعددة، لطهيها أو تحضيرها، كما أنها تمتاز بعدم الترفه، كما يغلب عليها طابع البساطة والتقشف، وهو طابع يلائم ظروف ونمط العيش، في حاضرة تنبكت وباديتها؛ وهي ظروف، تتسم بقساوة البيئة، وصعوبة المجال.

أولا: الأطعمة

1: اللحوم

تجمع مختلف المصادر والمراجع، التي تيسر جمعها، والاطلاع عليها، والإفادة منها، أن اللحوم بمختلف أصنافها وأنواعها، كانت تشكل غذاءً رئيسا لسكان حاضرة تنبكت وباديتها، كيف لا؟ والمنطقة تتوفر على ثروة كبيرة جدا من القطيع[1]، جعلت مختلف المستكشفين والتجار الأوروبيين والعرب، الذين جابوا أرجاء بلاد السودان الغربي، وقاموا فيه بتحريات وأبحاث ميدانية، منذ مطلع القرن السادس عشر، تستأثر بانتباههم، وتثير فضولهم. فهذا الرحالة المغربي الحسن محمد الوزان الفاسي، المعروف بـ (ليون الأفريقي)، والذي زار حاضرة تنبكت وباديتها، ومدن حوض النيجر الأوسط، وممالك الحَاوْسَ والبرنو، في العقد الأول من القرن السادس عشر، وبالضبط ما بين سنوات 1511م و1514م[2]، يخبرنا أن اللحم كان من المواد الاستهلاكية، الموجودة بكثرة في حاضرة تنبكت وباديتها[3]، وتحديدا في مدينة گاو التي تبعد عن تنبكت بنحو أربعمائة ميل[4]، ويضيف الرحالة المغربي أن كثرة تناول اللحوم من قِبل السكان المحليين، أدى، بكيفية أو بأخرى، إلى إصابتهم بكثير من الأمراض والأضرار، المتفاوتة الخطورة[5].

إضافة إلى هذه الأخبار المسرودة، والوقائع المطروقة، يأتي الرحالة والمؤرخ الإسباني، لويس ديل مارمول كرباخال (Luis Del Mármol Carvajal)، صاحب مؤلف (أفريقيا)، ليمدنا بإشارة تاريخية فريدة، تساير التصور الأخير، حيث ذكر أن سكان بادية تنبكت، وبالضبط قرية كابارا، التي تقع على ضفاف نهر النيجر، والتي تبعد عن حاضرة تنبكت بنحو ثمانية أميال[6]، كان سكانها "**يخلطون في أكلهم الحليب واللحم والسمك، وهي أطعمة إذا تناولها المرء في وجبة واحدة، يصاب بالجذام وأمراض أخرى**"[7]. ومن الأهمية بمكان أن نورد شهادة عبد الرحمن السعيدي، مؤرخ تنبكت وبلاد السودان الغربي، حيث يخبرنا أنه في عهد أسْكيا الأمين ابن أسْكيا داوود "**قام على الضعفاء والمساكين وأنفق عليهم (...) يذبح كل يوم ثماني دواس [دواب] أربع في الصباح وأربع في المساء، يقسم لحمها مع مائتي ألف ودع. وقدم لهم ألف بقرات حلابات، يقسم ألبانها لهم أيضا**"[8]،

يعطي مضمون هذه القطعة التاريخية، نظرة واضحة عن مدى انتشار استهلاك اللحوم، في حاضرة تنبكت وباديتها، كما تبين تلك الشهادة المصدرية أيضا، مدى غنى المنطقة بالأبقار، لدرجة أن سلطان مَلِّي (مالي) ولكثرتها، كان يوزعها على عموم الفقراء والمحتاجين.

ونستفيد من بعض الإشارات التاريخية الملتقطة، في كتابات الرحالين الأوروبيين، خلال القرن التاسع عشر، أن حاضرة تنبكت وباديتها كانت غنية من حيث أصناف الماشية، التي يظهر أنها كانت متنوعة إلى درجة كبيرة، ومن بين أهم الأصناف المعروفة في الحاضرة المذكورة وقتذاك، نجد كل من: الجاموس، والغنم، والماعز[9]، والإبل، وخاصة النوع المسمى في اللسان المحلي التنبكتي بـ "هِيُو"[10]. كما تزخر الحاضرة أيضا، بأنواع مختلفة من الدواجن، مثل: الحمام[11]، والبط، والدجاج الحبشي[12]، والإوز[13]. ويظهر من خلال المؤشرات المصدرية، التي أفادنا بها الأب والمستكشف الفرنسي أوگوسطان بروسبير هاكار (Augustin Prosper Hacquard)، الرجل العارف بخبايا بلاد السودان الغربي، أن لحوم الجاموس والغنم والماعز، كانت من بين أكثر اللحوم التي أقبل عليها سكان حاضرة تنبكت وباديتها، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، خاصة وأن سعرها كان منخفضا وزهيدا نسبيا[14]. أكثر من هذا وذاك، تؤكد لنا أحد المصادر القريبة من هذا التاريخ، ويتعلق الأمر هنا بشهادة الرحالة والصحفي الفرنسي ألبيرت فيليكس دوبوا (Albert Félix Dubois)، الذي زار تنبكت ومجمل المناطق القريبة منها، في العقد التاسع من القرن التاسع عشر، أن لحوم الأبقار والأغنام والماعز، كانت تشكل غذاءً رئيسا لسكان الصحراء الكبرى بصفة عامة، وحاضرة تنبكت وباديتها على وجه الخصوص[15].

إلى جانب هذه البيانات الغميسة، والإفادات الدفينة، نستدل من بعض الإشارات التاريخية، أن سكان حاضرة تنبكت وباديتها، كانت تقتات أيضا على لحوم الصيد والطرائد، ومن ضمن هذه الأنواع، نجد كل من: الأرانب البرية، والغزلان، والظباء، والدجاج، والحمام. ولحوم هذه الأخيرة، كانت موجودة بوفرة كبيرة، في أسواق الحاضرة المذكورة[16]. ونلاحظ من خلال بعض المصادر الإسبانية، ويتعلق الأمر هنا أساسا، برحلة مترجم القنصلية الإسبانية في مدينة السويرة المغربية وقتذاك، كريستوبال بينيتيث گونثاليث (Cristóbal Benítez González)، الذي جال في حاضرة تنبكت وباديتها، مع المستكشف والطبيب النمساوي هاينريش أوسكار لينز (Heinrich Oskar Lenz)، وبالتحديد في سنة 1879م–1880م، حيث يحدثنا أن لحوم الأبقار والأغنام، كانت مقتصرة فقط على علية القوم والعائلات الغنية والميسورة[17]. وحسب معطيات الرحالة سالف الذكر، فإن لحوم الصيد والطرائد، كانت هي الأخرى، تستهلك من طرف بعض السكان المحليين، فرغم أن هذه اللحوم تتميز بجودة رديئة، وبمذاق غير لائق، إلا أنها كانت تشكل غذاءً جيدا، لنسبة مهمة من تلك الساكنة التنبكتية الفقيرة[18]،

وحسب الباحث البريطاني أنتوني جيرالد هوبكينز (Antony Gerald Hopkins)، فكان على فقراء تنبكت وباديتها "**أن يقنعوا بـ[تلك] اللحوم غير الصالحة**"[19].

وبما أن اللحوم كانت متوفرة بوفرة كبيرة في الحاضرة المذكورة وباديتها[20]، فإن سكان هذه الأخيرة، كانوا يفضلون تناول اللحم، بمزجه في الطبق نفسه، بالأسماك والزبدة والحليب[21]، وحسب بيانات الباحثة الفرنسية مونيك شاستاني (Monique Chastanet)، فإن مزج اللحم بالسمك وبتلك المنتوجات سابقة الذكر، في طبق واحد، كان يؤدي عادةً إلى إصابة سكان تنبكت، بمجموعة من الأسقام والأوصاب[22]. ولتعزيز هذه الرواية الأخيرة، هناك رواية الرحالة المغربي الحسن بن محمد الوزان الفاسي، الشاهد العيان، في المنحى ذاته، حيث يقول، في هذا الخصوص، ما يلي: "**والشيء الذي تتضرر منه هذه المدينة كثيرا هو الأمراض المنتشرة الناتجة عن حالة الأطعمة المتناولة فيها، كالسمك واللبن والزبد واللحم الممزوج بعضها ببعض**"[23].

والراجح أن سكان حاضرة تنبكت وباديتها، اقتبسوا هذه الطريقة الغريبة، في تحضير تلك الوجبة العجيبة، من قبائل صنهاجة الصحراء، حيث أشار، في هذا الصدد، أبو عبيد الله البكري الأندلسي في كتابه (المسالك والممالك)، إلى أن طعام الصنهاجيين هو "**صفيف اللحم الجاف مطحونا يصب عليه الشحم المذاب أو السمن**"[24]. وإذا كان الأمر كذلك، فلا عجب، إذا لاحظنا، والحالة هاته، أن الرحالة المغربي ابن بطوطة يتهكم على الأكل السوداني بالقول: "**فعندما رأيتها ضحكت، وطال تعجبي من ضعف عقولهم وتعظيمهم لهذا الشيء الحقير**"[25]، وإذا كان الرحالة المغربي ابن بطوطة في سياحته ببلاد السودان الغربي، قد صدمته بعض العادات الغذائية، وأَنَفَ من بعض الأكلات السودانية في بعض المدن[26]، فإن "**غرائب [تنبكت] وعجائبها يومئذ لا تدخل تحت حصر ولا يُحيط بها حفظ حافظ**"[27]، على حد تعبير القاضي محمود كعت التنبكتي الوعكري.

2: الأسماك

كان من خصائص المطبخ السوداني التنبكتي، البارزة في القرن السابع عشر، الاستهلاك الواسع للسمك، والواقع أن هذه الخصيصة، مست السواد الأعظم من السكان، أما الطبقات المترفة والميسورة، فلم تأكل السمك، بل استعاضت عنه بلحوم الغنم، والبقر، والجِمال، والدجاج، والحمام[28]. ومن الأمور الجديرة بالتسجيل، كذلك، في هذا المضمار، أن أسماك نهر النيجر المتنوعة، شكلت في القرن التاسع عشر، مادة استهلاكية مهمة، بالنسبة للطبقة العاملة التنبكتية، وحتى للفقراء والمعوزين، بينما كان الميسورون منهم يزدرونها ويمقتونها، والسبب راجع حسب بعض المعلومات المتاحة، إلى أن تلك الأسماك تصل إلى أسواق حاضرة تنبكت، في حالة يرثى لها، حيث تصل نتنة وجافة وفاقدة لكل طعم[29]. بيد أن الأمر الذي يتعين ملاحظته هنا، هو أن مجمل الأسماك كانت تصل إلى

حاضرة تنبكت من ميناء كابارا، على بعد بضعة كيلومترات من نهر النيجر[30]، "**نهر الجنة ومدفع مياه الرحمة**"[31]، كما كانت تصل إليها نسبة مهمة من الأسماك المجففة من مدينة جيني[32]، لؤلؤة النيجر، كما أن مدينة گوْگوْ، كانت هي الأخرى، من المدن السودانية التي تزخر بثروة سمكية مهمة[33]، كما أن نهر النيجر كان هو الآخر، قد حبا أهل السودان الغربي بثروة سمكية هائلة منذ القدم[34]، في هذا الصدد، يقول الشريف الإدريسي عن نهر النيجر: "**وفيه[ا] أنواع من السمك وضروب من الحيتان الكبار والصغار ومنه طعام أكثر السودان يتصيدونه ويملحونه ويذخرونه وهو في نهاية السمن والغلظ**"[35].

وحسب المعلومات التي استقيناها من كتاب (تاريخ الفتاش في ذكر الملوك وأخبار الجيوش وأكابر الناس)، للقاضي محمود كعت التنبكتي الوعكري، المتوفى سنة 1002هـ/1593م، فإن حرفة صيد السمك، كانت تمارسها فئة تسمى في اللسان المحلي السوداني بـ "**أهل كُرْمِنَ من الزَّنَّاجِيَّة بَاشِ فَرْمَ**"[36]، وهكذا، "**كانوا يجتمعون على موضع من البحر يسمى سَنْشِرْكُيْ في اصطياد حيتان [يُطلق عليها اسم] دُعْ**"[37]. إلى جانب هذه المعطيات النادرة، يفيدنا القاضي آنف الذكر، بأن حاضرة تنبكت "**أفاض الله البركة في برها وبحرها في أوائل دولة جيش مولانا أحمد [المنصور الذهبي]، وأكثر الخير فيها حتى كاد الناس ينسون دولة سنغي (...) وأكثر الله الحيتان في البحور، ويتصيد فيها الصيادون ما لا يحصى من الحيتان**"[38].

وهناك إشارة أخرى، عند الرحالة والمؤرخ الإسباني لويس ديل مارمول كرباخال، يتحدث من خلالها عن استخدام أهل السودان الغربي للأسماك في غذائهم، حيث ذكر أن أنهار بلاد السودان الغربي، كانت تعيش فيها كميات وافرة من الأسماك، المختلفة الأحجام والألوان[39]، وهكذا، كانوا يتناولونها إما طرية أو بعد تجفيفها، وكانوا أيضا يصدرون جزءً منها إلى الشمال الأفريقي، فتباع في أسواقهم بأثمان جد مرتفعة[40]، إلا أن ما ينبغي ملاحظته، في هذا السياق، والتأكيد عليه، هو أن الأسماك الأكثر انتشارا واستهلاكا في حاضرة تنبكت وباديتها، وحتى المناطق المصاقبة لها، هي الأسماك المجففة أو "**الحوت اليابس**"[41]، كما يسميها ابن المختار حفيد القاضي محمود كعت التنبكتي الوعكري، حيث كانت هذه النوعية من الأسماك، تباع في كل أرجاء بلاد السودان الغربي[42]، وكانت تستعمل في إعداد الكثير من الأطباق والوجبات، مثل: الكسكس، والأرز[43].

3: الحبوب والبقوليات

تفيد مجموعة من المعلومات المصدرية المتوافرة، أن الحبوب والبقوليات بأنواعها المختلفة، كانت هي الأخرى، من المواد الاستهلاكية الرائجة وبوفرة، في حاضرة تنبكت وباديتها[44]، في هذا الصدد، أشار الرحالة المغربي الحسن بن محمد الوزان الفاسي، إلى أن حاضرة تنبكت والنواحي القريبة منها، تتميز بوفرة الحبوب[45]،

والأرز[46]، والشعير، والدُّخن[47]. ويظهر من إشارات الرحالة والمؤرخ الإسباني لويس ديل مارمول كرباخال، أن حاضرة تنبكت كانت أيضا تنتج كميات وافرة من القمح والذرة والشعير[48]، كما أن إقليم جوبر الذي يقع غرب مملكة گاو، والتي يبعد عنها بنحو مائة فرسخ، كان ينتج كثيرا من الذرة وكمية مهمة من الأرز الرفيع الجودة، ونفس الشيء أيضا ينطبق على إقليم گاو الذي يبعد عن حاضرة تنبكت بنحو مائة وخمسين فرسخا، كان هو الآخر، يوفر للحاضرة المذكورة كميات هامة من الأرز الجيد[49].

واستنادا على ما ذكره أحد الإخباريين السودانيين، فإن الحاضرة المذكورة والمناطق المحاذية لها، كانت تنتشر فيها خلال القرن السادس عشر، مزارع متخصصة في زراعة الأرز[50]. ومما تمدنا به المصادر أيضا، هو أنه في القرن السابع عشر، كان الأرز يزرع على نطاق واسع في نواحي حاضرة تنبكت، حيث يفيدنا رجل مغربي، من مدينة تطوان، زار حاضرة تنبكت مع والده عام 1787م، يدعى الحاج عبد السلام الشابيني، أنه رأى الأرز يزرع في كل وقت، فبعض الأرز كان يزرع، في حين كان يجنى الآخر[51]. ونلاحظ من خلال بعض المصادر التاريخية، أن حاضرة تنبكت وباديتها، كان يزرع فيها أيضا الفول، وبالضبط في شهر مارس، صحيح أن ثماره قصيرة الحجم، ولكنها مليئة بالحبيبات[52]، كما كانت تزرع فيها البشن[53]، والذرة البيضاء[54]، والفاصولياء[55]، والفوني، والأخير، عبارة عن "**دقٌّ مزغبٌ يدرس فيخرج منه شبيه حب الخردل أو أصغر، وهو أبيض بعسل ثم يطحن ثم يعجن ويؤكل**"[56].

وحسبما يذكر أحد المؤرخين السودانيين، ويتعلق الأمر هنا بمؤرخ حاضرة تنبكت عبد الرحمن السعيدي، فإن الحاضرة المذكورة ونواحيها، كانت تعرف استهلاك الدُّخن وعلى نطاق واسع[57]، وبالاستناد على بعض الجزئيات المصدرية، فإن القمح كان يستهلك خاصة من قِبل المغاربة، والطبقة المترفة التنبكتية، وقد كان المغاربة هم من أدخلوه إلى بلاد السودان الغربي، وزرعوه بالقرب من حاضرة تنبكت، ثم نقله بعض المزارعين إلى أرباض جيني وضيعات گاو، ولكن أغلب القمح المستهلك في الحاضرة المذكورة، كان يستورد من المغرب[58]، الذي "**كان يملك [وقتذاك] فائضا في إنتاجه الفلاحي**"[59]. ونستشف بجلاء من خلال بيانات الأب والمستكشف الفرنسي أوگوسطان بروسبير هاكار، أن حاضرة تنبكت وباديتها كانت تتمتع في أواخر القرن التاسع عشر بثروات مهمة، ومنتوجات متنوعة، من حيث أنواع الحبوب والبقوليات، وقد ساعدها في ذلك ما تتعرض له الحاضرة، من فيضانات لمدة طويلة، تتراوح ما بين 7 أو 8 أشهر في السنة، وهو ما انعكس بالإيجاب على أنشطتها الفلاحية[60]. ومن بين تلك المنتوجات المتميزة، التي تتمتع بها الحاضرة المذكورة، نجد الأرز بمختلف أشكاله وألوانه، والذي يشرع في حصاده في شهر نونبر، وينتهي في شهر دجنبر، ثم هناك أيضا زراعة الدُّخن، بنوعيه

الأسود والأبيض، الكبير والصغير[61]، كما أن الحاضرة تنتج أيضا كميات هامة من القمح، فرغم تواضع جودة الأخير، إلا أنه كان يمد السكان المحليين بالخبز[62].

وجدير بالإشارة، في هذا السياق، إلى أن الغذاء الرئيس لمعظم سكان حاضرة تنبكت وباديتها، يتجلى بالأساس في مادتيْ الدُّخن والأرز، حيث لا تنتج الحاضرة المذكورة سوى القليل من الحبوب، أو لا تنتجها على الإطلاق، إذ يتم استيرادها من مناطق عديدة، مثل: جيمبالا، وجني، وكيسو[63]. وغالبا ما كانت تصل كميات هائلة من جميع أنواع الدُّخن والأرز، من منطقة كابارا في نونبر ودجنبر[64]، ومما ينبغي لفت النظر إليه، بهذا الشأن، هو أن مادة القمح كانت تشكل غذاءً مميزا للطبقة الغنية والميسورة[65]، على أن ما يسترعي انتباهنا أكثر، في هذا الباب، هو أن حبوب الدُّخن والذرة البيضاء، تعتبر من أهم المنتوجات التي استهلكها سكان بلاد السودان الغربي، بما فيها سكان حاضرة تنبكت وباديتها، منذ العصور الوسطى إلى اليوم، وهي تحتل القائمة الأولى في المنتوجات المحلية، وتغطي مساحة واسعة من الأراضي المزروعة في البلاد السودانية، ولا تتطلب نسبة كبيرة من التساقطات، وتعتبر الغذاء الأساسي لمعظم سكان بلاد السودان الغربي[66].

ويفيدنا مصدر آخر، خامل الذكر، بعيد عن كل إشارة، ويتعلق الأمر هنا ببيانات الرحالة والصحفي الفرنسي ألبيرت فيليكس دوبوا، الذي يخبرنا بصفته شاهد عيان، أن حاضرة تنبكت وباديتها كانت تعرف استهلاك بعض الحبوب الغريبة، وتحديدا خلال أواخر القرن التاسع عشر، مثل النوع المسمى في اللسان المحلي السوداني بـ "المانيوك"[67] أو "الكاسافا"[68]، هذا الأخير، كان يستعمل منذ ذلك الوقت إلى الآن، وعلى نطاق واسع، كبديل للقمح في مجمل بلدان الغرب الأفريقي، علاوة على "المانيوك"، نجد أيضا نوعا آخر من البذور، تستهلك هي الأخرى، بكيفية أو بأخرى، يطلق عليها في اللسان المحلي السوداني اسم "الكاريتي"[69]، وهذه الأخيرة، هي عبارة عن حبوب صغيرة جدا، يَصنع منها سكان بلاد السودان الغربي عادةً نوعا من الزبدة[70].

4: الزيوت

حسب ما تيسر الاطلاع عليه من مصادر ومراجع، يظهر أن زيت الزيتون وصل بكميات قليلة جدا إلى حاضرة تنبكت وباديتها، وتحديدا من جهة الشمال، في بداية العهد المغربي، وبصفة عامة فالطبخ بالزيوت لم يكن معروفا في بلاد السودان الغربي[71]، رغم أن شجر الزيتون كان موجودا في هذه المناطق السودانية، ومما يؤكد هذا أكثر، ما ورد عند محمد بن محمد المفتي مرحبا، في مخطوطه الموسوم بـ (التاريخ الخاص بالتواتر)، حيث ذكر أن شجر الزيتون كان كثيرا في مدينة سهل، إحدى مدن بلاد السودان الغربي، فقد أشرف على زراعته الإمام عبد الله الأندلسي، الذي تولى مهمة أمير المدينة في عهد سُنِّ علي، فقد زرع ألفا وثمانمائة شجرة زيتون[72]، وإذا كانت

هذه الإشارات التي أفادنا بها صاحب مخطوط (التاريخ الخاص بالتواتر)، قد أكدت لنا وجود شجر الزيتون في بلاد السودان الغربي، نملك إشارات أخرى أيضا، تفيد بأن سكان هذه البلاد كانوا يستخرجون من حبوب نبات السمسم أو الجلجلان "**الزيت لصناعة الحلويات أو يستهلك مباشرة**"[73].

5: التوابل والبهارات والملح

اعتمادا على رصيدنا البيبليوغرافي، بمختلف عناصره، يمكننا القول إن التوابل والبهارات، كانتا من ضمن المواد التي حرص سكان حاضرة تنبكت وباديتها، على إدخالها في تحضير مجمل أطعمتهم وأطباقهم المتنوعة؛ وذلك من أجل تحسين مذاقها ونكهتها، في هذا الخصوص، يخبرنا الأب والمستكشف الفرنسي أوگوسطان بروسبير هاكار، أن مجمل أسواق حاضرة تنبكت وباديتها، كانت تباع فيها مختلف أنواع التوابل والبهارات[74]. ويظهر من مؤشرات مصدرية أخرى، أن أسعار التوابل والبهارات، كانت جد مرتفعة في الحاضرة المذكورة[75]، وغالبا ما كان تجار تنبكت، الباحثون عن الثروة آنذاك، يستوردونها من المغرب[76].

ومن الإشارات التي لابد من تسجيلها، في هذا الإطار، أن الملح "**العنصر المحرك الأساسي للتجارة الصحراوية**"[77]، كان من أهم المواد التي أقبل عليها سكان حاضرة تنبكت بصفة خاصة، وبلاد السودان الغربي بصفة عامة، أيما إقبال[78]، في هذا الشأن، يقول أبو القاسم بن حوقل النصيبي: "**وربما بلغ الملح في دواخل بلد السودان وأقاصيه ما بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار**"[79]، وهذه الملاحظة الأخيرة، يحيلنا إليها أكثر من شاهد، حيث يخبرنا المؤرخ الهندي مادهو بانيكار (Madhu Pannikar)، في هذا الخصوص، أن قيمة الملح في حاضرة تنبكت وباديتها، تكاد تفوق قيمة الذهب[80]. وبما أن الحاضرة المذكورة وباديتها، لا تنتج على الإطلاق مادة الملح، التي تستعمل كثيرا في تحضير السمك المجفف، وفي إعداد العديد من الأطباق المتنوعة، وأشياء أخرى كثيرة، وهكذا، كانت حاضرة تنبكت تستورد هذه المادة النادرة والثمينة جدا[81]، على شكل ألواح، من مناطق مجاورة، وتحديدا من مملحة تغازة الشهيرة، التي تقع في قلب الصحراء الكبرى[82].

6: الخضر

يتضح من خلال بعض الشهادات المصدرية، وخاصة ما ذكره الأب والمستكشف الفرنسي أوگوسطان بروسبير هاكار، أن الخضر لم تكن تستهلك بكثرة في حاضرة تنبكت وباديتها[83]، الأمر الذي حدا بأحمد بن أمبارك بن محمد، الملقب بـ (بلعراف التكْني)، أن ينتقد أهل حاضرة تنبكت، لعدم اهتمامهم بغرس الأشجار أو الزراعة، رغم أن بلادهم لا تبعد كثيرا عن نهر النيجر[84]، روح بلاد السودان الغربي وقلبه[85]، ومع ذلك، تشير

بعض الكتابات الفرنسية، إلى أن الخضر كانت موجودة في أسواق حاضرة تنبكت، والمناطق القريبة منها[86]، أما أثمانها فكانت جد متدنية[87]، ويرجع السبب في ذلك، على ما يظهر، إلى أن الإقبال عليها، كان ضعيفا جدا[88].

ويجمل بنا التذكير، في هذا المقام، أن مزارع حاضرة تنبكت وباديتها، كانت تنتج مجموعة من الخضراوات، مثل: القرع، والفاصولياء، والكرنب، واللفت، والبصل[89]، والملوخية[90]، والثوم[91]، والباذنجان[92]، والجزر، والفجل، والقرنبيط[93]، والبطاطا[94]، والخص[95]، والخيار[96]. وأمام ندرة الطماطم في حاضرة تنبكت وباديتها، فغالبا ما كانت تستورد كميات معتبرة منها، من بعض المناطق المغربية أو الأوروبية[97]، ومما تجدر الإشارة إليه، في ختام هذه النقطة، هو أن المغاربة قد جلبوا إلى مزارعهم في تنبكت وگاو، أصنافا متعددة من الخضراوات، لم تكن معروفة من قبل، مثل: القرع الصغير، والبقدونس، والنعناع المروي، والبقول[98]، والحوامض[99].

7: الفواكه والتمور

تخبرنا المعلومات التي وفرتها المصادر التاريخية، أن بساتين حاضرة تنبكت وباديتها، كانت تنتج كميات هائلة من البطيخ الأبيض، والأصفر، وقليلا من الشمام، ذي اللون الأخضر، والقشرة البيضاء[100]. في المقابل كانت تستورد البرتقال[101] والرمان من المغرب[102]، كما أن البطيخ الأحمر أو ما يسمى في اللهجة المحلية التنبكتية بـ "كانكاني" (kankani)[103]، هو الآخر، قد وصل إلى الحاضرة المذكورة، في نهاية القرن السادس عشر عن طريق المغاربة[104]، وأصبح الفاكهة الأكثر شعبية في تلك البلاد السودانية[105].

ويتضح من خلال بعض المعطيات التاريخية، أن حاضرة تنبكت وباديتها كانت تصلها كميات معتبرة من التمور[106]، على رأسها النوع المسمى (بوسكري)[107]، وعادةً ما كانت التمور تأتي إليها من واحات الصحراء المغربية[108]. ويخبرنا الباحث إسماعيل ديابي حيدرة (Ismael Diadié Haïdara)، في كتابه الموسوم (جؤدر باشا وحملة المنصور إلى بلاد السودان)، أن جيش أحمد المنصور الذهبي قد نقل معه إلى بلاد السودان الغربي عجين التمر[109]. إضافة إلى هذه الشواهد المصدرية، نملك إشارات أخرى عديدة، تفيد بأن الفواكه الجافة، كانت معروفة هي الأخرى، في هذه الحاضرة السودانية، وبخاصة التين المجفف والزبيب[110]، ويظهر أن هذه المواد كلها، كانت تصل إلى الحاضرة المذكورة، من مدينة فاس المغربية[111].

8: المكسرات

يتبين من خلال مجموعة من المؤشرات المصدرية الأوروبية، أن المكسرات كانت هي الأخرى، من المواد التي أقبل عليها سكان حاضرة تنبكت وباديتها إقبالا كبيرا، ومن أبرز هذه الأنواع، نجد: الفستق[112]، والبندق[113]، والفول السوداني[114]، واللوز[115].

9: النباتات والثمار والأعشاب البرية

تجمع مختلف المصادر التي تعرضت بالإشارة إلى تاريخ بلاد السودان الغربي وحضارته، أن النباتات والأعشاب والثمار البرية، كانت من بين المواد التي اقتات عليها إنسان حاضرة تنبكت وباديتها، في أثناء فترات المسغبة، والجائحة، والأزمات الغذائية، وحتى في الفترات العادية، ويظهر أن لجوء إنسان الحاضرة المذكورة، إلى تناول مثل هذه الأطعمة "القحطية"، كان نتيجة الظروف الطبيعية الصعبة، وأيضا بسبب العوامل المناخية القاسية، التي تعرفها هذه الحاضرة السودانية، من حين لآخر، وهو ما جعل إنسان حاضرة تنبكت وباديتها، يلجأ تحت تأثير الجوع، وبدون أدنى تفكير، إلى غير المعتاد في المأكول والمشروب، من أجل مصارعة الجوع، ومقاومة الموت.

وتورد بعض المصادر الجغرافية العربية، أن جل المناطق الواقعة في بلاد السودان الغربي، كانوا يستهلكون بعضا من ثمار الأشجار البرية، غير القابلة للأكل والاستهلاك، في هذا الجانب، يقول ابن فضل الله العمري: "**وتطلع عندهم أشجار برية ذوات ثمار مأكولة مستطابة فيها شجر يسمى نادموت يحمل مثل القواديس في كبرها، وفي داخلها شبيه دقيق الحنطة ساطع البياض مُز لذيذ (...) وهو يدخر عندهم للأكل**"[116]، ويضيف نفس المؤلف، على لسان الشيخ أبو عثمان سعيد الدكالي المغربي، الذي يظهر أنه سكن بلاد السودان الغربي، مدة تربو على خمسة وثلاثين سنة[117]، أن سكان هذه المناطق السودانية، كانوا يقتاتون على نبات بري يسمى "القافي"، وهذا الأخير، عبارة عن "**عروق رقاق (...) طعمها شبيه بالقلقاس لكنه ألذ من القلقاس، وهو يزرع في الخلاء**"[118].

وحسب معلومات الباحث محمد بنشريفة، فإن القافي كان يفضله أهالي بلاد السودان الغربي على سائر الطعام[119]، ولدينا إشارة أخرى، أوردها الرحالة ابن بطوطة يقول فيها: "**ويستخرجون من هذه الأرض حبات كالفول، فيقلونها ويأكلونها، وطعمها كطعم الحمص المقلي، وربما طحنوها وصنعوا منها شبه الاسفنج وقلوه بالغَرتي، والغَرتي، هو تمر كالإجاص شديد الحلاوة مضر بالأبدان**"[120]، ويستشف من معلومات ابن المختار، المستقاة من كتابه (تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان)، أن نبات السلق بنوعيه الأحمر والأصفر، كان من ضمن المواد النباتية، التي اقتات عليها إنسان تنبكت، وسكان بلاد السودان الغربي عامة[121]، وكان هذا النبات يباع للتجار بأثمان عالية[122].

بالإضافة إلى ما سبقت الإشارة إليه أعلاه، يخبرنا المستكشف والمترجم الإسباني كريستوبال بينيتيث گونثاليث، أن فئة من سكان حاضرة تنبكت، كانوا يتناولون بعض الثمار البرية، منها على وجه الخصوص النوع

المسمى بـ "جوز الزنج"، الذي يسميه أهل تنبكت بـ "گُورُو"، ورغم أن طعم هذا الأخير مرير بعض الشيء، إلا أن سكان تلك الحاضرة يستهلكونه، بين الفينة والأخرى[123]، ويحدثنا المستكشف الإسباني آنف الذكر، أن سعر هذا النوع من الثمار، يتقلب دائما بين مائة ومائة وخمسين من الودع[124]، وهي العملة الرائجة يومذاك، في هذه المناطق السودانية[125]، وهكذا، كانت تصل هذه الثمرة البرية إلى تنبكت، وتعرض للبيع في أسواق الحاضرة المذكورة، مغلفة جيدا بأوراق خضراء، كما كان يتم رشها باستمرار بالماء، حتى تحافظ على جودتها وطراوتها؛ لأنها في حالة إذا ما تركت بدون رش بالماء، تصبح حينها صلبة، وتفقد مذاقها ورائحتها[126].

وحسب إحدى الإشارات التاريخية، التي دوّنها الأب والمستكشف الفرنسي أوگوسطان بروسبير هاكار، فإن فقراء حاضرة تنبكت خلال القرن التاسع عشر، كانوا يَتَغَذَّوْنَ على بعض الأعشاب والثمار البرية، غير القابلة للاستهلاك البشري، والتي لا تأكلها عادةً إلا الماشية؛ وذلك لأجل سد الرمق، ومقاومة الجوع وأهواله، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، عشبة تدعى "الداني"، هذه العشبة، كان فقراء تنبكت يغسلونها، ويجففونها، ثم يطبخونها[127]، كما كان سكان هذه الحاضرة أيضا، يستهلكون بعض التمور البرية، تسمى في اللسان المحلي "تامارين"[128]، ويرجح من خلال البيانات التي تمدنا بها كتابات المستكشفين الأوروبيين، أن سكان تنبكت وباديتها كانوا أيضا يستهلكون ورق التبلدي الأصبعي، وطحين تمرته، إضافة إلى أوراق بقل الروم "جيسوما"، التي يشبه مذاقها ثمار نبات"الكَرْبَل"[129]، حيث تتميز بحموضة لا تطاق، كما أن أطفال هذه الحاضرة السودانية، يتناولون ثمار "گُورْبُويْ هُومُو"، ذي الأشواك الطويلة الخضراء، والتي تتميز بمرارة كبيرة جدا[130].

10: الحلويات والمملحات والأرغفة

في البداية، تجدر الإشارة، إلى أن فئة قليلة من ساكنة حاضرة تنبكت الثرية، كانت تقبل على تناول واستهلاك بعض الأغذية والأطعمة الفاخرة، حيث وصفها المستكشف الفرنسي أوگوسطان بروسبير هاكار بـ "الأغذية الكمالية"، وهي في المجمل، عبارة عن حلويات، ومملحات، وأرغفة، وهي كثيرة ومتنوعة، منها:

- **الكاجي:** هي عبارة عن كعكة تعد بطحين القمح والعسل[131].
- **الفِيتَاتِي:** هي أوراق من العجين الناضجة بالبخار[132].
- **الفِينْتَا:** فطائر صغيرة مسطحة، تحضر من الأرز المطبوخ في زبدة الشيا[133].
- **مِي گُورْبُو گُويْ:** فطائر صغيرة، على شكل حلقات، تحضر من القمح، محلاة بالعسل[134].
- **الگُولُو:** الفاصولياء المقشرة والمطبوخة في الماء[135].
- **النِّيمْبْتِي:** كويرات الدُّخن المتبلة بالفلفل الحار[136].

- **الجِيمِيتَا:** كويرات الدُّخن محلاة بالعسل، تسمى في المغرب بـ (الزميتة)[137].
- **الفُورْمِي:** حلويات القمح المطبوخة في زبدة الشيا[138].
- **التُّوكاسُو:** كعك يحضر من القمح[139].
- **الكُوبّي:** يطلق عليها في المغرب اسم "البسطيلة"، وهي عبارة عن رقاق من عجين القمح بسمك الورقة، تنشف بالنار الخفيفة، ثم تحشى باللوز واللحم الناعم، وتغلف بأوراق أخرى، حتى تصبح على هيئة رغيف الخبز، وعندها تقلى بالزبدة، ويوضع عليها دقيق السكر أو بعض العسل[140].
- **الحلوة كُويْ:** حلوة تحضر بالعسل ومن شراب "كوندو"، الذي يستخرج من النبات المسمى "بورگو"[141].
- **الفِطْمَة:** نوع صغير من البسطيلة، مثلث الشكل، يعرف في المغرب باسم "الفتات"، وكان يقدم في حفلات فطام الأطفال[142].
- **الكاتِيَة:** يسمى في المغرب "عين الشواري"، وهو عبارة عن عجين، يدخل في تحضيره القمح والزبدة والبيض، يقلى في الزبدة، ويغطس في العسل، ويأخذ بعد نضجه شكل رقم ثمانية (8)[143].
- **الحَرْشَة:** عجين من الذرة، ينضج بالنار، ويكون شكله مستديرا[144].
- **القْطِيفَة:** تسمى في المغرب بـ "البغرير"، وهي عبارة عن عجين، مقلي بالبيض والعسل والسمسم، تؤكل عادةً في ليالي رمضان[145].
- **الطَّاوْسَا:** حلوة تعد بدون خميرة، تحضر من سميد القمح، أو الذرة، أو الأرز، أو الدُّخن[146]، يتم تناولها غالبا مع اللبن، والطَّاوْسَا تعرف في المغرب باسم "السفة"[147].
- **الدِّيمِيتَا:** حلوة شعبية سودانية، شكلها مستدير، وتحضر بالفول السوداني، ودقيق الأرز، والتوابل، والعسل[148].
- **تَاگُولاً كُويْ:** كعكة تنبكتية شعبية، تحضر من دقيق القمح، ويخبرنا في هذا الخصوص الرحالة الفرنسي دوبوي يعقوبة (Dupuis Yakouba)، أن هذه الحلوة تستهلك بكثرة، في حاضرة تنبكت وباديتها، سواء من طرف الطبقة الفقيرة أو الغنية[149].
- **الأرغفة:** كان تنتشر في حاضرة تنبكت وباديتها، أرغفة صغيرة من القمح، عالية الجودة، وهكذا، كانت تعجن عجينة هذه الأرغفة بالخميرة، في وعاء طيني واسع، يسمى "لوبو هامفي"، وتترك جانبا لساعة أو اثنتين، ليسمح لها بالنضج، وهذه الأرغفة التي يبلغ قطر أكبرها من 20 إلى 25 سم، تنضج في أفران مصنوعة من الصلصال، ومجهزة داخليا بقطع من الفخار أو الطين المشوي[150].

يتبين من أسماء الحلويات والمملحات والأرغفة التنبكتية، المشار إليها أعلاه، أن أصلها مغربي–أندلسي، في هذا الجانب، ذكر الرحالة والطبيب النمساوي هاينريش أوسكار لينز، الذي زار تنبكت ونواحيها، في العقد

الثامن من القرن التاسع عشر، أن مجمل الأطعمة والأشربة السودانية التنبكتية، لا بد أن نلمس فيها جانبا كبيرا من التأثير المغربي[151]، وهو ما يؤكده أيضا المستكشف والمترجم الإسباني كريستوبال بينيتيث گونثاليث، حيث أشار إلى أن الأطعمة في حاضرة تنبكت وباديتها، عادةً ما نجد فيها شيئا من الأثر المغربي[152]. والراجح، أن هذه الحلويات والمملحات، وصلت إلى حاضرة تنبكت وباديتها بصفة خاصة، وبلاد السودان الغربي بصفة عامة، عن طريق المغاربة والأندلسيين، في هذا السياق، يقول الباحث محمد الغربي: "**ومما يلفت النظر حقا التنوع الواضح في أصناف الحلويات التي عرفها السودان في العهد المغربي، وليس من الصعب مقارنة كل نوع منها بما كان يوجد في الأندلس والمغرب**"[153].

11: الخبز

كان الخبز من بين المواد الغذائية، التي اعتمد عليها سكان حاضرة تنبكت وباديتها، في وجباتهم الغذائية المتنوعة، ويظهر حسب بعض البيانات والمؤشرات التاريخية، أنه كان حكرا فقط على الساكنة الميسورة والغنية[154]، وغالبا ما كانت هذه الساكنة الثرية، تتناول الخبز المصنوع خاصة من الشعير[155].

ثانيا: الأشربة

1: الماء

تتفق جل المصادر التي اهتمت بتاريخ بلاد السودان الغربي وحضارته، أن الأشربة الأكثر انتشارا بين سكان حاضرة تنبكت وباديتها، في الفترة الزمنية التي تقدم ذكرها سابقا، كانت تتمثل أساسا في الماء لا غير، حيث يخبرنا في هذا الصدد الأب والمستكشف الفرنسي أوگوسطان بروسبير هاكار، أنه: "**بفعل تحريم الشريعة الإسلامية شرب ومعاقرة الخمور، فإن السكان المحليين يكتفون فقط بشرب الماء، الذي يحتفظون به غالبا في جرار طينية كبيرة**"[156]، أو في أواني من ثمار قرع العسل[157].

2: الحليب ومشتقاته

يعتبر الحليب ومشتقاته، من أبرز المواد الاستهلاكية، التي كان يتناولها سكان حاضرة تنبكت وباديتها، وعلى نطاق واسع جدا، هذا ما نستشفه بوضوح تام، من خلال الشهادات المصدرية المحلية السودانية، وحتى الأجنبية. ومن الأهمية بمكان أن نورد، في هذا المضمار، شهادة الرحالة المغربي الحسن بن محمد الوزان الفاسي، الذي ذكر أن "**اللبن والسمن يستهلكان بكيفية مفرطة [في حاضرة تنبكت وباديتها]**"[158]، وحسب البيانات التي استقيناها من القاضي محمود كعت التنبكتي الوعكري، فإن الحليب ومشتقاته، كانا يشكلان غذاءً

رئيسا للساكنة التنبكتية، في هذا الجانب، يقول على سبيل المثال لا الحصر: "**وأخبرني شيخنا الفقيه الصالح بَرَ السِّلَنْكِيُّ أنهم اشتروا معزة واحدة حلابة وتعيش بلبنها جميع أهل بيتهم، وهم خمسة عشر نفسا، وربما تبقى من لبنها شيء، فتبيت فيضربونه ويخرجون الزبد منها**"[159].

وفي المنحى نفسه، قال مؤرخ حاضرة تنبكت عبد الرحمن السعيدي، إن أسْكيا الأمين ابن أسْكيا داوود، كان يقدم لفقراء وضعفاء بادية تنبكت: "**ألف بقرات حلابات، يقسم ألبانها لهم أيضا حتى فرج الله عنهم**"[160]، وفي الصدد ذاته، يحدثنا المستكشف الفرنسي دوبوي يعقوبة، أن الحليب كان يصل إلى الحاضرة المذكورة كل يوم، في الصباح والمساء، وكان البدو الرحل هم الذين يقومون بتوزيع الحليب، وبيعه في مختلف الأسواق والشوارع التنبكتية، ومن مختلف الأصناف، فهناك حليب الأبقار، والنعاج، والماعز[161]. وحسب نفس المؤلف، فإنه من وقت لآخر، يأتي هؤلاء البدو الرحل أيضا إلى حاضرة تنبكت، لبيع الزبدة الذائبة التي تستخدم غالبا في الطهي، تسمى هذه الأخيرة في اللسان المحلي التنبكتي بـ "گازي"، كما تستهلك الحاضرة المذكورة نوعا من الجبن، يسمى في اللسان المحلي بـ "دُونْ"، ويستخدمه الأوروبيون في أحايين كثيرة، في إعداد أطباق معينة، وخاصة في حالة عدم وجود الجبن الحقيقي[162].

ونلاحظ من خلال بعض المصادر الإسبانية، أن الفقراء والمعوزين في الحاضرة المذكورة، والتي تصفهم بـ "الطبقة البروليتارية"، كانوا يستعيضون عن الزبدة العادية، التي كانت محتكرة فقط، من قِبل العائلات الغنية، بزبدة أخرى نباتية، أقل جودة من الأولى، أطلقوا عليها اسم "بيرلينگا"[163]، وهذه الأخيرة، كانت تستخرج من شجرة موجودة عندهم، في كل ناحية، أما طريقتهم في استخراج تلك الزبدة، فهي كالتالي: "**يقومون بإجراء شق في تلك الشجرة، ويضعون تحت المكان المشقق وعاءً من الطين أو من الخشب، ثم يتساقط فيها ذلك السائل قطرات، وبعد جمعه، يتركونه في إناء ليلة كاملة، حتى يتجمد، وبعد أن يصير زبدة، يتم تقسيم الأخيرة من طرف تلك الأسر الفقيرة إلى نصفين، نصف يتركونه لأنفسهم، أما النصف الثاني المتبقي، فيتم بيعه في الأسواق التجارية التنبكتية**"[164].

3: الشاي

يستفاد من بعض الجزئيات المرجعية الشاردة، أنه في حاضرة تنبكت وباديتها، كانت بعض الأشربة حكرا فقط على الفئات الغنية، وخاصة مشروب الشاي، الذي كان من أهم المشروبات الفاخرة، التي أقبلت عليها الفئة الميسورة بنهم منقطع النظير[165]، وهكذا، كان الشاي المعطر بالنعناع، هو المشروب الشعبي في بلاد السودان الغربي، وكان يقدم على الطريقة المغربية الصرفة، عدة مرات في اليوم، ولم تخل جلسة أو سمر من صواني

الشاي ولوازمه[166]، وحسب بعض الإشارات التاريخية، فإن الشاي كان يصل إلى حاضرة تنبكت وباديتها من المغرب[167]، البلد الأقرب إلى السودان الغربي[168]، والذي كان بدوره يستورده من إنجلترا[169].

كما أن أهم مكون من مكونات مشروب الشاي، والذي لا يستقيم بدونه، وهو السكر، كان هو الآخر يصل إلى حاضرة تنبكت وباديتها من الجنوب المغربي، وتحديدا من وادي نون[170] ومنطقة سوس[171]، وبالضبط من تيوت، الواقعة في نواحي مدينة تارودانت، في هذا الخصوص، يقول الحسن بن محمد الوزان الفاسي: "**ويقصد تيوت كثير من تجار فاس ومراكش وبلاد النيجر لشراء السكر**"[172]. ويحدثنا الباحث محمد الغربي أن السكر أدخله المغاربة، وزرعوه في الأماكن المرتفعة الجافة، المتوسطة الأمطار، وبالقرب من نهر النيجر، وكانت زراعته إحدى الاختصاصات المعروفة للمهاجرين من غرناطة، ولكن لم يقع استخراج مادة السكر من القصب؛ لأن هذه المادة ظلت دائما على لائحة الواردات[173].

4: القهوة

يظهر عند قراءة مختلف المصادر والدراسات، التي تعرضت بالإشارة إلى تاريخ بلاد السودان الغربي وحضارته، أن مشروب القهوة قليل ما يستهلك في حاضرة تنبكت، والمناطق المصاقبة لها، والسبب راجع بالأساس إلى قلة البن وندرته في الحاضرة المذكورة[174]. ومع ذلك، يتبين من خلال بعض الإفادات التاريخية، المتناثرة هنا وهناك، أن مشروب القهوة كان محتكرا فقط بين الأغنياء وعلية القوم[175]، وغالبا ما كانت مادة القهوة تصل إلى أثرياء تنبكت من واحة توات[176].

5: عصائر ومشروبات

يستشف من بيانات المستكشف والمترجم الإسباني كريستوبال بينيتيث گونثاليث، أن بعض العائلات الفقيرة في حاضرة تنبكت وباديتها، والتي لا تستهلك إطلاقا مشروب الشاي أو القهوة، لظروفها الاقتصادية الصعبة والمزرية، نجدها قد استعاضت عنهما بعصير محلي خاص، يستخرج من ثمار جوز الكولا[177]، وهذه الأخيرة منشط معتدل، يحتوي على الكافيين، وقد كانت ولا تزال تستعمل، لتخفف التعب، وللتغلب على العطش[178]. ويبدو حسب بعض المرويات التاريخية المتداولة، أن الجالية المغربية في حاضرة تنبكت وباديتها، استفادت كثيرا من ثمرة التوت الوحشي القزم، ذي الحموضة الكبيرة، في صنع بعض المشروبات والعصائر، وهكذا، كانوا يحضرون مشروبا بخلط عصير ذلك التوت مع السكر أو العسل[179]. وإلى جانب ما سبق ذكره، كان السودانيون يصنعون أيضا أنواعا أخرى، من المشروبات الساخنة والباردة، حيث وجدت حول المستنقعات أعشاب عرفت منذ القديم

بطعمها القريب من الشاي، ومن ضمنها عشبة "كوندو" الشبيهة بالأسل، وكان شاي "كوندو" هذا يشرب مع الحليب، بخلاف الشاي الأخضر المستورد[180].

6: أشربة مختمرة

يتضح من خلال مجموعة من الإشارات الشاردة، في المصادر السودانية والفرنسية، أن سكان تنبكت وباديتها، كانوا يتناولون بعضا من الأشربة المختمرة، ليلا ونهارا، فهذا عبد الرحمن السعيدي، مؤرخ بلاد السودان الغربي، يذكر أن بعض أهالي تلك المناطق "**قرب انقراض دولتهم وزوال مملكتهم [يقصد مملكة سُغِّيْ]، بدّلوا نعم الله كفرا وما تركوا أشياءً من معاصي الله تعالى إلا ارتكبوها جهرا من شرب الخمر ونكحة الذكور**"[181]. واستنادا على ما ذكره أحد المؤرخين المغاربة، فإن كثرة اليهود في بلاد السودان الغربي، خلال القرن السادس عشر، كان من نتائجه شيوع شرب الخمر بين السكان السودانيين، الذي اعتصر حينها من العنب والتين والبلح[182]. ويبدو من إشارة أخرى، أن السودانيين حتى في العهد المغربي، كانوا يتناولون الخمر، سرا وعلانية "**حتى أن جيش لوغا كان يشرب الخمر شاهرا ظاهرا ليلا ونهارا**"[183].

وحسب معلومات الأب والمستكشف الفرنسي أوگوسطان بروسبير هاكار، فإن الخمر كان شائعا بين سكان حاضرة تنبكت والقرى المجاورة لها، في القرن التاسع عشر، حيث أشار إلى أن هناك مشروبا محليا يستهلك بكثرة، هذا الأخير، كان يتم إعداده من الدُّخن، أو العسل، أو سيقان النجيلية، المعروفة في اللسان التنبكتي بـ "الكوندو-هاري"، وتعتقد الساكنة المحلية بأن هذا المشروب، يكون أكثر متعة وفائدة حينما يسكّر[184]، إضافة إلى هذا المشروب، هناك أيضا مشروب آخر، مسكّر ومنعش في الآن ذاته، حسب شهادة الأب سابق الذكر، هذا المشروب، يصنع من قصب السكر، حيث يحتوي ساق هذا القصب الأحمر اللون على عصير، من خلاله يتم إعداد ذلك المشروب المسكّر[185]. وفي الاتجاه ذاته، كان بعض سكان حاضرة تنبكت وباديتها في عهد السنغاي أو سُغِّيْ، يصنعون من "الفوني"، وهو حب شبيه بالخرطال، شراب منعش ومسكر، في نفس الآن، وقد أبطل المغاربة زراعته في بلاد السودان الغربي[186].

المحور الثاني: أهم الأطعمة الشائعة في حاضرة تنبكت وباديتها

تجمع مختلف الشواهد المصدرية، سواء السودانية، أو العربية، أو الأوروبية، التي تمكنا من جمعها والاطلاع عليها، أن حاضرة تنبكت وباديتها، على الأقل منذ القرن السادس عشر الميلادي، كانت تعرف مجموعة من الأطعمة الشعبية، والتي كانت تقدم كوجبات رئيسة، وغالبا ما شكلت هذه الأكلات، أساس النسق الغذائي التنبكتي، ومن بين أهم هذه الأكلات المتنوعة، نجد ما يلي:

أولا: الكسكس أو "التازو"

عرف الكسكس الطبق الوطني المغربي، أو ما يسمى في اللسان المحلي التنبكتي بـ "التازو"[187]، انتشارا كبيرا بين سكان تنبكت وباديتها[188]، ويخص هذا الطبق حسب بعض المؤشرات المصدرية الملتقطة، فقط الموسرين التنبكتيين والمغاربة، ووحدها أيام الأعياد والمناسبات، ما يكون بإمكان الفقراء في الحاضرة المذكورة وباديتها، الحظوة بذلك الترف، وغالبا ما كان الكسكس في تنبكت يعد بلحم الغنم، أو الماعز، أو الجاموس، أو الدجاج، أو السمك[189]. وفي الصدد ذاته، يخبرنا المستكشف الفرنسي ريني كايي (René Caillié)، المعروف لدى سكان بلاد البيظان باسم (ولد كيجّه النصراني)، أنه حينما حلّ ضيفا على أحد المغاربة، اسمه سيدي عبد الله، الذي كان حينذاك حاكما لتنبكت، قدم له كسكس الدُّخن بلحم الغنم، وذلك طيلة المدة التي قضاها عنده ضيفا[190].

ثانيا: المرگة معافي

يعد طبق المرگة معافي من الأطباق التنبكتية الفاخرة، حيث يتم تحضيره فقط في أيام المناسبات، مثل استقبال الضيوف المميزين، أو في أيام الحفلات العائلية، كالختان والزواج وغيرهما، وهذا الطبق في الأصل، هو عبارة عن مرق أو صلصة، تحضر بحوالي اثني عشر نوعا من التوابل والبهارات المغربية، على رأسها "رأس الحانوت"، بالإضافة إلى اللحوم والدهون[191].

ثالثا: سيناسار

يعتبر طبق سيناسار من الأطباق المميزة، التي تحضر غالبا في المناسبات والحفلات، أو لتكريم الضيوف. هذا الطبق يعد بالأرز واللحم والدهون، إضافة إلى اثني عشر نوعا من التوابل والبهارات المغربية، وتشير الباحثة الفرنسية مونيك شاستاني، استنادا على بعض المصادر الأوروبية والسودانية، أن أصل هذا الطبق مغربي[192].

رابعا: قضبان بوندية

يعد أهل حاضرة تنبكت أيضا باللحم الناضج قضبانا، تسمى عندهم "بوندية" من قطع كاملة، من الكتف أو الفخذ المشوي، أو من اللحم المجزأ شرائط "سيلا"، أو من لحم الرأس وقوائم الأغنام المشوية[193].

خامسا: الجينانا

طبق تنبكتي محلي شعبي، هو عبارة عن نوع من النقانق، مختلفة الطول[194].

سادسا: حساء الدون

وهو عبارة عن حساء، يتألف من طحين القمح، أو الدُّخن، أو الأرز، أو خليط من الثلاثة[195]، يضاف إليهما الفلفل، والدهن، والتوابل، وجبنة التوارگ[196]. وحسب بيانات الباحثة الفرنسية مونيك شاستاني، فإن حساء الدون يمكن تناوله كطبق رئيسي أو كوجبة خفيفة، يعتمد ذلك على حسب الظروف والوسائل المتاحة، إنه طبق منعش ومغذي في الوقت نفسه، كما أن الفتيات التنبكتيات المقبلات على الزواج، واللائي يرغبن في زيادة وزنهن، عادةً ما يستهلكن بانتظام حساء الدون، في وقت متأخر من الليل[197].

سابعا: هاگا كوري

هذا الطبق يعتبر من الأطباق المشهورة في حاضرة تنبكت وباديتها، وحسب بعض المؤشرات المرجعية، فأصله يرجع إلى عهد السنغاي، وفي تقديرنا فهو طبق مغربي بامتياز، من حيث كيفية التحضير، وطريقة التقديم، وعادةً ما يحضر في المناسبات العائلية الكبرى، وغالبا ما كان يعد باللحم والتوابل والبصل، وهذا الطبق معروف في المغرب باسم "الطاجين"[198].

ثامنا: الفاكوهوي

هذا الطبق التنبكتي التقليدي العريق، يحظى بشعبية كبيرة في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، غالبا ما يتم تحضيره بشكل خاص، خلال حفلات الزفاف، يحضر إما من الدُّخن، أو الأرز المطبوخ في الماء، كما يضاف إليه صلصلة أو مرق متبل[199].

تاسعا: عصيدة تَاگُولاً

تعتبر عصيدة تَاگُولاً من الأكلات الشعبية، التي أقبلت عليها ساكنة حاضرة تنبكت وباديتها أيما إقبال[200]، وغالبا ما كانت هذه العصيدة، تحضر من دقيق القمح، ومرق اللحم، والعسل، والزبدة[201]، وحسبما يذكر أحد الباحثين المغاربة، فإن العناصر الأمازيغية التي وصلت إلى بلاد السودان الغربي بأعداد كبيرة، أسهمت، بكيفية أو بأخرى، في إدخال هذه النوعية من الأطعمة إلى تلك البلاد السودانية، وخاصة منها المشهورة عند الأسر الأمازيغية في جنوب المغرب[202].

وفي الأخير، فإن ما يمكن تسجيله، في هذا الباب، هو أن المطبخ التنبكتي متأثر بشكل كبير بالمطبخ المغربي، وهذا ما يبين بالملموس تجذر العادات المغربية–التنبكتية، منذ القرون الفارطة؛ وذلك نتيجة للتواصل

الثقافي الذي كان لهذه الحاضرة السودانية بالمغرب، وهكذا، ففي الوقت الحاضر نجد نسبة مهمة من سكان تنبكت، حتى أولئك الذين ليس لهم أي ارتباط عرقي بالمغرب، يطبخون على الطريقة المغربية الأصيلة[203].

المحور الثالث: وسائل وآليات الطهي في حاضرة تنبكت وباديتها

يتطلب إعداد الأغذية في حاضرة تنبكت وباديتها، العديد من اللوازم، هذه أبرزها: "الهاون" ومدقه من الخشب "تيندي" أو "هينجي" لسحق الدُّخن وتقشير الأرز، وموقد طيني يسمى "فيما"، وقِدر طيني آخر يطلق عليه "هِينَا كُوزُو"، المسمى عاميا من لدن الأوروبيين "كاناري"، وقِدر آخر مفعم بثقوب صغيرة "دونفو"، يقوم مقام "الكسكاس"، مصنوعة من أعشاب البدو المجدولة، وتوضع فوق "الهينا كوزو"، التي يغلى فيها الماء أو المرق الموجه بخاره لإنضاج كسكس القمح، أو الدهن، أو الأرز[204]. ولطحن القمح يتم استعمال حجرين، إحداهما كبيرة وثابتة، تسمى في اللسان المحلي التنبكتي "فوفو توندي"، والأخرى صغيرة "فوفو توندیجي"، يتم إزلاقها باليد فوق الأولى، ويكلف الحجران من 5 إلى 6 فرنكات، ويستقدمان غالبا من مرتفعات الجنوب، أو من الساحل المغربي. أما الطحين يعرض للبخار في غربال من القماش الدقيق، ثم يفتل باليد مكونا حبيبات صغيرة أو سميدا[205]، كما نجد أن البراد المغربي، كان هو الآخر، حاضرا وبقوة، ضمن معدات المطبخ السوداني[206].

المحور الرابع: جوانب من تقاليد المائدة وآداب الأكل في حاضرة تنبكت وباديتها

تحفل بعض المصادر الأوروبية بمعطيات عديدة، حول ما يمكن أن نسميه بتقاليد المائدة وآداب الأكل، في حاضرة تنبكت وباديتها، ومما أمكن التقاطه من إشارات وشهادات، في هذا الجانب، ما ذكره الأب والمستكشف الفرنسي أوگوسطان بروسبير هاكار، حيث أشار إلى أن سكان حاضرة تنبكت وباديتها، كانوا يتناولون ثلاثة وجبات رئيسة، مختلفة في اليوم، الأولى هي وجبة الفطور، أو ما يسمى في اللسان المحلي التنبكتي بـ "الجير كاري"، هذه الوجبة، تتناولها الساكنة عند الساعة الثامنة صباحا، وغالبا ما كانوا يتناولون فيها بقايا وجبة الليلة السابقة، أو يتناولون فيها الخبز المبلل في الزبدة والعسل، أو حساء يدعى في اللهجة المحلية بـ "الدون"، وهو حساء يتألف من الطحين، أو الدهن، أو القمح، والتوابل، ثم وجبة ثانية تدعى "التيركوزي"، أي وجبة الغذاء، هذه الوجبة يتناولها سكان حاضرة تنبكت في الساعة الثانية والنصف بعد الزوال، وأخيرا وجبة المساء، أي العشاء، في التاسعة ليلا، والمسماة في اللسان المحلي بـ "الهاورو"، وعادةً، ما يتناولون فيها وجبة "التازو"، أي الكسكس[207].

وتجدر الإشارة، إلى أن مما استرعى انتباهنا، ونحن بصدد التأريخ لتقاليد المائدة وآداب الأكل، في حاضرة تنبكت وباديتها، أن رب المنزل في هذه الأصقاع، غالبا ما كان يتناول طعامه وحده، أو مع ضيوفه، ولا تأكل المرأة مع زوجها إلا في النادر، أما أن تأكل المرأة مع محرم، فهذا لم تعرفه الحاضرة المذكورة ولا باديتها قط[208].

ومن الأمور العجيبة، في هذا الباب، كذلك، هو أن سكان حاضرة تنبكت وباديتها، عندما يطبخون شيئا ما، أو حينما يقومون بطحن حبوبهم المتنوعة، فإنهم يأخذون كامل حذرهم، ويحاولون ما أمكن تجنب كل ما من شأنه، أن يحدث ضجيجا في المطبخ وأركانه، وهكذا، كانوا يعملون على تحريك لوازم المطبخ بهدوء بالغ؛ لأن أي صوت ثقيل قد يكون مصدر جذب وإغراء، بالنسبة للتوارگ المتسكعين، في شوارع وأزقة تنبكت الضيّقة، الباحثين عن وجبة مجانية[209]، وإذا كان هناك طرق على الباب، غير مألوف، فإنهم يبادرون إلى إخفاء كل تلك الأغذية والأشياء الثمينة التي توجد عندهم، بل نجدهم يلجأون إلى حيلة عجيبة، وهي أن يتخفوا بسرعة عن الأنظار، كلما أحسوا بغريب مريب، في غرفة معينة، لمدة طويلة، مجبرين أنفسهم على مواصلة حياة الصمت المميت، وحتى إذا قبلوا بالشخص الطارق، عليه أن يعلن عن اسمه بصوت عال، ثم عن سبب زيارته المشكوك في أمرها، فإذا اتضح من كلامه أنه حسن ومقبول، يوجهون إليه سيلا من الأسئلة الأخرى، قبل أن يفتحوا له الباب بشكل نهائي[210].

على سبيل الختم:

ختاما لهذه الدراسة، بإمكاننا القول إن حاضرة تنبكت وباديتها، عرفت خلال مجموع مراحلها التاريخية الكبرى، تراكما هاما على مستوى العادات الغذائية للساكنة المحلية، حيث أسهمت ظروف الحاضرة المذكورة، الطبيعية والسوسيو مجالية، المتسمة بقساوة البيئة، وصعوبة المجال، في تشكيل نظام غذائي، يلائم ظروف ونمط العيش في الحاضرة المذكورة. وكما يتضح من خلال الشهادات المصدرية المحلية والأجنبية، فإن موقع حاضرة تنبكت الجيوستراتيجي، أسهم بشكل كبير في غنى الرصيد الغذائي للسكان، وهو ما انعكس بالإيجاب على المائدة التنبكتية، حيث نجد تنوعا كبيرا ومهما فيها. ومن خلال الإشارات المشتتة في المصادر السودانية، وفّر نهر النيجر غذاءً شبه يومي لشريحة مهمة من الساكنة التنبكتية، أساسه السمك بأنواعه المختلفة. ويستفاد من مؤشرات مصدرية أخرى، أن حاضرة تنبكت استفادت كثيرا من الثروات الحيوانية التي كانت تتمتع بها، والمتسمة بالتنوع والوفرة، حيث كانت تتكون من مختلف أصناف المواشي من: غنم، وبقر، وماعز، وإبل. وهكذا، استفادت تلك الساكنة التنبكتية، من لحوم وألبان ودهون تلك المواشي، الشيء الذي جعل من اللحوم، ومشتقات الحليب، أساس النظام الغذائي في تنبكت وما يليها. إلى جانب ما سلف ذكره، استفادت تنبكت أيضا من بعض الإنتاجات الفلاحية القليلة، من: حبوب، وخضر، وفواكه، وثمار، حيث نستشف من خلال بعض الكتابات التاريخية، على الأقل منذ القرن السادس عشر الميلادي، أن ساكنة الحاضرة المذكورة كانت تستهلك بعضا من هذه المواد الغذائية الطبيعية، بيد أننا لا نعرف بالضبط كميات الاستهلاك اليومي منها، أو حتى إذا كان استهلاكها يتم بشكل يومي، أو بشكل متباعد زمنيا.

لائحة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث:

أولا: المصادر والمراجع والمقالات باللغة العربية

1: المصادر

- الإدريسي (الشريف)، **وصف أفريقيا الشمالية والصحراء، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، [اعتنى بنشره وتصحيحه هنري بيريس]، الجزائر: مكتبة معهد الدروس العليا الإسلامية، ط.1، 1376هـ/1957م.
- البكري (أبي عبيد الله)، **المسالك والممالك، الجزء الخاص ببلاد المغرب**، [دراسة وتحقيق زينب الهكاري، تقديم أحمد عزاوي]، الرباط: مطبعة الرباط نت، ط.1، 2012.
- ابن بطوطة (محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي)، **رحلة ابن بطوطة، المسمّاة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، (جزءان)، [اعتنى به وراجعه درويش الجويدي]، صيدا–بيروت: المكتبة العصرية، ط.1، 1436هـ/2015م، [الجزء المعتمد: الثاني].
- ابن المختار (حفيد محمود كعت)، **تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان**، [تحرير وتقديم حماه الله ولد السالم]، بيروت: دار الكتب العلمية، ط.1، 1433هـ/2012م.
- السعيدي (عبد الرحمن)، **تاريخ السودان: كتاب في تاريخ الإسلام والثقافة والدول والشعوب في أفريقيا جنوب الصحراء وغانة ومالي والسنغاي**، [تحرير وتعليق وتقديم حماه الله ولد السالم]، بيروت: دار الكتب العلمية، ط.1، 1433هـ/2012م.
- القلقشندي (الشيخ أبي العباس أحمد)، **صبح الأعشى**، (14 جزء)، القاهرة: المطبعة الأميرية، طبعة 1333هـ/1915م، [الجزء المعتمد: الخامس].
- العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى ابن فضل الله)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، (27 جزء)، [أشرف على تحقيقه كامل سلمان الجبوري]، بيروت: دار الكتب العلمية، ط.1، 2010، [الجزء المعتمد: الرابع].
- الفشتالي (أبي فارس عبد العزيز)، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، [دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم]، الرباط: مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، ط.1، 1972.
- كربخال (مارمول)، **أفريقيا**، (3 أجزاء)، [ترجمة محمد حجي وآخرون]، الرباط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ط.1، 1404هـ/1984م، [الجزء المعتمد: الثالث].
- كعت (محمود)، **تاريخ الفتاش في ذكر الملوك وأخبار الجيوش، وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار**، [دراسة وتعليق آدم بامبا]، دمشق: مؤسسة الرسالة ناشرون، ط.1، 1435هـ/2014م.

- النصيبي (أبي القاسم بن حوقل)، **صورة الأرض**، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، طبعة 1992.

- الوزان (الحسن بن محمد الفاسي، المعروف بليون الإفريقي)، **وصف أفريقيا**، (جزءان)، [ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر]، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط.2، 1983، [الجزء المعتمد: الثاني].

2: المراجع

- بنرمضان (زوليخة)، **المجتمع والدين والسلطة في أفريقيا الغربية ما بين القرنين 5 و10هـ/11 و16م**، (جزءان)، [تقديم أحمد التوفيق]، الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط.1، 1436هـ/2015م، [الجزء المعتمد: الأول].

- بوفيل (إيدوارد ويليام)، **تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير**، [نقله إلى العربية الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز]، بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، ط.2، 1988.

- رزوق (محمد)، **دراسات في تاريخ المغرب**، الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ط.1، 1991.

- زيادة (نقولا)، **أفريقيات: دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي**، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، ط.1، 2002.

- الشريف (محمد)، **محاضرات ومباحث في تاريخ المغرب المريني وحضارته**، تطوان: مطبعة الهداية، ط.1، 2011.

- العروي (عبد الله)، **علاقات المغرب بأفريقيا: ملاحظات أولية**، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأگادير، سلسلة الدروس الافتتاحية رقم 3، ط.1، 1997.

- عماري (الحسين)، **المغرب والتجارة العابرة للصحراء من القرن XVم إلى القرن XVIIIم**، بني ملال: مطبعة وورك بيرو، ط.1، 1440هـ/2019م.

- الغربي (محمد)، **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**، [إشراف الدكتور نقولا زيادة]، الكويت: مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، ط.1، 1982.

- الدالي (الهادي المبروك)، **التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء: من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط.1، 1420هـ/1999م.

- الدالي (الهادي المبروك)، **مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا**، [تقديم محمد رزوق]، بيروت: دار الملتقى للطباعة والنشر، ط.1، 2001.

- هوبكينز (أنتوني جيرالد)، **التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية**، [ترجمة أحمد فؤاد بلبع، وتقديم محمد عبد الغني سعودي]، القاهرة: منشورات المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ط.1، 1998.

3: المقالات

- أكمير (عبد الواحد)، "الجالية الفاسية في أفريقيا الغربية"، مقال ضمن ندوة دولية بعنوان: **فاس وأفريقيا: العلاقات الاقتصادية والثقافية والروحية**، [تقديم أحمد التوفيق وامحمد مزين]، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، منشورات معهد الدراسات الأفريقية بالرباط، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس بفاس، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 3، ط.1، 1996، (صص.161-182).

- أكمير (عبد الواحد)، "مساهمة مغاربة كلميم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لتنبكت"، مقال ضمن ندوة وطنية بعنوان: **واحات وادي نون: بوابة الصحراء المغربية**، الرباط: مطبعة الهلال العربية للطباعة والنشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأگادير، ط.1، 1999، (صص.85-97).

- بنشريفة (محمد)، "في التواصل الثقافي بين المغرب وأفريقيا"، مقال ضمن ندوة بعنوان: **أفريقيا كأفق للتفكير**، الرباط: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الدورة 43 لأكاديمية المملكة المغربية، سلسلة الدورات، ط.1، 2016، (صص.157-178).

- بولقطيب (الحسين)، "العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي خلال العصر الوسيط"، في **مجلة أمل: التاريخ، الثقافة، المجتمع**، العدد السادس، السنة الثانية، 1995، (صص.13-34).

- جاهل (عادل بن محمد)، "حاضرة تنبكتُ في نهاية القرن التاسع عشر من خلال الكتابات الفرنسية (مونوغرافية الأب أوگوسطان بروسبير هاكار نموذجا)"، في **مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية**، دورية أكاديمية دولية نصف سنوية محكمة، تصدر عن جامعة الشهيد حمه-الخضر بالوادي، المجلد 3، العدد 2، دجنبر 2019، (صص.277-313).

- الجمل (شوقي عطا الله)، "تنبكت وعلاقتها بالمغرب قبل حملة المنصور السعدي وتحت الحكم المغربي"، مقال ضمن ندوة دولية بعنوان: **المغرب وأفريقيا في بدايات العصر الحديث**، [تنسيق فاطمة حراق والحسين المجاهد]، الرباط: منشورات معهد الدراسات الأفريقية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 2، ط.1، 1995، (صص.33-61).

- جنيدي (عبد الحميد)، "الأوضاع الاقتصادية في تنبكت في القرن 10هـ/16م"، في **مجلة أنسنة للبحوث والدراسات**، مجلة نصف سنوية أكاديمية دولية محكّمة مفهرسة، تصدر عن جامعة زيان عاشور بالجلفة، الجزائر، العدد الرابع، ماي 2012م، (صص.80-103).

- سيسوكو (سينيكي مودي)، "الصنغي من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر"، مقال ضمن كتاب جماعي بعنوان: **تاريخ أفريقيا العام**، (8 مجلدات)، [إشراف ج. ت. نياني]، بيروت: نضد وطبع بالمطبعة الكاثوليكية، منشورات اليونسكو، ط.1، 1988م، (صص.199-221).

- عدي (مبارك أيت)، "دور الفرق العسكرية الأمازيغية في استكمال حملة أحمد المنصور على بلاد السودان"، مقال ضمن ندوة بعنوان: **الأمازيغ والمجال الصحراوي عبر التاريخ**، [تنسيق الوافي نوحي]، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة الندوات والمناظرات رقم 41، ط.1، 2016، (صص.153-162).

- العلوي (عبد العزيز)، "فاس والتجارة الصحراوية قبل الحملة السعدية على إمبراطورية سنغاي (فرضيات ووقائع)"، مقال ضمن ندوة دولية بعنوان: **فاس وأفريقيا: العلاقات الاقتصادية والثقافية والروحية**، [تقديم أحمد التوفيق وامحمد مزين]، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، منشورات معهد الدراسات الأفريقية بالرباط وكلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس بفاس، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 3، ط.1، 1996، (صص.73-107).

- العلوي (عبد العزيز)، "صنهاجة الصحراء وتجارة القوافل"، مقال ضمن ندوة بعنوان: **الأمازيغ والمجال الصحراوي عبر التاريخ**، [تنسيق الوافي نوحي]، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة الندوات والمناظرات رقم 41، ط.1، 2016، (صص.111-119).

ثانيا: المصادر والمراجع باللغات الأجنبية

1: المصادر

- Barth (Heinrich), **Voyages et découvertes dans l'Afrique septentrionale et centrale pendant les années 1849 à 1855**, (4 Volumes), [Traduction de l'allemand par Paul Ithier], Paris: F. Didot frères, fils et C^{ie}, Deuxième éditions, 1863.

- Benítez (Cristóbal), **Mi viaje por el interior del África**, Tánger: Imprenta Hispano-Arábiga de la Misión Católico-Española, 1899.

- Bonelli (Emilio), **el Sahara: Descripción geográfica, comercial y agrícola desde Cabo Bojador a Cabo Blanco, viajes al interior, habitantes del desierto y consideraciones generales**, Madrid: Tipolitografía de L. Péant e Hijos, Ministerio de Fomento, Edición oficial, 1887.

- Caillié (René), **Journal d'un voyage à Temboctou et à Jenné dans l'Afrique Centrale: Précédé d'observations faites chez les Maures**, (Trois Tomes), Paris: L'Imprimerie Royale, 1830.

- Dubois (Félix), **Tombouctou la Mystérieuse**, Paris: Librairie E. Flammarion, 1897.

- Hacquard (Augustin), **Monographie de Tombouctou**, Paris: Société des Études Coloniales et Maritimes, 1900.

- Lenz (Oskar), **Timbouctou: Voyages au Maroc, au Sahara, et au Soudan**, (2 Volumes), [Traduit de l'allemand avec l'autorisation de l'auteur par Pierre lehautcourt], Paris: Librairie Hachette, 1887.

- Valdés (Salvador), **Apuntes sobre el imperio de Marruecos**, Madrid: Imprenta de C. González, 1859.

- Yakouba (Dupuis), **Industries et principales professions des habitants de la région de Tombouctou**, Paris: Emile Larose Libraire Editeur, 1921.

2: المراجع

- Aguirre (José Ramón Diego), **El oscuro pasado del desierto: Aproximación a la Historia del Sáhara**, Madrid: Grupo Editorial Sial Pigmalión, Colección Casa de África, 2004.

- Félix (Henri Jacques), **Contribution de René Caillié à l'ethnobotanique Africaine au cours de ses voyages en Mauritanie et à Tombouctou: 1819-1828**, Paris: Publié par le Journal d'Agriculture tropicale et de Botanique appliquée, avec le concours de l'Office de la Recherche Scientifique et Technique Outre-Mer, 1963.

- Haïdara (Ismael Diadié), **Jawdar Pacha et la conquête Saâdienne du Songhay (1591-1599)**, [Présentation Ahmed Toufiq], Casablanca: Annajah El-Jadida, publication Institut des Etudes Africaines, Rabat, Série Etude 1, Première Editions, 1996.

- Madhu (Pannikar), **The Serpent and the Crescent, A History of the Negro Empires of Western Africa**, London-New York, Asia Publishing House, 1963.

3: المقالات

- Blanchod (Frédéric), "Randonnée africaine: De la côte de Guinée à Tombouctou", In **Le Globe: Revue genevoise de géographie**, T. 73, 1934, (pp.12-13).

- Chastanet (Monique), "la cuisine de Tombouctou (mali), entre Afrique subsaharienne et Maghreb", In **Horizons Maghrébins, Le droit à la mémoire**, Année 2008, Num 59, (pp.47-73).

- Chabiny (el Hadji Salam), "Relation d'un voyage de Fez à Timbouctou, fait vers l'année 1787", In **Nouvelles annales des voyages de la géographie et de l'histoire**, T.VII, 1820, (pp.05-50).

- Doulaye (Konate), "les relations culturelles entre Fès et le Mali du XIV^{e} au XVI^{e} siècle", In **Fès et L'Afrique: Relation Economique, Culturelles et Spirituelles**, [Présentation Ahmed Toufiq et Mohammed Mezzine], Casablanca: Annajah El-Jadida, publication Institut des Etudes Africaines, Rabat, Colloques et Séminaires N° 3, Première Editions, 1996, (pp.45-55).

- Dufresne (Édouard), "La région des lacs de Tombouctou", In **Le Globe: Revue genevoise de géographie**, Num. 35, 1896, (pp.115-123).

- Grandet (Claude), "Les sédentaires du Cercle de Tombouctou (Territoire du Soudan)", In **Cahiers D'Outre-Mer**, Num.39, Juillet-septembre 1957, (pp.234-256).

- Meunier (Dominique), "Le commerce du sel de Taoudeni", In **Journal des Africanistes**, Tome 50, Fascicule 2, 1980, (pp.133-144).

- Matthews (Felix), "el Sus, el Uad-Noun y el Sahara", En **Boletín de la Sociedad Geográfica de Madrid**, T.XII, Núm.6, Año VII, Junio de 1882, (pp.513-525).

- Mathews (Felix), "Northwest Africa and Timbuctoo", In **Journal of the American Geographical Society of New York**, Vol. 13, 1881, (pp.196-219).

الهوامش:

[1]- مارمول (كربخال)، **إفريقيا**، (3 أجزاء)، [ترجمة محمد حجي وآخرون]، الرباط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، ط.1، 1404هـ/1984م، ج.3، ص.201.

[2]- قام الحسن محمد الوزان الفاسي، برحلتين إلى بلاد السودان الغربي، الأولى تمت في سنة 911هـ/1511م بصحبة عمه، الذي كان موفدا في مهمة ديبلوماسية من قبل محمد الوطاسي المعروف بـ "البرتغالي" ملك مملكة فاس إلى الأسكيا ملك امبراطورية السنغاي، وتؤرخ الثانية ما بين 912هـ و914هـ/1512م و1514م. انظر: زوليخة (بنرمضان)، **المجتمع والدين والسلطة في إفريقيا الغربية ما بين القرنين 5 و10هـ/11 و16م**، (جزءان)، [تقديم أحمد التوفيق]، الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط.1، 1436هـ/2015م، ج.1، صص.13-14.

[3]- الحسن (بن محمد الوزان الفاسي)، المعروف بليون الإفريقي، **وصف إفريقيا**، (جزءان)، [ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر]، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط.2، 1983، ج.2، ص.164.

[4]- المصدر نفسه، ص.169.

[5]- المصدر نفسه، ص.168.

[6]- Madhu (Pannikar), **The Serpent and the Crescent**, **A History of the Negro Empires of Western Africa**, London-New York, Asia Publishing House, 1963, p.260.

[7]- مارمول (كربخال)، **إفريقيا**، م.س.، ج.3، ص.204.

[8]- عبد الرحمن (السعيدي)، **تاريخ السودان: كتاب في تاريخ الإسلام والثقافة والدول والشعوب في إفريقيا جنوب الصحراء وغانة ومالي والسنغاي**، [تحرير وتعليق وتقديم حماه الله ولد السالم]، بيروت: دار الكتب العلمية، ط.1، 1433هـ/2012م، ص.434.

[9]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, Paris: Société des Études Coloniales et Maritimes, 1900, p.23.

[10]- Ibid., p.22.

[11]- محمد (الغربي)، **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي**، [إشراف الدكتور نقولا زيادة]، الكويت: مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، ط.1، 1982، ص.612.

[12]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.20.

[13]- الشيخ أبي العباس أحمد (القلقشندي)، **صبح الأعشى**، (14 جزء)، القاهرة: المطبعة الأميرية، طبعة 1333هـ/1915م، ج.5، ص.288.

[14]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.35.

[15]- Félix (Dubois), **Tombouctou la Mystérieuse**, Paris: Librairie E. Flammarion, 1897, p.258.

[16]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., pp.35-36.

[17]- Cristóbal (Benítez), **Mi viaje por el interior del África**, Tánger: Imprenta Hispano-Arábiga de la Misión Católico-Española, 1899, p.136.

[18]- Ibidem.

[19]- أنتوني (جيرالد هوبكينز)، **التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية**، [ترجمة أحمد فؤاد بلبع، وتقديم محمد عبد الغني سعودي]، القاهرة: منشورات المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ط.1، 1998، ص.53.

[20]- Monique (Chastanet), "la cuisine de Tombouctou (mali) entre Afrique subsaharienne et Maghreb", In **Horizons Maghrébins**, Le droit à la mémoire, Année 2008, Numéro 59, (pp.47-73), p.50.

- الحسن (بن محمد الوزان الفاسي)، **وصف إفريقيا**، م.س.، ج.2، ص.166.

[21]- Monique (Chastanet), "la cuisine de Tombouctou…", op.cit., p.50.

[22]- Ibidem.

[23]- الحسن (بن محمد الوزان الفاسي)، **وصف إفريقيا**، م.س.، ج.2، صص.168-169.

[24]- أبي عبيد الله (البكري)، **المسالك والممالك، الجزء الخاص ببلاد المغرب**، [دراسة وتحقيق زينب الهكاري، تقديم أحمد عزاوي]، الرباط: مطبعة الرباط نت، ط.1، 2012، صص.294-295.

[25]- محمد (بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، المعروف بابن بطوطة)، **رحلة ابن بطوطة، المسمّاة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، (جزءان)، [اعتنى به وراجعه درويش الجويدي]، صيدا-بيروت: المكتبة العصرية، ط.1، 1436هـ/2015م، ج.2، ص.276.

[26]- محمد (الشريف)، **محاضرات ومباحث في تاريخ المغرب المريني وحضارته**، تطوان: مطبعة الهداية، ط.1، 2011، ص.141.

[27]- محمود (كعت التنبكتي)، **تاريخ الفتاش في ذكر الملوك وأخبار الجيوش، وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار**، [دراسة وتعليق آدم بامبا]، دمشق: مؤسسة الرسالة ناشرون، ط.1، 1435هـ/2014م، ص.297.

[28]- محمد (الغربي)، **بداية الحكم المغربي**...، م.س.، ص.612.

[29]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.36.

[30]- Monique (Chastanet), "la cuisine de Tombouctou…", op.cit., p.49.

[31]- أبي فارس (عبد العزيز الفشتالي)، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، [دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم]، الرباط: مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، ط.1، 1972، ص.145.

[32]-Salvador (Valdés), **Apuntes sobre el imperio de Marruecos**, Madrid: Imprenta de C. González, 1859, p.62.

[33]- محمد (بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، المعروف بابن بطوطة)، **رحلة ابن بطوطة**...، ج.2، ص.286.

[34]- الهادي (المبروك الدالي)، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء: من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ط.1، 1420هـ/1999م، ص.280.

[35]- الشريف (الإدريسي)، **وصف إفريقيا الشمالية والصحراء، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، [اعتنى بنشره وتصحيحه هنري بيريس]، الجزائر: مكتبة معهد الدروس العليا الإسلامية، ط.1، 1376هـ/1957م، ص.6.

[36]- محمود (كعت التنبكتي)، **تاريخ الفتاش**...، م.س.، ص.231.

[37]- المصدر نفسه والصفحة نفسها.

[38]- المصدر نفسه، ص.297.

[39]- مارمول (كربخال)، **إفريقيا**، م.س.، ج.3، ص.215.

[40]- الهادي (المبروك الدالي)، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا**...، م.س.، ص.280.

[41]- ابن المختار (حفيد محمود كعت)، **تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان**، [تحرير وتقديم حماه الله ولد السالم]، بيروت: دار الكتب العلمية، ط.1، 1433هـ/2012م، ص.269.

[42]- سينيكي (مودي سيسوكو)، "الصنغي من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر"، مقال ضمن كتاب جماعي بعنوان: **تاريخ إفريقيا العام**، (8 مجلدات)، [إشراف ج. ت. نياني]، بيروت: نضد وطبع بالمطبعة الكاثوليكية، منشورات اليونسكو، ط.1، 1988، مج.4، ص.214.

- أنتوني (جيرالد هوبكينز)، **التاريخ الاقتصادي لإفريقيا**...، م.س.، ص.117.

- Salvador (Valdés), **Apuntes sobre el imperio…**, op.cit.,p.62.

[43]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.36.

[44]- الحسن (بن محمد الوزان الفاسي)، **وصف إفريقيا**، م.س.، ج.2، ص.164.

- مارمول (كربخال)، **إفريقيا**، م.س.، ج.3، ص.202.

- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., pp.22-23.

[45]- الحسن (بن محمد الوزان الفاسي)، **وصف إفريقيا**، م.س.، ج.2، ص.166.

- نقولا (زيادة)، **أفريقيات: دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي**، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، ط.1، 2002، ص.393.

[46]- الحسن (بن محمد الوزان الفاسي)، **وصف إفريقيا**، م.س.، ج.2، ص.171.

- Édouard (Dufresne), "La région des lacs de Tombouctou", In **Le Globe**: **Revue genevoise de géographie**, Num.35, 1896, (pp.115-123), p.121.

- Claude (Grandet), "Les sédentaires du Cercle de Tombouctou (Territoire du Soudan)", In **Cahiers D'Outre-Mer**, Num.39, 10e année, Juillet-septembre 1957, (pp. 234-256), p.246.

[47]- الحسن (بن محمد الوزان الفاسي)، **وصف إفريقيا**، م.س.، ج.2، ص.173.

- Claude (Grandet), "Les sédentaires du Cercle de Tombouctou…", op.cit., p.245.

[48]- مارمول (كربخال)، **إفريقيا**، م.س.، ج.3، ص.202.

- Felix (A. Mathews), "Northwest Africa and Timbuctoo", In **Journal of the American Geographical Society of New York**, Vol.13, 1881, (pp.196-219), p.217.

[49]- مارمول (كربخال)، **إفريقيا**، م.س.، ج.3، ص.205.

[50]- محمود (كعت التنبكتي)، **تاريخ الفتاش**...، م.س.، ص.245.

[51]- el Hadji Salam (Chabiny), "Relation d'un voyage de Fez à Timbouctou, fait vers l'année 1787", In **Nouvelles annales des voyages de la géographie et de l'histoire**, T.VII, 1820, (pp. 05-50), pp.23-24.

[52]- عبد الحميد (جنيدي)، "الأوضاع الاقتصادية في تنبكت في القرن 10هـ/16م"، في **مجلة أنسنة للبحوث والدراسات**، مجلة نصف سنوية أكاديمية دولية محكّمة مفهرسة، تصدر عن جامعة زيان عاشور بالجلفة، الجزائر، العدد الرابع، ماي 2012م، (صص.80-103)، ص.82.

[53]- ابن المختار (حفيد محمود كعت)، **تذكرة النسيان**...، م.س.، ص.270.

[54]- عبد الرحمن (السعيدي)، **تاريخ السودان**...، م.س.، ص.285.

- Felix (A. Mathews), "Northwest Africa and Timbuctoo", op.cit., p.217.

[55]- شهاب الدين (أحمد بن يحي ابن فضل الله العمري)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، (27 جزء)، [أشرف على تحقيقه كامل سلمان الجبوري]، بيروت: دار الكتب العلمية، ط.1، 2010، ج.4، ص.51.

- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.35.

[56]- شهاب الدين (أحمد بن يحي ابن فضل الله العمري)، **مسالك الأبصار**...، م.س.، ص.50.

[57]- عبد الرحمن (السعيدي)، **تاريخ السودان**...، م.س.، ص.140.

[58]- محمد (الغربي)، **بداية الحكم المغربي**...، م.س.، ص.483.

[59]- الحسين (عماري)، **المغرب والتجارة العابرة للصحراء من القرن XVم إلى القرن XVIIIم**، بني ملال: مطبعة وورك بيرو، ط.1، 1440هـ/2019م، ص.176.

[60]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., pp.22-23.

[61]- Ibidem.

[62]- Ibid., p.23.

- Édouard (Dufresne), "La région des lacs de Tombouctou", op.cit., p.121.

[63]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.34.

[64]- Ibidem.

[65]- Ibid., p.35.

[66]- زوليخة (بنرمضان)، **المجتمع والدين والسلطة في إفريقيا الغربية...**، م.س.، ج.1، ص.119.

[67]- Félix (Dubois), **Tombouctou la Mystérieuse**, op.cit., p.293.

[68]- Madhu (Pannikar), **The Serpent and the Crescent…**, op.cit., p.287.

[69]- Félix (Dubois), **Tombouctou la Mystérieuse**, op.cit., p.293.

- Frédéric (Blanchod), "Randonnée africaine: De la côte de Guinée à Tombouctou", In **Le Globe**: **Revue genevoise de géographie**, T. 73, 1934, (pp.12-13), p.13.

[70]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.35.

[71]- محمد (الغربي)، **بداية الحكم المغربي...**، م.س.، هامش رقم 2، ص.612.

[72]- محمد (محمد المفتي مرحبا)، **التاريخ الخاص بالتواتر**، مخطوط، ورقة رقم 15، نقلا عن: الهادي (المبروك الدالي)، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا...**، م.س.، ص.274.

[73]- محمد (الغربي)، **بداية الحكم المغربي...**، م.س.، ص.487.

[74]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.35.

- Félix (Dubois), **Tombouctou la Mystérieuse**, op.cit., p.293.

[75]- إيدوارد (ويليام بوفيل)، **تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير**، [نقله إلى العربية الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز]، بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، ط.2، 1988، ص.253.

[76]- عبد الواحد (أكمير)، "الجالية الفاسية في إفريقيا الغربية"، مقال ضمن ندوة بعنوان: **فاس وإفريقيا: العلاقات الاقتصادية والثقافية والروحية**، [تقديم أحمد التوفيق ومحمد مزين]، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، وكلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس بفاس، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 3، ط.1، 1996، (صص.161-182)، ص.170.

- Felix (Matthews), "el Sus, el Uad-Noun y el Sahara", En **Boletín de la Sociedad Geográfica de Madrid**, T.XII, Núm.6, Año VII, Junio de 1882, (pp.513-525), p.513.

[77]- عبد العزيز (العلوي)، "صنهاجة الصحراء وتجارة القوافل"، مقال ضمن ندوة بعنوان: **الأمازيغ والمجال الصحراوي عبر التاريخ**، [تنسيق الوافي نوحي]، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة الندوات والمناظرات رقم 41، ط.1، 2016، ص.112.

[78]- Dominique (Meunier), "Le commerce du sel de Taoudeni", In **Journal des Africanistes**, Tome 50, Fascicule 2, 1980, (pp.133-144), p.134.

[79]- أبي القاسم (بن حوقل النصيبي)، **صورة الأرض**، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، طبعة 1992، ص.98.

[80]- Madhu (Pannikar), **The Serpent and the Crescent…**, op.cit., p.82.

[81]- Doulaye (Konate), "les relations culturelles entre Fès et le Mali du XIVe au XVIe siècle", In **Fès et L'Afrique**: **Relation Economique**, **Culturelles et Spirituelles**, [Présentation Ahmed Toufiq et Mohammed Mezzine], Casablanca: Annajah El-Jadida, publication Institut des Etudes Africaines, Rabat, Colloques et Séminaires N° 3, Première Editions, 1996, p.48.

[82]- عبد الرحمن (السعيدي)، **تاريخ السودان**...، م.س.، ص.113.

- José (Ramón Diego Aguirre), **El oscuro pasado del desierto**: **Aproximación a la historia del Sahara**, Madrid: Grupo Editorial Sial Pigmalión, Colección Casa de África, 2004, p.133.

[83]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.23.

[84]- الهادي (المبروك الدالي)، **مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا**، [تقديم محمد رزوق]، بيروت: دار الملتقى للطباعة والنشر، ط.1، 2001، ص.95.

[85]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.8.

[86]- Ibid., p.23.

[87]- Félix (Dubois), **Tombouctou la Mystérieuse**, op.cit., p.242.

[88]- محمد (الغربي)، **بداية الحكم المغربي**...، م.س.، ص.484.

[89]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.35.

- Félix (Dubois), **Tombouctou la Mystérieuse**, op.cit., p.291.

[90]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.35.

[91]- Ibid., p.49.

[92]- شهاب الدين (أحمد بن يحي ابن فضل الله العمري)، **مسالك الأبصار**...، م.س.، ج.4، ص.51.

[93]- Félix (Dubois), **Tombouctou la Mystérieuse**, op.cit., p.291.

[94]- Claude (Grandet), "Les sédentaires du Cercle de Tombouctou…", op.cit., p.248.

[95]- أحمد (بلعراف التنبكتي)، **أهمية التاريخ**، مخطوط، ورقة رقم 14، نقلا عن: الهادي (المبروك الدالي)، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا**...، م.س.، ص.171.

[96]- Monique (Chastanet), "la cuisine de Tombouctou…", op.cit., p.50.

[97]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.23.

[98]- محمد (الغربي)، **بداية الحكم المغربي**...، م.س.، ص.484.

[99]- محمد (رزوق)، **دراسات في تاريخ المغرب**، الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، ط.1، 1991، ص.111.

- Heinrich (Barth), **Voyages et découvertes dans l'Afrique septentrionale et centrale pendant les années 1849 à 1855**, (4 Volumes), [Traduction de l'allemand par Paul Ithier], Paris: F. Didot frères, fils et C^ie^, Deuxième éditions, 1863, T.4, p.78.

[100]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.23.

[101]- Ibid., p.49.

[102]- Heinrich (Barth), **Voyages et découvertes dans l'Afrique…**, op.cit., p.78.

[103]- Claude (Grandet), "Les sédentaires du Cercle de Tombouctou…", op.cit., p.247.

[104]- Dupuis (Yakouba), **Industries et principales professions des habitants de la région de Tombouctou**, Paris: Emile Larose Libraire Editeur, 1921, p.171.

- Félix (Dubois), **Tombouctou la Mystérieuse**, op.cit., p.291.

[105]- محمد (الغربي)، **بداية الحكم المغربي**...، م.س.، ص.484.

[106]- Emilio (Bonelli), **el Sahara**: **descripción geográfica**, **comercial y agrícola desde Cabo Bojador a Cabo Blanco**, **viajes al interior**, **habitantes del desierto y consideraciones generales**, Madrid: Tipolitografía de L. Péant e Hijos, Ministerio de Fomento, Edición oficial, 1887, p.175.

[107]- محمود (كعت التنبكتي)، **تاريخ الفتاش**...، م.س.، ص.299.

[108]- Monique (Chastanet), "la cuisine de Tombouctou…", op.cit., p.62.

- Félix (Dubois), **Tombouctou la mystérieuse**, op.cit., p.284.

- إيدوارد (ويليام بوفيل)، **تجارة الذهب**...، م.س.، ص.270.

[109]- Ismael (Diadié Haïdara), **Jawdar Pacha et la conquête Saâdienne du Songhay** (**1591-1599**), [Présentation Ahmed Toufiq], Casablanca: Annajah El-Jadida, publication Institut des Etudes Africaines, Rabat, Série Etude N° 1, Première Editions, 1996, p.57.

[110]- الحسين (بولقطيب)، "العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي خلال العصر الوسيط"، في **مجلة أمل: التاريخ، الثقافة، المجتمع**، العدد السادس، السنة الثانية، 1995، (صص.13-34)، ص.22.

[111]- عبد العزيز (العلوي)، "فاس والتجارة الصحراوية قبل الحملة السعدية على إمبراطورية سنغاي (فرضيات ووقائع)"، مقال ضمن ندوة دولية بعنوان: **فاس وأفريقيا: العلاقات الاقتصادية والثقافية والروحية**، [تقديم أحمد التوفيق ومحمد مزين]، الدار

البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، منشورات معهد الدراسات الأفريقية بالرباط وكلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس بفاس، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 3، ط.1، 1996، (صص.73-107)، ص.88.

[112]- Henri (Jacques Félix), **Contribution de René Caillié à l'ethnobotanique Africaine au cours de ses voyages en Mauritanie et à Tombouctou: 1819-1828**, Paris: Publié par le Journal d'Agriculture tropicale et de Botanique appliquée, avec le concours de l'Office de la Recherche Scientifique et Technique Outre-Mer, 1963, p.128.

[113]- Dupuis (Yakouba), **Industries et principales…**, op.cit., p.8.

[114]- Félix (Dubois), **Tombouctou la mystérieuse**, op.cit., p.293.

- Édouard (Dufresne), "La région des lacs de Tombouctou", op.cit., p.121.

[115]- Félix (Dubois), **Tombouctou la mystérieuse**, op.cit., p.291.

[116]- شهاب الدين (أحمد بن يحي ابن فضل الله العمري)، **مسالك الأبصار**...، م.س.، ج.4، ص.51.

[117]- المصدر نفسه، ص.49.

[118]- المصدر نفسه، صص.50-51.

[119]- محمد (بنشريفة)، "في التواصل الثقافي بين المغرب وإفريقيا"، مقال ضمن ندوة بعنوان: **إفريقيا كأفق للتفكير**، الرباط: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الدورة 43 لأكاديمية المملكة المغربية، ط.1، 2016، (صص.157-178)، ص.173.

[120]- محمد (بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، المعروف بابن بطوطة)، **رحلة ابن بطوطة**...، م.س.، ج.2، ص.273.

[121]- ابن المختار (حفيد محمود كعت)، **تذكرة النسيان**...، م.س.، ص.270.

[122]- الهادي (المبروك الدالي)، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا**...، م.س.، ص.272.

[123]- Cristóbal (Benítez), **Mi viaje por el interior del África**, op.cit., p.135.

[124]- Ibidem.

[125]- Julio (Cervera Baviera), **Viaje de exploración por el Sahara Occidental: Estudios geográficos**, Madrid: Boletín de La Sociedad Geografía de Madrid, Tomo XXII, 1887, p.9.

[126]- Cristóbal (Benítez), **Mi viaje por el interior del África**, op.cit., p.135.

[127]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.17.

[128]- Félix (Dubois), **Tombouctou la mystérieuse**, op.cit., p.293.

[129]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.35.

[130]- Ibid., p.17.

[131]- Ibid., p.39.

[132]- Ibidem.

[133]- Dupuis (Yakouba), **Industries et principales…**, op.cit., p.6.

[134]- Ibidem.

[135]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.39.

[136]- Ibid., pp.39-40.

[137]- Ibid., p.40.

[138]- Henri (Jacques Félix), **Contribution de René Caillié…**, op.cit., p.126.

- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.39.

[139]- Monique (Chastanet), "la cuisine de Tombouctou…", op.cit., p.63.

[140]- محمد (الغربي)، **بداية الحكم المغربي**...، م.س.، ص.614.

[141]- Dupuis (Yakouba), **Industries et principales…**, op.cit., p.8.

- Claude (Grandet), "Les sédentaires du Cercle de Tombouctou…", op.cit., p.248.

[142]- محمد (الغربي)، **بداية الحكم المغربي**...، م.س.، ص.614.

[143]- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[144]- المرجع نفسه، ص.615.

[145]- المرجع نفسه، ص.614.

[146]- Dupuis (Yakouba), **Industries et principales…**, op.cit., p.7.

[147]- محمد (الغربي)، **بداية الحكم المغربي**...، م.س.، ص.615.

[148]- Dupuis (Yakouba), **Industries et principales…**, op.cit., p.7.

[149]- Ibid., p.2.

[150]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.38.

[151]- Oskar (Lenz), **Timbouctou**: **Voyages au Maroc**, **au Sahara**, **et au Soudan**, (2 Volumes), [Traduit de l'allemand avec l'autorisation de l'auteur par Pierre lehautcourt], Paris: Librairie Hachette, 1887, V.2, p.129.

[152]- Cristóbal (Benítez), **Mi viaje por el interior del África**, op.cit., p.136.

[153]- محمد (الغربي)، **بداية الحكم المغربي**...، م.س.، ص.614.

[154]- Cristóbal (Benítez), **Mi viaje por el interior del África**, op.cit., p.138.

[155]- Ibidem.

[156]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.39.

[157]– شوقي (عطا الله الجمل)، "تنبكت وعلاقتها بالمغرب قبل حملة المنصور السعدي وتحت الحكم المغربي"، مقال ضمن ندوة دولية بعنوان: **المغرب وإفريقيا في بدايات العصر الحديث**، [تنسيق فاطمة حراق والحسين المجاهد]، الرباط: منشورات معهد الدراسات الإفريقية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 2، ط.1، 1995، (صص.33-61)، ص.44.

[158]– الحسن (بن محمد الوزان الفاسي)، **وصف إفريقيا**، م.س.، ج.2، ص.166.

[159]– محمود (كعت التنبكتي)، **تاريخ الفتاش**...، م.س.، ص.297.

[160]– عبد الرحمن (السعيدي)، **تاريخ السودان**...، م.س.، ص.434.

[161]- Dupuis (Yakouba), **Industries et principales…**, op.cit., p.4.

[162]- Ibid., p.5.

[163]- Cristóbal (Benítez), **Mi viaje por el interior del África**, op.cit., pp.135-136.

[164]- Ibidem.

[165]- Ibid., p.136.

[166]– محمد (الغربي)، **بداية الحكم المغربي**...، م.س.، ص.615.

[167]- Monique (Chastanet), "la cuisine de Tombouctou…", op.cit., p.54.

- Felix (Matthews), "el Sus, el Uad-Noun y el Sahara", op.cit., p.513.

[168]- Dupuis (Yakouba), **Industries et principales…**, op.cit., p.141.

– أبي فارس (عبد العزيز الفشتالي)، **مناهل الصفا**...، م.س.، ص.168.

[169]-Eduardo (Hernández Pacheco) y otros, **el Sahara Español**: **Estudio geológico**, **Geográfico y botánico**, Madrid: Instituto de Estudios Africanos, Consejo Superior de Investigaciones Científicas, 1949, p.112.

[170]- Felix (Matthews), "el Sus, el Uad-Noun y el Sahara", op.cit., p.513.

[171]- Cristóbal (Benítez), **Mi viaje por el interior del África**, op.cit., p.134.

– إيدوارد (ويليام بوفيل)، **تجارة الذهب**...، م.س.، ص.246.

[172]– الحسن (بن محمد الوزان الفاسي)، **وصف إفريقيا**، م.س.، ج.1، ص.115.

[173]– محمد (الغربي)، **بداية الحكم المغربي**...، م.س.، ص.486.

[174]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.39.

[175]- Cristóbal (Benítez), **Mi viaje por el interior del África**, op.cit., p.136.

- Félix (Dubois), **Tombouctou la mystérieuse**, op.cit., p.251.

[176]- Ibid., p.284.

[177]- Cristóbal (Benítez), **Mi viaje por el interior del África**, op.cit., p.135.

[178]- أنتوني (جيرالد هوبكينز)، **التاريخ الاقتصادي لإفريقيا**...، م.س.، هامش رقم 126، ص.117.

[179]- محمد (الغربي)، **بداية الحكم المغربي**...، م.س.، ص.484.

[180]- المرجع نفسه، صص.615-616.

[181]- عبد الرحمن (السعيدي)، **تاريخ السودان**...، م.س.، ص.280.

[182]- محمد (الغربي)، **بداية الحكم المغربي**...، م.س.، ص.616.

[183]- المرجع نفسه والصفحة نفسها.

[184]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.39.

[185]- Ibid., pp.17-18.

[186]- محمد (الغربي)، **بداية الحكم المغربي**...، م.س.، ص.483.

[187]- عادل (بن محمد جاهل)، "حاضرة تنبكتُ في نهاية القرن التاسع عشر من خلال الكتابات الفرنسية (مونوغرافية الأب أوگوسطان پروسپير هاكار نموذجا)"، في **مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية**، دورية أكاديمية دولية نصف سنوية محكمة، تصدر عن جامعة الشهيد حمه-الخضر بالوادي، المجلد 3، العدد 2، دجنبر 2019، (صص.277-313)، ص.295.

[188]- Félix (Dubois), **Tombouctou la mystérieuse**, op.cit., p.279.

[189]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., pp.36-37.

- Heinrich (Barth), **Voyages et découvertes dans l'Afrique…**, op.cit., p.76.

[190]- René (Caillié), **Journal d'un Voyage à Temboctou et à Jenné dans l'Afrique Centrale**: **précédé d'observations faites chez les Maures**, (Trois Tomes), Paris: L'Imprimerie Royale, 1830, T.2, p.301.

[191]- Monique (Chastanet), "la cuisine de Tombouctou…", op.cit., p.62.

[192]- Ibidem.

[193]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.39.

[194]-Ibidem.

[195]- Ibid., p.38.

[196]- Monique (Chastanet), "la cuisine de Tombouctou…", op.cit., p.64.

[197]- Ibidem.

[198]- Ibid., p.63.

[199]- Ibid., p.64.

[200]- Ibid., p.57.

[201]- Dupuis (Yakouba), **Industries et principales…**, op.cit., p.2.

[202]- مبارك (أيت عدي)، "دور الفرق العسكرية الأمازيغية في استكمال حملة أحمد المنصور على بلاد السودان"، مقال ضمن ندوة بعنوان: **الأمازيغ والمجال الصحراوي عبر التاريخ**، [تنسيق الوافي نوحي]، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، منشورات المعهد

الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة الندوات والمناظرات رقم 41، ط.1، 2016، (صص.153-162)، ص.160.

[203]- عبد الواحد (أكمير)، "مساهمة مغاربة كلميم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لتنبكت"، مقال ضمن ندوة وطنية بعنوان: **واحات وادي نون: بوابة الصحراء المغربية**، الرباط: مطبعة الهلال العربية للطباعة والنشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأگادير، ط.1، 1999، (صص.85-97)، ص.93.

[204]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.36.

[205]- Félix (Dubois), **Tombouctou la mystérieuse**, op.cit., p.279.

- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.279.

[206]- عبد الله (العروي)، **علاقات المغرب بإفريقيا: ملاحظات أولية**، الرباط: مطبعة المعارف الجديدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأگادير، سلسلة الدروس الافتتاحية رقم 3، ط.1، 1997، ص.9.

[207]- Augustin (Hacquard), **Monographie de Tombouctou**, op.cit., p.38.

[208]- محمد (الغربي)، **بداية الحكم المغربي**...، م.س.، ص.613.

[209]- يخبرنا الرحالة الفرنسي ألبرت فيليكس دوبوا، الذي تقدم ذكره سابقا، أن التوارگ أو "الرجال الملثمين" كما يسميهم، كانوا بين الفينة والأخرى، يتجولون في شوارع حاضرة تنبكت، حاملين معهم حرابا حديدية، بهدف سرقة سكان الحاضرة المذكورة وسلبهم ممتلكاتهم، وهكذا، في يوم من الأيام التقى أحد هؤلاء التوارگ بشاب تنبكتي، كان عائدا من السوق، ومعه بعض اللحوم التي اشتراها لأسرته، فحاول أخذها منه بالقوة، وحينما عارض الشاب التنبكتي ذالك التوارگي، قام أحد رفاق هذا الأخير بقتله بالحراب، وكل ذلك من أجل قطع صغيرة من اللحم. انظر:

- Félix (Dubois), **Tombouctou la mystérieuse**, op.cit., p.275.

[210]- Ibid., p.279.

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية
Mohmmad Bin Ali Assanosi University
كلية التأريخ والحضارة

المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية

العدد السادس / 2021م

الصراع الإسباني العثماني على الجزائر في الحوض الغربي للبحر المتوسط

1500 – 1529 م

د. مصطفى عبيد، أستاذ محاضر "أ"، قسم التاريخ، جامعة المسيلة (الجزائر)

الملخص:

تتناول دراستنا هذه محاولات إسبانيا المتكررة في احتلال الجزائر مطلع القرن 16م، وإلى غاية 1529 م تاريخ سقوط حاميتها (حصن البينون) بمدينة الجزائر. وهي الحادثة التي أدت إلى الفشل النهائي لمشروع الاحتلال المذكور الذي بدأته الملكة إيزابيلا وأنهاه الإخوة بربروس. وقد وضحنا في هذه الدراسة المصلحة التجارية والنزعة الصليبية التي كانت أساس حركة الإسبان في منطقة البحر المتوسط. كما وضحنا أهم محطات الصراع بين الطرفين على أرض الجزائر منذ بدايته وإلى غاية نهاية حلم الإسبان في احتلال المنطقة سنة 1529.

ولم يكن الإسبان ليتوقفوا عن مشروعهم الاستعماري هذا لولا ظهور الإخوة بربروس في البحر المتوسط كقراصنة بحريين نشروا الهلع وسط الأوربيين. فقد كانت كل من إيزابيلا ملكة غشتالة وفرديناند ملك أراغون يعملان على احتلال المنطقة، يحركهما في ذلك الروح الصليبية والنزعة التجارية بهدف جعل البحر المتوسط بحيرة فرنسية. وقد كانت أوربا الكاثوليكية كلها ترى في إسبانيا الدولة المؤهلة لرفع راية الحروب الصليبية من جديد ولذا حين توفي فرديناند سنة 1516 وورثه حفيده كارلوس الأول سارع البابا إلى ترقيته إمبراطورا على أوربا سنة 1518.

Absract:

This study examines the repeated attempts of Spain at the beginning of the 16th century until 1529 to occupy Algeria, date (1529) of the fall of its garrison (Le Pégnon d'Alger) in Algiers. This incident that led to the ultimate failure of the aforementioned occupation project initiated by Queen Isabella and completed by the Barbarossa brothers.

In this study, we have explained the commercial interest and the crusader spirit that was the basis of the Spanish movement in the Mediterranean region. And we also clarified the most important points of the conflict between the two parties on the land of Algeria from 1500 until the end of the dream of the Spaniards to occupy the region in 1529.

مقدمة:

يعتبر موضوع الصراع الإسباني العثماني على الجزائر في الحوض الغربي للبحر المتوسط واحد من أهم المواضيع التاريخية التي فرضت نفسها على ساحة الدراسات في مواضيع العلاقات الدولية خلال القرن 16 م، وهو موضوع متجدد بفعل الأطماع الاستعمارية الإسبانية إلى غاية اليوم في الحوض الغربي للمتوسط (سبتة ومليلة المغربيتين)، ورغبتها الملحة في تحويل البحر المتوسط إلى بحيرة إسبانية لو استطاعت إلى ذلك سبيلا. خاصة في ظل فقدانها السيطرة بتراجع قوتها التقليدية أمام فرنسا وبريطانيا بعد ظهور الثورة الصناعية، وتحول الجزائر إلى مستعمرة فرنسية (1830 – 1962). نذكر هذا لأن صراع إسبانيا مع العثمانيين مطلع القرن 16 م كان يخفي في طياته مشروعها لاحتلال المنطقة، ولذا سارعت إلى احتلال مدن جزائرية ساحلية رئيسية. ولولا ظهور الإخوة بربروس في المنطقة لصارت الجزائر مستعمرة إسبانية، خاصة وأن مناطق مثل وهران بقيت مستعمرة من طرف إسبانيا إلى غاية 1792 رغم دخول الجزائر تحت الحكم العثماني منذ 1519. فسيرورة ذلك الصراع هي محور الإشكالية التي نود معالجتها في هذا البحث.

وقد وظفنا في دراستنا هذه المنهج التاريخي الوصفي الاستقرائي معتمدين في استقراء الأحداث التفسير متجنبين التأويل، وذلك مرده –كما ترى المدارس المنهجية– إلى أن الأحداث التي عدنا إليها أحداث موثقة في المصادر والمراجع المختلفة، ولم يتطلب منا البحث استنتاجات وتأويلات. ولذا لم نكتف بالاعتماد على النظرة الجزائرية، بل وظفنا ما رأينا انه يخدم الموضوع من مختلف المدارس والرؤى. فوظفنا آراء المؤرخين والباحثين الجزائريين والأوربيين: فرنسيين وإسبان وحتى باحث أمريكي وهو جون بابتست وولف.

1– ضعف دويلات المغرب العربي أساس الأطماع الإسبانية فيها:

من المعروف تاريخيا أن المغرب العربي مطلع القرن 16 كان منقسما على نفسه إلى ثلاثة دويلات على الشكل التالي: المرينيون في المغرب الأقصى، والزيانيون بنو عبد الواد في المغرب الأوسط (الجزائر) والحفصيون في تونس. وكانت هذه المنطقة بفعل الظروف التاريخية التي ميزت فترة ما بعد الموحدين،[1] بعيدة عن المستوى الحضاري منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادي رغم بعض التطورات التي شهدها المغرب الأقصى إلى غاية نهاية القرن 14 م. ويهمنا هنا الجزائر التي كانت تسمى المغرب الأوسط، فقد كانت هي الأخرى تشهد ضعفا

[1] – لمزيد من التوسع حول هذا الضعف يرجى مراجعة: زهراء النظّام، (2003)، العثمانيون والصراع المسيحي الإسلامي في غرب المتوسط، بكتاب: العثمانيون والعالم المتوسطي –مقاربات جديدة– تنسيق عبد الرحمن المودن، عبد الرحمن بنحادة، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب، ص 57 وما بعدها.

وانحدارا على المستوى السياسي وتدهورا على المستوى الاقتصادي خاصة بفعل تكالب الجارتين عليها بسبب موقعها الاستراتيجي فمنعها ذلك من التأسيس لحضارة وبقيت البنية التحتية بها بسيطة كما بقيت البنية الفوقية فيها هي الأخرى بسيطة على مستوى جهاز الحكم والإدارة والنظام السياسي. وهذا ما فتح الأطماع الإسبانية عليها منذ سقوط الأندلس.

2- المصلحة التجارية والنزعة الصليبية أساس التحرك الإسباني في البحر المتوسط:

مع سقوط الأندلس سنة 1492 بدأ التوسع الإسباني نحو بلاد المغرب العربي وصار مضيق جبل طارق هو الحد الجنوبي لإسبانيا.[2] وصارت الاهتمامات الإسبانية خلال فترة مطلع القرن السادس عشر الميلادي اهتمامات مزدوجة في الأساس، ذلك أن فكرة احتلال ساحل شمال إفريقيا كانت هي الأساس، ورافقتها فكرة التوسع التجاري المتجددة منذ القرن الحادي عشر والتي لم تضبطها حينها سوى الاتفاقيات التجارية بالمبرمة بين ملوك أراغون وأمراء المغرب العربي.[3] ولذا فمنذ سيطرة إسبانيا على دويلات المغرب لا سيما نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر عزمت على جعل البحر المتوسط بحيرة فرنسية من خلال السيطرة على الولايات الإيطالية وجزر الحوض الغربي للمتوسط من أجل الربط بين ضفتيه تجاريا وامتلاك ناصية التجارة والتوسع به.

استُمدت تلك القوة الإسبانية بعد الزواج السياسي الشهير الذي فضلت فيه الملكة إيزابيلا (ملكة إمارة غشتالة) اتحاد غشتالة مع أراغون على الوحدة مع البرتغال، وذلك من خلال تفضيلها الزواج من فرديناند ملك إمارة أراغون. وقد كانت اهتمامات أراغون آنذاك تجارية في البحر المتوسط أكثر منها توسعية عسكرية، على عكس سياسة الملكة إيزابيلا لتي كانت سياستها قاسية جدا تجاه مسلمي الأندلس.[4] وقد كانت طموحات غشتالة حينها عسكرية توسعية دينية استعمارية لاحتلال المغرب العربي.

لكن، وبسبب الظروف في البحر المتوسط حينها وأهمها الاهتمام التجاري لفرديناند الذي كان طامحا إلى الربط التجاري لإيطاليا وجزر المتوسط مع إسبانيا، وكذلك سياسة ملوك غرناطة التي منحت نوعا من الحرية

---

[2] - Fernand BRAUDEL, (2013) Les Espagnols et la Berbérie de 1492 à 1577, Belle lettres, 2 ème édition, Alger, p 15.

[3] - Ibid, p 18.

[4] – كانت تلك التعسفات في حق المسلمين الأندلسيين خروجا عن نص معاهدة 1492 التي تضمن لهم كرامتهم وحقوقهم وأمنهم ... وقد تناولت الباحثة المغربية الدكتورة كنزة الغالي نص المعاهدة وترجمته من الإسبانية إلى العربية ونشرته في كتاب:"الموريسكيون الأندلسيون" من تأليف غارثيا أرينال، ترجمة وتقديم جمال عبد الرحمن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003. ينظر في ذلك: باسكوال بورونات إي براتشينا، (2012) الموريسكيون الإسبان ووقائع طردهم، الكتاب الأول، ج 01، ترجمة كنزة الغالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 13/ هـ 01.

للمورسكيين في ممارسة الشعائر الدينية عكس الملكة إيزابيلا التي شددت الخناق عليهم وعملت على طردهم[5] بل وأرسلت سنة 1493 جاسوسا إلى الشمال الإفريقي ليستطلع الوضع فيها وهو لورينثو دي باديا (Lorenzo de Padilla) فاستقر بها مدة تجاوزت السنة في صورة تاجر،[6] وأخبرها :"إن كل البلاد في حالة يبدو أن الله أراد أن يمنحها لأصحاب الجلالة" فحاولت تحقيق ذلك ثم تركت وصية لخلفائها بعد وفاتها توصيهم بضرورة احتلال غشتالة للشمال الإفريقي الممتد من جبل طارق إلى طرابلس الغرب.[7]

وإضافة إلى عامل الحروب الصليبية، فلابد أن نذكر هنا أن سواحل المغرب العربي وتهمنا هنا تلمسان عاصمة الجزائر (الدولة الزيانية) حينها كانت تسيل لعاب الإسبان منذ القرن 11 كما ذكرنا، ولا سيما منذ القرن 13 إلى غاية القرن 16 م، لما تمتلكه من تبادلات تجارية وأسواق هامة باعتبارها طريق هام يربط تجارة الجزائر ببلاد السودان عموما، وفزان طبرق وطرابلس الغرب في ليبيا حاليا، وتوات (بجنوب الجزائر) وتمبكتو خصوصا، والسلع القادمة من أوربا لا سيما من إسبانيا والولايات الإيطالية التي صارت تابعة للإمبراطورية الإسبانية بتزكية من البابا.[8] وفرنسا وولايتهم مثل بيزا، جنوة، فلورانسا، مرسيليا ... هذا إضافة إلى غناها بالحبوب والزراعة المعاشية التجارية من حبوب وتوابل... وكذلك الصناعة بما فيها أدوات الحرب، التي كانت تدر أموالا هامة على أسواق الجزائر.[9]

---

[5] – جون بابتست وولف، (2015) الجزائر وأوربا، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، ص 26. كانت الملكة إيزابيلا تقدم النزعة الصليبية على الروح التجارية فيما يبدو، بينما كان فرديناند يقدم المصلحة التجارية على النزعة الصليبية. وذلك ليس معناه أن فرديناند لم يكن تهمه الروح الصليبية، بالعكس فقد كانت كل أعماله تجاه شمال إفريقيا تحت هذه الروح. وقد كان يقول: "إن حروبنا تتم تحت رعاية الرب" وكان يقول أيضا عن حروبه وكل الأعمال التي كان يقوم بها تجاه شمال إفريقيا:"...كل ذلك في إطار حربنا المقدسة ...ضد أعداء الدين الكاثوليكي المقدس". يراجع في هذا: Fernand BRAUDEL, Op. Cit, p 22, 23. يعني أنه في تلك الفترة كانت اهتمامات فرديناند التجارية بالمنطقة قوية قوة اهتماماته الصليبية. بينما إيزابيلا كانت اهتماماتها الصليبية أكبر من اهتماماتها التجارية.

[6] – عبد القادر فكاير، (2011)، الغارات الإسبانية على مدينة تلمسان خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، مجلة عصور جديدة، جامعة وهران (الجزائر)، وهران، الجزائر، ع 02، ، ص 231، 232.

[7] – وولف، مرجع سابق، ص 24.

[8] – مصطفى عبيد، (2015)، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (العهد العثماني)، محاضرات موجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس تاريخ، جامعة المسيلة، ص 05.

[9] - Fernand BRAUDEL, Op. Cit, p 19.

ويراجع أيضا: مراد قبال وأحمد شربيتي،(جوان 2020)، المنطقة الغربية للجزائر في استيراتيجيات القوى الثلاث (العثمانيين، الإسبان، السعديين) خلال القرن 16 م، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج 04، ع 01، وادي سوف، االجزائر، ص 767، 768.

إلا أن الدارس لتاريخ المنطقة في هذه الفترة يلاحظ تعطل غزو إسبانيا لسواحل شمال إفريقيا، ومرد ذلك إلى جملة من العوامل أهمها وفاة الملكة إيزابيلا سنة 1504 الذي أدى إلى فشل تنفيذ ذلك المخطط الاستعماري بعد أن كانت قد جهزت حملة عينت فيها دي تيندا (De Tendilla) على رأس جيش مجهّز مكوّن من 12 ألف جندي. هذا إضافة إلى وفاة فرديناند الكاثوليكي في 23 جانفي 1516،[10] ضف إلى ذلك المشاكل الأسرية التي حدثت بعد وفاة فيليب زوج ابنة إيزابيلا سنة 1506 وكذا إصابة ابنتها جوهانا بالجنون.[11] إضافة إلى الخلاف الذي طرأ حينذاك على العلاقة بين فرديناند وحكومة غشتالة بسبب تخوف الأخيرة من أن يكون لفرديناند نسل يرث عرش غشتالة ولو أنهم رفضوا حرمان أحفاده من إيزابيلا من ذلك وهم: شارل وفرديناند فون هابسبورغ.[12] وظهور الكشوفات الجغرافية في العالم الجديد (الأمريكيتين) وعلاقة الإسبان بها مثل حملة كريستوف كولومبس والتي جعلت المغامرين يهتمون بالعالم الجديد على حساب اهتمامهم بالمغرب العربي. بينما سيكون ظهور العثمانيين على مسرح أحداث البحر المتوسط إنهاء لمشروع إسبانيا في احتلال البحر المتوسط وسواحل الجزائر وليس تعطيلا له فحسب.

3- حملة دييغو هيرناندیز القرطبي على المرسى الكبير سنة 1505 م:

بسبب الروح الصليبية المدعومة بالرغبة العسكرية والسياسية تحت هدف استعمار شمال إفريقيا، وبسبب الرغبة التجارية والسيطرة على موانئ تجارة البحر المتوسط إلى غاية إيطاليا وجزر اليونان والحد من نشاط الجهاد البحري للإخوة بربروس ... وبدعم من رجال الدين الإسبان وعلى رأسهم الكاردينال فرانسيسكو خيمينيس ثيسنيروس Francisco jimenez cisneros 1436 – 1517) الذي وظف هو الآخر سنوات 1493، 1494 مخبرين جواسيس منهم تاجرا من البندقية يسمى جيرميني فيانيلّي (Geromino vianilli)[13] وهو صاحب اقتراح النزول في المرسى الكبير واحتلاله. وكذلك الجاسوس فرناندو دي زافرا (Fernando de Zafra).[14]

---

[10] - Diego de HAEDO, (2013), Topographie et Histoire générale d'Alger, Trad. A. Berbrugger et D. Monnereau, Présentation de Abderrahmane REBAHI, Edition Grand-Alger-Livre. 2004, 24. Et: Adrien Berubrogger, Le Pégnon d'Alger, Belles-Lettres, 6 ème édition, P 13, 27.

[11] – وولف، مرجع سابق، ص 25.

[12] – وولف، نفسه، ص 25.

[13] – فيانيلّي ليس تاجرا فقط كما تشير إليه بعض الدراسات التي اهتمت بالفترة التاريخية هذه. وإنما هو عسكري برتبة كولونيل (سنة 1510) بجيش البندقية، وقد ساهم رفقة القائد الإسباني بيدرو نافارو يوم 25 جويلية 1510. وقتل على أيدي أبناء تاجوراء بليبيا حين أراد فك حصارهم لها في شهر فيفري من سنة 1511. يراجع: مصطفى عبيد، (سبتمبر 2015)، طرابلس الغرب من الاحتلال الإسباني إلى دخول العثمانيين 1510 – 1551، مجلة الآداب والحضارة

وبذلك تعتبر حملة دييغو هيرناندیز القرطبي (Diégo Hernandez de Cordova) هذه هي أول احتلال إسباني للساحل الجزائري، وقد كانت الروح الصليبية واضحة فيها، حيث كانت باقتراح من الجاسوس جيرمينو فيانيلّي الذي رأينا أن الكاردينال خيمينيس قد أرسله إلى تلمسان. وكان بذلك المرسى الكبير هو أول محطة استعمارية للإسبان على السواحل الجزائرية، حدث ذلك في 02 أوت من سنة 1505،[15] حين شن دييغو هيرناندیز القرطبي حملة بحرية على رأس أكثر من 10 آلاف جندي و 134 سفينة، فحاصر المدينة واحتلها[16] في 05 سبتمبر من السنة نفسها.[17] ومارس أشنع سياسات الترهيب ضد السكان حتى هجروها وحوّل مسجدها إلى كنيسة سماه كنيسة "سانت ميغال".[18] ونشير هنا إلى دخول المسيحيين هذا إلى أول موطئ قدم على أرض الجزائر (المرسى الكبير ووهران) كان بمساعدة اليهود الذين كانوا في ذمة الله على أرض الإسلام بوهران وذلك بفعل ما قام به زاوى بن كبيسة المعروف بابن زهو الذي فتح أبواب المدينة ليلا، "وأخذ العساسين وهما عيسى بن غريب العريبي والغناس بن طاهر العبد لاّوي وصار الجيش يدخل ويخرج ونكبوا المسلمين قتلا وسبيا".[19]

4- حملة بيدرو نافارو على وهران 1509:

بناء على اقتراحات وآراء الجواسيس المشار إليهم نظم الدون بيدرو نافارو حملته على وهران في 17 مارس 1509[20] وقد كان صاحب خبرة في التعامل مع السواحل المغاربية ويمتلك أسطولا قويا بسفنه وعتاده

الإسلامية، ع 18، ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية (الجزائر)، ص 324، 327.

[14] – أرسل خيمينيس هؤلاء الجواسيس إلى تلمسان والمغرب الأقصى. يراجع: Fernand BRAUDEL, Op. Cit, p 43. و للمزيد من التفاصيل حول هذه الغارات الإسبانية، يراجع كذلك: عبد القادر فكاير، الغارات الإسبانية، مرجع سابق، ص 232.

[15] – الأغا بن عودة المزاري، (2007)، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج 01، تحقيق ودراسة يحيى بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، ص 208.

[16] – L. Didier, (1927), Histoire d'Oran, 1501 – 1550, Imprimerie Jeanne d'arc, Oran, Algérie, p 08, 09.

[17] – مصطفى عبيد، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث مرجع سابق، ص 07.

[18] – جيلالي بلوفة عبد القادر ورامي سيدي محمد، "مرجع سابق، ص 76.

[19] – الأغا بن عودة المزاري، مصدر سابق، ص 208.

[20] – مصطفى عبيد، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، مرجع سابق، ص 07. ويراجع أيضا: حياة قنون، (مارس 2013)، التواجد الإسباني في الغرب الجزائري خلال الفترتين العثمانية"، مجلة الحوار المتوسطي، ع 05، جامعة سيدي بلعباس (الجزائر)، ص 87. وقد أرسل خيمينيس هؤلاء الجواسيس إلى تلمسان والمغرب الأقصى. يراجع: Fernand BRAUDEL, Op. Cit, p 43.

وأسلحته التي لم يكن الجزائريون يمتلكون نظيرها.[21] و"في 16 ماي 1509 غادر الكاردينال قرطاجنة على رأس أسطول حربي مكون من 80 سفينة و 10 غواصات، وفي اليوم التالي نزل بالمرسى الكبير، وقد هزم في تلك الأمسية بيدرو نافارو جيش العدو (يقصد الحاميات الزيانية في المناطق المجاورة) الذي كان يشكل عقبة دون الوصول إلى وهران".[22]

وكان الهدف من كل ذلك هو احتلال المنطقة وتحقيق التفوق الإسباني فيها ومراقبتها، إضافة إلى مراقبة حركة الموريسكيين خاصة بعد اندماجهم في الحياة العلمية الثقافية والسياسية والعسكرية بالمجتمع الجزائري وبجيشه البحري. إضافة إلى إيجاد ميناء مناسب تستغله السفن الإسبانية في نشاطها التجاري والعسكري.

5- محاولة الإخوة بربروس استرداد بجاية 1510:

كانت الحملات المذكورة سابقا كلها خلال العهد الزياني، بما فيه بجاية التي كانت قد خضعت للاحتلال الإسباني عن طريق بيدرو نافارو أيضا سنة 1509. أما مع ظهور الإخوة بربروس على مسرح الأحداث بالبحر المتوسط منذ سنة 1512 فنعتبرها حلقة ثانية من الصراع الإسباني العثماني. متمثلا في أبناء يعقوب (إسحاق وعروج (أُورُوش) والخضر (خير الدين) والياس) الذين تربوا تربية إسلامية ولو أن أخواتهم كنّ مسيحيات. وينحدر هؤلاء الإخوة من أب انكشاري وأم هي بنت لحد القساوسة اليونانيين الأرثوذوكس.[23] وقد قضى عروج فترة تحت الأسر لدى فرسان القديس يوحنا.[24] وبالتالي يعرف جيدا سلوكياتهم تجاه المسلمين. إلى أن تمكن من الفرار ليلا [25] سنة 1506.[26] وهناك انطلق الإخوة بربروس من جربة التونسية[27] للعمل ضد القوى المسيحية عموما والإسبانية خصوصا.

---

[21] – وولف، مرجع سابق، ص 20.

[22] - Abdelkarim CHAMI, (2018 جوان), The Socio-cultural Impact of the Spanish borrowings on the Algerian western coast, بمجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر (الجزائر)، مج 09، ع 01، ، ص 08.

[23] – سالم جوامع، (جوان 2020)، "الإخوة بربروس بين شرق وغرب البحر المتوسط مطلع القرن 16 م، قراءة جديدة في النشأة والمنجزات"، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، مج 03، ع 03، جامعة جيجل (الجزائر)، ص 135. وهناك روايات كثيرة عن أبيهم وأمهم مختصرة في المرجع المذكور وغيره من المصادر والمراجع.

24 – Haido, Op. Cit, p 04

25 – خير الدين بربروس، (2010)، مذكرات خير الدين بربروس، تر. محمد دراج، دار الأصالة، الجزائر، ط 01، ص 31، 32.

26 – سالم جوامع، الإخوة بربروس ..، مرجع سابق، ص 136.

بدأ عروج نشاطه البحري بسفينتين الأولى من كركود والثانية من خازنه،[28] قبل أن تكون سنة 1510 ميلاد شهرة الإخوة بربروس في البحر المتوسط حين استولوا على سفينتين بابويتين ضخمتين محملتين بما يناسب المقام. وصار للأخوة بربروس أسطولا أوليا لكنه قوي، مكوّن من 12 سفينة تهدد السفن الأوربية التي كانت في السابق تجول في البحر المتوسط دون رقيب أو حسيب.

ولابد أن نذكر هنا أن بجاية لم تكن بادئ الأمر مقصدا لعروج وخير الدين، وإنما قادتهما إليه الرياح حين كانوا متجهين إلى جنوة بعد انتصارهم في معركة نابولي على الإسبان. وبسبب اتجاه الرياح وجدوا أنفسهم في بجاية، فالتحموا بالجيش الإسباني بها. واستولى عروج وأسطوله على سفينة القيادة وثلاثة سفن أخرى، مما أدى بالسفن الإسبانية إلى الفرار والعودة إلى ميناء بجاية.[29]

وبعد أن رأى سكان بجاية قوة الإخوة بربروس في البحر المتوسط، طلب حاكم بجاية السلطان الحفصي من عروج أن يحرر المدينة من الحامية الإسبانية المقيمة بها منذ نجاح حملة بيدرو نافارو عليها في 05 جانفي 1510.[30] فاتصل به سكان مدينة بجاية أيضا يطلبون منه الحماية وطرد الحامية الإسبانية "فكاتبه (يقصد خير الدين بربروس) العلماء والأعيان من أهل بجاية يستصرخونه في إنقاذ مدينتهم من العدو، فتوجه له ومعه أخوه عروج وحاصرها بأسطوله".[31] وقد كانت حاميتها تحت حراسة قوة إسبانية مقدرة بحوالي 15 سفينة، وهي حامية قوية مقارنة بوضع بجاية وقوتها آنذاك تحت الحكم الحفصي المناوئ للزيانيين على شرق المغرب الأوسط (الجزائر). كما كان أسطول الإخوة بربروس هو الآخر ليس بالقوة الكافية لطرد الإسبان من بجاية بسهولة. ولذلك اقترب أسطول الإخوة بربروس من بجاية فلما هاجمته السفن الإسبانية تراجع إلى الخلف، فتمكن من إغراق سفينة والاستيلاء على أخرى.[32] قبل أن يعود الأسطول الإسباني أدراجه نحو المدينة. وبعد محاصرتها أسبوعا أعلن

---

27 – عرفت جربة التونسية استقلالا عن الدولة الحفصية أواخر القرن 15 م وهي في الجنوب الشرقي للساحل التونسي. جوامع، مرجع سابق، ص 143 هـ / 40.

28 – سالم جوامع، مرجع سابق، ص 136.

29 – مصطفى عبيد، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (العهد العثماني)، مرجع سابق، ص 15.

30 – مصطفى عبيد، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (العهد العثماني)، مرجع سابق، ص 07. ويراجع أيضا: Diego de HAEDO, (2004), Histoire des Rois d'Alger, Trad. Henri Delmas de Grammont, Présentation de Abderrahmane REBAHI, Alge-Livre-Edition, p 18.

31 – الشافعي درويش، "الحملة الإسبانية على تونس في سنة 1535"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 30، سبتمبر 2017، ص 02.

32 – خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص 52.

عروج الهجوم، لكن إصابته بقذيفة مدفعية حطمت ذراعه، أنهى المعركة بفقدان الإخوة بربروس بعض سفنهم. وعاد على إثرها عروج إلى جربة للعلاج.[33]

ومع عودة عروج إلى الجزائر بعد سنة من ذلك، وجد مدينة جيجل التي كانت تحت سيطرة الحامية الجنوية منذ 1260 م، قد دخلت تحت حكم خير الدين.[34] فسار في أوت 1514 بحملة أخرى على بجاية التي كان على رأسها الدون رايمون (Don Raymond). وكان تعداد حملة عروج حوالي 20 ألف مجاهد من كل القبائل بما فيها إمارة كوكو وشيخها ابن القاضي الذي تولى الحصار البري. بينما تولت سفن عروج حصار المدينة بحريا. وبعد ثلاثة أشهر من الحصار ومع قدوم فصل الشتاء رفع عروج الحصار وعاد إلى جيجل، قبل أن يعود إلى حصار المدينة مرة أخرى في مارس 1515 واضطر إلى رفع الحصار مرة أخرى بعد ثلاثة أشهر. وفيها جف وادي الصومام، وصار غير صالح لملاحة السفن، فاضطر عروج إلى حرق كثير من سفنه خاصة وان إسبانيا كانت تسيطر على جهة البحر بمحاذاة المدينة.[35] وهذا يبين أن عروج كان اندفاعيا أكثر منه استيراتيجيا في حروبه التي سجل فيها كثيرا من الهزائم ووقع تحت الأسر مرات عديدة كما مر بنا مع فرسان القديس يوحنا. كما فقد ذراعه قبل أن ينتهي باستشهاده في منطقة بني سناسن بالمالح بالغرب الجزائري بالقرب من عين تموشنت القريبة من تلمسان في ماي 1518.[36] على عكس خير الدين الذي كان استراتيجيا في حربه وذكيا ويبدو أنه رجل دولة بمعنى الكلمة.

6- معركة جيجل 1514:

تعد مدينة جيجل منقطة احتلال جنوية على الساحل الجزائري وذلك منذ سنة 1260 كما رأينا، ولما سجل الإخوة بربروس صمودا أمام القوات المسيحية الإسبانية ببجاية قبل أن يلجأوا إلى حدود مدينة جيجل اتصل بهم أبناء المدينة طالبين منهم النجدة وتحرير المدينة[37] من قبضة الجنويين بقيادة أندري دوريا، وفعلا تمكن الإخوة بربروس من طرد الحامية الجنوية سنة 1514 وأعلنوا سيادتهم على جيجل التي صارت ميناء هاما على المتوسط،

---

[33] – الحاج موسى بن عمر، (جوان 2016)، "محطات تاريخية حول الانتقال السياسي للجزائر من الحكم الزياني إلى النظام العثماني"، مجلة الباحث، ع 16، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، ص 157.

[34] – حين وصل خير الدين إلى جيجل تحصن في جزرها والراجح أنها الجزيرة المقابلة لزيامة أو جزر العافية: يُنظر: شارل فيرو، (2010)، تاريخ جيجلي، ترجمة عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية، الجزائر، ص 96 / هـ 02.

[35] – الحاج موسى بن عمر، مرجع سابق، ص 158.

[36] - H. D. dr Grammont, Quel est le lieu de la mort d'Aroud'j Barberousse? In Revue Africainne, Vol 22, 1878, P 388.

[37] - Diego de HAEDO, Histoire des Rois d'Alger, Op. Cit, p 22, 23.

وقاعدة انطلاقهم بالجزائر. وتمكن من أسر 600 إسبانيا أرسلهم إلى السلطان العثماني سليم الأول.[38] عن طريق بيري رايس ونقل مقره من جربة التونسية إلى جيجل الجزائرية. وطلب من السلطان العثماني مساعدتهم وإمدادهم بالمدد على أن يحكموا المنطقة باسمه.[39]

7- الصراع على حصن البينون (Pégnon) (حصن الصخرة) بمدينة الجزائر:

بعد سيطرة بيدرو نافارو على بجاية تم بناء حصن البينون في جويلية 1510،[40] من طرف المهندس الإسباني مارتينو دي ريتيرا (Martino de Retira)[41]. وهي لا تبعد سوى 300 مترا عن المدينة. وقد تم البناء في هذه الجزيرة على أنقاض فنار كان الأندلسيون قد شيدوه فيها كبرج مراقبة للسفن البحرية بالمدينة.[42] وبعد ظهور الإخوة بربروس وتحريرهم مدنا ساحلية جزائرية من أيدي الإسبان، أرسل شارلكان أو شارل الخامس (كارلوس الأول سابقا) بتاريخ 17 أوت 1518، حملة على مدينة الجزائر بقيادة نائبه في صقلية الدون هيغو دو مونكادا على رأس 5000 جندي، وفي الوقت الذي تموقع هيغو في كدية الصابون بالقرب من المدينة على رأس 1500 جندي من جنوده، ظل قائد المدفعية غنزالفو مارينو دي ريبيرا ينتظر قدوم ملك تلمسان. وهنا باغتهم خير الدين ملحقا بهم خسائر جسيمة قدرت بـ 30 سفينة و 03 آلاف أسير وألف قتيل.[43]

وبعد أن استتب الأمن لخير الدين بالجزائر شن هجوما على الحامية الإسبانية بصخرة البينون دام أسبوعا كاملا ابتداء من 06 ماي 1529 ولما هد جدران الحصن طلب منهم الاستسلام، لكن قائد الحصن مارتين دي فارغاس (Martin de Fargas) وجنوده رفضوا ذلك. فجهز خير الدي 45 سفينة وأعلن هجومه عليهم يوم 27 ماي 1529 و"كثف الأتراك القصف في الوقت الذي كانت فيه القوارب المحملة بالرجال تقترب من الجزيرة. فلم يتمكن الإسبان من رؤيتها ولا من سماع صوتها بسبب الدخان ودوي المدافع. ولما وصلت المراكب إلى جزيرة نزل

---

[38] – صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514 – 1830، دار هومة، الجزائر، ط02، 2007، ص 45.

[39] – ابن رقية التلمساني، (جويلية 1967)، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، مخطوط، نشر وتعليق سليم بابا عمر، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب، جامعة الجزائر، ع 03، ، ص 04.

[40] - Fernand BRAUDEL, Op. Cit, p 45.

[41] – عبد القادر فكاير، (2012)، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910 – 1206 هـ / 1505 – 1792 م)، دار هومة، الجزائر، ص 60.

[42] – مجهول، (2009)، سيرة المجاهد خير الدين بربروس، عبد الله حمادي، دار القصبة، الجزائر، ص 82 / هـ 05.

[43] – صالح عباد، مرجع سابق، ص 53.

الجنود الأتراك دون ان يتفطن الإسبان لذلك، ثم حاصروا الحامية فنشبت معركة حامية استسلم بعدها الجنود الإسبان. لقد قتل 60 إسبانيا وأسر الباقون".[44]

8- التحاق الجزائر بالباب العالي وإنهاء حلم الاحتلال الإسباني للمنطقة:

مع وفاة فرديناند في 23 جانفي 1516 شعر حاكم مدينة الجزائر سليم التومي وحضرها وأعيانها بالراحة لأنهم صاروا في حلّ من أمرهم تجاه الولاء له. وقد كان الإسبان حين يحتلون مدينة بالجزائر يطلبون من حاكمها وأعيانها تأدية قسم الولاء لهم.[45] ولذا فقد كانت وفاة فرديناند سببا في طلب سكان مدينة الجزائر وأعيانها من خير الدين بربروس حكمهم "سمعنا بكم أناس تحبون الجهاد، وأخذتم بجاية وجيجلة من أيدي النصارى ونصرتم الدين، فهنيئا لكم أيها المجاهدون، لابد أن تقدُموا إلينا وتخلصونا من أيدي هؤلاء الملاعين الكفرة لأنا نحن في محنة عظيمة وذلة شديدة".[46] فأخبرهم بقوله: "إني قد عزمت على السفر إلى حضرة السلطان وأمّنت بلادكم من العدو بما تركت فيكم من المجاهدين، ومن وصل إليكم من أهل الأندلس، وما تركت عندكم من العدة، لأني تركت في بلادكم أكثر من أربعمئة مدفع ولم يكن في بلادكم ولو مدفع واحد. فقالوا كلهم له: أيها الأمير لا تطيب أنفسنا بفراقك ولا نسمح لك بذلك. فالله الله في أمة سيدنا محمد فإن الله يسألك عنهم ... فعند إذن قال لهم خير الدين: أنتم رأيتم ما وقع من الملاعين الكافرين ولا يؤمن من عواملهم. وقد ظهر لي من الرأي أن نصل يدنا بطاعة السلطان الأعظم مولانا السلطان سليم، فيمدنا بالمال والرجال وجميع ما نحتاج إليه من آلة الجهاد ولا يكون ذلك إلا بصرف الخطبة إليه وضرب السكة عليه".[47] فاشترط عليهم مقابل إصرارهم أن يرسلوا وفدا إلى السلطان العثماني سليم الأول يطلبون منه ذلك. فأرسل سكان مدينة الجزائر وفدا بقيادة الحاج حسن وأرسل خير الدين معه كتابا يفيد بذلك. وتنقل الوفد إلى السلطان سليم الأول بالأستانة على متن أربعة سفن. وقد قبل السلطان العثماني طلب سكان الجزائر. وأخبر الوفد خير الدين بذلك عند عودتهم "وأعلموه أنه (يقصدون السلطان) قبل طاعة أهل الجزائر وأذن لهم في صرف الخطبة والسكة إليه كما تضمنه الكتاب الذي وجهه معهم. ففرح بذلك خير الدين

---

[44] – من رسالة الحاكم الإسباني في وهران إلى مسؤوليه في إسبانيا. بكتاب: صالح عباد، مرجع سابق، ص 53.

[45] – وولف، مرجع سابق، ص 30.

[46] – ابن رقية التلمساني، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، مخطوط، نشر وتعليق سليم بابا عمر، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب، جامعة الجزائر، ع 03، جويلية 1967، ص 04. كما يمكن الاستفادة من دراسة: خير الدين سعيدي، (ديسمبر 2017)، الحملات الإسبانية على مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1518 – 1775 م) من خلال مخطوط الزهرة النائرة لابن رقية التلمساني، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة الجلفة، الجزائر، س 09، ع 29، ، ص 94.

[47] – ابن رقية التلمساني، مصدر سابق، ص 13، 14.

فرحا شديدا وسر به سرورا عظيما إلا أنه حصل له بعض الحزن على ما وقع على أجفانه من النكبة التي حصلت لهم من عدو الدين. واستقر خير الدين أميرا من قبل السلطان الأعظم سليم خان. وصرف دعوتها إليه وأمر بذكره على منابرها وضرب السكة عليه".[48]

9- معركة مدينة الجزائر 1518:

لما سمع الإسبان بهذا الطلب سارعوا إلى تحصين حاميتهم في حصن البينيون بمدينة الجزائر، لأنهم يدركون أن سقوطها يعني ضياع مدينة الجزائر منهم وانتصارا للعثمانيين عليهم في المنطقة وتراجعا لدورهم الإقليمي ولمصالحهم التجارية وخططهم الاستعمارية والدينية. وقد وصف ابن رقية التلمساني الدعم الإسباني للحامية بقوله:"... وتوجهوا إليها في ثلاثمائة وعشرين جفنا (يقصد سفينة)، وكان عساكرهم المقاتلة خمسة عشر ألفا، فوصلوا إليها وأرسلوا أجفانها بقربها، وأنزلوا في البر بقصد حصارها والتضييق عليها". وقد رأى عروج هذه الجحافل الإسبانية فاستشار رجاله فطلبوا منه الحرب باعتبار أن الخروج من المدينة يؤدي إلى صعوبة انتزاعها مرة أخرى، وباعتبار أن الإسبان إنما جهزوا جيشهم هذا لمواجهة الإخوة بربروس فلا يمكن للإخوة إذن أن ينسحبوا ويتركوا مصير أهل المدينة بين أيدي سفاحين صليبيين منتقمين، وانتهت المعركة بهزيمة إسبانية. وحسب ابن رقية فإن الجيش الإسباني سالت دماؤه أودية في البحر المتوسط ولم يبق من الخمسة عشر ألف جندي إسباني إلا ألف جندي.[49]

هذا، وإذا كانت مدينة الجزائر قد دانت إلى خير الدين بربروس وصارت إيالة عثمانية تحت حكم سليم الأول سنة 1519، فإن الصراع العثماني الإسباني كلف عروج حياته في بني سناسن وحياة أخيه إسحاق في بني راشد. ففي الوقت الذي بترت ذراع عروج بكرة مدفع في معركة بجاية فقد اضطر إلى قطع رأس أحد مقربيه الذي اعلن عن نفسه ملكا على شرشال غرب الجزائر. وذلك حين كان عروج متجها من مدينة الجزائر إلى الغرب باتجاه تلمسان للقضاء على الحكم الإسباني فيها. وبذلك دانت شرشال لعروج وعادوا إلى مدينة الجزائر لتخفيف الضغط الإسباني على خير الدين بها.

[48] – مجهول، سيرة المجاهد خير الدين بربروس، مصدر سابق، ص 108. حزن خير الدين لأن البنادقة تعرضوا للسفن الأربعة فقتلوا الكثير من أعضاء الوفد وأسروا ثلاثة سفن. للمزيد يراجع: مجهول، سيرة المجاهد خير الدين، نفسه، ص 107، 108.

[49] – ابن رقية التلمساني، الزهرة النائرة، مصدر سابق، ص 05.

وبمدينة الجزائر كان عروج قد قضى على حاكمها سليم التومي بتهمة التآمر مع الإسبان والتنسيق معهم لطرد العثمانيين، قبل أن يخرج ميمما تلمسان من جديد فسقط شهيدا، وذلك بعد أن تحرك ابن سليم التومي وطلب النجدة من كارلوس الأول (الذي صار يسمى شارل الخامس بعد تزكيته إمبراطورا من طرف البابا سنة 1518) الملك الإسباني والذي دعم الحاميات الإسبانية بالجزائر من أجل القضاء على عروج بالغرب الجزائري.

نقول ذلك خاصة وأن إسبانيا قد فقدت كل عوامل انتصارها في الجزائر، إضافة إلى ظهور ظروف دولية أخرى على الساحة لم تكن لصالح الإسبان مثل ثورة بلنسية سنة 1519، وثورة كاستيل سنة 1520، إضافة إلى ثورات البلديات سنوات 1520 و 1521، وهي ثورات ضد الملك الإسباني شارل الأول حاكم ألمانيا وهو حفيد إيزابيلا (وقد كان يسمى في ألمانيا شارل الخامس ولكنه ليس شارل الخامس الإسباني الإمبراطور الشهير الذي اسمه هو كارلوس الأول).[50]

خاتمة:

في نهاية هذا البحث خلصنا إلى النتائج التالية:

1- إن الملكة إيزابيلا وكذا الملك فرديناند كان هدفهما الأسمى هو احتلال الجزائر لتكون لهم بوابة احتلال الضفة الجنوبية للبحر المتوسط.

2- لم يكن مشروع الملوك الكاثوليك (فرديناند وإيزابيلا) يتوقف عند احتلال الجزائر ، بل كان يرمي لأن تكون الجزائر طريقا إلى الاحتلال الإسباني لإفريقيا، بعدما كانت قد اتجهت نحو اكتشاف العالم الجديد في الأمريكيتين. كما كانت عين الإسبان على ليبيا (احتلال طرابلس الغرب سنة 1510)، وعلى البحر الأحمر والقارة الإفريقية مرورا إلى المحيط الهندي.

3- لم يكن نهاية طموح إسبانيا هو السيطرة على إفريقيا فحسب، بل كان جعل البحر المتوسط بحيرة إسبانية. وقد عملت على تحقيق ذلك منذ جعل فرسان القديس يوحنا تحت سيطرتها ليكونوا طريقا إلى الحوض الشرقي للمتوسط.

4- إن مسارعة البابا سنة 1518 م إلى جعل كارلوس الأول الإسباني إمبراطورا على أوربا باسم المسيحية الكاثوليكية (وقد صار يسمى شارل الخامس) له بعد كبير وعميق. فالبابوية من إيطاليا كانت ترى أن إسبانيا هي المكلفة منذ سنة 1518 فصاعدا بنشر المسيحية في كل المناطق التي ذكرناها: الجزائر، المغرب العربي عموما،

[50] – للمزيد من التوسع حول هذه الثورات يرجى العودة إلى كتاب: كنزة الغالي، المرجع السابق، ص 125 وما بعدها.

أوربا، إفريقيا، أمريكا ... وهي الساهر بعد ذلك على نشر الحروب الصليبية والاستعمار الجديد وأداته المتمثلة في الغزو الثقافي.

5- إن اليهود بوهران كانوا هم من أدخل المسيحيين إلى ديار الجزائريين واحتلالها. رغم المعاملة الطيبة التي كانوا يتلقونها ورغم تجارتهم التي كانت رائجة.

6- احتلال إسبانيا لسواحل المدن الرئيسية على ساحل الجزائر مثل المرسى الكبير ووهران وبجاية ...

7- نقمة سكان الجزائر على الإسبان سواء بسبب الاختلاف في الدين أو التسلط الذي مارسه الإسبان على المدن الجزائرية التي احتلوها وبنوا حاميات بها. ولذا اغتنم الجزائريون أول فرصة حين وصول الإخوة بربروس إليهم واستنصروهم، فطلبوا من السلطان العثماني -عن طريق العلماء والأعيان- دخول الجزائر تحت حكمه. على عكس ما حدث في كثير من دول المشرق حين دخل العثمانيون بالقوة.

وأهم التوصيات التي نراها ضرورية والتي تخدم هذا الموضوع نذكر مايلي:

*- ضرورة دراسة التاريخ الإسباني الحديث منذ سقوط الأندلس ولا سيما بعد 1518 في ظل الحروب الصليبية.

*- ضرورة العودة إلى الأرشيفات الإسبانية وترجمة وثائقها والاستفادة منها في كتابة تاريخنا الوطني المحلي والإقليمي.

*- دعوة المؤسسات الجامعية والأرشيفية المغاربية إلى الحصول على مختلف الوثائق المتاحة، ولو من خلال الوثائق التي يتم تصويرها من طرف الباحثين الزائرين المغاربة (المغرب العربي) من مختلف الأرشيفات والمكتبات في إسبانيا وغيرها. لتكوين الرصيد الأرشيفي الذي يسمح لنا بتناول القضايا وفق دراسات شاملة.

*- ضرورة دراسة التاريخ بين إسبانيا والمغرب العربي عموما، والجزائر خصوصا باعتبارها موضوع بحثنا، دراسة شاملة وليست مجزأة. لأن المشروع الإسباني كان مشروعا متكاملا وشاملا للمنطقة بأكملها، وجزئياته لم تكن سوى مراحل ومحطات.

*- ضرورة إدخال اللغة الإسبانية لطلبة التاريخ في الجامعات وتكوينهم فيها تكوينا عميقا على غرار الإيطالية والألمانية والفرنسية والإنجليزية والتركية والروسية. فبدون إتقان طلبة وأساتذة التاريخ لهذه اللغات لا يمكننا كتابة تاريخنا بأنفسنا، ونبقى نعتمد على الغير وترجماتهم لأحداثه وتفسيراتهم له.

المصادر والمراجع:

المخطوطات:

1- ابن رقية التلمساني، (جويلية 1967)، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، مخطوط، نشر وتعليق سليم بابا عمر، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، كلية الآداب، جامعة الجزائر، ع 03.

الكتب المطبوعة باللغة الفرنسية:

1- Adrien Berubrogger, (2013), Le Pégnon d'Alger, Belles-Lettres, 6 ème édition.

2- Diego de HAEDO, (2004), Histoire des Rois d'Alger, Trad. Henri Delmas de Grammont, Présentation de Abderrahmane REBAHI, Alge-Livre-Edition.

3- Diego de HAEDO, Topographie et Histoire générale d'Alger, Trad. A. Berbrugger et D. Monnereau, (2004), Présentation de Abderrahmane REBAHI, Edition Grand-Alger-Livre.

4 - Fernand BRAUDEL, (2013), Les Espagnols et la Berbérie de 1492 à 1577, Belle lettres, 2 ème édition.

5- L. Didier, (1927), Histoire d'Oran, 1501 – 1550, Imprimerie Jeanne d'arc, Oran, Algérie.

المقالات باللغة الفرنسية:

1 - H. D. dr Grammont, (1878), Quel est le lieu de la mort d'Aroud'j Barberousse? In Revue Africainne, Vol 22.

المقالات باللغة الإنجليزية:

1- Abdelkarim CHAMI, (2018 جوان), The socio-cultural Impact of the Spanish borrowings on the Algerian western coast,

بمجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مج 09، ع 01. جامعة معسكر (الجزائر)،

المصادر والمراجع باللغة العربية:

أولا: الكتب المنشورة:

1- الأغا بن عودة المزاري، (2007)، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج 01، تحقيق ودراسة يحيى بوعزيز، دار البصائر، الجزائر.

2- باسكوال بورونات إي براتشينا، (2012)، الموريسكيون الإسبان ووقائع طردهم، الكتاب الأول، ج 01، ترجمة كنزة الغالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

3- جون بابتست وولف، (2015) الجزائر وأوربا، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر.

4- خير الدين بربروس، (2010)، مذكرات خير الدين بربروس، تر. محمد دراج، دار الأصالة الجزائر، ط 01.

5- شارل فيرو، (2010)، تاريخ جيجلي، ترجمة عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية، الجزائر.

6- صالح عباد، (2007)، الجزائر خلال الحكم التركي 1514 – 1830، دار هومة، الجزائر، ط02.

7- عبد القادر فكاير، (2012)، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وآثاره (910 – 1206 هـ / 1505 – 1792 م)، دار هومة، الجزائر.

8 – مجهول، (2009)، سيرة المجاهد خير الدين بربروس، عبد الله حمادي، دار القصبة، الجزائر.

9- مصطفى عبيد، (2015)، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (العهد العثماني)، محاضرات موجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس تاريخ، جامعة المسيلة.

ثالثا: المقالات الأكاديمية المنشورة:

1- جيلالي بلوفة عبد القادر ورامي سيدي محمد، (2017)، قراءة في عوامل وأسباب طول مدة احتلال الإسبان لمدينة وهران، ع 04، مجلة القرطاس، جامعة وادي سوف، الجزائر، جانفي.

2- الحاج موسى بن عمر، (جوان 2016)، محطات تاريخية حول الانتقال السياسي للجزائر من الحكم الزياني إلى النظام العثماني، ع 16، مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر.

3- حياة قنون، (مارس 2013)، التواجد الإسباني في الغرب الجزائري خلال الفترتين العثمانية والفرنسية، مجلة الحوار المتوسطي، مج 04، ع 01، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر.

4- خير الدين سعيدي، "الحملات الإسبانية على مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1518 – 1775 م) من خلال مخطوط الزهرة النائرة لابن رقية التلمساني"، مجلة دراسات وأبحاث، ع 29، جامعة الجلفة، الجزائر، ديسمبر 2017.

5- زهراء النظّام، (2003)، العثمانيون والصراع المسيحي الإسلامي في غرب المتوسط، بكتاب: العثمانيون والعالم المتوسطي –مقاربات جديدة– تنسيق عبد الرحمن المودن، عبد الرحمن بنحادة، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب.

6- سالم جوامع، (جوان 2020)، الإخوة بربروس بين شرق وغرب البحر المتوسط مطلع القرن 16 م، قراءة جديدة في النشأة والمنجزات، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، مج 03، ع 03، جامعة جيجل، الجزائر.

7- الشافعي درويش، (سبتمبر 2017)، الحملة الإسبانية على تونس في سنة 1535، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 09، ع 30، جامعة وادي سوف، الجزائر.

8 – عبد القادر فكاير، (2011)، الغارات الإسبانية على مدينة تلمسان خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، مجلة عصور جديدة، جامعة وهران (الجزائر)، ع 02.

9- مراد قبال وأحمد شربيتي، (جوان 2020)، المنطقة الغربية للجزائر في استيراتيجيات القوى الثلاث (العثمانيين، الإسبان، السعديين) خلال القرن 16 م، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، جامعة وادي سوف، الجزائر. مج 04، ع 01.

10- مصطفى عبيد، (سبتمبر 2015)، طرابلس الغرب من الاحتلال الإسباني إلى دخول العثمانيين 1510 – 1551، مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، ع 18، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر.

تقنيات البناء بمواد البناء الجيرية الملحية بالمنشآت الأثرية في واحة سيوة

1- محمود عبد الحافظ محمد / أستاذ ترميم الآثار المساعد – كلية الآثار – جامعة القاهرة
2- علي علي عبد المطلب / أستاذ الجيولوجيا – كلية العلوم – جامعة القاهرة
3- ربيع راضي عبد القادر سيد / باحث ومدير عام ترميم الآثار – وزارة السياحة والآثار
E-mail : Egyptianconservators2013@gmail.com

ملخص البحث :

تعتبر المباني الجيرية الملحية تراث حضاري عريق وفريد من نوعه أختص به الله سبحانه وتعالى واحة سيوة بالصحراء الغربية ، تتميز واحة سيوة بوجود البحيرات المالحة مع مناخ صحراوي قاري شديد الجفاف ، حيث أن معدل البخر يفوق معدل سقوط الأمطار أضعافا كثيرة وبالتالي تتكون ترسيبات ملحية من ملحي الهاليت والجبس وأملاحا أخرى ، تترسب مع هذه الأملاح ترسيبات طينية من السبخ وغيره من الترسيبات مكونة مادة بناء محلية أستخدمها أهل سيوة بكثرة في مبانيها ذات الطراز الفريد والتي سميت الكرشيف وهي خليط من الطين والترسيبات الملحية وأبرز الأمثلة على ذلك قلعة شالي ، وقد كان لمعدل سقوط الأمطار القليل جدا فضلا كبيرا في الحفاظ على هذه المباني الجيرية الملحية ، أيضا يتمتع الحجر الجيري بقرية الأغورمي حيث معبد الوحي لآمون بواحة سيوة بأنه حجر جيري يحتوي على نسبة كبيرة من الأملاح بالإضافة إلى المعادن الطينية من السمكتيت ، الآليت والكاولين بالإضافة إلى وجود الحفريات البحرية ، مما جعله يعاني من ضعف شديد نتيجة وجود الأملاح والمعادن الطينية.

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على تقنيات البناء الفريدة من مواد البناء الجيرية الملحية بالمنشآت الأثرية بواحة سيوة ، حيث تم أخذ عينات من الكرشيف والحجر الجيري الملحي للوقوف على مكوناتهما ونسب هذه المكونات بواسطة طرق الفحص والتحليل المختلفة ، كالفحص بواسطة الميكروسكوب الإلكتروني الماسح ، التحليل بحيود الأشعة السينية أيضا التحليل العناصري بواسطة وحدة EDAX الملحقة بالميكروسكوب الإلكتروني الماسح.

الكلمات المفتاحية :

مواد البناء الجيرية الملحية – الكرشيف – الحجر الجيري الملحي – معبد الوحي لآمون – قلعة شالي – طرق الفحص والتحليل.

" **Building Techniques with Saline-Lime Building Materials in the Archaeological Buildings in Siwa Oasis** "

Summary of the research : The saline-lime buildings are considered an ancient and unique cultural heritage that God Almighty has devoted to Siwa oasis in the Western Desert. Gypsum, other salts and mud deposits forming a local building material that the people of Siwa used extensively in their unique-style buildings, which were called the Karshef, which is a mixture of mud and saline deposits, and the most prominent example of this is Shali castle.

The rate of rainfall was very little and great in preserving these saline-lime buildings, also the limestone is enjoyed in the village of Al-Ughurmi, where the Temple of oracle for Amun in the Siwa Oasis is a limestone that contains a large percentage of salts in addition to the clay minerals of smectite, Illite and kaolin in addition to the presence of Marine fossils, which made it severely weakened by the presence of salts and clay minerals.

This research aims to shed light on the unique building techniques of saline-lime building materials in the archaeological buildings in Siwa oasis, where samples were taken from the Karshef and salty limestone to determine their components and the proportions of these components by various examination and analysis methods, such as examination by scanning electron microscope (SEM), analysis by x –ray diffraction (XRD), also elemental analysis by EDAX unit attached to scanning electron microscope.

1- مقدمة :

يعتبر البناء بالكرشيف من تقنيات البناء غير المعروفة والتي أستخدمت في قرية شالي ، حيث بنيت قلعة قديمة في القرن الثاني عشر في سيوة بالصحراء الغربية المصرية سميت قلعة شالي ، تتميز هذه العمارة بإستخدام كتل من الأملاح أخذت من البحيرات الملحية القريبة وغطيت بطبقة من مونة الطين المليئة بالأملاح ، وما زالت هذه التقنية موجودة حاليا ، حيث تمثل إستغلال الموارد من البيئة المحيطة المحلية.

تقع واحة سيوة في شمال خمس واحات بالصحراء الغربية المصرية على بعد 120 كيلومتر شرق الحدود الليبية ، وعلى بعد 300 كيلو متر جنوب ساحل البحر الأبيض المتوسط .

تمتد الواحة بطول منخفض 17 متر تحت مستوى سطح البحر ، ويوجد داخل المنخفض 4 بحيرات مالحة ومجموعة ينابيع طبيعية تستخدم في الري.

تتميز جيولوجية الواحات البحرية بوجود طبقات أفقية من الحجر الجيري المسامي بالتبادل مع المارل والطفلات ترجع إلى العصر الميوسيني ، يصل سمك طبقات المارل والحجر الجيري لأمتار متعددة ، بينما يصل سمك الطبقات الطفلية إلى سمك لا يزيد عن 10 سم[1].

تتميز واحة سيوة بالمناخ الصحراوي ، حيث تتميز بالشتاء المعتدل والصيف شديد الحرارة ، متوسط درجات الحرارة اليومي يتفاوت من 10.6 درجة مئوية في يناير و37.8 درجة مئوية في يوليه ، معدل البخر يتراوح من 4.32 ملليمتر إلى 10.43 ملليمتر ، وأقصى معدل لسقوط الأمطار في يوم واحد 28 مليمتر[2].

1.1- تقنيات بالبناء بالكرشيف (قلعة شالي):

يعود عصر المباني الملحية إلى القرن الثاني عشر الميلادي وثلاثينات القرن العشرين، والآن تبدو قلعة شالي كسلسلة متوالية من أطلال الجدران ذات النوافذ الصغيرة.

يوجد داخل القلعة وخاصة في المنازل الصغيرة إستخدام جذوع النخيل في عملية الربط بين الجدران ، وقد غطيت الجدران الخارجية بملاط الطين.

يتكون الكرشيف Karshif من بلورات ملح الهاليت " كلوريد الصوديوم" مع شوائب من الطفلة والرمل ، حيث تستخدم كتل غير منتظمة الشكل أخذت من البحيرات المالحة المحيطة ، وقد قطعت إلى كتل أصغر ، وأستخدمت في البناء وربطت بمونة الطين الغنية بالملح.

أثناء عملية الجفاف يحدث إرتباط قوي بين بلوكات الملح والمونة ، بسبب بلورة ملح الهاليت NaCl داخل المونة نفسها.

بدراسة الحوائط الخارجية للمبنى يلاحظ إستخدام فروع الأشجار في الحوائط خاصة بالحواف ، لذا تتميز العمارة بواحة سيوة بضعفها مما يعرضها للتلف غير المتوقع.

تستخدم أخشاب النخيل كقضبان خشبية بحوائط البناء ، وتتميز هذه الأخشاب بأنها مادة سهلة التلف حيث تتعرض لإزاحات رأسية في الأحمال الصغيرة ، وتتميز هذه الجدران بوجود شروخ وإنفصالات خاصة عند الحوائط المتعامدة " منطقة الحواف والنواصي" ، كذلك أسفل قضبان خشب النخيل وأعلاها ، يجب دراسة ميكانيكية هذه الشروخ والإنفصالات للحفاظ على هذه المباني– شكل (1)، صورة (1).

وما زالت طريقة البناء القديمة بالكرشيف مستخدمة حاليا في بناء منازل الأهالي بواحة سيوة – صورة (2–3).

2.1- تقنيات بالبناء بالحجر الجيري الملحي (معبد الوحي):

يقع معبد الوحي بسيوة في منطقة أغورمي على بعد أربعة كيلومترات من مركز سيوة وهو أحد معبدين لآمون في منطقة أغورمي (المعبد الآخر يقع في أم عبيدة) ، يمتد الفناء أمام المعبد على الجانب الشرقي الذي يسير فيه موكب المعبود آمون وتبعا للنصوص المكتوبة في قدس الأقداس ، فإن تاريخ المعبد يرجع إلى حكم الملك " أحمس الثاني " (أمازيس) من عصر الأسرة السادسة والعشرين وإن كانت قد أجريت عليه بعد التعديلات في أزمنة لاحقة ، يتكون المعبد من صالتين ، يليهما قدس الأقداس الذي يقع مدخله على المحور الرئيسي ، يوجد ممر ضيق على اليمين أي على الجانب الشرقي من قدس الأقداس ويستمر وراء الجدار الخلفي ، وتوجد حجرة أخرى في الجانب الغربي [3].

وقد ذكرت ريهام (2012م) أن بلدة الأغورمي (حيث معبد الوحي بواحة سيوة) مبنية فوق صخرة على هيئة قلعة حصينة مطلة على جميع الجهات المجاورة ، وأن بأسفل الصخرة يوجد عدد كبير من العيون المتفجرة . تعد هذه القرية من أولى القرى المبنية في سيوة في العصور الوسطى في أعقاب نهاية عصر معبد آمون ونهاية الحقبة الرومانية ، وقد بنيت أغورمي من الطين والأحجار على أحد التلال الصخرية بجوار معبد الوحي [4] – صورة (4–5).

2- المواد وطرق العمل :

تم أخذ عينات من الكرشيف بقلعة شالي ، أيضا عينات من الحجر الجيري الملحي من معبد الوحي ، أيضا تم فحص العينات وتحليلها للوقوف على مكوناتها ونسب هذه المكونات ، كذلك حالة مواد البناء.

1.2- التحليل بواسطة حيود الأشعة السينية X-Ray Diffraction :

خضعت العينات التي تم أخذها من الكرشيف (قلعة شالي) ، أيضا الحجر الجيري الملحي (معبد الوحي بسيوة) للتحليل بواسطة جهاز حيود الأشعة السينية للتعرف على مكوناتها ونسبها – شكل (2-3).

2.2- الفحص بواسطة الميكروسكوب الإلكتروني الماسح :

Scanning Electron Microscope (SEM):

يتميز الميكروسكوب الإلكتروني الماسح بأنه يعطي صورا عالية الجودة ، بقوة تكبير تصل إلى ملايين المرات لسطح العينات ، وتم فحص العينات سالفة الذكر بهذا الميكروسكوب – صورة (6-7).

3.2- التحليل العناصري بواسطة وحدة EDAX الملحقة بالميكروسكوب الإلكتروني الماسح:

يعرف EDAX بأنه مطيافية تشتت الطاقة بالأشعة السينية وهي إختصار لـ:

Energy-dispersive X-ray spectroscopy

يستخدم هذا التحليل في التعرف على العناصر الموجودة بعينات الكرشيف والحجر الجيري الملحي ، وهو يعد بمثابة تأكيدا لنتائج حيود الأشعة السينية – (شكل 4-5).

3- النتائج :

<u>أولا: تفسير نتائج التحليل بحيود الأشعة السينية :</u>

من خلال تحليل حيود الأشعة السينية للعينات المأخوذة تبين أن :

أ- عينة الكرشيف تتكون من المركبات التالية :

- ملح الهاليت (كلوريد الصوديوم NaCl) وهو المكون الأساسي للعينة بنسبة 45%.
- الكالسيت (كربونات الكالسيوم CaCO3) بنسبة 22% .

- الكوارتز (ثاني أكسيد السيليكون SiO2)بنسبة 20%.
- الدولوميت (كربونات الكالسيوم والماغنسيوم Ca,Mg (CO3)2 بنسبة 10%.

ب-أما عينة الحجر الجيري الملحي فتتكون من المركبات التالية:

- الدولوميت (كربونات الكالسيوم والماغنسيوم Ca,Mg (CO3)2) وهو المكون الأساسي للعينة بنسبة 56%.
- ملح الهاليت (كلوريد الصوديوم NaCl) بنسبة 45%.

ثانيا: الفحص بواسطة الميكروسكوب الإلكتروني الماسح :

من خلال فحص عينة الكرشيف بواسطة الميكروسكوب الإلكتروني الماسح تبين ظهور بلورات ملح الهاليت بوضوح كمكون أساسي ، أيضا ضعف النسيج الداخلي لسطح العينة حيث توجد شروخ وتشققات داخل العينة.

أما عينة الحجر الجيري الملحي فقد تبين ضعف مادة البناء بشكل كبير ووجود فجوات داخل العينة ، وهذا يبين مدى تدهور حالة المعبد ووجود الشروخ بكثرة.

ثالثا: التحليل العناصري بواسطة وحدة EDAX :

تتكون عينة الكرشيف من العديد من العناصر المقترنة بعنصر البوتاسيوم K ، يعد هذا التحليل بمثابة تأكيدا لنتائج حيود الأشعة السينية كما سبق ذكره ، وكما يتضح من جدول (1).

أيضا تم التحليل العناصري لعينة الحجر الجيري الملحي بواسطة وحدة EDAX – جدول (2).

جدول (1): يوضح العناصر المكونة لعينة الكرشيف ونسبها

Element	Wt %	At %	K-Ratio	Z	A	F
C K	4.89	10.79	0.0035	1.0815	0.0654	1.0002
O K	6.98	11.56	0.0097	1.0661	0.1308	1.0010
NaK	28.95	33.35	0.1134	1.0014	0.3898	1.0033
MgK	0.89	0.97	0.0027	1.0276	0.2918	1.0057
AlK	0.65	0.64	0.0026	0.9984	0.4044	1.0108
SiK	2.02	1.90	0.0112	1.0285	0.5311	1.0186
S K	0.94	0.77	0.0075	1.0220	0.7473	1.0540
ClK	46.31	34.60	0.3755	0.9790	0.8244	1.0045
K K	3.54	2.40	0.0223	0.9790	0.6415	1.0045
CaK	3.88	2.56	0.0273	1.0018	0.7016	1.0004
FeK	0.95	0.45	0.0083	0.9248	0.9427	1.0000
Total	100.00	100.00				

جدول (2): يوضح العناصر المكونة لعينة الحجر الجير الملحي ونسبها

Element	Wt %	At %	K-Ratio	Z	A	F
C K	7.28	14.15	0.0064	1.0646	0.0828	1.0002
O K	18.93	27.62	0.0314	1.0495	0.1577	1.0008
NaK	20.58	20.90	0.0729	0.9858	0.3579	1.0036
MgK	4.90	4.71	0.0162	1.0117	0.3248	1.0052
AlK	2.29	1.98	0.0094	0.9829	0.4126	1.0088
SiK	7.15	5.94	0.0384	1.0126	0.5245	1.0112
S K	1.23	0.90	0.0089	1.0062	0.6930	1.0308
ClK	29.06	19.13	0.2181	0.9639	0.7753	1.0045
K K	1.94	1.16	0.0134	0.9622	0.7147	1.0066
CaK	4.45	2.59	0.0340	0.9846	0.7742	1.0012
FeK	2.17	0.91	0.0191	0.9097	0.9645	1.0000
Total	100.00	100.00				

1- المناقشة :

تبين من خلال النتائج السابقة أن ملح الهاليت يعد بمثابة المركب الرئيسي لمواد البناء سواء الكرشيف أو الحجر الجيري الملحي ، وهذا يعكس الطبيعة الجيولوجية لواحة سيوة والتي تتميز بوجود المتبخرات (الأملاح)، يعد هذا الملح بمثابة نقطة ضعف بمادة البناء بقلعة شالي ومعبد الوحي فهو يعد ملحا قابل للذوبان في الماء ، وقد ظهر ذلك جليا عند فحص العينات بواسطة الميكروسكوب الإلكتروني الماسح ، لذا من الضروري القيام بتقوية مواد البناء وعزلها عن الوسط المحيط لتجنب إذابة هذه المواد الجيرية الملحية في الأجواء الرطبة بواحة سيوة .

5- الخاتمة :

تتميز واحة سيوة بالعمارة التقليدية من مواد البناء الجيرية الملحية ، فالأثر وليد بيئته حيث تتميز واحة سيوة بمواد بناء فريدة من نوعها قوامها الأملاح ، ومن هنا أستغل المعماري القديم مواد البناء من الحجر الجيري الملحي في بناء معبد الوحي (معبد آمون)، كذلك الكرشيف في بناء قلعة شالي أيضا أستغل الأخشاب المحلية كجذوع النخيل في تدعيم هذه المباني التاريخية، تعاني هذه المباني من التدهور والتفتت والتلف بسبب ضعفها، حيث تنتشر الشروخ بكافة أنواعها ودرجاتها مما يعرضها للفناء والإندثار، لذا يوصي الباحثون بضرورة القيام بعمليات الترميم كالتقوية والعزل لمواد البناء التقليدية بهذه المباني للحفاظ على هذا التراث الثقافي الفريد للأجيال القادمة، ليبقى شاهدا على عظمة المعماري المصري القديم وعظمة الحضارة والتاريخ المصري.

أيضا من الملاحظ قلة المصادر العلمية التي تحدثت عن واحة سيوة والعمارة الملحية بها، ويوصي الباحثون بضرورة إهتمام السادة الآثاريين بالعمارة الملحية بواحة سيوة وإلقاء مزيد من الضوء عليها لأنها تعد تراثا نادرا وفريدا من نوعه.

6- شكر وتقدير:

إهداء هذا البحث لروح الأستاذ الدكتور والعالم الجليل أ.د/ محمد عبد الهادي محمد – شيخ المرممين وأستاذ ترميم وصيانة الآثار – كلية الآثار – جامعة القاهرة– مصر.

شكر وتقدير للدكتورة / شيماء سيد محمد السيد – المدرس بقسم الترميم – كلية الآثار – جامعة الأقصر – مصر ، لمجهودها وتعاونها لإنجاز هذا البحث.

7- قائمة المراجع :

(1) Rovero, L.,*etal*,(2009), " The Salt Architecture in Siwa oasis – Egypt (XII–XX centuries), construction and building materials " , vol.23,El–Sevier, PP:2492.

(2)Taher,A.G.,& Abdel –Motelib,A., " Microbial stabilization of sediments in a recent Salina, Lake Aghormi, Siwa Oasis, Egypt", vol.60, Facies, Springer–Verlag Berlin Heidelberg,P:46.

(3) مهاب درويش (2010)، " آثار الإسكندر الأكبر بمصر " ، مطبوعات مكتبة الأسكندرية ، القاهرة ، صـ 19.

(4) ريهام كامل الخضراوي (2012) ، " الحفاظ على التراث العمراني لتحقيق التنمية السياحية المستدامة من خلال مؤسسات المجتمع المدني – دراسة حالة سيوة " ، رسالة ماجستير ، قسم التخطيط والتصميم العمراني ، كلية الهندسة ، جامعة عين شمس ، صـ137.

(5) سعد عبد الكريم شهاب (2006) ، " أنماط العمارة التقليدية الباقية في صحراء مصر الغربية (دراسة تحليلية مقارنة)" ، رسالة دكتوراه ، قسم الآثار الإسلامية ، كلية الآثار ، جامعة سوهاج.

صورة (1): توضح قلعة شالي بواحة سيوة (تصوير الباحث)

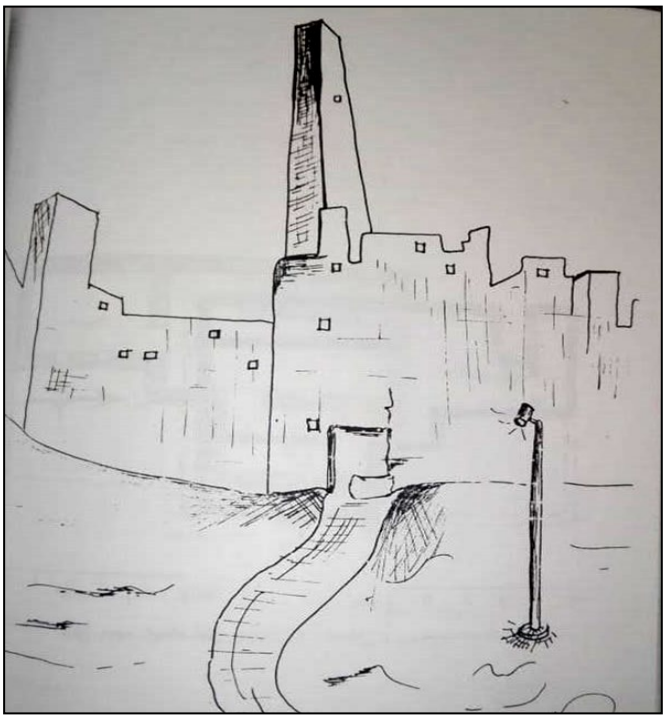

شكل (1): يوضح قلعة شالي بواحة سيوة نقلا عن سعد عبد الكريم شهاب[1]

صورة (2): توضح تحضير الكرشيف لبناء المباني الحديثة بواحة سيوة (تصوير الباحث)

(1)سعد عبد الكريم شهاب (2006) ، " أنماط العمارة التقليدية الباقية في صحراء مصر الغربية (دراسة تحليلية مقارنة)" ، رسالة دكتوراه ، قسم الآثار الإسلامية ، كلية الآثار ، جامعة سوهاج.

صورة (3): توضح بناء منازل الأهالي بالكرشيف في واحة سيوة (تصوير الباحث)

صورة (4): توضح معبد الوحي للمعبود آمون بسيوة وهو نموذج للبناء بالحجر الجيري الملحي (تصوير الباحث)

صورة (5): توضح مدخل معبد الوحي بسيوة ، ويتضح مدى ضعف الحجر الجيري الملحي وتآكله مما يهدد أمن وسلامة المعبد (تصوير الباحث)

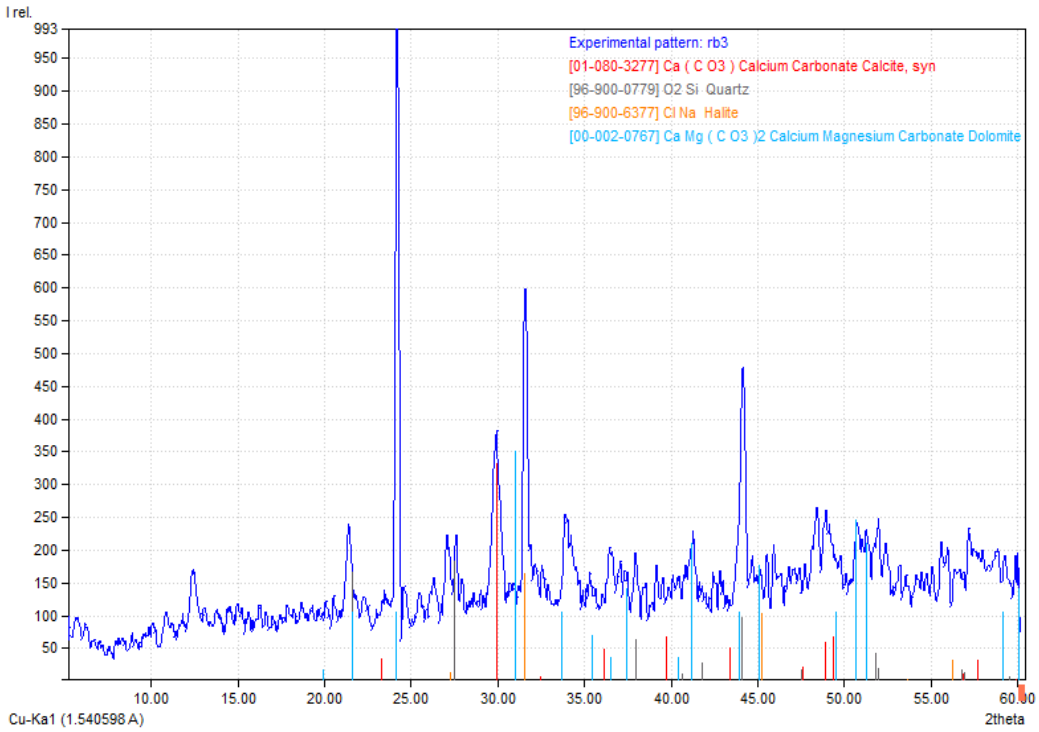

شكل

(2): يوضح نمط حيود الأشعة السينية لعينة الكرشيف

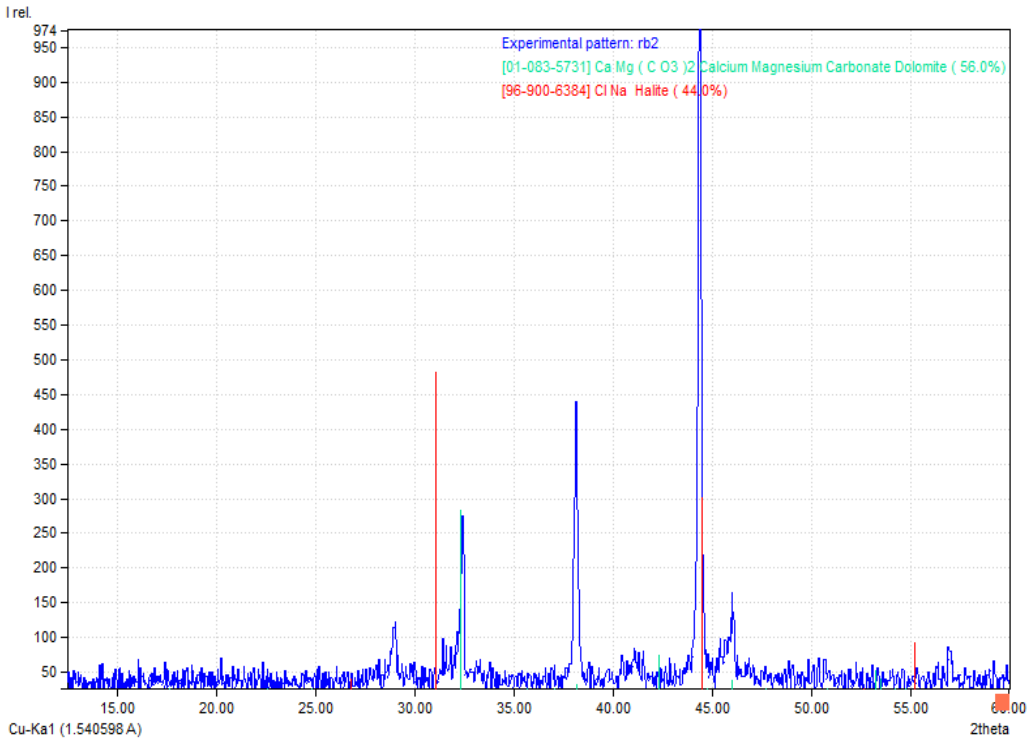

شكل

(3): يوضح نمط حيود الأشعة السينية لعينة الحجر الجيري الملحي

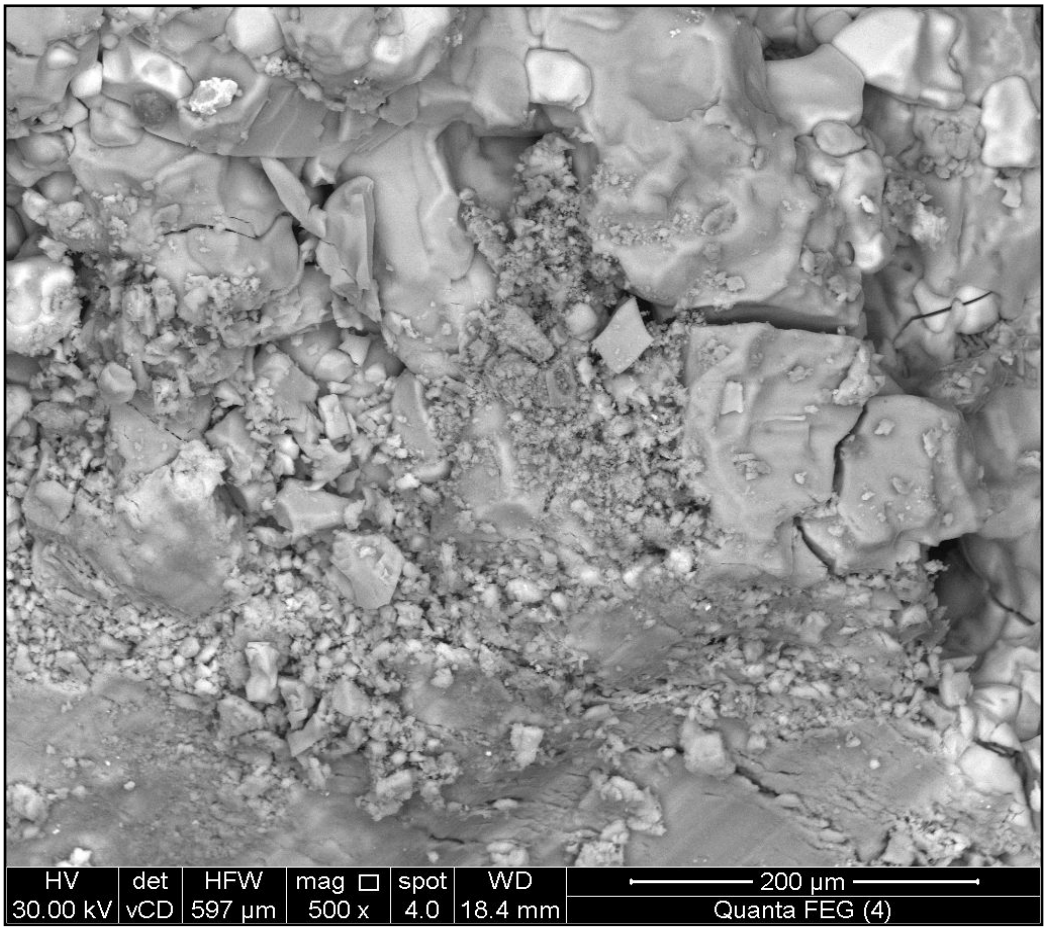

صورة

(6): توضح الفحص بواسطة الميكروسكوب الإلكتروني الماسح لعينة الكرشيف ، ويتضح ضعف النسيج الداخلي لسطح العينة نتيجة وجود شروخ وتشققات

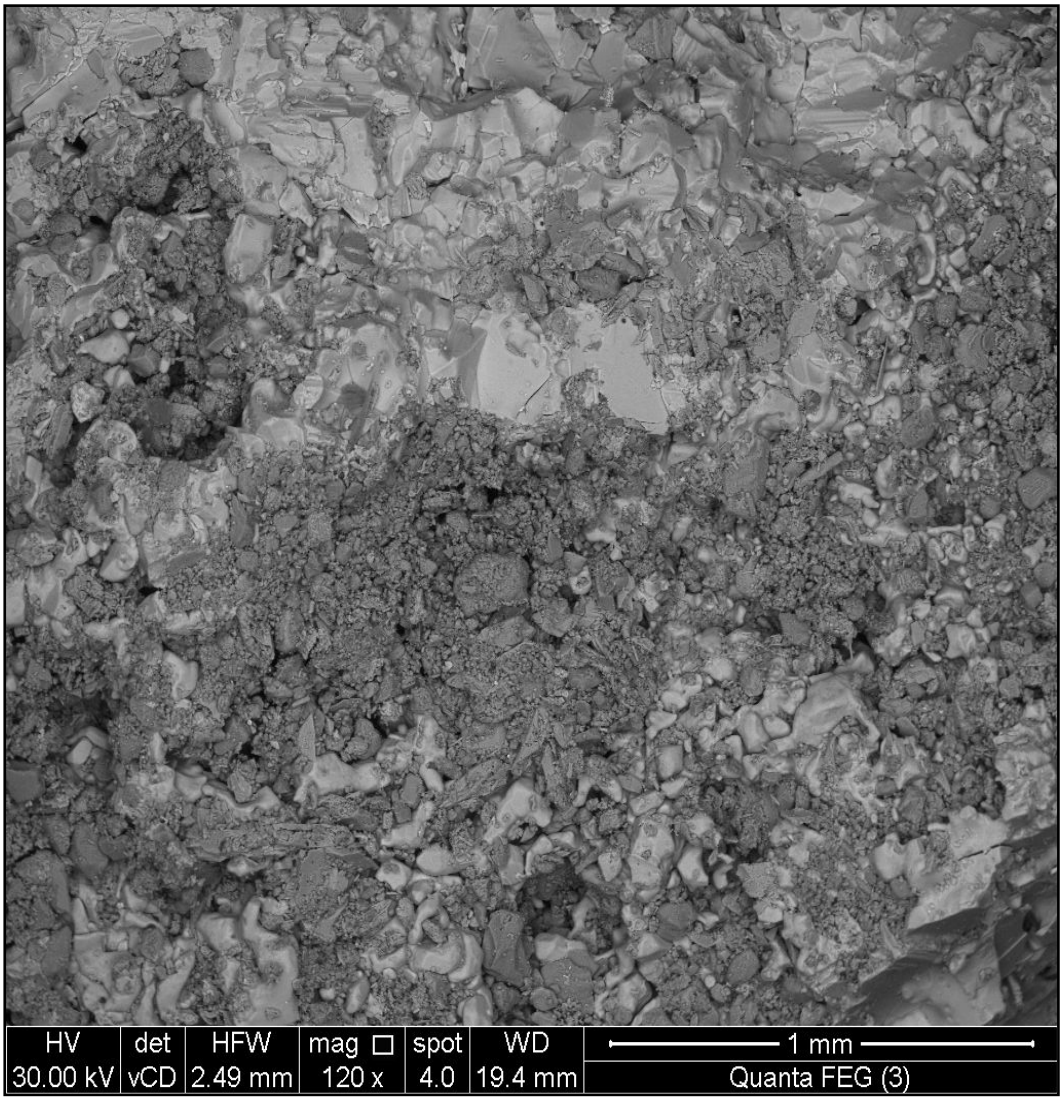

صورة (7): توضح الفحص بواسطة الميكروسكوب الإلكتروني الماسح لعينة الحجر الجيري الملحي ، ويتضح وجود فجوات داخل العينة نتيجة ضعف الحجر

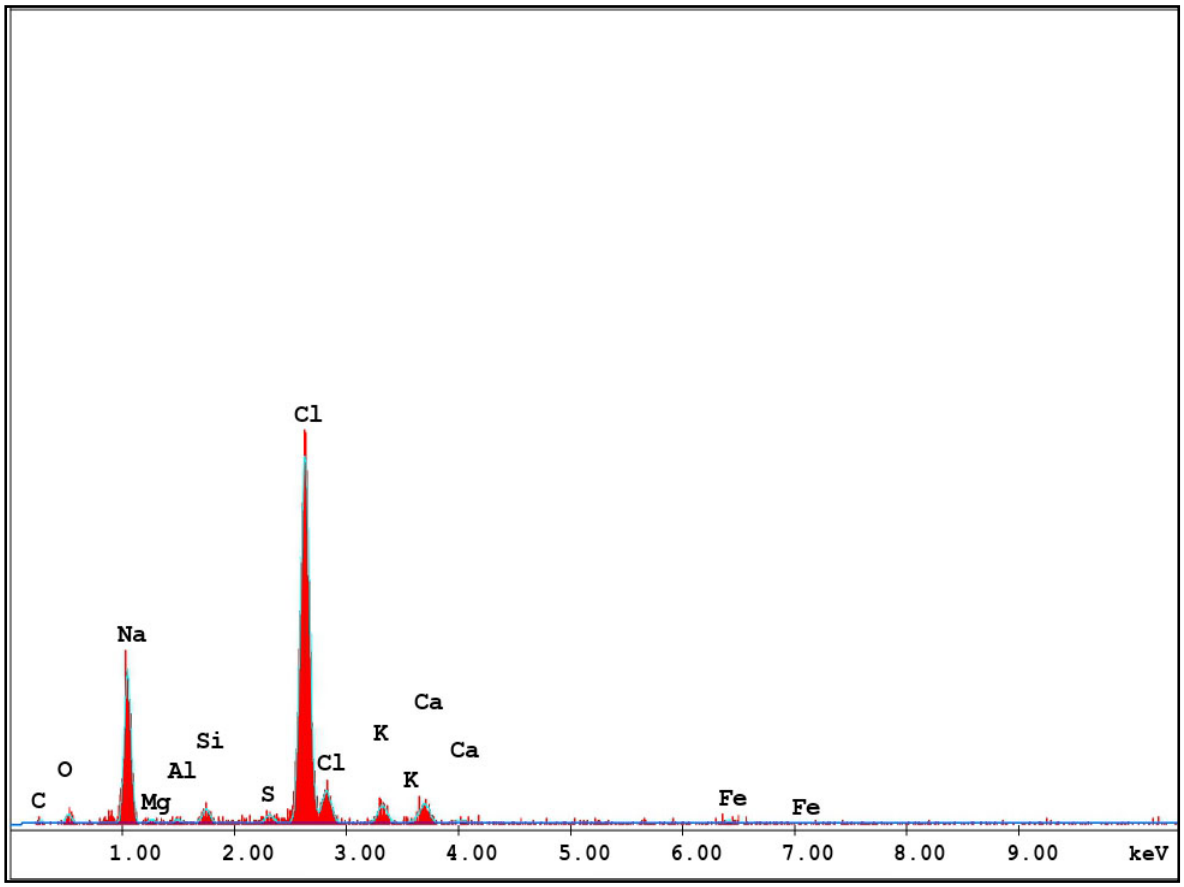

شكل (4): يوضح التحليل العناصري لعينة الكرشيف بواسطة وحدة EDAX ، ويتضح إرتفاع نسبة عنصري الكلور والصوديوم وهما يمثلان ملح الهاليت، أيضا وجود عناصر تدل على وجود المعادن الطينية كالألمونيوم والماغنسيوم والسيليكا والبوتاسيوم

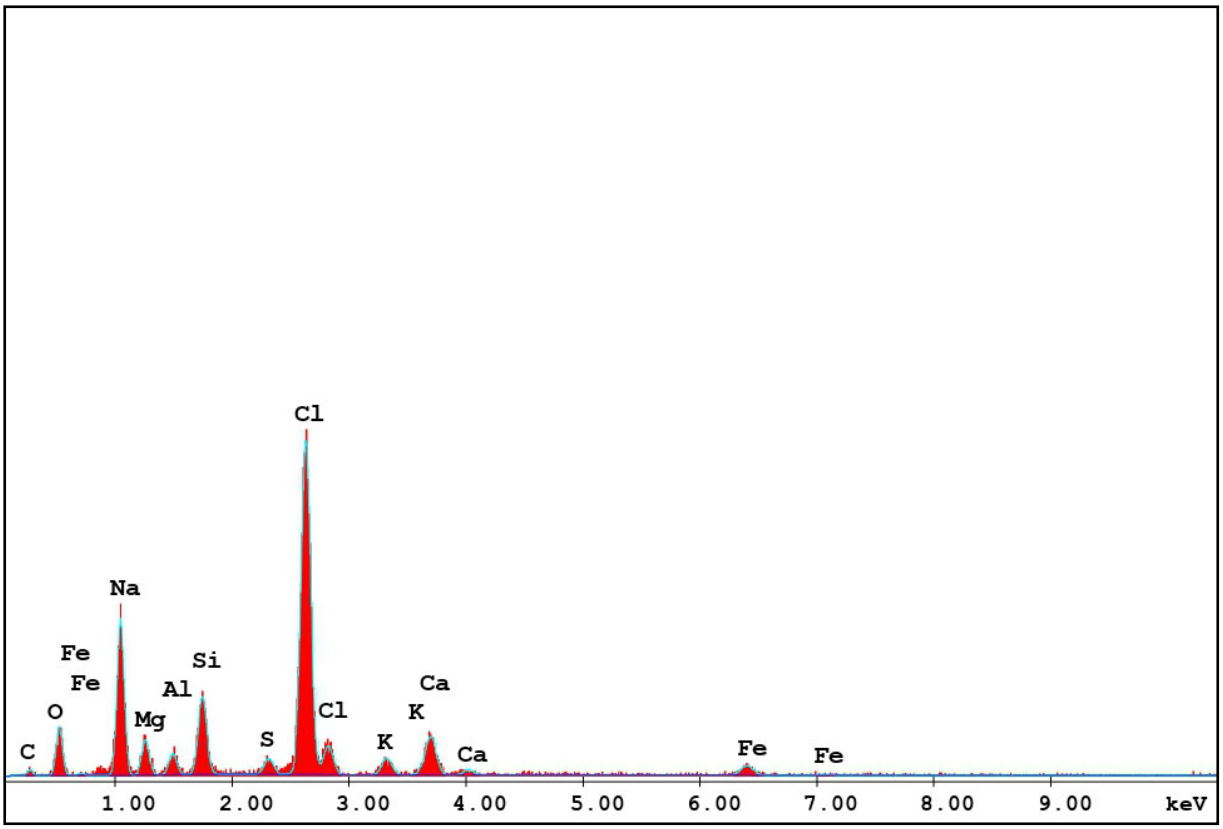

شكل (5): يوضح التحليل العناصري لعينة الحجر الجيري الملحي بواسطة وحدة EDAX

حتمية الركود الحضاري العربي بين النظرة الفلسفية الغربية والحقيقة التاريخية.

د: بن مصطفى دريس أستاذ محاضر أ
driss.benmostefa@yahoo.com
جامعة الدكتور الطاهر مولاي-سعيدة- الجزائر.

الملخص: يتناول المقال جانبا من أهم المشاكل التي يعيشها الوطن العربي عموما، وبدرجات مختلفة بين بلدانه، انها -مشكلة التخلف والركود الحضاري- والتي أصبحت تشكل عقدة لشعوبه وخاصة الأجيال التي عاشت مرحلة ما بعد الاستقلال، في ظل التفاوت الكبير بين عالم الشمال وعالم الجنوب وحالة الاغتراب الفكري التي ألمت بنسبة كبيرة من شبابه، بسبب ما ينفثه الغرب المسيحي من أفكار سامة جعلتهم يشكّون في قدراتهم على الابداع والنهوض بأوطانهم، دون البحث في أسباب ذلك ودون العودة الى التاريخ العربي والإسلامي للاستئناس به وأخذ العبر واستلهام الدروس، لشحن الهمم والنفوس من خلال الاطلاع على تاريخ وحضارات لا تزال معالم الكثير منها قائمة وشاهدة عليها الى يومنا هذا، خاصة ان الوطن العربي يمتلك من الطاقات والإمكانات التي تؤهله ليكون قوة اقتصادية وحضارية.

الكلمات المفتاحية: ركود، حضاري،عربي، نظرة، فلسفية، غربية، حقيقة، تاريخية

abstract: The article deals with one of the most important problems that the Arab world confronts with varying degrees between its countries, and it has become an inferiority complex for the Arabs, and in particular the independence generations, under the great disparity between the indistrual global North and the under developped global South, and the state of intellectual alienation which afflicted a large part of his youth. Because of the poisonous ideas of the Christians, which made them inconfiant and doubt their ability and power to innovate and develope their homeland, without looking for the reasons for this case or situation, and without looking back to arab and Islamic history to inspire and take lessons from too many civilizations which still exist as witnesses until now, especially that the Arab world has the capacitie that will allow it to be an economic and civilisation power.

key words:stagnancy; civilisationel; arab;historical; reality ; western; view

مقدمة: مرّ العالم العربي عبر تاريخه العريق بالعديد من الفترات المشرقة فكان أن قامت على أرضه وعلى الأراضي التي خضعت لحكم العرب المسلمين جملة من الحضارات مسّت لجوانب الاجتماعية، الاقتصادية، القيمية والدينية، لكنه وفي نفس الوقت نجده تاريخا حافلا بالفتن والثورات والأحقاد التي كانت إما بفعل تعصب للعرق أو الأصل أو المذهب استئثارا بالحكم وحب السيطرة والتوسع على حساب الغّير، فأثّرت على أوضاعه السياسية والحضارية وأفضت الى انتهاء وأفول دول وحضارات عربية اسلامية إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وإن كان ابن خلدون يرى في ذلك حتمية تاريخية عبر نظريته المسماة بالتعاقب الدوري للحضارات، فكل تلك الأسباب مجتمعة أسهمت في كبح وتيرة تطوره الحضاري، وهو اليوم يعيش حالة من الركود في ظل النهضة أو الهبّة الحضارية التي تكاد تكون عالمية.

هناك من الفلاسفة من يرى بأن عامل الدين يعد من أهم الأسباب التي أدت الى التحجر أو الجمود الحضاري العربي وخاصة في العصر الحّديث، وعلى رأسهم أرنست رينان الذي يقول بأن الشرط الوحيد لتحقيق الحضارة والتقدم لديهم–اي العرب والمسلمون– هو موت الاسلام ميتافيزيقيا والقضاء عليه في هذه البلاد، بينما نجد هيجل يردّ سبب تلاشي الحضارة العربية والإسلامية وغيابها عنهم في العصر الحديث إلى خمود الدين في نفوس أصحابه شيئا فشيئا وحلول أقبح الأهواء محل الحماس الذي زرعه فيهم.

إن الواقع المرير الذي يعيشه الوطن العربي حاليا يجسد ويؤكد بنسبة كبيرة ما نظّر له بعض فلاسفة ومفكري الغرب، إلى درجة ذهب فيها البعض إلى القول بأن العرب عنصر أو شعب غير قابل للتحضر والتطور وخاصة في الجوانب المادية، ومن خلال هذا العرض سنحاول استنطاق التاريخ العربي للرد على هذه المزاعم إما تفنيدا أو تأكيدا من خلال الاشكالية التالية :

ماهي الأسباب الحقيقية للانتكاسة الحضارية العربية؟ وماعلاقة العرق والدين بذلك؟ وكيف يمكن استغلال هذا الرصيد التاريخي (من الاشعاع والإخفاقات) في تحقيق اقلاع حضاري عربي؟

وقد اعتمدنا في بلوغ مرامي البحث على المنهج التاريخي الوصفي للوقوف على المحطات الهامة في تاريخه واستنتاج اسباب القوة والإخفاق.

التحديد الجغرافي والاصطلاحي للعالم العربي:

إن محتوى الموضوع المطروح للبحث يتطلب منا تحديد الموقع الجغرافي للعالم العربي، وبيان المعنى الدقيق للمصطلح، فقد اتسع مدلول لفظة العرب خاصة خلال القرون الثلاثة التي تلت ظهور الإسلام، ففي الأزمنة القديمة التي سبقته– أي الجاهلية– كان سكان شبه الجزيرة العربية شعبان: أحدهما كان معظمه من القبائل الرّحل المتنقلين في البلاد الممتدة من نهر الفرات حتى الحدود الجنوبية للحجاز، والآخر يحيى معظمه حياة مستقرة في مرتفعات الجنوب ببلاد اليمن وحضرموت.

أما لفظ –عرب– في معناها السّلالي الاثنوغرافي فيطلق على الشعب الأول والذي هُجر اليوم، وأصبحت لفظة عرب وعبارة العالم العربي تستعملان في مجال توسع كثيرا(.([1]

لم تكد تمضي مائة سنة على وفاه النبي محمد صلعم حتى تشكلت امبراطورية عربية مترامية الأطراف، امتدت من شبه الجزيرة الايبيرية– اسبانيا– غربا على طول السواحل الجنوبية للبحر المتوسط إلى ضفاف نهر السند وبحر آرال في الشرق، ورغم مصاعب الفتوحات وعدم استقرارها إلاّ أنها حفظت نفسها في نطاق هذه الحدود المترامية زمنا طويلا كان كافيا ليطبعها بطابع عربي قار، وسجل الحكم العربي فصلا رائعا في تاريخ الإنسانية ولم تكن عظمة العرب في عملية الفتح فقط، بل في منحهم تلك البلاد حضارة جديدة اصطبغت بالصبغة العربية، فأصبح سكان تلك المناطق يكتسبون اللغة العربية بالتدريج حتى حلّت محل لغاتهم الاصلية واختلط الدّم العربي بدمائهم نتيجة عمليات التزاوج(.([2]

إذن فالعالم العربي اليوم هو الأقطار التي استمر تأثر الكثرة الغالبة من سكانها بتلك المؤثرات الثقافية والاجتماعية، وبذلك لا تدخل فيه اسبانيا وجزر البحر المتوسط، لأنها حلّت بها قوى أخرى طمست آثار التعريب الذي طغى عليها، كما لا تدخل فيه بلاد فارس وتركيا وأفغانستان وجميع البلاد التي تقع خلف السند ونهر جيحون حيث لم تكن العربية لغة قومية.

مع أننا نجد ابن خلدون في مقدمته يحصر العرب في سكّان الصحاري في قوله:((إلاّ انّ العرب أبعد نجعة وأشد بداوة، لأنهم مختصون بالقيام على الابل فقط)) وأنهم أكثر توحشا من أصحاب المدن لما تتطلبه حياة الرعي وقساوة الطبيعة ([3])، وبذلك فهو يقصد سكان شبه جزيرة العرب وما تاخمها من الأراضي.

فهو تلك السلسلة المتصلة من الاقطار الممتدة من شواطئ الاطلسي غربا على طول الساحل الجنوبي للبحر المتوسط إلى حدود بلاد فارس شرقا، أي ساحل إفريقيا الشمالي من مراكش الى مصر ثم بلاد الشام والعراق ثم شبه جزيرة العرب(.([4]

مفهوم الحضارة : تعددت التعريفات التي خصّت الحضارة، فهي في اللغة العربية تعني الإقامة في الحضر بخلاف البداوة التي تعني الإقامة في البوادي، ومع أن استعمال هذا اللفظ قديم، فإن أول من أطلقه على معناه القريب هو عبد الرحمن بن خلدون وذلك حين ميّز بين العمران البدوي والعمران الحضري، وجعل أجيال البدو

---

[1] .جورج انطنيوس،(1987) يقظة العرب ،دار العلم للملايين، بيروت، ص72.

[2] . نفسه، ص–83–84.

[3] .عبد الرحمن بن خلدون، (1998) المقدمة، دار الفكر، بيروت، ص126.

[4] . جورج انطنيوس، المرجع السابق ، ص 77.

والحضر طبيعة في الوجود، وأنّ البداوة هي أصل الحضارة، والبدو أقدم من الحضر([5])، وأن خشونة البداوة قبل رقة الحضارة، فنجد التمدّن غاية للبدوي يجري إليه([6])، ويعرّف البدو بالمقتصرين على الضروري في أحوالهم، العاجزون عما فوقه، وأن الحضر هم المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم(.([7]

وحسب مالك بن نبي فإن الحضارة في العصر الحديث تأخذ معنيين: الأول موضوعي مشخص، والأخر ذاتي مجرد، أما الأول فهو إطلاق لفظ الحضارة على جملة من مظاهر التقدم الأدبي والفني والعلمي والتقني التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات متماثلة، فنقول الحضارة الهندية والحضارة العربية والحضارة الأوروبية، وهي بهذا المدلول متفاوتة فيما بينها، ولكل حضارة نطاقها وطبقاتها ولغاتها(.([8]

أما الحضارة بالمعنى الذاتي المجرد فتطلق على مرحلة سامية من مراحل التطور الانساني المقابلة لمرحلة التوحش والهمجية، أو تطلق على الصورة الغائية التي نستند اليها في الحكم على صفات كل فرد أو جماعة، ومنه فإن الفرد المتصف بالخلال الحميدة المطابقة لتلك الصورة الغائية كان متحضرا، وأنّ الجماعات أيضا تتفاوت في درجة التحضر بحسب قربها من هذه الصورة الغائية أو بعدها عنها(.([9]

وللحضارة رموز تعرف بها وروائز تقاس عليها، وأهمها الجانب الانساني والروحي والأخلاقي، فالفراغ الروحي الكبير الذي تعانيه مدنية الغرب والنظرة المتدنية للإنسان خارج ديارهم جعل المادة تفترس كل شيئ كما ان التقدم العلمي المادي لوحده قد يشبع حاجات الأجساد ولكنّه لا يطفئ ظمأ النفوس على غرار ما يحدث حاليا في دول أوروبا والولايات المتحدة، إذ صحب التقدم العلمي تأخر حقيقي وانحطاط مريع في الأخلاق(.([10]

ان المعيار السليم الذي يجب أن تقاس عليه وبه مستويات التحضر للأمم هو النظرة للإنســان وموقعه ومكانته في اطار هذه الحضارة وفي اطار الفلسفة السياسية والاجتماعية السائدة، وهذا ما تفتقده مدنية القرن العشرين والواحد والعشرين التي أصبحت المظاهر العمرانية والإنتاج بكل أنواعه هو كل همها .

مقولات الركود والتحجر الحضاري العربي: لقد دار في أوائل القرن العشرين جدل حول الحضارة العربية الاسلامية وآثارها في أوروبا، ومن بين أولئك الذين مثّلوا أدوات لذلك نجد أميريكو كاسترو وسانشيث البورنوث،

---

[5] . جيلالي بوبكر،(2010)، البناء الحضاري عند مالك بن نبي، دار المعرفة، باب الواد، الجزائر، ص34.

[6] . رأفت غنيمي الشيخ،(1988) فلسفة التاريخ، دار الثقافة والنشر والتوزيع ،القاهرة، ص50.

[7] . عبد الرحمن بن خلدون، المرجع السابق، ص127.

[8] . جيلالي بوبكر،المرجع السابق، ص35.

[9] . جيلالي بوبكر،المرجع السابق، ص35.

[10] . شوقي ابو خليل، (2002) الحضارة العربية الاسلامية وموجز عن الحضارت السابقة، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان–دار الفكر دمشق –سورية، ص9.

فإن كان الأول يرى بأن إسبانيا التي نعتبرها نحن المسلمون منفذا للتأثيرات العربية الاسلامية نحو غرب أوروبا خاصة مدينة للحضارة العربية، فالثّاني يرى أن المسلمين هم السبب الذي أدى إلى تخلفها عن بقية بلدان أوروبا(.([11])

ربما يصدق قول هذا الأخير إذا نظرنا الى آثار انسحاب المسلمين من المنطقة تحت ضربات حروب الاسترداد ومحاكم التفتيش التي طالت بقايا المسلمين في الأندلس عامة وفي غرناطة بصفة خاصة، والذي أحدث فراغا ونكوصا كبيرا في جميع الميادين وخاصة في الميدان الاقتصادي نظرا لهجرة الأفراد وهجرة خبراتهم معهم والتي أفادوا بها بلاد المغرب التي كانت وجهة لهم فأثّر ذلك سلبا على المنطقة .

كما نجد أعداء الحضارة العربية والناكرين لتاثيراتها في أوروبا واسبانيا خاصة يصورون المنطقة قبل الفتح الاسلامي منطقة مزدهرة في جميع المجالات وخاصة في المجال الفكري والعمراني، وأن الناس هناك كانوا يستمتعون برخاء ظاهر في كل نواحي الحياة، وأن الزراع والصناع عاشوا في رفاهية لا يكاد الحكام يعسفونهم في شيء، وأن موارد البلاد كانت في ازدياد، وأن العصر على العموم كان عصر نهضة اسبانية مسيحية ([12])، وهذا حتى لا يتضح أثر الحضارة العربية الذي لاينكره إلا جاحد، ونجد رينهارت دوزي يفنده بقوله: أن اسبانيا كانت وقت أن تطلّعت اليها أنظار المسلمين شديدة الضعف ميسرة تماما على من يغزوها، وأرجع ذلك الى ما كان عليه مجتمعها من وضع مؤلم يتسم بالوهن الذي لم يكن جديدا عليها، بل كان متأصلا فيها منذ وقت بعيد([13])، أي تحت حكم القوط الذين لم يغيروا شيئا كثيرا من أحوال المجتمع الاسباني في العصر الروماني، كما لم تنعم البلاد تحت حكمهم بنصيب كبير من الطمأنينة والرخاء لأن العصر كان عصر فوضى واضطراب في أوروبا كلها(.([14])

وثمة أيضا ما يغري الكثيرين من مؤرخي أوروبا والغرب عموما بعد الكتابة عن غزوات الألمان والسلافيين والمجريين والاسكندينافيين بأن ينظروا الى الفتح العربي لشبه الجزيرة الايبيرية على أنه غزو همجي([15])، ونجد مونتغومري وات يقف ضد ذاك ويقول بأن الاسلام لم ينتشر بالسيف، وأن اليهود والصابئين والنصارى وغيرهم ممن اعتبرهم الاسلام موحدين عوملوا معاملة خاصة باعتبار أن ديانتهم قريبة الصلة

---

[11] . مانويلا مانثاناريس، (2003) المستعربون الاسبان، ترجمة وتقديم جمال عبد الرحمن، لمجلس الاعلى للثقافة القاهرة، ص6.

[12].حسين مؤنس،(1985) فجر الاندلس، الدار السعودية للنشر والتوزيع،جدة، السعودية ، ص21.

[13].رينهارت دوزي، (1994)، تاريخ مسلمي اسبانيا، ترجمة حسن حبشي، مطابع الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، ص27.

[14].حسين مؤنس، المرجع السابق،ص21.

[15]. وات منتغومري،(1983)، فضل الاسلام على الحضارة الغربية، نقله إلى العربية حسين أحمد أمين، دارالشروق، بيروت، ص19.

بالإسلام، ويضيف بأنهم عاشوا في كنف الحكم الاسلامي في أمان وسلام مقابل دفع جزية للحاكم المسلم والتي كانت أحيانا أقل مما كانوا يدفعونه لحكامهم(.[16])

ونجد شارل سنيوبوس أحد أساتذة كلية السربون يؤكد أن الجنس الأبيض يعد من الشعوب المتحضرة إلا قليلا منهم، أي حسبه فان التخلف عند الشعوب البيضاء هو الاستثناء، أما سائر الأجناس فقد ظلوا على حالة الهمجية والبربرية كما كان الناس في زمن ما قبل التاريخ([17])، إنها هجمة كبيرة على الحضارة العربية ليتجرأ – لون وايت– lunn white على القول بتفوق التقنية الأوروبية على التقنية العربية في العصور الوسطى، ورغم عدم وجود دليل قاطع على صدق مقولته إلاّ أنه أصبح مرجعا يعتمد، وتمادى بالقول أن كل انجازات الصين وصلت من شرقي آسيا الى أوروبا مباشرة، ولم ينقلها العرب المسلمون بعد تطويرها وتحسينها(.[18])

ربما يجد أعداء العرب وحضارتهم ما يستندون إليه في التاريخ وخاصة في فترة الجاهلية وبداية الحكم الاسلامي ببلاد المغرب، حيت تميزت بضعف المباني وقلة المدن الكبيرة وانعدام الآثار العظيمة، والذي يعلّله ابن خلدون بسببين أساسيين: يتمثل الأول في أن العرب والبربر من البدو البعيدين عن مواطن الحضارة لم تتح لهم الفرصة لينقلوا هذه الحضارة عن غيرهم من الأمم، وأن الأمم المتحضرة التي حكمتهم لم يطل الزمان بحكمها حتى ينقلوا عنها هذه الحضارة، فبقيت مبانيهم أقرب الى الاكواخ والخيام بل والى الغيران في الجبال.

أما السبب الثاني فيتمثل في الاسلام الذي لم يشجع على هذا النوع من الترف، ودعى إلى ملازمة الاعتدال وعدم الاسراف في البناء إلى درجة البذخ والتبذير، أضف الى ذلك عدم استقرار الدول في بلاد المغرب وقصر عمرها بحيث لا يمكّن الدولة من أن تصل الى العظمة التي تحقق آثار الحضارة(.[19])

ونجد أرنست رينان أشّد الفلاسفة عداء للعرب وحضارتهم يؤكد السّمة الدينية الروحية للأقوام السامية بوصفها رديفا لترديّهم في الجدل العلمي وقصورهم في الحقول العلمية العقلية والمنطقية فيقول بصراحة ((أن الساميين منحوا الآريين أكثر الأفكار الدينية بساطة وسموا، بينما منح الآريون الساميين الأفكار الفلسفية والعلمية التي كانت تنقصهم))، ويتمادى في التعميم الاثني الجارف لدرجة الادعاء بأن الساميين،كما هي عليه الحال في اللغات السامية ليسوا مخلوقات حيوية، ويطور في جدله إلى درجة الادعاء بأن جل أو جميع المنجزات الفكرية والعقلية التي قدمتها الحضارة العربية الاسلامية إنما هي من نتاج المسلمين الآريين الذين أدخلوا الاسلام

---

[16] . وات منتغومري، نفسه ص15.

[17] . شارل سنيوبوس،(1908)، تاريخ الحضارة ، تعريب محمد كرد علي، مكتبة الظاهر، القاهرة ، ص1.

[18]. شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص6.

[19].عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص350–351، عبد الله شريط(1984)، نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص84.

عنوة، ولقد وجد التمييز بين الآرية والسامية صداه عبر المحيط الاطلسي في اعتزاز –رالف والدو امرسون– Emerson بالتراث الرجولي الآري في قوله الشهير ((الدين والشعر هما كل حضارة العرب)).([20])

ونجد المؤرخ جيبونgibbon يقول ((..... شعب قــد لا نجد له أثرا على خارطة العالم، لقد بقي الساراسين –العرب – الذين مدوا فتوحاتهم بين الهند واسبانيا طي النسيان .....حتى نفخ محمد في أجسادهم الخشنة روح الحماسة)) ([21])ففي هذا تقليل من شأن العرب بأنهم قوم همج بعيدون عن التحضر، وأن التحضر الذي حصل كان بفعل الدين، ويوافق هذا رأي رينان بأن العناصر الاسلامية غير العربية هي التي قدمت الانجازات الحضارية، ويأتيه الرد غير المباشر من المستشرقة هونكة في قولها:

((هذا الكتاب يتناول العرب والحضارة العربية ولا أقول الحضارة الإسلامية، ذلك أن كثيرا من المسيحيين واليهود والمزديين والصابئة قد حملوا مشاعلها أيضا، بل أن كثيرا من تحقيقاتها العظيمة الشأن كان مبعثها احتجاجا على قواعد الاسلام القويمة، بل أضف لذلك أن كثيرا من صفات هذا العالم الروحي الخاصة كان موجودا في صفات العرب قبل الاسلام)) (.([22])

دلائل ومظاهر الحضارة العربية:

إن الدراسات المستمرة إلى يومنا هذا تؤكد بكل صدق أن لحضارة العرب و الإسلام فضلا كبيرا وتأثيرا عريضا على الحضارة الاوروبية منذ بدايتها في عصر النهضة، ويستمر هذا التأثير مع كل تطورات وتقدم الحضارة الغربية الاوروبية حتى وقت قريب جدا((23]، ونجد وات منتغومري منصفا للعرب وحضارتهم في قوله بأنه من الواجب أن نقمع بشدة أي ميل إلى تشبيه العرب بأولئك الآخرين، أي الألمان والسلافيين والمجريين، صحيح أن العرب وحلفاؤهم من البربر لم يكونوا وقت الفتح على مستوى أعلى من الغزاة الآخرين الذين كانوا ينتمون الى مجتمعات ذات تنظيم يقوم على أساس قبلي، بينما مثل العرب امبراطورية باتت خلال القرن أو القرنين التاليين صاحبة أعظم حضارة وثقافة في تلك المنطقة الشاسعة الممتدة من المحيط الأطلسي إلى افغانستان (.([24]).

---

[20] . محمد الدعمي،(2008) ،الاستشراق –الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الاسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ص 62–63.

[21] . محمد الدعمي،المرجع السابق، ص34.

[22]. زيغريد هونكه،(1993) شمس العرب تسطع على الغرب،نقله عن الالمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة مارون عيسى الخوري، دار الجيل –دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص13.

[23]. أحمد الشامي، محمد عبد العظيم أبو النصر،(2006–2007)، الحضارة الاسلامية انتشارها تأثيرها في الحضارة الأوروبية، المهندسين، مصر، ص199.

[24]. وات منتغومري، المرجع السابق، ص19.

ونجد هونكة تقول بأنه وعلى الرغم من ذلك –أقولها بمرارة –فان الناس عندنا لا يعرفون إلا القليل عن جهودكم الحضارية الخالدة ودورها في نمو حضارة الغرب، لهذا صممت على كتابة هذا المؤلف، وأردت أن أكرم العبقرية العربية وأن أتيح لمواطنيّ فرصة العود الى تكريمها،كما أردت أن أقدم للعرب الشكر على فضلهم، الذي حرمهم من سماعه طويلا تعصب ديني أعمى أو جهل أحمق(.[25]

ويقول جورج انطنيوس أنه في القرنين اللذين سبقا ظهور المسيح كانت بعض القبائل العربية تحكم في حمص و الرّها وفي البلاد المتاخمة لساحل البحر الأبيض المتوسط، بل شهد القرن الثالث الميلادي قيام مملكتين عربيتين مزدهرتين في تدمر والحيرة، وفي القرن السابع الميلادي لما جاء الفاتحون العرب تحت راية الاسلام ومزودين بقوة روحية،لم يستطع أن يقف شيء في طريق تلك القوة فانهار النظام القديم للحضارات ذات الأصول المتعددة اليونانية والآرامية في بلاد الشام، والساسانية في العراق واليونانية القبطية في مصر، وفسح المجال للعقيدة الجديدة([26])، وفي هذا اعتراف واضح وصريح بعراقة الحضارة لدى الجنس العربي.

ثم تردف زيغريد قائلة: فقد شاء القدر الذي صنعه العرب بأيديهم ان تكون امبراطوريتهم مسرحا لحضارة مادية باهرة وثقافة علمية فكرية زاهرة وشاء لها موقعها الجغرافي أن تكون مركزا اساسيا للتجارة العالمية، ففيها كانت تصب الطرق التجارية الكبيرة التي تصل الغرب بالشرق والشمال بالجنوب طاوية في أضلاعها المسافات الشاسعة ولافّة الدنيا لفّا موصلة بضاعة العالم على ظهر قوافل الحمير أو الجمال إلى أقاصي الأرض ...([27]).

ولا عبرة بما يقال بشان العرب قبل الاسلام وما يروى من فتوحات لهم وما ينوه به من أخلاق عظام في الجاهلية فهذه قد كانت ولا تزال آثارها ظاهرة ولا شك في مدنية العرب القديمة، وأنها من أقدم مدنيات العالم ومما يرجح ذلك أن الكتابة بدأت عندهم، ولكن دائرة تلك المدنية كانت مقصورة على الجزيرة وما جاورها (. ([28]

لقد بلغ العرب درجة كبيرة من الترف الحضاري لدرجة التكاثر المادي، فبينما كان عبد الحكم بن عبد الرحمن الناصر يناضل من أجل تكوين أعظم مكتبة عرفها العالم كله تتكون من أربعمائة ألف مجلد كان والده عبد الرحمن الناصر يتجه بفكره الى طريق آخر كان يراه الأصح لبلوغ المجد والعظمة ويراه الترجمة المعبرة عن

---

[25]. زيغريد هونكه، المرجع السابق، ص9 .

[26] . جورج انطنيوس، المرجع السابق، ص84

[27] . هونكة زيغريد، المرجع السابق، ص320.

[28] . شكيب ارسلان، (1349)، لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم، مطبعة المنار، مصر، ص9.

الواقع الرائع الذي تعيشه الأندلس في عهده في ظل تنوع ووفرة مصادر الثروة المادية بالمنطقة وشساعة المساحة(.([29]

ففي الوقت الذي كانت قرطبة تزهو بشوارعها الممتدة أميالا عديدة مبلطة ومضاءة بالمصابيح العامة لم يكن في لندن مصباح عمومي واحد، وكانت جامعة أكسفورد في انجلترا تعتبر الاستحمام عادة وثنية ([30])، ويقول المقري التلمساني في ذلك :((ان العمارة اتصلت في مباني قرطبة والزهراء الزاهرة، بحيث أنه كان يمشى فيها لضوء السراج المتصلة عشرة أميال))(.([31]

وفي المقابل لأولئك الغرب المنكرين على العرب حضارتهم نجد منهم المنصفين لهم أمثال ارفنغ صاحب مقولة–أيتها الأندلس أرى فيك أمريكا– و الذي أصبحت له نظرية في الوجود العربي الاسلامي في اسبانيا، فيقول: جثمت القرون الثمانية التي شهدت بقاء العرب المسلمين في شبه الجزيرة الايبيرية على الذاكرة الجماعية الغربية بشكل مؤلم، فهي تذكير مستديم بتخلف أوروبا العصر الوسيط، وهاجس وسواسي لما تكمن عليه الحضارة العربية الاسلامية من طاقات خزينة مستقبلية، فعبر تاريخها برمته لم تتعرض أوروبا لسيطرة أجنبية بمثل هذا التواصل الزمني غير المنقطع و التفوق الحضاري الواضح، كما لم تشعر بالهوان والتراجع مثلما عاشته ازاء ثقافة دخيلة عليها علمتها ما ضاع منها من علوم القدماء وزادتها مما أبدعه العقل العربي والمسلم(.([32]

ان العرب في اسبانيا تركوا ما يشهد لهم بالحضارة المادية والروحية، فمن يزورها الآن وتبهره قلعة تاكزار (القصر) في اشبيلية أو قصر الحمراء في غرناطة سيكوّن فكرة عن الحياة الرغدة التي كان يحياها الناس في الماضي ([33])، وهذا دليل قاطع على الحضارة، لأن الترف مظهر من مظاهر الحضارة، وللأسف سبب من أسباب زوالها حسب ابن خلدون في نظرية التعاقب الدوري للحضارات(.([34]

إن الحضارة العربية الاسلامية رغم ما حققته من انجازات مادية وروحية لا زالت تشهد عليها الى يومنا هذا في مناطق مختلفة من العالم، لكن رغم ذلك فإنها لم تنصف من قبل الغرب وحتى من طرف بعض العرب

---

[29] .عبد الحليم عويس، (1994)، التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس، دار الصحوة للنشر والتوزيع –القاهرة، مصر ، ص5–6.

[30] – محمد بشير حسن راضي العامري، (2012)، مظاهر الابداع في التاريخ الأندلسي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان الاردن، ص62.

[31] . أحمد المقري التلمساني،(1988)، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، ج 1، ص456.

[32] . محمد الدعمي، المرجع السابق، ص153.

[33] . وات منتغومري، المرجع السابق، ص37.

[34] .أحمد محمود صبحي،(1975)، في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية،الإسكندرية، مصر، ص141.

والمسلمين، الذين راحوا يشيدون بما أنجزه الهنود والصينيون، وكذا في حديثهم عن المعجزة اليونانية[35]، ان الحضارة العربية التي قامت على ضفاف الأنهار كالمصرية على النيل والبابلية ببلاد الرافدين القديمة أقدم منها وتعد نواة لها وللعديد من الحضارات الأخرى، كما إن قصر الزهراء الذي اشتغل في بنائه عشرة آلاف رجل وثلاثون ألف دابة وزعموا أن له خمسة عشر ألفا وأربعة آلاف سارية جلبت من اليونان وايطاليا وإفريقيا وغيرها، والإيوان الأوسط كانت سواريه من المرمر والحجر الشفاف، وكانت رؤوسها مرصعة باللؤلؤ والياقوت وجريد سقفه من الذهب والفضة، وجدرانه وقبته من العقيق اليماني ([36])وأمورا اخرى تدهش لها عين الإنسان لانجازات تجعلنا نفخر بما قدمه العرب وتحفزنا على الاقتداء بهم.

نعم ما ترك العرب المسلمون مجالا إلا وأبدعوا وابتكروا فيه، ففي علم الجغرافيا أبدعوا في رسم المصورات الجغرافية التي زاروها أو عرفوها، ورسموا المصورات للبحار التي جابوها ووضعوا المعاجم الجغرافية التي ما زالت معتمدة الى يومنا هذا وطوروا الاسطرلاب وعرفوا كروية الأرض وقاسوا ابعادها بدقة (.([37]

وفي العلوم الكونية ظهر عدد من الأطباء العرب المسلمين الذين ساهموا في النهضة الطبية وأشهرهم سنان بن ثابت رئيس اطباء بغداد، وأبو بكر محمد بن زكرياء الرازي الذي يعد من أئمة صناعة الطب الذي كتآب اللاتينية رازيس –rhazes– الذي تولى رياسة البيمارستان المقادري في بغداد وابن سينا الذي له عند الأوروبيين مكانة رفيعة واشتغل بالعلم الطبيعي والإلهيات، ثم درس علم الطب فكان المرجع في الفلسفة والطب والعلم الطبيعي.

وفي مجال الكيمياء والصيدلة شغلت فكرة تحويل المعادن الخسيسة الى معادن ثمينة خالد بن يزيد الاكوي، فتحمس الكثيرون لإجراء التجارب الكيميائية فيما عرف بعلم الصنعة، فبرز من أعلام الكيمياء والصيدلة جابر بن حيان الكوفي الذي بلغت تصانيفه مائتان واثنين وثلاثين كتابا ترجم قسم منها الى اللاتينية وهو اول من استخرج زيت الزاج او حامض الكبريتيك (.([38]

كان أطباء العرب أول من وصف القهوة كدواء للقلب، كما كانوا أول من وصفها بشكلها المطحون الناعم كعلاج لالتهاب اللوزتين والجروح الملتهبة، ووصفوا الكافور لإنعاش القلب وغير ذلك، ووصفوا التمر الهندي وعود الند وغير ذلك كأدوية خفيفة الوطأة ومحببة الى النفوس بدل الوصفات القوية التقليدية التي كان يصفها الأطباء اليونانيون علاجا ضد التقيؤ والإسهال والتي كانت تترك غالبا أثرا خطيرا للغاية في جسم

---

[35] . شوقي ابو خليل، المرجع السابق، ص99.

[36] .عبد الحليم عويس ،المرجع السابق، ص5.

[37] . شوقي أبوخليل، المرجع السابق، ص499.

[38] شوقي أبوخليل، المرجع السابق ، ص511–521.

المريض، وهذه امثلة بسيطة من كم هائل لا يمكن حصره في هذا البحث نختمه باعتراف لوبون الذي قال:((ومن المسلمين في الاندلس تعلمت أوروبا أيضا قواعد الفروسية وتقاليدها وخصالها العشر، الصلاح والكرامة ورقة الشمائل والقريحة والفصاحة والقوة والمهارة في ركوب الخيل والقدرة على استعمال السيف والرمح والنشاب))[39].

معوقات التحضر العربي: إن لتخلف العالم العربي ما يبرره تاريخيا وخاصة في العصر الحديث الذي شهد اختلالات في موازين القوى السياسية والعسكرية والحضارية، فالدولة العثمانية التي اخضعته لسيطرتها تحت ذريعة حمايته من الغزو الصليبي الاسباني والبرتغالي خاصة، فرضت عليه العزلة وحرمت شعوبه من الاتصال بالحضارة الأوروبية الناهضة بدعوى الخوف على تلك الأقطار من الأطماع الاستعمارية، فإذا كانت تلك الاقطار قد استفادت ببقائها بعيدة عن تلك الاطماع قرابة الثلاثة قرون، فان العزلة التي عاشتها قد جعلتها تتخلف مئات السنين عن البلدان الاوروبية الناهضة رغم ان هناك من يرى بان العرب هم من رفضوا تقبل كل ما يأتي من الغرب المسيحي الملحد(.)[40]

نعم لقد لبث الوطن العربي ما يزيد عن ثلاثة قرون تحت النفوذ العثماني بغض النظر عن طبيعة هذا النفوذ الذي يراه البعض حماية كما هو الحال بالنسبة لأهل المغرب، واحتلالا بالنسبة للمشارقة، وهذا ما كان له أثره البالغ عليه في هويته ولغته وثقافته ومساره وطابعه الحضاري، وخاصة في المرحلة الاخيرة من مراحله التي تسلمت مقاليد الحكم فيها جمعية الاتحاد والترقي وتعاظمت إبانها حركة التعصب الطوراني ضد العروبة وتم ارتكاب جرائم الاعدامات بحق الوطنين العرب وغيرهم، هذه الفترة التي لم تتعد الثماني سنوات (1908-1916) لكنها طبعت التاريخ العثماني برمته في الأذهان بالصور الدموية من جور وعسف وإعدامات وفظائع (.)[41]

ولم يخرج الوطن العربي من ربقة الوجود التركي إلا ليدخل تحت سيطرة من نوع جديد إما لبلادة أوسوء تقدير كما حدث في شبه الجزيرة العربية والمشرق العربي عموما حينما أعلن العرب الحرب ضد الأتراك الى جانب الانجليز في الوقت الذي كانت تحاك ضدهم أسوء اتفاقية أو مؤامرة وهي سايكس بيكو 1916م التي قسّمت المشرق العربي إلى مناطق نفوذ والتي ما تزال تداعياتها مستمرة الى يومنا هذا، فدخل تحت الانتداب الأوروبي ومغربه إما تحت الاستعمار الاستيطاني أو تحت الحماية والذي عمل على طمس كل معالم الشخصية العربية الاسلامية وربطه اقتصاديا وسياسيا وثقافيا به، ومن مظاهر هذه التبعية سياسيا أنظمة الحكم الفاسدة

---

[39] . محمد بشير العامري، المرجع السابق، ص62.

[40]. هاميلتون غب وهارولد باون، (2012)، المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة ودراسة أحمد ايبش، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي،ج1، ص26.

[41]. نفسه، ص28.

المستبدة التي حكمت تلك البلاد بعد الاستقلال، وأبدت ولائها للكرسي بدل الوطن، لتصبح أداة طيعة في يد الاستعمار أو الامبريالية العالمية المستأثرة بخيرات البلاد العربية، ورغم انتقال العالم إلى الانظمة الديموقراطية الحرة إلا أن البلدان العربية ظلت متمسكة بتلك الأنظمة البالية رغم أنها أعلنت في وقت متأخر الانتقال نحو الديمقراطية والتعددية، فلم تتغير سوى التسمية والدليل على ذلك تمسك رؤسائه بكرسي الحكم إلى غاية الوفاة أو الاعتقال، ثم توريث السلطة لتقتل في النفس كل المحاولات الابداعية أو التنموية، بدليل هجرة الأدمغة العربية الى عالم الشمال ونجاحها هناك.

أن التنمية حسب روجرز وبمفهومها الشامل هى أسلوب للتغير الاجتماعى يسمح من خلاله للأفكار الجديدة أن تنتشر داخل النظام الاجتماعي بهدف تحقيق عائد مادى أكبر أو تحسين المنظمات الاجتماعية، وهذا ما لم يتحقق ولم يسمح له بالبروز على أرض الواقع لأنه حتى وإن أعلن عن اصلاحات أو تغييرات فهي في مجملها شكلية تفتقد الى الروح الاصلاحية الصادقة .

إن الحضارة ظاهرة إنسانية تتشكل من الانسان والتراب والوقت، فإذا كانت مشكلة الانسان في الحضارة من حيث عناصرها وشروط بنائها وأسباب هدمها فان هذه القضايا تطرح تساؤلات ترتبط بالإنسان والتراب والوقت من جهة، وبالمحيط الذي يعيش فيه الانسان من جهة أخرى، وهو يختلف من مكان لآخر ومن مرحلة تاريخية لأخرى (.[42])

كما أنه لابد من عوامل خارجية مستثيرة، حينئذ تصبح هذه العوامل ظروفا ملائمة لميلاد حضارة جديدة، اذ تنبثق فجأة وتستيقظ فيها روح جديدة زاخرة بإمكانيات خصبة وتخرج الى حيز الوجود في بيئة يكون ما حولها في فوضى مطلقة فتمتد في خطوط رائعة في شتى المجالات من لغة ودين وعلم و فن(.[43])

على أنّه يحدث أحيانا حينما تتلاقى حضارتان وتكون احداهما أشد قوة ولكن الأخرى أعظم ابداعا وأكثر عراقة أو على الأقل مساوية لها أن تضطر المهزومة لان تتلاءم ظاهريا مع الحضارة الغالبة ما دامت لا تستطيع أن تنمو معبرة عن طبيعتها الخالصة وتتشكل مظاهر هذه الحضارة في القوالب الفارغة الي فرضتها عليها الحضارة الاجنبية([44])، هذا ما تعيشه البلاد العربية فهي تكتسب مظاهر التحضر بنسبة كبيرة، لكنها ليست أصيلة بل مستوردة، نعم لقد فرضت الحداثة على العربي من الخارج، وهذا مصدر الكثير من المشكلات التي يعاني منها،

---

[42] . جيلالي بوبكر، المرجع السابق، ص64.

[43] . أحمد محمود صبحي، المرجع السابق، ص254.

[44].نفسه، ص254.

ومن بينها كونه موزع بين التاريخي والمقدس ومحاولاته التوفيق بينهما، والتي لم تؤد سوى الى تشويهها، فقوة ايمانه تجعله يعتبر الحداثة التي تمتزج فيها اسهامات الآخر بالصراع معه مروقا(.[45])

نعم لقد عاش العالم العربي فترة استعمار طويلة تخللتها جملة من الحروب التحريرية، وبعد استقلال جل دوله لم تنته بل زادت حدّة ، سواء من طرف الدول الامبريالية كما حدث مع العراق في حرب الخليج أو الدول العربية فيما بينها أو بين شعب الدولة الواحدة بإثارة خارجية للنّعرات الاثنية أو بدعوى بلوغ الانظمة الديمقراطية وهذا ما يقضي على كل الانجازات الحضارية ويعيق أي تقدم، وهنا نجد توينبي يؤكد أن الحرب هي السبب الرئيسي لانهيار الحضارات والمجتمعات وأن مصير المعتدي هو الفناء(.[46])

وتجري الآن في أنحاء العالم خارج أوروبا والعالم الغربي صراعات ثقافية وعملية تحوّل بما في ذلك الوطن العربي طبعا، والتي يرى البعض بأنها لا تتم إلا داخل سياق دولي حددته أوروبا التي كانت منذ الحقبة الكولونيالية والامبريالية هي مصدر المنافسة الثقافية والاقتصادية على نطاق العالم، وكذا مصدر قمع وتهجين ودفع بقية العالم قسرا الى الحافة([47])، لتستمر هيمنتها ويبقي العالم الثالث والعربي سوقا لجلب وتصريف المواد الاولية والسلع.

إمكانيات الاقلاع الحضاري: إن التنمية في مفهومها العام هي مجموعة من الوسائل أو الطرق المستخدمة لتوجيه جهود الأهالى مع السلطات العامة من أجل تحسين مستوى الحياة العامة من النواحى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى المجتمعات قصد اخراجها من عزلتها والمشاركة الإيجابية فى الحياة القومية والمساهمة فى تقدم الأمة .

يعتبر ابن خلدون ان العمل أساس الإنتاج والإنتاج أساس للتحضر، فان العمل في الأرض وما يرتبط بها من صناعات يستتبع الاستقرار بعد ترحال، فقد كان الانسان في بداوته متنقلا من منطقة لأخرى وباتجاهه إلى استغلال الأرض فقد اتجه الى الاستقرار الذي يعتبر أول أسس التّحضر، اضافة الى الحكومة القوية التي تعتبر أساسا مهما من أسس التحضر لأن الانسان المستقر يحتاج الى التنظيم والحماية حتى يطمئن على ثمار عمله فيزيد من انتاجه([48])، والقاعدة العامة تقول أن عناصر التحضر وشروطه موجودة لدى كافة الأمم والشعوب،

---

[45]. محمد اليعقابي،(1986-1987)، فلسفة الحضارة عند جاك بيرك، رسالة ماجستير،معهد الفلسفة،الجزائر 1986-1987، ص114.

[46]. رأفت غنيمي الشيخ(1988)، فلسفة التاريخ، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، ص179.

[47]. ديتر سينغاس،(2008)، الصدام داخل الحضارات، ترجمة شوقي جلال، دار العين للنشر، الاسكندرية ، ص41.

[48]. رأفت غنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص56-57.

لكن استثمار هذه الشروط والعناصر والتأليف بينهما أمر يحتاج إلى شرط خاص يتمثل في التحدي عند توينبي))[49]،

لأن إنشاء أي حضارة يعني وجود التحدي، أي وجود ظروف صعبة تواجه الانسان في بنائها، وعلى قدر مواجهة الانسان لهذه الظروف تكون استجابته، إما ناجحة إذا تغلب عليها، أو استجابة فاشلة اذا عجز عن التغلب عليها، فتوينبي يري أن الظروف الصعبة التي تتحدى قدرة الانسان وتستحثه على العمل لتكوين الحضارة تتمثل إما في بيئة طبيعية تستحثه على تغيير موطنه وخاصة اذا كانت قاسية أو جديدة فتمثل تحديا يحرك قوي الإبداع في الإنسان، وهذه الامور كلها موجودة في الوطن العربي، أما الذين عزفوا عن تغيير موطنهم أو تعديل طريقة معيشتهم فان الانقراض هو جزاء إخفاقهم في الاستجابة لتحدي الجفاف خاصة، وخير مثال لذلك تعمير الأرض الامريكية على يد المهاجرين، أو تحدي الوسط أو الظروف البشرية المتمثلة في عدوان خارجي من دولة مجاورة أو جماعة بشرية، وكمثال على ذاك غزو الحضارة الهلينية الذي أدى فيما بعد الى إزاحة الاسلام لها من سوريا ومصر، ثم القضاء على الدولة الرومانية الشرقية(.[50])

ان تعاون العمال وكثرتهم يضاف إليه النظام المحكم أو ما يسميه ابن خلدون ب–الهندام– هما سبب ما تركته الدول الكبيرة من الآثار العظيمة والمباني الخالدة التي قد تعجز دول أخرى حتى عن هدمها بالرغم من أن العملية أسهل من البناء([51])، والتي حينما يقف أمامها بسطاء الناس لا يستطيعون تعليلها فيلجئون حينها الى الاسباب الخرافية([52])كقولهم بأن من بناها عمالقة كما قيل بخصوص الاهرامات أو الجن بالنسبة للأسبان لما دخلوا قصور المسلمين في الأندلس وبالخصوص قصر الحمراء.

ان ما ينقص العرب هو التمسك بدينهم وثوابته للعودة إلى دروب الحضارة، فتجد توينبي غير المسلم يعترف بأن جميع أشكال الاستجابة لم توفق، لأن استجاباتها كانت من صنف تحدياتها حتى جاء الاسلام وانتصر على هذا التحدي الهليني وأعطى الشام حضارة عالمية في شكل الخلافة الأموية ثم الخلافة العباسية من بعدها انهيار الكيان الهليني (البيزنطي) امام تلك القوة الفتية([53])،اذن فالتمسك بالدين ليس من معوقات التحضر العربي.

---

[49]. جيلالي بوبكر، المرجع السابق،ص50.

[50]. رأفت غنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص177.

[51].مثال ذلك حين اراد المأمون هدم اهرامات مصر فجمع لها الرجال والفعلة فانتهوا الى جو بين الحائط الظاهر وما بعده من الحيطان وهناك توقفت عملية الهدم . عبد الله شريط، المرجع السابق، ص83.

[52].عبد الله شريط، المرجع السابق، ص 81.

[53]. رأفت غنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص179.

إن العرب بإمكانهم الانتقال من الوضع الذي يعيشونه (مرحلة النقل) مع أنه لا يستطيع أحد أن يقدح فيها على حد ما قال شكيب أرسلان:((فأما ما ترجمته حضارة الاسلام من كتب وما أخذته عن غيرها من علوم وما أفادته في فتوحاتها من منازع جميلة وطرائق سديدة فلا يقدح ذلك في بكارتها الإسلامية ومسحتها العربية، لأن هذا شأن الحضارات البشرية بأجمعها، أن يأخذ بعضها عن بعض ويكمل بعضها بعضا، وكان نابليون الأول لشدة دهشته من تاريخ الاسلام يقول في جزيرة سانت هيلانة :إن العرب فتحوا الدنيا في نصف قرن لا غيره( ).[54]

فعلا أن نظرة هيجل تتوافق مع نظرة ابن خلدون في سر تحضر العرب أو افول حضارتهم في قوله ولا يؤهل القبيلة للقيام بالفتح والتغلب على الامصار شيء كالاستناد الى مبدأ ديني أو دعوة سياسية، إذ يدفعهم الايمان بالدين أو المذهب الى البذل من أجل تحقيق غايتهم فضلا عن أنه يُذهب التنافس ويزيل الاختلاف فيحصل التماسك([55])، ويكفينا هنا ما اقره بعض مفكري الغرب من خلال اعترافاتهم في حق هذه الحضارة بداية برينان الفيلسوف الفرنسي الذي قال:((انني لم ادخل مسجدا من غير أن أهتز خاشعا، أي من غير أن أشعر بشيء من الحسرة على أنني لست مسلما))(.[56])

يجمل توينبي أسباب انهيار الحضارة في إخفاق الطاقة الابداعية في الاقلية المبدعة التي تصاب بالعقم والقصور لتتحول الى مجرد أقلية مسيطرة فتعدل الأغلبية عن بذل الولاء لها والابتعاد عن السير ورائها ومحاكاتها في أعمالها، ويتلو تضعضع تلك العلاقة انهيار وحدة المجتمع الاجتماعية، كما يرى أنه من الناحية المثالية على كل طاقة اجتماعية جديدة تطلقها الأقليات المبدعة أن توجد نظما جديدة تستطيع بواسطتها تأدية رسالتها في المجتمع الذي تتولى قيادته، فإن فرض وعجزت الأقلية المسيطرة عن انجاز رسالتها وأصرت على استخدام القوة الغاشمة التي اثبتت التجارب فسادها وضررها بالمجتمع ليتبع ذلك تفكك النظم القائمة ( ).[57]

ان ما ينقص العرب اليوم هو عملية تجديد حضاري، والذي هو عبارة عن فاعلية بشرية ترتبط بعدة فاعليات أخرى التي يمثل بعضها شرطا ضروريا لحصوله، وهو قدرة الانسان العربي على الابداع بشقيه: الاختراع والاكتشاف، إذلم يعرف التاريخ حضارة بدون اختراع أومخترعين ولا بدون اكتشاف أومكتشفين، هذا

---

[54]. شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص81 –82

[55] . رأفت غنيمي الشيخ ، المرجع السابق، ص53.

[56] . محمد بشير العامري ، المرجع السابق ،ص62.

[57] .ارنولد توينبي، (2011) مختصر دراسة للتاريخ،ترجمة فؤاد محمد شبل، مراجعة محمد شفيق غربال، تقديم عبادة كحيلة، المركز القومي للترجمة القاهرة ،ج2، ص76.

اضافة الى تطوير الافكار والعمل ووسائله، وإن حدث التجديد أو الفعل الحضاري فيجب ان يظل العرب مجدّدون حضاريا لضمان استمرارية حضارتهم(.[58])

ان جميع أسس ومقومات الحضارة متواجدة في الوطن العربي، ونجد على رأسها الطاقة البشرية التي لا تنضب فمعظم سكانه شباب، أضف الى ذلك شساعة المساحة وتنوعها المورفولوجي والجيولوجي، فهي تحتوي السهول والهضاب والصحاري والجبال، وتتنوع فيها الثروات الطبيعية من بترول وغاز وحديد وفوسفات وغيرها ويسودها تنوع مناخي بين الموسمي والصحراوي والقاري والموسمي مما يسمع بتنوع الثروات السطحية أيضا، وما يصبح أشد ضرورة لنحقيق الاقلاع هو وجود نية صادقة في التجديد الحضاري على مستوى القمة والقاعدة في ظل التمسك بالدين والأصول والابتعاد عن التقليد الاعمى لمل ماهو غربي.

الخـــــاتمة: بعد ان استعرضنا المعالم المضيئة والبراقة في تاريخ العرب و بعض أسباب انتكاساتهم الحضارية، يمكن الردّ على أولئك الذين جعلوا من التخلف الحضاري ظاهرة لصيقة بالمجتمعات العربية بأن الحضارة ظاهرة عالمية قد تظهر في أي منطقة بغض النظر عن الانتماء العرقي والبشري متى توافرت الشروط لذلك، كما ان التجديد الحضاري ضروري في بناء الحضارات واستمراريتها وهذا ما نلمسه نت خلال قول ابن خلدون بان المباني العظيمة لعهدنا نجد الملك الواحد يشرع في اختطاطها وتأسيسها، فإذا لم يتبع أثره من بعده من الملوك في اتمامها بقيت بحالها ولم يكمل القصد منها.

كما ان الركود الحضاري الذي شهده العرب في فترات من التاريخ وخاصة في العصر الحديث ما هو إلا قاعدة تسري وتنطلي على جميع الحضارات اذا لم تتق شر وأسباب عوامل الاندثار وفي هذا يصدق قول أبي البقاء شريف الرندي في مرثيته المشهورة للأندلس:

لكل شيئ اذا ما تم نقصان — فلا يغير بطيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول — من سره زمن ساءته أزمـــــان

[58] .جيلالي بوبكر، المرجع السابق، ص77-76.

قائمة المراجع:

-أحمد الشامي، محمد عبد العظيم أبو النصر، الحضارة الإسلامية انتشارها تأثيرها في الحضارة الأوروبية، المهندسين مصر،2006-2007.

- أحمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، طتحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان1988.

- أحمد محمود صبحي، في فلسفة التاريخ، مؤسسة الثقافة الجامعية،الإسكندرية 1975م.

-أرنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، مراجعة محمد شفيق غربال، لقديم عبادة كحيلة، المركز القومي للترجمة ، ط1، القاهرة 2011.

-جورج انطنيوس، يقظة العرب ، ترجمة ناصر الدين الاسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت 1987.

-جيلالي بوبكر، البناء الحضاري عند مالك بن نبي، دار المعرفة، باب الواد الجزائر 2010 .

-حسين مؤنس، فجر الأندلس، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، السعودية 1985 .

- دييتر سينغاس، الصدام داخل الحضارات، ترجمة شوقي جلال، دار العين للنشر،الاسكندرية 2008.

-رأفت غنيمي الشيخ، فلسفة التاريخ، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة 1988م.

-رينهارت دوزي ،تاريخ مسلمي اسبانيا، ترجمة حسن حبشي، مطابع الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر 1994.

- شكيب ارسلان، لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم ، مطبعة المنار، مصر، ط1، 1349هـ.

-زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب،نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة مارون عيسى الخوري ، دار الجيل -دار الآفاق الجديدة، بيروت1993.

-شارل سنيو بوس، تاريخ الحضارة ، تعريب محمد كرد علي، مكتبة الظاهر، القاهرة 1908.

- شوقي أبو خليل، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان-دار الفكر دمشق -سورية2002.

-عبد الحليم عويس، التكاثر المادي واثره في سقوط الاندلس، دار الصحوة للنشر والتوزيع -القاهرة ،مصر، ط1، 1994م. -عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، 1998.

- عبد الله شريط، نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.

- مانويلا مانثاناريس، المستعربون الاسبان، ترجمة وتقديم جمال عبد الرحمن ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة2003.

-محمد الدعمي،الاستشراق -الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي-، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان2008.

- محمد بشير العامري ، مظاهر الإبداع الحضاري في التاريخ الأندلسي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان-الأردن 2012.

محمد اليعقابي، فلسفة الحضارة عند جاك بيرك، رسالة ماجستير،معهد الفلسفة،الجزائر 1986-1987.

-هاميلتون غب وهارولد باون، المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة ودراسة أحمد ايبش،دار الكتب الوطنية، أبو ظبي 2012.

-وات منتغومري، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، نقله إلى العربية حسين أحمد أمين، دار الشروق، بيروت 1983.

خزانات المخطوط بزوايّا جنوب غرب الجزائر في العصر الحديث

Manuscript thanks at the corners of southwestern Algeria in the modern era

د.مجدوب موساوي –جامعة الدكتور الطاهر مولاي بسعيدة الجزائر –

الملخص:

تميّزت الزوايّا بجنوب غرب الجزائر في العصر الحديث بتواجد عدد كبير من خزانات المخطوط؛ العامة منها والخاصة. وقد ضمت في رفوفها كثير من المُصنّفات العلميّة القيّمة والجليلة في علوم وفنون مُتنوعة تَنوع العلوم التي كانت تُدرسها كالفقه واللغة والأدب وغيرها من علوم أخرى. كما نعتقد أنّه لا يَخفى على أحد من الباحثين والدارسين ما كان لهذه الخزانات من أثر كبير في النهضة الفكرية والثقافية؛ إذ كانت من الأدوات المُهمة التي لا يُمكن الاستغناء عنها في مجال التربية والتعليم ونشر العلم والمعرفة، كما عبّرت هذه الخزانات عن المستوى العلمي الراقي الذي وصلته الزوايّا بهذا الإقليم في هذا العصر، إلى جانب أنّها مَثّلت عاملا أساسيا في المُحافظة على مخطوطات كثيرة من الضيّاع والتّلف رغم الظروف الطبيعية والبشرية المُحيطة بها.

Abstract :

The corners of Southwestern Algeria in the modern era characterized by the presence of a large number of manuscript thanks, both public and private. She included in her shelves many valuable and great scientific works in various sciences and arts, the variety of sciences she was studying such as jurisprudence, language, literature and other sciences. We also believe that it is not hidden from one of the researchers and scholars what these tanks have had a great impact on the intellectual and cultural renaissance, as they were an important and indispensable tool in the field of education and the dissemination of science and knowledge, as these reservoirs expressed the high-level scientific level that the angles reached in this region in this era, besides they are Triangle is a key factor in preserving many manuscripts of loss and damage despite the natural and human conditions surrounding them.

مقدمة:

استقطبت البيئة الجغرافية لجنوب غرب الجزائر[1] في العصر الحديث (القرن 10 و11هـ–16 و17م) كثير من العُلماء والعُبّاد والمُتصوفة لمزايّاها العديدة من موقع مُنفتح على تَل الجزائر في الشمال والصحراء الكبرى ببلاد السودان الغربي في الجنوب، ومعبرا هاما لقوافل التجارة الصحراوية وقوافل الحجاج بين الجنوبين الجزائري والمغربي من الغرب إلى الشرق، إذ وجد فيها هؤلاء بُغيتهم من خلال تأسيسهم لطرقهم الصوفية المختلفة وزوايّاهم،

[1] يمتد إقليم جنوب غرب الجزائر من الهضاب العليا شمالا إلى وادي قاريت وهضبة مويدير وتنزروفت جنوبا؛ ومن العرق الشرقي الكبير وجبال العمور شرقا إلى حدود المغرب الأقصى ووادي مسعود وهضبة درعة غربا. يضم ثلاث مناطق رئيسية متباينة فيما بينها وهي: منطقة جبال القصور في شماله ومنطقة وادي السّاورة في وسطه ثم منطقة تَوات في جنوبه وتضم ثلاث وحدات أساسية متمثلة في: قورارة وتوات الوسطى وتيديكيلت، وهي بالجملة عبارة عن قصور بُنيت في فترات زمنية متعاقبة.

والتي عرفت انتشارا وكثافة في كامل المنطقة، وقد كان لهم الدور بالغ الأهمية في إبراز هذه المنطقة التي كانت مركز إشعاع حضاري داخل واحاته بالصحراء.

كما كان للعاملين السياسي والبشري أيضا دور في هذا الإشعاع والازدهار؛ كون إقليم هذه البيئة كان بعيدا عن مركز القرار السياسي في الشمال، إذ لم تكن يد السلطة المركزية الممثلة في الحكم العثماني مبسوطة على هذا المجال بصورة مباشرة وفعالة، فغالبا ما كانت تَحكم القبيلة ومؤسسة الزّاويّة كما كان لتركيبته السكانية المتنوعة من عرب وبربر... دور في هذا المجال.

وبناء على ذلك؛ فإن إشعاع بيئة جنوب غرب الجزائر وازدهارها في العصر الحديث كان نتيجة تفاعل عدة عوامل جغرافية واقتصادية وسياسية وبشرية، وهو ما يؤكده الدور الطلائعي الذي ساهمت به في مختلف المجالات وبصفة خاصة المجال الثقافي الذي كانت فيه مؤسسة الزّاويّة مُحركه الأساسي من خلال مساهماتها وأدوارها البالغة الأهمية التي اضطلعت بها منذ بدءها في ميادين التعليم والعلم، إلى جانب تلقين الأوراد والأذكار وتربية المريدين، لقد تصدر شيوخها للتعليم وكانت زوايّاهم مَقصدا وقِبلة لطلاب العلم والعلماء من مختلف الآفاق يفيدون ويستفيدون.

ارتبط بداية تأسيس الزوايّا بجنوب غرب الجزائر في العصر الحديث معه نشأة المكتبات وخزائن الكتب كملحقات تابعة لها إلى جانب المسّاجد والجوامع والمدارس القرآنية؛ إذ أدرك شيوخها قيمة الكُتب والمُصّنفات كأدوات مُهمة في التعليم ونشر العلم والمعرفة والتي لا يمكن الاستغناء عنها، وأنّ الاقتصار على بِناء الزوايّا كهياكل وتوفير التدريس وحدهما غير كافيان، فأعطوا اهتماما للخزائن لتكون وسيلة مُعاونة للتحصيل والبحث، تُوفر المعلومات والمعارف التي يستند إليها المُعلم والمُتعلم في الدراسة والتحصيل وكسب مستوى من المعرفة في وقت واحد، لذا أصبح من المُعتاد وجود مكتبة أو خزانة في كل زاويّة أو مسجد لطلبة العلم وغيرهم، وغالبا ما حملت هذه الخزائن أسماء شيوخ الزوايّا أو اسم المكان الذي أنشأت فيه؛ إذ عملوا على تعميمها على نطاق واسع في كل منطقة جنوب غرب الجزائر ولكل سُكانها؛ خصوصا وأنّ الطباعة لم تكن معروفة أو موجودة في هذه المجتمعات فكانت عملية استنساخ الكُتب تجري على أيدي نُسّاخ مُتخصصين في هذ العمل.

وقد تنوعت كُتب خزائن هذه الزوايّا بتنوع العلوم التي كانت تُدرسها، إذ لم تكن تحتوي على الكُتب المتعلقة بالعلوم الدينية فقط؛ بل ضمت كُتب العلوم على اختلافها من علوم القرآن الكريم كالفقه والحديث والتفسير واللغة؛ وغيرها من العلوم والفنون الأخرى كالتصوف والتاريخ والتراجم والسيّر وعلم الفلك والرياضيات، كما أنّها لم تكن تقتصر في كُتبها على ما يُنتج محليا بل شملت كُتب كل العالم الإسلامي؛ وبصفة خاصة الحجاز والأندلس والمغرب واسطنبول[2].

وبالرغم من أنّ هذه الزوايا كانت بعيدة عن المراكز الثقافية الكبيرة والمشهورة؛ إلا أنّها عرفت نشاطا معتبرا في مجال التأليف والنسّخ. وساهمت خزائنها في تميّزها وتطورها، كما كان لها دور بالغ في تعميق اللغة العربية

[2] أبو القاسم سعد الله (2007)، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830**، ج1، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 287.

وترسّيخ التعاليم الإسلامية في البوادي والحواضر، والأثر الكبير في النهضة العلميّة في هذا العصر بهذه المنطقة، فالحياة الثقافية والعلميّة ارتبط ازدهارها بهذه الخزائن والعكس صحيح.

هذه الخزائن لم يكن لها أن تقوم بهذه الوظائف النبيلة بجنوب غرب الجزائر لولا وجود مجموعة من العوامل ساهمت في تواجدها وتطويرها؛ وبصفة خاصة قُدوم العلماء إلى هذا الإقليم والقوافل التجارية وركب الحجيج، وما كانوا يجلبونه معهم من كتب ومخطوطات؛ أعطى فرصة لسكانه للاطلاع عليها ونسخها أو حتى شرائها، بالإضافة إلى تنقل الطلبة والعلماء للمناطق المختلفة فيما بينهم أو مع غيرهم خارج الإقليم. كما أدى وجود المادة الأوليّة لِصُنع الكتاب المّمثلة في الورق ووفرتها بأسواق المنطقة على انتشار الخزائن وازدياد عدد الكتب[3].

سنتطرق في مقالنا هذا إلى هذه الخزائن من خلال التعريف بها وبأماكن تواجدها والمخطوطات التي ضمتها بالاعتماد على مختلف المصادر المحليّة التي أفادتنا بها وباتباع المنهج التاريخي في التحليل والاستنتاج. ومن هذه الخزائن نجد:

الخزائن الخاصة:

تدخل هذه الخزائن ضمن الملكيّة الخاصة للفرد الذي اعتنى بجمع كُتبها في بيته رَغبة منه في العلم؛ إلا أننا لا نعرف إذا كانت الاستفادة من هذه الخزائن مُتاحة لعامة النّاس؛ أم أنّ الاستفادة منها اقتصرت على المُقربين من أصحابها فقط من العلماء والطلبة المحظوظين؟ لكن الذي نعلمه أنّ هذه الخزائن ساهمت في حركة الازدهار العلمي التي شهدتها المنطقة في هذا العصر، كما أن أكثرها أصبحت وقفية بِرغبة من أصحابها في أواخر حياتهم وإما بترك وصيّة؛ ونجد في هذا مثالا في خزانة العالم والفقيه محمد بن إسماعيل المسنّاوي بقورارة[4] أفادنا به أبي سالم العياشي[5] بقوله أنّه التقى مع الشيّخ أثناء رحلته الحجيّة وأنّه كانت له مكتبة عامرة قلّ نظيرها[6].كما أفادتنا المصادر بأنّ الشيخ المسنّاوي أوصى بأن تكون مكتبته التي جمع كُتبها من اسطنبول بتركيا

---

[3] حبيب الزيات (1974)، **الوراقة والوراقون في الإسلام**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ص ص 45-46.

[4] تقع قورارة جنوب منطقة وادي السّاورة وفي الشمال من بلاد توات؛ تمتد من تبلكوزة شمالا إلى سبع جنوبا. تضم مجموعة قصور.

[5] هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي أبو سالم؛ ولد سنة 1037هـ-1627م.فاضل من أهل فاس، قام برحلة دونها في كتابه "الرِّحلة العيّاشية" في مجلدين سمّاها "ماء الموائد". توفي سنة 1090هـ-1679م.مُخلفا ورائه تصانيف منها: إظهار المنّة على المبشرين بالجنة، مسالك الهداية، تحفة الأخلاء بأسانيد الأجلاء. عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني(1402هـ-1982م)، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، اعتناء إحسان عباس، ج2، ط2، د، غ، إ، بيروت، لبنان، ص ص 832-835. خير الدين الزركلي(آيار 1980)، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستغربين والمستشرقين**، ج4، ط.5، دار العلم للملايين، بيروت، ص129.

[6] أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، **تعداد المنازل الحجازية**، مخطوط رقم ك 43، المكتبة الوطنية بالرباط، المغرب، الورقة 14.عبد الله بن محمد العياشي (2006)، **الرحلة العياشية 1661-1663م**، تح وتق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، مج1، ط.1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ص 108.

ومن رحلاته المختلفة في أنحاء العالم الاسلامي والتي بلغ تعداد كتبها ألف وخمسمائة لحرم الروضة النبويّة بعد وفاته[7].

خزانة زاوية القنادسة[8]:

أسّسها الشيّخ مَحمد بن أبي زيان[9] عند تأسيسه لزاويته سنة 1097هـ–1683م[10]؛ وقد أشار كل من أبي العباس أحمد الهلالي[11] بخزانة الكتب الموجودة بها لما أقام بها وهو في طريقه إلى الحج سنة 1150هـ–

---

[7] العياشي، المصدر نفسه، مج1، ص ص 108–109، ومج 2، ص 63.

[8] كانت تُعرف قديما باسم العوينة؛ وقد ذكرها بهذا الاسم العيّاشي في رسالته التي يوصي فيها تلميذه أحمد بن سعيد المجيلدي عندما علم بعزمه الذهاب إلى الحج سنة 1068هـ–1657م؛ فقال له: " فإذا عزمت على الخروج ....إلى فجيج فليس بينك وبينها إلا قرية العوينة بعد خمس مراحل من سِجلماسة وبالقرب منها قرى بشار..."كما عرفت أيضا باسم عوينة القنادسة نِسبة لمن أسس بها زاوية القنادسة، وهو الشيخ محمد بن أبي زيان القندوسي؛ حسب الإشارة الواردة عند أبي مدين أحمد الدرعي في الرحلة إلى بيت الله الحرام؛ بقوله: "...فنزلنا عوينة القنادسة وزارنا المرابط سيدي محمد بن أبي زيان..."أبو مدين الدرعي، **الرحلة الحجازية**، مخطوط رقم: ق 297، المكتبة الوطنية، الرباط، المغرب، الورقة 60.(1410هـ–1989م)، **معلمَة المغربُ – قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى**، ج 20، حرف القاف، من إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا، ص6683.العياشي، تعداد المنازل... ، الورقة 305.

[9] اسمه سيدي مَحمد ويُلقب بابن أبي زيان نِسبة إلى جد أبيه أو القندوسي نِسبة إلى بلدة القنادسة.تنتسب إليه الزّاويّة الزيّانية.ولد في منتصف القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر ميلادي بإحدى قصور بني جومي. توفي سنة 1145هـ–1733م بالقنادسة. ترك إلى جانب زاويته وطريقته؛ تُراثا فكريا مُتمثلا في تأليفين هما: كتاب "قيود الأسرار في الصلاة على النبي المختار" وكتاب "صقل الحالك على ما بهم في موطأ مالك"؛ وهي من الكُتب التي لا أثر لها اليوم.عبد الرحمان بن محمد بن مزيان اليعقوبي، **فتح المنّان في سيرة الشيّخ مَحمد بن أبي زيان**، مخطوط بدون رقم تصنيف، الخزانة الزيانية القندوسية، القنادسة، بشار، الجزائر، الأوراق 3، 121، 154، 499–501. الحاج علي بن عبد القادر التازي، **منهل الظمآن ومزيل الهموم والكروب والأحزان في كرامة شيّخنا العارف بالله سيّدنا الحاج مَحمد بن أبي زيان**، مخطوط بدون رقم التصنيف، الخزانة الزيانية القندوسية، القنادسة، بشار، الجزائر، الورقة 80، 216. محمد المصطفى بن الحاج البشير، **طهارة الأنفاس والأرواح الجسمانية في الطريقة الزيانية الشاذلية المتمسكة بالشريعة المطهرة المحمدية**، مخطوط تحت رقم د/14، المكتبة الوطنية، الرباط، المملكة المغربية، الورقة 5، 37–38، 92.

– RINN Louis (1884), **Marabouts et Khouans étude sur l'islam en Algérie**, Adolphe Jourdan, libraire - éditeur, Paris, p.408.DE LA MARTINIERE.H.-M.-P.et LACROIX, **Documents pour Servir à l'étude du Nord-Ouest Africain Le Sud-Ouest Algérien et les régions limitrophes Figuig –l'oued guir l'oued Saoura**, T.2, Alger, Gouvernement General de l'Algérie, p.497.

[10] التازي، المصدر نفسه، الورقة 40، 105.اليعقوبي، المصدر نفسه، الورقة 394.البشير، المصدر نفسه، الورقة 25. عبد الله حمادي الإدريسي(1434هـ–2013م)، **حاضرة القنادسة وزاويتها الزيانية الشاذلية بهذه الصحراء الجزائرية تاريخا ومناقب**، ج1، ط.1، دار بوسعادة للنشر والتوزيع، ص 142.

1737م؛ بقوله: "وأدخلاني (أي المُكلفين بالخزانة) خزانة الكتب ... ورأيت بها من الكتب جملة مرغوبا فيها..."[12]. وأبو مدين الدرعي[13] عند نزوله وإقامته بعوينة القنادسة أثناء رجوعه من الحج؛ بقوله: "...والتقينا بها بالفقيه النّاسك السيّد علي السوسي[14] ثم الحاحي[15]؛ وأطعمنا وأدخلنا دار الشيّخ وخلوته حيث خزانة الكتب"[16].

خزانة زاويّة كرزاز[17]:

من خزائن منطقة السّاورة[18] بجنوب غرب الجزائر؛ أسّسها الشيّخ سيدي أحمد بن موسى الكّرزّازّي[19] ويذكر الأستاذ مصطفى قناو في محاضرة له؛ أنّه كان بها مكتبة تحتوي على عدد من المخطوطات دون أن يُحدد لنا عناوينها أو نوعها[20].

---

[11] هو أبو العباس أحمد الشيخ بن عبد العزيز بن رشيد الهلالي؛ ولد بسجلماسة سنة 1113هـ–1701م، قال عنه صاحب نشر المثاني: " ممن عز نظيره في زماننا علما وديانة ومروءة؛ ومحبة للفقراء والصالحين وأهل البيت النبوي، وحرصا على الخير وإخماد الفتن والظلم، وبعدا عن الريّاسة وعدم الاكتراث بالجّاه، وخصّال الصّلاح مجموعة فيه". تُوفي بسجلماسة يوم 12 ربيع الأول عام 1175هـ–10 أكتوبر 1761م.ترك الكثير من الفهارس. الكتاني، المصدر السابق، ص ص 1099–1102.

[12] أبو العباس أحمد الشيخ بن عبد العزيز بن الرشيد الهلالي، **التوجه لحج بيت الله الحرام وزيارة قبره –عليه الصلاة والسلام–**، مخطوط بدون رقم التصنيف غير تام من 29 ورقة، خزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار، توات، الورقة 8.

[13] هو أبو مدين عبد الله بن أحمد الروداني الدرعي المتوفى سنة 1157هـ–1743م.عبد السلام بن عبد القادر بن سودة المري(1418هـ–1997م)، **دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دليل ابن سودة ويليه ذيل دليل مؤرخ المغرب الأقصى**، ضبط واستدراك مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط.1، بيروت، لبنان، ص 236.

[14] فقيه وعالم محقق؛ كان من أقرب الملازمين للشيّخ ابن أبي زيان؛ ومن أخص أصحابه وخدامه. كما كانت له مكانة رفيعة وشأن عال في طريق القوم.التازي، المصدر السابق، الأوراق 28، 95، 97، 141، 45، 195.البشير، المصدر السابق، الورقة 59، 83 –49، 57.

[15] هو أبو الحسن سيدي علي بن محمد بن عبد الله الحاحي؛ كاتب رسائل الشيخ سيدي مَحمد بن أبي زيان وإمام الناس في غيّابه أو مرضه، ووليّ من الأوليّاء؛ يقول عنه أحمد بن عبد العزيز: "...العلامة النبيه، العدم النظير والشبيه، ذو الجنّان الكامل والعتاد الهامل". الهلالي، المصدر السابق، الورقة 8–13.التازي، المصدر السابق، الأوراق 95، 190.حمادي، المرجع السابق، ج 2، ص 52.

[16] الدرعي، المصدر السابق، الورقة 60.

[17] تقع كرزاز جنوب قصر الزّاويّة الكبيرة بنحو 6 كلم؛ تُمثل مقر الزّاويّة الكرزازية والطريقة الأحمدية الموساوية، وهي قاعدة بلاد وادي السّاورة، أهلها مزارعون لمختلف الخضر والفواكه إلى جانب النخيل.

- DE LA MARTINIERE et LACROIX, op.cit, pp.709–750.

خزانة قصر بودة[21]:

من ضمن خزائن منطقة قورارة؛ تُعرف بزاوية سيدي حيُّدة، نِسبة لِمؤسسها سيدي أحمد المُلقب بأبي سبع حجّات والتي أسسها في القرن الحادي عشر الهجري/السّابع عشر الميلادي؛ توجد بها الكثير من المخطوطات منها: الزرقاني في الفقه، تحرير الكلام في مسائل الالتزام لمجهول، أخبار الزمان للشيّخ الأكبر سعيد، منهج العمال في السنين والأقوال للشيخ علي بن الحسن، الأُنس فيما ورد عن العرش والكرسي في الحديث الشريف لمحمد بن عبد الله العياشي.

خزانة الشيّخ المغيلي[22]:

تأسّست خزانة زاويّة الشيّخ محمد بن عبد الكريم المغيلي؛ في القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي، وذلك بعد عودته من السودان الغربي. تضم الكثير من المخطوطات؛ منها مؤلفاته المتنوعة والتي غلب عليها طابع الاختصار والشروح في معالجة المواضيع، وقد ذكر أحمد بابا التنبكتي في نيل الابتهاج وكفاية المحتاج أزيد من عشرين مؤلفا في التفسير والعقيدة والتوحيد والفقه المالكي والحديث وعلومه والمنطق والبلاغة والأدب والسياسة والوعظ؛ نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: كتاب "مفتاح النظر في علم الحديث" وشرح على مختصر خليل سماه "مغني النبيل في شرح مختصر خليل" و"شرح بيوع الآجال من ابن حاجب" و"مقدمة في اللغة". وفي

---

[18] يتوسط إقليم السّاورة منطقتي جبال القصور شمالا وتوات جنوبا؛ وتُعد قرية إقلي أول قراه من الشمال باتجاه الجنوب.العياشي، المصدر السابق، مج 1، ص 76.

[19] هو أحمد بن موسى الإدريسي الحسّني، من أشهر رجال الطرق الصوفية، مؤسس الطريقة الكرزّازيّة الشهيرة، ولد سنة 907هـ-1505م، عاش إلى أن تجاوز المائة، اشتهر بالعلم والصلاح والشرف، أخذ عهد الطريقة الشاذلية اليوسفية عن الشيخ أحمد بن يوسف الملياني وأضاف إلى أورادها قراءة البسملة 500 مرة بعد أذكار صلاة الصبح. محمد بن عبد الكريم الكرزازي (2019)، **المنّاقب المعزيّة في مآثر الأشيّاخ الكزّازيّة**، دراسة وتحقيق وتعليق موساوي مجدوب، ج2، ط.1، دار كوكب العلوم، الجزائر، ص 38.

[20] مصطفى قناو (مارس 1989)، **سيدي أحمد بن موسى وزاويته**، محاضرة مطبوعة بخصوص فعاليات الملتقى الوطني الأول حول تاريخ سيدي أحمد بن موسى الكرزازي من 1 إلى 3 مارس 1989، تنظيم الجمعية الثقافية الولائية لولاية بشار، ص 98.

[21] بودة إحدى قصور توات الوسطى جنوب قورارة.

[22] هو محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني؛ المشهور باسم المغيلي، مفسر، فقيه، محدث، متكلم منطقي، من أهل تلمسان، اشتهر بمناوأته لليهود وهدمه كنائسهم في توات، ورحل إلى السودان وبلاد التكرور، لنشر أحكام الشرع وقواعده. توفي بتوات سنة 909هـ-1503م. له مؤلفات عديدة ومتنوعة. أحمد بابا التنبكتي(1421هـ-2000م)، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في** الديباج، دراسة وتحقيق محمد مطيع، ج2، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المملكة المغربية، ص ص214-215. التلمساني أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني(1326هـ-1908م)، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، راجعه محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ص ص 225، 255، 295.

المنطق والفلسفة نجد له كتاب: "منهج الوهاب في رد الفكر إلى الصواب" وكتاب "الرد على المعتزلة في اعتقاداتهم الفاسدة" و" مختصر السنوسي في المنطق "، وغيرها من كتب أخرى[23].

خزانة سيدي الحاج بلقاسم:

هي الأخرى من ضمن خزائن منطقة قورارة؛ تأسّست في القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي بتميمون، على يد الشيّخ بلقاسم وهو من أعلام هذا القرن. تضم أكثر من مائة مخطوط في مجالات شتى؛ وبصفة خاصة في العلوم الشرعية واللغوية.

خزانة زاويّة المطارفة:

تعتبر من ضمن خزائن منطقة قورارة؛ وتوجد بها كثير من المخطوطات في شتى العلوم والمعارف، أغلبها لعلماء المنطقة. ومن الكتب التي تحتفظ بها؛ نجد على سبيل المثال لا الحصر: "شرح الرسموكي على لامية المجرادي"، "شرح التاودي على التحفة"، "شرح البرنوسي على منظومة القرطبي"، "تفسير القرآن" لابن عطية، "قصص الأنبياء" لعبد الرحمان الثعالبي، "شرح الخرشي على خليل"، "الميارة الكبرى والصغرى على ابن عاشر"... وغيرها من كتب أخرى.

خزانة زاويّة تمنطيط[24]:

تُعرف بالخزانة البكرية؛ يرجع تاريخ تأسِيسها إلى أواخر القرن التاسع الهجري/الخامس عشر ميلادي من قبل الشيّخ سيدي ميمون بن عمرو بن محمد واضع حجر أساس الزّاويّة البكرية، إذ يعتبر أب البكريين الأول بتوات، تعتبر خزانة تمنطيط من الخزائن القديمة والغنية بمنطقة توات الوسطى[25]. وصل تِعداد مخطوطاتها في عهد سيدي البكري بن عبد الكريم[26] في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، إلى أكثر من ثلاثة

---

[23] التنبكتي، نفس المصدر والصفحة. ابن مريم، نفس المصدر والصفحة.

[24] يُعرفها بابا حيدة؛ بقوله: "تمنطيط اسم لمدينة بإقليم توات؛ وهي بها قاعدة اجتمع فيها العلم والإمارة والديانة والريّاسة، وانتصب بها الأسواق والصنائع والتجارات والبضائع...، هي رئيسة البلدان... متصلة البنيان في قصور غير متباعدة...وحولها أصول وبساتين، ماؤها فقاقير جارية...قيل وقصور عددها ثلاثمائة وستة وستون قصرا، يستضاف فيها الضيف سنة كل يوم في قصر". محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم المشهور بابن بابا حيدة (1977)، **القول البسيط في أخبار تمنطيط**، تح فرج محمود فرج، د، م، ج، الجزائر، ص ص 13–14.

[25] تقع توات الوسطى وسط بلاد توات؛ فهي البلاد المنحصرة ما بين قورارة وتيديكلت، تضم هي الأخرى مجموعة قصور.

[26] أحد الوجوه البارزة والمميّزة بمنطقة توات؛ اسمه سيدي البكري؛ ويُسمى "محمد البكري"، واشتهر بلقب قاضي الصحراء. ولد بتمنطيط في 12 رمضان 1042هـ/23 مارس 1633م؛ انتسب سيد البكري في تصوفه إلى الطريقة الأحمدية الموساوية الشاذلية؛ على يد الشيّخ محمد بن عمر البداوي. توفي عن عمر ناهز التسعين سنة؛ زوال يوم الأحد 2 ذو القعدة 1133هـ/25 أوت 1721م. محمد العالم بكراوي، **الدرّة البهيّة في الشجرة البكرية**، مخطوط بدون رقم التصنيف، الخزانة البكرية، تمنطيط، أدرار، الجزائر، الأوراق 50، 53، 70–71. بن عبد الحق محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، **جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني**، مخطوط ضمن مجموع بدون رقم التصنيف، خزانة زاوية المهدية،

ألاف مخطوط حَبسها على أولاده وأحفاده من الذكور[27]. يصفها ابن بابا حيدة؛ بقوله: "... وعندهم خزائن كتب تكررت فيها الحطاطب والقواميس والتفاسير..."، ومن نفائس مخطوطاتها؛ المصحف الكريم الذي يتميّز بهندسة بديعة، نُقل عن المصحف العثماني[28].

خزانة زاويّة كُنْتة[29]:

تُعرف بخزانة الدار الكبيرة؛ أسّسها الشيّخ سيدي أحمد الرّقاد خلال القرن العاشر هجري/السادس عشر ميلادي بمنطقة توات الوسطى، كما عُرف عن شيّوخ هذه الزّاويّة جمعهم للكتب بكل الوسائل من شراء أو نسّخ؛ وبصفة خاصة الشيّخ سيدي علي الرقادي المتوفى سنة 1119هـ–1707م، والشيّخ عمر بن محمد المصطفى بن أحمد الرقادي الكُنتي المتوفى سنة 1157هـ–1744م. تتميز مخطوطات هذه الخزانة بتناول العلوم الشرعية واللغوية والتصوف والتاريخ والتراجم[30]. قال عنها الطاهري صاحب كتاب نسيم النفحات: "زاويّة كُنْتة...ذات أصل ثابت في العلم والولاية والصلاح... وبها خزانة كبيرة من الكتب من كل فن؛ وكان كل ملك من ملوك المغرب عندما يتولى الأمر يرسل إلى هذه الزّاويّة خزانة كاملة من الكُتب النفيسة"[31].

خزانة زاويّة أقبلي:

أدرار، توات، الجزائر، الأوراق 27–29.بن عبد الحق محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، **الكواكب البرية في المناقب البكرية**، مخطوط بدون رقم التصنيف، خزانة أولاد القاضي البكرية، تمنطيط، أدرار، الجزائر، الورقة 35.

[27] بن عبد الكريم، المصدر نفسه، الكواكب البرية، الورقة 27.

[28] ابن بابا حيدة، المصدر السابق، ص 17.بن عبد الكريم، المصدر نفسه، الكواكب البرية، الورقة 27.سعد الله، المرجع السابق، ج1، ص 285 وما بعدها. مبارك بن الصافي جعفري(1430هـ–2009م)، **العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ**، ط.1، دار السبيل للنشر والتوزيع، بن عكنون، الجزائر، ص ص 159–160. صالح بوسليم(1428–1429هـ/2007–2008م)، **المؤسسات الثقافية بإقليم توات دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية أثناء القرنين 12 و13هـ/18 و19م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف محمد مجاود، جامعة الجيلالي اليابس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، سيدي بلعباس، ص ص 287–288، 184–190.

[29] كُنتة إحدى قصور توات الوسطى جنوب قورارة؛ وزاويتها تَنتسب إلى أحمد بن محمد الرُّقادي بن أحمد الفيرم (967 هـ–1559م/ 1060هـ–1650م). كان له دور كبير في التدريس ونشر العلم بزاويته. محمد الصالح حوتية (2007)، **توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية**، ج1، دار الكتاب العربي للطباعة، النشر، التوزيع والترجمة، القبة، الجزائر، ص 242.جعفري، المرجع السابق، ص 132.

[30] الصديق حاج أحمد آل المغيلي (2007)، **من أعلام التراث الكنتي المخطوط الشيخ محمد بن بادي الكنتي –حياته وآثاره–**، د، غ، ن، ت، وهران، ص ص 19، 24. الطاهري مولاي أحمد الإدريسي الحسني(1433هـ–2012م)، **نسيم النفحات من أخبار توات ومن الصالحين والعلماء الثقات**، تح مولاي عبد الله الطاهري، ط.2، طباعة مِداد للطباعة والنشر، غرداية، الجزائر، ص 175. بوسليم، المرجع نفسه، ص 190.جعفري، المرجع نفسه، ص ص 160–166.

[31] الطاهري، نفس المرجع والصفحة.

تُعتبر من ضمن خزائن الكتب بمنطقة تيديكيلت[32] بتوات، ونجد بقصر أَقَبْلي:

- **خزانة الفُلانيين:**

تشمل مئات المخطوطات في شتى العلوم والمعارف الشرعية واللغوية؛ ويعود تاريخ تأسيسها إلى سنة 701هـ–1301م، من قبل الشيّخ محمد بن مالك الذي اجتهد في جمع الكتب واستنساخها، ومن مخطوطات هذه الخزانة نجد: "منح الوهاب في رد الفكر" إلى الصواب للمغيلي، "الجامع الصغير من حديث البشير"، "شرح الميّارة" للفاسي ومعه "ألفيّة في غريب القرآن" وغيرها من مخطوطات أخرى.

- **خزانة زاويّة الشيّخ سيدي أبي نعامة الكُنتي[33]:**

أسّسها الشيّخ أمحمد بن عبد الرحمان المُلقب بأبي نعامة. تضم الخزانة عدد كبير من المخطوطات، يُناهز الثلاثمائة مخطوط في الحديث والعبادات والمعاملات، ولا سيّما مخطوطات فقه مالك. كما يوجد بها كثير من مؤلفات الأفارقة.

- **خزانة المنصور:**

تأسّست منذ القرن الثامن هجري/الرابع عشر ميلادي؛ تضم هي الأخرى عدد من المخطوطات في فنون شتى.

- **خزانة أركشاش:**

تضم مصحفا نادرا يُعرف بـ "تينغ بويا" تعني قتل بويا؛ وسبب التسميّة أن متخاصمين حلفا على هذا المصحف، وكان (بويا) كاذبا فمات مباشرة[34].

لقد اهتم شيّوخ الزوايّا بجنوب غرب الجزائر في العصر الحديث اهتماما بالغا بهذه الخزائن؛ ويظهر لنا هذا جليّا من خلال ما بذلوه من جهود لأجل تزويدها بالكتب، سواء عن طريق التأليف أو الشراء أو النّسخ أو الإهداء هذا من جهة؛ أو بتعيينهم لِخيرة النّاس عِلما ودِينا وخُلقا على تسيّرها والإشراف عليها من جهة ثانية، مما يعكس لنا بوضوح أهمية هذه الخزائن، وأهميّة دورها في المساهمة في نشر العلم والمعرفة وتحصيلهما للطلبة.

كما كان لمؤلفات شيّوخ الزوايا دورا كبيرا في غِنَى هذه الخزائن وثرائها، ولنا في هذا نموذجا في الشيّخ عبد الكريم بن أمحمد[35]، الذي ساهم في إثراء خزانة المخطوطات البكرية بمؤلفاته[36]؛ وهي المساهمة نفسها لبعض التلامذة والمريدين في هذا المجال كاليعقوبي[37] والتازي[38] بالخزانة الزيّانيّة.

---

[32] تقع تيديكلت شرق رقان وغرب منطقة توات الوسطى وصحراء تنزروفت؛ تضم مجموعة قصور.

[33] هو الشيّخ محمد أبو نعامة بن عبد الرحمان. ولد سنة 1060هـ بسجلماسة؛ أسس زاويته بأقبلي سنة 1137هـ. أخذ أوراد الطريقة القادرية وأصولها عن شيّخه أحمد اللّمطي. توفي سنة 1163هـ عن عمر ناهز 103 سنة. بوسليم، المرجع السابق، ص ص 278–279.

[34] جعفري، المرجع نفسه، ص ص 160–166.بوسليم، المرجع نفسه، ص ص 191–193.

[35] من عُلماء قصر تمنطيط؛ ولد سنة 994هـ–1586م وقيل سنة 1002هـ–1596م، لقبه أبو سالم العياشي في رحلته بـ "عالم توات"، ترك العديد من المؤلفات في شتى الفنون.توفي سنة 1042هـ–1633م.بن عبد الكريم، جوهرة المعاني...،

أما بخصوص اقتناء الكُتب بالشِّراء؛ ففي ثنايّا المصادر التي اعتمدناها في مقالنا هذا، إشارات كثيرة إلى أنّ شيّوخ هذه الزوايا الأوائل اجتهدوا في اقتناء عدد من الكتب جلبوها في رحلاتهم إلى الحج أو أوصوا بشرائها منه، ليّزودوا بها خزائن كتب زوايّاهم؛ ولنا في هذا مثالا أفادنا به اليعقوبي مُريد الشيّخ محمد بن أبي زيان عنه؛ بقوله: "...لما توجه أخونا لزيّارة بيت الله الحرام حاجا؛ أوصيته بشراء كتب متعددة من جملتها: الإصابة في تعريف الصحابة على أربعة أسفار للحافظ بن حجر العسقلاني والقاموس على اللغة في سفرين، وتفسير الخازن على القرآن؛ ومن كتب الفقه شارح المختصر الخرشي وللشيخ الزرقاني وكتاب آخر..."[39].

نعتقد أن عمليّة شراء الكتب لم تكن حكرا على زاوية دون أخرى بل مسّت جميع الزوايا؛ بغرض توفير الكتاب لطلبتها والاستفادة منه.

وأما بالنسّخ؛ فكثيرا ما كان شيّوخ الزوايّا يُكلفون هذه المهمة إلى مُريديهم وطلبتهم، وبصفة خاصة منهم أولئك الذين عُرفوا بِجودة خطهم وحُسن ضبطهم وإتقانهم؛ فكانت تُدفع إليهم المؤلفات ينسّخون منها نسّخة أو أكثر يُزودون بها خزائن زوايّاهم. كما نعتقد أنهم اتبعوا في ذلك ضوابط في النسّخ بقصد الإخراج الحسّن للكتاب؛ كنوعية الورق والحبر وعدد الأسطر في كل ورقة، وغير ذلك من قواعد وشروط؛ ولنا في هذا مثالا عن زاويّة القنادسة التي كثيرا ما كان شيّخها يُكلف تلامذته بنسّخ الكتب بخطهم؛ ومنهم تلميذه اليعقوبي الذي قال عن نفسه: "...كنت قدمت عليه (أي الشيّخ مَحمد بن أبي زيان) بنسخة الإمام البخاري –رضي الله عنه– في سبعة أسفار؛ فلما قرأتها عليه ناولني رزمة من الكاغط، وقال لي: أكتب لي نسخة أخرى تكون غليظة بينة في عشرين سفرا. وجعلنا الكاغط وقطعناه؛ وجعلناه عشرة كراريس في كل سفر..."[40].

الورقة 41–42.العياشي، المصدر السابق، مج1، ص 120.بن عبد الكريم، الكواكب البرية...، الورقة 21. بوسليم، المرجع نفسه، ص ص 287–288.

[36] جعفري، المرجع السابق، ص ص 158–159.

[37]هو الشيّخ عبد الرحمان بن محمد مزيان من بلدة أرشيدة؛ بجبل دبدو بناحية فاس، كان حيّا سنة 1145هـ–1733م.كان والده صاحبا لشيّخه سيدي مَحمد بن أبي زيان.من تآليفه فَتح المنّان. حمادي، المرجع السابق، حاضرة القنادسة، ص ص 220–224.

[38]هو الحاج علي بن عبد القادر الشامي النسّب؛ ولد في حدود سنة 1117هـ–1705م بتازة بالمغرب الأقصى، حفظ القرآن الكريم ودرس العلم بفاس عند الفقيه العربي الشامي مُقدم الطريقة الزيّانيّة القندوسية. كما تتلمذ بزاوية القنادسة عند شيّخها سيدي مَحمد بن أبي زيان؛ إذ صاحبه مدة تقارب الخمسة عشر سنة منذ حوالي 1130هـ–1717م إلى 1145هـ–1733م.عاش أكثر من ثمانين سنة إذ كان حيّا سنة 1204هـ–1790م.من تآليفه منهل الظمآن. التازي، المصدر السابق، الورقة 141.حمادي، المرجع نفسه، ص ص 225–227.

[39] اليعقوبي، المصدر السابق، الورقة 577.

[40] المصدر نفسه، الورقة 577.

كما أنّ شيّوخ الزوايّا أنفسهم كانوا يقومون باستنساخ مؤلفات غيرهم، ويكتبون مؤلفاتهم بخط أيديهم، فالشيّخ عبد القادر بن محمد المشهور بسيّدي الشّيخ[41]؛ كان يحتفظ بالأقلام التي يكتب بها في جعبة[42]، كما أورده لنا عبد العزيز بن عمرو بن يدير[43].

ويذكر أحمد بن أبي محلي[44] أيضا أنّه كانت له مُكاتبات بينه وبين الشيّخ؛ فيقول: "...وتتالت بيني وبينه...رسائل شعرية ونثرية..."[45]، ويوضح أن هذه المكاتبات كانت بخط يد سيدي الشيخ؛ وفي هذا يقول: "...حين كنت أجيبه أنا بما يطابقه في الوقت من الثناء...ونصه...بخط يده؛ لا بكتابة نجله أو غيره من صحبه أو أهله "[46].

<u>أما فما يخص الهدايّا</u>؛ فكانت الكُتب تُمثل أغلى هدية يقدمها المُحب أو المُريد إلى شيّخ زاويّته، وفي هذا يذكر لنا السّكوني[47] مريد الطريقة الشيْخِيَّة، بأنّ سلطان المغرب الأقصى أحمد المنصور الذهبي؛ أهدى كتاب "تنبيه الأنام" لابن عظوم القيرواني مُبوبا بماء الذهب إلى سيدي الشيخ، لما استبانت عنده إحدى كراماته[48].

---

[41] وليّ صّالح؛ ولد سنة 940هـ–1533م وتوفي سنة 1025هـ–1618م.ترك الكثير من الآثار كزواياه بالجزائر والمغرب الأقصى، طريقته المعروفة بالشيخية وتآليفه كقصيدتي الياقوتة والحضرة ورسالته في التصوف إلى الأمير زيدان.لتفاصيل أكثر عنه أنظر كتابنا: موساوي مجدوب (2019)، **عبد القادر بن محمد الوليّ الصّالح –حياته وآثاره**، ط.1، دار كوكب العلوم، الجزائر.

[42] أحمد بن أبي بكر السكوني (1991)، **تقوية إيمان المحبين مناقب الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد ابن سليمان بن أبي سماحة**، تح طواهرية عبد الله، دار الأديب للنشر والتوزيع، الجزائر، وهران، ص 146.

[43] لم نهتدي إلى ترجمته؛ لكن يبدو أنه كان من بين مريدي سيدي الشيخ.

[44] هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله السجلماسي المعروف بابن محلي؛ ثائر متصوف، من العلماء. ولد بتافيلالت سنة 967هـ–1559م، توفي سنة 1021هـ–1612م. ترك العديد من التأليف.الحسن اليوسي (1402هـ–1982م)، **المحاضرات في الأدب واللغة**، تحقيق وشرح محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، ج1، ط.2، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، د، غ، إ، بيروت، ص ص 261–264.المجهول (1994)، **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، ط.1، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، ص 105. أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (1955)، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى–الدولة السعدية–**، تحقيق وتعليق وَلَدَيْ المؤلف جعفر الناصري ومحمد الناصري، القسم الثاني، ج6، دار الكتاب، الدار البيضاء، ص ص 26–34.

[45] أحمد بن أبي محلي، **منجنيق الصخور لهدم بناء شيخ الغرور ورأس الفجور من المبتدعة والزنادقة**، مخطوط رقم ق338 ضمن مجموع، المكتبة الوطنية، الرباط، المغرب، الورقة 132.

[46] المصدر نفسه، الورقة 242، 244.

[47] هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن أبي بكر السكوني؛ من أحيّاء النصف الأول من القرن الحادي عشر هجري/السابع عشر ميلادي. بدأ تلقي العلم على يد أبيه، وعلى يد شيّوخ فجيج كأبي القاسم بن محمد بن عبد الجبار. وتلقى جانبا واسعا من التربية الروحية على يد الشيّخ المتصوف عبد القادر بن محمد حتى صار من مُلازميه وأصفيائه، إلا أنّه بحلول ابن أبي محلي بفجيج انضم إليه وصار من خاصة أحبابه الممدوحين. العربي هلالي ومحمد بوزيان بنعلي، **فجيج نصوص من التراث الفكري (تحقيق)**، مطبعة الجسور، وجدة، ص 139.

ويذكر أيضا محمد بن عبد الكريم في "جوهرة المعاني"؛ أن الشيّخ محمد بن إسماعيل القوراري لما زار اسطنبول، أكرمه وزيرها بكتب بعدما لبى له طلبا فعاد من عنده ومعه كثير من الكتب والمخطوطات[49].وكثيرا ما كانت زاويّة كُنتة؛ تستقبل كتبا نفيسة ومخطوطات يرسلها ملوك المغرب إليها[50].

وما لاحظناه من خلال بعض الإشارات الواردة في ثنايّا بعض المصادر التي اعتمدناها، أنّ خزائن الكتب بزوايّا جنوب غرب الجزائر في العصر الحديث كانت تمتاز بِحُسن التنظيم والترتيب وهو الأمر الذي جعلها تُقدم خدمات جَليلة للقُراء والرُّواد على أحسن وجه في هذا العصر، رغم أنّه لم يكن لها بنايات مستقلة وإنّما كانت في غالب الأحيان مُلحقة بالمؤسسات التي أُنشأت فيها كالزوايّا مثلا أو بدار شيّخ الزّاويّة، كما كانت تخضع لنظام في تسيّرها تحت إشراف قيّم أو محافظ يتولى شؤونها، يكون من خيرة النّاس دينا وعلما وخلقا؛ وغالبا ما يكون أحد أبناء أو حفدة شيّخ الزّاويّة. فبالزّاويّة الزيّانيّة بالقنادسة مثلا نجد أن الشيّخ مَحمد بن أبي زيان كَلف كل من ابنه سيدي محمد أبي عبد الله، وتلميذه أبي الحسن سيدي علي الحاحي بالإشراف على خزانة كُتب الزّاويّة والاعتناء بها وترتيبها، وهي الإشارة التي أفادنا بها أحمد بن عبد العزيز الهلالي لما أقام بالزّاويّة وهو في طريقه إلى الحج سنة 1150هـ–1737م، بقوله: "وأدخلاني (أي المُكلفين بالخزانة) خزانة الكتب؛ فظللت بها وبِت، ورأيت بها من الكتب جملة مرغوبا فيها منبئة باعتناء جامعها ومقتنيها..."[51]. كما نجد أن أبناء الفقيّه سيدي أحمد البلبالي الخمسة أشرفوا بالتداول على خزانة كتب والدهم بزاوية ملوكة في نهاية القرن 10 وبداية القرن 11هـ.

كما أفادتنا بعض المصادر بموقع هذه الخزائن في الزّاويّة؛ والذي عادة ما كان بجوار دار شيّخ الزّاويّة بخلوته، مما يؤكد المكانة التي كانت تَحظى بها هذه الخزائن، وفي هذا نجد مثالا في قول الدرعي عند نزوله وإقامته بعوينة القنادسة أثناء رجوعه من الحج: "...والتقينا بها بالفقيه النّاسك السيّد علي السوسي ثم الحاحي؛ وأطعمنا وأدخلنا دار الشيّخ وخلوته حيث خزانة الكتب "[52]. كما كانت خزانة كتب الزّاويّة البكرية؛ بدار شيّخها ومؤسسها الشيّخ سيدي البكري بتمنطيط. وكان الغرض بطبيعة الحال؛ تفعيل دورها والاستفادة من كتبها والمحافظة عليها، خصوصا وأنّ عدد الطلبة بهذه الزوايا، أخذ منحنا تصاعديا بصفة مستمرة ودائمة من المقيمين بها والمنقطعين عنها.

هذا الاهتمام بخزائن الكتب من قبل شيوخها ومؤسسيها استمر بعدهم وتواصل؛ إذ ظل خلفهم يتعاهدونها ويحضّون على تزويدها بالكتب، والتي غالبا ما كانت محتوياتها دينية تتضمن مواضيع في الشريعة واللغة؛ وهي القرآن الكريم وعلومه والتفسير والقراءات والتوحيد والحديث وعلومه والعقائد وأصول الدين والتصوف والفقه وأصوله

---

[48] السكوني، المصدر السابق، ص ص 138–139.

[49] العياشي، المصدر السابق، ص 14. بن عبد الكريم، جوهرة المعاني...، المصدر السابق، ص 59.

[50] الطاهري، المرجع السابق، ص 175.

[51] الهلالي، المصدر السابق، الورقة 8.حمادي، المرجع السابق، ص ص 52–53.

[52] الدرعي، المصدر السابق، الورقة 60.

والتاريخ والنحو والصرف وعلم الفلك وعلم المنطق والتراجم وغيرها من علوم أخرى[53]، وفي هذا الصدد أفادنا أحمد بن عبد العزيز بجملة من الكتب التي كانت موجودة بالخزانة الزيّانيّة منها: القرآن الكريم وكتاب "الاقتضاب لابن السيد البطليوسي على آداب الكتاب" لابن قتيبة وكتاب "حسن المحاضرة" و"الإتقان في علوم القرآن" للحافظ السيوطي وكتاب "خطبة القاموس" وكتاب "شرح الواحدي على ديوان المتنبي" و"كتاب في هيئة السماء والأرض وكيفية تكون الحيوان والنبات" منسوب لزكرياء محمد بن محمد بن محمود القزويني وكتاب "شرح دلائل الخيرات" لأحمد بن أبي بكر الفجيجي بخط مؤلفه[54] وكتاب "الاكتفاء في أخبار الخلفاء" لأبي مروان عبد الملك ابن كردبوس التوزري.

خاتمة:

وكخاتمة لما سبق ذِكره نجد أنّ خزائن الكتب كانت منتشرة بمعظم الزوايّا بجنوب غرب الجزائر في العصر الحديث وبصفة خاصة بمنطقة توات؛ إذ لا يمكن لنا أن نتصور زاويّة بدون خزانة للكتب؛ وقد كانت من بين الوسائل المُهمة في التعليم ونشر العلم والمعرفة والتي لا يمكن الاستغناء عنها، إلا أنّ واقع هذه الخزائن اليوم؛ ومن خلال مُعاينتنا الميدانية لبعض منها بزوايّا جنوب غرب الجزائر؛ وجدنا أن الكثير من مخطوطاتها في حالة سيئة بسبب ما وصلها من إتلاف نتيجة لعوامل الطبيعة، وبصفة خاصة ما له علاقة بعناصر المناخ المختلفة أو عوامل بشرية نتيجة الإهمال وما ألحقه بها من ضرر مادي. كما أنّه لا يخفى على أحد أنّ كثيرا من هذه المخطوطات ضاعت وأُتلفت عمدا ونُهبت من طرف الاستدمار الفرنسي، تنفيذا لسياسته الرامية إلى طمس الشخصية الجزائرية.

نعتقد أنه حان الوقت اليوم للقائمين على هذه الخزائن أفرادا كانوا أو أُسرا، أن يُغيّروا من ذهنياتهم اتجاه هذا الموروث الثقافي، المُتمثل في المخطوط وأن لا يحتكروه ويظهروه للباحثين والمهتمين، بقصد الاستفادة منه بتخريجه ودراسته وتحقيقه ثم طبعه ونشره، لعلنا ننقذ ما يجب إنقاذه ونكون أيضا بعملنا هذا قد ضَمنا وساهمنا في المحافظة عليه من التّلف والضيّاع.

المصادر والمراجع:

1-المصادر المخطوطة:

-أحمد بن أبي محلي، **منجنيق الصخور لهدم بناء شيخ الغرور ورأس الفجور من المبتدعة والزنادقة**، مخطوط رقم ق338 ضمن مجموع، المكتبة الوطنية، الرباط، المغرب.

2-المراجع المخطوطة:

-أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، **تعداد المنازل الحجازية**، مخطوط رقم ك 43، المكتبة الوطنية بالرباط، المغرب.

[53] بوسليم، المرجع السابق، ص ص 185-186، 189.

[54] الهلالي، المصدر السابق، الورقة 8-13.البشير، المصدر السابق، الورقة 48-49.حمادي، المرجع السابق، ج 2، ص ص 52-58.

-أبو مدين الدرعي، **الرحلة الحجازيّة**، مخطوط رقم: ق 297، المكتبة الوطنية، الرباط، المغرب.

-بن عبد الحق محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، **جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني**، مخطوط ضمن مجموع بدون رقم التصنيف، خزانة زاوية المهدية، أدرار، توات، الجزائر.

-بن عبد الحق محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، **الكواكب البرية في المناقب البكرية**، مخطوط بدون رقم التصنيف، خزانة أولاد القاضي البكرية، تمنطيط، أدرار، الجزائر.

-محمد العالم بكراوي، **الدرّة البهيّة في الشجرة البكرية**، مخطوط بدون رقم التصنيف، الخزانة البكرية، تمنطيط، أدرار، الجزائر.

-أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (1955)، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى-الدولة السعدية-**، تحقيق وتعليق وَلَدَيْ المؤلف جعفر الناصري ومحمد الناصري، القسم الثاني، ج6، دار الكتاب، الدار البيضاء.

3-المصادر المطبوعة:

-أحمد بابا التنبكتي(1421هـ-2000م)، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في** الديباج، دراسة وتحقيق محمد مطيع، ج2، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المملكة المغربية.

-أحمد بن أبي بكر السكوني (1991)، **تقوية إيمان المحبين مناقب الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد ابن سليمان بن أبي سماحة**، تح طواهرية عبد الله، دار الأديب للنشر والتوزيع، الجزائر، وهران.

-التلمساني أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني(1326هـ-1908م)، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، راجعه محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر.

-الحسن اليوسي (1402هـ-1982م)، **المحاضرات في الأدب واللغة**، تحقيق وشرح محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، ج1، ط.2، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، د، غ، إ، بيروت.

-المجهول (1994)، **تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية**، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، ط.1، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش.

-عبد الله بن محمد العياشي (2006)، **الرحلة العياشية 1661-1663م**، تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، مج1، ط.1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2006.

-محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم المشهور بابن بابا حيدة (1977)، **القول البسيط في أخبار تمنطيط**، تحقيق فرج محمود فرج، د، م، ج، الجزائر.

4-المراجع المطبوعة:

-أبو القاسم سعد الله (2007)، **تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830**، ج1، طبعة خاصة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر.

-الصديق حاج أحمد آل المغيلي (2007)، **من أعلام التراث الكنتي المخطوط الشيخ محمد بن بادي الكنتي - حياته وآثاره-**، د، غ، ن، ت، وهران.

-الطاهري مولاي أحمد الإدريسي الحسني(1433هـ-2012م)، **نسيم النفحات من أخبار توات ومن الصالحين والعلماء الثقات**، تحقيق مولاي عبد الله الطاهري، ط.2، طباعة مِداد للطباعة والنشر، غرداية، الجزائر.

-العربي هلالي ومحمد بوزيان بنعلي، **فجيج نصوص من التراث الفكري (تحقيق)**، مطبعة الجسور، وجدة.
-حبيب الزيات (1974)، **الوراقة والوراقون في الإسلام**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت.
- خير الدين الزركلي (1980)، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستغربين والمستشرقين**، ج4، ط.5، دار العلم للملايين، بيروت.
-عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني(1402هـ-1982م)، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، اعتناء إحسان عباس، ج2، ط2، د، غ، إ، بيروت، لبنان.
-مبارك بن الصافي جعفري(1430هـ-2009م)، **العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ**، ط.1، دار السبيل للنشر والتوزيع، بن عكنون، الجزائر.
-محمد بن عبد الكريم الكرزازي (2019)، **المنّاقب المعزيّة في مآثر الأشيّاخ الكرّازيّة**، دراسة وتحقيق وتعليق موساوي مجدوب، ج2، ط.1، دار كوكب العلوم، الجزائر.
-محمد الصالح حوتية (2007)، **توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية**، ج1، دار الكتاب العربي للطباعة، النشر، التوزيع والترجمة، القبة، الجزائر.
-موساوي مجدوب (2019)، **عبد القادر بن محمد الوليّ الصّالح -حياته وآثاره**، ط.1، دار كوكب العلوم، الجزائر.

5-قواميس:
-(1410هـ-1989م)، **معلمة المغربُ - قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى**، ج 20، حرف القاف، من إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، نشر مطابع سلا.
6-رسائل جامعية:
-صالح بوسليم(1428-1429هـ/2007-2008م)، **المؤسسات الثقافية بإقليم توات دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية أثناء القرنين 12 و13هـ/18 و19م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف محمد مجاود، جامعة الجيلالي اليابس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، سيدي بلعباس.
7-ملتقيات:
-مصطفى قناو (مارس 1989)، **سيدي أحمد بن موسى وزاويته**، محاضرة مطبوعة بخصوص فعاليات الملتقى الوطني الأول حول تاريخ سيدي أحمد بن موسى الكرزازي من 1 إلى 3 مارس 1989، تنظيم الجمعية الثقافية الولائية لولاية بشار.

8-المرجع الأجنبية:

– RINN Louis (1884), **Marabouts et Khouans étude sur l'islam en Algérie**, Adolphe Jourdan, libraire - éditeur, Paris.

-DE LA MARTINIERE.H.-M.-P.et LACROIX, **Documents pour Servir à l'étude du Nord-Ouest Africain Le Sud-Ouest Algérien et les régions limitrophes Figuig –l'oued guir l'oued Saoura**, T.2, Alger, Gouvernement General de l'Algérie.

Ptolemais city of the Libyan pentapolis

طلميثه إحدى المدن الخمسة

تأليف: كارل كرايلنج

ترجمة د. سعد صالح الدلال

أستاذ مشارك في التاريخ اليوناني والروماني

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي

ملخص البحث

هذه ترجمة لعدد من الصفحات من كتاب (طلميثه) إحدى المدن الخمس والذي قام بتأليفه كارل كرايلنج، من جامعة شيكاغور، وذلك عن طريق معهد الدراسات الشرقية، وبمساعدة عدد من الباحثين أمثال د.م. برانيكرهوف، رج. جوتشايلد، ج ي. كنوديستال، ل. مورني، وج. ر. هـ. رايت. إضافة إلى أنه أشار إلى بعض الباحثين الذين استفاد منهم مثل السيدة جويس رينولدز خاصة فيما يتعلق بالنقوش وقد قمت بترجمة الصفحات من ص 4 إلى ص 12 (المتن والهوامش) والتي تتحدث عن تأسيس المدينة والآراء التي اختلفت حول مؤسسها أكان بطليموس الثاني فيلادلفوس أو بطلميوس الثالث يورجينيس الأول والهدف من تأسيسها وتجارتها وتنظيمها الدرستوري الإداري وأهميتها الحضارية في العصر الهللينستي 322-96 ق.م متناولًا دور كيرينايكي (برقه) في تزويد جيوش البطالمة، بالعناصر الليبية وبعض الصفحات حول تاريخ المدينة في العصر الروماني 96- 31 ق.م وقد أشار المؤلف إلى أنه قد استعان في ذلك بعدد كبير من المصادر النقشية عن طريق أوليفيرو، وملحق: نقوش برقه الإغريقية الجزء التاسع.

Summary This is a translation some paper from the book of Carl. H. Kraeling, Ptolemais city of the Libyan pentapolis, University of Chicago, press 2 1996. Kraeling told that he wrote this book by oriental institute publications with help by. D. M. Brinkerhoff, R. G. Goodchild, J. E. Knudstad, L. Mowry, and G. R. H. Wricht, and he told that mess Joyce Reynolds of Oxford who gave him their advice in certain inscription and the history of the city. I translated some of papers fron p.4 until p.12 which told the city in the Hellenistic period (322-96 B.C) and answer for

the question about which early Ptolemais may have been the founder of the new city, and told about the city in the Roman Period from 96- 31 B.C. and he said that he needed to help some sources of inscriptions by Olivirio and Supplementum Epigraphicum Graecum, Klaffenbach, G. IX (1939).

طلميثة إحدى المدن الخمس ترجمة للصفحات من 4 إلى 12.

احتاجت المدينة منفذًا للتصدير على امتداد ساحلها الداخلي، فقدمت برقه مرافقها الطبيعية لإنشاء منفذ في ذات المكان الذي بنيت فيه طلميثه في وقت لاحق، ذلك المنفذ يمكن الوصول إليه من برقه وتوكره، ولذا من المرجح أن طلميثه استخدمت وطورت في الوقت الذي دخلت فيه برقه مشروعها التجاري، أي في وقت مبكر يرجع إلى الربع الأخير من القرن السادس قبل الميلاد، عندما ظهرت عملة برقه.

تلك المستوطنة في موقع (طلميثه) كانت كما هو الحال في الأيام الأولى، تتكون من مجموعة صغيرة من الناس ممن كانوا يقومون بتحميل وتفريغ السفن، كما ساهموا من دعمهم الخاص من خلال زراعة الأراضي الخصبة المجاورة لذلك الساحل. من المحتمل أن تكون مرافق الميناء بدائية، وأن مستودعات تخزين البضائع لا تزيد قليلًا عن مجموعة الملاجئ المملوكة من قبل المنتجين، لذا فإن شخص ما يمثل البيت الملكي والذي يتحكم في الشحنات الصادرة والواردة ويكون كرئيس للميناء خلال الفترة الأولى من تاريخها، فهذه المستوطنة استمرت بدون اسم ولهذا كيف نجدها في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد.

تلك الخطوط المتغيرة على برقه في القرن الخامس والرابع قبل الميلاد أثرت على حياة المستوطنة الساحلية التي لا يمكننا معرفتها.

ما يرويه هيرودوتس عن حصار برقه من قبل الفرس، ونفي شعبها يبدو أكثر تشاؤمًا من الواقع، ويبدو أن المدينة بما في ذلك دفاعاتهم بقيت سليمة والكثير من السكان قد نجو من الهلاك التغير الحقيقي في أن عناصر مكافئة من (سلالة الباتية) طردوا وأخرجو وأن الفصيل الموالي للأسرة الباتية وضعوا في مرتبة السلطة بقرار من فريتيمي والدة اركسيلاوس الثالث المقتول[12].

وبالتالي لم تكن النتيجة على هذه الأحداث توقف النشاط التجاري لبرقه؛ بل أن المزيد من الدخل وصل إلى مدينة قوريني الحاكمة، في الواقع قد لُمِّح إليه بواسطة الشاعر بندار في وصف ترف وثراء اركسيلاوس الرابع، عندما وصفه (ملك المدن العظيمة) (البيئية 5. 15)

فيما يخص أحداث برقه، عندما انتهت السلالة الباتية في قوريني مع اركسيلاوس الرابع، وهذا ما نعرفه جميعًا.

برقه في النصف الأخير من القرن الخامس قبل الميلاد لم تعد فقط مستقلة؛ بل مارست درجة من القيادة بين المدن الإغريقية في الإقليم[13].

عندما قسم سيكيلاكس برقه إلى منطقتين قوريني– وبرقه وأصبحت مستوطنة طلميثه مرفأ برقه أهم المدن في المنطقة.

حتى ذلك التاريخ كانت طلميثه نادرة الذكرة عند سيكلاكس بالكاد أشار إلى مرفأ برقه، كما تحدث عن مستوطنة أبولونيا (سوسه) وبالكاد أشار إلى مرفأ قوريني [14] وعلى الرغم من ذلك فإن المستوطنة الساحلية بدأت تنمو ماديًّا بعد القرن السادس قبل الميلاد وتأسيس مدينة طلميثه يعود إلى العصر الهللينستي، ولابد أن يفهم فيما يتعلق بالتطورات في تلك الفترة.

تأسيس المدينة

(12) انظر General Jones, cities of the Eastern Roman Provinces, (1937) pp 353–54

(13) حول اتحاد العملة انظر: BMC, Cyreniaca, pp. iiv–xivi

(14) انظر: Peripius (mueller, op. cit. p.84)

بدأت هذه الفترة مع الاسكندر الأكبر، والتي شهدت بعد دخول الحضارة الإغريقية تغيرات في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للعالم القديم عموما، وبالتالي يتضح لنا ذلك جليًّا من خلال ظروف وتوزيع المؤسسات الحضارية.

تضع المصادر قدرًا كبيرًا من التركيز على الاستعمار في تلك الفترة، ومع ذلك فالصورة التي تقدمها لنا تحتاج إلى مراجعة بقدر ما يتعلق الأمر بهوية المؤسسين؛ والقصد من تلك المؤسسات.

والحقيقة استمرت بالنسبة لمساحات واسعة من العالم القديم مرحلة جديدة من التحضر والاستيطان[15]

التفاصيل المتعلقة بأحوال المدن القديمة والحديثة قليلة، وعلاقتهما بالملكية الجديدة التي نشأت عن طريق امبراطورية الاسكندر، في حين أن تحرير المدن، والحفاظ على حرية الإغريق قد تم الإعلان عنه على نطاق واسع من قبل السلالات المنافسة. وعلى الرغم من عدم وجود صيغ منظمة نهائية على ما يبدو؛ فإن المدن في الممالك الجديدة قد تم تطويرها، والبعض الآخر توقف ليكون المحرك الرئيسي للتطورات السياسية في تلك الفترة، فأنشئت بئة شاملة جديدة استوعبت المدن، واضطرت إلى التكيف معها من خلال مواءتهما مع واحدة أو أكثر، من السلالات التي قسمت العالم فيما بينها، ومع ذلك فإنه تجدر الإشارة إلى الجانب الاقتصادي، على الرغم من الرسوم الثقيلة المفروضة عليها من قبل (مشرفي المالية).

الكثير من تلك المدن في العصر الهللينستي، وإن كانت مؤقتة ارتقت إلى مستويات غير متوقعة من الازدهار؛ عندما فتحت الأسواق الجديدة وأصبحت الموارد متاحة للاستغلال[16].

(15) حول الاستعمار الهللينستي انظر:

M. I. Rostovtzeff, The Social and Economic History of the Hellenistlc world (1941) 130-58,

وكذلك المؤسسين وغايتهم من التأسيس انظر:

especially v, Ischerlkower "Diehellenistlscher Stadtegrundungen von Alexanderdem GroBen Bis Auf die Romerzelt" Phllogue supplement brand xixi (1927) .

(16) حول الحالة السياسية في مدن الممالك الجديدة انظر:

في مقابل هذه الخلفية العامة يبدو أنه من الطبيعي في عهد المدن الحديثة في العصر الهللينستي قد تأسست في برقه منطقتين على حد سواء:

الأولى: هي أي مدينة تأسست في برقه ستكون طلميثه في الأصل والتي شملت المنطقة بين مصر وخليج سرت في الفترة من 322-321 ق.م.[17]

الثانية: هي أن مدينة أسست في برقه ستنشأ على ساحل البحر وليس داخل البلاد، حيث مرافق المرفأ متوفرة من أجل الطلب التجاري من المركز التجاري الجديد؛ والتي تساعد في ربط العلاقة مع الامبراطورية التجارية الكبرى والتي يحكمها الإغريق في مصر، وطورت في شرقي البحر المتوسط[18].

هنا الطلب التجاري، وهذه الظروف انعكست على نمو وازدهار مرفأ كيريني وهو أبولونيا فيما بعد، والتي بدأت نشر عملتها وكانت في ذات الوقت القاعدة والأساس للعمليات البحرية بين كيرين وثيبرون[19].

أما بالنسبة للمستوطنات الساحلية في موقع طلميثه، والتي عرفها سيكيلاكس كمرفأ برقه، لم يتم ذكرها في أحداث القرن الرابع المسجلة عن طريق (ديودورس وآريان)، إن عدم تأثرها بهذه الأحداث أمر مستبعد، والتي بواسطتها أصبحت طلميثه محط الاهتمام، في هذا الصدد هي الحقيقة التي تحدث عنها كل من (بليني وسترابون)

A. Heuss, Stadt and Herrscher des Hellenismus In Ihren stadts -und völkerrechtllchern Bezlehungen des seleucIdes (1938) .

وحول الأحوال الاقتصادية في المدن:. Rostovtzeff, op. cit. pp 153-56, 158-87

(17) التاريخ محدد ضمنيا في حساب ديودورس (History XVIII, 219)، وحول الجزء الأخير من تراجيديا ثيرون المبكرة على تخوم برقه انظر:

Jones, Cities of the Eastern Roman Provinces, p. 486, N, 14;

وحول نهاية العهد انظر:

P. RomaneIll, "II confine orlental della provInclal Romana di Cyrene" Pontificia academla romana di archeologid, Rendiconti, ser III, XVI (1940) 215-23.

(18) حول تجارة واقتصاد الإمبراطورية البطلمية انظر: Rostovtzeff in CA. H VII (1928) 130- 36

(19) حول دار ضرب العملة الجديدة في أبولونيا واستخدامها في إصداراتها التفاح البري كرمز، انظر:

BMC, CyrenaIca, pp cxv, cxc vIII- cxcIx

عن طلميثه، وأنها سميت برقه، والتي منها نستنتج أن المدينة الداخلية نقلت إلى الساحل، وأعيد تأسيسها كبرقه الجديدة[20].

لقد كشفت دراسة في المعهد الشرقي خطة الدفاع عن طلميثه درجة التفوق والطموح التي تقترح مؤسسة ملكية، فإذا كانت طلميثه مؤسسة ملكية فإنها بالتأكيد واحدة من البداية التي كان لديها اسم له علاقة بالسلالة الحاكمة.

لا نعلم ما إذا كان المستوطنون الجدد قد أحضروا من الخارج عن طريق المؤسسين، وحسب الترتيب الجديد للأشياء؛ فإن المدينة الداخلية انصهرت في المدينة الجديدة؛ ربما باستعمال نهج نموذجي من (ساينويكيزموس) اليوناني القديم ان اتضح من الآن فصاعدًا مدينة صغيرة[21].

مواطنو برقه أصبحو طبيعيا مواطني طلميثه، والمستوطنة الداخلية استمرت في الخروج واختفى اسمها.

السؤال الذي يطرح نفسه حول ما إذا كان بطليموس الأول كان مؤسس المدينة الجديدة التي حملت اسم برقه؟

الحقيقة أن بطليموس الأول ((سوتير– المنقذ) أعطى دستورًا جديدًا لكيريني غير ذي صلة، لأنه لا يتضمن مؤسسة جديدة[22] معظم فترة إدارة (أفيلاس) للمنطقة.

---

(20) انظر: Ihrige, op. cit. pp. 138– 39.

(21) حول Synolkismos كوسيلة من وسائل دهاء الحكم السياسي في العصر الهللينستي انظر:

W. W. Iarn and M. I Rostovtezeff In CAH VII 81, 180 and Heuss, op. cit pp. 99– 103.

(22) حول الجزء الرئيسي من متن الكتاب في القانون الجديد انظر:

SEG IX 1–4, No. I

تاريخ المناقشة والجدل فصله أحد الطلاب بأنها حدثت في عهد بطليموس الأول

(So e, g f Heichelheim" Zum Verfassungslagramma von kyrene", KIlo XXI (1927) 175–82.

Jones, Cities, P. 359.

كيفما كان الأمر فهو ينفق مع عهد بطليموس الثالث.

بالنسبة لـ (بطليموس الأول) نستبعده لأنه لم يجعل نفسه ملكًا حتى عام 305 ق.م، وأنه أسس بجهد تلك المدينة والتي حملت اسم السلالة حتى بعد ذلك التاريخ، ومن ثم فإن السنوات الأولى من إدارة (ماجاس) للمنطقة تستحق الدراسة، وبالنسبة لبطليموس سونير لم يتم ذكره كمؤسس للعديد من المدن على الأقل خارج مصر.

ونرجح أن تعطى الأسبقية لبطليموس الثاني (فيلادلفوس) 283-246ق.م وبطليموس الثالث (يورجينيس الأول) 246-221ق.م[23] المسألة التي جعلت لبطليموس الثاني احتمالية تأسيسه للمدينة هي النقوش الموجودة في طلميثه حيث أن المدينة كرمت (ارسينوي) زوجته والتي توفيت (270-269ق.م)[24] غير أن الجدل حوله غير مقنع.

بالنسبة للمدينة المذكورة في الكتابات الأثرية غير فيرجح أنها تتحدث عن تكريم الملكة ارسينوى لتشييدها للمرفأ على وجه التحديد، لأنه سيكون من السهل مشاهدته من قبل التجارة والمسئولين القادمين من مصر، علاوة على ذلك فإن الإقرار المطابق يجب أن يكون لثورة (ماجاس) في وقت مبكر من عهد فيلادلفوس حول إنشاء اتحاد المدن الخمس؛ التي بدت أنها تمثل الفترة بعد وفاة ماجاس؛ حيث كانت المدن مستقلة؛ ومن أجل إعادة تأسيس سيادة البطالمة على تلك المنطقة في السنوات التي تلت ذلك[25].

يبدو أن التاريخ الأمثل لتأسيس طلميثه هو بداية عهد (بطليموس الثالث) عندما تم زواجه من بيرينيكي (ابنة ماجاس).

(23) حول ثاني وثالث البطالمة المؤسسين للمدينة انظر:

J. Beloch, GrIechIsche GeschIchte IV (1925) PP. 260- 62, 283- 84, and Hans volkmam In R. E., 8, V "Ptolemalos".

(24) حول من الكتاب النظام الجديد المحتمل تاريخه انظر:

Oliverio, Documenti antichi II, pp. 68- 69, No. 3 and SEG IX 70, No. 357

(25) صعوبة وصحة تاريخ ذلك العهد البعيد المتعلق ببرقه تكمن في تنوع الألوان المبينة على بعض المصادر المبعثة بواسطة مفسرين مستقلين، انظر:

Thrige, op. cit, pp 223- 31; BMC, Cyrenaica, pp. xvi- xvii; E.

برقة توحدت مع مصر، ومناسبة لمنح امتيازات خاصة على أرض ميلادها[26] ونتيجة طبيعية لهذا الاستنتاج هي أن (طلميثه) بعد تأسيسها استبدلت عضو ميثاق برقه في تحالف المدن الخمس[27] (323-96 ق.م) العصر الهللينستي.

في العصر الهللينستي المدن والمستوطنات أصبحت على مرمى العين وتحت إدارة البطالمة في مصر والتحول نحو الانفصال كان طبيعيا وعلاقتها بمصر واقترح تقسيمها إلى أجزاء أصغر في ذلك العهد أي إلى ثلاث فترات متساوية ومع ذلك توجد طبقة اجتماعية على علمنا وغير واضحة ومتغيرة دائمًا.

لقد كانت تتم إدارة برقه عن طريق الملوك البطالمة من قبل حاكم مقيم فيها، في الفترة الأولى من هذه الفترة أي من 322 ق.م إلى 258-257ق.م أو 251-250ق.م بينما كانت طلميثه عبارة عن ميناء لباركي (المرج)، وكان أوفيلاس أول حاكم لبرقه في تلك الفترة، ثم حكم (ماجاس) الذي يبدو أنه كان يتمتع باستقلال ذاتي نسبي في إدارة المنطقة التي تقع تحت حكمه، أو على الأقل استخدم هذا الاستقلال لممارسة سلطة أكثر من تلك التي سمحت فيها الحقوق المذكورة في دستور كيريني البطلمي (الدياجراما)[28].

وفي الفترة الثانية من هذه الفترة من 247-246ق.م إلى 162 ق.م أي بعد تمرد ماجاس وبداية الأعمال الخيرية لبطليموس الثالث؛ والتي شملت تأسيس طلميثه، ثم دمج الإقليم مع المملكة البطلمية ومن المفترض أن إدارته كانت تتم من قبل البيروقراطية البطلمية؛ والتي كانت تؤدي وظيفتها بكل نجاح في مصر، ووجدت أنه من الممكن إحداث تعديلات مستمرة للموازنة ما بين الامتيازات الملكية والقوانين المدنية[29].

---

(26) انظر: Justin History XXVL, 3 and Volkman In R. E., &. V "Ptolemalos I

وانظر كذلك BMC Cyrenaica, P, XVI

(27) الإبداع لدى تلك الفئة وهي بكثرة وبقطع أدبية كثيرة في عهد ماجاس انظر:

BMC Cerenaica, pp cxxxiv- (xxxvii) ; Pllny Natural History V, 5

عندما المدن أصبحت متحدة، وهي برينيكي- ارسينوي- طلميثه- أبولونيا وكيريني.

(28) حول قانون البطالمة انظر N. 22.

(29) حول إدارة مصر البطلمية ومقاطعاتها البعيدة انظر: Rostovtzeff In CAH VII, Ch, IV

وخلال الفترة الثالثة من 162 إلى 96 ق.م باستثناء مدة 30 عامًا فاصلة كانت برقه نوعًا من المملكة المستقلة تحكم من قبل ملك مقيم ينحدر من سلالة البطالمة وأولهم كان بطليموس الصغير شقيق بطليموس السادس (فيلوميتور) ولاحقًا بطليموس أبيون الابن غير الشرعي لبطليموس الصغير[30].

هناك صعوبة في صياغة إجابة مناسبة للسؤال؛ كيف كانت حالة طلميثه أثناء العصر الهللينستي؛ وذلك راجع إلى نقص المعلومات المعرفية حاليًا؛ حيث أن المصادر الأدبية من تلك الفترة لا تذكر شيئا عن طلميثه، إضافة إلى ذلك تعد مادة النقوش ضئيلة، أما الحفريات فيمكن القول أنها لم تضيف إلى المعلومات إلا بمعلومات محدودة عن المباني، ومن الناحية الأثرية تعد المعلومات الكاملة عن مرافق ميناء المدينة والسوق هي الوسيلة التي يمكن أن تعالج الوضع؛ لأنه من تلك المعلومات يمكن استخلاص بعض الاستنتاجات عن طلميثه الهللينستية بشكل محدود وجزء آخر من الأدلة الحفرية لتلك الفترة والفترة التي تلتها.

من الواضح أن مدينة طلميثه كانت منظمة كأي مدينة إغريقية نموذجية، وقد قامت طلميثه كمدينة مستقلة بتكريم بطليموس السادس فيلوميتور بنصب تذكاري له[31]، وتدوين قوانين مجلس المدنية (البولي) كان مستمرًا حتى فترة حكم (أنتونين)[32].

ويمكن توثيق وجود الجنرالات والأطباء حتى في الفترات اللاحقة، أما عن طبيعة دستور المدينة فهو غير معروف، ولكن من المحتمل أن دستور المدينة كان مماثلًا لدستور قوريني الذي تم تعديله بالدياجراما المذكور أعلاه[33]، وذلك يعني أن حق منح المواطنة كان محدودًا، وتوجد شروط الملكية العقارية للحصول على المواطنة؛ ولكن يمكن أيضًا أن تمنح المواطنة من قبل الملك، وهي على ما يبدو مرتبطة بمنح ملكية عقارية. وهذا يعني أيضا أن هناك ضوابط معينة على قرارات المدينة يتحكم فيها قضاة يعينهم الملك ومسئولين أمامه. وبدون شك فإن عدد تلك الضوابط كان يتغير خلال العهد الهللينستي، ولكن من غير الواضح متى كانت تلك الضوابط أشد صرامة، ومن الواضح أن المملكة البطلمية قامت بإدارة الإقليم كله بعناية حيث طالبت بحق ملكية

(30) حول الظروف التي أدت إلى تكوين مملكة بطلمية في برقه: انظر

w. otto zur GeschIchte des Zeit des 6. Ptolemaers

من المحتمل أن برقه قد رجعت إلى حالتها السابقة كمقاطعة للمملكة البطلمية في مصر أثناء الفترة الفاصلة بين الحاكمين.

(31) Oliverio, Documenti antichi II, pp. 42– 45 No. 2, and SEG IX 70 No. 558.

(32) See SEG IX 72, No 368.

(33) لمناقشة موضوع الإقليم انظر

Rostovtzeff In CAH VII 127 and Jons, The Greek city, pp. 104, 159.

الأراضي؛ التي لم تمنحها للمدن كسياسة ملكية الأراضي، ويوجد مثال معين على ملكية عقارية للملكة في المنطقة المحيطة بطليمثه ، والتي سنتطرق لها أدنى الصفحة.

وتتميز طلميثه كعضو في رابطة المدن الخمسة بمميزات دستورية وإدارية معينة مشتركة مع المدن الأخرى في الإقليم، ويمكن الافتراض أن المدينة فتحت حقوق وامتيازات متبادلة لمواطني تلك المدن، بينما تكون محمية من أية انتهاكات من السلطة الملكية بالتساوي مع المدن الأخرى[34].

أما بالنسبة لما يتعلق بالنواحي الاقتصادية والثقافية في طلميثه الهللينستية؟ فسنتعمد مرة أخرى وبشكل كبير على الاستنتاج، وإنه طالما تماسكت امبراطورية البطالمة خارج مصر، وهيمنت مؤسساتها التجارية على شرق البحر المتوسط، فإن نمو المؤسسات التجارية والسكان في المدينة المؤسسة حديثا مفهوم ضمنيا من مخطط المدينة الطموح، وتنفيذه الفعلي. الشيء الوحيد الذي نعلمه عن فئة السكان أنها كانت تشمل ملاك العقارات الزراعية في سهل (المرج) الذين اختاروا المشاركة في إدارة المدينة للاستفادة من ميزاتها الاقتصادية، وباستخدام مصطلح المؤرخ (ديودروس الصقلي) في وصفه القوريني بأن هؤلاء كانوا المزارعين، وفي تقرير ديودورس عن حادثة (ثيبرون) شملت فئة السكان كما في أبولونيا (سوسه) كذلك فئة السكان الثانية من حيث الأهمية وهي فئة التجار الذين يسيرون حركة تجارة البضائع من تصدير واستيراد.

وقد يكون من الفئات وكلاء ومقيمين بالمدينة للشركات التي تدار من المراكز التجارية المهمة في البحر متوسط مثل جزيرة رودس[35] ويجب أن يضاف إلى هذه الفئات من السكان العدد المتزايد من العمال المحليين الذين تم توظيفهم لنقل البضائع في المستودعات، وفي تحميل وتفريغ سفن الشحن، ويجب إضافة كذلك أضاف الموظفين المؤقتين مثل البحارة وقباطنة السفن والتجار المسافرين من ميناء لآخر، أما المجموعة الخاصة والمهمة للغاية من فئة السكان حتى ولو كانت قليلة العدد فهي تتكون من ممثلي الحكومة البطلمية في مصر، وهذه المجموعة تشمل عدد صغير من الحرس العسكري، وقائدهم، وممثل الملك في الإدارة المدنية (ربما لواء)

(34) للمزيد عن العلاقات بين المدن والممالك انظر

Rostovtzeff, Social and Economice, I 154.

(35) حول النموذج الثابت في أعالي البحار موانئ أخرى في رودس في تجارة وسط المتوسط، انظر

Ibid pp. 226– 68.

والمدير المالي ومسئول الضرائب البطلمي (ربما مدير أعمال) ومجموعة أخرى من المساعدين الذين يؤدون دور في الإدارة العقارات الملكية.

ويمكن في حالة مدينة قوريني استنتاج مقدار كبير عن الحياة الثقافية للمدينة من علاقتها بمدينة أثينا التي أحضرت أثناء القرن الرابع ق.م الفلسفة والعلوم لتزدهر على المرتفعات الليبية، وفي القرن الثالث قبل الميلاد قامت قوريني بتزويد الاسكندرية بالمثقفين والعلماء والأدباء، ومن أوراق البردي المصرية يمكن أيضًا معرفة ما هو عدد القوريناليين الذين خدموا في الجيوش البطلمية ثم استقروا بمصر، وبالتحديد في الفيوم[36].

ولا يمكن إثبات أن طلميثه لعبت دورًا مماثلًا لقوريني في أمور كهذه، وهو أصلا أمر غير مرجح على الإطلاق، جزئيا لأن مساهمة قوريني في الحياة الثقافية بمصر تنتمي للفترة الهللينستية المبكرة.

وعلى العموم لأن طلميثه كانت –على الأرجح مدينة تجارية، إحدى المدن العديدة التي قدمت خدمات لاستمرار حركة المنتجات الزراعية، والبضائع المصنعة، ولكن لم تكن إحدى المدن التي كانت متميزة كمركز للثقافة أو قاعدة عسكرية.

وكانت طلميثه تقوم بتزويد التجارة العالمية بكل منتجات إقليم كيرينايكا (برقه) تشكل المنتجات لم تكن متنوعة، ولكن كميتها كانت أحيانا مذهلة[37].

كانت طلميثه تقوم بتوزيع منتجات الحبوب والفواكه من المنطقة الساحلية المجاورة، وكذلك من سهل (المرج) الغني، ولدى طلميثه المقدرة على الوصول إلى منطقة محصول السلفيوم، إن لم تكن تلك المقدرة أفضل من مقدرة مدينة قوريني. وطلميثه محاطة بمنطاق تستخدم للرعي وإنتاج زيت الزيتون والعسل، بالإضافة إلى ذلك كان يمكن الوصول لإمدادات الأخشاب في وديان الجبل الأخضر، مثل خشب شجرة الأفافيا؛ التي كانت تستوردها مصر من أماكن بعيدة مثل سورية أما بالنسبة للمعالم التذكارية، والمواد من الفترة الهللينستية التي تم

(36) انظر خاصة:

F. Heichelheim Dieauswartig Beuolkrung Im Ptolemarreich (Klio Beiheft XVIII[1925]) pp. 43, 93-94.

(37) أفضل وحدة زمنية لقياس التاريخ الروماني لوفرة الإنتاج بشكل كبير في المدن الإغريقية خلال المجاعة التي حدثت في بلاد اليونان أعوام 330- 326ق.م ... انظر : SEO Oliverio, Documentl antichi II, pp. 7-94; . 4-5 No. 2)

وحول إنتاج برقه انظر: Rostovzeff, Social and Economic, I 333.

الكشف عنها في طلميثه فنرى تلك الأدلة لا تزال ضئيلة، ولكن أصبح الآن أكثر توسعًا مما كان عليه في مرحلة سابقة من دراسة الموقع ومن أقدم القطع نصب جنائزي يوجد عليه نقش بصبغة موزونة يسجل حالة سوء الحظ لامرأة من بنغزي توفيت في طلميثه بعيدًا عن موطنها[38] ونقش التكريس لبطليموس السادس، ونقش التكريس لارسينوي الثانية[39].

ومن المرجح أن التكريس لارسينوي الثانية كان المقصود به إثبات أن مدينة (المرج) مشتركة في عبادة الملكة وتم تأسيس العبادة عام 270 ق.م، والتي أصبحت عبادة رسمية بعد وفاة ارسينوي في العام التالي[40].

وأخيرًا فإن تشييد هيكل أو حتى معبد في طلميثه لعبادة حاكم بطلمي هو أمر يمكن توقعه[41]، وبوجود تاريخ تأسيس المدينة يمكننا وبكل ثقة ربط مخططها وشبكة تحصيناتها، ويمكن إرجاع المعبد الصغير الذي تم إزالة الركام وتنظيفه من قبل مصلحة الآثار عام 1955م إلى الفترة الهللينستية ولأنه من الصعب تصور مدينة هللينستية بدون مسرح فإن إدراج المسرح العلوي (المبنى 28 في مخطط المدينة XXII) من ضمن المباني التي تعود للفترة المبكرة شيء يستحق الاعتبار ولكن لأنه لم يتبق من المبنى إلا الشيء القليل؛ ولذا لا يمكن تأكيد هذه الفرضية والمبنى الوحيد من ضمن المباني التي تم التعرف عليها حاليا، والتي يمكن أن تكون هللينستية هو المبنى رقم 26 والذي من المحتمل أنه كان الضريح الرئيسي في المدينة الهللينستية.

---

(38) نصب تذكاري لمدفن لأراتا زوجة كاليكرانيس (انظر Oliverio, Documenti antichi II 2, pp 257–58, No. 537 and SEO IX 71, No 362)

(39) كلاهما كرسا نقوشا أعيد استعمالها في تشييد ساحة الصهاريج في العهود الرومانية انظر p70) .

(40) في نص النقش الذي تم ترميمه من قبل أوليفيرو تم منح لقب (فاسيليا ارسينوي ثيا فيلادلفوس بطليموس وبرينيكي إله الخلاص، وللمزيد عن أهمية عبادة الملكة ارسينوي الثانية انظر:

Bevan, HIstory of Egypt, pp. 129– 130 and w. otto, Priestern und temple In hellenistischen Agypten II, (1908) p. 274.

(41) الكشف عن تمثال من قبل بعثة المعهد الشرقي تم تحديده على أنه تمثال الملكة كليوباترا، له علاقة بهذا الاحتمال وقد أشار رئيس مصلحة الآثار ج. جودتشايلد إلى الكشف عن تمثال ثاني للملكة البطلمية عام 1960م.

ويجب التنويه في هذا الصدد عن المنحوتات المصرية الثلاث التي تم الكشف عنها في مبنى قصر الأعمدة والذي يعد من المنازل السكنية الأكثر شهرة في طلميثه[42].

ويوجد ثمثال صغيرة من الجرانيت لـ (أمنموس بن بندجارتي) وتمثال صغير من البازلت الأخضر لـ (هاربوكراتيس) جنرال الملك وكاتبه، وقاعدة لتمثال صغير من البازلت الأخضر للجنرال (بس) من المحتمل أنه (بسماتيك)[43] واستنتج الباحث (آلن رون) من دراسة التمثالين الأولين، ومن قراءته لنقوشهن الهيروغليفية أنه كانت هناك مستوطنة مصرية في موقع طلميثه، على الأرجح في فترة حكم بطليموس الثالث أو الثاني، وربما حتى قبل ذلك الوقت، وأنه كانت هناك حامية عسكرية مرابطة هناك بإمرة (هاربوكراتيس)، والذي شيد معبد في الموقع مركس لعبادة أوزريس، وكذلك قام بصيانة معبد أقدم من ذلك التاريخ مكرس لنفس الإله، واسم المستوطنة بالهيروغليفية يعني بيت بستان الطرفاء، وهو اسم مناسب للأهمية لدى عبادة أوزيريس هناك[44].

وقد تمت دراسة التماثيل الصغيرة الثلاث من قبل الباحث ج.بوتي، والذي توصل لنتائج مختلفة تمامًا[45].

ثم إعادة الفحص من قبل الباحث (تشارلز نيمز) عضو المعهد الشرقي، وهو يميل للاتفاق مع رأي الباحث (أوتو) الذي راجع مقال الباحث (ألن رو) وأن التمثال الصغير (لهاربوكراتيس) يعود تاريخه لفترة سيتي (663-525 ق.م) ويعتقد أن التمثال الصغير (لبسماتيك) يعود هو الآخر على الآرجح لفترة حكم (سيتي)، ويشير علاوة على ذلك أنه قد تم جمع الدليل سابقًا من قبل المفتش العام في مصلحة الآثار المصرية بالأقصر (سيد لبيب حباشي) وهذا الدليل يبين أن (امنموس بن بندجارتي) يعود لفترة (رمسيس الثاني) وقد تم دفنه في طيبة[46].

---

(42) نشر بواسطة،

Gennaro Pesc under the title "Palazzo-delle colonn" in Tolemaide di Cirenaica ("monografie di archeologia Libica" II[Roma, 1950].

(43) بالترتيب .Ibid figs, 77, 78, 79-81, 85-87

(44) Alan Rowe, " A history of Ancient Cyrenalca" supplement aux annals sevice du antiquites de l' Egypte XII (1948) , pp. 13, 62-76.

(45) Gennaro Pesca, 11. op. clt, PP. 70- 75.

(46) للمزيد حول مراجعة الباحث (أوتو)

Bibliotheca orientalis VIII (1951) , PP 28-29

من المعلوم وجود ثلاثة تماثيل أخرى لأمنموس، ومنها التمثال الموجود في القاهرة تم ربطه بفترة حكم رمسيس الثاني.

كل تلك التماثيل بإمكانها إخبارنا في طلميثه عن أماكن متعددة، والتي أحضرت من مصر؛ ربما في العصر الهللينستي عن طريق شخص ما، وهي مكرسة، لعبادة أوزيريس، وبالمثل لم تكن ذات أهمية كشاهد على التواجد الملكي المتمثل في أفراد المدن وخاصة الموظفين الرسميين من مصر.

ويعزز ما قلناه سلفًا في (ص ص 177– 180) وحول إحياء ذلك العرف المصري في النحت في أواخر العهد خارج غربي المدينة توجد آثار لأعمدة معتدلة تتوافق مع العصر الهللينستي في طلميثه، ويوجد كذلك قبر عالي ضخم يمثل علامة حدود قام بها المفتشون الذين زروا المكان (انظر ص ص 113–115) يبين بجلاء الكثير من النصب التذكارية مثل المدافن.

والآن لدينا طموح كبير وحجة للمقارنة بالمدافن الأخرى في برقه؛ تحتاج إلى بعض المبررات الخاصة.

فأن يكون أي أمير تاجر في الفترة التي يمكن للبروج أن يكون فيها معمار ينتمي لنفس التقليد ضريح عائلته، حيث أن أولئك الذي قاموا فيما بعد ببناء أبراج القبور في تدمر ودورا ويوريوس وهو أمر مشكوك فيه وإلا قد نتوقع العثور على بقايا هياكل مماثلة في أي مكان آخر في برقه.

أما بالنسبة للمحافظين والمسئولين الآخرين؛ منذ بداية الفترة الرومانية؛ لم يكن من المتوقع أن يكونوا قد دفنوا موتاهم حتى الآن بعيدًا عن المنزل.

ومن ثم؛ فإننا على أية حال قد رجعنا مرة أخرى إلى فترة وجدول العائلات المقيمة مثل (ماجاس) الذي أصبح مثل بطليموس (الأخ)، وكذلك بطليموس أبيون، لوحظ أن النصب مع شخص مثل بطليموس (الأخ) قد يبدو أنه يعود إلى تقليد محلي خيالي لو لم يكن هناك اعتبار إضافي واحد. هذه هي حقيقة أن المنطقة التي تقع مباشرة في الخارج وإلى القرب من طلميثه كانت جزءًا من بطليموس (الأخ) عند وفاة بطليموس أبيون.

يوجد عمود نقشي يشهد على استعادة الملكية في عهد الامبراطور فسبيان (انظر ص113).

كم هو حجم هذا الجزء من الأملاك العظيمة للملكة الذي ربما لم يكن معروفًا، إذ كان النقش يقول أنه من المعقول أن ينحصر نشاطهم في عدد ثلاثة كيلومترات غرب المدينة (انظر ص 68) ثم بالإمكان طبقا حصر أكثر السهل الساحلي الخصيب وجزء من أحراش وتلال الجبال الأخضر[47].

(47) كان الاختلاف جليًّا في النموذج الخاص بساحة العبادة في شحات عما هو معروف في طلميثه.

خلال الفترة بين إدارتها من قبل وكلاء الملك، واستعادتها تحت حكم (فيسبسيان)، من المعروف أن الممتلكات تم استغلالها من أطراف أخرى في جزء واضح بجلاء بواسطة عملية استخراج الحجارة الكبيرة الذي ترك البرج يقف على مكعب معزول من الصخور المحلية في موقعه الأصلي، وفف البرج على قمة حافة غير ملتوية في السهل الساحلي، تلفت النظر عبر البحر وبالتالي مناسبة جدًّا كحديقة[48].

على أية حال فإن وجود جزء من الملكيات بالقرب من طلميثه؛ قد يكون ذا أهمية كبيرة بالنسبة للحياة الاقتصادية للمدينة في العصر الهللينستي.

لاشك في أن تأسيس طلميثه حقق آمالًا كبيرة، كان الموقع في معظم النواحي ممتازًا، وقد تم تطوير خطة المدينة بعناية، وكانت دفاعاتها كافية، وكانت أسواق شرق البحر المتوسط مفتوحة وأن الأسطول المصري يتحكم في الشواطئ، والإشراف الإداري، وكان الاحتياج لزيادة الإنتاج المحلي متاحة، وفي عهد بطليموس السادس؛ عندما تم تأسيس سلاسلة الكيرينايكيين (البرقاويين) المحليين بدأت الظروف تتغير بشكل جذري.

وكانت مصر تفقد موقعها كقوة مهمينة في شرقي البحر المتوسط، وكانت ممزقة بسبب الخلافات الداخلية التي أدت إلى إضعاف إمكاناتها الاقتصادية إلى حد كبير.

كانت (ديلوس) تحل محل مدينة رودس كمركز تجاري على مفترق الطرق شرق المتوسط، وكان المفاوضون الرومان مختبئين في الحقل الذي يزود أسواق كريت وبحر ايجه بالمنتجات الرومانية[49] في أراضي كيريني التي كانت تحت الاستغلال ثم التخلي عنها معرضة للتهديد بالمصادرة وإصدار المراسيم الملكية لإعادتهم إلى الإنتاج[50].

Rostovtzeff (The Social and Economic History of the Roman Empire [2d ed; Oxford 1957] II 681, n 64) .

(48) المشهد الداخلي مشيد، ومعد للخدمة، وكذلك المدفن، ولكن القلاع أو الأبراج تخدم أغراضا أخرى وهي مألوفة مثل الأجزاء التي في عتيقا انظر: J.H. young, "Studies In South Attica" Hesperia XXV [1956] 122-46.

(49) حول التجارة الرومانية انظر

J.Hatzfeld, les Trafiquants italiens dans i'orient hellénique (1919) .

(50) حول النقوش ذات الصلة بالموضوع في كيريني انظر:

Oliverio Documenti antichi II z, pp. 259-65, No.538 and SEG. IX 8-9, No.5.

في ظل ظروف يجب أن يعتقد أن حظوظ قد انخفضت في أواخر العصر الهللينستي.

عندما كان بطليموس أبيون آخر الملوك قد توفي عام 96 ق.م لكيرينايكي (برقه) ووفقًا للوصية أن يسلم البلاد أيدي الشعب الروماني ليتم وصية والده[51] حسب التنقيب عن عائدات العصر الروماني، ومع ذلك هناك العديد من الفجوات في معرفتها، منها والتي يمكن من خلالها الإجابة إلى حد كبير على الملاحظات العامة، في كل ما يمكن أن يقال عن الفترة من 96- 31 ق.م.

عندما ورثت روما كيرينايكي (برقه)من خلال بطليموس أبيون كان لا يزال هناك العديد من التدابير قبل عهد أغسطس، من خلال التجربة المريرة للحرب الاجتماعية، كان لا يزال غير واضح أدراج الشعب الروماني في وقت لاحق خلال حرب (ميثرادس) لتحديد الآثار المترتبة على تدخلها في اليونان، والفوائد السابقة التي جعلت من وريثة أتاللوس الثالث في نهاية المطاف أن تمر خلال فترة الحرب الأهلية والصراع بين أعضاء الحكومة الثلاثية.

كانت هناك فرصة ضئيلة لذلك جعلت مجلس الشيوخ يستجيب للوضع الذي أوجده بطليموس أبيون، والموت بطريقة حذرة وأعلن أن المدن ذات حكم ذاتي حر تدير شئونها المحلية والإقليمية[52]، كان لهذا الإجراء تأثير على تخليص المدن ومنتجي السلع المحتكرة من (ثوريو) التي كانت مستحقة الدفع إلى الإنتاج إلى التاج، ولكن تركها ورابطه المدن الخمسة مع مجموعة من المشاكل الإدارية التي لم تكن مستمدة لها، ولم تنظم التعامل، حيث كانت النتيجة حالة من الفوضى، فيها قصة أريتافيلا التي استعانت بزعيم قبلي ليبي يدعى (أنابوس)

(51) حول محاسن والده في نقش شحات انظر:

Oliverio, op. cit. vol. II, pp. 11- 84, No 1, and SEG LX 10 -11, No. 7.

(52) انظر بشكل خاص:

Livy Epitomes 70.

حول تاريخ كيرينايكي (برقه) في العصور الرومانية والبيزنطية بالإمكان الاعتماد على العمل الرائع الذي قدمه

Romaneille, La Cirenaica romana, pp. 39- 65.

لتخليص كيريني ابن نيكراتيس[53]المستبد، ويرى أخر في التقرير أن (لوكولوس) جاء لزيارة كيريني أثناء البحث على سفن لمساعدة (سلّا) فوجد المدينة في حالة الفوضى والاستبداد، والحروب المتتالية[54].

وحسب بلوتارخوس، فإن شرح هذه الحادثة لصياغة قوانين للناس قد تعكس الإحراج فيما يتعلق بالإجراءات الإدارية التي وجدت فيها المدن نفسها والتي قد نشأ منها الصراع الداخلي.

وبالمثل فإن حقيقة أن (لوكلوس) في بحثه عن السفن ذهب أولا إلى (كيرينايكي) قد يشير ذلك إلى أنه كان لديه سبب لتوقع العثور على سفن راكدة ذلك لعدم عملها في التجارة لضعف صادرات التجارة حينها[55].

لم تتسحن الظروف بالضرورة ماديا بعد عام 74ق.م، عندما تم الاعتراف بكيرينايكي كمقاطعة بعد عام 67ق.م، حيث ضمت مع كريت في ولاية واحدة لأول مرة لأهداف الإدارية[56].

من المؤكد أن وجود حكام يعني ان شخص في السلطة كان متاحًا له تنظيم شئون المدن؛ ولكن جهودهم لم تكن ناجحة دائمًا، ومعهم تم استئناف عملية تحصيل الضرائب التي لم تلق ترحيبًا خاصا بالتأكيد.

كان من الواضح أن إحدى المسائل التي أثارت الخلاف كانت محاولة من المحافظين لاستعادة الممتلكات الملكية المغتصبة للشعب الروماني.

التفاصيل غير موجودة، ولكننا نسمع من (سيشرون) أن المحاولة تم التخلي عنها[57] مصدر أخر لاستمرار الارتباك يكمن في الصراع بين الحكومة الثلاثية، والترتيب الأساسي لإدارة المقاطعة، وأخيرا وضع جانبا أولا من خلال تعيين مؤقت لكاسيوس كحاكم مؤقت عام 44 ق.م.

---

(53)

(54) Plutarch Lucullus 2. 3–4.

(55) بحثه أوضح بجلاء نتائج جيدة، ونحن أخبرنا بأنه فقد الكثير من السفن التي استأجرها في كيرينايكي قبل أن يتجه إلى الاسكندرية بسبب مهاجمته عن طريق القراصنة (Lucullus. 2.5.)

(56) الحكام الأوائل على درجة كبيرة من الفساد، أقصد الكوايستورز (وزير المالية) ، وهي فقط الفترة بعد عام 27 ق.م، عندما أصبحت كيرينايكي (برقه) ولاية سانتوريه (تتبع السناتو) وكان لها رجل القانون (البروبراينور) نائب البرايتور، وحول مجموعة القوانين للمؤسسة وإداراتها في إقليم كيرينايكي (برقه) انظر:

J. marquardt, Römische Staats verwaltung I (2d, ed: Leipzig, 1881) 457– 64.

(57) Oration on the Agrarian Law 2. 51

وبعد ذلك من خلال عمل (أنتوني) الذي جاء للسيطرة على كيرينايكي، أعلن في نهاية المطاف منح الإقليم لابنته (كليوباترا سيللين)، والتالي أراد بدون شك أن يعيد الملكية والمنزلة الكبيرة ليحتفظ ويحيي أيام بطليموس (الأخ) وبطليموس أبيون.

لم يكن أقل إثارة للقلق من ظهور القوات الرومانية في المنطقة؛ التي يجب أن تفرض أعباءها وإمداداتها على المدن أولا في الفترة التي أعقبت موت (بومبي)، عندما جمع (كاتو الأصغر) هناك بقايا جيوش (بومبي) والتالية، ومرة أخرى في السنوات التي سبقت معركة اكتيوم 31 ق.م؛ عندما قام (أنتوني) بتجهيز أربع جحافل هناك لمجابهة تهديد حركة ضده في ولاية أفريقيا. ولكن في خضم كل هذه الاضطرابات تم وضع الأسس لعهد جديد أكثر استقرارًا وكانت الفرص الجديدة تتطور من الركود الذي تراجعت فيه شئون المنطقة في نهاية العصر الهللينتسي.

كانت الافتراضات المسبقة المهمة للتغيير هي حملات (بومبي) في شرق البحر المتوسط والاحتلال الروماني لجزيرة (كريت)؛ والتي في النهاية كانت لتهديد القرصنة.

ومن ذلك الوقت البحر كان مفتوحًا مرة أخرى لشحن البضائع العادية، وبالإضافة إلى ذلك فإن توفير ونقل القوات الكبيرة التي نشرتها الحرب الأهلية شرقًا، يجب أن يوفر فرصًا غير عادية لكسب أولئك الذين كانوا يبيعون تجارتهم ويستأجرون السفن، وبقدر ما يتعلق الأمر بطلميثه نفسها فإن الدليل على تورطها في هذه التطورات لا يزال هزيلًا، غير أن المبرر بعيج ويدل على عدم وعي.

إحدى الحقايق المثيرة للاهتمام التي أبرزتها النقوش المادية تتمثل في أشخاص أقوياء جولي وأنطونس[58].

نفس الأنواع من الأسماء تتكرر في أي مكان آخر في كيرينايكا وتوخيرا، وكذلك في المقاطعات الشرقية الأخرى للامبراطورية، على سبيل المثال في آسيا[59]، قد يكون لظهور هذه الأسماء له دلالات مختلفة، ولكن من

(58) حول السؤال عن الأشخاص: جايوس جوليوس ستيفانوس وفلافيوس انتونيوس، وابن سلا، انظر:
Oliverio. op. cit vol II 2, pp. 244, No. 486 and 243, No. 482; SEG IX 72, No. 369, and 71, No. 361.

(59) أفراد الأسرة في كيريني ماركوس أنتونيوس كاسكيليوس الذي شيد هزاز القطع لحوض المياه خارج التأسيس لابوللو. وهو من الأسماء في الدائرة المغطاة في سور توكره (جوي) بشكل استثنائي كثير واوفر. ويرجح أنه من أعضاء الحامية

المؤكد أنها بالتأكيد أساسية. هجرة المعتدين لأية أغراض مباشرة من إيطاليا جائزة من الجنسية الرومانية إلى سكان اليونان في كيرينايكا. فيما يتعلق بالخدمات العسكرية الاقتصادية والإدارية التي أجريت هناك في فترة ما قبل معركة اكيتوم وما بعدها[60].

حقيقة مثيرة للاهتمام فيما يتعلق بتاريخ البطالمة خلال الفترة قيد الدراسة، تم استخلاصها من دراسة عملة برونزية في كيرينايكا؛ والتي بدأت ببعض المسائل، واستمرت بشكل منقطع حتى عهد الامبراطور تيبروس[61]؛ ومن بين العملات المعدنية المخصصة لهذه الفترة قطعة واحداة (الاستراكا– قطعة فخار) تبدو كأنها من طلميثه نفسها، وعلى وجه العملة رأس (تايك) معد للبس مدرج بأعلى الرأس بنقوش (طلميثه) والجهة الاخرى صورة تمساح بشكل أسطوري[62].

السؤال عن (كراكوس) من المحتمل (ب. كانديوس كراسوس) الذي عرف بصداقته المتينة (لكليوباترا) هذه الحقيقة؛ كلاهما بمظهر خارج في صورة تمساح في الوجه الآخر من العملة، أخذت ضمنيا، وهي تمثل نقطة خلاف في ذلك العهد عندما كانت كيرينايكي تدار أملاكها عن طريق ابنه (أنتوني) وهي (كليوباترا سليين).

الممتع في تقديم العملة في سياق الحديث أنها بدون حدود، اكتشاف في آخر الرواية الامبراطورية حول رأس (تايك) من طلميثه (P1 XXXVII A and P.203, No.61).

العسكرية للسكان المحليين الرومان، وهو فلافيوس جوليوس وسيسنيوس جوليوس، ج. جوليوس باكوليوس، ج. جوليوس سيكندوس وج جوليوس ماكير؛ الذي يظهر للعيان وينتمي إلى العهد ما بين 22 و 11 قبل الميلاد، انظر:

Oliverio op. cit vol II 2, pp 183– 88 Nos. 225– 26, 235, 248– 49; SEO IX 81– 82, Nos. 487–88, 497, 508– 9.

(60) عند المترجم يوجد مغزى في تاريخ (انتوني) في آسيا في ذلك الوقت انظر:

Rostovtzeff, Soclal and Economls, 11 1007.

(61) انظر In general BMC Cyrenaica, pp ccii– ccxxviii and Romanelli, La cirenaica romana, pp 55– 58.

(62) العملة موجود في (فينا) وأول مرة تنشر عن طريق (svoronos) وأعيد إنتاجها في:

BMC, Cyrenaica, PI XLL II 10, and discussed on pp CCXX I– CCXX II;

وانظر كذلك Romanelli, op. cit, p. 57.

THE UNIVERSITY OF CHICAGO
ORIENTAL INSTITUTE PUBLICATIONS
VOLUME XC

PTOLEMAIS
CITY OF THE LIBYAN PENTAPOLIS

BY CARL H. KRAELING
WITH CONTRIBUTIONS BY D. M. BRINKERHOFF, R. G. GOODCHILD,
J. E. KNUDSTAD, L. MOWRY, AND G. R. H. WRIGHT

THE UNIVERSITY OF CHICAGO PRESS · CHICAGO · ILLINOIS

TABLE OF CONTENTS

PAGE

List of Illustrations xi

List of Abbreviations xvii

I. The History of the City 1
General Background 1
The Earliest Settlement at the Site 3
The Founding of the City 4
The Hellenistic Period (322–96 B.C.) 6
The Roman Period (96 B.C.–A.D. 395) 11
The Byzantine Period (A.D. 395–643) 22
Later Developments 29

II. The Site, Its Organization, and Its Monuments 33
Location and Connecting Roads 33
The City Plan 37
The Harbor and the Anchorage 48
The Perimeter Defenses 51
Walls 52
The Defenses on the Jebel Akhdar 54
Gates 56
Dating 60
The Square of the Cisterns. *J. E. Knudstad* 62
The Vaulted Cisterns 63
The Podium 64
The Peristyle 64
The Flanking Feature 67
Water Supply and Storage 68
The Street of the Monuments. *G. R. H. Wright and C. H. Kraeling* 74
Dwellings: The "Palazzo" and the Villa of the Roman Period 83
The "Odeon" and Related Structures. *R. G. Goodchild and C. H. Kraeling* 89
Churches 97
Forts and Blockhouses 100
Quarries and Tombs 107
Some Gaps in Our Knowledge of the Site 115

III. Buildings Excavated by the Oriental Institute 119
A Villa of the Early Roman Empire 119
A Public Building on the Street of the Monuments 140
The City Bath of the Byzantine Period 160

PAGE

IV. Finds of the Excavations 177
Sculpture. *D. M. Brinkerhoff* 177
The Significance of the Sculptural Finds 177
The Egyptian Group 177
Late Hellenistic and Early Imperial Works 180
Works of the Later Imperial Age 183
Inventory 188
Expedition Finds 188
Finds from Earlier Excavations 203
Inscriptions 208
Texts from the Villa 209
Texts from the Public Building 211
Texts from the City Bath 212
Texts on the Façade of the Tomb of the Kartilioi 215
Construction and Architectural Ornament in the Villa. *G. R. H. Wright* 215
Wall Decoration in the Villa. *C. H. Kraeling and L. Mowry* 225
Mosaics and Marble Paving. *L. Mowry and C. H. Kraeling* 237
Mosaics in the Villa and Adjacent Dwelling 237
Geometric Forms and Designs 238
Emblemata 248
Mosaics in the Public Building 251
Mosaics in the City Bath 252
Marble Paving 253
Interpretation 256
Coins 263
Coins Found in the Villa 263
Coins Found in the Public Building 267
Coins Found in the City Bath 267
Purchased Coins 268
Minor Finds 269
Baked Clay 269
Glass 270
Bone 271
Metal 271

Index 273

the fertile Barca plain, the inland city needed an export outlet. Along its entire coast line the Barcaian territory offered natural facilities for the creation of such an outlet at only one point, namely at the site where Ptolemais was subsequently built, a site equally accessible from Barca and Tauchira. It is likely therefore that the site of Ptolemais was occupied and developed as soon as Barca entered upon its commercial enterprise, that is, as early as the last quarter of the sixth century B.C., when also the Barcan coinage began.

What the settlement at the site of Ptolemais was like in those early days we have at present no way of knowing. It consisted, no doubt, of a small company of people who loaded and unloaded such vessels as put in there and who contributed to their own support by farming the relatively fertile stretch of the coastal plain in the immediate vicinity. In all probability the harbor facilities were quite primitive and the installations for the storage of goods in transit little more than a heterogeneous collection of roomlike shelters owned by the Barcan producers and shippers. Someone representing the Barcan royal house and controlling the incoming and outgoing shipments may have been in residence as the head of the port. Throughout all this earliest period of its history, however, the settlement at the site of Ptolemais remained nameless, for this is how we find it at the end of the fourth century B.C.

How the changing fortunes of Barca in the fifth and fourth centuries B.C. affected the life of the coastal settlement we cannot know. What Herodotus tells about the siege of Barca by the Persians and about the exile of its people sounds more ominous than perhaps it actually was. The city, including its defenses, seems to have remained intact and much of the population may have been spared also. The real change was that the anti-Battid elements of the population were removed and that a pro-Battid faction was placed in a position of authority through Pheretime, the mother of the murdered Arcesilaus III.[12] The result of all this, therefore, was not that the commercial enterprise of Barca came to a halt but that more of the income from it now accrued to the ruling house of Cyrene. Indeed this seems to be implied by Pindar when, in describing the opulence of Arcesilaus IV, he calls him "king of mighty cities" (*Pythian Ode* 5. 15). As to what happened to Barca when the Battid dynasty came to an end at Cyrene with Arcesilaus IV, we are ill informed. The Cyrenaican "alliance coins" from the latter half of the fifth century suggest not only that Barca returned to independence but also that it exercised a certain degree of leadership among the Greek cities of the region.[13] At the end of the fourth century, when pseudo-Scylax divides Cyrenaica into two regions, that of the Cyrenaioi and that of the Barcaioi, the settlement at the site of Ptolemais may have been regarded as the harbor of the second most important city of the entire area. Even at this time, however, it still lacked a name, for pseudo-Scylax merely refers to it as the "harbor at Barca," quite as he speaks of the settlement at the site of later Apollonia merely as the "harbor of Cyrene."[14] Even though the coastal settlement at the site may thus have grown materially after the sixth century, the founding of Ptolemais belongs to the Hellenistic period and must be understood in connection with the developments of that period.

THE FOUNDING OF THE CITY

The period that began with Alexander the Great and that saw Greek civilization enter upon its world mission wrought great changes in the political, social, economic, and cultural life of the ancient world generally and therefore obviously also in the circumstances and distribution of its urban establishments. The sources place a good deal of emphasis upon the colonialism of the period, and, however much the picture they give us may need to be revised so far as the identity of the founders and the purposes of the new foundations are concerned, the fact remains that for vast areas of the ancient world the period marks the beginning

[12] See in general Jones, *Cities of the Eastern Roman Provinces*, pp. 353–54.

[13] On the "alliance coins" see BMC, *Cyrenaica*, pp. xliv–xlvi. The important fact is that on certain of the joint issues the name of Barca precedes that of Cyrene. Further indications of Barca's regained independence can be found in the statements of late authors such as Polyaenus *Strategika* vii. 28 (ed. E. Wölfflin [1887] pp. 340–41) that Barca adopted a democratic form of government at this time.

[14] See *Periplus* (Mueller, *op. cit.* p. 84).

المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية
العدد السادس / 2021م
جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية
Mohmmad Bin Ali Assanosi University
كلية التأريخ والحضارة

of a new phase in its urbanization and its settlement patterns.[15] Less well known are details concerning the status of the cities, old and new, and their relations to the new monarchies that grew from the empire of Alexander. While the "liberation of the cities" and the preservation of the "freedom of the Greeks" were widely proclaimed and avowed by the rival dynasts and while apparently no definitive formula regulating the position of the cities in the new kingdoms was ever developed, it is also true that the cities ceased henceforth to be, each in its own sphere, prime movers in the major political developments of the period. A new comprehensive setting had been created into which the cities were absorbed or with which they had to come to terms by aligning themselves with one or another of the dynasties that had divided the world among them. Even so it is to be noted that on the economic side, in spite of heavy levies imposed upon them by the warring Diadochoi, many of the cities were in the early Hellenistic period raised to unexpected, if temporary, heights of prosperity as new markets were opened and new resources became available for exploitation.[16]

Against this general background it seems only natural that in the Hellenistic period new cities should have been founded in Cyrenaica. Equally natural are two further propositions. The first is that any city founded in Cyrenaica would be Ptolemaic in origin, for it was to the Ptolemies that the region between Egypt and the Gulf of Sirte fell in 322/321 B.C.[17] The second is that any city founded in Cyrenaica would in all probability be established on the seacoast, where harbor facilities were available, rather than inland, for the new order of things required new emporia that would help tie together the several parts of the vast commercial empire that the Greek rulers of Egypt were developing in the eastern Mediterranean.[18] How the new order of things affected conditions in Cyrenaica is reflected in the growing importance of the "harbor of Cyrene," the later Apollonia, which now began to mint coins and which was at the same time the base for overseas operations such as those of Thibron against Cyrene.[19]

As for the coastal settlement at the site of Ptolemais, which pseudo-Scylax knew as the "harbor at Barca," it is not mentioned in the events of the late fourth century recorded by Diodorus and Arrian. That it was unaffected by those events is quite unlikely, the only question being how to understand the changes by which it became the city of Ptolemais. Attention is sometimes called in this connection to the fact that both Pliny (*Natural History* v. 5) and Strabo (*Geography* xvii. 3. 20) speak of Ptolemais as having formerly been called Barca, from which it could be inferred that the inland city was transferred to the seacoast and re-established as a "New Barca."[20] The Oriental Institute expedition's study of the plan and the defenses of Ptolemais (see p. 38–41 and 51–60) has revealed in both a degree of excellence and ambitiousness that suggests a royal foundation, and if Ptolemais was a royal foundation then certainly it was one that from the outset had a dynastic name. Whether new settlers were brought in from the outside by the founder is unknown. In the new order of things the older inland city was absorbed into the new, perhaps by the application of the typical procedure of the *synoikismos*, becoming henceforth a deme of the

[15] On Hellenistic colonialism see M. I. Rostovtzeff, *The Social & Economic History of the Hellenistic World* (1941) I 130–58. As to the founders and the purposes of the foundations, see especially V. Tscherikower, "Die hellenistischen Städtegründungen von Alexander dem Großen bis auf die Römerzeit," *Philologus* Supplementband XIX 1 (1927), and A. H. M. Jones, *The Greek City* (1940) pp. 1–26.

[16] On the political status of the cities in the new kingdoms see A. Heuss, *Stadt und Herrscher des Hellenismus in ihren staats- und völkerrechtlichen Beziehungen* (*Klio* Beiheft XXXIX [1937]); E. Bikermann, *Institutions des Seleucides* (1938); V. Ehrenberg, *Der Staat der Griechen* II (1958) 44–55 and review by C. B. Welles in *Classical Philology* LV (1960) 136–40. For the economic circumstances of the cities see Rostovtzeff, *op. cit.* pp. 153–56, 158–87.

[17] The date is implied in Diodorus' account (*History* xviii. 21. 9) of the Thibron episode. On the earlier boundaries of Cyrenaica see Jones, *Cities of the Eastern Roman Provinces*, p. 486, n. 14; for the later period see P. Romanelli, "Il confine orientale della provincia romana di Cirene," Pontificia accademia romana di archeologia, *Rendiconti*, Ser. III, XVI (1940) 215–23.

[18] On the commercial and economic empire of the Ptolemies see Rostovtzeff in *CAH* VII (1928) 130–36.

[19] On the new mint at Apollonia, whose issues use the crab as a symbol, see BMC, *Cyrenaica*, pp. cxv, cxcviii–cxcix. The story of how the adventurer Thibron tried, by interfering in a party conflict in Cyrene, to possess himself of Cyrenaica before it became part of the Ptolemaic sphere of influence is recounted in full by Diodorus xviii. 19–21.

[20] See e.g. Thrige, *op. cit.* pp. 138–39.

younger city.[21] Citizens of Barca with the proper property qualifications naturally became citizens of Ptolemais in the process, and, while the older inland settlement continued to exist, its name disappeared.

The question arises as to which of the early Ptolemies may have been the founder of the new city in Cyrenaica that bore his name. The fact that Ptolemy I Soter gave a new constitution to Cyrene is irrelevant because it does not involve a new foundation.[22] Most of the period of Ophellas' administration of the region for Ptolemy I is an unlikely context because Ptolemy did not style himself "king" until 305 B.C. and would scarcely have founded a city with a dynastic name until after that date. Hence during the reign of Ptolemy I only the early years of Magas' administration of the area deserve consideration and even these scarcely recommend themselves, for Soter was not noted as the founder of many cities, at least not outside Egypt. Precedence has undoubtedly to be given to Ptolemy II Philadelphus (283–246 B.C.) and Ptolemy III Euergetes I (246–221 B.C.).[23] A case can be made for Ptolemy II from an inscription found at Ptolemais in which the city honors an Arsinoë who seems to have been Arsinoë II and who died in 270/269 B.C.[24] But the argument is not absolutely cogent, for "the city" mentioned in the inscription could have been Barca honoring the queen by a dedication erected at its "harbor" precisely because it would most readily be seen there by officials and merchants coming from Egypt. Moreover, due allowance must be made for Magas' "revolt" early in the reign of Ptolemy II, for the creation of the pentapolitan league that seems to represent a period after the death of Magas in which the cities were relatively independent, and for the re-establishment of Ptolemaic suzerainty over the region in the years that followed.[25] The optimum date for the founding of Ptolemais would therefore appear to be the beginning of the reign of Ptolemy III, when by his marriage to Berenice II, the daughter of Magas, Cyrenaica was reunited with Egypt and an occasion for conferring special favors upon the land of her birth was thus provided.[26] A necessary corollary of this conclusion would be that Ptolemais after its foundation replaced the charter member Barca in the league of the Pentapolis.[27]

THE HELLENISTIC PERIOD (322–96 B.C.)

In the Hellenistic period the cities and settlements of Cyrenaica came into the orbit of and under some form of control from Ptolemaic Egypt. The several changes in the nature of the relationship to Egypt suggest a subdivision of the period into three parts, even though at the present state of

[21] On the *synoikismos* as an instrument of dynastic policy in the Hellenistic period see W. W. Tarn and M. I. Rostovtzeff in *CAH* VII 81, 180 and Heuss, *op. cit.* pp. 99–103.

[22] For the text of the new constitution see *SEG* IX 1–4, No. 1. Its date is in dispute, but most scholars prefer a date in the reign of Ptolemy I (so e.g. F. Hoichelheim, "Zum Verfassungsdiagramma von Kyrene," *Klio* XXI [1927] 175–82). Jones, *Cities of the Eastern Roman Provinces*, p. 359, however, associates it with the period of Ptolemy III.

[23] On the second and third Ptolemies as founders of cities see J. Beloch, *Griechische Geschichte* IV 1 (1925) pp. 260–62, 283–84, and Hans Volkmann in *R.-E.*, *s. v.* "Ptolemaios."

[24] For the text, its reconstruction, and its probable date see Oliverio, *Documenti antichi* I 1, pp. 68–69, No. 3, and *SEG* IX 70, No. 357.

[25] The whole complicated history of the period so far as it concerns Cyrenaica is variously reconstructed from the scattered sources by the several interpreters. See Thrige, *op. cit.* pp. 223–31; BMC, *Cyrenaica*, pp. xvi–xvii; E. Bevan, *A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty* (1927) pp. 373–75; Jones, *Cities of the Eastern Roman Provinces*, pp. 358–59; Tarn in *CAH* VII 704, 712–13; Geyer in *R.-E.*, *s. v.* "Magas"; Volkmann in *R.-E.*, *s. v.* "Ptolemaios."

[26] See Justin *History* xxvi. 3 and Volkmann in *R.-E.*, *s. v.* "Ptolemaios." The favors were presumably not limited to Ptolemais but included also the refounding of Euesperides as Berenice and the application of the name Arsinoë to Tauchira in honor of the mother of Ptolemy III. See also BMC, *Cyrenaica*, p. xvi.

[27] The creation of the league, about which little else is known, is reflected in the coinage of Cyrenaica in the κοινόν issues, some of which are overstruck on pieces of Magas (see BMC, *Cyrenaica*, pp. cxxxiv–cxxxvii). The first literary reference to the Libyan Pentapolis is in Pliny *Natural History* v. 5, where the cities making up the league are Berenice, Arsinoë, Ptolemais, Apollonia, and Cyrene.

المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية
العدد السادس / 2021م
جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية
Mohmmad Bin Ali Assanosi University
كلية التأريخ والحضارة

our knowledge it is not clear what those changes may have involved. During the first part of the period, that is, from 322 to 258/257 or 251/250 B.C., while Ptolemais was still the "harbor at Barca," Cyrenaica was administered for the kings of Egypt by a resident governor, first Ophellas and then Magas, who was apparently relatively autonomous in his sphere or at least used his relative independence to exercise more than the constitutional rights of the strategos set forth in the *diagramma* of Cyrene.[28] In the second part of the period, from 247/246 to 162 B.C., that is, after the "revolt" of Magas and beginning with the acts of benevolence of Ptolemy III that included the foundation of Ptolemais, the entire region was firmly and directly integrated in the Ptolemaic kingdom and administered presumably by an extension of the bureaucratic machine that functioned so effectively in Egypt proper and that found it possible to keep in continuous adjustment to each other royal prerogatives and civic laws.[29] During the third part of the period, from 162 to 96 B.C., Cyrenaica was, save for an interlude of 30 years, something of an independent kingdom ruled by a resident monarch who was by descent a member of the Ptolemaic family, first Ptolemy "the younger," the brother of Ptolemy VI Philometor, and later Ptolemy Apion, the illegitimate son of Ptolemy "the younger"[30].

How Ptolemais fared during the Hellenistic period is a question to which, at the present state of our knowledge, it is difficult to formulate an adequate answer. The literary sources are silent with respect to it, the epigraphic material is as yet meager, and excavation can scarcely be said to have done more than give an inkling of its structures. Archeologically speaking, a fuller knowledge of the city's harbor installations (see pp. 48–51) and of its agora (see p. 116) would do most to remedy the situation, for it was clearly in these two areas that the early life of the city had its foci. Yet some inferences about Hellenistic Ptolemais can be drawn, partly from a general knowledge of the period and partly from the scanty archeological evidence for this and the succeeding phases of its history.

That Ptolemais was organized as a typical Greek city is obvious. As ἡ πόλις it honored Ptolemy VI Philometor with a statue.[31] Acts of its Βουλή were recorded as late at the Antonine period,[32] and the existence of στρατηγοί and ἐφήβαρχοι can be documented for even later times (see p. 210, Inscription 5). The precise nature of its constitution is unknown, but the probability is that it paralleled that of Cyrene as modified in the *diagramma* mentioned above.[33] This means that citizenship was limited and had a property qualification but could also be conferred by the soveriegn, presumably in connection with property grants. It means also that certain controls were exercised over the city's actions by magistrates appointed by and responsible to the monarch. No doubt the amount of control varied during the Hellenistic period, but it is not evident when it may have been strictest. Clearly the crown administered carefully the region as a whole, claiming as γῆ βασιλική what it had not granted to the cities as γῆ πολιτική. A specific example of a well developed piece of royal property in the immediate vicinity of Ptolemais will concern us below.

As a member of the league of the Pentapolis Ptolemais had certain constitutional and administrative features in common with the other cities of the region and can be assumed to have granted reciprocity of rights and privileges to citizens of those cities, while being protected from and exposed to encroachments of monarchic authority equally with them.[34]

So far as the economic, social, and cultural aspects of the life of Hellenistic Ptolemais are concerned, we are again dependent largely upon inference. That, so long as Egypt's overseas empire held together and its commercial enterprise dominated the scene in the eastern Mediterranean, the

[28] On the Ptolemaic constitution see n. 22.

[29] On the administration of Ptolemaic Egypt and its outlying "provinces" see Rostovtzeff in *CAH* VII, chap. iv.

[30] On the circumstances that led to the creation of the separate Ptolemaic kingdom of Cyrenaica see W. Otto, *Zur Geschichte der Zeit des 6. Ptolemäers* (Bayerische Akademie der Wissenschaften, philosophisch-historische Abteilung, "Abhandlungen," Neue Folge XI [1934]). In the interval between the two rulers Cyrenaica probably returned to its earlier status as a "province" of Egypt.

[31] Oliverio, *Documenti antichi* I 1, pp. 42–45, No. 2, and *SEG* IX 70, No. 358.

[32] See *SEG* IX 72, No. 368.

[33] For discussion of its provisions see Rostovtzeff in *CAH* VII 127 and Jones, *The Greek City*, pp. 104, 159.

[34] On the function of such leagues as devices for the standardization of administrative procedure in the relations between "free" cities and monarchies see Rostovtzeff, *Social & Economic History of the Hellenistic World* I 154.

المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية
العدد السادس / 2021م
جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية
Mohmmad Bin Ali Assanosi University
كلية التأريخ والحضارة

enterprise and the population of the new foundation grew is implied in the ambitiousness and actual development of its city plan. The one thing we can know about the population is that it included the property-owners of the Barca plain who chose to participate actively in the administration of the city and to avail themselves of its economic advantages. These were the κτηματικοί, to use the language of Diodorus in his description of Cyrene. As at Apollonia, in Diodorus' account (*History* xviii. 19. 5, 20. 2) of the Thibron episode, the population included also, as the next most important element, the merchants (ἔμποροι), who handled the traffic in goods, whether for export or import. In this group there may well have been resident representatives of firms that operated out of important Mediterranean commercial centers such as Rhodes.[35] To these elements we must add the greatly increased number of native workers employed in the transport of goods, in warehousing, and in the loading and unloading of cargo as well as various types of transients—sailors, sea captains, and mercantile passengers traveling from port to port. A special and highly important, if numerically small, group was constituted by the representatives of the Egyptian government. This must have included a small military guard and its chief officer, the representative of the king in the civil administration (perhaps a στρατηγός), the chief Egyptian fiscal and tax official (perhaps an οἰκονόμος), and such assistants as played a part in the administration of the royal estates.

In the case of Cyrene a good deal can be inferred about the city's cultural life from its relations with Athens, which during the fourth century brought philosophy and learning to flower on the Libyan plateau and in the third century supplied Alexandria with Cyrenaican scholars, scientists, and men of letters. Something can also be known from the Egyptian papyri about Cyrenaicans who, having served in the Ptolemaic armies, were eventually settled in Egypt, particularly in the Fayyum.[36] That Ptolemais played a role similar to that of Cyrene in such matters cannot be demonstrated and is inherently quite unlikely, partly because Cyrene's contribution to Egyptian life and culture belongs to the early Hellenistic period and largely because Ptolemais was and probably remained primarily a mercantile city, one of the many that served to keep produce and manufactured goods moving, but not one that was ever distinguished as a cultural center or a military base.

What Ptolemais could and did supply to world trade was what Cyrenaica as a whole had to offer. The range was not wide, but the quantity was on occasion amazing.[37] Ptolemais had the grain and fruits of the adjacent coastal region and those of the rich Barca plain to distribute. It had good access, if not better than did Cyrene, to the silphium-bearing region and was surrounded by areas usable for grazing and for the production of olive oil and honey. In addition it had accessible in the deep wadies of the Jebel Akhdar supplies of timber and of wood such as acacia, which Egypt was buying as far away as Syria.

As to monuments and materials of the Hellenistic period found at Ptolemais, the range of evidence is still meager but now somewhat broader than it was at an earlier stage in the study of the site. The oldest pieces are a funerary stele with a metrical inscription recording the unfortunate lot of a woman of Euesperides who died there so far from her home,[38] the dedication to Arsinoë II (see p. 6), and the dedication to Ptolemy VI (see p. 7).[39] The dedication to Arsinoë II was in all probability intended to demonstrate that Barca participated in the cult of the queen that was instituted in

[35] On firms with overseas representatives in other ports and on Rhodes as the intermediary for Mediterranean trade see *ibid.* pp. 226–28.

[36] See especially F. Heichelheim, *Die auswärtige Bevölkerung im Ptolemäerreich* (*Klio* Beiheft XVIII [1925]) pp. 43–46, 93–94.

[37] The best indication of the productive potential of Cyrenaica is its shipment of 800,000 medimni of grain to the Greek cities during the famine of the years 330–326 B.C. (see Oliverio, *Documenti antichi* II 1, pp. 7–94; *SEG* IX 4–5, No. 2). On the products of Cyrenaica generally see Rostovtzeff, *Social & Economic History of the Hellenistic World* I 333 and III 1398.

[38] The funerary stele of Arata, wife of Kallikrates (see Oliverio, *Documenti antichi* II 2, pp. 257–58, No. 537, and *SEG* IX 71, No. 362), was taken to el-Merj after World War II for safe-keeping and is reported by Oliverio as being in the museum there, but it has since been returned to the museum at Tolmeita. The text is assigned by the editor of *SEG* to the fourth century B.C. on paleographical grounds, which are, however, still insecure in Cyrenaica (see below p. 208). It is obvious that whatever forced the couple from Euesperides to reside at the "harbor at Barca," it was from their point of view a sorry fate to which to be consigned.

[39] Both dedicatory inscriptions were reused in the construction of the Square of the Cisterns in Roman times (see p. 70).

270 B.C. and that became a state cult after Arsinoë's death in the next year.[40] That eventually there was erected at Ptolemais an altar or even a temple for the cult of the Egyptian ruler is to be expected.[41] With the period of the foundation of Ptolemais we can now confidently associate its city plan (see pp. 38–41) and its girdle of fortifications (see pp. 51–62). The much mutilated remains of a small temple which was cleared by the Department of Antiquities in 1955 (see p. 90) can also be attributed to the Hellenistic period. Since it is difficult to visualize a Hellenistic city without a theater, inclusion of the Upper Theater (Building 28 on Plan XXII) among the buildings of the earliest period may deserve consideration. But so little remains of the structure (see pp. 93–94) that the hypothesis cannot be verified. The only other edifice among those known at present that gives promise of belonging to the Hellenistic period is Building 26, which may have been the main shrine of the Hellenistic city (see p. 116).

Some mention must be made in this connection of three Egyptian sculptures discovered in the "Palazzo delle Colonne," the best known and probably the most elaborate of the private houses at Ptolemais.[42] These are a granite statuette of Amenmose son of Pendjarti, a green basalt statuette of Harpocrates, king's general and scribe, and the base of a green basalt statuette of the general Ps..., probably Psammetichus.[43] From a study of the first two and from his reading of their hieroglyphic inscriptions Alan Rowe[44] has inferred that there was an Egyptian colony at the site of Ptolemais "probably in the time of Ptolemy III (or II), but perhaps even earlier," and that a military garrison was stationed there, commanded by Harpocrates, who erected there a temple dedicated to Osiris and also repaired an earlier temple sacred to the same god. The name of the colony was Ḥut-Isert, meaning "House of the Tamarisk Grove," a name appropriate to the importance which the cult of Osiris had there. The three statuettes were studied by G. Botti[45] with quite different results and have been re-examined by Charles Nims of the Oriental Institute staff. Nims is inclined to agree with E. Otto, who reviewed Rowe's article, that the statuette of Harpocrates is Saite in date, and he believes that the statuette of Psammetichus is probably Saite also. He points out further that evidence long since collected by Sayyid Labib Habachi, formerly chief inspector of the Egyptian Department of Antiquities at Luxor, shows that Amenmose son of Pendjarti belonged to the period of Ramses II and was buried at Thebes.[46] All that the sculptures can tell us about Ptolemais is, therefore, that they were brought from Egypt, presumably in the Hellenistic period, by someone who may have been devoted to the cult of Osiris. As such they are not unimportant, for they attest the presence in the city of persons, especially officials, from Egypt and confirm what is said below (pp. 177–80) about the survival there of the Egyptianizing tradition in the sculptures of the later periods.

Outside the city to the west there exists one further monument which it is reasonable to associate with the Hellenistic period of Ptolemais. This is the massive Tower Tomb that forms a landmark for all visitors to the site (see pp. 113–15). Apparently as much a commemorative as a funerary structure, it is of such scope and pretensions compared with other tombs in Cyrenaica as

[40] In the text as reconstructed by Oliverio she is styled Βασίλισσα Ἀρσινόη Θεὰ Φιλάδελφος ἡ Πτολεμαίου καὶ βερενίκης Θεῶν Σωτήρων. On the importance of the cult of Arsinoë II see Bevan, *History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty*, pp. 129–30, and W. Otto, *Priester und Tempel im hellenistischen Ägypten* II (1908) 274.

[41] The discovery by the Oriental Institute expedition of a life-size statue identified as that of Cleopatra I (see pp. 188–90) is not without relevance to this probability. The Director of Antiquities of Cyrenaica, Dr. R. G. Goodchild, indicates the discovery of a second statue of a Ptolemaic queen in 1960.

[42] Published by Gennaro Pesce under the title *Il "Palazzo delle Colonne" in Tolemaide di Cirenaica* ("Monografie di archeologia libica" II [Roma, 1950]), it has become a *Musterbeispiel* of domestic architecture in the "Alexandrine" manner. See also pp. 85–87 below.

[43] *Ibid.* Figs. 77–78, 85–87, and 79–81 respectively.

[44] "A history of ancient Cyrenaica," *Supplément aux Annales du Service des antiquités de l'Egypte* XII (1948) esp. pp. 13, 62–76.

[45] See Pesce, *op. cit.* pp. 70–75.

[46] For Otto's review see *Bibliotheca orientalis* VIII (1951) 28–29. Three other statuettes of the Amenmose in question are known to exist, of which the one at Cairo connects him with the period of Ramses II. It seems quite unnecessary in the present context to discuss the different interpretations of the hieroglyphic inscriptions or to belabor the point that the Turah limestone said to have been used in the temple that Amenmose built is an Egyptian limestone. Rowe's interpretation is not made more acceptable by its use in M. Stracmans, "A propos de deux étendards ptolémaïques," *La nouvelle Clio* V (1953) 163–71.

to require some special *raison d'être*. That any merchant prince of the period to which the tower can belong architecturally would have had the same inclination to monumentalize his family tomb as those who later built the tower tombs at Palmyra and Dura-Europos may well be doubted. Otherwise we might expect to find remains of similar structures elsewhere in Cyrenaica. As for governors and other officials, beginning with the Roman period they would certainly not have expected to have their remains interred so far from home. In all probability we are, therefore, thrown back upon the period and the roster of the resident dynasts such as Magas became and such as Ptolemy "the brother" and Ptolemy Apion were.

To associate the monument with someone like Ptolemy "the brother" might seem to be yielding to fanciful local tradition were it not for one additional consideration. This is the fact that the area immediately outside and to the west of Ptolemais was part of the *ager regius* which the Romans inherited from Ptolemy "the brother" upon the death of Ptolemy Apion. A stele testifies to the recapture of the property by the Romans in the period of Vespasian (see p. 113). How large this section of the royal estates may have been is not known. If, as the inscription says, it was a *hortus*, it is reasonable to assume that it included the spring some 3 kilometers west of the city (see p. 68), though it may, of course, also have included more of the fertile coastal plain and some part of the forested ridges of the Jebel Akhdar.[47] During the period between its administration by the agents of the king and its recapture under Vespasian the property is known to have been exploited by other parties, in part apparently by a great quarrying operation that left the tower standing on an isolated cube of the native rock. In its original setting the tower stood on the crest of an unbroken ridge in the coastal plain, looking out over the sea, and thus very appropriately in a "garden."[48] In any case the existence of a portion of the royal estates near Ptolemais may have been of no small importance for the economic life of the city in the Hellenistic period.

No doubt the founding of Ptolemais was attended by high hopes. The location was in most respects excellent; the plan of the city had been developed with care; its defenses were adequate; the markets of the eastern Mediterranean were open so long as the Egyptian fleet "ruled the waves"; the technology and administrative supervision needed to increase local production were available, as was the royal favor that could supply them. In the first century of the city's history some measure of the promise attending its foundation was undoubtedly fulfilled. By the time of Ptolemy VI, however, when the local Cyrenaican dynasty was established, conditions had begun to change radically. Egypt was losing her position as the dominant power of the eastern Mediterranean and was torn by internal dissensions that reduced greatly her economic potential. Delos was replacing Rhodes as the crossroads emporium of the eastern Mediterranean, and Roman *negotiatores* were already in the field supplying the markets of Greece and the Aegean with Roman products.[49] At Cyrene lands that had been under cultivation were abandoned or under threat of forfeit, requiring the issuance of royal decrees to get them back into production.[50] Under the circumstances the fortunes of Ptolemais must be thought to have declined in the late Hellenistic period.

[47] It was evidently different in character from the sacred precincts at Cyrene known as the Πτολεμαιστον, which Rostovtzeff has discussed (*The Social and Economic History of the Roman Empire* [2d ed.; Oxford, 1957] II 681, n. 64) and which upon recapture may have become a public park.

[48] The interior shows that the structure was intended to serve also as a tomb, but towers serving other purposes are familiar as parts of country estates for instance in Attica (see J. H. Young, "Studies in South Attica," *Hesperia* XXV [1956] 122–46). The fact that the structure bears no inscription might be taken to imply that it had been built for Ptolemy "the brother," who, having ruled Cyrenaica, unexpectedly succeeded to the throne of Egypt upon the death of his brother Ptolemy VI Philometor and died there.

[49] On the Roman merchants see J. Hatzfeld, *Les trafiquants italiens dans l'Orient hellénique* (1919).

[50] For the relevant inscriptions from Cyrene see Oliverio, *Documenti antichi* II 2, pp. 259–65, No. 538, and *SEG* IX 8–9, No. 5. For the history of the period see Rostovtzeff, *Social & Economic History of the Hellenistic World* II 870–914, and for the interpretation of the inscriptions from Cyrene see *ibid.* pp. 914–17.

THE ROMAN PERIOD (96 B.C.–A.D. 395)

When Ptolemy Apion, the second and last of the autonomous Hellenistic kings of Cyrenaica, died in 96 B.C., the country passed into the hands of the Roman people in accordance with his will, a counterpart no doubt of that of his father.[51] As excavation at the site proceeds the Roman period will come to be particularly well known, for it was clearly the most important in the entire life of the city. At present, however, there are many gaps in our knowledge of it, which can be bridged only by inferences based largely upon general observations. All that can be said about the years from 96 to 31 B.C., for instance, is, on the one hand, that they were apparently years of confusion and, on the other hand, that they may have provided unusual opportunities for self-advancement to those who knew how to capitalize upon existing conditions.

When Rome by the action of Ptolemy Apion inherited Cyrenaica it still had many vicissitudes to pass through before the *Pax Augusta* could dawn. By the bitter experience of the Social War it had still to clarify its understanding of who, in return for services rendered, had a right to be included in the Roman People. It had subsequently, through the Mithridatic Wars, to work out the implications of its intervention in Greece and of the earlier benefaction that made it the heir of Attalus III. It had finally to pass through the period of the Civil War and the struggle among the Triumvirs. There was little opportunity, therefore, for it to concern itself with the strategically unimportant part of the Mediterranean world that was Cyrenaica. Still conservatively inclined as regards the multiplication of provinces, the Senate apparently responded to the situation created by Ptolemy Apion's death in guarded fashion. It accepted the γῆ Βασιλική and declared the cities with their γῆ πολιτική to be free, thus giving over to them the administration of local and regional affairs.[52] The action had the effect of relieving the cities and the producers of monopoly goods from the φόροι that had been payable to the crown; but it left them and the league of the Pentapolis with a host of administrative problems with which they were not prepared nor organized to cope. The result was an anarchy of which we catch only occasional glimpses. One is contained in the story about a certain Aretaphila who enlisted the aid of a Libyan tribal chief Anabus to rid Cyrene of the tyrannical son of a tyrant Nikocrates.[53] Another is provided by the report that Lucullus, chancing to visit Cyrene while searching for ships to help Sulla, found the city in confusion due to successive tyrannies and wars.[54] The fact that, according to Plutarch, he was entreated on this occasion to draft laws for the people may reflect the embarrassment as to administrative procedure in which the cities found themselves and out of which the internal strife may have arisen. Similarly, the fact that Lucullus in his search for transport went first to Cyrenaica may indicate that he had reason to expect to find idle bottoms there and that export trade was still languishing.[55]

Conditions did not necessarily improve materially after 74 B.C., when Cyrenaica was recognized as a province, nor after 67 B.C., when it may for the first time have been joined with Crete for administrative purposes.[56] To be sure, the presence of the governors meant that a person in authority was available to regulate the affairs of the cities, but their efforts were not always successful and with them the process of tax collecting was

[51] For the text of his father's will, displayed at Cyrene, see Oliverio, *op. cit.* Vol. I 1, pp. 11–84, No. 1, and *SEG* IX 10–11, No. 7. The Romans were named beneficiaries on a contingent basis, namely in case the king died without issue.

[52] See especially Livy *Epitomes* 70. For the history of Cyrenaica in the Roman and Byzantine periods it is possible to make use of the excellent work of Romanelli, *La Cirenaica romana*, pp. 39–65.

[53] Plutarch *Moralia*: *On the Bravery of Women* 19 (dated in Mithridatic times).

[54] Plutarch *Lucullus* 2. 3–4.

[55] His search apparently had good results, though we are told that he lost most of the ships he had hired in Cyrenaica before they reached Alexandria because of an attack by pirates (*Lucullus* 2. 5).

[56] The earliest governors had the competence and rank merely of quaestors. Only after 27 B.C., when Cyrenaica was made a senatorial province, did it have a regular *legatus pro praetore*. For the establishment and administration of the province of Cyrenaica see J. Marquardt, *Römische Staatsverwaltung* I (2d ed.; Leipzig, 1881) 457–64. On the reluctance of the republican Senate to increase the number of the provinces see *CAH* IX (1932) 437–43. Romanelli, *La Cirenaica romana*, pp. 47–65, gives the names of the earliest among the Roman governors of Cyrenaica and discusses the question of the early union of Crete and Cyrenaica.

resumed, which was certainly not particularly welcome. One matter that clearly must have provoked discord was the attempt of the governors to recapture for the Roman people the alienated royal estates. Particulars are lacking, but we do hear from Cicero that the attempt was abandoned.[57] Another source of continued confusion was that in the struggle among the Triumvirs the basic arrangement for the administration of the province was modified and finally set aside, first by the assignment of Cyrenaica to Cassius in 44 B.C. and next by the action of Antony, who, having come into control of Cyrenaica, eventually declared it the private estate of his daughter Cleopatra Selene, thereby intending no doubt to restore the conditions existing in the days of Ptolemy "the brother" and Ptolemy Apion. No less disturbing was the appearance of Roman troops in the area, whose billeting and supply must have imposed severe burdens upon the cities, first in the period after Pompey's death, when Cato the Younger assembled there the remnants of Pompey's following, and again in the years before Actium, when Antony stationed four legions there to offset the threat of a flanking movement against him from provincial Africa.

Yet in the midst of all this upheaval the foundations for a new, more stable era were being laid and new opportunities were developing for escape from the stagnation into which the affairs of the region had fallen toward the end of the Hellenistic period. Important presuppositions of the change were Pompey's campaigns in the eastern Mediterranean and the Roman occupation of Crete, which finally put an end to the threat of piracy. From this time on the sea was again open to shipping for the regular export of goods. In addition, the provisioning and transport of the large forces which the Civil War deployed eastward must have provided unusual opportunities for gain to those who had produce to sell and ships for hire.

So far as Ptolemais itself is concerned, the evidence for its involvement in these developments is still meager but not for that reason uninstructive. One interesting fact revealed by the epigraphic material is the presence there of persons bearing the *nomen gentile* of the Julii and the Antonii.[58] The same types of names occur elsewhere in Cyrenaica, at Cyrene and Tauchira, and for that matter also in other eastern provinces of the Empire, for instance in Asia.[59] The appearance of these names can, of course, have various connotations, but prime among them certainly are the immigration of freedmen, for whatever purposes, directly from Italy and the award of Roman citizenship to Greek residents of Cyrenaica in connection with economic, administrative, or military services performed there in the pre-Actian and post-Actian periods.[60]

Another interesting fact relating to the history of Ptolemais during the period under discussion has developed from the study of the provincial bronze coinage of Cyrenaica that began with the issues of a certain P. Licinius and continued sporadically until the reign of Tiberius.[61] Among the coins assigned to the period is a single piece struck, it would seem, at Ptolemais itself. It has on the obverse the head of a Tyche wearing a turreted crown with the inscription ΠΤΟΛΕΜΑΙ[Σ] and on the reverse a crocodile with the legend ΚΡΑΣ[ΣΥΣ].[62] The Crassus in question is presumably P. Canidius Crassus, who is known to have been closely associated with Cleopatra. This fact, together with the appearance of the crocodile on the reverse, is taken to imply that the issue represents the period when Cyrenaica was administered by Antony for Cleopatra Selene. The interest in the coin in the present context is by no means limited to the discovery of a late imperial version of the head of the Tyche of Ptolemais (Pl. XXXVII *A* and p. 203, No. 61). It necessarily

[57] *Oration on the Agrarian Law* 2. 51.

[58] The persons in question are a Gaius Julius Stephanus and Flavius Antonius, son of Sulla (see Oliverio, *op. cit.* Vol. II 2, pp. 244, No. 486, and 243, No. 482; *SEG* IX 72, No. 369, and 71, No. 361).

[59] Familiar at Cyrene is the Marcus Antonius Caskellius who constructed the rock-cut basin outside the Fountain of Apollo. Among the names inscribed on the curtain walls of Tauchira the Julii are particularly numerous. Presumably members of the local Roman garrison, the Flavius Julius, Sestius Julius, G. Julius Pakulius, G. Julius Secundus, and G. Julius Maker who appear there belong to the period between 22 and 11 B.C. See Oliverio, *op. cit.* Vol. II 2, pp. 183–88, Nos. 225–26, 235, 248–49; *SEG* IX 81–82, Nos. 487–88, 497, 508–9.

[60] On the interpretation of the significance of Antonii in Asia at this time see Rostovtzeff, *Social & Economic History of the Hellenistic World* II 1007.

[61] See in general BMC, *Cyrenaica*, pp. ccii–ccxxviii, and Romanelli, *La Cirenaica romana*, pp. 55–58.

[62] The coin, which is in Vienna and was first published by Svoronos, is reproduced in BMC, *Cyrenaica*, Pl. XLII 10, and discussed on pp. ccxxi–ccxxii; see also Romanelli, *op. cit.* p. 57.

كتب التراجم وأهميتها في تأريخ العلاقات الثقافية لبجاية مع أقطار العالم الإسلامي

– كتاب عنوان الدراية للغبريني أنموذجا –

د/ بوبكر زاوي

قسم التاريخ جامعة تلمسان.

الملخص :

تتوخى هذه المساهمة التنبيه على القيمة التاريخية الهامة لأحد أهم أنواع المصادر التاريخية ألا وهي " كتب التراجم"والتي تشكل ميزة هامة من ميزات الكتابة التاريخية الإسلامية خلال العصر الوسيط، لقد كان الاهتمام بهذا النوع من أنواع الكتابة راجعا بالأساس إلى ما يسمى ب"علم الرجال" وهو العلم الذي يهتم بالبحث في عدالة الرّواة وأصحاب الأسانيد ضمن علم الحديث، ثم تطور الاهتمام به ليشمل باقي النخب العلمية كالفقهاء والمتصوفة والأدباء وغيرهم .

تحفل كتب التراجم بكم هائل من المعلومات المتعلقة بالحياة الثقافية بمفهومها آنذاك،خاصة ما تعلق بالتعليم والمؤسسات العلمية وبرامج التدريس والرحلات نحو الأقطار، ومن هذه الزاوية تخضع هذه المساهمة كتاب "عنوان الدراية" للغبريني كنموذج تحاول من خلاله رصد العلاقات الثقافية لحاضرة بجاية مع أقطار العالم الإسلامي .

الكلمات المفتاحية: كتب التراجم، بجاية، العالم الإسلامي، الغبريني، عنوان الدراية

Abstract:

This contribution aims at drawing attention to the important historical value of one of the most significant historical references which is the Tarajom books Tarajom books is considered a very important feature from the Islamic historical writings during the middle ages. The main reason why this type of writings was interesting is what was called (Knowledge of men) which is the science that interests in searching the justness and fairness of narrators of Hadith Then other categories of elites started to get interested in this field such as: Islamic jurists, Sufi and writers.

Tarajom and biographies books carry a great deal of information about cultural life of that period, especially information about education, educative establishments, educative programmes and trips to different places. We have this book (The address of diraya – know how) as a sample through which we tend to identify the cultural relations of Bedjaya with other Islamic areas.

مقدمة :

لا جدال في أن كتب التراجم تعد من أبرز مصادر التاريخ الإسلامي خلال العصر الوسيط ، بالنظر إلى ماتوفره من مادة علمية قيمة ، تتعلق بالأساس بما تضمنته تراجم العلماء من معلومات حول تفاصيل الحركة الثقافية بمختلف الأقطار ،وحركة العلوم وبرامج التدريس وطرقه، فضلا عن ذلك فهي أحد أهم المضان التي يرجع إليها في دراسة العلاقات الثقافية بين الحواضر والأقطار ، خصوصا حركة العلماء والرحلة العلمية لطلبة العلم، وكذا النقاشات بين العلماء والفقهاء في مختلف القضايا العلمية ، بالإضافة إلى الإشارات المتعلقة بحركة الكتب والمصنفات وتداولها في حلق العلم .

تأسيسا على ما سبق تأتي هذه المساهمة لتحاول تسليط الضوء على الأهمية الكبيرة لكتب التراجم في دراسة العلاقات الثقافية للمغرب الأوسط و بالخصوص بوابته الشرقية حاضرة بجاية مع أقطار العالم الإسلامي ،من خلال كتاب "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" للغبريني ، وفق منهج تاريخي نجيب من خلاله على من خلال النقاط التالية :

*كتب التراجم: المفهوم والقيمة التاريخية

*القيمة التاريخية لكتاب عنوان الدراية

*العلاقات الخارجية لحاضرة بجاية من خلال كتاب عنوان الدراية.

أولا :كتب التراجم : المفهوم والقيمة التاريخية:

التراجم جمع ترجمة وهي سيرة مختصرة لشخص معين، وهذه السيرة قد تطول أو تقصر حسب أهمية المترجم له، أو تكون بين هذه وذاك حسب ما يراه مؤلف الكتاب وحسب أهمية أصحاب التراجم عنده[1].

1-فاضل جابر ، مصادر التاريخ الإسلامي وكيفية الاعتماد عليها، مجلة جامعة أهل البيت عليهم السلام، كربلاء، العراق، د ت،ص *101*

وهي حسب أحد الباحثين:"ذلك النوع من الأنواع الأدبية التي يتناول التعريف بحياة رجل أو أكثر تعريفا يطول أو يقصر، ويتعمق أو يبدو على السطح تبعا لحالة العصر الذي كتبت فيه الترجمة ،وتبعا لثقافة المترجم،–أي كاتب الترجمة– ومدى قدرته على رسم صورة كاملة واضحة ودقيقة،من مجموع المعارف والمعلومات التي تجمعت لديه عن المترجم له[1]، أما الدكتور عبد الله المرابط الترغي فيعطي تعريفا أكثر دقة حيث يقول أنها :"تقوم على تهيئة ظروف التعرف على المترجم له، وإزالة حجب المجهول التي تكتنفه، وذلك إما بعرض تاريخي الميلاد والوفاة ومحلهما،وذكر الطبقة التي ينتمي إليها الرجل زمانا ومكانا، وعلما وخطة ،وإما بذكر أخباره وأحواله ورحلاته وأشياخه وتلامذته ،ونشاطه في التدريس، والتأليف والإنتاج الأدبي وممارسة الخطط وغيرها[2]

لقد اهتمت الثقافة الإسلامية بدرجة كبيرة منذ عهودها الأولى بالتراجم ،وقد ظهرت العناية بهذا التأليف لحاجة العلماء المعنيين بتدوين الحديث معرفة لسير رجال الأسانيد أو رواة الحديث،بهدف التحقق من صدقهم طبقا لمنهج "الجرح والتعديل" الذي اتبعه المحدثون[3]،وتميزت هذه الكتب بالثقة والدقة والغنى بالمعلومات السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية ، وتأتي مصداقية هذه الكتب من تأثرها بالشروط التي وضعها علماء الحديث ولا سيما إتباع مؤلفيها لمبدأ "الجرح والتعديل"[4].

أنواع كتب التراجم :

أوجز وأجاد الدكتور عبد الله المرابط الترغي في مقدمة تحقيقه لكتاب أعلام مالقة[5] في ذكر أصناف الكتابة في هذا النوع من المصادر وحصرها في أربعة أصناف :

---

[1]– محمد عبد الغني حسن، التراجم و السير، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1980، ص 09

[2]– أبي عبد الله بن عسكر، أبي بكر بن خميس، أعلام مالقة، تقديم وتخريج وتعليق، عبد السلام المرابط الترغي، الطبعة الأولى ،دار الغرب الإسلامي ،دار الأمان للنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان ، 1999،مقدمة المحقق ، ص 11

[3]– هاني العمد ، دراسات في كتب التراجم والسير ، المؤسسة الصحفية الأردنية، عمان ، الأردن، 1981،ص 14، علي زيان ، المعرفة التاريخية في الأندلس خلال القرن الخامس هجري/الحادي عشر ميلادي، ماجيستر في التاريخ الوسيط، تخصص تاريخ وحضارات بلاد الأندلس ، إشراف عمارة علاوة ، قسم التاريخ وعلم الآثار ، جامعة منتوري ،قسنطينة ، 2011/2010،ص 99

[4]– فاضل جابر، المرجع السابق، ص 101

[5]–أنظر مقدمة التحقيق لكتاب أعلام مالقة، ص ص 12،11، في حين قسمها محمد عبد الغني حسن إلى :التراجم العامة الجامعة التراجم حسب العصور،التراجم لسنة سنة، التراجم في كتب التاريخ العام، كتب الطبقات وتشمل (طبقات الصحابة ، الفقهاء ،القراء،الحفاظ، المحدثين ، النحاة ،الشعراء، الصوفية، القضاة، الأطباء والفلاسفة،)وتواريخ البلدان وتراجم رجالها ينظر ذلك مفصلا عند محمد عبد الغني حسن ، المرجع السابق ، 40ومابعدها، سيدة إسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه،دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان،1983،ص 85

01-الترجمة العلمية العامة :وهي الترجمة التي تستهدف أساسا التعريف بالرجل في إطار انتمائه إلى صنف العلماء أو طبقة من طبقات الممارسين للعلم،وميزتها أن المؤلف يستقي موادها من الوثائق والمصادر التي تتيسر بين يديه، ويمثلها عموما نص الترجمة الوارد في كتب تواريخ الرجال والطبقات وكتب الوفيات.

02-الترجمة البرنامجية:هي الترجمة التي يصوغها الرجل لأشياخه خاصة، فيستقي موادها من مواقفه الخاصة، ومن معايشته للمترجم له،ومشاهداته له في العموم،وتمثل هذه الترجمة بشكل عام نصوص الترجمات الواردة في كتب الفهارس والأثبات والبرامج، والمشيخات كما هو الحال مع برنامج التجيبي[1] والوادي آشي [2]، والمجاري [3].

03-الترجمة البلدانية: وهي الترجمة التي يصوغها المؤلف لأجل التعريف بالرجل باعتباره شرط لانتمائه إلى البلد الذي قامت عليه تراجم الكتاب، أو لمجرد إقامته أو مروره به فقط،وتبنى الترجمة هنا على طريقة الترجمة العلمية العامة، غير أنه يراعى في ذلك شرط الانتماء إلى البلد المعني بالأمر، بذكره والتنصيص عليه ، وينتمي إلى هذا الصنف كتاب عنوان الدراية للغبريني الذي سيأتي الحديث عنه لاحقا

04- الترجمة الأدبية : هي الترجمة التي يبنيها المؤلف بقصد تهيئة الظروف لعرض ما أنتجه المترجم به من نماذج أدبية، ولا يستهدف منها تقديم معلومات حول ظروف المترجم له،أو عرض أحواله أو ذكر وفاته وغيرها، ككتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان.

05-الترجمة الصوفية:وهو يمثل الترجمة التي يصوغها المؤلف بقصد تقريب المترجم به وهو في إطار انتمائه إلى رجال التصوف أو ممارسته له،فتركز موادها على ذكر الكرامات والمناقب،وتعرض سلوك المتصوف وعبادته،ومن أمثلة ذلك كتاب طبقات الصوفية للسلمي[4]، وكتاب التشوف إلى معرفة رجال التصوف للتادلي [5].

وقد لخص الغبريني في مقدمة كتابه ذلك فقال :"فلذلك اهتم العلماء بذكر الرجال،واستعملوا في تمييز أحوالهم الفكر والبال،ليوضحوا سبيل التحمل، ويبينوا وسيلة التوصل، وقد اختلفت في ذلك مصادرهم وموارادهم،وإن اتفقت في بعض الوجوه مقاصدهم، فمنهم من ذكر التجريح والتعديل في المحدثين، ومنهم من ذكر من يعرف بالحفظ

---

[1]- القاسم بن يوسف التجيبي السبتي، برنامج التجيبي ، تحقيق وإعداد، عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس 1981

[2]- شمس الدين محمد بن جابر الوادي آشي ، برنامج ابن جابر الوادي آشي ،تقديم وتحقيق ، محمد الحبيب الهيلة، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية 1981

[3]- أبي عبد الله محمد المجاري الأندلسي، برنامج المجاري، تحقيق، محمد أبو الأجفان ، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1982

[4]- أبي عبد الرحمن السلمي ، طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة ، الطبعة الثالثة ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ،1986

[5]- ابن الزيات ، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي ، تحقيق أحمد توفيق، الطبعة الثانية ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، 1997.

والإتقان من المتقدمين، ومنهم من اقتصر على ذكر العلماء المجتهدين ومنهم من ذكر المؤلفين والمصنفين،ومنهم من ذكر الصلحاء والمتعبدين ومنهم من ذكر علماء وقته،ومنهم من اقتصر على ذكر مشيخته وكل ذلك يحصل الإفادة، ويسهل للطالب مراده"[1].

ثانيا :القيمة التاريخية لكتاب عنوان الدراية :

كان من حظ بجاية– وهي تشهد نهضة علمية كبيرة– أن يتهيأ لها من أبنائها من يسجل تفاصيل حراكها العلمي والمشهد الثقافي بها بشكل عام، خلال القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي ،وهو الشيخ أبي العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني (ت 704هـ/1304م)، الذي كان كتابه"عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية " بحق من أهم المصادر التي وصلتنا وموضوع مادتها حول الحركة العلمية ببجاية، بل إننا نعدم وجود مصدر آخر يتحدث حول الحياة الثقافية ببجاية باستثنائه .

لقد قدم الغبريني في كتابه هذا صورة واضحة حول العلوم والمعارف وحركة التعليم بحاضرة بجاية خلال القرن السابع هجري 13م، فضلا عن ما تضمنته التراجم من شذرات يمكن من خلالها تتبع العلاقات الثقافية لبجاية مع مختلف أقطار العالم الإسلامي، ولو بشكل نسبي ومتفاوت بين كل قطر من الأقطار، فضلا عن ذلك "يعتبر الكتاب مرجعا هاما لكتاب التراجم من بعده، حيث اعتمدوا عليه في الترجمة لعلماء بجاية ونواحيها خلال القرن السابع الهجري، ويعد الكتاب أثرا علميا نفيسا يكشف لنا عن الازدهار العلمي والأدبي ببجاية خاصة، والمغرب الأوسط عامة "[2]، أما قيمته العلمية فهي أشمل " لأن الحياة العلمية والفكرية من حيث حركة التعليم والتأليف وكيفية سير الدروس ومناهج التعليم وطرق التدريس والمقررات، وكيفية سير الدروس ومناهج التعليم وطرق التدريس والمقرات، هي محور الكتاب بالإضافة إلى حديثه عن أماكن التدريس كالمساجد والكتاتيب والزوايا والحلقات العلمية "[3].

منهج الغبريني في كتاب عنوان الدراية :

[1]– أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الله الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق، محمد بن أبي شنب، الطبعة الأولى ،دار البصائر للتوزيع والنشر ، الجزائر ، 2007، ص 06

[2]– عبد القادر بوباية، المؤنس في مصادر تاريخ المغرب والأندلس، ص 155

[3]– السعيد عقبة ، الحياة العلمية والفكرية ببجاية خلال القرن السابع هجري/13م من خلال كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس الغبريني (ت 704هـ/1304م)، ماجيستر في التاريخ الوسيط تخصص حضارة المغرب الأوسط في العصر الإسلامي ، إشراف عبد العزيز فيلالي، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2009/2008، ص 35.

بيّن الغبريني في مقدمة كتابه منهجه وخطة الكتاب ولندعه يتحدث عن ذلك قائلا:" ...وإني قد رأيت أن أذكر في هذا التقييد من عرف من العلماء ببجاية في هذه المائة السابعة التي نحن في بقية العشر الذي هو خاتمتها ختمها الله بالخيرات ، وجعل ما بعدها مبدأ للمسرات ، أذكر منهم من اشتهر ذكره ونبل قدره، وظهرت جلالته،وعرفت مرتبته في العلم ومكانته، وقد رأيت أن أصل بذكر علماء هذه المائة ذكر الشيخ أبي مدين والشيخ أبي علي المسيلي والفقيه أبي محمد عبد الحق الاشبيلي- رحمهم الله ورضي عنهم-،لقرب عهدهم بهذه المائة، لأنهم كانوا في أعقاب المائة السادسة للتبرك بذكرهم ، ولانتشار فخرهم، وأبدأ بهم رضي الله عنهم، ثم أتلوهم بذكر مشيختي و أعلام إفادتي ،ثم أتلوهم بمن سواهم إلى أن يقع الإتيان على جميعهم رحمهم الله وسميت هذا المجموع (عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية) "[1]، وبذلك يمكننا أن نُصنف كتاب عنوان الدراية ضمن صنف الترجمة البلدانية، وفق تصنيف عبد الله المرابط الترغي، لكن الغبريني سرعان ما تجاوز هذا الشرط، وأورد تراجم لعلماء لا ينتمون إلى بجاية، ولم يفدوا إليها وذلك في سياق ذكر لمشيخته التي أخذ عنها، كما هو الحال في ترجمة أبو محمد عبد المجيد ابن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدفي الطرابلسي ونجده يبرر ذلك قائلا:" وهذا الشيخ تعين ذكره وإن لم يوافق شرط الكتاب، لأنه لم يكن ببجاية لكني لقيته بحاضرة إفريقية وانتفعت برؤيته وتبركت بمشاهدته، وهو من الفضلاء الذين لا يسوغ الإخلال بذكرهم في المشيخة "[2]، وقد خلص أحد الباحثين – بعد أن اتخذ عنوان الدراية مصدرا لدراسة الحركة العلمية ببجاية- إلى أن الغبريني "استعمل في عرضه لمعظم تراجمه أسلوبا تميز بالإيجاز والاختصار والتركيز، وابتعد عن السرد والاستطراد وذكر التفاصيل ، حيث اقتصر على ذكر الأحداث المهمة في حياة العلماء وأهم إنجازاتهم العلمية والفكرية "[3]، وهذا لا ينفي أنه استطرد في عديد التراجم في ذكر كرامات العلماء والأولياء وهذا راجع إلى التوجه الصوفي للغبريني.

ثالثا: العلاقات الثقافية لحاضرة بجاية مع العالم الإسلامي من خلال كتاب عنوان الدراية :

01 : الإشعاع العلمي لعلماء بجاية في أقطار العالم الإسلامي

أ/ ببلاد المشرق

[1]- الغبريني، المصدر السابق ، ص ص 06،07
[2]- الغبريني، المصدر نفسه، ص 53
[3]- السعيد عقبة ،المرجع السابق ، ص 37،38

لاشك أن الرحلة إلى بلاد المشرق ، كانت أحد أهم المراحل التي يطمح إليها طالب العلم تعزيزا لتكوينه العلمي ،و بالنظر إلى ما يتأتى منها من فوائد علمية كبيرة للمرتحل ، فضلا عن المكانة الاجتماعية والعلمية التي يتبوؤها حين رجوعه،ويمكن حصر الأسباب وراء ارتحال طلبة العلم المغاربة إلى المشرق في[1] :

*الدافع الديني: ويأتي على رأس ذلك حج بيت الله الحرام،وزيارة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم،بالإضافة إلى زيارة بيت المقدس بفلسطين ، فوقوع هذه الأماكن المقدسة ببلاد المشرق ،ساهم بشكل كبير في استقطابها لطلبة العلم وغيرهم من شتى الأقطار.

*الدافع العلمي: شكلت بلاد المشرق خزانا للنخب العلمية والعلماء في مختلف التخصصات ففيها ظهر الإسلام وفيها تشكلت المذاهب الفقهية، ومنها انتشرت، وقد كان لهذا الرصيد الحضاري أثره في الأعداد الكبيرة من العلماء والفقهاء الذين أنجبتهم ، فإليهم كانت الرحلة للقراءة والتحصيل وطلب الإجازة وتحصيل السند.

بالعودة إلى المعطيات العلمية التي تضمنها عنوان الدراية، نلاحظ أن عدد المرتحلين من بجاية نحو بلاد المشرق كان معتبرا ، حيث تم إحصاء15مرتحلا ، فقد ارتحل الفقيه أبو العباس أحمد بن عيسى بن عبد الرحمن الغماري إلى المشرق من اجل التحصيل العلمي حيث التقى بالشيخ عز الدين بن عبد السلام،قال الغبريني :" وقرأ هناك وجد واجتهد وحصل وأتقن"[2]، الأمر ينطبق كذلك على الشيخ أبو زكرياء يحي بن زكرياء بن محجوبة القرشي السطيفي الذي ارتحل إلى مصر "ولازم حلقة الشيخ أبي الحسن الحرالي ، واستفاد منه في علم الظاهر والباطن ، وحصّل من هديه الجلي والكامن "[3]،نفس الأمر مع الشيخ أبو زكرياء يحي بن أبي علي المشتهر بالزواوي(ت 611هـ/1214م)،الذي ارتحل إلى بلاد المشرق "ولقي الفضلاء والأخيار والمشايخ من الفقهاء والمتصوفة وأهل طريق الحق"[4]،وعلى رأسهم الشيخ أبو طالب أحمد بن رجا اللخمي ،الذي قرأ عليه وأخذ عنه الأصلين حفظا وإتقانا، والحافظ أبو طاهر السلفي الذي أخذ عنه إعجاز القرآن للخطابي [5]،أما الشيخ الفقيه أبوعلي عمر بن عبد المحسن الواجهاني الصواف فارتحل سنة 660هـ/إلى بلاد المشرق، بعد أن حج بيت الله

[1]– من بين الدراسات التي اهتمت برصد حراك المغاربة ببلاد المشرق دراسة ،الحاج عيفة ، إسهامات المغاربة والأندلسيين في مصر وبلاد الشام من بداية القرن السادس إلى نهاية القرن التاسع هجري 12م–15م، دكتوراه في التاريخ الوسيط ن إشراف عبد الحميد حاجيات ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة الجزائر ، 2010،2009، عبد الكريم شباب ، علماء المغرب الإسلامي في بلاد الشام خلال القرون 05هـ–08هـ، دكتوراه في التاريخ الوسيط ، إشراف مبخوت بودواية، قسم التاريخ ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية ، جامعة أبوبكر بلقايد ، تلمسان ،2015/2014

[2]– الغبريني ، المصدر السابق ، ص 45

[3]– الغبريني ، المصدر نفسه، ص ص 49،50

[4]– الغبريني ، المصدر نفس،ص 62

[5]– الغبريني ، المصدر السابق ،ص 64

الحرام، استوطن بالديار المصرية وهناك ظهر ونال مكانة رفيعة بين العامة والملوك[1]،والأمر ينطبق كذلك على الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن ميمون بن بهلول الزواوي ، والشيخ أبوعلي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي، حيث كان طلب العلم وراء ارتحالهم إلى بلاد المشرق ، وهناك التقوا بالشيخ عز الدين بن عبد السلام وغيره،[2]، وقد كان الشيخ ناصر الدين المشدالي أول من أدخل كتاب "جامع الأمهات " لابن الحاجب [3]،وحرص الشيخ أبوعلي عمر بن عزون السلمي أثنا رجوعه من المشرق على جلب بعض كتب المذهب الحنفي و"كان يجري أبحاثهم في مذهب مالك"[4].

في حين لا يقدم الغبريني معلومات ذات قيمة حول تفاصيل رحلة كل من أبي نصر فتح بن عبد الله[5]، والشيخ أبو العباس أحمد بن عثمان بن عبد الجبار المتوسي المليانى [6]،والشيخ أبو تميم ميمون بن جبارة بن خلفون البردوي[7]،وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري المشتهر بالأصولي[8]، وأبو محمد عبد الوهاب بن يوسف بن عبد القادر[9]، والشيخ أبو سليمان داود بن مطهر الوجهاني[10]، والشيخ أبو علي عمر بن أحمد العمري[11].

ب/ العلماء البجائيون في الأندلس :

تم إحصاء ستة علماء من بجاية تم ذكرهم في عنوان الدراية، ارتحلوا إلى الأندلس، ويبدو واضحا الفرق الكبير بين أعداد هؤلاء، وأعداد المرتحلين من الأندلس إلى بجاية (الذي سنتحدث عنهم لاحقا)،ويمكننا أمام هذا الواقع أن نربط بين هذا العدد الضئيل وبين الظروف السياسية الصعبة،التي كانت تعيشها الأندلس، ما تسبب في النقص الكبير في المرتحلين إليها، بل إن الأندلسيين وعلى رأسهم أعلامهم وعلمائهم سعوا إلى الهجرة إلى حواضر العدوة عموما، و بجاية خصوصا.

---

[1]– الغبريني، نفسه، ص ص 92،93

[2]– الغبريني ، نفسه، ص 94،105،106

[3]– عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع ،مصر ، 2010 ، ص 382

[4]– الغبريني ، المصدر السابق ، ص 116

[5]– الغبريني ،المصدر نفسه ، ص 66

[6]– الغبريني ، نفسه ، ص 87

[7]– نفسه ، ص 95

[8]– نفسه، ص 95

[9]– نفسه، ص 107

[10]– نفسه،ص 121

[11]–نفسه، ص 124

بالعودة إلى تراجم الأعلام المرتحلين إلى الأندلس،نلاحظ أن الدافع الأكبر أما ارتحال هؤلاء، هو تولي بعض المناصب الإدارية ولقضائية بحواضر العدوة الأندلسية، كما هو الحال مع الشيخ أبو تميم ميمون بن جبارة بن خلفون البردوني(ت584هـ)، الذي ولي قضاء بلنسية والشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري المشتهر بالأصولي الذي ولي قضاء بعض المدن، وهناك نسج علاقات مع القاضي أبي الوليد ابن رشد ، وقد كان له دور كبير في تلطيف الأجواء بينه وبين الخليفة الموحدي يعقوب المنصور،الذي حمل على ابن رشد الحفيد ما قاله في حادثة الزرافة المشهورة[1].

وقد كانت رحلة الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن السطاح، مميزة جدا حيث أجازه أبو الحسين بن زرقون،في ذي القعدة من سنة 615هـ1212م،وكان أول من أدخل كتاب " الأنوار في الجمع بين المنتقى والاستذكار"إلى العدوة[2].

في حين لا يقدم "عنوان الدراية" معلومات ذات قيمة حول مجريات وتفاصيل رحلة كل من علي بن نصر فتح بن عبد الله، وأبو محمد عبد الله بن حجاج بن يوسف[3]

ج/ العلماء المرتحلون إلى المغرب الأقصى :

تم إحصاء خمس علماء من علماء المغرب الأوسط ارتحلوا إلى المغرب الأقصى ، ويبدو أن الرحلة إلى المغرب الأقصى كانت من حيث كونه مقرا للخلافة الموحدية، و به كرسي ملكهم،مع ما يمثله ذلك من استقطاب للنخب العلمية في مختلف المجالات،كما هو الحال مع الشيخ الفقيه القاضي أبو تميم ميمون بن جبارة بن خلفون البردودي ،الذي ما إن رجع من المشرق،حتى دخل مراكش، وهناك لقي الخليفة الذي ولاه القضاء بالأندلس[4]،وولي القضاء مستخلفا بمراكش الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الفهري[5]،الأمر ينطبق كذلك على ابن حماد الصنهاجي الذي أستدعي ليتولى قضاء سلا سنة 613هـ/1210م[6]،في حين كان سبب ارتحال أبو زيد عبد الرحيم بن عمر اليزناتني إلى المغرب الأقصى مغايرا للعلماء السابقين،فبعد رجوعه من المشرق ، استوطن مدينة

---

[1]– نفسه ، ص 96، وحول محنة ابن رشد الحفيد ينظر:عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق صلاح الدين الهواري الطبعة الأولى ، المكتبة العصرية ، بيروت ،2006، ص ص 224،225، نهلة شهاب أحمد ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 2009،ص 171ومابعدها

[2]– الغبريني ، المصدر السابق ، ص 122

[3]– الغبريني ، المصدر نفسه، ص 66،ص 114

[4]–الغبريني، نفسه ص 95

[5]– الغبريني ، نفسه ص 95

[6]– الغبريني ، ص 102

بجاية حيث عكف على التدريس وكان محصلا لمذهب مالك ولأصول الفقه ،على طريقة الأقدمين ومن أهل الاجتهاد، وبعد أن قام بواجبه تجاه حاضرة بجاية حيث "روى عنه وحصل ما يجب أن يحصل منه،رحل إلى المغرب الأقصى واستوطن مدينة فاس،حيث واصل جهده التعليمي إلى أن توفي بها رحمه الله [1]، في حين يقدم لنا كتاب " عنوان الدراية " تفاصيل هامة حول رحلة الشيخ أبو علي حسن بن فكون القسنطيني، الذي ارتحل إلى مراكش،وتقرب من السطان الموحدي ، الذي قربه منه وأكرم نزله [2]،وكان"من الأدباء الذين تستظرف أخبارهم،وتروق أشعارهم، غزير النظم والنثر،امتدح بجاية فقال :

دع العـــراق وبغداد وشامـــــها فالنـــــاصرية ما إن مثـلها بلد

بـــر وبحـر ومـــــــوج للعيون به مسارح بان عنها الهم والنـــكد

حيث الهوى والهواء الطلق مجتمع حيث الغنى والمنى والعيشة الرغد[3]

د/العلماء البجائيون بتونس:

نسبة العلماء المرتحلون إلى حاضرة تونس قليلة جدا،فقد تم إحصاء مرتحلين اثنين فقط **ورد ذكرهم في عنوان الدراية**[4]،وهي نسبة قليلة جدا إذا ما عرفنا أن تونس كانت تمثل أحد أكبر المراكز العلمية بالمغرب الإسلامي آنذاك وعاصمة للدولة الحفصية لاحقا، مع ما يمثله هذا العامل من دفع قوي لمختلف أوجه الحياة العلمية والثقافية وبالخصوص استقطاب العلماء والنخب الفكرية .

فقد ارتحل الفقيه أبو محمد عبد الوهاب بن يوسف بن عبد القادر (ت 680هـ/1281م)متوليا خطة القضاء ببعض المدن بإفريقية حيث تولى قضاء توزر و قفصة وغيرها[5]، في حين كانت الاستزادة العلمية الدافع وراء ارتحال الشيخ أبو يوسف الزواوي المنجلاتي إلى إفريقية،فبعد أن قرأ ببجاية" رحل إلى حاضرة إفريقية ولقي المشايخ، ولازم الشيخ الإمام أبا عبد الله بن شعيب، وقرأ على الفقيه أبي العباس ابن عجلان، وقد كانت لرحلته

[1]– الغبريني، ص 120
[2]– الغبريني، نفسه، ص 160
[3]– نفسه، ص 160
[4]– ما ذكره الغبريني فقط وإلا فإننا نعتقد أن العدد أكبر من ذلك بكثير
[5]– نفسه، ص 108

العلمية أثر طيب على بجاية وطلبة العلم بها،فبعد رجوعه إليها "أقرأ بها وظهر أمره واشتهر، وكان مجلسه من المجالس المعتبرة،وكانت تقرأ عليه الكتب المذهبية،وكان يقوم عليها قياما حسنا"[1]

02 :بجاية مركز استقطاب للنخب العالمة بالغرب الإسلامي .

أ/ جالية أندلسية ذات تأثير حضاري فاعل:

لقد شكلت الأوضاع السياسية المتردية التي عاشتها بلاد الأندلس ،نتيجة الصراعات بين حكامها من جهة ، والعدوان النصراني من جهة أخرى ، الذي حرص على قضم مدن وحواضر الأندلس الواحدة تلو الأخرى ، أكبر دافع سرّع من حركة الهجرة نحو العدوة المغربية، وقد كانت بجاية من بين الحواضر التي أقبل ليها الأندلسيون ، وقد تهيأ لبجاية بذلك رافد آخر من الروافد الحضارية التي ستدعم نهضتها الحضارية.

الحضور الأندلسي ببجاية كان مميزا، وشكل الأندلسيون إحدى أهم طبقات المجتمع البجائي يستشف ذلك من التسمية التي أطلقها الغبريني على الفقيه أبي بكر بن محرز الذي وصفه برأس الجماعة الأندلسية[2]، وقد كان لهذا التفاعل بين البجائيين والأندلسيين الوافدين الأثر الكبير في ارتقاء بجاية إلى مصاف الحواضر العلمية التي تشع فكرا وثقافة[3].

أورد الغبريني تراجم لحوالي 31 عالما من علماء الأندلس الذين وفدوا إلى بجاية إما استيطانا أ مكثوا بها وقتا محددا ثم انتقلوا إلى حواضر أخرى ،وإن كان المقام لا يسمح باستعراض الإسهام الحضاري لجميع هؤلاء الأعلام ، فإنا نرى أنه من المفيد أن نعرض لنماذج معينة قامت بأدوار علمية مختلفة :

*** أبو مدين شعيب وبداية إشعاع صوفي أندلسي بجائي:**

يعد الشيخ أبو مدين شعيب (ت 594هـ/1198م) أحد أكبر المتصوفة الذين عرفتهم بلاد المغرب على مر العصور،وهو من مواليد مدينة منتوجب إحدى قرى اشبيلية، وفد على بجاية في القرن السادس هجري، ولاستوطنها وفضلها على كثير من المدن،وكان يرى أنها تعين على الحلال، فاشتهر أمره ببجاية وارتفع شأنه في آفاقها، بما كان يعقده من مجالس مؤثرة، فأخذ الناس يقصدونه من مختلف الأقطار[4]،ويحفل "عنوان الدراية" بذكر

---

[1]– نفسه ص ص 122،123

[2]– الغبريني ، المصدر السابق، ص 135

[3]– عبد الواحد عبد السلام شعيب، العنوان للغبريني مرجع للعلاقات الثقافية بين الجزائر والأندلس ، العدد 19–20،مجلة عصور الجديدة ، مختبر تاريخ الجزائر ، جامعة وهران ،ص 50

[4]– الغبريني ، المصدر السابق، ص 07، عبد الكريم شباب، المرجع السابق، ص 23

ما تأتى لشيخ الشيوخ أبي مدين الغوث من هالة روحية وعلمية ويبدو واضحا أن تلك المكانة ترجع بالأساس إلى دوره التعليمي الكبير الذي كان مضطلعا ، بحيث كان يعقد مجالس علمية يفسّر فيها كتاب الله العزيز، ويقرأ فيها بعض الكتب التي تحض على الزهد ككتاب الرسالة للقشيري وغيرها[1]،لقد كان لمكوث الشيخ أبي مدين شعيب ببجاية أثره الواضح في بروز أجيال من المتصوفة الذين عرفتهم بجاية وساهموا مساهمة فعالة في الحركة الصوفية بالمغرب الأوسط[2].

*** أبو عبد الله محمد بن صالح الكناني الشاطبي (ت بعد 699هـ/ بعد 1300م) ونشاط تعليمي مميز ببجاية[3]:**

ساهم الشيخ أبو عبد الله محمد بن صالح الكناني مساهمة فعالة في الحركة التعليمية ببجاية، ويقدم الغبريني معلومات هامة وقيمة حول النشاط التعليمي الذي اضطلع به ،قال الغبريني عنه" رحل إلى العدوة واستوطن بجاية، ولقي المشايخ بالعدوتين، وروى ودرى و استجاز وأجاز، وروى وأقرأ، واستمتع واستنفع به خلق كثير رضي الله عنه،عالم بعلم القراءات متقن فيها مجيد، وله معرفة بعلم العربية النحو واللغة والأدب ،وله رواية متسعة في الحديث وغيره، وروايته عالية من جهات كثيرة ، وله شعر حسن"[4] يقدم الغبريني كذلك معلومات هامة حول مختلف العلوم والكتب التي كان يدرسها حيث يقول "يقرأ كتب العربية فيجيد وأجود من ذلك مفصل الزمخشري قرأه وأحكمه وهو كذلك يقرئه ويجيد فيه، وتقرأ عليه دواوين الأشعار تفقها كشعر حبيب والمتنبي والمعري والأشعار الستة وغير ذلك، وكل ذلك بإتقان وأحكام وجودة وإيراد[5]، فضلا عن ذلك يقدم لنا برنامج مشيخة الغبريني الملحق بالعنوان أبرز الكتب التي كان يدرسها في حلق العلم.

جدول : الكتب التي قرأها الغبريني على الشيخ أبي عبد الله محمد بن صالح الكناني

الكتاب	نوعه	الصفحة

[1]– الغبريني ، ص ص 08،09،عبد القادر بوباية ، إسهام العلماء الأندلسيون في الحركة العلمية ببجاية من خلال كتاب عنوان الدراية، العدد 18، مجلة عصور الجديدة، مختبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران، 2015 ،ص 206

[2]–إلى جانب الشيخ أبي مدين شعيب ، استقطبت بجاية العديد من المتصوفة أمثال محي الدين بن عربي (ت 638هـ/1241م)، والشيخ ابن سبعين (ت 669هـ/1270م) ، والشيخ الششتري (ت 668هـ/1269م)، ينظر الغبريني ، ص 78،ص ص ،113،110، ينظر كذلك ، الطاهر بونابي ، التصوف بالجزائر خلال القرنين 06–و07 الهجريين / 12و13الميلاديين ،نشأته ، تياراته، دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي،طبع شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة ،2004.

[3]–يمكن الرجوع إلى الدراسة القيمة التي أنجزتها الأستاذة آسيا ساحلي حول المشيخة الأندلسية في بجاية ودورها في تنشيط المعرفة التاريخية نسخة إلكترونية لا تتوفر على البيانات البيبليوغرافية .

[4]– الغبريني ، المصدر السابق ، ص 40

[5]– الغبريني ، المصدر نفسه، ص 42

الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري	التفسير	176
الموطأ	الفقه والحديث	176
جامع الإمام البخاري	الحديث	177
مختصر ابن عبد الحكم	الفقه	180
الرسالة للقشيري	التصوف	186
الإرشاد لأبي المعالي الجويني	أصول الدين	187
مسند الإمام أحمد بن حنبل	الحديث	187

يتضح من خلال الجدول الإسهامات العلمية الكبيرة التي اضطلع بها الشيخ محمد بن صالح الكناني ببجاية ، حيث تعددت الكتب التي كان يدرسها ، والتي تنوعت مابين التفسير والحديث والفقه وأصول الدين والتصوف،ولا جدال أن هذه الأدوار التعليمية الكبيرة راجعة بالدرجة الأساس إلى مكوثه خطيبا ومدرسا أزيد من ثلاثين سنة بالجامع الأعظم ،فضلا عن كونه كان يحوز على عدد من أسانيد الكتب .

ب/ حضور مشرقي ضعيف:

لقد كان للنهضة المتعددة الجوانب التي شهدتها بجاية منذ تأسيسها على عهد الحماديين، الأثر البارز في استقطابها للعديد من النخب من مختلف الأقطار، قال الإدريسي :" ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب الأوسط،وعين بلاد بني حماد ، والسفن إليها مقلعة ، و بها القوافل منحطة والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة ،والبضائع بها نافقة ، وأهلها مياسير تجار، و بها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد، وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق "[1]، لقد ساعد الازدهار الاقتصادي لمدينة بجاية واستقطابها للغرباء بمختلف تخصصاتهم، في التطور الثقافي وبروزها كحاضرة علمية ، ولئن شهدت بجاية توافدا كبيرا لعلماء الأندلس والمغربين الأدنى والأقصى بشكل معتبر ، فإن الغبريني احتفظ لنا بتراجم ثلاث مشارقة زاروا بجاية خلال القرن السابع الهجري وهم:

*أبو زكرياء المرجاني الموصلي :الشيخ الفقيه الصالح العابد الزاهد الورع الناسك المكاشف، من الوافدين على بجاية ، تولى الخطابة والتدريس بمسجد حمل اسمه بحومة اللؤلؤة ،" وكان يجتمع إليه فيه الأفاضل و

[1]– الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، دت ، ص 260

الصلحاء والمتعبدون، وكانوا يسمعون منه غرائب ،ويطلعون من أحواله على عجائب وكل ذلك مقيد بالكتاب والسنة على سنة السلف الصالح رضي الله عنهم "[1]

*تقي الدين الموصلي : الشيخ الجليل الحكيم الأمي ، عرف عن الشيخ أنه كان رحالة لم يترك إقليما من الأقاليم إلا وزارها ، وقد وفد على بجاية سائحا ، في ذروة إشعاعها الصوفي ،بمكوث الشيخ أبي الحسن الحرالي بها، ثم سرعان ما ارتحل منها قاصدا المغرب الأقصى ضمن خطته لزيارة جميع بلاد الإسلام آنذاك .[2]

*أبو العباس الجدلي الشريف : الشيخ الفقيه الفاضل المحدث الجدلي الحكيم ، من أصبهان، هو الآخر رحالة جال بلاد المشرق والصين والهند و العراقين العربي و العجمي، وقد وفد على بجاية قادما إليها من إفريقية ، حيث حظي هناك بإكرام السلطان الحفصي المستنصر، اطلع الغبريني على تقييد له في أصول الدين محكم الإيراد ،وبعد بجاية ارتحل إلى المغرب الأقصى حيث توفي هناك [3].

خاتمة:

تعد كتب التراجم من أبرز مصادر التاريخ الثقافي ، بالنظر إلى ما تضمنته من معلومات هامة حول الملامح العامة للفعل الثقافي في مختلف الحواضر ، بالإضافة إلى كونها مصدر من مصادر دراسة العلاقات الخارجية للحواضر والأمصار ، وقد أخضعت هذه الدراسة كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية للغبريني للدراسة ، باعتباره مصدر من مصادر دراسة العلاقات الثقافية الخارجية للمغرب الأوسط وبالأخص حاضرته بجاية حيث تم تتبع حركة العلماء البجائيين في مختلف الأقطار والدور الحضاري الذي قامت به بجاية في استقطاب مختلف النخب العلمية المتعددة التخصصات، وإن كان البحث قد ركز على حركة العلماء من وإلى بجاية فلأننا نعتقد أن ذلك أحد أهم ملامح العلاقات الثقافية بين الأقطار خلال العصر الوسيط.

وقد تجلى لنا من خلال البحث المستوى الثقافي الكبير الذي نالته مدينة بجاية خلال القرن 07هـ/ 13م، ويكفي للدلالة على ذلك استقطابها للنخب العلمية من مختلف أقطار العالم الإسلامي، وخاصة الأندلس التي وفد منها سيدي بومدين شعيب الذي ساهم في تحول مدينة بجاية إلى مركز إشعاع روحي كبير، كما وفد عدد آخر –

[1]– الغبريني ، المصدر السابق ، ص 82
[2]– الغبريني ، نفسه، ص ص 83،84
[3]– الغبريني ، نفسه، ص ص 84،85

تضمنه البحث– ساهم في الحركة التعليمية، وبالتي بدورها أنتجت نخب محلية بجائية أسهمت في النهضة العلمية بالعالم الإسلامي ككل كآل المشذالي وآل الغبريني وغيرهم.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

– ابن الزيات(1997)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق، الطبعة الثانية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.

– ابن خلدون عبد الرحمن(2010) ، المقدمة ، دار ابن الجوزي للطبع والنشر والتوزيع ،مصر.

– ابن عسكر أبي عبد الله بن خميس أبي بكر(1999) ، أعلام مالقة، تقديم وتخريج وتعليق، عبد السلام المرابط الترغي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، دار الأمان للنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان.

– الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، د ت

– التجيبي السبتي القاسم بن يوسف(1981)، برنامج التجيبي، تحقيق وإعداد، عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس.

– السلمي أبو عبد الرحمن(1986)، طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة ، الطبعة الثالثة ،مكتبة الخانجي القاهرة

– الغبريني أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله (2007)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق، محمد بن أبي شنب، الطبعة الأولى ،دار البصائر للتوزيع والنشر ، الجزائر.

– المجاري الأندلسي أبو عبد الله محمد(1982) ، برنامج المجاري ، تحقيق ، محمد أبو الأجفان ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان.

– المراكشي عبد الواحد(2006)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق صلاح الدين الهواري، الطبعة الأولى ، المكتبة العصرية ، بيروت.

– الوادي آشي شمس الدين محمد بن جابر(1981)، برنامج ابن جابر الوادي آشي ،تقديم وتحقيق ، محمد الحبيب الهيلة، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية

المراجع:

– نهلة شهاب أحمد(2009) ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان.

– بوباية عبد القادر(2015)، إسهام العلماء الأندلسيون في الحركة العلمية ببجاية من خلال كتاب عنوان الدراية، العدد 18، مجلة عصور الجديدة، مختبر تاريخ الجزائر، جامعة وهران.

– بوباية عبد القادر ، المؤنس في مصادر تاريخ المغرب والأندلس، (نسخة إلكترونية لا تتوفر على البيانات البيبليوغرافية)

– بونابي الطاهر(2004)، التصوف بالجزائر خلال القرنين 06–و07 الهجريين / 12و13الميلاديين ،نشأته ، تياراته، دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي،طبع شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة.

– حسن محمد عبد الغني(1980)، التراجم و السير، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، مصر.

– زيان علي(2011/2010) ، المعرفة التاريخية في الأندلس خلال القرن الخامس هجري/الحادي عشر ميلادي ماجيستر في التاريخ الوسيط، تخصص تاريخ وحضارات بلاد الأندلس ، إشراف عمارة علاوة ، قسم التاريخ وعلم الآثار جامعة منتوري قسنطينة.

– ساحلي آسيا، المشيخة الأندلسية في بجاية ودورها في تنشيط المعرفة التاريخية (نسخة إلكترونية لا تتوفر على البيانات البيبليوغرافية) .

– شباب عبد الكريم(2015/2014.)، علماء المغرب الإسلامي في بلاد الشام خلال القرون 05هـ–08هـ، دكتوراه في التاريخ الوسيط ، إشراف مبخوت بودواية، قسم التاريخ كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية ، جامعة أبو بكر بلقايد ، تلمسان

– عبد الواحد عبد السلام شعيب، العنوان للغبريني مرجع للعلاقات الثقافية بين الجزائر والأندلس ، العدد 19–20،مجلة عصور الجديدة ، مختبر تاريخ الجزائر ، جامعة وهران.

– عقبة السعيد(2009/2008.) ، الحياة العلمية والفكرية ببجاية خلال القرن السابع هجري/13م من خلال كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس الغبريني (ت 704هـ/1304م) ، ماجيستر في التاريخ الوسيط تخصص حضارة المغرب الأوسط في العصر الإسلامي، إشراف عبد العزيز فيلالي، قسم التاريخ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة .

– العمد هاني(1981)، دراسات في كتب التراجم والسير ، المؤسسة الصحفية الأردنية، عمان ، الأردن

– عيفة الحاج(2010،2009) ، إسهامات المغاربة والأندلسيين في مصر وبلاد الشام من بداية القرن السادس إلى نهاية القرن التاسع هجري 12م–15م، دكتوراه في التاريخ الوسيط إشراف عبد الحميد حاجيات ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة الجزائر.

– فاضل جابر، مصادر التاريخ الإسلامي وكيفية الاعتماد عليها، مجلة جامعة أهل البيت عليهم السلام، كربلاء، العراق، د ت.

– كاشف سيدة إسماعيل(1983)، مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان.

محنة الموريسيكيون في صيام شهر رمضان

أعداد
أ.م.د قاسم عبد سعدون الحسيني
جمهورية العراق /جامعة ميسان / كلية التربية قسم التاريخ
07806747806

لبثت السياسة الاسبانية عِقبَ سقوط غرناطة ، بيد الأسبان سنة 897هـ/1492م ، وبعد أنّ حقق الأسبان أعظم أمانيهم القومية بإنهاء الحكم الإسلامي في الأندلس ، كرست السلطات الأسبانية جهودها كافة لتحقيق مشروعها السياسي المتمثل بالقضاء على الإسلام وإنهاء وجوده في اسبانيا النصرانية متخذة أساليب وإجراءات قمعية رافقها القيام بحملات تبشيرية لتنصير المسلمين المقيمين في اسبانيا ، ا وقد سعت السياسة الاسبانية أنّ تسبغ محاولاتها لتنصير المسلمين والأمل في تعايشهم مع النصارى الأسبان ، والانسجام معهم واعتناق الديانة النصرانية بشكل طوعي، فأخذت في تحوير العهود والنصوص التي تضمنتها معاهدة التسليم وتعديلها وتفسيرها بطريق التعسف والتحكم، ثم العمل على خرقها نصاً فنصاً ، إلا أن هذهِ السياسة قد فشلت في تحقيق الهدف المنشود من إتخاذها ، لذلك لجأت السلطات الإسبانية إتباع اقصى درجات التعسف والظلم بحق المسلمين الموريسيكيون ظناً منها أنها قادرة على سلخهم من هويتهم وعقيدتهم الدينية ، إلا أن الموريسيكيون اثبتوا عكس ذلك فتمسكوا بدينهم الإسلامي وواظبوا على إحياء الشعائر الدينية ، وأداء فروض الإسلام الخمسة لا سيما صيام شهر رمضان ، متحدين الإجراءات التعسفية التي تتخذها السلطات الاسبانية بحقهم .

The plight of the Moors in fasting

Ramadan month

After the fall of Granada, Spanish politics resided in the hands of the Spaniards in 897 AH / 1492 CE, and after the Spaniards had achieved their greatest national aspirations to end Islamic rule in Andalusia, the Spanish authorities devoted all their efforts to achieving their political project of eliminating Islam and ending its presence in Christian Spain by adopting repressive methods and measures that punctuated them. Carrying out missionary campaigns to evangelize Muslims residing in Spain, a Spanish policy has sought to bestow its attempts to evangelize Muslims and hope for coexistence with the Spanish Christians, harmony with them, and voluntary embrace of the Christian religion, so it has taken to alter the covenants and texts contained in the extradition treaty, amending and interpreting them by means of arbitrariness and control, then Work to violate it text by text, but this policy has failed to achieve the desired goal of taking it. Therefore, the Spanish authorities resorted to the utmost degrees of abuse and injustice against the Mauritanian Muslims, thinking that they are able to strip them of their identity and religious belief, but the Mexicans proved otherwise and adhered to their religion They are obligated to revive religious rituals, and to perform the five duties of Islam, especially fasting a month Ramadan, defying the arbitrary measures taken by the Spanish authorities against them.

المقدمة

لبثت السياسة الاسبانية عِقبَ سقوط غرناطة[1]، بيد الأسبان سنة 897هـ/1492م ، وبعد أنّ حقق الأسبان أعظم أمانيهم القومية بإنهاء الحكم الإسلامي في الأندلس ، كرست السلطات الأسبانية جهودها كافة لتحقيق مشروعها السياسي المتمثل بالقضاء على الإسلام في اسبانيا النصرانية ، ولأجل ذلك عملت الحكومات الإسبانية القيام بحملات تبشيرية لتنصير المسلمين المقيمين في اسبانيا ، الأمر الذي لم يتم التطرق لهُ في معاهدة تسليم غرناطة[2] ، وأهملهُ المفاوض الأسباني ظناً منهُ أنَّ الزمن كفيل بأنّ يفرض على المسلمين الخاضعين للحكم الأسباني أسوأ من الوضع الذي أعْترف لهم بهِ في معاهدة التسليم، وقد سعت السياسة الاسبانية أنّ تسبغ محاولاتها لتنصير المسلمين والأمل في تعايشهم مع النصارى الأسبان ، والانسجام معهم واعتناق الديانة النصرانية بشكل طوعي، فأخذت في تحوير العهود والنصوص التي تضمنتها معاهدة التسليم وتعديلها وتفسيرها بطريق التعسف والتحكم، ثم العمل على خرقها نصاً فنصاً[3]، إذ كانت السلطات الأسبانية حريصة على أنّ تكون اسبانيا دولة كاثوليكية المذهب لا تتسع لأصحاب الديانات الأخرى ، بل لا تتسع للمسيحيين من أصحاب المذاهب الأخرى[4]، ولأجل ذلك بدأت المحاولات بتنصير من تبقى من المسلمين بوسائل متعددة [5] .

شددت السلطات الأسبانية الضغط على مسلمي الأندلس ، وأخذ الاعتقال والتعذيب يطأ الجميع كخطوة لإجبارهم لترك الدين الإسلامي واعتناق النصرانية ، فتدهورت أحوال المسلمين ، وأصبح الوضع العام ينذر بالخطر وبات يلوح في الأفق إعلان ثورة ضد السلطات الأسبانية ، فاندلعت الثورة الأندلسية

---

[1] غرناطة : مدينة بالأندلس بينها وبين وادي آش أربعون ميلاً وهي من مدن البيرة ، وهي محدثة من أيام الثوار بالأندلس وإنما كانت المدينة المقصودة إلبيرة فخلت وانتقل أهلها إلى غرناطة . ينظر : الحموي ، معجم البلدان ، 2/ 371-372 ؛ الحميري ، الروض المعطار ، ص45 .

[2] للمزيد من المعلومات ومعرفة شروط هذهِ المعاهدة ينظر : مجهول ، نبذة العصر ، ص54 ؛ المقري ، نفح الطيب ، 4/525-526 ؛ عنان ، نهاية الإسلام ، ص229-230 ؛ حتاملة ، الأندلس التاريخ والحضارة ، ص625 ؛ الكتاني ، انبعاث الإسلام ، ص65-67 .

[3] مجهول ، نبذة العصر ، ص54 ؛ لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص26 ؛ عنان ، نهاية الأندلس ، ص298 .

[4] براتشينا ، الموريسكيون الاسبان 1/15 .

[5] الكتاني ، انبعاث الإسلام ، ص72 ؛ بشتاوي ، الأندلسيون المواركة ، ص110 .

الأولى سنة 905هـ/ 1499م[6] ، كان من نتائجها أنّ فشلت هذهِ الثورة وقمعت بشدة من قبل السلطات الأسبانية ، وأصدرت الملكة إيزابيلا مرسوم التنصير الشهير سنة 908هـ/ 1502م الذي خُير فيهِ المسلمون بين اعتناق النصرانية أو الرحيل عن أرض اسبانيا[7] ، لذا لم يكن أمام البعض خياراً سوى التظاهر باعتناق الديانة النصرانية ولو بالظاهر ، وممارسة العادات والتقاليد والشعائر الإسلامية سراً[8] ، ومنذُ تلك اللحظة أطلق على هؤلاء المسلمين مصطلح المورسيكيون أي النصارى الجدد[9] ، علماً إنَّ كلمة مورو كلمة تصغير تستخدم للتحقير[10]، رغم تظاهر المسلمين باعتناق النصرانية إلا أنَّ السلطات الأسبانية شرعت باضطهادهم والتنكيل بهم عن طريق محاكم التفتيش الأسبانية[11] وحددت السلطات الأسبانية كل من يقوم بتطبيق فرائض الدين الإسلامي أو ممارسة العادات والتقاليد الإسلامية فأنهُ يكون محاطاً بالشبهات ويُطارد من قبل عمال محاكم التفتيش الأسبانية .

---

[6] بشتاوي ، الأندلسيون المواركة ، ص113ومابعدها .

[7] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص43 ؛ طه ، حركة المقاومة العربية ، ص35 .

[8] السامرائي وآخرون ، تاريخ العرب ، ص307 .

[9] حول مفهوم مصطلح الموريسكيين ينظر : كارداياك ، الموريسكيون الأندلسيون ، ص150 ؛ قشتيليو ، الموريسكيون ، ص19 ؛ الحايك ، الدراسات الموريسكية ، ص 25 .

[10] الكتاني، انبعاث الإسلام ، ص78؛ بشتاوي ، الأندلسيون المواركة ،ص16 ؛ عبد الكريم ، الموريسكيون،ص6-8

[11] محاكم التفتيش الاسبانية : يُعد إنشاء هذه المحاكم جزءاً من الحركة الإصلاحية التي قادها البابا كريكوري التاسع *Gregory xi* (1148م _ 1241 م) ، إذ أمر هذا البابا خادمته الملكة إيزابيلا بتأسيس محكمة تفتيش تأتمر بإمرته ، ولكن تعصب هذه الملكة وكرهها للدين الإسلامي قد دفعها إلى رفض هذا الأمر،لأنها كانت تريد تأسيس محكمة تفتيش تأتمر بإمرتها لا بإمرة البابا ، لذلك لم يجد البابا سيكستوس الرابع *Sixtus IV* (1471م _1487 م) ، مفراً من الموافقة على طلب الملكة إيزابيلا بإقامة محكمة تفتيش قشتالية في شهر ذي الحجة عام 883 هـ الموافق تشرين الثاني / 1478م ، وبتشكيل هذه المحكمة على ارض قشتالة بدأت معاناة الموريسكيين على يد عمال هذه المحاكم . ينظر : رائف ، وتذكروا من الأندلس ، ص254 .

محاكم التفتيش الاسبانية ثمن العقيدة الدينية .

دلت الأبحاث والدراسات التاريخية التي تناولت حياة الموريسيكيين الدينية اعتمادا على ما ذُكر في محاضر محاكم التفتيش الاسبانية ، أن الموريسيكيون رغم ظروفهم الصعبة ، وكثرة المراسيم الملكية التي صدرت ضدهم والتي تستهدف إنهاء هويتهم الدينية والقضاء على شخصيتهم الإسلامية ، إلا أنهم ظلوا متمسكين بمبادئ دينهم الإسلامي ، وعاشوا بشكل مميز اختلف عن ما كان سائد في اسبانيا الأمر الذي تسبب في نقمة المجتمع الاسباني آنذاك على الإسلام والمسلمين في اسبانيا ، إذ شكل صيام شهر رمضان أحد التهم الموجهة للمورسيكيين في معظم القضايا التي حققت فيها محاكم التفتيش الاسبانية .

يُعد صيام شهر رمضان واحداً من العبادات الأكثر رسوخاً في حيات الموريسيكيين الدينية ، وصارَ سمة مميزة لهويتهم الإسلامية إذ حافظَ الموريسيكيون على صيام هذا الشهر الفضيل، والتزموا بأحكامهِ ، وكانوا ينتظرونه بترقب شديد، ويفرحون بقدومهِ ، ورغم ذلك فكثيراً ما تسبب هذا الشهر بمحاكمة عدد كبير منهم فقد كان هذا الشهر بلا أدنى شك هو شهر العبادة الإسلامية الأكثر ارتباطاً بحياتهم الدينية[12]، إضافة إلى كونه فريضة إسلامية مهمة فمن يحافظ عليهِ يسطبغ بصبغة خاصة ، تجعله يتميز بملمح إسلامي مميز ، فصيام شهر رمضان يرتكز أساساً على الامتناع عن الطعام والشراب والابتعاد عن المحرمات، والمحافظة على ذلك من الفجر إلى الليل[13] .

كان لأدب الالخميادو[14] دوراً مهماً في توعية الموريسيكيين وترسيخ العقيدة الإسلامية من خلال بيان مكانة شهر رمضان في نفوس المسلمين ، وما لصيام هذا الشهر الفضيل من أهمية كبرى ، وقد تجسد ذلك بالقول : ((وشهر رمضان يا أخواني هو شهر طهارة الأجساد من الذنوب طهارة كاملة ، وهو شهر الخير والغفران والامتنان من الله ، وهو شهر إعانة الفقراء ، وإكرام الضيف وشهر تفتح فيهِ

---

[12] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص66 .

[13] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص66 .

[14] الالخميادو : هي تحريف اسباني لكلمة الأعجمية ، وهي اللغة التي ابتدعها الموريسيكيون من أجل الحفاظ على نسخ القرآن الكريم وتراثهم الإسلامي ، وللمزيد من المعلومات ينظر : عنان ، نهاية الأندلس ، ص474 ؛ ريناو ، اللغة الأعجمية ، ص17 ومابعدها ؛ سراج الدين ، التراث الموريسكي ، ص17 ومابعدها .

أبواب الجنات وتغلق أبواب النيران ...))[15]، ويوضح لنا أدب الالخميادو كيف كان الموريسيكي يعلم أخاه استقبال شهر رمضان ، وكيف يغتنمهُ وماذا يجب عليه أن يعمل الأمر الذي يجسده مخطوط الخميادو بالقول: ((أيها الإخوة الأحباب عندما يهلُ علينا شهر رمضان المعظم يجب أنّ تصوم جوارحكم عن الذنوب والخطايا كما تصوم بطونكم عن الطعام ، ويجب عليكم أنّ تشكروا نعمة الله عليكم ، وأن تقوموا ليله مصلين كما تقضوا نهاره صائمين)) . وهناك نص آخر في نفس المصدر يقول : ((عباد الله ...، اغتنموا هذا الشهر فهو شهر عند الله عظيم وعد الله فيهِ عباده بالجزاء العظيم ومغفرة الذنوب والعتق من النار)) [16] . وفي نص آخر ورد ذكر صيام شهر رمضان بالقول : ((لا يفهمنَّ أحد أنَّ الصيام مجرد امتناع الإنسان عن الأكل والشرب وجماع الزوجة ، بل عليهِ أنَّ يعلم بوجوب صيام عينيهِ ولسانهِ وسمعهِ ويديهِ ورجليهِ وسائر الجوارح))[17] ولم يكتفِ النص عند هذا الحد بل شرح كيفية صيام الفرد المسلم قائلاً : ((وعليك أنَّ تعلم أنَّ صيام العينين هو إلا تنظر بهما إلى حرام ،وإلا تنظر إلى مسلم أو مسلمة بعين الكبر أو الاحتقار أو التهديد ، وصوم اللسان هو أنّ تمتنع عن الكذبِ واللغو وأنّ تتجنب الغيبة والنميمة وفُحش القول ، وصيام السمع هو إلا تستعمله في سماعِ السوء أو التصنت على الخلقِ ، وصيام اليدين هو إلا تمدهما لأذى أحد من المؤمنين ، وإلا تأخذ بهما ما ليس من حقك ، وأنّ تستعملهما في إرضاء الله تعالى ، وصيام القدمين هو إلا تمشي بهما لتضر أحدا، ولا تستعملهما إلا فيما يرضي الله))[18] . يتضح مما تقدم أنَّ الموريسيكيين كانوا ملتزمين التزاماً كبيراً في صيام شهر رمضان ، مؤكدين على صيام الجوارح والابتعاد عن المعصية ، والترفع عن ارتكاب المحرمات ، وهذا دليل على التزامهم بتعاليم الدين الإسلامي وتطبيق شريعة الإسلام المحمدي الأصيل .

---

[15] عبد اللطيف ، الهوية الإسلامية ، ص160 ، بالاعتماد على المخطوط رقم 5223، مكتبة مدريد الوطنية رقم 32.

[16] عبد اللطيف ، الهوية الإسلامية ، ص160- 161 ، بالاعتماد على المخطوط رقم 5223، مكتبة مدريد الوطنية رقم 32.

[17] عبد اللطيف ، الهوية الإسلامية ، ص161 ، بالاعتماد على المخطوط رقم 5223، مكتبة مدريد الوطنية رقم 32.

[18] عبد اللطيف ، الهوية الإسلامية ، ص161 ، بالاعتماد على المخطوط رقم 5223، مكتبة مدريد الوطنية رقم 32.

تبدأ معاناة الموريسيكيون في صيام شهر رمضان بدءاً من مراقبة الهلال حتى انتهاء صيام هذا الشهر الفضيل ، إذ شكلت مراقبة الهلال مهمة صعبة ومحفوفة بالمخاطر ، نظراً لانتشار الجواسيس والوشاة الذين يتربصون بكل الحركات التي يقوم بها الموريسيكيون ، لا سيما هذهِ التي توحي بأنَّ فاعلها مسلم ، إذ كان الموريسيكيون يذهبون إلى أماكن مرتفعة ليتمكنوا من مشاهدة الهلال ويتناقشون فيما بينهم حول رؤيتهِ، الأمر الذي تسبب بمحاكمة عدد ليس بالقليل منهم ، وقد حفلت سجلات محاكم التفتيش الاسبانية بوثائق كثيرة حول رؤية هلال شهر رمضان ، أو صيام هذا الشهر الفضيل إذ يذكر أنَّ في عام 1570م ، تم القبض على سكان نصف قرية مسلاته[19] ، لأنهم خرجوا إلى أماكن الفضاء لرؤية هلال شهر رمضان ، ولما دار جدل حول ظهور الهلال من عدمهِ ، أنقسمَ السكان إلى جماعات متفرقة وبدأت كل جماعة تدافع عن موقفها بصوتٍ عالٍ وبالتالي علمت السلطات بما حدث وأمرت بإلقاء القبض علـيهم ، وزجـهم في السـجن استعداداً لمـحاكمتهم[20] .

سجلت محاكم التفتيش الاسبانية عدداً من القضايا والتهم التي تتجسد فيها محاولة الموريسيكيون رؤية هلال شهر رمضان ، إذ عُثر عـلى وثيقة في سجـلات هذهِ المحاكم نصت على أنْ سيدة موريسيكية تدعى ماريا دي اليخير Maria de Aligera ، تم القـبض عليها وهـي تتشوق لـرؤية الهـلال ، لتبـدأ بـصيام شهر رمضان[21] . وعُثرَ في السجلات أيضاً على وثيقة تخص شاب يُدعى فرانسيكيو القرطبي Francisco Cordobe ، الذي كان يصوم شهر رمضان كاملاً ، وتم التبليغ عليه من قبل جيرانه ، بعد أنّ عرفوا بأنهُ مسلم ، ويخفي إسلامه عليهم فقُبضَ عليهِ وجيءَ به إلى محكمة التفتيش وبدأ التحقيق معهُ وأنكرَ في بادئ الأمر إسلامه ، إلا أنّهُ لم يستطع تحمل التعذيب فأعترفَ بإسلامهِ وأنهُ تكتمَّ عليهِ خوفاً من افتضاح أمرهِ ، وأنَّهُ يصوم شهر رمضان ، وكثيراً ما كانت تُعرض عليهِ في شهر رمضان دعوات من جيرانهِ لتناول طعام الغداء إلا أنه يرفض ذلك بحجج متعددة منها : أنَّهُ فاقداً للشهية ، أو أنَّهُ أكل قبل قليل في مكانٍ آخر[22] . ويبدو أن هذهِ الدعوات ليست للتعبير عن حب الجيران لفرانسيكيو

[19] لم أجد تعريفاً لها في كتب البلدان .
[20] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص66 .
[21] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص66 .
[22] كارديك ، الموريسكيون الأندلسيون ، ص25 .

القرطبي واحترامهم له ، وإنها لم تُعرض عليه قبل حلول شهر رمضان ، وعُرضت من أجل كشف أمره ومعرفة إسلامهِ وتبليغ السلطات الاسبانية بهذا الصدد ، حيث أنَّ شهر رمضان كان الشهر الأنسب بالنسبة لعمال محاكم التفتيش الاسبانية الذين كانوا يكثفون جهودهم في هذا الشهر، لأجل أن يتحروا ويكشفوا عن إسلام الموريسيكين لإلقاء القبض عليهم وزجهم في سجون تلك المحاكم .

حافظ الموريسيكيون على صيام شهر رمضان والتزموا بتعاليمهِ ، غير آبهين للتحديات والمخاطر التي كانت تحيط بهم من قبل السلطات الاسبانية ، ورغمَ وضعهم وظرفهم الصعب، وكثرة الاتهامات التي كانت تطال الكثير منهم بسبب الصيام إلا أنهم لم يقتصروا على صيام شهر رمضان فقط بل كانوا يتعدون ذلك إلى صيام أيامٍ أُخر من السنة موقنين بأنَّ ذلك دليل على قوة الإيمان وحافزاً على الالتزام بتعاليم الدين الإسلامي، وسبباً في الفوزِ بعظيم الجزاء وغفران الذنوب . فما أنَّ ينتهي شهر رمضان وتنتهي أيام عيد الفطر التي كانوا يلبسون فيهِ أفضل الثياب ويعطون الصدقات لفقرائهم ، حتى يبدى المتدينون منهم بصيام ستة أيام بعد العيد وكانوا يسمونها الأيام البيض ، إيماناً واعتقاداً منهم أنَّ صيام هذهِ الأيام توجب لهم جزاء يعادل أو يفوق جزاء صيامهم شهر رمضان[23] .كذلك أحيا الموريسيكيون صيام يوم عرفه من ذي الحجة إذ كانوا يعلمون تماماً مكانة هذا اليوم عند المسلمين وثواب صومه عند الله تبارك وتعالى وكانَّ المتدينون منهم يصومون ثلاثة أيام من كل أسبوع وعلى طوال السنة ، ومن الشائع عندهم أيضاً صيام ثلاثة أيام خميس من شهر شعبان كتطوع قربة إلى الله[24] . ولم يكتفوا بذلك بل دأبوا على صيام العاشر من محرم واعتبروه يوم مبارك ومن يصومه يصل إلى منزلة الشهداء[25] ، وهناك صياماً آخر عُرف بهِ الموريسكيين يُدعى بصيام العقوبة أو صيام الصابرين ، يمتنع فيهِ الموريسيكي عن الأكل والشرب ثلاثة أيام بلياليها ، وكان هذا الصيام يفرض كعقوبة على جرائم فضيعة قد يرتكبها الموريسيكي ، إذ أنّ المعاقب إذا عاش بعد هذهِ الأيام الثلاثة يكون ذنبهِ قد غُفر، إما إذا مات أثناء أيام الصيام فهو يذهب إلى جهنم لأنهُ لم يتطهر من ذنبهِ ولم يُغفر له[26] .

---

[23] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص67 .

[24] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص211 .

[25] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص67 .

[26] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص211 .

واصل الموريسيكيون اهتمامهم وتقديسهم إلى بعض المناسبات الدينية ، إرضاءً لله سبحانه وتعالى ، وإتباع سنة النبي الأكرم صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم ، وتأكيد هويتهم الإسلامية متمثلاً في صيام ليلة النصف من شعبان حيث يلبسون الجديد من ثيابهم ويعطرون ملابسهم ودورهم وقد عُثرَّ على نص موريسيكي يؤكد أهمية هذه الليلة عند الموريسيكيون جاء فيه: " عباد الله إن ليلة النصف من شعبان لهـــا شأن عظيم وقـــدر كـــبير ففيها يرفع الله إلـــيه الأعـــمال ويكتب الآجال والأرزاق ويتجلى الله فيها على عباده وينزل عليهم نعمته ويتكرم عليهم بالعتق من نار جهنم"[27] .

بناءً على ما تقدم يتضح أنَّ الموريسكيون تحدوا الإجراءات القمعية والانتهاكات الصارخة ووسائل التعذيب الشديدة التي كانت تتخذها السلطات الاسبانية ضدهم لأجل الحد من انتشار الإسلام ، أو سلخ الموريسيكيون من هويتهم الدينية أو عقيدتهم الإسلامية ، وواظبوا على صيام شهر رمضان كاملا دون انقطاع ، لا بل تعدوا في ذلك وأحيوا مناسبات دينية وصاموا فيها مُتحدين السلطات الاسبانية وممارساتها القمعية . ولا يتفق الباحث مع ما يطرحهُ الباحث أرينال من رأي إذ يقول : أنَّ الموريسيكيين لم يصوموا شهر رمضان كاملاً وأنَّ الأكثرية منهم تكتفي بصيام أثنا عشر يوماً أو خمسة عشر يوماً ، تفادياً للشكوك أو الوقوع بأيدي السلطات الأسبانية[28] .

واظبَّ الموريسيكيون على إحياء الشعائر الدينية التي ترافق صيام شهر رمضان ،من صلاة وقراءة القرآن ، واعتكاف ولعلَّ اعتكافهم كان يُطبق في المنازل إذ لا مساجد لهم في ظل الحكم الاسباني ، فقد اعتاد الموريسيكيون على صيام تسعة أيام بلياليها يخصصها الموريسيكي للعبادة والصلاة الصيام فيظل المسلم الموريسيكي في بيته دون أنّ يغادره ، إلا لأجل قضاء حاجة ، أو لشراء الطعام إذا لم يوجد ما يـوفره إليهِ ، ولم ينفرد الرجل الموريسكي بهذهِ الحـــالة بـــل كـــان للمرأة الموريسكية نصيباً وافراً منها [29] . ولم تكُن ليلة السابع والعشرون من شهر رمضان (ليلة القدر) بعيدة عن فكر الموريسيكيون الديني ، فقد أحيا الموريسيكيون هذهِ الليلة وكانوا يكثرون من قراءة القرآن وذكر الدعاء وكثرة الصلاة والتي ذُكرت بأنها خمسة عشر ركعة تؤدي للنبي محمد (ص) ، ولأبنتهِ فاطمة الزهراء عليها السلام ، ويكون ذلك بالنظر إلى الأرض ووضع اليدين على البطن وقراءة سورة الكوثر ، وسورة الفلق وسورة الناس ، وبعد

---

[27] عبد اللطيف ، الهوية الإسلامية للمورسيكيين ، ص151-168 .

[28] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص66 .

[29] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص210 .

الانتهاء من قراءة هذه السور يجلس الموريسيكي على ركبتيهِ ويقول : ((اللهم أنك وعدت في القرآن الكريم أنَّ تسمع من يدعوك ، وأنَّ تستجيب لمن يعبدك ، أنا عبدٌ من عبيدك وقفت ببابك أطلب الجنة لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات))[30] .

ظلَّ الموريسيكيون عرضة للكثير من الوشايات التي تشكك في صدق اعتناقهم للديانة المسيحية ، فكثيراً ما كانوا يتعرضون لإجراءات تعسفية من قبل السلطات الاسبانية وعمال محاكم التفتيش جراء التزامهم بصيام شهر رمضان ،واحتفاظهم في الدين الإسلامي، ونظراً للتعايش بين الموريسيكيون والنصارى في مجتمع واحد وممارستهم مهنة النقل وما يُصاحب هذهِ المهنة من صعاب ومضايقات قد تؤدي إلى افتضاح أمرهم وكشف إسلامهم ، لذلك منحَ فقهاء الموريسيكيون تسهيلات كثيرة على فريضة الصيام، فإذا أضطر الموريسيكي مصاحبة النصراني في الطريق لمسافة 16 فرسخاً[31] ، وحلَّ وقت الغداء فليعتذر الموريسيكي عن الأكل بكلمات رقيقة ، وإذا لم يتمكن من ذلك فليأكل حتى لا يتعرض لخطر الوشاية أو الشكوى ، لكن بمقدار قليل جداً لا أنّ يبالغ في الأكل والشرب ، وعليهِ أنّ لا يعود إلى الأكل والشرب في ذلك اليوم ، إلا إذا ضايقهُ النصراني حتى لا يعلم أنَّهُ يؤدي فريضة الصيام ليكمل يومهُ وليقضِ ما فاتهُ عندما يتمكن ، وأنّ كثرت الأيام التي يسافر فيها أو يصحب فيها النصراني فليفعل ذلك وعليهِ إلا يقوم أو ينام إلا وهو ينوي صيام ذلك اليوم ، فقد يتمكن التخلص من دعوة النصراني ، وإذا بالغَ الموريسيكي في الأكلِ ، أو أكلَ كثيراً بحجة أنّ صومهِ فسدَّ فعليهِ الكفارة والمتمثلة بصيام شهرين أو تحرير رقبة أو إطعام ستين مسكيناً، والذي يأكل خوفاً يمكنه أنّ يأكل ، ولكن عليهِ إلا يفعل ذلك إلا تلبية للدعوة ، وحتى يحافظ على نفسهِ ، وإذا أكل ما يزيد عن ذلك بحجة أنّ صومه فسد فعليهِ الكفارة ، وإذا مات أحد الموريسيكيين خلال شهر رمضان وأنّ يكون هذا الموريسيكي قد أفطر أياماً لمرضهِ ، فيتوجب أنّ يقوم أقرب الورثة بصوم الأيام التي فاتت المتوفى ، أو أنّ يتصدق عن كل يوم أفطره المتوفى 4_11 مكيالاً[32] من القمح[33] .

---

[30] أرينال ، المورسيكيون الأندلسيون ، ص101-102 .

[31] الفرسخ : وحدة طول تساوي ثلاثة أميال ، كل ميل يساوي ألف باع ، وكل باع يساوي أربعة اذرع شرعية ، أي أن طول الفرسخ يساوي 6 كم . ينظر : هنتس ، المكاييل والأوزان ، ص94 .

[32] المكيال : وحدة لقياس الوزن تختلف بين دولة وأخرى . ينظر : هنتس ، المكاييل والاوزان ، ص70-71 .

أما ما يخص طعام الموريسيكيين في شهر رمضان ، فمن المؤسف أنَّ المصادر التاريخية تفتقر إلى معلومات كثيرة تخص هذا الشأن ويكاد المؤرخ أرينال ينفرد في ما ذكره بهذا الخصوص ، إذ يقول : أن الموريسيكيون يستيقظون قبل شروق الشمس (السحور) ، ويأكلون العصيدة وخبزاً من الشعير أو الذرة ، والعنب والتفاح والزبيب ، ولحماً أعُد على الطريقة الإسلامية ، أو ما توفر لديهم من طعامٍ[34] ، ويُذكر أنّهم كانوا يفضلون أكل الفطائر التي كان يطلقون عليها مصطلح ميثقيمى أو الميثغيمئ ، ويتناولونها عند السحور وفي الاحتفالات أيضاً ، وهذهِ الفطائر كانت تُصنع من العجين ، مُضافٍ إليهِ الزيت والجبن ، ثم يُترك الخليط ، لقليل من الوقت بعدها يوضع على نار هادئة لينضج المزيج ثم يُقطع إلى قطع صغيرة فتكون جاهزة للأكل[35] . علماً أن تناول الطعام في وقت السحر هو جريمة كبرى كانت السلطات الاسبانية تعاقب على من يرتكب هذا الفعل بعقوبات قد تصل إلى حد الإعدام . وقد عُثر في أحدى سجلات محاكم التفتيش الاسبانية على وثيقة تعُد من أغرب الوثائق التي تخص الموريسيكيين، إذ تضمنت طائفة من القواعد والأصول التي رأت تلك المحاكم أنّ يأخذ بها الموريسيكيين في تهمة الكفر والمروق والتطاول على الديانة النصرانية[36] ، وهذهِ الوثيقة عبارة عن لائحة طويلة تتكون من ستة وثلاثين مظهرًا من المظاهر الإسلامية التي وجب الإخبار عنها ومعاقبة مرتكبيها ، ومنها: "إذا قاموا بصيام رمضان، وراعوا ذلك أثناء عيد الفصح، وسلموا بعض الصدقات، وأنهم لم يأكلوا ولم يشربوا حتى يلاحظوا النجمة الأولى، إذا قاموا بالسحور، واستفاقوا ليأكلوا قبل طلوع النهار، أو غسلوا أفواههم ورجعوا إلى فراشهم"[37]. وقد حفلت محاكم التفتيش الاسبانية بقضايا وتهم طالت الموريسيكيون لأنهم ارتكبوا بعض ما جاء في هذهِ اللائحة ، وذكر أنَّ محكمة تفتيش قرطبة قدمت شكوى ضد امرأة موريسيكية تدعى إيزابل بارث *Isabel perez*، لأنها استيقظت لتناول السحور وجيء بهذهِ المرأة واعترفت بذلك[38] .

---

[33] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص207 .

[34] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص66 ؛ ص90 .

[35] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص99 .

[36] هلايلي ، المورسيكيون الأندلسيون ، ص15-17 ؛ الميلق ، تأثير ثورات الموريسكيين ، ص54-55 .

[37] عنان ، نهاية الأندلس ، ص328-329 .

[38] دونثال ، تطبيق الموريسكيين ، ص 171 .

ومن خلال ذلك يتضح للقارئ مدى المعاناة الكبرى التي كان يعانيها الموريسيكيين في صيام شهر رمضان .

مراسيم العيد عند الموريسيكيون .

اعتاد الموريسيكيون بعد الانتهاء من صيام شهر رمضان ، أنّ يقوموا بأداء صلاة العيد سراً في سراديب تحت الأرض أو في مناطق نائية بعيدة عن الوشاة ، خوفاً أن يُفتضح أمرهم وينكشف أسلامهم ويقعوا بيد السلطات الأسبانية ، ولأجل ذلك كانوا يلبسون أفضل الملابس ويتعطرون بأحسن العطور ، ثم يبدأ الموريسيكي بالدعاء لله سبحانه وتعالى قائلاً : اللهم تقبل صيامي وأرحم ضعفي واغفر ذنوبي ، اللهم وضعت فيك أملي وخضعت لك ووكلت نفسي إليك وعلى رزقك أحيا ، اللهم انقضى شهر رمضان الذي يجزي فيهِ كل العباد ، اللهم أرض عني في رمضان ، وأجعله مغفرة لذنوبنا ولمن تريد معاقبتهم بذنوبهم وتقبل أعمالنا فيهِ يا رحيم يامن وسعت قدرته كل شيء ، اللهم بارك على نبيك المختار ، وأغفر للمؤمنين الذين قاسوا وأظهروا تقواهم بالتصدق على الفقراء[39] ، فكانوا يدفعون زكاة الفطر إذ التزم الموريسيكيون بدفع زكاة الفطر وأعدوها واجباً على الكبير والصغير ، حراً كان أم عبداً حتى أنهم دفعوا عن الجنين الذي في بطن أمهِ واعتبروها واجباً مكملاً لصيام شهر رمضان ، فضلاً عن قيام بعضهم بدفع الصدقة التطوعية من باب الورع والتقوى ، وقد حدد فقهاء الموريسيكيون زكاة الفطر بنصف صاع[40] من تمرٍ أو صاعٌ من شعيرٍ، قابلة للزيادة متى ما أوسع الله على الناس[41]، ولعلَّ ذلك مؤشراً واضحاً على تنامي ظاهرة التكافل الاجتماعي في المجتمع الأندلسي وتطورها بشكل ملحوظ .

كذلك اعتاد أبناء وبنات الموريسيكيين على تقبيل أيادي آبائهم في يوم العيد ، والآباء يباركون أبنائهم وبناتهم فيضعون أيديهم على رؤوسهم ويقولون : جعلكم الله مؤمنين صالحين أو مؤمنات صالحات

---

[39] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص209 – 210 .

[40] الصاع وحدة وزن حُددت بأربع أمداد . وللمزيد من المعلومات ينظر : هنتس ، المكاييل والاوزان ، ص63 .

[41] لونغاس ، حياة الموريسكيين ، ص220–229 .

، ثم يبدأ الموريسيكيون بالتزاور فيما بينهم ومصافحة بعضهم البعض والدعاء فيما بينهم ، ويطلب كل مسلم من أخيهِ المغفرة قائلاً : غفرَ الله لي ولك[42] .

الخاتمة

1- بذلت السلطات الاسبانية كل ما بوسعها لتنصير المسلمين وإبعادهم عن دينهم الإسلامي ، إلا ان محاولاتهم باءت بالفشل ، إذ احتفظ الموريسيكيون بدينهم وعقيدتهم ومارسوا فرائض الإسلام بشكل سري .

2- أنَّ هوية الموريسيكيين الإسلامية لا يستدل عليها فقط من خلال تطبيقهم لمبادئ الدين الإسلامي ، بل يستدل عليها أيضاً من خلال عاداتهم وتقاليدهم الإسلامية التي سعت السلطات الاسبانية لتجريدهم منها ، إلا إنها فشلت في تحقيق هذا المسعى .

3- يُعد صيام شهر رمضان واحداً من العبادات الأكثر رسوخاً في حيات الموريسيكيين الدينية ، وصارَ سمة مميزة لهويتهم الإسلامية إذ حافظَ الموريسيكيون على صيام هذا الشهر الفضيل، والالتزام باحكامهِ وإحياء شعائرهِ الدينية .

4- لم يكتفِ الموريسيكيون في صيام شهر رمضان فقط بل تعدوا وصاموا أيام أُخر من السنة ، مُتحدين وسائل القمع والتعذيب التي كانت تتخذها السلطات الاسبانية في الحد من انتشار الإسلام والقضاء عليهِ والعمل على تنصير الموريسيكيين وسلخهم من هويتهم الدينية .

5- كان لأدب الالخميادو دوراً مهمً في تجسيد المظاهر الإسلامية ومبادئ الدين الإسلامي وتوعية الناس في توضيح أهمية شهر رمضان وما لهذا الشهر الفضيل من مكانة كبيرة عند الله وفي نفوس المسلمين .

[42] أرينال ، محاكم التفتيش ، ص100 .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر .

شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، (ت 626هـ/1228م) .

معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، 1977 .

محمد بن عبد المنعم الحميري ، (ت حوالي 710هـ/ 1310م) .

الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط2 ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، 1984 .

مؤلف مجهول ، (كان حياً في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي) .

نبذة العصر في انقضاء دولة بني نصر ، ط1 ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دمشق ، 1984

أحمد بن محمد المقري التلمساني المقري ، (ت 1041هـ/1631م) .

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1988.

قائمة المراجع العربية .

عادل سعيد بشتاوي(1983) .

الأندلسيون المواركة دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة ، مطابع أنترناشيونال برس ، القاهرة .

محمد عبدة حتاملة ، (2000) .

– الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة ، طباعة مطابع الدستور التجارية ، عمان .

عبد الواحد ذنون طه ، (2004).

حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة ، دار الكتب الوطنية ، ليبيا ،.

أحمد رائف (1991) .

وتذكروا من الأندلس الإبادة . ط2 . القاهرة ، دار الزهراء للأعلام العربي .

السامرائي وآخرون (2014) .

تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس ، ط1 ، المؤسسة اللبنانية للكتاب الأكاديمي ، بيروت ،.

إسماعيل سراج الدين (2015).

التراث الموريسكي المخطوط (بحوث مترجمة عن الأسبانية) ، ترجمة وتعليق محمد محمد عبد السميع ، مكتبة الأسكندرية ، القاهرة.

جمال عبد الكريم (د.ت).

الموريسكيون تاريخهم وأدبهم ، الناشر مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة .

محمد عبد الله عنان (1958) .

نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، ط2 ، القاهرة ، دار الكتب المصرية .

محمد قشتيليو (2008) .

الموريسكيون في الأندلس وخارجها ، منشورات مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات ، سلسلة المعرفة الأندلسية ، مطبعة الأمنية ، الرباط .

علي المنتصر الكتاني ( )1992.

انبعاث الإسلام في الأندلس ، ط1، مجمع البحوث الإسلامية ، الجامعة ا؟؟لإسلامية العالمية ، إسلام آباد ، باكستان.

<u>المراجع الأجنبية المترجمة</u>

مرثيدس غارثيا أرينال (2004)

محاكم التفتيش والموريسكيون (محاضر محكمة كونيكا) ، ط1 ، ترجمة خالد عباس مراجعة جمال عبد الرحمن ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة .

دون باسكوال بورنات براتشيا (2012)

الموريسكيون الاسبان ووقائع طردهم ، ترجمة كنزة الغالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،.

لوي كارديك (1989) .

الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون المجابهة الجدلية (1492-1640) مع ملحق بدراسة عن الموريسكيين بأمريكا ، تعريب عبد الجليل التميمي ، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات ، زغوان .

بدرو لونغاس (2010) .

حياة الموريسيكيين الدينية ، ترجمة جمال عبد الرحمن ، ط1 ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة .

فالتر هنتس (1970) .

المكاييل والأوزان الإسلامية ومايعادلها في النظام المتري ، ترجمة كامل العسلي ، دليل الإشراق ، عمان .

الرسائل والاطاريح والبحوث المنشور .

سيمون الحايك (1995) .

الدراسات الموريسكية في الخمسة والعشرين سنة الأخيرة في اسبانيا ، بحث منشور في أعمال المؤتمر العالمي للدراسات الموريسكية الأندلسية حول وضعية الدراسات الموريسكية الأندلسية في العالم خلال الثلاثين سنة الماضية ، جمع وتقديم عبد الجليل التميمي ، زغوان ،.

خوان أرندا دونثال (1991).

تطبيق الموريسيكيين للشعائر الإسلامية من خلال محاكم تفتيش قرطبة ، ترجمة رضا ميامي ، بحث منشور في إعمال المؤتمر العالمي الثالث للدراسات الموريسيكية الأندلسية حول تطبيق الموريسيكيين الأندلسيين للشعائر الإسلامية 1492-1609م ، تحت إشراف عبد الجليل التميمي ، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسيكية والتوثيق والمعلومات ، زغوان.

مار غوميث ريناو ، (2015) .

اللغة الأعجمية وآدابها بديل إسلامي للإسبانية ، بحث منشور ضمن كتاب التراث المورسيكي المخطوط ، ترجمة وتعليق محمد محمد عبد السميع ، الاسكندرية ، مصر .

سري محمد عبد اللطيف ، (1993) .

الهوية الإسلامية للمورسيكيين من خلال الأدب الألخميادو ، بحث منشور في أعمال المؤتمر العالي الخامس للدراسات المورسيكية الأندلسية حول الذكرى الخمسمائة سنة لسقوط غرناطة 1492م_1992م ، ج2، تحت أشراف عبد الجليل التميمي ، زغوان : منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسيكية والتوثيق والمعلومات ، تونس .

عبد القادر الميلق ، (2013) .

تأثير ثورات الموريسكيين الأندلسيين على العلاقات الجزائرية الأسبانية 897-1017هـ/ 1492-1609م ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الإنسانية والأجتماعية ، جامعة غرداية .

حنيفي هلايلي ، (1999) .

المورسيكيون الأندلسيون في الجزائر خلال القرنين 16-17م ، رسالة ماجستير ، جامعة وهران ، 1999 .

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية
Mohmmad Bin Ali Assanosi University
كلية التأريخ والحضارة

المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية
العدد السادس / 2021م

علي أسعد الجربي ودوره الوطني في ليبيا (1924-1954م)

Ali Asaad Jarbi and his national role in Libya

(AD 1954-1924)

د/عاشور ونيس سليمان ونيس
Dr. Ashour, Nees Suleiman and Nice

د/إدريس عبدالصادق رحيل محمود
Dr. Idris Abdel-Sadiq, the departure of Mahmoud

قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة طبرق
Department of History - Faculty of Arts - University of Tobruk

الملخص:

يدور محور هذا البحث حول شخصية "علي الجربي" والتي تعد من الشخصيات الوطنية الليبية المهمة التي لعبت دور فعال بتاريخ ليبيا الحديث والمعاصر، والتي تقلدت العديد من المراكز والمناصب المهمة بليبيا منذ الفترة التي سبقت إعلان استقلال البلاد بشهر ديسمبر 1951م، كما ركز البحث أيضاً على إسهامات تلك الشخصية الوطنية لاسيما بعد الاستقلال مع غيره من الشخصيات الوطنية الأخرى في بناء الدولة الليبية الحديثة؛ حيث نالت تلك الشخصية منصبا مهما بعد الاستقلال بتوليها منصب أول وزير بالحكومة الليبية بعد الاستقلال. ناهيك عن أن تلك الشخصية تميزت بوافر من الثقافة؛ بكونها تجيد الحديث بالعديد من اللغات الأجنبية، مما جعلها تنال ثقة السيد إدريس السنوسي، وبالتالي الأوفر حظاً في تقلد العديد من المراكز المهمة في ليبيا خلال تلك الفترة.

Summary

The focus of this research revolves around the personality of "Ali Al-Jarbi", who is considered one of the important Libyan national figures who played an active role in Libya's modern and contemporary history, and who held many important centers and positions in Libya since the period leading up to the declaration of the country's independence in December 1951 AD. The research also focused on The contributions of that national figure, especially after independence, along with other national figures in building the modern Libyan state; As that personality

gained an important position after independence by assuming the position of the first minister of the Libyan government after independence. Not to mention that this character was characterized by an abundance of culture; By being fluent in speaking many foreign languages, which made her gain the confidence of Mr. Idris Al-Senussi, and thus the one who had the best chance to hold many important centers in Libya during that period.

الكلمات المفتاحية: (ليبيا Libya – الاستقلال Independence – الوطنية –Patriotism)

المقدمة:

لقد برزت خلال مرحلة الاستقلال وعهد المملكة الليبية العديد من الشخصيات الوطنية الليبية، التي تولت أعباء حصول ليبيا على استقلالها، ثم بناء الدولة الليبية الحديثة بعد استقلالها، ومن تلك الشخصيات السيد "علي الجربي" حيث أن هذه الشخصية لم تنال الاهتمام الكافي لدى الدارسين والمهتمين بدراسة تاريخ ليبيا، وظل دوره غير بارز خلال تلك الفترة من تاريخ ليبيا، سواءً خلال مرحلة الحراك الوطني الليبي من أجل الحصول على الاستقلال، أو مرحلة بناء الدولة بعد نيل الاستقلال الوطني الليبي.

ومن أهم الأسباب التي دعتني إلى اختيار هذا الموضوع؛ هو أن هذه الفترة التاريخية المعنية باستقلال ليبيا وتأسيسها، لم تلقى الاهتمام في كتابات المؤرخين التاريخية، حيث أن أغلب الكتابات عن تلك الفترة جاءت من باحثين غير ليبيين سواءً زاروا ليبيا خلال تلك الفترة أو المهتمين بالجانب الليبي بشكل عام.

هذا بالإضافة إلى عدم وجود دراسة تاريخية تطرقت إلى تلك الشخصية، التي قدمت الكثير في التاريخ الوطني الليبي.

وتكمن أهمية هذه الدراسة بكونها تركز على مراحل تطور الدولة الليبية من مرحلة الاحتلال إلى مرحلة الاستقلال الوطني، وبناء الدولة الليبية الحديثة، وهى محاولة لإبراز أدوار شخصيات وطنية أسهمت في تأسيس ليبيا الحديثة.

وجاء الهدف من الدراسة إظهار دور والمواقف السياسية لشخصية السيد "علي الجربي" خلال فترة تأسيس ليبيا الحديثة، ومدى مساهمتها في تكوين مفاصل الدولة الليبية. وتدور بعض التساؤلات المهمة حول الموضوع وهي: ماهو الدور الوطني الذى قام به السيد "علي الجربي" خلال المرحلة التي سبقت

الاستقلال الوطني الليبي؟ وهل لعب دورا مهما في المجلس الاستشاري للأمم المتحدة في ليبيا خلال عامي 1950-1951م؟ وهل أثرت تلك الشخصية على مندوب الأمم المتحدة بليبيا؟

ماهي المجهودات التي قام بها السيد "علي الجربي" في الحكومات الليبية سواءً وزارة الخارجية قبيل الاستقلال أو وزارة الدفاع بعد الاستقلال؟ وهل كانت له رؤية واضحة وملموسة في تأسيس الجيش الليبي في أول حكومة بعد الاستقلال؟

ولتوضيح الدراسة تم تقسيمها إلى عدة محاور، هي:

جاء المحور الأول بعنوان: **المراكز التي تقلدها الجربي قبل الاستقلال الوطني الليبي:** حيث ركز على شخصية "علي الجربي" من خلال نشأته ودوره الوطني قبل الاستقلال، وذلك من خلال الحديث عن تعليمه والوظائف والمراكز التي تقلدها في برقة، ومجهوداته في التعليم، وفي حكومة برقة قبل الاستقلال وذلك أثناء الإدارة الإنجليزية في ليبيا.

أما المحور الثاني فجاء بعنوان: **دور علي الجربي في المجلس الاستشاري للأمم المتحدة في ليبيا:** وقد اظهر المحور كيفية اختيار "علي الجربي" ممثلا عن برقة من بين ثمانية أشخاص، ومواقف الأحزاب لاسيما جمعية عمر المختار والشخصيات المهمة في اقتناعها بشخصية "الجربي" بأن يكون ممثلا عن برقة، ومساعيه الوطنية في المجلس الاستشاري.

وتطرق المحور الثالث إلى "**دور علي الجربي في المناصب الوزارية التي تقلدها بالحكومة الليبية**" والتي تمثلت في نيله وزارة الخارجية والصحة، ووزارة الخارجية والعدل،ناهيك عن كونه كأول وزير بحكومة مثلت جميع الليبيين.

وناقش المحور الرابع المعنون بـ: **علي الجربي وزيراً للدفاع في أول حكومة ليبية بعد الاستقلال،** حيث أعطى المحور تفصيلا عن تشكيل الحكومة الليبية والتي تمخضت بمنح السيد علي الجربي وزيراً للدفاع الوطني، حيث ركز المحور على دور علي الجربي في وضع الأسس الأولى لتأسيس الجيش الليبي.

والختام لابد من الإشارة الى المصادر التي تحدثت عن تلك الفترة التاريخية، وقد تم الاعتماد في هذا البحث على العديد من المصادر المتنوعة التي أمكن الحصول عليها رغم قلتها، جاء في مقدمتها الكتب الوثائقية المنشورة التي وضعها سالم الكبتي في كتابين مكونين من عدة أجزاء الأول ليبيا مسيرة الاستقلال، وثائق محلية ودولية، والثاني إدريس السنوسي، وثائق عن دوره السياسي والوطني.

بالإضافة إلى مذكرات رئيس الوزراء الليبي الأسبق السيد "محمد بن عثمان الصيد"، الذى كان وزيراً في نفس الحكومات التي كان موجوداً بها السيد "علي الجربي"، لذلك أعطى بعض المعلومات حول شخصية "علي الجربي" والتي عاصره في تلك الفترة التاريخية.

ويعد كتاب أدريان بلت مندوب الأمم المتحدة في ليبيا من المصادر الأجنبية التي تتحدث عن تلك الفترة المهمة من تاريخ ليبيا، وهو غير مترجم، وجاء بعنوان: (الاستقلال الليبي والأمم المتحدة : حالة الانهاء المخطط للاستعمار).

Adrian belt :Libyan independence and the united nations .

A case of planned decolonization-1970.

هذا بالإضافة إلى بعض الكتب العربية.

المحور الأول: المراكز التي تقلدها الجربي قبل الاستقلال الوطني الليبي:

ولد "علي أسعد الجربي" في مدينة درنه عام 1901م، لوالد كان مسئولاً في الإدارة العثمانية، وخلال الفترة من 1911 إلى 1923م سافر مع والديه إلى استنبول، ودرس الطب بها، كما تعلم في استنبول إطقان العديد من اللغات الأجنبية: الإنجليزية والفرنسية والتركية والإيطالية[1].

وفي عام 1924م عاد إلى الوطن؛ حيث أصبح مدرسا، ثم ترقه ليكون مديراً لمدرسة في مدينة درنه خلال عام 1927م، ومن ثم ارتقى في المناصب فأصبح سكرتيرا للشؤون العربية عام 1932م[2].

وخلال مرحلة الاحتلال الإيطالي لليبيا أنتهز السيد "علي الجربي" فرصة زيارة الرحالة الدانماركي "كنود هلييو" لليبيا والتقى به في مدينة درنه عام 1930م، حيث امده بمعلومات كشف من خلالها حقيقة الاستعمار الإيطالي الفاشستى لليبيا[3].

وأثناء الاحتلال الأول لبرقة من قبل الحلفاء؛ إبان الحرب العالمية الثانية عام 1940م، عين عميداً لمنطقة درنة، ولكن عقب الاحتلال الألماني لشرق ليبيا خلال تلك الحرب، رافق القوات الإنجليزية المنسحبة إلى مصر؛ إذ كلف مستشاراً للسيد إدريس السنوسي في مصر عام 1942م حتى عام 1944م[4].

وفي عام 1944م عاد إلى ليبيا بعد طرد الطليان منها، وتم تعيينه مديراً لمعارف برقة خلال مرحلة الإدارة العسكرية الإنجليزية لبرقة، وفي العام التالي (1945م) عين نائباً لمدير التنمية في مجلس الإدارة البريطانية في برقة، إلا أنه في عام 1948م تم اختياره ليكون السكرتير الثاني للمؤتمر الوطني

---

(1) Adrian belt :Libyan independence and the united nations A case of planned decolonization-1970. P 207- 209

(2) مفتاح السيد الشريف، **مسيرة الحركة الوطنية الليبية لليبيا الصراع من أجل الاستقلال**، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2011م ص404.

(3) محمد فؤاد شكري، **السنوسية دين ودولة**، مراجعة: يوسف المجريسي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948م، ص339.

(4) نفس المرجع، ص405.

العام البرقاوي الذي تأسس بتلك السنة، ثم أصبح وزيراً للأشغال العامة والمواصلات في حكومة برقة عام 1949م[1].

ومن الملاحظ أن "علي الجربي" حقيق العديد من النجاحات خلال تواليه لتلك المناصب التي شغلها في تلك المرحلة المبكرة التي تحررت فيها ليبيا من الاحتلال الإيطالي، والتي سميت بمرحلة الإدارة الإنجليزية لبرقة وطرابلس، وهي المرحلة التي سبقت استقلال ليبيا عام 1951م وهي فترة حرجة من تاريخ ليبيا، وقد برز دوره واضحاً في مجال التعليم؛ عندما استلم إدارة التعليم في برقة، حيث استعانت بالشخصيات المتعلمة في ليبيا، وبالتالي ساهم مع الشخصيات المتعلمة في وضع حجر الأساس لمسيرة التعليم في برقة خاصة، وليبيا بصفة عامة[2].

ويعد تسلمه سكرتارية المؤتمر الوطني العام البرقاوي رفقة السيد "خليل القلال"، نقلة إلى المجالات السياسية، باعتبار أن هذا المؤتمر يعد الممثل الوحيد لأهل برقة في المحافل الدولية، بعد حل جميع الأحزاب السياسية في برقة نهاية عام 1947م، وذلك عندما أراد الأمير إدريس السنوسي أن يكون تأثيرهم أقوي وهم مجتمعين في جسم واحد[3].

وقد أوكلت مهام سكرتارية المؤتمر الوطني العام البرقاوي إلى السيد "علي الجربي" والسيد خليل القلال، وكان الحزب الوحيد المعبر عن الرأي السياسي الواضح لبرقة قبيل الاستقلال، وكان السيد "علي الجربي" والسيد خليل القلال من أهم الشخصيات المتعلمة في ذلك المؤتمر، بحكم أن مؤسسي هذا المؤتمر وأعضائه من الساسة القدامى والزعماء التقليديين المؤيدين للأمير إدريس السنوسي، الذين ليس لديهم دراية كافية بالعمل الحزبي، فقد انيطت الى السيد "علي الجربي" المجهود الكبير وزميله السيد "خليل القلال" في التنظيم والتنسيق لجلسات هذا المؤتمر، وطرح أفكاره وصياغة قراراته بما يتماشى مع مبادى وثوابت ذلك المؤتمر الوطني[4].

وإذا ما تحدثنا عن تقلد "علي الجربي" لوزارة الأشغال في حكومة برقة حرياً بنا توضيح دور هذه الحكومة والظروف التي اوجدتها، من المعروف أن بريطانيا منحت إقليم برقة استقلالاً ذاتياً خلال عام 1949م، وأصبح الحاكم البريطاني في برقة يسمى: (المعتمد البريطاني)، وأطلق لقب أمير برقة على إدريس السنوسي وعلى الحكومة التي شرع في تأسيسها باسم (حكومة برقة)، وكانت صلاحيات تلك

---

[1] نفس المرجع، ص405، 406.

[2] مفتاح السيد الشريف، المرجع السابق، ص405.

[3] المرجع نفسه، ص425، 426.

[4] نفس المرجع، ص147.

الحكومة في الشؤون الداخلية للإقليم، وبعبارة أخرى تشمل جميع الوزارات باستثناء وزارتي: (الخارجية والدفاع).

وكانت هذه الوزارة خطوة في طريق حكم الليبيين بأنفسهم لدولتهم، وقد تشكلت هذه الحكومة: برئاسة فتحي الكيخيا رئيساً للحكومة، وسعد الله بن مسعود للداخلية والشؤون الاجتماعية، وحمد بودجاجه للمالية والتجارة، وعلي أسعد الجربي للأشغال العامة والمواصلات، وخليل القلال للصحة، وحسين مازق للزراعة والغابات، وعند استقالة فتحي الكيخيا من رئاسة الوزراء بنفس تلك السنة وذلك لسفره خارج البلاد للعلاج، عين الأمير إدريس السنوسى "عمر منصور الكيخيا" بدلاً عنه، وهو والد رئيس الحكومة السابق فتحي الكيخيا[1].

وعدت أول حكومة في برقة وليبيا بصفة عامة؛ استمر "علي الجربي" بتلك الحكومة حتى يوم 25 يوليو 1950م؛ عندما قدم استقالته للأمير إدريس السنوسي ليتفرغ لعمل آخر، وكان "علي الجربي" قد حظى بثقة الأمير إدريس السنوسي؛ وهو ما أهله لينال منصب مهم، وجعلته المرشح الأكثر حظاً لتقلد المناصب السياسية؛ إذ تم اختياره ممثلاً لبرقة في المجلس الاستشاري للأمم المتحدة في ليبيا[2].

كما كانت لسيد "الجربي" اسهامات ثقافية ورياضية بمدينة درنه، وعدا من المؤسسين الأوائل للنشاطات الثقافية في تلك المدينة، وهو ما قوى علاقته بالمثقفين الذين انضموا إلى جمعية عمر المختار فيما بعد عند تأسيسها، باعتبار أن مدينة درنه عدت من مدن برقة الرائدة ثقافياً خلال تلك الفترة[3].

المحور الثاني: دور علي الجربي في المجلس الاستشاري للأمم المتحدة في ليبيا:

من المعروف أن قرار الأمم المتحدة في 19 نوفمبر 1949م نص على أن يتم استقلال ليبيا؛ بعد استكمال الترتيبات على أن لا يتجاوز إعلان الاستقلال عامان أي قبل بداية يناير 1952م[4].

ومن ضمن وأهم تلك الترتيبات إنشاء "مجلس استشاري" برئاسة المفوض العام للأمم المتحدة في ليبيا، والذى تم اختياره لتلك المهمة من أجل مساعدة الليبيين في استكمال متطلبات الاستقلال، التي تضمنها الإعلان السابق ذكره في الأمم المتحدة، من إنشاء جمعية وطنية تمثل كل الليبيين، وتكوين حكومة وطنية، وكتابة دستور للبلاد يوضح شكل الدولة ونظام الحكم فيها، على أن يتكون المجلس

---

[1] مفتاح السيد الشريف، المرجع السابق، ص147، 149.

[2] سالم الكبتي، **إدريس السنوسي، الأمير والملك وثائق عن دوره السياسي والوطني**، دار الساقية للنشر بنغازي، ليبيا ط1، ج2، 2013م، ص873.

[3] محمد يوسف القريف، **ليبيا بين الماضي والحاضر صفحات من تاريخ ليبيا السياسي**، المجلد الأول، مركز الدراسات الليبية، اكسفورد ج1، ط2، 2017م، ص252، 253.

[4] المرجع نفسه، ص251.

الاستشاري من عشر أعضاء موزعين على النحو التالي: مندوباً واحداً عن كل من الدول التالية: (مصر وباكستان وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة)، ومندوب عن كل إقليم من أقاليم ليبيا الثلاث: (طرابلس وبرقة وفزان)، بالإضافة إلى عضو يمثل الأقليات الإيطالية[1].

والجدير بالذكر أنه في بداية عام 1950م قام السيد "أدريان بلت" مندوب الأمم المتحدة في ليبيا بزيارات متكررة إلى أقاليم ليبيا الثلاث من أجل اختيار المرشحين للمجلس الاستشاري، حيث ذكر مجيد خدوري أن فزان قدمت مرشح واحد متفق عليه، في حين قدم أمير برقة إدريس السنوسي ثمانية مرشحين عن برقة ليختار المندوب العام للأمم المتحدة واحداً منهم، وذلك يوم 28 مارس من عام 1950م، أما الأحزاب السياسية بطرابلس فقدمت سبعة مرشحين ليختار بلت منهم واحداً[2].

وقد وقع الاختيار على السيد "علي الجربي" ممثلا عن برقة، و"مصطفي ميزران" عن طرابلس، و"أحمد الحاج السنوسي" ممثلا عن فزان؛ والذى تم استبداله بسبب مرضه بشخص آخر هو "محمد بن عثمان الصيد"، فيما تم اختيار "جيا كومو مار كينيو" عن الأقليات وهو نائب مدير مصرف دي روما في طرابلس[3].

وجاءت طريقة اختيار السيد "علي الجربي" ممثلا عن برقة، من خلال الثقة التي نالها من الأمير إدريس السنوسي، حينما قلده منصب وزارة الأشغال بحكومة برقة، على الرغم من مساعي جمعية عمر المختار والمؤتمر الوطني العام البرقاوي بتقديمهم ثمانية مرشحين، وفي النهاية حظى السيد "علي الجربي" بثقة جميع الأطراف: (جمعية عمر المختار والمؤتمر الوطني العام البرقاوي)، إلى جانب بطبيعة الحال الأمير إدريس السنوسي والإدارة البريطانية، وبناءً عليه نال ثقة مندوب الأمم المتحدة، فبارك اختياره ممثلا عن برقة[4].

وقد رحب السيد "ادريان بلت"، باختيار السيد "علي الجربي"، حيث شدته إليه مؤهله العلمية وثقافته، واتقانه العديد من اللغات الأجنبية، ناهيك عن اكتسابه ثقة الأمير إدريس السنوسي، وإلى جانب ذلك الثقة التي نالها من جمعية عمر المختار؛ على الرغم من أن "الجربي" ينتمى سياسيا لحزب المؤتمر الوطني البرقاوي الذى كان يمثل الساسة القدامى الداعمين للأمير إدريس السنوسي، بالتالي أسهم "الجربي" بتمثيل الجانبين هما: الساسة التقليديين الداعمين للأمير في برقة في المصاف الأول، والمثقفين والشباب

---

(1) محمد يوسف القريف، المرجع السابق، ص251.

(2) مجيد خدوري، **ليبيا الحديثة دراسة في تطورها السياسي**، ترجمة: نقولا زياده، مراجعة: ناصر الدين الأسد، واشنطن الولايات المتحدة الأمريكية، 1962م، ص16-20.

(3) محمد يوسف المقريف، المرجع السابق، ص252.

(4) مفتاح السيد الشريف، المرجع السابق، ص393.

السياسيين الجدد، حيث ربطته صداقات قويه مع العديد من أعضاء جمعية عمر المختار سواءً فرعها في درنه موطن "علي الجربي" الأصلي أو في مدينة بنغازي المقر الرئيسي لجمعية عمر المختار[1].

ومما يجدر ذكره أن المجلس الاستشاري أو مجلس العشرة تأسس في 5 أبريل 1950م، وكان بداية أول جلسته يوم 25 أبريل من نفس العام، وإن هذا المجلس عدا الجسم السياسي لتوحيد رؤية الليبيين بين الأقاليم الثلاث: (طرابلس وبرقة وفزان)، ناهيك عن أنه فرصة للتفاهم المتاحة بين الليبيين من أجل شكل الدولة، ونظام الحكم فيها، وإن هذه الرؤية أشارت إليها لجنة الدستور فيما بعد خلال عام 1951م إلا أن الاتفاقات المبدئية عليها كانت قبلها بعام من خلال الجولات التي قام بها هذا المجلس بين الأقاليم الثلاث ليمهد الطريق إلى تلك الإنجازات السياسية لليبيين في كتابة الدستور، ونظام الحكم وشكل الدولة، لذلك أعتبر هذا المجلس أول من تطرق إلى تلك الأمور وفتح النقاش فيها[2].

وفي خضم تلك الأحداث برز دور السيد "علي الجربي" بالمجلس الاستشاري، حيث شارك في عدة جلسات، ومنها الجلسات التي عقدت في إقليم فزان، والتي كان "الجربي" فيها يمثل القائم بأعمال رئيس المجلس، ونوضح تلك المداولات التي كانت بين هذا المجلس وأحمد بك سيف النصر رئيس إقليم فزان، وبعض الشخصيات من ذلك الإقليم، وذلك حسب ما وضحتها وثيقة بالنص العربي والنص الانجليزي مصدرها هيئة الأمم المتحدة (مجلس الأمم المتحدة ليبيا) والتي نشرها سالم الكبتي في كتابه: ليبيا مسيرة الاستقلال؛ الذى شمل العديد من الوثائق عن مرحلة الاستقلال[3].

عقدت محادثات المجلس بإقليم فزان بحي داخل سبها يسمى (الجديد) في يوم 15 مايو 1950م، وشارك في تلك المحادثات السيد أحمد سيف النصر رئيس إقليم فزان، ومستشاره وأعيان منطقة سبها، فضلا عن "المستر بلت" مندوب الأمم المتحدة في ليبيا، والسيد "علي الجربي" ممثل برقة، والقائم بأعمال رئيس المجلس، إلى جانب ممثل طرابلس، وممثل فرنسا، وممثل الولايات المتحدة الأمريكية، ومستشارو الوفد الإيطالي، ومستشارو وفد المملكة المتحدة البريطانية، وسكرتير المجلس[4].

وجاء نص المحادثات فيما يلي:

".. جاءت كلمة السيد "علي الجربي" موجهة إلى السيد "أحمد بك سيف النصر"، فقال له: أن أعضاء المجلس يودون أن يوجهوا إليك بعض التساؤلات؛ لتوضيح نقط معينه، فأعرب "أحمد بك سيف النصر" باستعداده للمناقشة، وقال: حضرة القائم بأعمال رئيس المجلس السيد "علي الجربي" أعضاء

---

(1) محمد يوسف القريف، المرجع السابق، ص252.

(2) المرجع نفسه، ص252.

(3) سالم الكبتي، **ليبيا مسيرة الاستقلال وثائق محلية ودولية**، الدار العربية للعلوم ناشرون: بيروت، دار الساقية للنشر، بنغازي، ج1، ط1، 2012م، ص217.

(4) المرجع نفسه، ص218.

المجلس جاءوا إلى ليبيا؛ لتنفيذ قرار الأمم المتحدة بالتعاون مع مندوب الأمم المتحدة، وإنه يعلم يقينا أن هذا القرار ينص على أن تكون ليبيا دولة مستقله تضم: (طرابلس وبرقه وفزان)، ولها حكومة للبلاد بأسرها؛ في موعد لا يتجاوز أول يناير عام 1952م، ثم قال السيد علي الجربي: أنه يريد أن يعرف في هذا الصدد رأى أحمد بك وآراء الفزانيين ويسره أن يقف على تلك الآراء[1].

فأجاب أحمد بك قائلاً: أنه معترف بجميل هيئة الأمم المتحدة؛ لأنها اتخذت قرار لجعل ليبيا دولة مستقلة، وصرح بأنه يوافق على أن يكون السيد إدريس السنوسي أميراً لليبيا كلها، وأنه يريد الاتصال به مباشرة دون وسيط.

وقال حضرة القائم بأعمال رئيس المجلس "علي الجربي" أنه مرتاح لسماع تصريح أحمد بك؛ لأنه متفق مع الشعور السائد فيما بين سكان برقة وطرابلس نحو وحدة بلادهم، وقال: أحمد بك رئيس الإقليم يريد وحدة ليبيا على شكل أقاليم .

وطلب حضرة القائم بأعمال رئيس المجلس "علي الجربي" إلى أحمد بك سيف النصر أن يبدى رأيه فيما يتعلق بالدور الذى ينتظر أن يقوم به الفزانيون في حكومة ليبيا المرتقبة: فأجاب أحمد بك بان الحكومة المرتقبة ستكون لليبيا كلها، وهى تشمل طرابلس وبرقة وفزان، ولكن يجب أن يتولى الفزانيون إدارة شئونهم بأنفسهم ... وتحدث حضرة القائم بأعمال رئيس المجلس "علي الجربي" بصفته ممثلا لبرقة فأعرب عن شكره لأحمد بك على صراحته.

وقال: حضرة القائم بأعمال رئيس المجلس "علي الجربي" النفقات اللازمة لسد عجز ميزانية فزان ستتحملها طرابلس وبرقة ولن تتحملها دولة أجنبية؛ لأن الغرض من وحدة ليبيا هو رفع مستوى معيشة السكان، ولذلك ستقدم لفزان مساعدات مالية لأنشاء الطرق وبناء المدارس والمستشفيات وغيرها .

تكلم السيد حموده: وهو مدير بلدة (الجديد) ومستشار العدل بسبها، وحيث أشار في كلمته ضرورة لفت النظر إلى المستوى الاقتصادي لفزان، وإن فزان تعد أفقر الأقاليم الليبية اقتصاديا، لذلك طالب السيد حمودة بإدارة داخلية خاصة بإقليم، ... وإذا قبلت كل من طرابلس وبرقة بذلك اصبحت وحدة ليبيا أمراً واقعاً[2].

كما أشاره السيد حموده في حديثه بأن الأمير إدريس السنوسي يغد زعيم الليبيين الديني والسياسي، وأنه يستحق أن يكون ملك ليبيا،... وذكر السيد حمودة الحضور بأن للفزانيين يرغبون في المصالح بينهم فزان، وأنه على ثقة بأن الأمير سيعطى كل ذي حق حقه .

---

[1] سالم الكبتي، **ليبيا مسيرة الاستقلال وثائق محلية ودولية**، ص217.

[2] المرجع نفسه، ص217.

وفي ختام كلمة السيد حمودة شكر حضرة القائم بأعمال رئيس المجلس السيد "علي الجربي"، والسيد أحمد سيف النصر والسيد حموده على تصريحاته، وأعرب السيد "علي الجربي" بصفته ممثلاً لبرقة عن تقديره لكلمات الممثلين الدالة على الولاء للأمير المنتظر بأن يكون ملك ليبيا، وأضاف في نفس الكلمة أن ممثل فزان في المجلس يستطيع، على أية حال أن يعرب عن وجهة نظر الفزانيين في اجتماعات اللجنة التحضيرية التي ستضع الدستور وأن للفزانيين أن يقرروا ما يشاؤون بالنسبة لإدارتهم المحلية.

وأضاف إلى ذلك قوله: أن المهم في الوقت الحاضر هو تحقيق وحدة ليبيا في ظل السيد إدريس السنوسي وتنفيذ أحكام قرار الأمم المتحدة)[1].

وبعد عدة أيام قضاها أعضاء المجلس في فزان وزيارة العديد من القرى هناك رجعوا إلى سبها عاصمة الإقليم وقبل مغادرتهم إلى طرابلس قابلو رئيس الإقليم لتوديعه، وبطبيعة الحال قام "علي الجربي" بتلك الكلمة: (تحدث حضرة القائم بأعمال رئيس المجلس "علي الجربي" مخاطباً سعادة أحمد بك سيف النصر فقال: أن أعضاء المجلس قد جاءوا لتوديع سعادته وللأعراب عن شكرهم له للتصريحات التي أدلى بها في 15 مايو تلك التصريحات التي أوضحت عدة نقاط تتعلق بالوضع في فزان)[2].

خلال هذه المحادثات التي قامت في فزان برز دور "علي الجربي"، بصفته القائم بأعمال رئيس المجلس الاستشاري للأمم المتحدة في ليبيا، بالإضافة إلى ممثل إقليم برقة. وقد تبين واضحاً أن هذه المحادثات وضعت الُأطر الرئيسية لليبيا المستقبلية في تلك الفترة ، ووضحت الاتفاقيات المبدئية عليها من نظام الحكم وشكل الدولة، ما سهل عمل اللجان الأخرى فيما بعد، وفيما يبدو تعد هذه المحادثات التي برز فيها "الجربي" من أولى الخطوات واصعبها في تحقيق وحدة ليبيا واستقلالها.

- انتقال المجلس الاستشاري إلى برقة من طرابلس:

انتقل هذا المجلس إلى برقة في يوم 26مايو1950م، كذلك تكررت هذه الزيارة في بداية عام 1951م واجتمع الأمير إدريس السنوسي مع أدريان بلت رئيس المجلس الاستشاري للأمم المتحدة في ليبيا بقصر الغدير في بنغازي يوم الخميس الموافق 18يناير 1951م أشترك في هذه المحادثات "علي الجربي"، وخلال هذه المحادثات تم النقاش في جميع الأمور مثل: الخطوات وحيثيات الاستقلال والترتيبات التي يجب القيام بها، ووسائل نقل السلطات للحكومة المقبلة، مثل لجنة تسلم السلطة من الإدارتين: (الإنجليزية والفرنسية)، وعمل الحكومة الليبية المؤقتة في أول أبريل من عام 1951م، ونوع

---

[1] سالم الكبتي، ليبيا مسيرة الاستقلال، ص218-221.

[2] المرجع نفسه، ص224.

الدستور دائم أم مؤقت، وهل سيصادق عليه البرلمان أم لا، وهل للبرلمان مجلس أو مجلسين، وتمثيل المناطق مساواة أو بحسب عدد السكان، كذلك تم التطرق إلى انتخابات بداية عام 1952م[1].

جميع هذه الأمور كانت بمثابة خطة الأمم المتحدة لاستقلال ليبيا والتي كان على الليبيين الاتفاق عليها، كانت هذه المحادثات بداية طرح هذه المواضيع التي ناقشتها الجمعية الوطنية، ولجنة الدستور فيما بعد، وما يهمنا هنا دور "علي الجربي" في هذه المحادثات واعتماد الأمير إدريس السنوسي في ذلك الوقت اعتماد كلى باعتباره ممثل برقة في المجلس الاستشاري للأمم المتحدة في ومن أهم المداخلات التي قام بها "علي الجربي" في هذه المحادثات احقية الجمعية الوطنية الليبية في كتابة الدستور[2].

وقد أطرى "أدريان بلت" مندوب الأمم المتحدة في ليبيا "علي الجربي" وشخصيته المبتسمة دائما والمرحة، وما يتميز به من كياسة وتوازن في أداء العمل بالمجلس، مما أكسبه الثقة والاحترام، بنص هذه العبارة: (وعلي الجربي كان بمثابة الروح الداعمة للقضية الليبية، كما كان حضوره بالمجلس بمكانة متوازنة، وقد حاز على الثقة والاحترام)[3].

المحور الثالث: دور علي الجربي في المناصب الوزارية التي تقلدها بالحكومة الليبية:

1- علي الجربي وزيراً للخارجية في الحكومة الليبية المؤقتة

شكلت يوم 29 مارس 1951م الحكومة الليبية المؤقتة طبقا لخطة الأمم المتحدة لاستكمال خطوات استقلال ليبيا، ومثلت تلك الحكومة أقاليم ليبيا الثلاث برئاسة محمود المنتصر الذي تقلد وزارة العدل ووزارة المعارف، بالإضافة إلى رئاسته للحكومة، أما "علي الجربي" فتقلد منصب وزير الخارجية والصحة، وعمر فائق شنّيب وزيراً للدفاع، ومنصور بن قداره وزيراً للمالية، وإبراهيم بن شعبان وزيراً للمواصلات، ومحمد بن عثمان وزير دوله[4].

وبعد التعديل الذى جرى على تلك الحكومة بعد أسبوعين من تشكيلها، وتحديداً يوم 17 أبريل 1951م؛ أصبح "علي الجربي" وزيراً للخارجية والعدل، ومحمد بن عثمان وزيراً للصحة، وبذلك تنازل رئيس الوزراء عن وزارة العدل إلى "علي الجربي" الذى بدوره تنازل عن وزارة الصحة لمحمد بن عثمان،

---

(1) سالم الكبتي، ليبيا مسيرة الاستقلال، ص351-357.

(2) المرجع نفسه، ص357.

(3) Adrian pelt :Libyan independence p208 p 209

(4) مجيد خدوري، المرجع السابق، ص189.

وذلك بعدما أحتج أهل فزان في المجلس الاستشاري ولجنة التنسيق على وجود وزير وحيد يمثل إقليم فزان ودون حقيبة[1].

بعد أن أصبح "علي الجربي" وزيراً في أول حكومة تمثل جميع الليبيين، بالإضافة إلى عضويته في المجلس الاستشاري للأمم المتحدة في ليبيا، من الطبيعي أن يتفرغ للعمل الجديد خصوصا أن مؤسسات الدولة أصبحت في التشكل بشكل واضح في صيف عام 1951م من الجمعية الوطنية ولجنة كتابة الدستور والحكومة الليبية المؤقتة، وأصبحت خطوات الاستقلال واضحة لذلك ترك "علي الجربي" مكانه في المجلس الاستشاري للأمم المتحدة في ليبيا إلى الدكتور علي العنيزي، وذلك في صيف 1951م بناء على رغبة الأمير إدريس السنوسي، وحضر العنيزي أول اجتماعاته مع ذلك المجلس في جنيف خلال أكتوبر من نفس العام[2].

وذكر محمد بن عثمان الصيد في مذكراته التي وضعها في كتابه" مذكرات رئيس الحكومة الأسبق كيفية تغيير "علي الجربي" في المجلس الاستشاري مركزاً على عودة علي العنيزى من مصر، وتحسين علاقته مع الأمير إدريس السنوسي بعدما كان العنيزى في صف عبدالرحمن عزام الأمين العام لجامعة الدول العربية[3].

وعلى الرغم من هذه الرواية التي ذكرها بن عثمان فإن "علي الجربي" كثرت عليه المسؤوليات من عضو في المجلس الاستشاري، بالإضافة إلى وزير في الحكومة الليبية الجديدة، واعتقد بأن قدوم علي العنيزي من مصر بعدما كان موظفاً في جامعة الدول العربية وعودته إلى الوطن، رأى فيه الأمير شخصاً مناسباً يستلم تلك المهمة حتى يتفرغ الجربي لعمله في الوزارة الجديدة، كذلك لا نتناسا دور العنيزى في محادثات الاستقلال في الأمم المتحدة وسياسة الأمير إدريس السنوسي في جمع الوطنيين الليبيين في عمل مشترك يخدم الدولة الليبية، والتغاضي عن الخلافات السياسية السابقة.

ومن أهم الأعمال التي قام بها "علي الجربي" في وزارة الخارجية الليبية؛ الاحتفال بتوقيع وثيقة نقل السلطات إلى الحكومة الليبية المؤقتة، وحضر هذا الاحتفال كل من: محمود المنتصر رئيس الحكومة الليبية وعلي الجربي وزير الخارجية في تلك الحكومة، والسيد عمر فائق شنيب وزير الدفاع، والسيد "أدريان بلت" مندوب الأمم المتحدة في ليبيا واللورد أكسفورد، والمستر روبرت بلآكلي رئيس الإدارة البريطانية في طرابلس خلال عام 1951م[4].

---

(1) محمد بن عثمان الصيد، **مذكرات رئيس الحكومة الليبية** الأسبق أعدها للنشر طلحه جبريل، ط1، الرباط المغرب، 1996م، ص70، 71.

(2) المرجع نفسه، ص75.

(3) نفس المرجع، ص75، 76.

(4) سالم الكبتي، ليبيا مسيرة الاستقلال، ج1، ص224.

المحور الرابع: علي الجربي وزيراً للدفاع في أول حكومة ليبية بعد الاستقلال:

في نفس يوم إعلان استقلال ليبيا يوم 24ديسمبر 1951م طلب الملك إدريس السنوسي من محمود المنتصر تشكيل الحكومة الليبية، هذه الحكومة استمرت حتى يوم 18 فبراير 1954م على الشكل التالي: محمود المنتصر رئيساً للوزارة ووزيراً للخارجية فتحي الكيخيا نائباً للرئيس ووزيراً للعدل، وللمعارف، على أسعد الجربي وزيراً للدفاع الوطني، منصور بن قداره وزيراً للمالية والاقتصاد، ابراهيم بن شعبان وزيراً للمواصلات، محمد بن عثمان وزيراً للصحة[1].

وخلال عمل "علي الجربي" في وزارة الدفاع قام بمجهود كبير في وضع الأسس الأولى لتأسيس الجيش الليبي، وخلال وزارته للدفاع وتحديداً أواسط عام 1953م تقرر إنشاء الجيش الليبي وقرر مجلس الوزراء في أحد اجتماعاته إنشاء مدرسة عسكرية في مدينة الزاوية لتخريج ضباط يكونون نواة لتأسيس الجيش الليبي.

ثم قرر مجلس الوزراء إيفاد وزير الدفاع "علي الجربي" إلى تركيا لكى يطلب من حكومتها أن تقدم له ضباطاً في الجيش التركي من أصول ليبية ليختار منهم من يقود الجيش الليبي الناشئ، وفعلا أتى بضباط على رأسهم: لواء يدعى "عمران الجاضره" وجاؤوا إلى ليبيا واستلموا قيادة الجيش، وبدأت عمليات التجنيد، إلا أنه ثبت أن اللواء "عمران الجاضره" ورفاقه غير جديرين بقيادة الجيش الليبي.

وفي تلك الأثناء قرر مجلس الوزراء الاتصال بحكومة العراق والاتفاق معها على أرسال مجموعة من الضباط العراقيين ليسهموا في تأسيس الجيش الليبي وقيادته، ووصلت هذه البعثة برئاسة لواء يدعى "الجنابي" وبهذه الطريقة تأسس الجيش الليبي وراح عدده في ازدياد، ومن ثم طلب من ضباط قوات الأمن بولاية برقة، الذين كانوا أصلاً من الجيش السنوسي الذى تكون في مصر بأشراف الأمير إدريس السنوسي أثناء الحرب العالمية الثانية، بأن يلتحقوا جميعهم بالجيش الليبي الناشئ، ومن ضمن هؤلاء: "السنوسي الاطيوش" الذى وصل فيما بعد إلى مرتبة رئيس الأركان بالجيش الليبي[2].

وذكر بن عثمان في مذكراته أن الحكومة الليبية الناشئة قبل دخولها في مفاوضات مع بريطانيا وعقد المعاهدة معها، قررت الاتصال بحكومتي: مصر والعراق للحصول منهما على قروض تعين ليبيا وذلك قبل الدخول في مفاوضات مع بريطانيا حول توقيع معاهدة عسكرية ومالية، أو على أقل تقدير، دخول المفاوضات من موقع أفضل[3].

---

(1) المرجع نفسه، ص201.

(2) محمد بن عثمان الصيد ، المرجع السابق، ص95.

(3) محمد بن عثمان الصيد، المرجع السابق، ص83.

وتقرر إيفاد علي الجربي وزير الدفاع آنذاك إلى كل من مصر والعراق لمقابلة المسؤولين في البلدين، وبحث أمكانية الحصول على مساعدات مالية باعتبارهما الدولتين العربيتين القادرتين في ذلك الوقت على تقديم المساعدات لليبيا، ولم ترد الحكومة الليبية أحراج المملكة العربية السعودية؛ لأنها لا يمكنها تقديم مساعدات في ظل بدياته تطوير مجالها الاقتصادي المتمثل في النفط الذي كان لا يزال في بدايته ومحدود أجداً[1].

وكانت هناك قرابة سبعة دول عربية مستقلة فقط بتلك الفترة بما فيها ليبيا، وهذا ما يبين صعوبة موقف الدول العربية في مساندتها بعضها البعض في تلك الفترة المبكرة من خروجها من الاستعمار.

وفي أواخر 1952م سافر "علي الجربي" إلى مصر، وكانت الثورة المصرية قد تولت مقاليد الأمور، وفي القاهرة اجتمع "علي الجربي" مع "محمود فوزى" وزير الخارجية آنذاك وشرح له الأوضاع الليبية، مبيناً أن الوضع الاقتصادي متردي للغاية، وأن ليبيا ليس لها جيش، وأن القوات الأجنبية التي احتلتها أثناء الحرب العالمية الثانية لا تزال باقية على أراضيها، وقد قررت الحكومة التفاوض مع تلك الدول لكن قبل الدخول في مفاوضات، ترغب في الحصول على قروض أو مساعدات تعزز بها مركزها التفاوضي مع بريطانيا وأمريكا وفرنسا، وأقترح "علي الجربي" أن تقدم مصر مساعدات مالية إلى ليبيا، وإذا لم يكن ذلك متاحا تقرض ليبيا مبلغ أثنين مليون جنيه استرليني لتغطية عجز الميزانية، كان جواب السيد "محمود فوزى" ضرورة الاجتماع مع رئاسة مجلس قيادة الثورة، هنالك اجتمع "علي الجربي" مع اللواء محمد نجيب الذى كان يتولى رئاسة مجلس الثورة آنذاك، ثم مع السيد جمال عبد الناصر الذى كان نائباً لرئيس مجلس قيادة الثورة اللذين لم يستطيعا تلبية طلبه، نظراً لظروف دولتهم الجديدة[2].

بعد ذلك سافر "علي الجربي" إلى العراق، واجتمع مع ولى العهد الأمير عبدالاله وأعضاء الحكومة العراقية، وتحدث معهم بصراحة، غير أنهم أبلغوه أنه لا توجد دولة عربية تستطيع مساعدة ليبيا بما فيها العراق، لذلك على الليبيين أن يتدبرو أمورهم بأنفسهم.

هذه المحاولات التي قام بها "علي الجربي" بصفته وزيراً للدفاع في أول حكومة ليبية بعد الاستقلال كانت من أجل الحصول على مكاسب للحكومة الليبية في أي مفاوضات مع الدول الموجودة قواتها أصلاً في ليبيا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.

هذه المكاسب لو حصلت لجعلت الحكومة الليبية تتفاوض بشروط أفضل وبموقع أقوى في أنها غير محتاجة للمساعدات المالية من هذه الدول، وهذا يعد عن حس وطني نحو التخلص من هيمنة تلك

---

[1] المرجع نفسه، ص83.

[2] نفس المرجع، ص95.

الدول في وقت صعب كانت فيه الكثير من الدول العربية لم تحصل على استقلالها خلال تلك الفترة المبكرة من مراحل تحرر الدول العربية[1].

الخاتمة

اتفقت الشخصيات الوطنية في ليبيا بعد الحرب العالمية الثانية على مسألة البحث عن الاستقلال الوطني الليبي، وكان "علي الجربي" أحد تلك الشخصيات الوطنية التي اضطلعت بتلك المهمة، ثم بناء الدولة المستقلة بعد ذلك، وخلال هذا البحث تعرضنا إلى مجهودات هذا الرجل في ليبيا قبل الاستقلال وبعده من خلال المناصب والمهام التي كلف بها.

وبما أن "علي الجربي" كان من ذوى المؤهلات العلمية والثقافية الواسعة منها تمكنه من التكلم بعدة للغات أجنبية، هذه الصفات بالإضافة إلى حسه الوطني جعلته من الشخصيات الليبية الاوفر حظاً في تقلد العديد من المراكز والمناصب السياسية المهمة بليبيا قبل الاستقلال الليبي وبعده.

ومن خلال تتبع سيرة هذا الرجل نجده قد عمل بالتعليم في مدينته درنه شرق ليبيا ونحن نعلم أهمية التعليم خصوصا بتلك الفترة التي انتشرت فيها الأمية في ليبيا، وأثناء الحرب العالمية الثانية؛ عمل عميداً لمدينة درنة أثناء تحريرها الأول في الحرب العالمية الثانية، وعند الاحتلال الألماني لشرق ليبيا من جديد خلال تلك الحرب رحل إلى مصر والتحق بالأمير إدريس السنوسي وعمل مستشاراً له، ويبدو أنه قد حظى بثقة الأمير وما تقلده العديد من المراكز المهمة في برقة وليبيا بصفة عامة؛ بعد ذلك إلا دليلاً على ذلك.

فقد أصبح عام 1944م مديراً للمعارف في برقة خلال فترة الإدارة العسكرية الإنجليزية في ليبيا، ثم نائباً لمدير التنمية في مجلس الإدارة البريطانية في برقة عام 1945م، وذلك بعدما أدخلت بريطانيا شخصيات ليبية مؤهلة في العمل معها في تلك الإدارة.

وخلال عمله مديراً للمعارف في برقة أثناء تلك الفترة نجح "الجربي" في اقناع الإنجليز بجلب معلمين من مصر للعمل في التعليم في ليبيا بتلك الفترة التي انتشرت فيها الأمية، وكان ذلك دوراً مهماً في وضع الأسس الأولى للتعليم قبل إعلان الاستقلال الوطني لليبيا في ظروف صعبة، ولعل هذا النهج ما اتخذته الحكومات الليبية بعد الاستقلال، وبذلك يعد سباقاً في تلك الرؤية التي تعجل بالنهوض بالتعليم في ليبيا بشكل اسرع، وهذا ما يجهله الكثير عن هذا الرجل.

[1] محمد بن عثمان الصيد، المرجع السابق، ص95، 96.

بجانب ذلك أهتم بالعمل السياسي بشكل واضح حيث شغل سكرتيرا للمؤتمر الوطني البرقاوي العام عام 1948م بصحبة الشخصية الوطنية المعروفة خليل القلال، وبما أن هذا الحزب كان الممثل السياسي الوحيد لأهل برقة بعد حل الأحزاب البرقاوية الأخرى.

ويمكن لنا تصور المجهود الكبير التي كان يقوم به "الجربي"، وذلك إذا ما علمنا أن معظم الأعضاء في هذا الحزب هم زعماء تقليديين للسنوسية من رفقاء المجاهد عمر المختار وزعماء العشائر في برقة من كبار السن، الذين لم يتحصلوا على فرص تعليم خلال السنوات السابقة أثناء مرحلة الجهاد الليبي ضد الاحتلال الإيطالي، وذلك من خلال اصدار بيانات، وتنسيق وتنظيم الجلسات داخل ذلك المؤتمر، ولعل ذلك ما أستدعى اختيار أثنين في عمل السكرتارية من أشهر المثقفين في برقة.

وبعد استقلال برقة عام 1949م الذى منح من خلاله الإنجليز برقة حكم ذاتي، وكان خطوة في استقلال البلاد بصفة عامة، أصبح "علي الجربي" وزيراً للأشغال العامة والمواصلات في حكومة برقة.

غير أن الدور المهم الذى قام به "علي الجربي" هو اختياره عضواً ممثلاً لبرقة في المجلس الاستشاري للأمم المتحدة في ليبيا عام 1950م، وذلك عندما تم اختيار ثلاثة أعضاء يمثلون الأقاليم الليبية الثلاث طرابلس وبرقة وفزان في ذلك المجلس.

وقد برز دوره في ذلك المجلس من خلال الجلسات والجولات التي قام بها أعضاء ذلك المجلس في أرجاء ليبيا آنذاك، حتى أنه كان القائم بأعمال رئيس المجلس الاستشاري في المحادثات الشهيرة التي أجراها أعضاء المجلس مع رئيس إقليم فزان أحمد سيف النصر، ومستشاروه في مدينة سبها عام 1950م، هذه المحادثات التي كانت تهدف إلى معرفة رؤية أهل فزان إلى مسألة الاستقلال وشكل الدولة ونظام الحكم فيها، وقد أطراه مندوب الأمم المتحدة في ليبيا أدريان بلت من خلال عمله بذلك المجلس.

كما كان لهذا الرجل دوراً واضحاً في الحكومات الليبية الاتحادية التي تمثل ليبيا بصفة عامة ، فقد شغل وزارة الخارجية في الحكومة الليبية المؤقتة قبيل الاستقلال، هذه الحكومة التي استمرت من نهاية مارس عام 1951م إلى يوم إعلان استقلال ليبيا في 24 ديسمبر من نفس العام، وخلال تلك الحكومة شارك "علي الجربي" في استلام السلطات من الإدارة الإنجليزية في ليبيا لصالح الحكومة الليبية المؤقتة قبيل الاستقلال، وهى الترتيبات التي وافقت عليها الأمم المتحدة من أجل حصول ليبيا على استقلالها.

وقد كان دوره بارزاً ايضاً في وضع الأسس الأولى للجيش الليبي عندما كان وزيرا للدفاع في أول حكومة ليبية بعد الاستقلال، هذه الحكومة التي استمرت من يوم إعلان استقلال ليبيا في 24 ديسمبر 1951م – فبراير 1954م، حيث قام "الجربي" بجولات دولية إلى كل من تركيا ثم العراق من أجل جلب ضباط لتدريب الجيش الليبي الوليد.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب الوثائقية:

1- الكبتي، سالم: **ليبيا مسيرة الاستقلال وثائق محلية ودولية**، ج1، ج3، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، دار الساقية للنشر، بنغازي- ليبيا، 2012م.

2- الكبتي، سالم: **إدريس السنوسي، الأمير والملك وثائق عن دوره السياسي والوطني**، ط1، ج2، دار الساقية للنشر، بنغازي، ليبيا، 2013م.

ثانياً: الكتب:

1- الشريف، مفتاح السيد: **ليبيا مسيرة الاستقلال الحركة الوطنية الليبية ليبيا الصراع من أجل الاستقلال**، ط1، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 2011م .

2- المقريف، محمد يوسف: **ليبيا بين الماضي والحاضر صفحات من تاريخ ليبيا السياسي**، المجلد الأول، ج1، ط2، مركز الدراسات الليبية أكسفورد، 2017م.

3- خدوري، مجيد: **ليبيا الحديثة دراسة في تطورها السياسي**، ترجمة: نقولا زياده، ناصر الدين الأسد، واشنطن الولايات المتحدة الأمريكية، 1962م.

4- شكري، محمد فؤاد: **السنوسية دين ودولة**، مراجعة: يوسف المجريسي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948م.

ثالثاً: المذكرات الشخصية:

- الصيد، محمد بن عثمان الصيد: **مذكرات رئيس الحكومة الليبية الأسبق**، أعدها للنشر طلحة جبريل، ط1، الرباط، المغرب، 1996م.

رابعاً : الكتب الأجنبية:

1- Adrian belt :Libyan independence and the united nations.

2- A case of planned decolonization-1970.

المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية

العدد السادس / 2021م

جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية
Mohmmad Bin Ali Assanosi University
كلية التأريخ والحضارة

تطور نظام النقد والعملات في مصر

في العصر المملوكى (648-922ه/1250-1517م)

أحمد علي صالح الحسنوني
قسم التاريخ– كلية التاريخ والحضارة
جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

ملخص البحث : تتناول هذه الدراسة البحث في موضوع تطور نظام النقد والعملات في مصر في العصر المملوكي (648–922هـ/1250–1517م) وذلك من خلال تتبع السياسة النقدية التي اتبعها سلاطين المماليك وقد وقع اختيار الباحث على هذا الموضوع لأن الدراسات المتعلقة بالنظام النقدي والعملات في دولة المماليك لاتزال تحتاج الى مزيد من البحث والدراسة مقارنة بالدول الإسلامية الأخرى خاصة وان عصر المماليك يعتبر من أهم عصور مصر الإسلامية من حيث الازدهار الحضاري وتكمن أهمية دراسة النظام النقدي والعملات بوصفها مدخلاً أساسياً لمعرفة الاوضاع الاقتصادية للمجتمعات الإسلامية خاصة وأن النظام النقدي والعملات في أي دولة يمثل ركيزة أساسية لأستقرارها وينعكس بشكل إيجابي على أوضاعها السياسية والاجتماعية .

Research Summary

This study deals with research on the issue of the development of the monetary and currency system in Egypt during the Mamluk era (648–922 AH / 1250–1517AD), by tracking the monetary policy followed by the Mamluk sultans.

The researcher chose this topic because the studies related to the monetary system and currencies in the Mamluk state still need more research and study compared to other Islamic countries, especially since the Mamluk era is considered one of the most important eras of Islamic Egypt in terms of civilizational prosperity

The importance of studying the monetary system and currencies as a basic entry point to know the economic conditions of Islamic societies, especially since the monetary system and currencies in any country represents a fundamental pillar for its stability and reflects positively on its political and social condition.

المقدمة

فهذا البحث يتناول تطور نظام النقد والعملات في العصر المملوكي (648-922هـ/1250-1517م) ذلك العصر الذي كانت بداية سلاطينه بداية صعبة، فالنظرة العامة كانت علي أنهم قد انتزعوا الحكم والسلطة من الأيوبيين الذين كانوا أصحاب الحق في الحكم والسلطة ، وعند تولى سلاطين المماليك حكم مصر كان حكم الشام تحت سيطرة الأيوبيين فمثل هذا خطراً على تلك الدولة الناشئة لهذا سعى سلاطين المماليك لتحسين الأوضاع الاقتصادية في البلاد ومحاولة إزالة العوائق بينهم وبين الشعب المصري الذي مثل عماد الدولة الناشئة .

هذا بالإضافة إلى التوتر السياسي الذي شهدته قيام الدولة المملوكية والانتقال من الحكم الأيوبي للحكم المملوكي ومع وجود الاضطرابات الداخلية والخارجية كان لتلك الأسباب أثرها الواضح على النظام النقدي بالدولة المملوكية .

أسباب اختيار الموضوع :

لا تزال الدراسات المتعلقة بالنظام النقدي والعملات في دولة المماليك تحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة مقارنة بالدول الإسلامية الاخرى خاصة أن عصر المماليك يعتبر من أهم عصور مصر الإسلامية من حيث الازدهار الحضاري .

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية دراسة النظام النقدي والعملات بوصفها مدخلاً أساسياً لمعرفة الأوضاع الاقتصادية في المجتمعات الإسلامية خاصة وأن النظام النقدي والعملات في أي دولة يعتبر ركيزة أساسية لاستقرار اقتصادها .

المنهج المتبع في الدراسة :

سيعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهج التحليلي الذي يعتمد على سرد المعلومة التاريخية وتحليلها بالاعتماد على أوثق المصادر والمراجع وأكثرها موضوعية .

وقسمت هذه الدراسة إلى مقدمة وثلاثة مباحث تعقبها خاتمة وثبت بقائمة المصادر والمراجع جاءت على النحو الآتي :

المبحث الأول : بداية النظام النقدي والعملات في مصر في العصر المملوكي.

المبحث الثاني: انتشار ظاهرة الغش والتزييف في العملة .

المبحث الثالث : محاولات السلطة الحاكمة ضبط التعامل النقدي والسيطرة على العملة.

الخاتمة – قائمة المصادر والمراجع .

المبحث الأول : بداية النظام النقدي والعملات في مصر في العصر المملوكي:

استمر المماليك يتعاملون بالنقود والعملة التي استخدمها بنو أيوب، فقد كان الناس يتعاملون بالدراهم الكاملية . وكانت تلك الدراهم من نوعين هما: الفضة النقرة[1]، والفلوس النحاسية[2]، وكان يتم استبدال الدرهم الفضة النقرة بست من الفلوس النحاسية[3]، ورغم استمرار التعامل بتلك النقود فقد كان من أولويات السلطان المملوكي عندما يتولى الحكم سك النقود باسمه سعياً منه للسيطرة على الأوضاع الاقتصادية والتحكم فيها، وعلى الرغم من ذلك فقد ذكر أحد الباحثين بأن نقود المماليك قد تميزت عن غيرها من نقود العالم الإسلامي بصفة عامة ونقود مصر بصفة خاصة كونها مضطربة بسبب ظروف العصر السياسية خاصة وأن النقود المملوكية كانت حقاً شخصياً للسلطان نفسه ترتبط بقوته وضعفه وتستمد منه بقاؤها وتداولها فهي نقود تتمتع بالقبول والثقة لدى الشعب ما بقي السلطان في حكمه وعندما يتم عزل السلطان أو وفاته تصبح تلك النقود نقودًا عتق، ويتم ضرب غيرها، وكانت هذه هي السمة الغالبة على معظم تاريخ الدولة المملوكية [4].

فعلى سبيل المثال قامت السلطانة شجرة الدر بضرب الدنانير والدراهم التي نقشت عليها لقبها مقروناً باسم الخليفة العباسي المستعصم بالله (640-656هـ/1242-1285م) مكتوب عليها عبارة "المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل[5]".

---

(1) الدراهم النقرة :وهي التي يكون ثلثها من فضة وثلثها من نحاس أحمر وتطبع بدور الضرب بالسكة السلطانية ويكون منها دراهم صحاح وقراضات مكسرة والعبرة في وزنها بالدرهم وهو يعتبر بأربعة وعشرين قيراطاً وقدر بستة عشرة حبة من حبات الخروب فتكون كل حبتين بثمن درهم وهي أربع حبات من حبات القمح المعتدل والدرهم من الدينار ونصفه وخمسه وإن شئت قلت سبعة أعشاره فيكون كل سبعة مثاقيل عشرة دراهم ؛ للمزيد ينظر: محمد أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي،دار الفكر،دمشق،1990م، ص 66.

(2) العملات النحاسية: بدأ ت العملات النحاسية تتصدر المعاملات في عهد الظاهر برقوق عام (781هـ/ 1379م) فقد أمر برقوق وهو أمير قبل ارتقائه عرش السلطنة بضرب كمية كبيرة من الفلوس النحاسية ليزداد ربحه بعد أن أوقف سك الدراهم الفضية لندرتها.للمزيد ينظر: المقريزي: تقي الدين أبوالعباس أحمد بن علي، النقود الإسلامية المسمى بشذور العقود في ذكر النقود، تحقيق: محمد السيد علي، المكتبة الحيدارية، العراق 1987 ، ص 67؛ عبدالرحمن فهمي: النقود العربية، القاهرة، 1964م، ص76؛ نجوان أحمد سعيد : النظام النقدي ودار ضرب المسكوكات في مصر زمن سلاطين المماليك، حوليات آداب عين شمس مصر، العدد 44، 2016م، ص 420.

(3) المقريزي: النقود الإسلامية، ص67 .

(4) محمد باقر كاظم الحسيني: الكنى والألقاب على نقود المماليك البحرية والبرجية في مصر والشام، بحث في مجلة المورد، العراق ، العدد الأول، ص 55.

(5) عبدالرحمن فهمي: المرجع السابق، ص 85.

وفى ذات السياق سار على النهج نفسه المعز أيبك الذي ضرب النقود باسمه مقروناً باسم السلطان الصالح نجم الدين أيوب(637-647هـ/1240-1249م)، وكذلك قام بسك العملة مثل الدينار باسم السلطان الأشرف موسى (648- 650هـ/ 1250-1252م) وكان الشكل العام له دائرتان متبادلان حول كتابات كل من مركز الوجه والظهر بينهما يحيط بكتابات الهامش في كل منهما دائرة واحدة وجاءت نصوص الوجه مكتوب عليها في الهامش "بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينار بالقاهرة سنة تسع وأربعين وستمائة والهامش أيضاً لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكان مكتوب بالمركز الإمام المستعصم بالله أبو أحمد عبدالله أمير المؤمنين وكان مكتوب على الظهر في المركز أيوب الملك الصالح، الملك الأشرف أبو الفتوح موسى[1].

وقام بسك النقود المعز أيبك سنة (648/655هـ/ 1250/1257م) فكتب علي الوجه في مركزه (الإمام المستعصم بالله أبو أحمد عبدالله أمير المؤمنين) أما الهامش فكتب عليه (بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينار بالقاهرة سنة 654هـ) والظهر مكتوب عليه في مركزه (الملك الصالح نجم الدين أيوب من الملك الكامل أيبك)[2] وكذلك فعل ابنه المنصور علي الذي قرن اسمه باسم الخليفة العباسي المستعصم بالله[3].

وربما كان ذكر شجرة الدر وعزالدين أيبك والمنصور علي لكل من الصالح نجم الدين أيوب والخليفة المستعصم بالله على العملة ما هو إلا إضافة شرعية لحكمهم ودليلاً على ارتباطهم وتبعيتهم للأيوبيين والخليفة العباسي المستعصم؛ لكسب ود وتأييد الشعب المصري فلا تظهر منه معارضة، إلى أن أقدم المظفر سيف الدين قطز (657هـ/1259م) على ضرب النقود باسمه منفرداً[4].

وفى الواقع فإن هذا لا يعد دليلاً على قوة سيف الدين قطز أو استئثاره بالسلطة وسيطرته على الحكم بعكس كل من المعز أيبك وشجرة الدر، ولكن كان هذا نتيجة لتطور الأحداث الخارجية وسقوط الخلافة العباسية على يد المغول (656هـ/1258م)، فلم يكن قطز بحاجة إلى هذا التأييد الشرعي وإعلان التبعية لكل من الخليفة والأيوبيين، لهذا قام بضرب النقود منفرداً نتيجة لسقوط الخلافة العباسية في بغداد على يد المغول بالإضافة لفقد الأيوبيين مكانتهم في نفوس المصريين بعد نجاح أيبك في ذلك، إضافة إلى موقفهم المتخاذل من الغزو المغولي.

---

(1) رأفت محمد: النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، 2000 ، ص 130- 131.

(2) المرجع نفسه، ص131.

(3) المرجع نفسه ، ص 87؛

(4) عبدالرحمن فهمي: مرجع السابق ، ص 88.

فى الواقع تبدأ السياسية النقدية الفعلية للدولة المملوكية في مصر مع تولي المؤسس الحقيقي للدولة المملوكية وهو الظاهر ركن الدين بيبرس (658-676هـ/1260-1277م) الذي قام بضرب دراهم جديدة تحمل اسمه أطلق عليها اسم الدراهم الظاهرية وقام بنقش شعاره عليها بالإضافة لبعض العبارات الأخرى[1].

وعلى الرغم من ذلك فقد تدهورت الأوضاع النقدية بسبب الغش في العملة، فقد قام الزغلية[2] بضرب دراهم السلطان وخففوا وزنها حتى صار الفلس وزنه سدس درهم، فما كان من السلطان إلا أن حاول التصدي لتلك النقود المزورة التي تسمى القراطيس[3] .

وقام بخلط هذه الفلوس القراطيس[4] الخفاف بفلوس المعاملة في مصر حتى كثرت أو قلّت الفلوس الجيدة ، فتعبت الناس منها وازدادت الأسعار كلها مما أدى لغلق الكثير من الحوانيت بعد ما نودي بأن تكون الفلوس بالميزان فقام والي القاهرة[5] بضرب أرباب المعايش بالمقارع وشهر بهم ولكن لم يرجعوا عن غلق الحوانيت فكان الفلس الذي عليه علامة السلطان يؤخذ، والفلس الخفيف يرد، فما كان من الزغلية إلا أن قاموا بضرب نقوداً عليها علامة السلطان[6].

وكان نتيجة لهذه الأمور أن استغل العامة من الطبقات الشعبية خروج الأمير كريم بن مكانس الدين المحتسب لاستقبال السلطان، الذي كان خارج البلاد وصاحت به ألفاظ لا تليق، وتجمعوا حوله من جميع الجهات وشكوا ما بهم من أمر الفلوس ورد الباعة لها وقلة الخبز وغيره، فوعدهم خيراً وبلغ السلطان بذلك، فأسرع السلطان في طلب الأمراء وأخذ يشتد عليهم وينكر عليهم رد مباشريهم للفلوس وعدم بيعهم القمح من الشون للطحانين ، ثم أمر بأخذ فلوس جديدة وزن الفلس درهماً ، على أحد وجهيه (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وعلى الآخر اسم السلطان ، فضربوا نحو ثمانية آلاف رطل، ثم استقر الأمر على أن يحصل الفلوس القديمة كل رطل بثلاثين درهم إلى أن تخرج الفلوس الجدد من دار الضرب مما كان له الأثر على استقرار

---

(1) سعيد عبدالفتاح عاشور: مصر في العصر الأيوبي والمملوكي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1992م، ص *314*.

(2) هم الأشخاص الذين يمتهنون تزيف النقود.؛ إسماعيل الدرديري: تزيف النقود في مصر والشام عصر سلاطين المماليك ، مجلة اللغة العربية أسيوط ،جامعة الازهر، العدد27 ، 2008، ص538.

(3)فلوس القراطيس: نقود فضية أو نحاسية زمن الملك العادل وأصلها قضبان من الفضة أو النحاس تقص لتصبح نقوداً والقرطاس ورق الكتابة ومن هنا اجتمع اسم الفضة والورق محمد أحمد دهمان : المرجع السابق، ص122

(4)المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القهارة، 2007م، ص 200- 206.

(5) المقريزي: المصدر نفسه، ج2، ص 200- 206 .

(6) المقريزي: المصدر نفسه، ج21، ص 200- 206 .

الأمور[1]، وبهذا تكون السلطة الحاكمة عملت على تهدئة الطبقات الشعبية، وسعت لاستقرار الأمور الاقتصادية.

هذا وقد ساءت الأحوال في مصر وتكرر الأمر في عام (722هـ/ 1322م) بسبب الفلوس الزغل التي كثرت في أنحاء الدولة فما كان من الناصر: محمد إلا أن رسم أن تكون الفلوس بالميزان بعد أن ضرب الكثير من الباعة[2]، وعندما تكرر الأمر سنة (724هـ/ 1324م)، أمر السلطان أن يتعامل الناس بالرطل؛ على أن كل رطل من الفلوس بدرهمين، ولم يكتف بذلك بل أمر أن من عنده شيء من هذه الفلوس يحضرها إلى دار ضرب العملة [3] ويأخذ بدلاً منها فضة ثم أمر بضرب فلوس جديدة؛ وزن الفلس منها درهماً وثمن، وتم ضرب نحو مائتي ألف درهم، وفرقت على الصيارفة[4].

ورغم ذلك فقد زادت ظاهرة التزييف حيث كثرت الفلوس الزغل، وكثر رفضها، وتمت معاقبة الباعة بالضرب والتجريس إلى أن فسد الحال وغلقت الحوانيت وارتفعت الأسعار، فبلغ سعر القمح من عشرة دراهم في الأردب إلي سبعة عشر درهماً[5]، كذلك قام الوالي بترتيب على كل حانوت أربعة من أعوانه معهم المطارق[6] بهدف دفع الناس عن حوانيت الخبز حتى لا ينهب[7].

كذلك عمل الأمير قوصون على تيسير أمور العامة في عملية البيع والشراء فإذا به ينادي في القاهرة أن يتعامل الناس بالفضة والذهب بسعر الله، فسر الناس ذلك لأنهم كانوا قد منعوا من المعاملة بالفضة ولا تكون معاملتهم إلا بالذهب وبذلك تترك العملة حرة[8].

---

(1) المقريزي: السلوك، ج2، ص 206.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص 233.

(3) وهي المسئولة عن تجهيز النقود وتصنعها لسد احتياجات الدولة وبالأخص الحكومة منها ؛كما تقوم باسترداد النقود وتجديدها ، كما تقوم بتخزين كميات كبيرة من المعادن النفيسة مثل الذهب والفضة والنحاس وهي تمثل المصارف المركزية في عصرنا الحالي؛للمزيد ينظر: حمود النجيدي النظام النقدي، ص49.

(4) المقريزي: السلوك، ج2، ص 237.

(5) المقريزي: المصدر نفسه، ج21، ص 253؛ قاسم عبده قاسم : بض مظاهر الحياة اليومية في عصر سلاطين المماليك، دار المعارف، القاهرة، 1979م، ص57 .

(6) جمع مطرقة وهي عصاة من الخشب الخشن، كالعصاة التي يستخدمها البدو في سوق الجمال؛ للمزيد ينظر: المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق : جمال الدين الشيال ، مكتبة الثقافة الدينية ، 2000 م، ص 113.

(7) المقريزي: السلوك، ص113

(8) المقريزي: المصدر نفسه، ج2، ص 552.

وعلى الرغم من ذلك فقد أخذ الباعة يردون الفلوس الصالحية والكاملية حتى توقفت الأحوال وعاد سعر الغلال إلى ما كان عليه فنودي برد فلوس الزغل ، ورد الرصاص والنحاس الأصفر منها، ولا يؤخذ إلا ما عليه سكة وترفقوا بالناس، ولم يضر أحد منهم بذلك فتحسنت الأحوال[1].

وفي شهر المحرم عام (759هـ / 1357م) أمر الأمير (صرغتمش) بضرب النقود الجديدة وزن الفلس منها مثقال فضرب عدة قناطير، ثم أمر أن يكون كل فلس جديد بفلسين عتق، وكل رطل من الفلوس العتيقة بدرهم ونصف بعد ما كان الرطل بدرهمين[2].

المبحث الثاني: انتشار ظاهرة الغش والتزييف في العملة :

تعددت طرق الغش في العملة في مصر في العصر المملوكي فقد قام الزغل بالإنقاص من وزن العملة مما جعل السلطة الحاكمة تنادي في القاهرة بأن تكون الفلوس العتيقة كل رطل بدرهم وثلث، بعد أن كان كل رطل بدرهم ونصف، ثم فرق على الصيارفة فلوس استجد ضربها، وعمل عليها رنكه ضمنها فلس وزنه أوقية ليكون كل أربعة دراهم بفلس ومنها ماوزنه نصف أوقية كل ثمانية بدرهم حساب عن كل فلس بثمانية دراهم ومنها كل ثمان وأربعون فلساً بدرهم، ولكن هذا الأمر أضر كثيراً بأفراد الطبقة الشعبية ففقد المصريين الكثير من قيمة أموالهم وتوقفت أحوال الناس وبطل بيعهم وشرائهم وقل جلب البضائع من المأكل وغير ذلك مما جعل السلطة الحاكمة تنادي بإبطال ذلك كله واستمرار فلوس العتق على حالها فارتفعت لها الأصوات بالدعاء من جميع الناس[3].

وعندما قام السلطان برقوق بضرب فلوس جديدة للناس، وجعل بها دائرة وفيها اسمه فتفاءل الناس بأنها ستدور عليه الدائرة[4]، وهذا يدل على كراهية الطبقات الشعبية لفترة حكم برقوق وتمني المصريين زوال ملكه.

وفي عصر برقوق كان الدينار يتكون من قسمين ثلث من النحاس والثلثين الآخرين من الفضة وكانت قاصرة على شراء البضائع التي لا تصل قيمتها إلى الدرهم وبنهاية حكم برقوق أخذ سك العملة النحاسية وأصبحت هي القاعدة السعرية[5] .

---

(1) المقريزي: السلوك، ج2، ص 719.

(2) المصدر نفسه، ج3، ص 39.

(3) ابن إياس: أبو البركات محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق : محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتاب والوثائق القومية، القاهرة، 2008م، ج1، ص 296.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص 381.

(5) المقريزي: السلوك، ج4، ص 203؛ قاسم عبده قاسم : المرجع السابق، ص 57.

لذا نودي على الفلوس الجديدة بأن يتعامل بها كالعتيقة كل درهم أربعة وستون فلساً، وأن يتعامل بالعتيق كل درهم ثمانون فلساً، فكان لهذا أثره الحسن على الطبقات الشعبية في زمن برقوق[1]. وكان نتيجةً لتلاعب المفسدين بالعملة، والعمل على إنقاصها أن ارتفعت الأسعار، فبلغ الدينار الهرجة خمسة وستين درهماً، والدينار المشخص ستون درهماً[2]. فما كان من السلطة الحاكمة إلا أن تنادي بأن يكون الذهب المختوم بستين مثقال، والدينار والأفرنجي بخمسة وأربعين درهماً. [3]

ثم نودي بعد ذلك بأن يتعامل الناس بالفلوس وزناً لا عدداً، وأن يكون كل رطل منها بستة دراهم حساباً عن كل قنطار ستمائة درهم، فاستمر ذلك ولم ينتقص[4] .

كما كثرت الدراهم الفضية ففي عام (813 هـ/1409م) من التي كان يتعامل بها الناس بعد أن ترك الناس التعامل بها منذ ثلاثين عاماً أو أكثر، وكانت هذه الدراهم قد جلبت من بلاد الشام وهي نوعان درهم نيروزي[5] والبندقية [6] وهذا يدل على حدوث نوعًا من الرواج الاقتصادي بين الطبقات الشعبية وتوافر الدراهم المختلفة في التعامل فيما بينهم مما جعل السلطان يقوم بختم جميع الفلوس التي في الحواصل في القاهرة، وقد قام بذلك قاضي القضاة مجد الدين سالم الحنبلي، ومتولي القاهرة: شهاب الدين أحمد بن محمد بن الطبلاوي، ثم قام بأخذ تلك الفلوس المختومة وتعويض أربابها عن ذلك ذهباً ناصرياً، وكان حساب كل دينار بمائتي درهم، ففعلوا وقام بفتح الحواصل في غياب أصحابها وأخذوا نحو (500) قفة فلوس، كل قفة (600) درهم ، بثلاثين ديناراً ناصريًّا[7].

---

(1) ابن قاضي شهبة: تقي الدين أبوبكر بن أحمد، تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق : عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ج 3، ص 136.

(2) المقريزي: السلوك، ج3، ص 1098.

(3) المقريزي: المصدر نفسه ، ص 1105.

(4) المقريزي: المصدر نفسه، ج3، ص 1112.

(5) نيروزي وهي التي ضربها الأمير نوروز عليها اسم أمير المؤمنين المستعين بالله العباس بن محمد وزن الدرهم منها نصف درهم فضة خالصة من الناس ،للمزيد ينظر: المصدر نفسه، ج4، ص 288.

(6) البندقية هي التي ضربت في بلاد الفرنج وعليها سكنهم وهي فضة خالصة؛ للمزيد ينظر: المصدر السابق، ج4، ص 288.

(7) الذهب الناصري: هو الذي ضرب في عهد الناصر فرج وكانت قيمته في البدء مائة درهم وقد قدر الناصر فرج ضرب الدينار الناصري على وزن الأفرنجي وأكثر من ضربه فراج كرواج الأفرنجي كان هذا في عام (813هـ/ 1410م) ثم بلغ كل دينار منه في عهد المؤيد شيخ مائتي وعشرة دراهم ووزن كل دينار منه تسعة عشر قيراطاً من أربعة وعشرين قيراط؛ للمزيد ينظر: حياة ناصر الحجي: الأوضاع السياسية والاقتصادية في حكم المؤيد شيخ، ص 37. المقريزي: المصدر السابق، ج4، ص 183.

نجد أيضاً أنه في عهد المؤيد شيخ تعامل الناس بالدراهم المؤيدية وبهذا يكون هناك ثلاثة أصناف من الذهب أولهما: الذهب الناصري وتدخل في أيدي المصريين وأصبح المثقال فيه يساوي مائتي وخمسين درهم من الفلوس وهو من الذهب الإسلامي وهو خالٍ من الغش[1]. الصنف الثاني وهو الإفرنجي والبندقي وكان يستخدم منذ عام: سبعمائة وتسعين، وكان كل دينار منهما يساوي مائتين وثلاثين درهماً من الفلوس[2].

ومما سبق يتضح أن هناك عمليات تزييف وتلاعب بالنقود والعملة سواء من قبل الدولة والسلاطين وفي تلك الحالة لا يتخذ السلاطين أي موقف إلا على استحياء؛ لأنه لا يتم ذلك إلا بمعرفتهم ، أما إذا كان هذا التلاعب من قبل بعض الأفراد، فتقوم الدولة باتخاذ مواقف حاسمة معهم مثل السجن والقتل كما فعل قنصوة الغوري مع شخص يدعى جمال الدين الزغلي، الذي التزم العمل في دار الضرب السلطانية، وضمانها بمبلغ معين التزم بأن يؤديه للخزانة السلطانية مقابل هذا العمل ولكي يوفى بما عليه قام بالتلاعب في العملات التي كانت في دار الضرب في ذلك الوقت، واكتشف ذلك الأمراء وأصبحت العامة لا يتعاملون بها فلما شكى الأمراء ذلك إلى السلطان أمر بالقبض على (جمال الدين) وأمر بسجنه بعد أن قام بضربه ضرباً شديداً، وسجنه بسجن المقشرة، ولكن نجح جمال الدين في الهروب من السجن وسرعان ما تم القبض عليه وقام السلطان بتشهيره، وبعدها قام بشنقه هو وخمسة أفراد كانوا يعملون معه في تزييف العملة[3].

ولقد تعددت طرق وأساليب السلاطين في معاقبة من يقومون بتزييف العملة فقد قام السلطان إينال عام (863هـ/ 1458م) بتوسيط خمسة أفراد كانوا يزيفون العملة من الفضة[4]، كما كان هناك عقاب آخر وهو قطع اليد كحد السارق في الإسلام، ويذكر ابن إياس أنه في سنة (909هـ/ 1403م) قبض على شخص تركي يدعى (سنطباي) وادعي عليه أنه يعمل في تزييف النقود، وعندما تم القبض عليه وجد لديه آلات الزغل وكان معه جماعة يعملون معه في تزييف العملة فأمر السلطان بقطع أيديهم ولكن يبدوا أن (سنطباي) هذا كان على معرفة بالأمير (قرقماس الأتابكي) الذي تشفع فيه حتى لا ينفذ فيه حكم قطع اليد، وتم نفيه إلى القدس[5].

(1) المقريزي: السلوك، ج4، ص 304.
(2) المصدر نفسه، ج4، ص 306.
(3) ابن إياس : المصدر السابق، ج4، ص 153.
(4) ابن تغري بردي: جمال الدين أبوالمحاسن يوسف، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق : فهيم محمد شلتوت، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1990م، ج2، ص312.
(5) ابن إياس: المصدر السابق، ج4، ص 88.

ومن هذا يتضح أن النفي كان مصير الأمراء الذين يعملون بتزييف العملة ، فنرى السلطان (قايتباي) يقوم بنفي الأمير (مثقال الطواشي) رأس نوبة السقاه إلى مكة نتيجة لقيامه بالغش في الدراهم خاصة بعد أن وجدوا آلة الضرب التي تستخدم في الدراهم الزغل، وأراد السلطان قطع يديه، فتشفع فيه بعض الأمراء[1].

المبحث الثالث: محاولات السلطة الحاكمة ضبط التعامل النقدي والسيطرة على العملة:

أمام تلك التحديات بدأ المؤيد شيخ في عدة إجراءات منها ضبط التعامل بالنقد وسك دنانيراً مؤيدية جديدة، وعمل على جلب الغلال، فأرسل الخازندار للصعيد، ومعه مبلغ عشرة آلاف دينار ليشتري قمحاً، ويحضرونه إلى القاهرة لكي ينتهي الزحام على الأفران ويتوفر الخبز[2] وبالفعل مع تواصل مجئ مراكب الغلال وقرب حصاد القمح الجديد استطاع أن يتصدى لتلك المشكلة[3].

كما ارتفعت أسعار الذهب ارتفاعاً شديداً ففي عام (819هـ/1415م) بلغ المثقال نحو مائتين وثمانين، والدينار الإفرنجي مائتين وعشرة من الناصري ، وأمر السلطان بالقبض على كثيرٍ من التجار والصيارفة وجمعوهم في بيت الأمير جقمق الدويدار وأخذ في الإنكار عليهم بسبب مخالفتهم ما رسم به السلطان[4].

وفي العام نفسه نتيجة لحدوث غش في العملة نودي بأن نصف الفضة المؤيدية بما فيها الدراهم من الفلوس والرطل الفلوس، بخمسة دراهم ونصف والدينار الإفرنجي ثمانية وثلاثون فلوساً، والدينار الناصري بما فيه فكان لذلك أثره السيء عليهم حيث فقد الكثير من أفراد الطبقة الشعبية الكثير من قيمة أموالهم فخسر الناس من ذلك أموالاً جمة[5].

كذلك الحال في عهد (الأشرف برسباي) عندما انتشرت الفلوس المخلوطة بالحديد والنحاس والرصاص، وكان هذا منذ عهد المؤيد شيخ لأنها كانت تؤخذ وزنًا، وليس عدداً، وكان الكثير ينكر هذا الأمر، واستمر هذا الأمر بعد وفاة المؤيد فصارت الفضة من الفلوس التي وزنها مائة رطلاً لا يكاد يوجد به قدر عشرين رطلاً من الفلوس، وأنها هي حديد ونحاس ورصاص، وكان أكثر الناس استفادة من هذا الأمر هم الصيارفة فقد كانوا ينتقصون الفلوس ويبيعونها لمن يحملونها للحجاز واليمن وبلاد المغرب كل قنطار بسبعمائة درهم[6]، ومن هذا

---

(1) ابن اياس: مصدر سابق، ج3، 211.

(2) عثمان عطا: الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي وأثرها السياسي والاقتصادي والاجتماعي (648-923هـ/1120-1517م)، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، (د.ت)، ص 165.

(3) المقريزي: السلوك، ج4، ص 336.

(4) المصدر نفسه، ج4، ص 354- 355.

(5)ابن إياس: مصدر سابق، ج2، ص 28.

(6) المقريزي: السلوك، ج4، ص629.

يتضح أن الصيارفة كانوا يسعون لعدم الحد من الفلوس المخلوطة لأن هذا الأمر يتم تحت إشراف السلطة الحاكمة بمصر.

وعندما بلغ السلطان (الأشرف برسباي) ذلك قام بجمع الأمراء والقضاة والمباشرين وأحضر جماعة من التجار، وانكر عليهم خلط الفلوس[1]، فقام الأشرف برسباي بالعمل جاهدًا على التصدي لذلك من خلال القيام بالقبض على ناصر الدين ابن العزاري وقام بضربه بالمقارع ومعه جماعة آخرون قبض عليهم وهم يقومون بتزييف النقود ووجد عندهم الآلات الخاصة بذلك بالإضافة إلى الأشرفيات المزغولة[2].

ثم أمر بضرب نقودٍ جديدة ولكنهم اختلفوا في مقدار وزنها، وكان هذا خوفاً من توقف حال الناس والأسواق، واستمر الأمر على أن يكون سعر الفلوس من الحديد والرصاص والنحاس بسبعة دراهم لكل رطل ، ويكون سعر القطع الغير منقاه بخمسة دراهم للرطل ، فامتثل لذلك وصارت الفلوس صنفين بسعرين مختلفين[3]، وكان هذا حلاً مؤقتًا، ولكن استغل التجار والصيارفة هذا الأمر لمصلحتهم وأثر ذلك بالسلب على الطبقات الشعبية في معايشهم فأجتمع الناس عند السلطان واستقر الرأي على أن تكون الفلوس المنقاه بتسعة دراهم للرطل، وألا يتعامل أحد بشيء من القطع النحاس والحديد والقصدير والرصاص وهدد من يخالف ذلك[4].

وبعد ذلك طلب السلطان من الناس ألا يتعاملوا بالذهب الفرنجي المشخص وأن يحاسب كل دينار بمائتين وعشرين فلوساً وكان قد وصل إلى مائتين وخمسة وعشرين فلسًا ، فلم يتم صرفه على ذلك فازداد إلى أن وصل إلى مائتين وثلاثين فأنكر السلطان ذلك عندما علم به ورسم أن ينقص كل دينارٍ عشرة دراهم حتى ينقص بمائتين وعشرين درهم فخسر الناس مالاً كثيراً[5]، ولكن هذا الأمر كان له أثره السيئ على الطبقات الشعبية .

كما قام السلطان في عام (829هـ/1425م) بجمع الأمراء والقضاة وعدد كثيرٍ من التجار وتحدث في إبطال المعاملة بالذهب المشخص الذي يقال له الأفرنجي وهو من ضروب الفرنجة لأنه يحمل شعار كفرهم الذي لا تجيزه الشريعة المحمدية وكان هذا قد انتشر منذ عام (800هـ/ 1397م) في مصر والشام وبلاد الروم

(1) المصدر نفسه، ج4، ص 709.

(2) العيني: بدر الدين أبومحمد محمود بن أحمد بن موسى، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق : محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009م، ج2، ص 312؛ إسماعيل أحمد الدرديري : مرجع سابق ص 49.

(3) المقريزي: السلوك، ج4، ص 629- 6300.

(4) المصدر نفسه، ج4، ص 641- 642.

(5) المصدر نفسه، ج4، ص 648.

والحجاز واليمن حتى صارت النقد الرابح هو العملة الأساسية في التعامل، فوافق الجميع على ذلك الأمر ، وبعد أن يُجمع تتم إعادة ضربه في دار السكة[1] الإسلامية وبالفعل قام بذلك ثم تم تحويله إلى الذهب الأشرفي[2].

ثم قام السلطان بجمع الصيارفة والتجار وأشهد عليهم ألا يتعاملوا بالدراهم القرمانية ولا اللنكية ولا القبرصية، وتم أخذ هذه النقود إلى دار السك لتضرب دراهم إشرافية خالصة من الغش ونودي بأن تكون المعاملة بالدراهم الإشرافية والدراهم البندقية والمؤيدية، فإن الثلاثة فضة خالصة ليس بها نحاس لأن الدراهم الفرنجية بها نحاس[3].

ونودي بمنع الناس من المعاملة بالفلوس العتيقة وأن يتعاموا التي ضربها السلطان حيث أصبحت كل الدراهم والدنانير تقاس بالفلوس[4]، وجعل التعامل بها بالوزن وليس العدد ، وكان السبب وراء ذلك هو تلاعب المزيفين بها فقد قاموا بالقص منها مما جعل الطبقات الشعبية تمتنع عن أخذهما واستمر العمل بالدينار وزناً فقط[5].

و يلاحظ مع تولي كل سلطان جديد يسعى إلى فرض سلطته ونفوذه من خلال العملة بإصدار عملة جديدة وإلغاء العملة الخاصة بالسلطان السابق ففي عام (844هـ / 1440م) من شهر ربيع الأول منع المعاملة بالدراهم الأشرافية وأن تكون المعاملة بالدراهم الظاهرية الجدد وهدد من يخالف ذلك فتأثرت أحوال الطبقات الشعبية وتوقفت حركة البيع والشراء مما جعل السلطان ينادي في آخر النهار بأن الفضة الأشرفية تدفع إلى الصيارفة بسعرها.[6]

كما نجد أنه في عهد السلطان جقمق نودي الرطل من الفلوس بستة وثلاثون بعد ما كان اثنان وأربعون وأن لا يعد منها إلا الجيد المنقى ثم بعد يومين نودي بعودتها لما كانت عليه وفي التاسع من الشهر الذي يليه

(1) وتختص بالنظر في النقود المتعامل بها بين الناس وحفظها من الغش والنقص وتضع عليها علامة السلطان؛ للمزيد ينظر: حمود النجيدي ،النظام النقدي،ص51

(2) المقريزي: السلوك، ج4، ص 709؛ ابن تغري بردي: المصدر السابق : ج12، ص 283.

(3) ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2005م، ج12، ص283.

(4) المقريزي: السلوك، ج2، ص 647.

(5) المصدر نفسه، ج4، ص 942- 944.

(6) المصدر نفسه، ج4، ص 1203

نودي على الفلوس القديمة كل رطل بستة وثلاثين والجديدة بالعد وتبقى الفضة المضروبة بسكة السلطان على حالها الدرهم بأربعة وعشرون والقديمة بعشرين[1].بهدف التصدي لتزييف العملة.

كذلك قام الأشرف (إينال العلائي) بإصلاح المعاملة بالفضة في أيامه وأبطل بقية المعاملات كلها[2]، ومع بداية حكم الأشرف (قايتباي) نودي على الفلوس العتق المنقاة من الرصاص والحديد أربع وعشرون درهماً الرطل على عادتهم وضرب فلوس جديدة كل أربعة بدرهم ونصف للرطل وستة وثلاثون درهمًا وهذا كان ضياع لفلوس المسلمين، وحصل للشياخة من أهل الضرب مقصودهم من جمع الأموال، يأخذون أربع وعشرين ويخرجون بستة وثلاثين وبهذا يخسر الناس ثلث أموالهم[3].

كما أمر السلطان أن ينادى على الفلوس العادة فى عام (878هـ/ 1473م) التي عمل كل فلس منها بعتق بالميزان بست وثلاثين درهمًا الرطل فأثر ذلك بالسلب على الطبقات الشعبية المختلفة فقد فقدوا ثلث قيمة أموالهم فكانت تقف بثمان وأربعين للرطل ، فنفر الناس من ذلك وكان فيها فرج من جهة العدد وصار السوقة والباعة من الطبقات الشعبية يأخذون بالميزان ويسرقون مما جعل المصريون يسخطون على ذلك ويدعون على من أشار على السلطان بذلك[4].

وفى ذات الشأن فقد نودي فى شهر رمضان من عام (881هـ/1476م) على الفلوس بتسع وثلاثين رطلاً بالميزان وأبطل عددها ونودي على الفضة المضروبة بأن لا يتعامل إلا بالميزان، وكذلك الذهب فكانت الفضة قد خففت فصارت تخرج بالميزان، وكذلك الذهب[5]، والسبب وراء ذلك هو انتشار الفضة المغشوشة، الأمر الذي جعل محتسب مصر الشيخ صلاح الدين المكبني يقوم بالتشهير بالأشخاص الذين يقومون ببيع الفضة المغشوشة[6] من أجل إعادة الاستقرار في البلاد.

---

(1) السخاوي : الحافظ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن، التبر المسبوك في ذيل السلوك، تحقيق : لبيبة ابراهيم مصطفى ونجوى مصطفى كمال، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2005م، ج3، ص 21.

(2) ابن إياس: المصدر السابق، ج2، ص 368.

(3) الصيرفي: الخطيب الجوهري علي بن داود، إنباء العصر بأنباء العصر، تحقيق : حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002م، ص 143.

(4) المصدر نفسه، ص 506، 507.

(5) ابن إياس: المصدر السابق، ص 621.

(6) إسماعيل الدرديري: المرجع السابق، ص 49 .

وتكرر الحال مع تولي قانصوه الغوري فقد تعطلت حركة الأسواق في البيع والشراء بسبب الفلوس الجدد التي ضربها السلطان الغوري فكانت تلك الفلوس يتم إعطاءها مقابل الفلوس القديمة ، وكان الناس يفقدون ثلث أموالهم لما يوجد بها من تزييف في العملة القديمة[1].

وفي شهر ذى الحجة من عام (917هـ / 1511م) نادى السلطان على الفلوس الجدد العتق بأن الرطل منها بثمانية عشرة نقرة، وضرب فلوس معادة فخسر فيهم السوقة الثلث في غاية الخفة ، فصارت البضائع تباع بسعرين: سعر الفلوس الجدد ، وسعر الفلوس العتق[2].

(1) ابن إياس: المصدر السابق، ج4، ص 20.

(2) الفلوس العتق: وهي غير المطبوعة في النحاس المكسر من الأحمر والأصفر وكانت في الزمن الأول وزن كل رطل منها بالمصري درهمين من النكرة فلما عمت الفلوس الجدد استقر كل رطل منها بدرهم ونصف وقيل هي الدراهم الطبرية نسبة إلى طبرية الشام وزن كل رطل منها أربعة ضواء. للمزيد ينظر: شهاب الدين أبو العباس أحمد ابن الهايم: نزهة النفوس في بيان المعاملة بالفلوس، تحقيق : شكران خربوطلي، خزانة تراث التكوين للتأليف والترجمة، دمشق 2007، ص ؛ ابن إياس: المصدر السابق، ج4، ص 251.

الخاتمة

خلص البحث في موضوع تطور نظام النقد في مصر العصر المملوكي (648–922 هـ/ 1250 – 1517م) إلى عدة نتائج أهمها:

- استمر المماليك في بداية سلطتهم بالتعامل بالنقود والعملة التي استخدمها بني أيوب وهي الدراهم الكاملية، وعلى الرغم من ذلك فقد كان من أولويات السلطان المملوكي عندما يتولى الحكم سك النقود باسمه سعياً منه للسيطرة على الأوضاع الاقتصادية والتحكم فيها.
- كانت البداية الفعلية لنظام النقود والعملات في الدولة المملوكية مع تولي المؤسس الحقيقي لدولة المماليك في مصر، وهو الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الذي قام بضرب دراهم جديدة تحمل اسمه منفرداً أطلق عليها اسم الدراهم الظاهرية.
- انتشرت ظاهرة الغش والتزييف في العملة في العصر المملوكي، الأمر الذي تسبب في كساد التجارة وارتفاع مستوى الأسعار وغلق الحوانيت والأسواق وانعكاس ذلك كله على حياة الطبقات الشعبية.
- جرت محاولات عدة من السلطات الحاكمة لتصدي ظاهرة الغش والتزييف في العملة وإصلاح النظام النقدي غير أن حرص بعض رجال تلك السلطة على تحقيق أرباح خاصة من عملية سك النقود الجديدة إضافة إلى عدم وجود سياسة نقدية ثابتة أدى ذلك إلى عدم استقرار النظام النقدي والعملات، وتدهورت الأوضاع الاقتصادية في مصر في العهد المملوكي.

قائمة المراجع والمصادر:

أولا: المصادر:

1. ابن إياس: أبو البركات محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق : محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتاب والوثائق القومية، القاهرة، 2008م.
2. ابن تغري بردي: جمال الدين أبوالمحاسن يوسف، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور، تحقيق : فهيم محمد شلتوت، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1990م.
3. ----------: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2005م.
4. ابن قاضي شهبة: تقي الدين أبوبكر بن أحمد، تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق : عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق.
5. السخاوي : الحافظ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن، التبر المسبوك في ذيل السلوك، تحقيق : لبيبة ابراهيم مصطفى ونجوى مصطفى كمال، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2005م.

6. ابن الهايم: شهاب الدين أبو العباس أحمد: نزهة النفوس في بيان المعاملة بالفلوس، تحقيق : شكران خربوطلي، خزانة تراث التكوين للتأليف والترجمة، دمشق 2007.
7. الصيرفي: الخطيب الجوهري علي بن داود، إنباء العصر بأنباء العصر، تحقيق : حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002م.
8. العيني: بدر الدين أبومحمد محمود بن أحمد بن موسى، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق : محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2009م.
9. المقريزي: تقي الدين أبوالعباس أحمد بن علي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق : جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية ، 2000 م.
10. ----------: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القهارة، 2007م.
11. ---------: النقود الإسلامية المسمى بشذور العقود في ذكر النقود، تحقيق: محمد السيد علي، المكتبة الحيدارية، العراق 1987.

ثانيًا: المراجع:

1. إسماعيل الدرديري: تزيف النقود في مصر والشام عصر سلاطين المماليك ، مجلة اللغة العربية أسيوط ،جامعة الازهر، العدد27 ، 2008.
2. حياة ناصر الحجي: الأوضاع السياسية والاقتصادية في حكم المؤيد شيخ.
3. رأفت محمد: النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2000م.
4. سعيد عبدالفتاح عاشور: مصر في العصر الأيوبي والمملوكي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1992م.
5. عبدالرحمن فهمي: النقود العربية، ص 76، القاهرة، 1964م.
6. عثمان عطا: الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي وأثرها السياسي والاقتصادي والاجتماعي (648-923هـ/1120-1517م)، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، (د.ت).
7. محمد أحمد دهمان : معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي،دار الفكر،دمشق،1990م.
8. محمد باقر كاظم الحسيني: الكنى والألقاب على نقود المماليك البحرية والبرجية في مصر والشام، بحث في مجلة المورد، العراق ، العدد الأول.
9. نجوان أحمد سعيد : النظام النقدي ودار ضرب المسكوكات في مصر زمن سلاطين المماليك، حوليات آداب عين شمس مصر، العدد 44، 2016م.